الجمهوريّة العربيّة السوريّة
جامعة دمشق – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربيّة وآدابها

علماء الأَنساب وأَثَرُهُم في رواية الشِّعر الجاهليّ حتّى أَواسط القرن الثالث الهجريّ

رسالة مُقَدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في الأَدب العربيّ

إعداد الطالب
عبد السلام عبد المجيد المحتسب

المشرف
الأُستاذ الدكتور وهب روميّة

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

إهداء

أُهدي هذا البحث إلى:

روح والدي الّذي علّمني كيف أَتغَلّبُ على مصاعب الحياة

ووالدتي خير مَن أحبّني في حياتي

وزوجتي الّتي تحمّلت معي كثيراً من آلامي ومعاناتي

وأبنائي الّذين أحملهم معي في عقلي ووجداني

ولا يفوتني أن أهدي هذا البحث إلى المشرف الّذي غَمرني بكرمه وتواضعه

وكذلك الأَساتذة الأَجِلّاء أعضاء لجنة الحُكْم.

عبد السلام المحتسب

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات.....ج
المُلَخّص.....ز
المُقَدِّمة.....١
القسم الأَوَّل الدِّراسة.....٤
تمهيـــد.....٥
أولاً: مفهوم الأنساب لغةً واصطلاحاً: ٦
ثانيًا: أهمية النَّسب عند العرب وصلته برواية الشعر الجاهليّ: ١٠
الفصل الأول علم الأنساب، النشأة والتطوُّر.....٢٤
أولاً: نشأة علم الأنساب في العصر الجاهليّ:.....٢٥
آ- الحفظ أصل الرواية عند العرب: ٣٩
ب- أشهر النسّابين في الجاهليّة:.....٤٠
ثانيًا: تطوُّر علم الأنساب في صدر الإسلام:.....٤٤
آ- الفتوحات الإسلاميّة وتأثيرها في تطوُّر علم الأنساب:.....٤٧
ب- عمر بن الخطّاب وجهوده في تطوّر علم النسب:.....٥٠
ج- أبرز النسّابين في صدر الإسلام:.....٥٣
ثالثًا: تطوّر علم الأنساب في العصر الأمويّ:.....٥٧
آ- تأثير الفتوحات الإسلامية في تطوّر علم الأنساب:.....٥٨
ب- رواية النَّسَب من علوم الرواية عند العرب:.....٦٤
ج- صلة الأنساب بالأخبار والتاريخ: ٦٥
١- الاتّجاه الإسلاميّ:.....٦٧
٢- الاتّجاه القَبَليّ:.....٦٨
٣- أشهر الإخباريّين:.....٧٠
د- أبرز النَسَّابين في العصر الأُمويّ: ٧٣
رابعاً: تطوّر علم الأنساب في العصر العبّاسيّ:.....٧٥
آ- الثورة العَبَّاسيّة:.....٧٥
ب- دوافع الاهتمام بالأنساب:.....٧٦
١- الصِّراع بين الأحزاب السياسيّة والدينيّة حول الإمامة والخلافة:.....٧٦
٢- الشعوبيّة وأثرها في تطوّر علم الأنساب: ٧٧
ج- صلة الأنساب بالأخبار والتاريخ والدراسات الأدبيّة:.....٨٦
د- العصر العبّاسيّ .. عصر تدوين العلوم: ٩١
هـ- أبرز النسّابين في العصر العبّاسيّ:.....٩٤
الفصل الثاني تراجم لأبرز علماء الأنساب ومُصنَّفاتهم.....٩٩
أولاً: أبو بكر الصِّدِّيق:..... ١٠٠

روايته للشعر الجاهليّ: ١٠٧
ثانيًا: محمّد بن السَّائب الكلبيّ: ١٠٨
روايته للشعر الجاهلي: ١١١
ثالثًا: أبو اليَقْظان النسَّابة: ١١٢
آ- مُيوله وثقافته: ١١٢
ب- مؤلّفاته: ١١٣
ج- مادّته في الأخبار: ١١٤
د- مادّته في الأنساب: ١١٥
هـ- روايته للشعر الجاهليّ: ١١٨
رابعًا: مُؤرِّج السَّدوسيّ: ١٢٠
روايته للشعر الجاهليّ: ١٢٢
خامسًا: هِشَام بن محمّد الكلبيّ: ١٢٢
آ- منزلته العلميّة ومصادره: ١٢٢
ب- رُواته ومَنْ نَقَل عنه: ١٢٦
ج- مؤلّفاته: ١٢٨
د- كتبه في الأنساب: ١٢٩
١- جمهرة النسَّب: ١٢٩
٢- نسب معدّ واليمن الكبير: ١٢٩
هـ- موضوعات كتبه في الأنساب: ١٣٠
* الشرَّف: ١٣٠
* العدد والبَيْت: ١٣١
* الرئاسة والفروسيّة السيّادة: ١٣٢
و- قيمة مؤلّفاته: ١٣٣
ز- بعض المآخذ على مؤلّفات ابن الكلبيّ: ١٣٧
ح- ابن الكلبيّ بين معارضيه ومؤيّديه: ١٣٩
ط- رواية ابن الكلبيّ للشعر الجاهليّ: ١٤٣
سادسًا: مُصْعَب الزُّبَيريّ: ١٤٧
١- روايته للشعر الجاهليّ: ١٤٩
سابعًا: الزُّبَير بن بَكَّار: ١٥٠
١- منهجه في التأليف: ١٥٣
٢- روايته للشعر الجاهليّ: ١٥٦
الفصل الثالث توثيق مرويّاتهم الشعريّة..... ١٥٧
أوّلًا: الشعر الصَّحيح: ١٥٩
ثانيًا: الشِّعْر المُضْطَرِب: ١٦٥
١- أبو اليَقظان النَّسّابة: ١٦٥
٢- ابن الكَلبِيّ: ١٦٦

٣- مُصْعَب الزُّبيريّ: ١٦٧
٤- الزُّبَيْر بن بَكَّار: ١٦٨
ثالثًا: الشعر المَنحول: ١٦٩
الفصل الرابع مرويّاتهم الشعريّة وقيمتها التاريخيّة ١٧٤
أولًا: الحياة الاجتماعيّة: ١٧٥
١- الوَحْدَة القبليّة: ١٧٥
٢- قيم خُلُقيّة مُتَوارَثة: ١٨٥
آ- الكَرَم: ١٨٨
ب- الشَّجاعة: ١٩٦
ج- العِزَّة والأَنَفَة: ٢٠٢
د- الوفاء: ٢٠٥
هـ- حمل الدِّيَة: ٢٠٨
ثانيًا: الحياة السِّياسيّة: ٢١١
آ- الأحلاف: ٢١١
ب- سيادة بعض القبائل العربيّة ونفوذها: ٢١٥
١- قُرَيش: ٢١٦
٢- تَميم: ٢١٨
٣- عبد القَيس: ٢١٩
٤- إياد: ٢٢٢
ج- الغزو وأيّام العرب: ٢٢٤
ثالثًا: الحياة الدينيّة: ٢٣٣
آ- عبادة الأصنام: ٢٣٣
ب- الاعتبار واستحالة الخلود: ٢٤٠
الفصل الخامس مناهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ ٢٤٦
أولًا: العلماء الرُّواة وعلماء الأنساب: ٢٤٧
١- أبو عمرو بن العلاء: ٢٤٩
٢- حمّاد الرّاوية: ٢٥٠
٣- المُفضَّل الضَبِّيّ: ٢٥٠
٤- خَلَف الأحمر: ٢٥١
٥- أبو عمرو الشَّيبانيّ: ٢٥٢
٦- أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى: ٢٥٣
٧- الأصمعيّ: ٢٥٣
ثانيًا: منهج مؤرِّج السَّدوسيّ في رواية الشعر الجاهليّ: ٢٥٥
ثالثًا: مَنهج ابن الكلبيّ في رواية الشعر الجاهليّ: ٢٥٨
رابعاً: منهج مُصْعَب الزُّبيريّ: ٢٧٢
خامساً: منهج الزُّبير بن بَكَّار: ٢٧٥

خُلاصَة الدِّراسة ٢٧٩
القسم الثّاني جمع الشِّعر الَّذي رواه علماء الأنساب..... ٢٨١
أبو بكر الصِّدّيق ٢٨٣
محمّد بن السّائب الكلبيّ ٢٨٦
أبو اليَقْظان النَّسَّابة ٢٨٨
مُؤرِّج السَّدوسيّ ٢٩٧
هِشَام ابن الكلبيّ..... ٣٠٥
مُصعب الزُّبَيريّ ٣٥٠
الزُّبير بن بكّار ٣٦٠
الخاتمة..... ٣٧٦
النتائج ٣٧٧
التّوصيات..... ٣٧٨
الفَهارس الفنّيّة..... ٣٧٩
فِهرِس الآيات الكريمة..... ٣٨٠
فِهرِس الأحاديث الشَّريفة..... ٣٨٢
فِهرِس الشِّعر ٣٨٣
فِهرِس الأعلام..... ٤٠٠
فِهرِس الأقوام والقبائل وطبقاتها..... ٤٢٧
فِهرِس البلدان والأماكن..... ٤٤٢
فِهرِس الأَيَّام والوقائع..... ٤٤٨
فِهرِس الخيل ٤٥٠
فِهرِس الأُصنام..... ٤٥١
مصادر الدراسة ومراجعها..... ٤٥٢
مصادر الشِّعر الَّذي رواه علماء الأنساب..... ٤٧٦
Abstract..... I

المُلَخَّص

يتناول البحث أثر علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ حتّى أواسط القرن الثالث الهجريّ. ويُعَدُّ علم الأنساب من أهمّ المعارف عند العرب؛ إذْ إنّ النَّسب عصب حياتهم ومنبع قوّتهم، ويُعَدُّ أيضاً من فنون الأدب عندهم، وقد تغنَّوا به في أشعارهم.

واعتنى العرب بالأنساب نتيجةً لطبيعة البناء القبليّ لديهم، وظروف البيئة العربيّة التي شكَّلت عاملاً قويّاً لذلك. وحَثَّ الإسلام كذلك على تعلُّم الأنساب للضرورات الدينيّة والاجتماعيّة التي تُنَظِّم العلاقات بين الناس.

ونشأ علم الأنساب في الجاهليّة على شكل روايات وأخبار متأثّراً بالعوامل الجغرافيّة والاجتماعيّة، وخصوصاً النزعة القبليّة والتفاخر وحبّ السيطرة والزّعامة، واستمرَّ ذلك حتّى بعد مجيء الإسلام؛ ومثال ذلك الصِّراع الذي وقع بين المهاجرين والأنصار حول أحقيّة الخلافة بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ومن العوامل الّتي أثّرت في تطوُّر علم الأنساب الفتوحات الإسلاميّة، وإنشاء ديوان الجند أو العطاء في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه؛ ممّا قلَّل من الاضطراب والارتباك في النَّسَب، وقد حُفِظت الأنساب في سِجِلّ خاصّ كان أساساً في تأليف كتب الأنساب فيما بعد.

كان ديوان العطاء أوّل تدوين شامل لأنساب العرب، واعتمدت عليه بعض كتب الأنساب المتأخّرة، وقد زاد الاهتمام بالأنساب لدواعٍ سياسيّة نتيجةً للصراعات القبليّة وانضمام بعض القبائل الضَّعيفة إلى القبائل القويّة من أجل كسب التأييد والقوّة.

وتُعدّ الأنساب في العصر الأمويّ أوّل مقوّمات شعر النّقائض الّذي يتضمّن الفخر والهجاء. وأمّا في العصر العبّاسيّ فقد أثّرت الشعوبيّة كثيراً في تطوُّر علم الأنساب بسبب عدائها للعرب ومحاولة تشويه أصولهم وأنسابهم، وزاد الاهتمام بعلم الأنساب من خلال الانتساب إلى قبيلة قريش خاصّةً، وأُلِّفت كتب في ذلك.

اعتمد النَّسَابون العرب في الجاهليّة على الرواية الشفهيّة الّتي تقوم على الحفظ، وكانت المعلومات فيها مضطربة يكتنفها بعض الغموض والخلط، وذلك لارتباطها بالأخبار وقصص أيّام العرب. وإن وُجِدَ ما يشير إلى استخدام الكتابة في جنوب الجزيرة العربيّة فإنّ ذلك لا يمثّل تدويناً حقيقيّاً للأنساب، وظلّ الأمر كذلك حتى زمن قصير بعد الإسلام بالرَّغم من وجود ديوان العطاء الذي

حُفِظَتْ فيه أنساب العرب. وكذلك الحال في العصر الأمويّ ظلّ الاعتماد في استقاء المعلومات النسبيّة على نسّابي القبائل عن طريق الرواية الشفهيّة، إلاّ أنَّ العصر العبّاسيّ هو الّذي يُعَدّ العصر الحقيقيّ لتدوين الأنساب؛ ففيه نضجت العلوم الإسلاميّة ونشطت فيه حركة التدوين عند المسلمين.

وتبدو صلة النسب برواية الشعر الجاهليّ وثيقةً جدًّا؛ فقد ضَمَّت كتب الأنسَاب التي أُلِّفَتْ في العصر العبّاسيّ مع سلاسل الأنسَاب أخبارًا تاريخيّة وأدبيّة وشعراً سِيقَ معها لتوثيقها والاستدلال على صحّتها؛ ولذلك قُرِنَ ذكر علماء الأنساب بذكر علمهم بالشعر الجاهليّ وروايته.

الكلمات المفتاحية: النَّسب، النَّسّابون، المرويّات الشعريّة، الشعر الجاهليّ.

الإطار المَنهجيّ للبحث

١- إشكاليّة البحث:

تتلخّص مشكلة البحث في قِلّة المصادر والمراجع المتوافرة الّتي تتّصل بموضوع دراستي اتّصالاً مباشرًا؛ فالكتب التي صنّفها علماء الأنساب في العصر الأمويّ وبداية العصر العبّاسيّ فُقِدت ولم يصل إلينا منها شيء، والمعلومات النسبيّة والأشعار المقترنة بها الّتي عَثَرْتُ عليها قد تناثرت في بعض كتب الأدب والتاريخ والبلدان والدّواوين والمجموعات الشعريّة، ولذلك لم تتّضح لي الرُّؤية العميقة إلّا من خلال كتب الأنساب التي أُلِّفَت في نهايات القرن الثاني وأواسط القرن الثالث الهجريّ.

وثمّة مشكلة أخرى واجهتني في البحث، وتكمن في أنّ كثيراً من الأشعار التي رواها علماء الأنساب هي لشعراء مغمورين، فلم أستطع أن أحدّد العصر الأدبيّ الّذي ينتمون إليه، وهو العصر الجاهليّ، إلّا من خلال السياق التاريخي -وأعني بهذا- الوقائع الحربيّة التي ذكروها، ومن خلال معاصرتهم لرجال معروفين عاشوا في العصر الجاهلي.

٢- التّساؤلات:

مِن أبرز التّساؤلات التي أَلَحَّت عليَّ في أثناء دراستي مصادر هذا البحث هو أن أحاول أن أجد صلةً واضحة بين رواية أنساب العرب ورواية أشعار الجاهليّين وما علاقة ذكر نسب قبيلة من قبائل العرب بذكر الأشعار التي قيلت فيها؟ وما أثر علم الأنساب في رواية الأشعار؟ وما القيمة الحقيقيّة للأشعار التي رواها علماء الأنساب؟ وأعني بالتساؤل الأخير أنّ هل للشعر الذي رواه علماء الأنساب قيمة أدبيّة كقيمتها عند رواة الأدب والشعر، أم أنّ لها قيمة تاريخية بحتة تتوثّق بها سلالات الأنساب الّتي ذكرها النسّابون، وتكون بهذا فضلاً عن قيمتها التاريخية مصدراً من مصادر الشعر الجاهليّ.

ولم أستطع بطبيعة الحال أن أجيب عن هذه التساؤلات إلّا بعد أن فرغت من جمع ما استطعت من أشعار الجاهليّين التي رواها علماء الأنساب سواء ما ورد في كتب الأدب بالتاريخ والبلدان والدوواين والمجموعات الشعريّة أو ما ورد في مصنّفات المتأخرّين منهم.

٣- هدف البحث:

يسعى البحث إلى إبراز قيمة الجانب التاريخيّ لعلم الأنساب في حياة العرب وأثره في رواية الشعر الجاهليّ، فعلماء الأنساب مؤرّخون وليسوا أدباء، ولا يعنيهم عندما يذكرون الأشعار في سياق ذكرهم لأنساب العرب إلّا إقامة الحُجّة والبرهان على صحّة ما يوردونه من أنساب وأخبار، ولذلك لم يكن غريباً أن يكتفوا برواية أبيات

قليلة من أشعار كثيرة يعرفونها، وما حاجتهم إليها كلّها إذا كانت غايتهم من روايتها الاستدلال فقط على صحّة الأنساب والأخبار التي يذكرونها؟!

٤- أَهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في أنّ المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب تكشف عن قيمة تاريخيّة كبيرة تسلّط الضوء من خلالها على جوانب كثيرة من حياة قبائل العرب اجتماعيّة وسياسيّة ودينيّة؛ فهي تكشف في حياتهم الاجتماعيّة عن قضايا مهمّة أهمّها: الوحدة القبلية التي فرضتها العصبيّة القبليّة التي كانت تحكم أفراد القبيلة وتدفعهم إلى التمسّك بها حمايةً لأنفسهم وصوناً لأعراضهم. ومنها أيضاً القيم الخلقيّة التي توارثوها كابراً عن كابر كالكرم والشجاعة والعزّة والأنفة والوفاء وغيرها من القيم. وتكشف أيضاً في حياتهم السياسيّة عن قيمة الأحلاف كحلف الفُضول وحلف المُطَيَّبين وغيرهما، وتُبرز أيضاً سيادة بعض القبائل العربيّة ونفوذها كقريش وتميم وعبد القيس وإياد، وتسلّط الضوء أيضاً على حياة العرب الحربيّة من خلال الحديث عن الغزو وأيام العرب وما اشتمل ذلك من حديث عن الأسلحة التي كانوا يستخدمونها وتكشف في حياتهم الدينيّة عن عبادة الأصنام وتفكيرهم تجاه القضية الكبرة وهي الموت والفناء واستحالة الخلود.

وتبرز أهمية البحث أيضاً في أنّ المرويات الشعريّة لعلماء الأنساب تعدّ مصدراً مهمّاً من مصادر الشعر الجاهليّ بما انفردوا به عن غيرهم من رواة الأشعار.

٥- مصطلحات البحث:

- النَّسَب: القرابة المتسلسلة من الآباء والجدود إلى الأَبناء (لسان العرب، ابن منظور: نَسَبَ) وهو علم يُتَعرَّف منه أنساب الناس وقواعده الكليّة والجزئيّة، والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نَسَب الأفراد (كشف الظّنون، حاجي خليفة، ١٩١/١).
- النّسّابة: هو العالم بالأنساب، وجمعه النَّسَّابون، وإنّما أَدخلوا تاء التأنيث للمبالغة والمدح، وهو أيضاً البليغ العالم بالأنساب (لسان العرب: نَسَب).
- المُنافَرَات: جمع المُنافرة، وهي المفاخرة والمحاكمة في الحَسَب والنَّسب والشّرف، وهي أن يفتخر الرجلان كلّ واحدٍ منهما على صاحبه، ثم يحكّما بينهما رجلاً (حَكَماً)، فيُفضّل أحدهما على الآخر (لسان العرب: نَفَرَ).
- جَماهير القبائل: الكُتَل البشريّة الضّخمة التي تشكلّت بفِعل الهجرات القَبَليّة (المفصّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٥١٢/١).

- الأَحلاف: انضمام قبائل ضعيفة إلى قبائل قويّة لتحميها وتدافع عنها (المفصّل في تاريخ العرب، ٥١٤/١).
- جَمَرات العرب: هي القبائل الّتي لم تَنضوِ تحت أيّ حلف، وذلك لقوّة أبنائها وشجاعتهم وقدرتهم على كفايتهم في الحروب والمُلِمّات (العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص: ٥٨، ٥٩).
- القحطانيّون: عرب الجنوب/ اليمن (المُفصّل، ٤٦٩/١).
- العدنانيّون: عرب الشّمال/ مُضر (المُفصّل، ٤٦٩/١).
- ديوان العطاء: ويُعرف أيضاً بديوان الجُند، وقد أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقوم على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدّولة في الدّاخل والخارج وإحصاء الجند بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أُعطياتهم في أوقاتها (تاريخ ابن خلدون، المقدّمة، ٢٥٥/١، ٢٥٦).
- الشّعوبيّة: حركة تعبّر عن الوعي القوميّ الفارسيّ ضد سلطة العرب، وقد ظهرت بوادرها بشكل خَفِيّ في العصر الأمويّ، وقويت بشكل عَلَنِيّ في العصر العبّاسيّ (الزّندَقَة والشّعوبيّة، حسين عطوان، ص: ١٥٨).
- المَثالب: العيوب، مفردها مَثْلَبَة (لسان العرب: ثَلَبَ).

٦- حدود البحث:

الزّمانيّة: يتناول البحث الفترة الجاهليّة في تاريخ الأدب العربيّ، والتي اتّسمت بالرّواية الشفهيّة لعلم الأنساب ورواية الشعر الجاهليّ مروراً بفترة صدر الإسلام والعصر الأمويّ، ثم انتهاءً بفترة أواسط القرن الثالث الهجريّ في العصر العباسيّ، وهي الفترة التي شهدت التدوين الحقيقيّ لعلم الأنساب.

الجُغرافيّة: تتناول المناطق التي شهدت نشاطاً علميّاً واضحاً لعلماء الأنساب، وأشهرها:

- الجزيرة العربيّة، وبرز منها بشكل خاص منطقة الحجاز كونها أكثر تحضراً من غيرها، وأهمّها مكة والمدينة والطائف.
- الشّام وباديتها.
- العراق، وأبرز مدنها: الكوفة والبصرة وبغداد والحيرة.
- اليمن.
- البحرين بمعناها القديم، وهي اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣٤٧/١).

الموضوعيّة: يشتمل البحث على قسمين رئيسيّن هما: الدّراسة، وقد اعتمدت فيها على المصادر والمراجع المتعلّقة بالجانب التاريخيّ لموضوع البحث مع ذكر بعض الأشعار الدّاعمة لهذا الجانب، والشعر الجاهليّ الّذي جَمَعتُهُ وأقمتُ عليه الدراسة.

٧- الدّراسات السابقة:

لا يوجد لهذا البحث دراسات سابقة، ولكنّني انطلقت في دراستي لهذا البحث من كتاب "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية" للأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، إذ ضمّ الكتاب مبحثاً بعنوان " النَّسّابون ورواية الشعر الجاهليّ".

٨- منهج البحث وأدواته:

اتّبَعتُ في بحثي المنهج التاريخيّ والمنهج الاستقرائيّ، وقد قُمتُ بتتبُّع الظاهرة التاريخيّة وتطوّرها من العصر الجاهليّ إلى أواسط القرن الثالث الهجريّ، ثمّ قمت باستقراء المادة التاريخية والأدبيّة التي توافرت لي. وأما أداة البحث التي استخدمتها فهي المُلاحظة المبنيّة على استقراء المصادر القديمة والمراجع الحديثة ذات الصّلة بموضوع البحث.

٩- مكوّنات البحث:

يتكوّن البحث من قسمين:

القسم الأوّل: الدّراسة، ويشتمل على تمهيد وخمسة فصول:

التمهيد: يتناول مفهوم علم الأنساب لغةً واصطلاحاً، وأهمية الأنساب عند العرب وصلتها بالأحلاف قبل الإسلام، وصلة علم الأنساب برواية الشعر الجاهليّ.

الفصل الأول: نشأة علم الأنساب في العصر الجاهليّ ومراحل تطوّره في صدر الإسلام فالعصر الأمويّ ثم العصر العباسيّ.

الفصل الثاني: تراجم لأبرز علماء الأنساب.

الفصل الثالث: توثيق المَرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب الصّحيح – المُضْطِرب – المَنحول.

الفصل الرابع: القيمة التاريخيّة للمرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب.

الفصل الخامس: مناهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ.

القسم الثاني: جمع الشّعر الّذي رواه علماء الأنساب.

المُقَدِّمة

أثار هذا الموضوع اهتمامي بعد أن قرأتُ كتاب "مَصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة" للدكتور ناصر الدين الأسد، إذ تناول في حديثه عن اتصال الرّواية من الجاهليّة حتّى القرن الثاني الهجريّ طبقة من العلماء كان لهم صلة واضحة برواية الشعر الجاهليّ، وهم النسّابون، فزرته في مكتبه ثمّ أشار عليّ بدراسة "علماء الأنساب وأثرهم في رواية الشعر الجاهليّ" واتّخاذه موضوعاً لرسالتي في الدكتوراه؛ وذلك لأهميّته في دراسة الأدب العربيّ القديم، ولأنّه لم يَنَلْ حظّاً من اهتمام الباحثين والنقّاد، وشجّعني ذلك على محاولة سَبْر أغواره وكشف أبعاده.

وقد ذكر الجاحظ في كتابه "البيان والتَّبيين" أنّه كان في قريش أربعة من رواة الناس للأشعار وعلمائهم بالأنساب والأخبار، وهم: مَخرمة بن نوفل بن وُهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة، وأبو الجَهْم بن حُذَيفَة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف، وحُوَيطِب بن عبد العُزّى، وعَقيل بن أبي طالب، إلاّ أنّني بعد البحث المستفيض لم أعثر لهؤلاء النسّابين ولا لكثير من نسّابي الجاهليّة وصدر الإسلام والعصر الأمويّ على مادّة في الأنساب ولا في رواية الشعر، وكان ينبغي عليّ أن أُواصل القراءة والبحث وأتوسّع في مجال الدراسة لتشمل أواسط القرن الثالث الهجريّ، وذلك حتّى أجد مادّة أُقيم عليها رسالتي.

وتبرز هنا مشكلة البحث، وهي قلّة المصادر والمراجع المتوافرة المتصلة بموضوع دراستي اتّصالاً مباشراً؛ فالكتب التي صنّفها علماء الأنساب في العصر الأمويّ وبداية العصر العباسيّ فُقِدَتْ ولم يصل إلينا منها شيء. والمعلومات النَّسبَيّة والأشعار المرويّة المقترنة بها التي عثرتُ عليها تناثرت في بعض كتب الأدب والتاريخ والبلدان والدواوين والمجموعات الشعريّة، وأمّا العصر العبّاسيّ فهو الّذي أفرز لنا مؤلّفات في الأنساب، واتّضَحت من خلالها رؤيتي في البحث، وأمْكَنني من خلالها استكمال الموضوع من جميع جوانبه.

وثمّة مشكلة أخرى واجهتني في البحث، وهي تكمن في تحديد العصر الأدبيّ الّذي قيلت فيه بعض أبيات الشعر الّتي رواها علماء الأنساب؛ إذ إنّ كثيراً من تلك الأشعار هي لشعراء مغمورين، فكان ينبغي عليّ أن أَستعين بالسّياق التاريخيّ الّذي وردت من خلاله تلك الأشعار؛ وأَذكر من هؤلاء الشعراء – على سبيل المثال – قَساس بن أبي شَمِر بن معدي كَرِب الذي قال شعراً في سياق حديثه عن يوم الكُلاب الأوّل، وهو أحد أيّام العرب في الجاهليّة.

وقد انطلقتُ في بحثي من محاولة إبراز أثر علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ، وذلك من خلال جمع الشعر الجاهليّ المقترن بالمعلومات النسَّبيّة التي ساقها هؤلاء العلماء، سواءً أكان ذلك في كتبهم أم في غيرها من كتب الأدب والتاريخ والبلدان والدواوين والمجموعات الشعريّة، ثمّ دَرَسْتُها محاولاً إيجاد الصِّلة بين رواية النَّسَب ورواية الشعر الجاهليّ المتّصلة بجوانب حياة العرب المختلفة قبل الإسلام الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة، وبمعنى أدقّ الصلة بين التاريخ والأدب إذا عَدَدْنا الأدب صورة من صور التاريخ، ولذلك يمكن القول إنّ غرض علماء الأنساب من إيراد الأشعار الجاهليّة لم يكن إلاّ

إقامة الحُجّة على صحّة المعلومات النسبيّة التي كانوا يذكرونها، وهذه الأشعار التي رواها علماء الأنساب تُضاف – على قلّتها – إلى ما وصل إلينا من أشعار الجاهليّن.

وقد اتّبعتُ في دراسة هذا الموضوع المنهج التّاريخيّ والمنهج الاستقرائيّ. وأَقَمْتُ البحث على قسمين رئيسيَّن هما: الدراسة، وجمع الشعر الذي رواه علماء الأنساب. واشتمل القسم الأوّل على خمسة فصول صَدَّرْتها بمقدّمة وتمهيد وذَيَّلْتُها بخاتمة.

وقد تناولت في التمهيد مفهوم علم الأنساب لغةً واصطلاحاً، وذكرت أهميّة الأنساب عند العرب وصلتها بالأحلاف قبل الإسلام، وصلتها بالدين بعد الإسلام باعتبارها علماً جليلاً يحصل به التّعارف بين النّاس. وبيَّنْتُ صلة علم الأنساب برواية الشعر الجاهليّ؛ إذْ كان علماء الأنساب يعتمدون على الشعر الجاهليّ في ما كانوا يوردونه من سلاسل الأنساب والأخبار، وذلك للاستشهاد على صحّتها.

وتناولتُ في الفصل الأوّل نشأة علم الأنساب في العصر الجاهليّ ومراحل تطوّره في صدر الإسلام فالعصر الأمويّ ثم العصر العبّاسي الذي يعدّ عصر النُّضج لعلم الأنساب والعلوم والمعارف المختلفة. ومن الجدير ذِكْرُه أنّ لكل عصر من العصور التاريخيّة والأدبيّة تأثيراً خاصّاً في فكر العرب وحياتهم بمختلف جوانبها، فكان من الطبيعيّ أن نلمح تطوّراً ملحوظاً في علم الأنساب.

وترجمتُ في الفصل الثاني لأبرز علماء الأنساب مبتدئاً بأبي بكر الصدّيق ومنتهياً بالزُّبير بن بكّار، مشيراً إلى فضل كلّ منهم في علم الأنساب، مُبْرِزاً أقوال العلماء فيهم، وذكرتُ مؤلّفاتِ مَنْ ألَّفَ منهم في الأنساب، وأَلْمَحْتُ إلماحاً يسيراً إلى روايتهم للشعر الجاهليّ.

ووَثَّقْتُ في الفصل الثالث المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب، مبتدئاً بالصحيح منها فالمضطرب ثمّ المنحول. وقد تعرَّضْتُ إلى آراء بعض العلماء برواية الشعر في الشعر الصحيح الذي رواه علماء الأنساب، وعلى رأسهم ابن الكلبيّ الذي تعرَّض للطَّعْن والتجريح، خاصَّةً ما رواه لامرئ القيس، معارضاً تلك الآراء بآراء الباحثين المُحْدَثين في شعر امرئ القيس.

أمَّا الفصل الرابع فأَحسبه أهمّ فصول البحث وأكبرها؛ إذ تناولتُ فيه القيمة التاريخيّة للمرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب في ثلاثة جوانب من جوانب الحياة المختلفة، وهي: الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة؛ فمن حيث الحياة الاجتماعيّة نجد أنّ العصبيّة القبليّة توثّق صلة أفراد القبيلة أو بطونها بعضها ببعض، ولذلك انطلقت ألسنة الشّعراء – وهي ألسنة القبائل المعبِّرة عن أحوالها في السِّلْم والحرب – بأصوات تدعو إلى وحدة القبيلة.

وتشكّل القيم الخُلُقيّة المتوارثة عند العرب منظومة الأخلاق وتُسهم في تهذيبها، وهي: الكرم والشجّاعة والعزّة والأَنَفَة والوفاء وحَمْل الدِّيات، وانطلقت ألسنة الشّعراء تُعَبِّر عن هذه المفاهيم والقيم أصدق تعبير.

وفي الحياة السياسيّة نجد أنّ الظروف المعيشيّة الصعبة دَفَعت بعض العرب إلى تشكيل أحلاف رعايةً لمصالحها وحمايةً لحقوقها، وأنّ قوّة بعض القبائل ونفوذها مَكَّنَا لها الزّعامة والسِّيادة على بعض القبائل الضعيفة؛ ومن تلك القبائل ذات السيادة: قُرَيش وتَميم وعبد القَيس وإياد وغيرها.

وأمّا الحياة الدينيّة فنجد أنّ كتاب الأصنام لابن الكلبيّ – وهو من أنفس الكتب وأَنْدرِها – يكشف لنا عن حياة العرب الدينيّة قبل الإسلام في ما يتّصل بها من عبادة الأصنام والأوثان. وكان لتفكير العرب في مصيرهم دافعٌ لهم إلى الاعتبار من الأمم الفائتة والتيقُّن من استحالة خلودهم في الدُّنيا، ولا أَدَلَّ على ذلك من وقوف الشّعراء على الأطلال وبكائهم على أَحبّتهم وأصحابهم، وهذا نوع من التفكير التأمُّلي بالمصير الإنسانيّ؛ لأنّ الزّمن كان يوحي إليهم بدنوّ الأجل ونهاية الحياة، ولذلك نجد مسحةً من الحزن في حديثهم عن الموت والفناء.

وعَقدْتُ الفصل الخامس – وهو آخر فصول الرسالة – لتناول مناهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ، مبيّناً الفرق بين العلماء الرُّواة وعلماء الأنساب من حيث غاياتهم ومقاصدهم من رواية الشعر الجاهليّ، فهي تختلف باختلاف تخصّصاتهم؛ إذ كان النسَّب يتطلّب رواية أخبار العرب وما تضمَّنته من شواهد على التاريخ من أشعارها، بينما كانت غاية رواة الأشعار رواية كلّ شعر فيه غريب أو معنىً صعب يحتاج إلى بيان.

وفي الختام أتقدَّم لمشرفي الأستاذ الدكتور وهب روميّة بجزيل الشكر وعظيم الإجلال والعِرفان لجهوده الرائعة في توجيهي؛ حيث كان لملاحظاته السّديدة وآرائه الرَّشيدة أثر كبير في إنجاز هذا العمل على هذا النّحو. ولولا الله عزَّ وجلَّ، ثمّ جهود مشرفي لتملَّكني اليأس من طول مدّة الدراسة وندرة المصادر والمراجع المعينة لي في بحثي، فكان نعم الأستاذ والأخ والصّديق الّذي استطاع بصبره وحِلْمه وتواضعه أنْ يشحذ هِمَّتي ويُطلِق عندي طاقات التفكير والبحث، ويُسدِّد طريقي ويُنير بصيرتي.

وقد تحمَّل معي كثيرًا من المصاعب والمعيقات التي اعترضَتْ طريقي في البحث والدراسة، والحقَّ أقوله إنّني لم أستفد منه طالباً لنيل درجة الدكتوراه وحسب، وإنَّما استفدتُ منه كثيرًا في طريقة تناول النصوص التاريخيّة والأدبيّة بفضل قراءته المُتَأنّية لهذا البحث وتوجيهاته النّافعة، ومن خلال اطّلاعي على كتبه في الشّعر القديم، فله منّي ما حَييتُ جزيل الشُّكر وعظيم الإجلال والعرفان.

ولا أنسى في هذا المقام أنْ أَتقدَّمَ بالشّكر الجزيل والتقدير الكبير للأستاذ الدكتور محمّد شفيق البيطار الذي لم يَضِنَّ عليّ في بداية هذا العمل بفكره المُسْتَنِير وعِلْمِه الغزير؛ فله منّي موفور التَحيّة والإجلال.

ولا يفوتني أيضًا فضل الأستاذ الدكتور حمدي منصور أستاذ الأدب الجاهليّ بكليّة الآداب في الجامعة الأردنيّة، إذ لم يقصّر في قراءة البحث وإبداء ملاحظاته والإجابة عمّا كان يَعرض لي من أسئلة في أثناء العمل، فله مني المحبّة والتقدير.

واللهَ أسألُ أن يُلِهْمَني جميل الصّبر وحسن الأَناة والرّويّة، وأَسألُه أنْ يُدْخِلَني مُدْخَل صِدق ويخرجني مُخْرَج صِدق، وأنْ يجعل لي من لَدُنْه سُلطانًا نَصيرًا، والله الموفِّق.

القسم الأَوَّل
الدِّراسة

تمهيـــد

أولاً: مفهوم الأَنساب لغةً واصطلاحاً:

يُعَدُّ النَّسَب من أهم المعارف عند العرب قبل الإسلام، إذ يتّصل اتّصالاً وثيقاً بحياتهم الاجتماعيّة وأنظمتهم السياسيّة(١)*، واستمرّت عناية العرب بالأنساب بعد الإسلام وإنْ وجّه الدّين الجديد عقولهم إلى أفكار جديدة لم تكن موجودة في أذهانهم قبل الإسلام، وأهمّها فكرة الأُمَّة التي احتوت فكرة القبيلة، وأصبحت الرابطة الدينيّة هي الّتي تؤلّف بين الناس بعد أن كانت الرابطة القبليّة والعصبيّة هي التي تفعل ذلك*(٢)*؛ فحين سأل الصحابة الرسول – صَلَّى الله عليه وسلم – عن أكرم الناس من حيث أصولهم التي ينتسبون إليها ويتفاخرون بها، قال لهم:* "**خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام، إذا فَقُهُوا**"(٣)؛ فخِيرة العرب وأشرفهم نَسَباً في الجاهلية هم كذلك بعد الإسلام، إذا فَهِمُوا الدين وعَمِلُوا به، وهذا التغيّر الجديد في نظرة العرب إلى الأنساب هو ما أحدثه الإسلام في نفوسهم.

جاء في كتب اللغة: النَّسَب بالتحريك هو نَسَب القرابات، وهو واحد الأنساب. إذ قال ابن سِيدَة: النِّسْبَة (بالكسر والضمّ)، والنَّسَب: القَرابة؛ وقيل: هو في الآباء خاصّة، وقال ابن السِّكّيت: ويكون من قبل الأُمّ والأب. وهو أن تذكر الرجل فتقول: هو فلانُ بن فلانٍ، وتُنسب إلى البلاد وتُنسب إلى الصناعة أيضاً(٤)*. إلاّ أنّ الراجح من أقوال جُلّ علماء اللغة العربيّة مثل الجوهريّ وابن منظور والفيروزباديّ أنّ النسب يكون في الآباء دون الأمّهات خلافاً لما جاء به ابن السِّكّيت، وهو القرابة المتسلسلة من الآباء والجدود إلى الأبناء، وهذا ما أيّدته المعاجم اللغوية المعاصرة*(٥)*.

"**وانتَسَب الرجل واستنسَبَ، أي ذكر نسَبَه، قال أبو زيد: يقال للرجل إذا سُئِلَ عن نسَبه: استنسِبْ لنا، أي انتسِبْ لنا حَتّى نعرفك. ونسَبَهُ يَنْسبُه وينسِبُه نسَباً: عَزاه. ونسَبَه: سأله أن**

---

(١) انظر: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، ٣٢٩/٨.

(٢) انظر: كتاب النسَّب، أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهَرويّ، تحقيق ودراسة مريم محمد الدّرع، تقديم سهيل زكّار، دار الفكر للطِّباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ص: ٦٨.

(٣) صحيح البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريّ الجُعفيّ، ضبطه وشرح ألفاظه وجمله وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه مصطفى أديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م، ١٢٢٤/٣.

(٤) انظر: الصّحاح، الجوهريّ، تحقيق إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م. وأساس البلاغة، الزمخشريّ، ضبطه وشرحه محمد نبيل الطريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م. ولسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م. والقاموس المحيط، الفيروزباديّ، عناية وترتيب حسّان عبد المنّان، بيت الأفكار الدوليّة، لبنان، ٢٠٠٤م. وتاج العروس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيديّ، تحقيق عبد العليم الطحاويّ، مراجعة محمد بهجة الأثريّ وعبد الستّار أحمد فرّاج بإشراف لجنة فنيّة من وزارة الإرشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٨م: مادة (نَسَبَ).

(٥) انظر: الهادي إلى لغة العرب، حسن سعيد الكرميّ، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٢٨٨/٤.

ينتسِبَ. ونَسَبْتُ فلاناً إلى أبيه أنْسُبُه وأنْسِبُه نَسْباً إذا رفَعْتَ في نسبه إلى جدّه الأكبر. ويقال: نَسَبْتُ الرجلَ أنْسُبه، بالضمّ، نِسْبَة ونَسَباً إذا ذكرتَ نَسَبه، وانتسَبَ إلى أبيه أي اعتزى"(١).

وتفيد صيغة "ناسَبَ" معنى المشاركة في النَّسَب، **"فناسَبَه: شَرِكَه في نَسَبِه. والنّسيب المُناسِب، والجمع نُسَباء وأنْسِباء؛ وفلان يناسِبُ فلاناً، فهو نسيبه أي قريبه. ويقال: له نَسب في فلان، وتفاخروا بالأنساب، وفلانٌ حَسيبٌ نسيب: ذو حَسب ونَسَب. وهو نَسِيبي، وهم أنسبائي، وقد نَاسَبوني"**(٢). *قال الشَّمّاخ بن ضرار الذُّبيانيّ*(٣):

فالحق بِبَجْلَةَ ناسِبْهُم وكُنْ مَعَهُمْ حتّى يُعِيروك مَجْداً غيرَ مَوطودِ

ويقال: **"رَجَلٌ نسَّابٌ ونسّابة أي عَلاّمة بالأنساب، وجمعه نَسَّابون، وإنّما أدخلوا تاء التأنيث للمبالغة والمدح، ولم تُلْحَقْ لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أنّ هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فجعل تأنيث الصفة أَمارة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة، وهذا القول مستقصىً في عَلاّمة، وتقول: عندي ثلاثةُ نَسَّاباتٍ وعَلاّماتٍ، تريد ثلاثة رجال، ثم جئتَ بنسَّاباتٍ نَعْتاً لهم. وفي حديث أبي بكر، رضي الله عنه: وكان رجلاً نَسَّابةً؛ النَسَّابة: البليغ العالم بالأنساب"**(٤). *وكأنّ إلحاق تاء التأنيث يراد به قَصْر هذا العلم على الرجال دون النّساء، كما نستخدم صفة المذكر للمؤنّث في قولنا: امرأة حامل وحائض، فلم تلحقها تاء التأنيث، لأنّ الرجل لا يشاركها في هذا الأمر.*

وأما النسَّب اصطلاحاً فقد عرَّفه حاجي خليفة بأنّه: **"علمٌ يُتَعرَّفُ منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئيّة. والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص، وهو علم عظيم النّفع، جليل القدر، أشار الكتاب العظيم في قوله تعالى: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) إلى تفَهُّمه، وحثّ الرسول الكريم في حديث: (تعلَّموا أنسابكم تصلوا أرحامكم) على تعلُّمه، والعربيّ قد اعتنى في ضبط نسبه إلى أن كَثُرَ أهل الإسلام واختلطت أنسابهم بالأعاجم، فتعذَّر ضبطه بالآباء، فانتسب كلّ مجهول النسّب إلى بلده أو حرفته أو نحو ذلك حتى غلب هذا النوع"**(٥). *ويعدّ هذا النوع من النَّسب، وهو النسب إلى البلد أو الحرفة تطوّراً في مفهوم النسب عند العرب، فقد اعتمد السّمعانيّ، وهو من أعلام القرن السادس الهجريّ، في كتابه "الأنساب" على النسبة إلى القرى أو المواضع والحِرَف*

---

(١) الصِّحاح، الجوهريّ. ولسان العرب، ابن منظور. وتاج العروس، الزَّبيديّ: نَسَبَ.

(٢) الصِّحاح، الجوهريّ. وأساس البلاغة، الزمخشريّ. وتاج العروس، الزَّبيديّ: نَسَبَ.

(٣) ديوان الشمّاخ بن ضرار الذُّبيانيّ، حقّقه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨، ص: ١٢٢. بنو بَجْلة – بطن من بُهثة بن سُلَيم بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفَة بن قيْس عَيلان، وَبجْلَة: أُمّهم، نُسِبُوا إليها. غير مَوطود: غير مُثبَّت (الديوان، ص: ١٢٢: الحاشية).

(٤) لسان العرب لابن منظور: نَسَبَ.

(٥) كشف الظّنون عن كتب الأسامي والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، ١٩١/١.

والمِهَن والصّناعات وغير ذلك؛ مثل: البخاريّ نسبة إلى بُخارى، والنَّيسابُوريّ نسبة إلى نَيْسابور، والعطّار لمن يبيع العطر، والنَظّام لمن كان ينظم الخَرز وغير ذلك(١).

ويَعُدُّ حاجي خليفة أن الذي فتح باب علم الأنساب وضَبَط أصوله الإمام النسّابة هشام بن محمّد الكلبيّ المتوفّى سنة أربع ومائتين(٢).

ولم يقتصر علم العرب في النسب على أنساب البشر، بل تجاوز ذلك إلى أنساب الخيل، وقد صَنَّف هشام ابن الكلبيّ كتاباً في أنساب الخيول عند العرب(٣)، *ذكر فيه أسماء الخيل وسلالاتها عند قبائل العرب، وأورد عليها الشواهد من أشعار الجاهليّة والإسلام. وفَعَل آخرون فِعْلَه كالأسود الغُنْدُجانيّ وغيره*(٤).

وَيَعُدُّ النُّويريّ النَّسب من فنون الأدب عند العرب، ويرى أن العرب امتازت على العجم وافتخرت بمعرفة أنساب الأمم لأنّها "**احتَرزتْ على معرفة نَسَبها، وتَمسَّكَتْ بمتين حَسَبها، وعرَفَتْ جماهير قومها وشعوبها، وأَفْصَحَ عن قبائلها لسانُ شاعرها وخطيبها، واتّحَدَتْ برَهْطِها وفصائلها وعشائرها، ومالتْ إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها، ونَفَت الدعيّ فيها، ونَطقَت بملء فيها**"(٥). *وينحو جواد علي في تعريف الأنساب منحىً آخر، إذْ يرى أن النَّسب تَشَكَّلَ بفعل الضرورات التي دفعت القبائل في الجزيرة العربية إلى عقد أحلاف لتحافظ على أمنها وتحمي مصالحها المشتركة، وتُشَكِّلُ هذه الأحلاف على مرّ الزمن ما يسمّى "النَّسب"، يقول:* "**وأقرب تفسير إلى أنساب العرب في نظري هو أنّ النسب، ليس بالشّكل المعروف من الكلمة، وإنّما هو كناية عن (حِلف) يجمع قبائل توحّدت مصالحها، واشتركت منافعها، فاتَّفَقَتْ على عقد حلف في ما بينها، فانضمَّ بعضها إلى بعض، واحتمى الضعيف منها بالقويّ، وتولّدت من المجموع قوّة ووَحدة، وبذلك حافظتْ تلك القبائل المتحالِفَة على مصالحها وحقوقها ... لقد حملت الضرورات قبائل جزيرة العرب على تكوين الأحلاف، للمحافظة على الأمن وللدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول. وإذا دام الحلف، وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة، فإنّ هذه الرابطة تنتهي إلى نَسَب، حيث يشعر أفراد الحِلف أنّهم من أسرة واحدة تسلسلت من جَدّ واحد، وقد يحدث ما يُفسد هذه الرابطة، أو ما يدعو إلى انفصال بعض قبائل**

---

(١) انظر: كتاب الأنساب، السَّمعانيّ، قدّم له محمّد أحمد حلّاق، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، المقدّمة، ١/١١.

(٢) كشف الظّنون، حاجي خليفة، ١/١٩١، ١٩٢.

(٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبيّ، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٤٦م.

(٤) انظر على سبيل المثال: كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها، أبو محمّد الحسن بن أحمد الأعرابيّ (الأسود الغُنْدُجانيّ)، حقّقه محمّد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

(٥) نهاية الأَرَب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النُّويري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٩م، ٢/٢٧٦. احترزت: احترست، صانَتْ. الرَّهط: القَبيل. الأفخاذ: من القبيلة فصائلها أو أحياؤها، مفردها "فَخذ". البطن من القبيلة: فرع منها. العمارة: القبيلة. الدعيّ: الذي لم يثبت نسبه (نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢/٢٧٦: الحاشية).

الحلف، فتنضمّ القبائل المنفصلة إلى أحلاف أخرى، وهكذا نجد في جزيرة العرب أحلافاً تتكوّن، وأحلافاً قديمة تنحلّ أو تضعف"(١).

ويضرب مثالاً للقبائل المتحالفة باجتماع بعض قبائل العرب في البحرين تحت اسم "تَنُوخ": **"وخير مثال للقبائل التي اقتضت مصالحها التكتُّل والتحالف بينها، هو الحلف الذي قيل له (تَنُوخ). فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب، وتحالفوا وتعاقدوا على التّناصُر والتّساعُد والتآزر، فصاروا يداً واحدة، وضمّهم اسم (تَنُوخ)"**(٢).

وجواد عليّ بهذا التفسير للنسب يتبنّى وجهة نظر المستشرق (جولدتزيهر) الذي يرى **"أنّه لفهم الأنساب عند العرب، لا بُدّ من معرفة أنّ الأحلاف والتحالف أساس تكوّن أنساب القبائل، وأنّ تفكّك الأحلاف يؤدّي إلى تفكّك الأنساب وتولّد أنساب جديدة، وهي تنشأ عن المصالح الخاصة التي تهمّ العشيرة كالأمن والحماية والأخذ بالثأر، وتأمين المعيشة"**(٣).

والصواب أنه لا يمكننا أن نتسرّع ونطلق الكلام على عَواهِنِه، بل ينبغي علينا أن نتثبّت من صحّة الآراء ووجهات النظر، وذلك بالتعرّف إلى تاريخ ظهور القبيلة عند العرب، والعوامل التي أثَّرَتْ في القبيلة بعد الإسلام، وكيف تحوّلَتْ التكتّلات البشريّة الكبيرة التي حملت اسم (الجماهير) إلى وحدات أصغر حملت اسم (القبائل) كتولُّد قبيلة قريش من جمهرة كبيرة اسمها (كِنانة)(٤). وهذا ما نحن بصدد الحديث عنه عند تناول "نشأة علم الأنساب عند العرب"، *إلا أنّه يمكن القول إنّ الحِلف غير النسب، وكان مِن بقايا الجاهلية، وعندما جاء الإسلام نَظَر إلى الأحلاف نظرته إلى أمور الحياة كلّها، فما وافَقَ تعاليمه قَبِلَه وارتضاه، وما خالفه رَفَضه ونهى عنه. والَّذي نهى عنه الإسلام الأحلاف التي كانت تقوم على التعاون والاتّفاق على غزو القبائل والإغارة عليها وإثارة الفتن بينها*(٥)، ولا أدلَّ على هذا الموقف من حديثين صحيحين *أوّلهما:* **"حدّثنا عاصم قال: قلت لأنس رضي الله عنه: أَبَلَغَكَ أنّ النبي، صَلَّى الله عليه وسلّم، قال لا حِلْفَ في الإسلام؟ فقال: قد حالف النبي، صَلَّى الله عليه وسلّم، بين قريش والأنصار في داري"**(٦). *والثاني:* **"عن جُبير بن مُطْعِم، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: لا حِلْفَ في الإسلام، وأيُّما حِلفٍ كان في الجاهليّة لم يَزِدْه الإسلام إلا شِدّة"**(٧). *وفي ذلك يقول ابن الأثير:* **"أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضُد والتّساعُد والاتّفاق، فما كان منه في**

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥١٤/١، ٥١٥.

(٢) المرجع نفسه ، ٣٧٤/٤.

(٣) المرجع نفسه ، ٥١٥/١.

(٤) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٧، ٨.

(٥) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٣٨/٦، ٥٤٨، ٣٠٤/٧.

(٦) صحيح البخاريّ، كتاب الكفالة، ٨٠٣/٢.

(٧) صحيح مسلم بشرح النووي، راجعه وضبطه وقابله مجموعة من طلبة العلم بإشراف حسن عبّاس قطب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، المجلّد الثامن، الجزء السادس عشر، ص: ٨١.

الجاهليّة على الفِتَن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله صَلَّى الله عليه وسلّم: لا حِلف في الإسلام، وما كان منه في الجاهليّة على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المُطيَّبين وما جرى مجراه، فذلك الذي قال فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: وأيّما حلف كان في الجاهليّة لم يزده الإسلام إلاّ شدّة، يريد مِن المعاقدة على الخير ونصرة الحقّ، وبذلك يجتمع الحديثان، وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام، وقيل المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله لا حِلْف في الإسلام، قاله زمن الفتح، فكان ناسخاً، وكان، عليه السلام، وأبو بكر من المُطيَّبين، وكان عمر من الأحلاف، والأحلاف ستّ قبائل: عبد الدار وجُمَح ومخزوم وبنو عديّ وكعب وسهم"(١). *وثمّة أمر آخر مهمّ تنبغي الإشارة إليه، وهو أنّ الحلف في الجاهليّة يمنح حقّ التوارث، وقد نُسخ وأُبطل بقوله تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ...﴾*(٢) *بينما يثبت الميراث في الإسلام بثبوت النسب كما سيأتي لاحقاً*(٣).

إذاً نخلص مِمّا سبق إلى أنّ مفهوم النسب يختلف عن مفهوم الحلف الذي يأتي بمعنيين؛ الأول بمعنى المعاهدة على التناصر والاتّفاق على نصر الظالم والغزو والفِتَن والقتال بين القبائل، وهو ما نهى عنه الإسلام وأبطله. والثاني بمعنى المؤاخاة، ونصرة المظلوم وإعانته على أخذ حقّه من الظالم، وهو ما أقرّه الإسلام وأكّد عليه.

ثانيًا: أَهميّة النَّسب عند العرب وصلته برواية الشعر الجاهليّ:

أكّد القرآن الكريم أهمية الأنساب عند البشر، وجعل العلم بها وسيلة يحصل من خلالها التعارف بين الناس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٤). *ووجّه الله عزّ وجلّ نبيه الكريم محمّداً – صَلَّى الله عليه وسلم – إلى ضرورة اختصاص عشيرته المقرَّبين إليه برسالته ودعوته، فقال عزَّ وجل: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾*(٥).

وقد اهتَمَّ العرب قبل الإسلام وبعده بأنسابهم، وعُنُوا بها عناية فائقة، لم نَجِدْها عند غيرهم من الأجناس؛ فالنسب عند العرب في الجاهلية يُعَدُّ عصب حياتهم، ومنبَع قوّتهم وعزّتهم، وملاذهم عند

(١) لسان العرب، ابن منظور: حَلَفَ.

(٢) انظر: صحيح مسلم، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ٨٠/٨. وسورة الأنفال، الآية ٧٥.

(٣) انظر: البحث، ص: ١٩.

(٤) سورة الحُجرات، الآية ١٣.

(٥) سورة الشعراء، الآية ٢١٣.

الشدائد والمصائب، ولذلك نجد شعراءهم في الجاهلية يفتخرون بأنسابهم عند ذكر أيّامهم ووقائعهم، فنرى مثلاً عمرو بن كلثوم التغلبيّ، وهو مِنْ كبار شعراء المعلّقات في الجاهليّة يتغنّى بقومه الذين ورثوا النُّبل والشرف ومكارم الأخلاق عن آبائهم، مُشْهِداً مَعَدّاً على ذلك، فيقول(١):

وَرِثْنَا المَجْدَ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطاعِنُ دونه حتى يَبينَا

ونراه يفتخر بقومه الذين أغاروا مع سيّد من بني جُشَم بن بكر، على أعدائهم، فأذاقوا أشدّاءهم وضعفاءهم الهزيمة، ونكَّلوا بهم تنكيلاً(٢):

وأمّا يومَ لا نَخْشَى عليهم فنُمْعِنُ غارةً مُتَلَبِّبينَا

بِرأْسٍ مِنْ بني جُشَمِ بنِ بَكرٍ نَدُقُ به السُّهولَة والحُزُونا

وهذا هو سالم بن مُسَافِعَ الجُشَميّ، شاعر هَجَّاء مُخَضْرَم وعرف بابن دَارَةَ، يفتخر بنسب أمّه "دارَة" الذي يرجع إلى بني أسَد، و"دارة" لقب أمّه، واسمها "سَنْقَاء"، ولُقِّبَتْ بذلك لجمالها، إذْ شُبّهت بدارة القمر أي هالته المضيئة التي تحيط به(٣). *وقيل إنّ "دارة" لَقَبٌ غَلَبَ على أحد أجداده "يَرْبُوع"، شُبّه بدارة القمر، يقول*(٤):

أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نَسَبي وهَلْ بِدَارةَ، يا لَلنّاسِ، من عَارِ!

وتؤيّد أشعار العرب في الجاهليّة اهتمامهم بأنسابهم، إذ كان الشعراء يتنافسون في التفاخر بأنسابهم، كلَّ منهم يدّعي المجد لقبيلته، لأن ذلك في نظرهم يؤهّلهم للزعامة والرئاسة على غيرهم من العرب.

---

(١) شرح المعلّقات السبع، الزَّوزنيّ، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م، ص: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٧٦. الإمعان: الإسراع والمبالغة في الشيء. التَّلَبُّب: لبس السلاح (ص: ١٧٦: الحاشية).

(٣) انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م، ٤٠١/١. وخزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغداديّ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة، ١٩٨١م، ١٢٧/٢.

(٤) خزانة الأدب، البغداديّ، ١٢٧/٢. وانظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، تحقيق إحسان عبّاس وإبراهيم السعافين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م، ١٦٤/٢١. وهو الذي هجا ثابت بن رافع الفَزاريّ فقتله، وهو القائل:

لا تأْمَنَنَّ فَزارِيّاً خَلَوْتَ به على قَلوُصِكَ واكتُبْها بأَسْيَارِ (الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٤٠١/١)

فهذا معاوية بن مالك[١] يعتزّ بانتمائه إلى قومه وعِصابته الذين ورثوا المجد والشرف كابِراً عن كابر[٢]:

إنّـي امـرؤٌ مـن عُصْـبَةٍ مَشـهورةٍ حُشُـدٍ لَهُـمْ مَجْـدٌ أَشَـمُّ تَلِيـدُ
أَلْفَـوْا أَبَـاهُمْ سَيّـدا وأَعَانَهُـمْ كَـرَمٌ وأعمـامٌ لَهُـمْ وجُـدُودُ
إذْ كُـلُّ حـيٍّ نابِـتٌ بأَرُومَـة نَبْـتَ العِضـاه فَمَاجِـدٌ وكَسِيـدُ

فالشاعر يؤكّد ولاءه لقومه الذين يكوّنون عُصْبَةً قويّة متّحدة، تُطاول بأمجادها عَنان السماء، قد رعاها الآباء والأعمام والأجداد، وأظلّتهم شجرة كبيرة تفوح عطراً بالمجد والسيادة والكرم.

ويفتخر سلامة بن جندل السعديّ بانتسابه إلى قومه الذين يتّصفون بشرف الأصل والشجاعة في القتال، والحكمة الصائبة في قيادة القبيلة، والقدرة على حلّ مشكلاتها وإشاعة روح الوئام والوفاق بين أفراد القبيلة، ونراه يصف قدرات قومه القتاليّة وقد شحذوا أسنّة رماحهم، ولم يأبَهُوا بخصومهم إذا وَلّى غيرهم الأدبار خوف ملاقاة الأعداء، وساروا في أرض المعركة واثقين بأنفسهم، وتشهد لهم خيول أعدائهم ببأسهم وشجاعتهم، *إذ يقول*[٣]:

إنّـي امـرؤٌ مـن عُصْـبَةٍ سعديّـةٍ ذَرْبَـى الأَسِـنّةِ كُـلّ يـوم تَـلاقِ
لا ينظـرونَ إذا الكتيبـةُ أَحْجَمـتْ نَظَـرَ الجِمـالِ كُـرِبْنَ بالأَوسـاقِ
يَكْفُـونَ غـائِبَهُمْ ويُقْضَـى أَمرُهُـمْ فـي غيـرِ نَقْـصٍ مِـنهُمُ وشِقـاقِ
والخيـلُ تعلـمُ مَـنْ يَبُـلُّ نُحورَهـا بـدمٍ كمـاءِ العَنْـدَم المُهْـراقِ

---

(١) هو ابن مالك بن جعفر بن كلاب، شاعر جاهليّ، لُقّب بمُعَوِّد الحكماء (انظر: كتاب نزهة الألباب في الألقاب، ابن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق وتعليق محمّد زينهم محمّد عزب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص: ٢٦٣).

(٢) المفضّليّات، المفضّل الضبيّ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م، ص: ٣٥٥. الحُشُد: الذي يحشدون لضيفهم وجارهم، أي يجتمعون له ولما ينوبُهم من قِرىً ونصر. التّليد: القديم. الأشمّ: الرفيع. المجد: كثرة أفعال الخير. الأَرُومة: الأصل. العِضاه: شجر عظام. الماجد: الكثير أفعال الخير. الكَسِيد: الدون جعله كالسِّلعة البائرة التي لا تنفق عن صاحبها (ص: ٣٥٥: الحاشية).

(٣) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قَباوة، المكتبة العربيّة، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص: ١٥٣، ١٥٤. ذَرْبَى الأسنّة: مُحدَّدة، و"ذَرْبَى" أيضاً: معتادي الذُّراب، والذُّراب: السَّمّ. لم تذكر معاجم اللغة "ذَرْبى" في مادة (ذَرِبَ) مع أنَّه جائز في اللغة؛ لأنّ (فَعِل) يُجمع على (فَعْلَى) إذا كان بمعنى اسم المفعول. والشاعر يقصد بذلك أنّهم قد اعتادت أسنّتُهم الذُّراب، ولعلّه من تذريب السيف، وهو أن يُنقع في السّم فإذا أُنْعِم سقيه أُخْرِجَ فَشُحِذ (انظر: حا ص: ١٥٣). أحْجَمَتْ: كَفّت. الأَوساق: الأحمال. كُرِبْنَ بالأوساق: أي اشتدّ عليهن حملهنّ فأَكْرَبَهُنّ. يقول إنَّ قومه إذا ولّت الكتائب الأدبار، أقدموا إلى المعركة ولم تُرهبهم كما ترهب الجبناء الذين يستقبلونها بنظرات ملؤها الهلع كالجمال التي هَدَّتْها الأحمال الثقيلة (انظر: الديوان، حا ص: ١٥٤). العَنْدَم: دم الأخَوَيْن. وقال أبو عمرو: العندم شجر أحمر. وقال بعضهم: العَندَم دم الغزال بِلِحاء الأَرْطَى (نبات شُجيري ينبت في الرمل، وثمره كالعُنّاب) يُطبخان جميعاً حتى ينعقدا فتختضب به الجواري (لسان العرب: عَنْدَمَ).

ونجد أنَّ النَّسَب عند العرب قبل الإسلام يشكّل مِحوراً رئيسيّاً تقوم عليه مفاخراتهم ومُنافَراتهم، إذْ بلغ فخر العرب بأنفسهم مبلغاً عظيماً كان يحملهم على تعداد قبائلهم في حضرة الملوك والرؤساء، وهم يَسْعَوْنَ من وراء ذلك إلى إثبات المجد التليد والشرف الرفيع لأنفسهم، فقد ذكر ابن عبد ربّه أنَّ **"النُّعمان بن المنذر اجتمعت لديه ذات يوم وجوهُ العرب ووفود القبائل، ودعا بِبُرْدَي مُحرِّق، فقال: ليلبِس هذين البُرْدَيْن أكرم العرب وأشرفهم حَسَباً وأعَزُّهُمْ قبيلةً. فأحْجَم الناس، فقال الأُحَيْمِر بن خَلَف ابن بَهْدلة بن عَوْف بن كعب بن مَعَدّ بن زَيْد مَناة: أنا لهما، فائْتَزَر بأحدهما وارتدى بالآخر. فقال له النُّعمان: وما حُجّتك في ما ادَّعَيْتَ؟ قال: الشَّرف من نِزار كُلِّها في مُضَر، ثمّ في تميم، ثم في سَعْد، ثم في كَعْب، ثمّ في بَهْدَلة؛ قال: هذا أنت في أهلك، فكيف أنت في عَشيرتك؟ قال: أنا أبو عَشَرة وعمّ عَشَرة وأخو عَشَرة؛ قال: فهذا أنت في عَشِيرتكَ، فكيف أنت في نفسك؟ فقال: شاهدُ العين شاهدي. ثم قام فوضع قدمه في الأرض، قال: مَنْ أزَالها له من الإبل مئة. فلم يَقُمْ إليه أحدٌ ولا تَعاطَى ذلك"**[١]. *وفي ذلك يقول الفرزدق*[٢]:

فما تَمَّ في سَعْدٍ ولا آل مالك غلامٌ إذا ما قِيلَ لم يَتَبَهْدَلِ

لهم وَهَب النعمانُ بُرْدَي مُحرِّقٍ بِمَجْدِ مَعَدٍّ والعديد المُحَصَّلِ

وتقوم المُنافَرات أيضاً على النَّسب، بَلْ إنّ النسب يُعدّ المحور الرئيسيّ الذي تدور حوله المُنافَرات[٣]. *والمُنافَرة هي المفاخرة والمحاكمة في الحَسَب والنسب والشرف، وهي أن يفتخر الرجلان كلٌّ واحد منهما على صاحبه، ثم يحكّما بينهما رجلاً (حَكماً)، فيُفَضِّل أحدهما على الآخر*[٤]. *وتعدّ مُنافَرة عامر بن الطُّفَيْل وعلقمة بن عُلاثَة أشهر المُنافَرات في الأدب العربيّ، وكان الحَكَم فيها هَرِم بن قُطبة الفَزاريّ، وترجع سبب شهرة هذه المنافرة إلى كثرة مَنْ عُرِضَتْ عليهم من الحُكّام ومَنْ حضَرها من الشعراء*[٥].

---

(١) كتاب العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسيّ، شرحه وضبطه وعَنْوَن موضوعاته: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياريّ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م، ٤٧٧/٢. في كتاب النقائض، نقائض جرير والفَرزدق، لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، باعتناء المستشرق الإنكليزيّ بيڤان، طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٥م، ٧١٣/٢: مُحرِّق ابنه، وهو عمرو بن هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرَّار. وإنّما سُمِّي مُحرِّقاً، لأنّه كان يُحرِّق الرجال بالنار.

(٢) شرح ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه وأكملها إيليّا الحاوي، منشورات د ار الكتاب اللُّبنانيّ، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ٣٥٠/٢: البيت الأوّل فقط. وكتاب النقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، ٧١٣/٢. مالك: يريد مالك بن زيد مناة (كتاب النقائض، ١٦٣/١). يتبهدل: ينتسب إلى بَهدلة، وهم آل الزِّبرقان بن بدر. وبهدلة بن عُوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة. المحصَّل: قد حُفِظَ عَدَدُه (كتاب النقائض، ٧١٣/٢).

(٣) انظر: المُنافَرات في الأدب الجاهليّ، رسالة ماجستير، إعداد فاطمة حمد ناصر المزروعيّ، إشراف حمدي منصور، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص: ١٠٤.

(٤) انظر: القاموس المحيط، لسان العرب، الصحاح: نَفَرَ. وانظر: خزانة الأدب، البغدادي، ٣٩٨/٣، ٢٥٧/٨. والمنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، الطبعة السابعة عشرة، ١٩٨٤م، ص: ٨٢٤.

(٥) انظر: الهِجاء والهجّاؤون، محمّد محمّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية، ١٩٤٨م، ص: ٩١.

ويزخر الشعر العربي في العصر الأمويّ بالتغنّي بالأنساب، وهذا ما نجده واضحاً في النقائض وأشهرها نقائض جرير والفرزدق، وتُعَدُّ الأنساب أهم مقوّماتها، وذلك في معرض ذِكر الفخر والهجاء والحديث عن أيام العرب ووقائعهم(١).

ويرجع سبب عناية العرب بالأنساب إلى طبيعة البناء القَبَليّ في شبه الجزيرة العربيّة متّسعة الأطراف. وقد شكّلت ظروف البيئة الطبيعيّة تحدّياً قويّاً وعاملاً أساسيّاً في الاهتمام بالأنساب، وكان لتنوّع مظاهر البيئة من الجنوب إلى الشمال أثر كبير في تشكيل مجتمع العرب بين بدو رُحَّل في الشمال وحضر مستقرّين في الجنوب. فقد عَرَفتْ بيئة عرب الشمال الحرّ الشديد وشُحّ الأمطار وندرة الأنهار وكثرة الرمال في الصحراء، ممّا صيَّر مَنْ عاش فيها إنساناً قلقاً هائماً على وجهه يتنقّل من مكان إلى آخر باحثاً عن ماء وغذاء، ولذلك كَثر الحِلّ والترّحال طلباً للعيش والكلأ. هذه البيئة القاسية حدّدت نوع حياة الناس فيها فجعلتهم يصارعون للبقاء، كما حدّدت أخلاقهم وعقولهم فدفعتهم للإغارة والغزو، وزَرَعَتْ في نفوسهم بذل أرواحهم في الدفاع عن الحمى ووجود القبيلة التي تعني لهم كلّ حياتهم(٢).

وفي الجانب الآخر وهو جنوب شبه الجزيرة نجد الأمر مختلفاً، فوَضْعُ العرب أحسن حالاً وأهنأ بالاً، كيف لا، وقد خَرجت من بعض الأماكن عيون الماء، وجرت الأنهار، وسالت مياه الأودية، فاستقرَّ بها الناس وتحضَّروا، وقامت دول وممالك وحضارات مثل سَبأ وحِمْيَر ومَعِين، ومازالت آثارها ظاهرةً للعيان إلى اليوم! (٣)

ذَكر ابن خلدون أنّ العصبيّة والنَّسب عند العرب هي سبب دفاعهم عن أنفسهم وأنّهم بعصبيّتهم تلك يكونون أمام أعدائهم أقوى شوكةً وأمنع جانبًا. وإنّما تأتي العصبيّة من الالتحام بالنّسب، وتدفع أفراد القبيلة أنْ يراعوا صلة الرَّحم بينهم وبين ذوي القُربى وأهل الأرحام، ويكون بها – أعني العصبيّة – التّعاضد والتّناصُر، ويدفع ذلك عنهم ما قد يصيبهم من ظُلْم أو هلاك(٤).

ويشير ابن خلدون أيضًا إلى الأنساب الصَّريحة الخالصة والأنساب المُتداخِلة المُختلِطة، مُمَثّلًا على الأولى منهما بقبيلة مُضَر الكبرى التي تَفرَّعَتْ منها قبائل قُريش وكِنانة وثَقيف وبني أسد وهُذَيل ومَنْ جاورهم مِن خُزاعة، وعدّ أنّسابهم صريحةً محفوظةً كونها لم يدخلها اختلاط؛ وذلك لأنّهم كانوا أهل شَظَفٍ في العيش ومواطن غير ذات زَرْع ولا ضَرْع، وبعدوا من أهل الشّام والعراق. وضربَ مثلًا على الثانية بقبائل حِمْيَر وكَهْلان مثل: لَخْم وجُذام وغَسَّان وطَيّئ وقُضاعة وإياد، إذْ كانوا بالتُّلول ومواضع الخَصْب للمراعي والعيش، وجاوروا العَجَم فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم(٥).

---

(١) انظر: تاريخ النقائض في الشعر العربيّ، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م، ص: ٥٤، ٢٦٨.

(٢) انظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة، ١٩٧٥م، ص: ٤٦.

(٣) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ١٣٧/١، ٢٧٦/٤، ١٧٨/٧، ٤٠/٨.

(٤) انظر: مقدّمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، (–١٩٨م)، ٤٨٣/٢ ، ٤٨٤.

(٥) انظر: مقدّمة ابن خلدون، ٤٨٥/٢ ، ٤٨٦.

وقد حثَّ النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم على تعلُّم الأَنساب، وجعل ذلك سبيلاً إلى صلة الأرحام، فقال في الحديث الصحيح: **"تعلَّمُوا أَنسابكم تصلوا أَرحامكم"**(١). *وللحديث رواية أخرى لا ترقى إلى درجة الصحيح، وهي قوله:* **"تعلّموا مِنْ أنسابكم ما تصلون به أَرحامكم، فإنّ صلة الرحم محبّة في الأهل، مَثْراة في المال، مَنْسَأَة في الأثر"**(٢).

وأكّد عمر بن الخطّاب رَضِي الله عنه أهميّة تعلّم الأنساب بقوله: **"تَعلَّموا أنسابكم تصلوا أرحامكم، ولا تكونوا كَنَبط السَّواد إذا سُئِلَ أَحدهم: مِمّن أنت؟ قال: مِن قرية كذا، فوالله إنّه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء لو يعلم الذي بينه وبينه مِن دِخلة الرَّحِم لردَعَه ذلك عن انتهاكه"**(٣)، *وهذا يدلّ على أنّ تعلّم الأنساب من الضرورات الدينيّة والضوابط الاجتماعيّة التي تعين أفراد المجتمع الإسلامي على تنظيم علاقاتهم، وتضع حدوداً توجّههم من خلالها إلى ألاّ يتعدّوا ويظلم بعضهم بعضاً.*

وكان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه عالماً *من علماء الأنساب والأخبار، بل كان أعلم قريش بأنساب العرب، ويأتي بعده درجة في هذا العلم أبو الجهم بن حذيفة العدويّ، وجُبَير بن مطعم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مناف. وكان عمر وعثمان وعليّ، رضي الله عنهم، من العلماء بالأنساب، إلاّ أنّ أبا بكر وأبا الجهم وجبير بن مطعم قُدِّموا على غيرهم من الصحابة لشدّة رسوخهم في العلم بجميع أنساب العرب*(٤).

وكان منزل أبي بكر الصديق مَثابةً لقريش يقصدونه للعلم والطعام، فلَمّا أَسلم أَسلَمَ معه كثير مِمّن كان يجالسه(٥). *ويكفي أن نذكر في هذا السِّياق طلب النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم مِنْ حسّان بن ثابت – وقد أراد أن يهجو قريشاً – أن يرجع إلى أبي بكر الصدّيق في ما يحتاج إليه من علم بأَنساب*

---

(١) المُسْتَدْرَك على الصحيحين، الحاكم النَّيسابوريّ، اعتنى به صالح اللّحام، الدار العثمانية للنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ١١٨/١.

(٢) الجامع الكبير، التِّرمذيّ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ٥٢١/٣. ومسند الإمام أحمد بن حنبل، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ٤٧٥/١٤. قال المحقّق: إسناده حسن. منسأة في الأثر: أي زيادة في العمر.

(٣) الأَنباه على قبائل الرُّواة، ابن عبد البَرّ القرطبيّ، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص: ١٢. النَّبَط: جيل ينزلون سواد العراق، وهم الأنباط، وقيل ينزلون بالبطائح بين العِراقين. وفي حديث عمر رضي الله عنه: تَمَعْدَدُوا ولا تَسْتَنْبِطوا أي تَشَبَّهوا بمعدّ، ولا تَشبّهوا بالنبط (الصحاح ولسان العرب: نَبَطَ). الدِّخلة والدُّخْلة: بِطانة الأمر (لسان العرب: دَخَلَ).

(٤) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٢م، مقدّمة المؤلّف، ص: ٥. وانظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، أبو زيد القرشيّ، حقّقه وعلّق وزاد في شرحه محمد علي الهاشميّ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقّحة، ١٩٨٦م، ص: ٢٦.

(٥) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٤٨م، ٧٦/٤.

قريش[١]، *وقال له:* "**اسْتَعِنْ بأَبي بكر، فإنّه علاّمة قريش بأنساب العرب**"[٢]. *فلمّا سَمِعَتْ قُرَيش هجاءه قالوا:* "**إنّ هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة**"[٣]. *بل زاد بعضهم، ولم يعلموا أنّ حسّاناً قال ذلك الشعر:* "**لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا!**"[٤]. وهذه شهادة كبيرة في علم أبي بكر بالنسب، وفضله في السَّبق على غيره في هذا العلم.

وذكر *الجاحظ أنّ* "**عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لمّا أُتِيَ بسيف النُّعمَان بن المنذر دعا جُبير بن مُطْعِم، فسَلَّحه إيّاه، ثم قال: يا جُبَير، مِمَّنْ كان النُّعمان؟ قال: مِنْ أَشلاء قَنَص بن مَعدّ**"[٥]. *وكان جُبير أخذ النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعن جُبير أخذ سعيد ابن المُسَيَّب*[٦]. وهذا يعني أنّ أبا بكر الصدّيق كان رأس مدرسة في النّسب قبل الإسلام، واستمرّت بعد الإسلام، ورأينا أثره في الصحابة الذين أخذوا عنه هذا العلم الجليل، ثمّ نقلوه إلى مَنْ يليهم من الصحابة والتابعين.

وأمّا عمر بن الخطّاب ففضله في الأنساب لا يُنكر، وكان عالماً بالأنساب كما مرَّ بنا، وقد أخذ علمه عن أبيه الخَطّاب بن نُفَيْل، وكان يقول: "**سَمِعْتُ ذلك من الخطّاب، ولم أَسمع ذلك من الخطّاب**"[٧]. *ومع حثّه على تعلّم الأنساب إلا أنّه كان يَنهى عن ذلك خوفاً مِن أن يُتّخذ وسيلة للطَّعْن في أنساب الناس، فكان عقيل بن أبي طالب أكثر النسّابين ذكراً لمثالب الناس وتعداد مساوئهم*[٨].

وتظهر جهود عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، في خدمة علم الأنساب من خلال تأسيسه ديوان العَطاء أو الجُنْد الذي أنشأه ورتّبه على القبائل، وراعى في تسلسل القبائل التي سجلّها القرابة من النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم. ويعدّ هذا الديوان سِجلاً وافياً للنسب حُفِظَتْ فيه أنساب العرب، واتُّخِذَ في ما بعد أساساً اتَّبَعَتْه كتب النَّسَب الّتي أُلِّفَتْ في منتصف القرن الثاني الهجريّ، ويكون الديوان بذلك أوّل تدوين شامل لأنساب العرب[٩].

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، المقدّمة، ص: ٥ .

(٢) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشيّ، ص: ٢٦ .

(٣) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٠٨/٤. والفائق في غريب الحديث، الزمخشريّ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٤٥٢/٢.

(٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٠٨/٤.

(٥) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٣/١. الشِّلْو: بقيّة الشيء، ويُجمع على أشلاء. أراد أنّه من بقايا أولاده، وكأنّه من الشِّلو القطعة من اللحم لأنّها بقيّة منه، وبنو فلان أشَلاء في بني فلان أي بقايا فيهم (لسان العرب: شَلَا).

(٦) المصدر نفسه ، ٣٠٤/١.

(٧) انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشريّ، ٢٦٢/٢.

(٨) انظر: البيان والتبيين، ٣٢٤/٢. وانظر: نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُمْيان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، تحقيق أحمد زكي بك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص: ٢٠٠.

(٩) انظر: " بُحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم ضياء العمريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥م، ص:١٦٧. والعطاء في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، إعداد هاني حسين أحمد سعد، إشراف عبد العزيز الدوريّ، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٨٥م، ص: ٨٨. المنزلة: أي المكانة والمرتبة.

وذكر ابن سعد أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أمر بكتابة الناس وترتيبهم على منازلهم بعد أن استشار المسلمين في تدوين الديوان، وأنّه ***"دَعا عقيل بن أبي طالب ومَخرَمة بن نَوفل وجبير بن مُطعِم، وكانوا من نُسّاب قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا، فبدَؤوا ببني هاشم، ثُمَّ أَتبعوهم أبا بكر وقومه ثُمَّ عمر وقومه على الخلافة، فلَمّا نظر إليه عمر قال: وَدِدْتُ واللهِ أنّه هكذا، ولكنْ ابدؤوا بقرابة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – الأَقربَ فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله"***[١]*، واعتمد عمر بن الخطّاب في ترتيبه الناس ووَضعِهِمْ حسب منازلهم على أصل النَّسب الذي تفرّعت عنه العرب إلى عدنان وقحطان، وقَدَّم عدنان لأنّ النُبوَّة فيهم، واختار من عدنان مُضر وقدّمهم على ربيعة، لأنَّ النبوّة فيهم، وقدّم قريشاً على غيرها من قبائل مضر، لأنّ النُّبوّة فيهم، وقدّم بني هاشم على غيرهم؛ لأنّ أجداد النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم فيهم، فتكون بهذا عشيرة بني هاشم محور الترتيب، ثم تَابَع مَنْ يليهم في النّسب حتى استوفى عدنان جميعها*[٢]*. وقيل إنّ هذا التسجيل كان سنة خمس عشرة للهجرة، أو سنة عشرين في رواية أخرى*[٣]*.

لاحظنا في ما سبق أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قد أرسى قواعد لعلم الأنساب، وخطا بذلك خطوات مهمّة مهّدت لِمَنْ جاء بعده من العلماء الذين صنّفوا في الأنساب. وراعى في تسجيله للقبائل وترتيبه لها درجة القرابة من النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، ولم يختصّ قبيلته أو عشيرته بشيء إلاّ وفق الترتيب الذي أقرّه لجميع الناس حسب منازلهم.

وعدّ ابن حزم الأندلسيّ علم النّسب علماً جليلاً نافعاً يحصل به التعارف بين الناس[٤]*، وعدّه ابن عبد البرّ علماً* **"لا يَليقُ جهله بذوي الهِمم والآداب، لما فيه من صلة الأرحام، والوقوف على ما نَدَب إليه النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – بقوله: تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، .. وهو علم العرب الّذي كانوا به يتفاضلون وإليه ينتسبون"**[٥].

---

(١) كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزُّهري، تحقيق علي محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٢٧٥/٣. وفتوح البلدان، البلاذُريّ، مراجعة وتعليق رضوان محمّد رضوان، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٧٨م، ص: ٤٣٦.

(٢) انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسيّ البغداديّ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثريّ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٠/٣، ١٩١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرّسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ٦١٣/٣، ١١٢/٤. والكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ٤٦٥/٢.

(٤) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، مقدّمة المؤلِّف، ص:٢.

(٥) الأنباه على قبائل الرُّواة، ابن عبد البرّ، ص: ١١-١٣.

وعَدَّ ابن حزم الأندلسيّ علم النسّب فَرْضاً دينيّاً يحتاج إليه المرء في أمور حياته، وعلماً جليلاً رفيعاً، لا يُنكِر فضله إلا جاهل أو مُكابِر[١]، وتعدّ معرفة علم الأنساب مِن الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة التي ينبني عليها كثير من الأحكام الشرعيّة، وأهمها: معرفة المرء بنسب النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، وأنّه محمّد بن عبد الله القُرَشِيّ الهاشميّ، وينبغي لصحّة إيمانه معرفة ذلك[٢]، ومعرفة أسماء أمّهات المؤمنين، وأنّه يحرم نِكاحُهنَّ على جميع المسلمين، وغير ذلك ممّا يتّصل ببيت النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم[٣].

ومنها أيضاً معرفة أنّ الإمامة والخلافة لا تكون إلاّ في أولاد فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة، ولو جُهِلَ هذا الأمر لادّعى الخلافة مَنْ لا تَحلّ له من غير قريش، وهذا غير جائز أصلاً[٤]، وقد صحّ عن رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – حديث "الأئمَّة من قريش"، وكان هذا الحديث هو الحجّة التي احتجّ بها أبو بكر الصديق على الأنصار لمّا اجتمعوا يوم وفاة الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – في سقيفة بني ساعدة، وعندما ألقى عليهم حديث رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – رجعوا إليه وبايعوه[٥]. ومع ذلك لا يجوز لنا أن نأخذ بهذا الحديث على إطلاقه، مِن غير أَن نعرف ضوابطه، وهذا نصّه: **"عن أنس بن مالك قال: جاء رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – ونحن في بيتٍ، فكلّ إنسان منّا تأخَّرَ عن مجلسه ليجلس إليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فقام على الباب، فقال: الأئمَّة من قريش، ولهم حقّ، ولي حقّ ما فعلوا ثلاثاً: إن حَكَمُوا عَدَلُوا، وإنْ عاهَدُوا وَفَوْا، وإنْ استُرْحِمُوا رَحِمُوا، فمَنْ لم يفعل ذلك منهم فعليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجْمَعِين"**[٦]؛ فوجوب طاعتهم على أساس النسب مرهون بالحكم بالعدل والوفاء بالعهد، والرحمة.

ومن الأمور التي تلزم أن يتعلّم المرء النسب من أجلها، ما يتّصل بأحكام الشريعة الإسلاميّة، ما يحلّ وما يحرم، وأن يعرف جميع ما يتّصل بالأرحام مِمّا يُلْزِم عليه حَقّاً وواجباً يتّصل بالميراث أو النفقة أو الصّدقة، وغير ذلك ممّا يكفل التّراحُم بين أَفراد المجتمع الإسلاميّ[٧].

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، المقدّمة، ص:٢. ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، تحقيق إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩١م، ص:٦ .

(٢) انظر: المصدرين والصفحتين ذواتيهما.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، ص: ٣.

(٤) انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٧. وجمهرة ابن حزم، ص: ٢.

(٥) انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٧.

(٦) المعجم الكبير، الطبرانيّ، حقّقه وخرّج أحاديثه حمدي السَّلَفي، الدار العربيّة للطباعة والنشر، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ٢٥٢/١.

(٧) انظر: جمهرة ابن حزم، ص: ٢. وانظر: مجلّة العرب أسّسها حمد الجاسر، العددان ٥، ٦، المجلد ٤٠، كانون الثاني– شباط / يناير – فبراير، سنة ٢٠٠٥م، دار اليَمامة للبحث والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، النسّابون وأثرهم في تدوين التاريخ العربيّ الإسلامي، جاسم الجبوريّ، ص: ٣٧٠ .

ولولا معرفة المرء بالنسب لَجُهِلَ ما يحلّ له من النساء وما يحرم، ومثل ما يحرم من النسب ما يحرم من الرّضاع، وقد صَحّ عن رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – أنّه عُرِضَ عليه الزواج من ابنة حمزة رضي الله عنه، فرفض ذلك لأنّ حمزة رضي الله عنه أخوه من الرضاعة(١).

ومن هنا نرى أن الإسلام أعطى للأنساب قيمة جديدة لم تكن موجودة في الجاهليّة؛ فالميراث يثبت بثبوت النسب، وهو فرع عنه؛ لأنّ الأصل، وهو النسب، إذا سقط سقط الفرع عنه وهو الميراث، فجعل الإسلام الولد للفراش تَوَقّياً من الوقوع في الشُّبهات بإثبات النسب للعقود الصحيحة والأفرشة الثابتة، بينما كان العرب في الجاهلية يُلحقون النسّب بالزّنا(٢).

وينبغي مراعاة النسب فيمن تُطلب للزواج، وهو أنّ المرأة تُنكح لحسبها وهو شرف آبائها(٣)، ويؤخذ أيضاً بالنسب في مكافأة الرجل للمرأة في النّكاح، فعند الشافعيّ رضي الله عنه "**أنّ الهاشميّة والمُطّلبيّة لا يكافئها غيرها من قريش، ولا يكافئ القرشيّة غيرها من العرب ممّن ليس قرشيّاً**"(٤).

ويعتمد أيضاً رواة الحديث على الأنساب اعتماداً كبيراً، فقد بدأ اهتمام أهل الحديث بالأنساب منذ القرن الأول الهجريّ، وقلما نجد مُحدّثاً كبيراً إلاّ كان لديه إلمام بالنسب(٥). ومن أهل الحديث الذين كان لهم عناية بالأنساب سَعيد بن المسيّب أحد كبار التابعين، إلاّ أنّه كان يتحرّج أحياناً من تعليم النسب لطالبيه؛ فقد "**حدّث الأصمعيّ عن يحيى بن طلحة، قال: جئت سعيد بن المسيّب، فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عليّ، فقلت: علِّمْني النَّسَب، فقال: أَنت رجل تريد أَن تُسَابَّ الناس، ثُمَّ قال لي: مَن أَنت؟ فقلت: أنا يحيى بن طلحة، فضَمّني إليه وقال: ائتِ محمّداً ابني، فإنّ عنده ما عندي، إنّما هي شعوب وقبائل وبطون وعمائر وأفخاذ وفصائل**"(٦). *ومنهم أيضا ابنه محمّد بن سعيد(٧)، وتلميذه محمّد بن شهاب الزُّهري الذي كتب نسب قومه، وفي ذلك يقول ابن عبد البَرّ:* "**لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلاّ كتاب**

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ١٧٣/٩.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم المسمّى إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم، القاضي عِياض، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٦٤٨/٤، وانظر: ٦٥١/٤، ٦٥٢: الحاشية.

(٣) انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٨.

(٤) انظر: المصدر نفسه ، ص: ٧.

(٥) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم ضياء العمريّ، ص: ١٦٩.

(٦) الأنباه على قبائل الرُّواة، ابن عبد البرّ، ص: ١٤. والبيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٤/١.

(٧) ومحمّد هذا هو الذي نَفَى نَسَب آل عَنكثة المخزوميّين، وجعل أباهم مولىً لهُبَيرة بن أبي وهب، فشكوه إلى والي المدينة فأقام الحدَّ بالجلد، وكان ينشد:

ويربوع بن عَنْكثَةَ ابن أرضٍ وأَعتَقَهُ هُبيَرةُ بعد حينِ (انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣١٨/١، ٣١٩)

ابن أرض: أي غريب (انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ٨١/١).

فيه نسَب قومه، يعني قُرَيشاً"[١]، *ولكنّ أغلب الظنّ أن يكون كتابه هذا قد ضاع في ما ضاع من الكتب، أو أنّه لم يتمّ تأليفه*[٢]، فلم يصل إلينا.

ومن الواضح إذاً أنّ بعض علماء النسب، خاصّة مَنْ سَلَك منهم مَسلك أهل الحديث في الدقّة والإسناد، كانوا يشعرون بشيء من الحرَج في نقل هذا العلم لكلّ مَنْ يطلبه، إلاّ إذا اطمأنّوا إلى صدقه وغايته، ولعلّ هذا الحرَج قد جاءهم من اقتناعهم بأهميّته في رفع مكانة بعض الناس، والحطّ من شأن بعضهم، وحتّى لا يُتّخذ وسيلة لِسَبّ الناس وتتبّع مثالبهم.

استقطب علم الأنساب اهتمام المحدّثين، وذلك لأهميّته في التعريف برواة الحديث، ولذا استمرّ اهتمام المحدّثين بالأنساب خلال القرن الثاني الهجريّ، وتجمّعت بذلك مادّة جمّة في النسب عندما ظهرت المصنّفات في رجال الحديث، ووُجّه النّقد لكتب الرجال التي لم تُسْهِبْ في ذكر أنساب الرجال وأخبارهم وأحوالهم مِمّا يُعرِّف بهم[٣]، *ومن الكتب التي وُجّه النقد إلى أصحابها كتابا أبي عبد الله بن مَنْدَه وأبي نُعَيْم الأَصبهانِيَّيْن في معرفة الصّحابة. في حين أَثنى ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) على ابن عبد البَر القرطبيّ (ت ٤٦٣ هـ) وكتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، إذْ استوفَى فيه ذكر أنساب الرجال الذين ترجم لهم، ومناقبهم وكل ما يُعرِّف بهم، فيقول: هو فلان ابن أخي فلان وابن عمّ فلان، وصاحب الحادثة الفلانيّة*[٤].

وتظهر أهميّة الأنساب في اعتماد كثيرٍ من كتب علم الرجال عليها، إذْ اتَّبعت كتب علم الرجال في تنظيم مادّتها على النسب، ومَهَّد لذلك ديوان الجند الذي أنشأه عمر بن الخطاب الذي سَبَق الحديث عنه[٥]، *ولا يفوتنا أن نذكر أنّ علم الحديث يقوم على الإسناد، ولابدّ للإسناد أن يَتّكئ على الأنساب في معرفة هويّة الرجال، ولذلك ترتبط دراسة علم الرجال بأنسابهم ارتباطاً وثيقاً*[٦]. *ويعني التنظيم على النسب أن يعمد المصنّف إلى جمع الرّواة الذين هم من قبيلة واحدة أو عشيرة واحدة في موضع واحد فنراه – مثلاً – يقدّم لهم بقوله: ومِنْ قريش فُلان وفُلان ثمّ من بني هاشم فلان وفلان .. ويذكرهم، ثم ينتهج طريقة معينة في ذكر القبائل والعشائر بأن يبدأ بمُضَر ثم قحطان، ولا يقدّم قحطان على مُضَر، وكذلك يبدأ بقريش من مُضَر، ثم يأتي ببقيّة قبائل مُضَر. ويقوم هذا التقديم على أَساس القرابة من النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم، وكان أوّل من اعتمد هذا التسلسل عند سرد الأنساب عمر بن*

---

(١) الأَنباه على قبائل الرّواة، ابن عبد البرّ، ص: ١٣ .

(٢) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمري، ص: ١٦٩.

(٣) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمري، ص: ١٦٩، ١٧٠.

(٤) انظر: أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩م، المقدمة، ١١/١. و" بحوث في تاريخ السنّة"، أكرم العمري، ص: ١٧٠.

(٥) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمريّ، ص: ١٦٥، ١٦٧. اتَّبعت كتب علم الرجال في تنظيم مادّتها الأسس الأربعة التالية: النَّسَب، الطّبقات، المُدُن، حروف المعجم (ص: ١٦٤، ١٦٥).

(٦) انظر: كتاب الأنساب، السّمعانيّ، مقدّمة الناشر، ١٠/١، ١١.

الخطاب عندما دوّن الدواوين، ولَمَّا ظهرت كتب الأنساب التزمَتْ هذا التسلسل، ثم امتدَّ هذا التنظيم إلى كتب الرجال التي نَظّمت مادّتها على النسب، بل امتدَّ أيضاً إلى بعض المسانيد الحديثيّة التي رَتَّبتْ الشيوخ على القبائل(١).

ويُعَدّ خليفة بن خَيّاط ومحمّد بن سعد – في كتابيهما: الطبقات، والطبقات الكبرى – أقدم مَنْ اعتمد الترتيب وفق النسب، إلاّ أنّ خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠هـ) كان أكثر التزاماً بالترتيب على النسب، حيث جعل النّسب الأساس الوحيد في ترتيب صحابة المدينة، ولم يعتمد على السَّبْق في الإسلام ولا تقدّم سنة الوفاة، ولا الفضل في صحبة النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، ولكنّنا نجده لا يحافظ على الترتيب حَسْب النسب بعد التابعين. أمّا محمّد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) فقد جمع بين الترتيب حَسْب السَّبْق في الإسلام وحَسْب النَّسَب في القسم الذي خَصَّصه للصَّحابة في المدينة(٢)، حيث عدّ السَّبْق في الإسلام الأساس الأوّل، فجعل أهل البدر في الطبقة الأولى، وجعل مَنْ له إسلام قديم وهاجر إلى الحبشة، أو شهد أُحُداً، ثم مَنْ أسلم قبل فتح مكّة في الطبقة الثانية من الصَّحابة، ولم يسمِّ الطبقة الثالثة من الصحابة وهم مسلمة الفتح(٣)، وبذلك يكون خليفة بن خيّاط أكثر العلماء استخداماً للنسب في تصنيف الرجال.

وترجم ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ) في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة" للصحابة رضوان الله عليهم، معتمداً على أنسابهم، فَممَّنْ ترجمَ لهم: "معاذ بن جبل"، فنجده يورد نسبه قائلاً: **"مُعاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوْس بن عائذ بن عَديّ بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن عليّ ابن أسَد ابن سارِدة بن يزيد بن جُشم بن عديّ بن نابي بن تميم بن كعب بن سَلَمة، أبو عبد الرحمن الأَنصاريّ الخارجيّ"**(٤)*، ثم يسوق بعد ذلك صفاته، ويتابع الحديث عنه. ولكنَّ ابن حَجَر لا يجد أحياناً نَسَبا لكثير مِمّن يترجم لهم، فنجده يترجم لصحابيّ اسمه "نافع"، وقد روى حديثاً عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فاكتفى ابن حجر بذكر اسمه فقط، وقال فيه "غير منسوب"، ثم ذكر الحديث الذي رواه عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم(٥).*

---

(١) انظر: تدريب الرّاوي في شرح تقريب النَّواويّ، جلال الدين السّيوطيّ، حقّقه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابيّ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة السابعة، ١٤٢٥هـ، ٢/٥٨٩-٦٠١. و"بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمريّ، ص: ١٧٠.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، المجلّدين الثالث والرابع.

(٣) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمريّ، ص: ١٧١.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ٦/١٠٧.

(٥) المصدر نفسه ، ٦/٣٢٧.

وعَقَد ابن حجر أَيضاً فَصْلاً في مقدّمة كتابه "فتح الباري في شرح صحيح البخاري" سّمّاه "بيان المُؤتلِف والمُختلِف مِن الأَسماء والكُنى والألقاب والأَنساب مِمَّا وَقَع في صحيح البخاريّ على ترتيب الحروف مِمَّن له ذكر فيه أو رواية وضبط الأسماء الواردة فيه"، ومِنْ ذلك قوله: "**العَبْسيّ: بالمُوَحَّدة من بني عبس بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان، مِنْهم حُذَيفَة بن اليَمان صحابيّ مشهور**"(١). *ونجد ابن حجر قد تحرّى الدّقة في ضبط الأسماء المنسوبة حتى لا يلتبس على القارئ أسماء الرجال، وينصرف ذهنه إلى شخص آخر غير مقصود من المصنّف، يقول:* "**(العَنَزِيّ): بفتح النون كثير، وبسكونها: عامر بن ربيعة العَنْزِيّ حليف بني عديّ، صحابي، وابنه عبد الله بن عامر من بني عَنْز بن وائل أخي بكر بن وائل. قال أَبو عُبَيدة مَعمَر بن المُثنَّى: وعدد بني عَنْز بن وائل قليل في الأرض**"(٢).

وخلاصة القول في صلة علم الحديث والرجال بعلم الأنساب أنَّها صلة وثيقة، ظهرت من خلال اعتماد المحدّثين القدامى والمتأخرين والمصنّفِين لكتب الرجال على علم الأنساب في التعريف بالرّواة والرجال من الصحابة والتابعين، وكان سبيل ذلك تحرّي الدِّقة والضبط من أجل دَفْع اللبّس والشبهات في ما يمكن أن يقع من تشابه الأسماء والألقاب والأنساب.

وأمّا صلة النَّسب برواية الشعر الجاهليّ – وهذا مجال بحثي – فهي صلة وثيقة مُحْكَمَة، إذ كان علماء الأنساب يعتمدون على الشعر الجاهليّ في ما كانوا يوردونه من أنساب وأخبار للاستشهاد على صّحتها. "**وقد كانت معرفتهم بالأنساب تقتضيهم معرفة واسعة بأخبار قبائل العرب وأشعارها، ونستطيع أن نتلَّمس ذلك تَلَمُّساً واضحاً في كتب الأنساب التي كَتَبها النَّسَّابون في العصور الإسلاميّة**"(٣)، ولعلّ مِنْ أقدمها كتاب حَذْف مِن نَسَب قريش لمؤرِّج السّدوسيّ المُتَوفَّى سنة (١٩٥هـ) مئة وخمسٍ وتسعين للهجرة، ومنها أيضاً كتابا نسب مَعَدّ واليمن الكبير وجمهرة النَّسب لهشام ابن الكلبيّ المُتَوفَّى سنة (٢٠٤هـ) مئتين وأربعٍ للهجرة.

وقد "**ضَمَّتْ هذه الكتب – مع سلاسل النّسب – أَخباراً تاريخيّة وأدبيّة، وشعراً يُساق مع هذه الأخبار، ومِمّا يدعم ذلك أنَّنا نجد دائماً ذِكْر علماء النَّسَب مقروناً بذكر علمهم بالشعر وروايته، وبأيّام العرب وأخبارهم**"(٤).

---

(١) هدي الساري، مقدّمة فتح الباري في شرح صحيح البخاريّ، ابن حجر العسقلانيّ، حقّق عدّة أجزاء منها الشيخ عبد العزيز بن باز، ورقّم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، دار السّلام – الرياض، دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص: ٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

(٣) مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة، ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٨٨م، ص: ٢١٥.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٢١٥، ٢١٦.

ويمكن القول إنّ ما خَلَّفه لنا علماء الأنساب مِن شِعرٍ مَرويّ من طريقهم يُعَدُّ مصدراً من مصادر الشعر الجاهليّ، *ويُضاف إلى ما ورد من شِعرٍ جاهليّ لدى أهل الحديث والتفسير والمغازي والسِّيَر وغيرها من العلوم*(١).

وقد قال الجاحظ مستدلّاً على اقتران رواية النسب برواية الشعر الجاهليّ: "**وأَربعةٌ مِن قريش كانوا رواة النّاس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمة بن نوفل بن وُهَيب بن عبد مَناف بن زُهْرَة، وأبو الجَهْم بن حُذَيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عَوْف، وحُوَيْطِب بن عبد العُزّى، وعَقيل بن أبي طالب**"(٢).

ولم أجد لهؤلاء النسَّابين ولغيرهم – في ما بَحَثْتُ – مادَّةً في الأنساب والأخبار والأشعار، إذ اكتفى الجاحظ وغيره من العلماء بذِكْرِهِمْ مِن غير أن يورد لهم شيئاً مِن علمهم بالنَّسب والشعر، ولذلك فقد ضمَّ هذا البحث ما عَثَرْتُ عليه من شعر جاهليّ لمشاهير علماء الأنساب مِمَّنْ وَجَدْتُ له منهم مُصنَّفاتٍ ومَنْ لم أَجد.

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة، ناصر الدين الأسد، ص: ١٥٠–١٥٢.
(٢) البيان والتَّبيين، ٣٢٣/٢.

الفصل الأول
علم الأَنساب، النَّشأة والتَّطوُّر

أولاً: نشأة علم الأَنساب في العصر الجاهليّ:

مَرَّ بنا أنّ النّسب من أهم المعارف عند العرب قبل الإسلام لاتّصاله الوثيق بحياتهم الاجتماعية وبأنظمتهم السياسيّة، ولذلك، كان النسب للعرب شبيهاً بجنسيّتهم التي تعني لهم وجودهم، وليس نسب الأعرابيّ غير هذه الجنسيّة يَلتجئ إليه لأنّه يصونه ويحفظ حقوقه ويدافع عنه. وهو مضطر إلى حفظ نسبه، وذكر آبائه وأجداده وعشيرته وقبيلته، لأنّه بذلك يأمن على نفسه، ويحافظ على حياته، فإنْ هَمَّ فردٌ أو جماعة أن يعتدوا عليه، عرفوا أنّ وراءه قوماً يدافعون عنه ويأخذون بحقّه، ونجده لذلك مضطراً إلى حفظ نسبه والمحافظة عليه(١).

وإذا كان الأعراب أشدّ عناية بأنسابهم من الحضر، إذ النسب لديهم هو الذي يقيم توازنهم ويحفظ حقوقهم، ويردع المعتدين عليهم، ويأخذ بحقّ المظلوم منهم، فإنّ الحضر أيضاً تعلّقوا بأنسابهم وحفظوها، لأنّ حياتهم الاجتماعية وإنْ كانت في مدينة أو قرية، إلاّ أنّ غريزة المحافظة على النفس وصون الحقوق دَفَعتْهم إلى التَمسك بالعصبيّة، عصبيّة النسب، ليتمكّنوا من المحافظة على الأمن والسلامة والمال(٢).

عاش العرب قبل الإسلام أنماطاً مختلفة من الحياة الاجتماعيّة، ولم يكونوا مجتمعاً واحداً، بل كانوا متفاوتين في حياتهم الاجتماعيّة، وكانوا يمثّلون بذلك أشكالاً متباينة من المجتمعات الإنسانية التي مرّت بها البشريّة في تاريخها الطويل. وإذا كان قد شاع أن القبيلة في الجاهليّة هي جماعات من الأعراب الذين يلتحفون السماء ويسكنون الخيام ويقطنون الصحراء، ولا هَمَّ لهم إلاَّ الغَزو والسَّبْي والبحث عن الكلأ، فإنّ هذا القول يصدق على بعض تلك القبائل، إلا أنَّ هناك قبائل كثيرة استقرّت في الحواضر والقرى استقراراً ثابتاً، ومن الأمثلة على القبائل العربيّة المستقرّة قبيلتا الأوس والخزرج اللّتان كانتا تسكنان يثرب – المدينة المنوّرة بعد الإسلام – ومنها أيضاً قبيلة ثقيف التي كانت تنزل الطائف، وغيرها.

ونجد أيضاً القبيلة الواحدة تحيا حياتين مختلفتين؛ قسم منها يَتحضَّر ويستقرّ ويسكن المَدَر، على حين نجد القسم الآخر بادياً في أطراف المدن والقرى، ومن الأمثلة على ذلك قبيلة قريش، وهي قسمان: قريش البِطاح التي كانت تنزل بطحاء مكّة، والتي منها النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، وقريش الظواهر التي كانت تسكن في ظاهر مكّة أي في أطرافها ونواحيها(٣). ونجد هذا التقسيم في لسان العرب: "**قريش الأَباطح أشرف وأكرم من قريش الظّواهر، لأنّ البَطحاويّين مِن قريش حاضرة، وهم**

---

(١) انظر: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد عليّ، ٤٦٦/١.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٤٦٦/١، ٤٦٧، ٤٧١.

(٣) انظر: كتاب المُحَبَّر، ابن حبيب، اعتنت بتصحيح هذا الكتاب إيلزه ليحتن شتيتر، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٤٢م، ص: ١٦٨. وأنساب الأشراف، البلاذُريّ، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ٤٠/١. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٢٦/٤-٢٨. ومصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة، ناصر الدين الأسد، ص: ٥، ٦، ٨، ٩. المَدَر: قِطَع الطّين اليابس. وبنو مَدْرَاء هم أهل الحضر (لسان العرب، ابن منظور: مَدَرَ).

قُطّان الحرم، والظَّواهر أَعراب بادية. وضاحية كلّ بلد ناحيتها البارزة"(١). *ولعلّ الحديث الذي روَتْهُ عائشة رضي الله عنها، يكشف ذلك الاختلاف في حياة قبائل العرب في الجاهليّة والإسلام، وكان النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، قد نَهى أهل بيته عن قَبول هدايا من الأعراب، وجاءت أم سُنبلة الأَسلميّة بلبن، فلم تقبل عائشة رضي الله عنها هدّيتها، وقَصَّتْ ذلك على النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم*(٢)، *فقال لها الرسول الكريم:* "**خذوها، فإنّ "أَسْلَمَ" ليسوا بأَعراب، هم أهل باديتنا، ونحن أهل قارِيَتِهم، إذا دَعَوْناهم أجابوا، وإن استَنْصَرْناهم نَصَرونا**"(٣).

ونخلص مما قدّمنا إلى أنّ العرب في الجاهليّة ينقسمون ثلاثة أقسام: سكّان الحواضر والقرى، وأهل البادية وهم الذين أَحاطوا بالحواضر والقرى واتّصلوا بسكّانها، والأعراب هم الذين سكنوا الصحراء وظلّوا في حِلّ وترحال، ولم يستقرّوا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿ **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...**﴾(٤) ولذلك يمكن القول إنّ قبائل العرب ثلاثة أقسام: القبائل الحَضَريّة، والقبائل البدويّة، والقبائل الأعرابيّة، ولا يقتصر لفظ القبيلة على جماعات الأعراب في الصحراء.

ويمثّل النسب عند العرب روح القبيلة وركنها الأساسيّ والدِّعامة القويّة التي يَنْهضُ بها النظام القبليّ وتقوى بها النزاعات العصبيّة، ولا سِيَّما أنّ العرب عاشوا في الجاهلية على شكل قبائل متنافرة، ولم يعرفوا فكرة الأمّة، وليس بين أبنائهم رباط إلاّ رباط النسب، ولم يكن يؤلّف بين قلوبهم إلاّ الروح القبليّة والنزاعات العصبيّة، فتَعَصَّبَتْ كلّ قبيلة لأبنائها تعصُّباً شديداً، وإن كانوا ظالمين(٥)، *ولذلك عندما جاء الإسلام ذَكَّرهم ربّ العزّة بما كانوا عليه من ضَعْفٍ وتَشَرْذُم بقوله تعالى:* ﴿ ***إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا***﴾(٦).

وتستمدّ العصبيّة وجودها من أمرين هما: وَحدة الدّم والمنفعة المشتركة المبنيّة على لُحمة النّسب(٧)، *والعصبيّة كما يراها إحسان النصّ* " **أن يدعوَ الرّجل إلى نُصرة عُصْبَته والتألُّب معهم على مَنْ يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، وهي مشتقّة من التّعصُّب أي التجمّع، ولَمّا كان أقارب الرجل يَعْصِبون به أي يُلازمونه ويُطيفون به سُمّوا عُصْبَة، وقيل للرّجل الذي يغضب لعُصبته ويُحامي عنهم ويُعينهم ولو على الظالم عَصَبيّ**"(٨). ولذلك ظلّت العصبيّة القبليّة الجاهليّة خَصْماً عنيداً لأفكار الإسلام الجديدة التي تدعو إلى نَبْذ العصبيّة والحميّة الجاهليّة.

---

(١) لسان العرب: ضَحَا.

(٢) انظر: كتاب الطبقات الكبير، ابن سَعد، ٢٧٨/١٠.

(٣) كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٧٨/١٠ (رقم الحديث ٥٠٧٧). القارِيَة: الحاضِرة الجامعة (لسان العرب: قَرَا).

(٤) سورة التوبة (الآية ٩٧).

(٥) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٣، ٦٨.

(٦) سورة آل عمران (الآية ١٠٣).

(٧) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٥.

(٨) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ، إحسان النُّص، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م، ص: ١٠٧، وانظر: لسان العرب: عَصَبَ.

ويؤكد ابن خلدون أنّ هذه العصبيّة القبليّة يحتمي بها أبناء القبيلة ويخشاهم بها أعداؤهم. ويقول عن أفراد القبيلة: **"لا يَصْدُق دفاعهم وذِيادهم إلاّ إذا كانوا عصبيّةً وأهل نسب واحد؛ لأنّهم بذلك تشتدّ شوكتهم ويُخشى جانبهم؛ إذْ نُعرة كلِّ أحدٍ على نَسَبه وعصبيّته أهمّ. وما جعل الله تعالى في قلوب عباده من الشفقة والنُّعَرَة على ذوي أرحامهم وقُرْبائِهِمْ موجودة في الطباع البشريّة، وبها يكون التعاضُد والتناصُر، وتعظم رهبة العدوّ لهم. واعْتُبِرَ ذلك في ما حكاه القرآن عن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيهم: (لئن أكله الذئب ونحن عصبةٌ إنّا إذاً لخاسرون)...."**[١]، فالعصبيّة القبليّة هي سبب قوّة أبناء القبيلة ومَعقد الرجاء والانتماء لها، والسِّياج الذي يحفظ لأبناء القبيلة الهيبة أمام أعدائهم.

ويتشكّل بناء القبيلة من ثلاث فئات: أبناء القبيلة الصُّرَحاء في نسبهم، والموالي، والعبيد، وكان لهذه الفئات الثلاث صلة كبيرة بإبراز أهميّة النسب ومكانته عند العرب في المجتمع القبليّ الذي عاشوا فيه؛ فالفئة الأولى والكبيرة التي تشكّل القبيلة هي أبناء القبيلة الصُّرَحاء في نسبهم، ويرتبط هؤلاء في ما بينهم بصلات القرابة والانتماء إلى الأب المشترك، وهم يشعرون بالتفوّق على غيرهم من أفراد القبيلة، إذْ لهم الصّدارة في القبيلة، ويمنحهم ذلك التفوّق النَّسبيّ دعامة راسخة في المجتمع القبليّ[٢].

ويأتي في الدرجة الثانية في المجتمع القبليّ الجاهليّ فئة الموالي. وللموالي عند العرب مدلولات مختلفة، ولهذا التعبير في الجاهلية مدلولات ثلاثة: أولها يعني القريب عامّة، وابن العمّ خاصّة وهو مولى النسب والولادة والقرابة. والمدلول الثاني ويعني الجار، وهو مولى الدار. والمدلول الثالث ويعني الحَليف، وهو مولى اليمين[٣]*. والمَوالي ليسوا متساوين في حقوقهم وواجباتهم ومنزلتهم، بل نجدهم متفاوتين، فابن العم أو القريب هو من أبناء القبيلة الصُّرَحَاء، وهو أعلى منزلةً من مَولى الدار ومَولى اليمين*[٤]*. ويمكن القول إنّ مَولى النّسب والقرابة يأتي في المقام الأول ضمن فئة المَوالي، وما دونه، ونعني بذلك مَولى الدّار ومَولى اليَمين، فليس لهما جميع الحقوق والواجبات، والدليل على ذلك أنّ دِيةَ الحليف نصف دية الصريح*[٥]*.*

---

(١) تاريخ ابن خلدون المسمّى كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ١/١٣٦، ١٣٧. وسورة يوسف، الآية ١٤. النُّعَرَة: العصبيّة لذوي الأرحام والحَدْب عليهم، والنُّعرَة في الأصل ذُباب أزرق يدخل في أنوف الحمير والخيول فيؤذيها، فتركب رأسها ولا يردّها شيء، ثمّ استعيرت للإنْسان بمعنى النخوة والأنَفَة والكِبْر (لسان العرب: نَعَرَ).

(٢) العصبيّة القبليّة، إحسان النّص، ص:٦٦.

(٣) انظر: العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، ٢/١٤٣. وتاج العروس، الزَّبيديّ: وَلِيَ. وقد ذكر واحداً وعشرين معنى للكلمة، ولم نثبت إلّا ما كان له صلة بالنسب.

(٤) انظر: العصبيّة القبليّة، إحسان النّص، ص: ٦٨.

(٥) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٣/١٧ .

وقد أشار الحُصَيْن بن الحُمام إلى مولى النّسب ومولى اليمين جامعاً بينهما في قوله(١):

مَـوالي مَوالينـا، الـولادة مِـنْهُمُ ومَـولى اليمـينِ حابِسـاً مُتَقَسَّـما

ونجد النابغة الجَعديّ يفضّل مَولى الحِلْف على مولى النّسب والقرابة، فيقول(٢):

مَـواليَ حِلـفٍ لا مَـوالي قَرابـةٍ ولكـنْ قَطينًـا يسـألون الأَتاوِيـا

أما الفئة الثالثة التي يتكوّن منها المجتمع القبلي فهي فئة العبيد، وهي أدنى فئات القبيلة، وكان العبيد أو الأرقّاء في الجاهلية خليطاً من العرب والأمم المجاورة لهم(٣)، وقد نشأ نظام الرقّ في الجاهلية من خلال الحروب والغزوات، وكان الرقيق يباعون في الأسواق المشهورة عند العرب مثل سوق عكاظ وسوق حُباشة(٤)، ويشكّلون بذلك ثروة للقبيلة في العدد والقُوّة، إذْ ينبغي عليهم أن يحاموا عن قبيلتهم التي تدافع عنهم عند الشدائد.

ومن الواجب أن تَنضوي القبيلة بمكوّناتها السابقة جميعها تحت إمْرة رجل واحد هو سيّد القبيلة؛ فهو الذي يضبط أمور القبيلة، ويُنَظّم العلاقات بين أفرادها، ويّتخِذ القرارات المصيريّة الحاسمة من أجلها، وهو الذي يقودها في السلم، فيعقد الصلح والمُحالَفات، ويقودها أيضاً في وقائعها وحروبها، ولذلك كان لابدَّ أن يَتوافر في سيّد القبيلة شرف النسب وكرم الأصل والشجاعة والحكمة وسداد الرأي ونجدة الضعيف(٥).

ولنا الآن أن نتساءل: هل كانت القبيلة في العصر الجاهليّ تستقلّ بذاتها عن غيرها من القبائل، أم أنّ ثمّة علاقات كانت تنظّم أمور القبيلة وشؤونها مع القبائل المجاورة؟

كانت القبيلة في العصر الجاهليّ كياناً سياسيّاً مستقلاً قائماً بذاته، وكانت أيضاً كياناً اجتماعيّاً تحكمه نظم وأعراف وتقاليد، إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ كلّ قبيلة كانت تعيش معزولة عن سائر القبائل من حولها، وإنّما كانت هناك علاقات سياسيّة واجتماعيّة تربط بينها، ويظهر ذلك في الأحلاف والمعاهدات وحسن الجوار والمُصاهَرات. وكانت هناك أيضاً علاقات تجاريّة تمثّلت في تبادل

---

(١) المُفَضَّليَّات، المُفَضّل الضّبيّ، ص: ٦٥. قَسم مواليه قسمين، موالي القرابة وهم بنو عمّه، وموالي اليمين وهم حلفاؤه. حابساً متقسّما: حالان من اليمين، لأنّهم يُقسَم لهم على النصرة، ويُحبس كلٌّ مِن الحليفَيْن به (ص: ٦٥: الحاشية).

(٢) ديوان النابغة الجعديّ، جمعه وحقّقه وشرحه واضح الصَّمَد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص: ١٩١. موالي حلف: أي حلفاء في الحروب لا أبناء عمومة فقط. القَطين: القوم الساكنون القاطنون في مكان واحد. الأتاوي: جمع إتاوة، وهي الخراج (ص: ١٩١: الحاشية ٤).

(٣) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٧.

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البَرّ القرطبيّ، تحقيق الشيخين علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ١١٥/٢، وانظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٧٩/٧.

(٥) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٧.

المنتجات بين القبائل في أسواق معروفة عند العرب مثل سوق عُكاظ الّتي كانت تُعَدُّ مركزاً تجاريّاً وثقافيّاً تُعرض فيه الآراء والأفكار، وتُلقى فيه الخطب وتُنشد فيه الأشعار(١).

وثمّة أمران آخران تنبغي الإشارة إليهما، وكان لهما صلة كبيرة بتشكّل القبائل عند العرب قبل الإسلام، وهما ظاهرتا الجماهير (جماهير القبائل)، والأحلاف. أمّا فكرة الجماهير، والّتي نعني بها الكُتل البشريّة الضخمة التي تشكّلت بفعل الهجرات القبليّة؛ إذ تتحدّث كتب الأخبار عن هجرة قبليّة كبيرة من اليمن حدثت قبل الإسلام بحوالي ثلاثة قرون، وقد رَافق تلك الهجرة صراعات تمخَّض عنها ظهور تكتّلات (جماهير) بشرية كبيرة، وقد وَلَدتْ وحدات أصغر حملت اسم القبائل، والمقصود بذلك هجرة الأزْد التي أخذت معها مجموعات من سكّان شبه الجزيرة العربيّة و ضمَّتْها إليها، كما أنّها تركَتْ وراءها قبائل مثل الأَوس والخزرج في يثرب، وخُزاعَة في مكّة. وقيل إنّ مجموعة من الأَزْد تَجمّعتْ حول بئر اسمّه "غَسّان"، فشكّلت قبائل غَسّان التي نزلت بلاد الشام(٢)، ويقال إنّ "تَنُوخ" اسم لعشر قبائل اجتمعوا وأقاموا بالبحرين(٣). وتشير الأخبار والحكايات إلى أنّ قُصيّ بن كلاب اختار قبيلة حملت اسم قُريش من بين جمهرة كبيرة اسمها كِنانة، وأنزل قبيلته الجديدة في مكّة، ورُبّما يرجع هذا إلى القرن الرابع للميلاد(٤).

وما ذكرنا الأمثلة السابقة على الهجرات القبليّة إلاّ لندلّ على هجرة بعض القبائل وعدم استقرارها في منطقة محدودة، وقد أثّر هذا الأمر تأثيراً كبيراً في موضوع الأنساب، وأوقع علماء الأنساب في اضطراب وحيرة كبيرين، مِمّا جعلهم يختلفون في أنساب بعض القبائل، فَقَد وقع الاختلاف مثلاً في نسب (أنمار)؛ فمنهم مَنْ عَدّه من ولد (نِزار)، ومنهم من أعادَه إلى اليمن(٥).

وكان لنشوء الأحلاف أثر في تجمُّع بعض القبائل، إلاّ أنَّ هذا لا يدفعنا إلى التسليم بأنّ أنساب العرب جميعها قد تشكّلت بفعل نشوء الأحلاف بين القبائل. وإذا كانت الأحلاف قد تكوّنت بسبب ضعف القبائل وانضوائها تحت لواء القبائل القويّة، فإنّ هذا لا يجعلنا نسلّم بصحة نظريّة بعض المستشرقين والباحثين العرب في مفهوم النسب(٦).

والأحلاف كما يبدو ضرورة اقتضاها انضمام عشائر ضعيفة إلى العشائر القويّة لتحميها وتدفع عنها عدوان بعض القبائل المُغِيرة، ولعلّ خَير مَنْ يمثّل ذلك قبيلة "تنوخ" في العراق التي شهدت انضمام بعض القبائل إليها وخروج بعض القبائل منها، وهناك قبائل لم تَنْضَوِ تحت أيّ حلف، وذلك لقوّة أبنائها وشجاعتهم وقدرتهم على كفايتها في الحروب والمُلِمّات، وقد عُرِفَت باسم "جَمَرات العرب".

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٤.

(٢) انظر: مقدّمة كتاب النّسب لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، سهيل زكّار، ص: ٨.

(٣) انظر: المفصّل، جواد عليّ ٥١٢/١، ٥١٧.

(٤) انظر: مقدّمة كتاب النسب، سهيل زكّار، ص٨.

(٥) انظر: المُفَصّل، جواد عليّ، ٥١٦/١.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ٥١٤/١، ٥١٥، ٥١٧.

ومِن أَحلاف العرب المشهورة قبل الإسلام "حِلف المُطَيَّبين" الّذي تحالف فيه بنو عبد مَناف وبنو زهرة وبنو تَيمْ وبنو أَسَد ضد بني عبد الدار وأحلافهم(١).

ومِن أَحلاف العرب المشهورة أيضاً حِلف الرِّباب(٢)، وهم قبائل ضَبَّة وثَوْر وعُكْل وتَيمْ وعَدِيّ، وحلف عَبس وعامر ضدّ ذُبْيان وأحلافها من تميم وأسد، وحلف الحُمْس من قريش وكِنانة وخُزاعة. ولم تكن ظاهرة الأحلاف معروفة على مستوى القبائل وحسب، بل كانت على مستوى أفراد القبيلة أيضاً؛ فيجوز للرجل أن يدخل في غير قبيلته بالحِلف والولاء، ولذلك جاز أن ينتسب إلى قبيلته الأولى، وأن ينتسب إلى القبيلة الثانية، وأن ينتسب إليهما معاً، فيقال مثلاً التميميّ ثم الوائليّ(٣). ويُفهم من هذا أنّ النّسب الأول للرجل هو النسب الأصيل، وأنّ النسب الثاني هو نسب بحكم الحِلف والولاء للقبيلة التي انضمّ إليها.

ونخلص مما قدّمنا إلى أنّ ظاهِرَتَي "الجماهير" و "الأحلاف" أثّرتا تأثيراً مباشراً في وضع الأنساب عند العرب قبل الإسلام، وأَوقعتا بذلك خلطاً وإرباكاً واضحين لدى بعض علماء الأنساب الّذين بذلوا جهوداً كبيرة في تتبّع أنساب بعض القبائل العربيّة.

شهدت ساحة جزيرة العرب قبل الإسلام انقسامات ونزاعات سياسيّة، ويرجّح أن تكون هذه الانقسامات قد حدثت بفعل انقسام العرب: قحطانيّين وعدنانيّين، والذي عُبّر عنهما بعد الإسلام باليمانيّة والنزاريّة(٤). واليمانيّة، وهي اللفظ المقابل للقحطانيّة، تعني القبائل التي ترجع أنسابها إلى اليمن، والنزاريّة، وهي اللفظ المقابل للعدنانيّة، تعني القبائل التي ترجع أنسابها إلى عدنان، وكان بين الفريقين صراع شديد، ولكلٍّ منهما نَسّابوه ومؤيّدوه ومهاجموه، وهذا الأمر كان له أثر خطير في وضع الأنساب(٥)، ويدفعنا هذا الأمر إلى أن نتريّث في قبول الأخبار والروايات في الأنساب، وأن نُمَحِّصها تمحيصاً جيّداً بحيث نطمئنّ إلى صحّتها، أو نرفضها إذا كانت غير موثوقٍ بها، كما يدفعنا إلى أنْ نتثبّت من نزاهة علماء الأنساب ورُواتها وبُعدهم عن التحيّز والتعصُب والهوى.

---

(١) انظر: العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص: ٥٨، ٥٩.

(٢) الرِّباب: هم ضَبّة بن أُدّ بن طابخة، وتَيمْ وعَدِيّ، وعوف وهو عُكْل وثَوْر، وكلّ هؤلاء بنو عبد مَنَاة بن أُدّ بن طابِخة (العمدة في محاسن الشعر، ابن رشيق، ١٤٣/٢)، وانما سُمّوا بذلك لأنّهم تحالفوا فقالوا: اجتمِعوا كاجتماع الرِّبابة، وهي خِرْقَة تُجمع فيها القِداح، وقال قوم: بل غَمَسوا أيديَهم في رُبٍّ وتحالفوا. والقول الأوّل أحسن (الاشتقاق، ابن دريد، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، مكتبة المثنّى، بغداد، ١٩٥٨م، ١٨٠/١).

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، ص: ٤٨٠، ٦٨٦، ونهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٢١، والعصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص: ٥٩.

(٤) انظر: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد عليّ، ٤٨٥/١.

(٥) انظر: التنبيه والإشراف، المسعوديّ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٨٥، ٨٦، ٨٨.

وتُظهِر الأَخبار أَنّ ما يُسمَّى بالنزاع القحطانيّ والعدنانيّ لم يكن شديداً في الجاهليّة بين القبائل التي كانت تقيم في شمال جزيرة العرب بقدر تلك الشدّة الّتي ظَهرت في النِّزاع الّذي تَحدّث عنها النسَّابون بين القبائل التي كانت تقيم في اليمن أو في الحجاز(١).

ويُرجِع بعض الباحثين انقسام العرب إلى قحطانيّين (عرب الجنوب)، وعدنانيّين (عرب الشمال) إلى النزاع ما بين يثرب ومكّة قبل الإسلام، وبعضهم يردّه إلى الصراع الطبيعيّ بين البداوة والحضارة(٢). وكنّا أشرنا إلى هذا الأمر عند الحديث عن البيئة الطبيعيّة للعرب في شبه الجزيرة العربيّة وتفوّق عرب الجنوب على عرب الشمال في الحضارة والعمران.

ولا نكاد نجد في الشعر الجاهليّ ما يشير إلى سلسلة نسب قحطان وعدنان، أو ما يشير على وجه الصواب إلى ثبوت أصلين للعرب هما قحطان وعدنان، وإن كان قد ورد في شعر حسّان بن ثابت الأنصاري، ممّا يعني أن هذا التقسيم جاء متأخّراً بعد الإسلام ومن خلال روايات إسلاميّة لا جاهليّة، إذْ لا يصحّ أن يكون الشعر الجاهليّ كلّه شاهداً على آراء أهل الجاهليّة البعيدين عن الإسلام(٣).

ويذهب جواد عليّ إلى أنّ قحطان ليس بجدٍّ أعلى للقبائل القحطانيّة المعروفة كلّها، وعدنان ليس بجدٍّ للقبائل العدنانيّة كلّها، وإنّما هما كنايتان عن مجموعة قبائل تدعى عند العرب بالحِلف(٤)*، وممّا قد يقوّي رأيه أنّنا لا نجد ذكراً لعدنان في الشعر الجاهليّ، بل يرد اسم "مَعدّ" كثيراً في الشعر الجاهليّ، ومع ذلك لم تُشِرْ نصوص الشعر الجاهليّ التي ورد فيها اسم "مَعدّ" إلى أنّه ابن عدنان*(٥)*، ومن ذلك قول المُثقّب العبديّ*(٦)*:*

أنا بيتي مِن مَعَدٍّ في الذُّرى وَلِيَ الهَامَةُ والفَرع الأشَمّْ

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٧٧/١.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٤٨٥/١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ٤٦٩/١، ٤٧٤.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ٤٨٢/١.

(٥) انظر: العصبيّة القبليّة في الشعر الأمويّ، إحسان النُّصّ، ص: ٣٩. يذكر جمهور النسّابين أنّ عدنان كان له ولدان: مَعدّ وعكّ، وأنّ لمعدّ عدداً من الأبناء منهم نزار، وقَنَص، وإلى نزار ترجع معظم القبائل العدنانيّة، ويذكرون أنّه كان له أربعة من الولد: مُضر وربيعة وإياد وأنمار (انظر: جمهرة ابن حزم، ص: ٩، ١٠. ونهاية الأرب للنويريّ، ٣٢٥/٢-٣٢٨. وبين النسّابين خلاف كبير في أبناء عدنان ومعدّ ونزار).

(٦) ديوان شعر المثّقب العبديّ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصّيرفيّ، جامعة الدول العربيّة، معهد المخطوطات العربيّة، مصر الجديدة، ١٩٧١م، ص: ٢٢٩. لم يرد هذا البيت في مخطوطات الديوان، ولم يروه أيضاً المرزوقيّ في شرح المفضّليّات، ولم يرد في منتهى الطلب، ولا في خزانة الأدب (حا ص: ٢٢٩). مَعَدّ: هو الجد الأعلى لعبد القيس بن أفْصَى بن دُعمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان. الذُّرى: جمع ذِرْوة (بضمّ الذال وبكسرها) وهي من كلّ شيء: أعلاه. الهَامة: الرأس، ويريد بها الشرف والسيادة والرياسة (ديوان شعر المثقّب العبديّ، ص: ٢٢٩: الحاشية ٣).

وإذا كان شعر حسّان بن ثابت الأنصاري يُعَدُّ مرجعاً مهمّاً ورئيسيّاً نكشف من خلاله طبيعة ذلك النزاع بين مكّة ويثرب قبل الإسلام، إذْ كان حسّان نفسه حامل لواء يثرب وشاعرهم والمدافع عنهم بلا مُنازِع[١]، فإنّ ما وصل إلينا مِن شعره الصّحيح أو المنسوب إليه لا نكاد نَستبين من خلاله إلاّ إشارات بسيطة لذلك النزاع، ظهرت بصورة فَخر لِقَحطان على عدنان الذي ذكره باسم مَعدّ، وذلك قوله[٢]:

فلو سُئِلَتْ عنه مَعَدٌّ بأَسرها وقَحطانُ أَو باقي بَقيّةِ جُرْهُما

وحسّان بن ثابت في فخره بنسبه نجده أحياناً لا يتجاوز قومه الأزد، وهم أبناء الغَوْث بن زيد بن مالك بن زيد بن كَهلان[٣]:

فإنْ تَكُ عَنّا معشرَ الأَسْدِ سائلاً فنحنُ بنو الغَوْث بن زيد بن مالكِ

لِزيدِ بنِ كهلانَ الّذي نالَ عِزُّه قديماً دَرَارِيَّ النُّجومِ الشَّوابكِ

وهذا يدلّ على أنّ القحطانيّة والعدنانيّة لم تأخذ عند حسّان حجم الصِّراع الذي أشرنا إليه، مما يدلُّ على أنَّ هذا الصراع تمّ استغلاله بعد الإسلام، خاصّة بعد اشتداد النزاع بين الأنصار وأهل مكّة في خلافة بني أميّة[٤]، وقد يكون لذلك الصراع الشأن الذي أشرنا إليه سابقاً ولكنّ نصوص الشعر الجاهليّ لا تكاد تُسْعفنا في هذا المجال، ولعلّ الشعر الدالّ عليه ضاع في ما ضاع من أشعار العرب.

وما عدا ذلك من أشعار لحسان بن ثابت فيها ذكر لقحطان فإنّها تدخل في الشعر المنسوب إليه، وقد أَوْرَدَ الهَمْدانيّ بعضها في كتابه الإكليل[٥].

نَخْلُصُ مِمّا قدّمنا إلى أن جزيرة العرب شهدت نزاعات وصراعات بين عرب الجنوب وعرب الشمال اللَّذَين عُبِّر عنهما بالقحطانيّين والعدنانيّين، ولكنّ تلك النزاعات لم نلمس لها أثراً قويّاً في الشعر الجاهليّ، بقدر ما سنلمسه بعد الإسلام خاصّة في العصر الأمويّ، وبذلك تدخل تلك النزاعات والصراعات القبليّة في خدمة الأغراض السياسيّة للدولة الأمويّة. ويمكن القول أيضاً إنّ لَفْظَيْ قحطان وعدنان اللَّذيْن يمثّلان جِذْمَي العرب لم يَردا كثيراً في الشعر الجاهليّ، وقد يكون سبب هذا أن علم الأنساب نشأ في الجاهليّة، ولكنّ أصوله وقواعده استقرّت بعد الإسلام.

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٨٧/١.

(٢) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، وضعه وضبط الديوان وصحّحه عبد الرحمن البرقوقيّ، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، القاهرة، ١٩٢٩م، ص: ٣٩٨. قاله يمدح مُطْعِم بن عديّ بن عبد مَنَاف بن قُصيّ القُرشيّ النَّوفليّ وبعده:

لقالوا هوَ الموفِي بخُفْرَةِ جاره وذِمّتِه يوماً إذا ما تذَمَّما (المصدر نفسه، ص: ٣٩٧، ٣٩٨).

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٩٥. الأسْد والأَزْد: واحد، وهو اسم قبيلة. دَراريّ النجوم: أي النجوم الشبيهة بالدُّرَر في صفائه وحُسنه. الشَّوابك: المختلفة (المصدر نفسه، ص: ٢٩٥: الحاشية).

(٤) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٩١/١.

(٥) كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر، الهَمْدانيّ، نَسخه وحقّقه وعلّق عليه محمد بن الأكوع الحواليّ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٨م، ١٣٨/١.

اهتمَّ العرب قبل الإسلام بأنسابهم اهتماماً كبيراً، فحفظوها، وحَوت أشعارهم ثروة غزيرة في علم النسب. وممّا لاشكّ فيه أن الحياة البدويّة قد جعلت من القبيلة أكبر وحدة اجتماعية وسياسيّة، وكان ذلك يتطلّب من أفراد القبيلة أن يعرفوا مفاخر آبائهم وأجدادهم وعراقة أنسابهم، وكذلك كان ينبغي لهم أن يعرفوا مثالب القبائل الأُخرى، وبذلك وفَّروا مادّةً غنيّة لأبرز أغراض الشّعر لديهم: الفخر والهجاء(١).

وتُشير الكتابات والنقوش القديمة قبل الميلاد إلى وجود وثائق مَلَكيّة وسجلّات حِمْيَريّة في جنوب الجزيرة العربيّة، حسبما أفاد الهمدانيّ في كتابه الإكليل، وأنّ تلك الوثائق والسجلّات حُفِظَتْ واستفيد منها في ما بعد(٢)، إذ يذكر مثلاً أنّ أنساب ولد **الهَمَيْسَع "كانت مَزْبورة في خزائن حِمْيَر، وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان"**(٣)*، كما يشير إلى "زُبُر" أو وثائق وسجلات للأنساب حفظتها بعض الأُسَر والبطون(٤).*

ومع ذلك يغلب على تلك الروايات اليمانيّة الموجودة في المصادر الأولى الطابع الأسطوريّ، كما أنّها لا تخلو من الضعف والارتباك(٥)، ولذلك نجد الهَمْدانيّ في مطلع كتابه ينتقد الروايات التاريخيّة عن اليمن، ويرى أنّ قلّة تدقيق الإخباريّين في أخبارهم قد ساعد في هذا الضعف والتخبُّط والارتباك، وفي ذلك يقول الهَمْدانيّ: **"فوَجَدْتُ أكثرَ النّاس يَخْبِطُ خَبْطَ عَشواءَ، ويَعْمَهُ في حِنْدِسٍ طَخْياء، وإذا الخبر الواحد ترويه الجماعة من وجوه مختلفة من زيادة ونقصان، وتقديم وتأخير، إذ كان علم الأخبار علماً طَلَقاً غير مقصور بنظام، ولا محصور بقياس .."**(٦).

---

(١) انظر: " بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمري، ص: ١٦٥.

(٢) انظر: كتاب الإكليل، الهَمْدانيّ، ٣٧/١٠، ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتّحدة، ٢٠٠٠م، ص:١٦.

(٣) كتاب الإكليل، الهمدانيّ، ٣٧/١٠. مزبورة: مكتوبة.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، الدوري، ص:١٦. الزُّبرُ: واحدها الزَّبُور، وهو الكتاب المَزبور، أي الذي أُتقنت كتابته، وقد غلب الزَّبور على صحف داود عليه السلام (لسان العرب، زَبَر). يقول الهَمْداني عن نَسَب اللَّعَويّين: "وهذه نسبة اللَّعَويّين مقيّدة بالأصول .. أخذتها عنهم روايةً عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى" (الإكليل، ١٠٠/١٠). ويقول في موضع آخر: إنّه أخذ نسب بني لَعْوَة الأَصْغَر: "نقلاً عنهم في أيامهم بِبَلْدَة (زَيْدَة)، وعن الزبر التي في أيديهم، وقابل ذلك بما يرويه هشام بن محمد الكلبيّ وغيره من النُسّاب" (الإكليل، ١٣٢/٨)، ويقول: "والمُرَانيّون باليمن ... يعملون على ما قَيَّده آباؤهم من نسبهم وحفظوه كابراً عن كابر" (الإكليل، ٣٧/١٠، ٣٨).

(٥) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، ص: ١٧.

(٦) كتاب الإكليل، الهمداني، ٦٠/١. العَشْواء: الناقة التي في بصرها عَشا، أي ضعف، والمعنى أنّها تسير على غير هُدى، لأنّها لا تُبْصِر ما أمامَها، فهي تَخْبِط بيديها. قال زهير:

رأيت المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ من تُصِبْ تُمِتْهُ ومَنْ تُخطئْ يُعَمَّرْ فيَهرَمِ (شرح ديوان زهير بن أبي سُلْمَى، صنعة الإمام أبي العبّاس ثعلب، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٤٤م، ص: ٢٩).

العَمَه: التحيُّر والتردُّد، وقيل: التردّد في الضّلالة والتحيُّر في منازعة أو طريق. الحِنْدِس – بكسر الحاء – : الظُّلمة، وقيل: الليل الشديد الظُّلمة. الطَّخياء: ظلمة الليل، ويقال: ليلة طَخياء شديدة الظُّلمة قد وارى السّحاب قمرها (الصِّحاح، الجوهريّ. ولسان العرب، ابن منظور: عَشَا، عَمَه، حَنْدَس، طَخَا).

وممّا زاد الأَمر تعقيدًا أنّ بعض الإخباريّين مثل عُبَيْد بن شَرِيّة الجُرْهُميّ (ت٦٧هـ) و وَهْب بن مُنْبِه (ت١١٤هـ) وغيرهما من الرواة قد أوردوا قصصاً خياليّة شعريّة لتاريخ اليمن، وكانت خليطاً من القصص الشعبيّ والإسرائيليّات، إذْ حاولوا بذلك تمجيد عرب اليمن وإعلاء شأنهم، فنسبوا إليهم أمجاداً في الحروب والصناعات والأدب واللغة والدين، وذلك ليستدلّوا على أنّهم لا يقلّون عن عرب الشمال في أمجادهم ومآثرهم، إن لم يكونوا قد فَاقوهم في ذلك(١). وقد أورد هؤلاء أخبارهم بأسلوب يشبه إلى حدّ كبير أسلوب قصص "أيّام العرب"، وتضمَّنَتْ شعراً موضوعاً كثيراً لتقوية تأثير القصص في النُّفوس.

وترتبط هذه الأخبار بالظّروف السياسيّة والعوامل الجغرافيّة التي أشَرْنا إليها سابقاً، إذْ إنّ العصبيّة القبليّة والتنافس بين عرب الشمال (مُضَر) وعرب الجنوب (اليمن) كانت مسؤولة مسؤوليّة كبيرة عن مثل هذه الأخبار، وليس بعيداً أن تكون قد أدَّتْ إلى بعض التعصُّب عند نسّابي عرب الشمال(٢)، ولذلك نجد الهَمْدانيّ يلوم إخباريّي الشمال ونسّابيهم لتقصيرهم في البحث والتحرّي الدقيق، ويرى أنّ تعصّبهم لمضريّتهم كان عاملاً قويّاً في إرباك سلاسل أنساب اليمانيّين(٣).

ومن المحتمل أيضاً أن يكون بُعْد المسافة سبباً قويّاً مَنَع علماء الشمال من الوصول إلى اليمن والحصول على معلومات دقيقة ومباشرة من موطنها الأصليّ، يقول الهَمْدانيّ: **"كما لَمْ أزَلْ كَلِفاً بالبحث عن الأنساب، والفَحْص عن صحيحها، والوقوف على سقيمها، والتصفّح لِمَا أتى به النُّسّاب ... ورأيت أنساب تلك النواحي لا سيّما الكلبيّين استقصَوْا في أنساب ولد مالك بن حِمْيَر، لِمَا كان منهم وعنهم بمرأىً ومَسمَع، وأتَوْا من نسب أخيه الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بمثل أثَرٍ في عَفَر، لا دارسٍ فيعفو، ولا بَيِّنٍ**

---

(١) انظر: كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه. وفي ذيله أخبار عبيد بن شريّة الجُرْهُمِيّ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٨م – راجع على سبيل المثال الصفحات: ٤٥، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٣٦٥–٣٦٧.

(٢) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، ص: ١٧.

أيام العرب: هي وقائع العرب قبل الإسلام، تناول فيها الإخباريّون والعامّة مكارم الأخلاق والملاحم والبطولات والنواحي الأدبيّة من شعر ونثر، فهي ليست وثائق عسكريّة وحسب، مع ذلك ظهرت "الأيّام" في كتب التاريخ واختفت من كتب الأدب. وتوضّح "الأيّام" الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفُرس والروم، وتروي كثيراً ممّا كان يقع بين العرب القحطانيّين والعدنانيّين من خلاف، وبين العدنانيّين أنفسهم من أسباب النِّزاع، وتعين القارئ في فهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر (أيام العرب قبل الإسلام، لأبي عبيدة مَعمر بن المثنّى، تحقيق عادل جاسم البيّاتي، دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٦م، ص: ٧٢، ٧٣. وأيام العرب في الجاهليّة، محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، المقدمة، ص: – ط –

(٣) يقول الهَمْدانيّ: "وكذا سبيل نُسَّاب العراق والشام يَقْصُرون في أنساب كهلان ومالك بن حِمْيَر؛ ليضاهوا (يشابهوا) أيضاً عِدّة الآباء من ولد إسماعيل عليه السلام، وامتنعت عليهم أنساب ولد الهَميْسَع إذ كانت مزبورة في خزائن حمير، وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن هَمدان، فأهملوها كي لا يقاس بها أنساب باقي همدان" (الإكليل، ٣٧/١٠).

فيبدو، لمّا قلَّتْ رحلتهم إلى مَنْ قَطَن باليَمن، ولَم يُلاقوا بنُهُوجهم مِنْ ذوي معرفتهم، غيرَ أَعقاب مَنْ ظَعَن"(١)، أي إنّهم لم يكلّفوا أنفسهم مشقّة الرحلة والبحث والتحرّي عن أنساب مَنْ كتبوا عنهم خاصّة أنساب اليمن، وإنّما أخذوها مصادفةً بحكم قربهم منهم ومعرفتهم، ومَنْ رحل منهم إليهم، وهذا يدلُّ دلالة قويّة على أنّ كثيراً من أنساب العرب قد دُوّنت حسب الرأي الشائع في النَّسَب بلا فحص أو تحرٍّ.

إذن يمكن وصف المعلومات التي وصلت إلينا عن أنساب العرب في جنوب الجزيرة العربيّة في المرحلة الجاهليّة بأنّها مضطربة ومشوّهة؛ إذ يكتنفها كثير من الغموض، وذلك لسببين رئيسيّين؛ أوّلهما ارتباط الأنساب بالأخبار وقصص أيّام العرب التي غلب عليها الطابع الأسطوريّ، وثانيهما تعصّب نسّابي عرب الشمال، وتقصيرهم في الوصول إلى اليمن لمعرفة أنساب ساكنيها عن كَثَب. ولعلّ هذين السببين كانا ممّا فتح المجال واسعاً أمام بعض الدّارسين العرب والمستشرقين للتشكيك في أنساب بعض القبائل العربيّة خاصّة القديمة منها(٢).

أما في شمال الجزيرة العربيّة، فقد كان لدى المناذرة ملوك الحيرة كتب تشتمل على أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسِيَر أمرائهم، وحُفِظَتْ هذه الكُتُب في كنائس الحيرة، وقد اعتمد بعض المؤرّخين في مؤلّفاتهم، في ما بعد، على هذه الكتب والأخبار(٣)*، ولعل أشهر هؤلاء المؤرّخين الطبريّ الذي يقول:* **"حُدِّثْت عن هشام بن محمّد الكلبيّ إنّه قال: إني كُنْتُ أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار مَنْ عَمِل منهم لآل كسرى وتاريخ سِنيّهم من بِيَع الحيرة، وفيها مُلكهم وأمورهم كلّها"**(٤)*، ومع ذلك لا نكاد نجد ما يدلّ على أنّ عرب الحيرة قد تبلورت لديهم فكرة تاريخيّة واضحة*

---

(١) كتاب الإكليل، الهَمْدانيّ، ٦٠/١، ٦١. الكلبيّون: هم أبو النَّضْر محمّد بن السّائب الكلبيّ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد الكلبيّ، والشرقيّ القطاميّ، ويكنى أبا المثنّى، وهو الوليد بن الحُصَيْن (الإكليل، ٦٠/١: الحاشية).
قوله: لِمَا كان منهم وعنهم: أي أنّ الكلبيّين من ولَد مالك بن حمير، وعن قربٍ من أوطانهم السّماوة والشام. العَفَر: بالفاء محرّكة، ظاهر التراب، وقد يسكن. دَرَسَتْ الريح الأثر، أي مَحَتْهُ. و"يعفو" مأخوذ من قولهم: عَفَت الرياح الآثار إذا دَرَسْتها ومَحَتْها (لسان العرب، دَرَس – عَفَا).
النُّهوج: جمع نهج. والنَهْج في معاجم اللغة: الطريق الواضح، وعند معاشر اليمنيّين يطلق على هذا، وعلى الناحية والجهة المتفتّحة الأطراف بل الأرجاء، ذات المناظر البَهجة والهواء الطلق، والمتنفَّس الواسع، يقال في هذا المكان نَهج أي منظر رائق ومباهج طبيعيّة جميلة، وهذا الذي أراده المؤلّف، وكثيراً ما يستعمِل لغة قومه، لأنّه يرى أنّ وطنه مهد اللغة الأصليّة (الإكليل، حاشية ٦٠/١).
والهَمْدانيّ يريد أنّ الكلبيّين لم يرحلوا إلى اليمن، وإن كانوا أنفسهم يمنيّين – ليتعرّفوا عن كثب على أنساب مَن قَطنَ فيها، وإنّما أخذوا أنساب اليمن مِنْ أعقاب مَنْ ظعن، أي ارتحل. وذلك أيام الفتوحات، فإنّه انساح من اليمنيّين مالا يُحصى كثرة، وأنجبوا هنالك (الإكليل، حاشية ٦١/١).
(٢) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٧.
(٣) انظر: المرجع نفسه، ص: ١٧، ١٨.
(٤) تاريخ الطبريّ، ٦٢٨/١. البِيَع: البِيعة بالكَسْر: كنيسة النّصارى، وقيل كنيسة اليهود، والجمع بِيَعٌ، وهو قوله تعالى: (وبِيَعٌ وصلواتٌ ومَساجِدُ): (لسان العرب: بَيَعَ. وسورة الحجّ، الآية ٤٠).

حول موضوع الأنساب(١). ويمكن القول إنّ ما يشير إلى وجود وثائقَ وسجلات للأنساب لدى عرب الحيرة وملوكهم في اليمن، سواء أكانت محفوظة في كتب وصحف، أم مُدوَّنة على حجارة بما يعرف بالمُسْنَد، يعدّ حالات استثنائيّة(٢).

أمَّا كتابات العرب الجاهلية والّتي اشتملت على معارفهم المختلفة، فإنّها لم تتناول مجموعات قبائل العرب على نحو ما تَعارَفه علماء الأنساب، إذ جاءت بأسماء قبائل كثيرة، لم يعرف أهل الأخبار والأنساب شيئاً عنها، ولذلك تفيدنا تلك الكتابات أنّنا نقف مِنْ خلالها على أسماء تلك القبائل لأوّل مرّة. وقد أعانت الكتابات الجاهليّة على دراسة أسماء القبائل الواردة في كتب الأنساب والموارد الإسلاميّة في ما بعد، إذْ تفيدنا في الوقوف على الصِّلات بينها، وعلى معرفة ما سُمّي منها بالأب أو الابن أو الأمّ، كما تفيدنا في تعرُّف مواطن مُتَعدِّدة من مواطن الخطأ التي وقع فيها النسّابون والإخباريّون وكثير مما وُضِع في النّسب، أو في ما روي من قَصص عن بعض القبائل جهلاً أو عَمْداً أو ظهوراً بمظهر العلم والإحاطة بأنساب العرب وأخبارهم، الجاهليّين منهم والإسلاميّين(٣).

إلاّ أنّنا لا نكاد نجد في الشعر الجاهليّ تلك القحطانيّة والعدنانيّة التي ذكرها أهل الأنساب والأخبار، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وممّا قد يقوّي هذا الرأي أنّ الأخْنَس بن شِهاب التغلبيّ، وهو شاعر جاهليّ، عندما قال قصيدته المعروفة في تشتّت قبيلة تغلب في البلاد بعد حرب البسوس على يد المُهَلْهِل بن ربيعة(٤)، ذكر عدّة قبائل، كما ذكر مواضعها ومواطنها، وهي: مَعَدّ، ولُكَيْز، وبَكْر، وتَميم، وكَلْب، وغَسّان، وبَهْراء، وإياد، ولَخْم. *يقول (٥):*

لكُــلّ أُنــاسٍ مِــن مَعَــدٍّ عِمَــارَةٌ عَــروضٌ إليهــا يَلْجَــؤُونَ وجَانِــبُ
لُكَيْــزٌ لهــا البحــران والسّــيفُ كُلُّــهُ وإنْ يَأْتِهَــا بَــأْسٌ مــن الهنْــدِ كــارِبُ

---

(١) انظر: نَشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص:١٨.

(٢) انظر: تاريخ الطبريّ ٦٢٨/١. وكتاب الإكليل، الهَمدانيّ، ٣٧/١٠.
المُسْنَد: خَطّ لِحمْيَر مخالف لخطّنا هذا، كانوا يكتبونه أيّام مُلْكِهم في ما بينهم، قال أبو حاتم: هو في أيديهم إلى اليوم باليمن. وفي حديث عبد الملك: أنّ حَجراً وُجِد عليه كتاب بالمُسْنَد؛ قال: هي كتابة قديمة، قيل: هو خَطّ حِمْيَر، قال أبو العبّاس: المُسْنَد كلام أولاد شِيث (لسان العرب، مادة سند) وفي الإكليل ٢٩/١٠: الحاشية: هو الخطّ الحميريّ المزبور بالحجارة، وجمعه مَسانِد، ومسانيد.

(٣) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٦٨/١، ٤٦٩.

(٤) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحِمويّ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م، ٣٦٨/٤، ٣٦٩. وكان جَسّاس بن مرّة قتل أخا (المُهلهِل) كُليب بن ربيعة، فشتّت المهلهل قبيلة تغلب في البلاد ثأراً لأخيه.

(٥) المفضّليات، المفضّل الضبّي، ص: ٢٠٤-٢٠٦. ومعجم البلدان، ٣٦٨/٤ ، ٣٦٩: ما عدا البيت الأخير، مع اختلاف في رواية بعض الأبيات وزيادة ثلاثة أبيات أُخرى.
العِمارة: الحيّ العظيم يقوم بِنفسه. العَروض: الناحية، يريد لهم جانب يلجؤون إليه.
لُكَيْز، بالتصغير: هو ابن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ.
البحران: البلاد المعروفة باسم "البحرين". السّيف: سَاحِل البحر. كارِب: شدّة الأمر. يريد أنه يأخذ بنفسها ويضيق عليها.=
=الحُوش: إبل حوشيّة لم تُرَض. الجَهام: السحاب الذي هراق ماءه، وهو أسرع لسيره. آئِب: راجع.

تَطـايَرُ عـن أعجـاز حُـوشٍ كأنَّهـا جَهَـامٌ أَرَاقَ مَـاءَهُ فهـو آئِـبُ
وبَكْـرٌ لهـا ظَهْـرُ العِـرَاقِ وإن تَشَـأْ يَحُـلْ دُونَهـا مِـن اليَمَامَـةِ حَاجِـبُ
وصـارتْ تمـيمٌ بـين قُـفٍّ ورَمْلَـةٍ لهـا مِـن حِبَـالٍ مُنْتَـأًى ومَـذاهِبُ
وكَلْـبٌ لَهَـا خَبْـتٌ فَرَمْلَـةُ عَـالِجٍ إلـى الحَـرّةِ الـرَّجْلاءِ حَيـثُ تُحـارِبُ
وغَسّـانُ حَـيٌّ عِـزُّهُمْ فـي سِـوَاهُمُ يُجالِـدُ عَـنْهُمْ مِقَنَـبٌ وكتَائِـبُ
وبَهْـرَاءُ حَـيٌّ قـد عَلِمْنـا مَكَـانَهمْ لهـم شَـرَكٌ حـول الرُّصَـافَةِ لاحِـبُ
وغَـارَتْ إيَـادٌ فـي السَّـوادِ ودُونَهـا بَرازِيـقُ عُجْـمٌ تَبْتَغِـي مَـنْ تُضـارِبُ
ولَخْـمٌ مُلـوكُ النَّـاسِ يُجبَـى إلَيْهُـمُ إذَا قـالَ منهـم قائِـلٌ فَهْـوَ وَاجِـبُ

وهذه القبائل التي ذكرها الشاعر في قصيدته بعضها عدنانيّة وبعضها قحطانيّة في مصطلح النسّابين، إلاّ أنّ القارئ لهذه القصيدة لا يكاد يتبيّن منها أنّ هذه قبيلة عدنانيّة، وتلك قبيلة قحطانيّة،

بَكر: هو ابن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة. حاجب: مانع، أي لها باليمامة مَنْ يمنع من ضيمها، يعني بني حنيفة بن لُجَيْم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل، لأنّها موطنهم. تميم: هو ابن مُرّ بن أُدّ بن طَابِخة بن الياس بن مضر بن نزار. القُفّ: ما خَشُنَ من الأرض واجتمع. الحِبال: حبال الرمل، وهم معاظمها. المُنْتَأَى: من النأي وهو البعد. أي لها بعد ومذاهب عن عَدْوها فلا يصل إليها.

كَلب: هو ابن وَبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير. خَبْت: منازل بني كلب. عالِج: رملة بالبادية. الحَرّة: الأرض تلبس الحجارة. الرَجلاء: الغليظة. غَسّان: اسم ماء سُمّي به مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبأ. يقول: هم ملوك، ولم يكونوا كثيراً، وكانت الروم تُولّيهم وتقاتل عنهم، فعِزُّهم في غيرهم، وإنّما كانوا نزولاً مع قوم من العرب. المِقْنَب: الجماعة من الخيل. والكتائب: جمع كتيبة وهي الجماعة من الجند. ورُويت "السَوَاهِم": وهي الخيل التي اسودّت وتغيّرت من شدّة التعب، وسَهَمَ لونه يَسْهَمُ إذا تغيَّر عن حاله لعارض.

بَهْراء: ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك. والشَرَك: بنيّات الطريق تتشعّب عنه، واحدتها شَرَكة، بفتحات. الرُّصافة: ناحية حمص، وهي لهشام بن عبد الملك. اللاحِب: الطريق الماضي المُنقاد.

غارت: دخلت. إياد: هو ابن معدّ بن عدنان. السَّواد: سواد العراق، سمّي سواداً لكثرة نخله. برازِيق: مواكب وكتائب، واحدها "بَرْزِق" بفتح الباء والزاي أو بكسرها، وهي كلمة فارسيّة مُعَرّبة، ولم يذكر هذا المفرد في المعاجم، وإنما ذكر "بِرزيق" بالكسر وزيادة الياء.

لَخْم: لقب، واسمه مالك بن عديّ بن الحرث بن مرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ (لسان العرب، ابن منظور: عَمَرَ، عَرَضَ، لَكَزَ، سَافَ، كَرَبَ، حَاشَ، جَهَمَ، آبَ، حَجَبَ، قَفَّ، حَبَلَ، نَأَى، عَلَجَ، حَرَّ، رَجِلَ، قَنَبَ، كَتَبَ، سَهَمَ، شَرِك، لَحَبَ، غَارَ، سَوِدَ، بَرْزَقَ. والمفضَّليّات، ص: ٢٠٤-٢٠٦: الحواشي).

وذلك لأنّه لن يجد في القصيدة أسماء آباء هذه القبائل ولا أجدادها، إذ جاءت متداخلة[١]، غير أنّ غاية ما يمكن أن يجد فيها ممّا يخصّ نسبها قوله[٢]:

فوارِسُها مِنْ تَغْلِبَ ابنة وائلٍ حُماةٌ كُمَاةٌ ليس فيها أَشَائِبُ

ومع ذلك لم يصل الأَخْنَس بنسب قومه "تغلب" إلى ما فوق "وائل" مِنْ آباء وجدود[٣].

ويَشُكُّ جواد عليّ في صحّة نسبة هذه القصيدة إلى صاحبها، ويعدّها قصيدة متكلَّفة قيلت في أيام الدولة العباسيّة، وأنّ أسلوبها لا يُرجعها إلى العصر الجاهليّ[٤]، ولا أدري ما السبب الذي دفعه إلى ذلك! فألفاظها ومعانيها وصورها جاهليّة قديمة لا تختلف عن ألفاظ الشعر الجاهليّ الذي عرفناه، ولا يتّسع المقام هنا لبسط القول في هذه القصيدة، *ولكنْ حَسْبُنا القول إنّ محقّقِي ديوان المفضليّات أحمد محمّد شاكر وعبد السلام هارون لم يذكر أيٌّ منهما أنّها موضوعة عندما أثبتا تخريجها، وإن كانا قد أشارا إلى بعض الاختلاف في الأبيات من تقديم وتأخير وزيادة ونقص في بعض المصادر[٥].*

إذن يمكن القول إن الأساس في المعلومات النسبيّة عند العرب قبل الإسلام كان يقوم على الرواية الشفويّة، وظلّت كذلك تُتناقل شفهيّاً حتّى زمنٍ ليس بالقصير بعد الإسلام، وذلك لأنّ المرحلة الجاهليّة لم تترك لنا أدباً مكتوباً، فهي مرحلة ثقافيّة شفويّة، ومع أنّ تراث العصر الجاهليّ قد أدّى إلى استمرار الاهتمام بالأيام والأنساب، وإلى بقاء أسلوبٍ في الرواية هو الأسلوب القصصيّ شبه التاريخيّ، إلاّ أنّه يخلو من أيّ نظرة تاريخيّة[٦].

وكان لدى عرب الشمال روايات شفويّة من قصص تتّصل بآلهتهم وروايات تتّصل بمآثرهم وشؤونهم الاجتماعيّة، وتدور معظم تلك الروايات حول معاركهم وغزواتهم (أيّامهم) وحول أنسابهم، وكانت تعتمد على الشعر، ونجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث، ومع مرور الزمن أصبح الشعر الوثيقة التي تدعم القصص والروايات[٧]، ولذلك نجد ابن فارس يقول: "**الشعر ديوان العرب، وبه حُفِظَتْ الأنساب، وعُرِضَت المآثر، ومنه تُعلِّمت اللغة ..**"[٨]. *وهنا تظهر الصلة واضحة بين اهتمام العرب*

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٦٩/١.

(٢) المُفَضّليّات، المفضّل الضبيّ، ص:٢٠٦.
تَغْلِب: هو ابن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. الكُماة: جمع كَمِيّ، وهو الشجاع. الأشائب: الأخلاط. (المفضليّات، ص:٢٠١: الحاشية).

(٣) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٦٩/١.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ٤٦٩/١.

(٥) المفضليّات، المفضّل الضبيّ، ص: ٢٠٣، الحاشية.

(٦) انظر: نَشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٢٠. ومجلّة العرب/ النسَّابون وأثرهم في تدوين التاريخ العربي الإسلاميّ، جاسم الجبوري، ص: ٣٨٢.

(٧) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٨، ١٩، ١٣١.

(٨) شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام، الخطيب التِّبريزيّ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ٣/١. والمُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطيّ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٤٧٠/٢.

بالأَيّام واهتمامهم بالأنساب حتّى إنَّ الأيّام أَصبحت جزءاً من الأخبار التاريخيّة، وكان ورود الشعر فيها سبباً في اهتمام اللغويّين والنسّابين والمؤرّخين بها، مثل: أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وابن قتيبة والمدائنيّ والأَصفهانيّ، وابن عبد ربّه. ويمكن القول إنّ الفعاليّات الجاهليّة كقصص الأيّام والأنساب تشير إلى جانب من اهتمام العرب في الجاهليّة، وتشكّل بداية أسلوب في رواية الأخبار، ولكنها مع ذلك لا تقوم على فكرة تاريخيّة واضحة(١).

كما يمكن القول إنّ ضعف ثقة بعض العلماء والدارسين بالنسّابين قد جاءهم من هذا الموضع، وهو صلة الأنساب بالأيّام والأخبار، لأنّ الأخبار وقصص الأيّام كان يُراد منها التسلية والسَّمَر، بينما أَصبح لها بعد الإسلام شأنٌ آخر.

آ- الحفظ أصل الرواية عند العرب:

كان الحفظ عن العرب مادّة الرواية ومدارها قبل الإسلام وبعده. ولم يكن سبب عنايتهم بالحفظ دون الكتابة أنّ العرب قوم أُميّون(٢)*، وإنّ هذا الوصف لا ينطبق على أُمّيّتهم الكتابيّة ولا العلميّة، وإنّما ينطبق على أُمّيّتهم الدينيّة، إذْ لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب دينيّ كالتوراة والإنجيل اللّذَيْن كانا عند اليهود والنّصارى. وقد عَرَف عرب الجاهليّة الكتابة العربيّة بالخطّ الذي عَرَفه الصحابة – رضوان الله عليهم – في صدر الإسلام، ولم يقتصر علم بعض العرب على معرفة الخط العربيّ وحسب، بل كان بعضهم يَعْرِف الخط الفارسيّ*(٣)*، وقد سَاق ناصر الدّين الأسد أَدلَّةً على معرفة الجاهليّين الكتابة، وضَرَبَ أَمثلة كثيرة على شيوع الكتابة عندهم*(٤).

وقد ارتبط الحفظ لدى العرب **"بالمعاني النفسيّة الّتي اتّسعوا في المحفوظ من أجلها ممّا يرجع إلى التفاخر والتفاضل بالأحساب والأنساب، والتعايب بالمثالب والتنابز بالألقاب؛ لأنّ سبيل تلك المعاني الطبيعيّة أن تجيء عَفْوَ الخاطر، وليس لذلك من أداة طبيعيّة غير اللسان، ولم يكن همّ العربيّ إذا فاخَر أو نافرَ أن يُقنع السامعين بمنطق يدير له الكلام على أشكاله وقضاياه، وإنّما همّه أن يجعل لسانه في موضع الحُجّة، ثم يرسلها واضحة بَيّنَةً غير مُتَرَدَّدة. ومثل هذه المعاني لا يُعتمد فيها على الكتابة دون الحفظ، إذْ كان العرب بطبيعتهم وفِطرتهم أثبت الناس حفظاً وأقواهم ذاكرة"**(٥).

والرَّاجح أنّ تراث الجاهليّة من أنساب وأخبار وأشعار قد تمّ جمعه في زمنٍ ليس قصيراً بعد الإسلام، وكان ذلك حول منتصف القرن الثاني الهجريّ؛ فقد جَمَع أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)

---

(١) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٩، ١٣١.

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م، ٢١٣/١.

(٣) انظر: مصادر الشّعر الجاهليّ، ناصر الدّين الأسد، ص: ٤٤-٤٨، ٥٤ ، ٥٥.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص: ٥١-٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨.

(٥) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، ٢١٣/١، ٢١٤.

وحمّاد الراوية (ت١٥٦هـ) وغيرهما الشعر والأخبار وموادّ عن الأنساب العربيّة قبل الإسلام مِنْ رواة القبائل ومِن كُتُبها بالدرجة الأولى، وكانوا يستعينون لحفظ بعض إنتاجهم بالكتابة[١].

ولذلك فإنّنا **"لا نكاد نجد رواية في شيء من الشعر والخبر يتصل سندها إلى العصر الجاهليّ، وإنّما كان هؤلاء الرّواة منتهى الإسناد في الرواية، وقد أخذوا أكثر رواياتهم عن أُناس أدركوا عرب الجاهلية، أو نَقلوا عَمّن أدركهم، وكذلك روَوْا عن أعراب أدركوا الجاهليّة، ثم إنّه لم يكن بالإمكان ردّ ما تناقلوه عن الجاهليّة من أخبار وأشعار؛ لأنّ هذا الشيء الذي تناقلوه كان كلّ ما في أيدي الرواة"**[٢]. *إلاّ أنّ حمّادًا الراوية نقل خبراً فيه إسناد تتّصل روايته بالجاهليّة، وهو قوله:* **"كانت للكُمَيْت (الشاعر المتوفَّى سنة ١٢٦هـ) جدّتان أدركتا الجاهليّة، فكانتا تصفان له البادية وأمورها، وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهليّة، فإذا شكّ في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه؛ فمِن هناك كان علمه"**[٣]. *ولا يستطيع المرء أن يتثبّت من صحّة هذه الرواية، لكون هؤلاء الرواة كأبي عمرو بن العلاء وحمّاد الراوية وغيرهما كانوا أوائل مَن تصدّر للرواية، ومَثّل ظهورهم ظهور صنعة في السماع والتدوين[٤].*

نخلص مما سبق إلى أنّ علم الأنساب شَهد نشأته الأولى في الجاهليّة، وارتبطت نشأته بالأخبار والروايات القديمة من جهة، وبالعوامل الجغرافيّة والصراعات القبليّة من جهة أخرى، وأنّ المرحلة التي مرّ بها ذلك العلم كانت شفويّة، وإنْ وُجد ما يشير إلى استخدام الكتابة في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، إلاّ أن ذلك لا يمثّل تدويناً حقيقيّاً للأنساب، وكانت الرواية الشفويّة تقوم على الحفظ؛ لأنّ اللسان كان أداة التعبير الصادقة لديهم. وقد أحاط كثير من الغموض والإرباك بالمعلومات النسبيّة قبل الإسلام، خاصّة ما ورد عن طريق نسّابي عرب الشمال لتعصّب بعضهم، ولتقصير بعضهم في رحلة طلب العلم من أفواه ساكني اليمن الأصليّين، بل اكتفوا بأعقاب مَنْ رَحَل مِنهم إليهم، فأخذوا علمهم عنهم اتّفاقاً ومصادفة.

ب- أشهر النسّابين في الجاهليّة:

ظهر عند العرب قبل الإسلام علماء عُرِفوا باهتمامهم بأنساب العرب وأخبارهم، وكان من أبرزهم: الخطّاب بن نُفَيل، ونُفَيْل بن عبد العُزّى، وهما والد عمر بن الخطّاب وجدّه، وذكر الجاحظ أنّ

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٢٤/٣. وكتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٨٧/٩. والمزهر في علوم اللغة، السيوطي، ٣٠٤/٢. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٣٤.

(٢) تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٢٨/١.

(٣) المرجع نفسه، ٢٢٩/١.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ٢٢٨/١.

نُفَيل بن عبد العُزّى قد تنافرَ لديه عبد المطّلب بن هاشم وحرب بن أميّة، فَنَفَّر عبد المطّلب على حرب، أي قضى لعبد المطلب[١]، والمنافرة هي المحاكمة والمفاخرة في النسب كما سبق.

ومنهم أيضاً الأقرع بن حابِس بن عِقال بن محمّد بن سفيان التميميّ المُجاشعيّ، الذي يُعدّ في جُملة علماء العرب وحكّامهم، وكان عالماً بالنسب وأخبار الناس، ولذلك كان العرب يتنافرون إليه، إذ حَكّم في المنافرة التي وقعت بين جرير بن عبد الله البَجليّ وخالد بن أَرطاة الكلبيّ، وكان كلٌّ منهما زعيماً لقومه، فنفَّر الأقرع جريراً على خالد، وانتصر بمُضرَ وربيعة على قُضاعة بن معدّ[٢]*، إلاّ أنّ أبا عبيدة طعن في حكم الأقرع، إذ ذكر أن الأقرع بن حابس أوّل مَنْ حابى في الحكومة وداهن فيها، وذكر سبب محاباته لجرير وبَجِيلة، وهو أنّ مضر زعمت أنّ الأقرع بن حابس، إنّما نفَّر جريراً وبَجِيلة على خالد بن أرطاة وكلب؛* "**لأنّه زعم أنّ أَنماراً ابنُ نزار، وأنّه لقرابته بمُضَر وربيعة أفضل وأكثر عدداً بإخوته من قُضاعة، لأنّ قضاعة ابن معدّ، وهو عمّ هؤلاء**"[٣].

ونستخلص من هذا النصّ عدّة أمور، أوّلها: أنّ النّسب يُعدّ من المقوّمات الموضوعيّة للمنافرات في الأدب العربيّ قبل الإسلام، إذْ يبنى الحكّام أحكامهم في الفصل بين المتنافِرَيْن في ما يدّعي كلٌّ منهما أنّه أثبت نَسبا وأكرم حَسَباً في الآباء والأجداد طلباً للسيادة والزعامة في القبيلة، وما شابه ذلك من الأمور التي كانت تدعو العرب للتنافر في ما بينهم. والثاني: تحيّز بعض حكّام المنافرات رغبة في التقرّب من قبيلةٍ على حساب قبيلةٍ أخرى. والثالث: أنّ أنساب بعض القبائل العربية لم تكن ثابتة قبل الإسلام، وأنه جرى تقييدها على وَفْق ما كان شائعاً عند الناس، ولعل خير دليل على ذلك ادّعاء الأقرع أنّ أنمار ابن نزار[٤]، ولو كان ذلك الادّعاء باطلاً لردّه ودَفَعه شخص آخر مِمَّنْ كان له علم بأنساب القبائل، كما يدلّ ذلك على أنّ علم الأنساب قبل الإسلام كان محصوراً بأيدي فئة قليلة من الناس.

وكان أبو بكر الصدّيق – رضي الله عنه – ذا مقام رفيع ومنزلة عالية في علم الأنساب[٥]*، ولا أدلّ على ذلك من استعانة حسّان بن ثابت الأنصاريّ بأبي بكر لعلمه بأنساب قريش، عندما أراد أن يهجو قريشاً، ولذلك عندما سمعت قريش هجاء حسّان قالت:* "**إنّ هذا الشَّتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة**"[٦]، ولم يكن أبو بكر الصدّيق عالماً بأنساب قريش وحسب، *بل كان* "**أنسب قريش لقريش،**

---

(١) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٤/١ .

(٢) انظر: خزانة الأدب، البغداديّ، ٢٥/٨–٢٨ .

(٣) النقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، ١٤٢/١.

(٤) أظنّ أنّ الذي حمل الأقرع بن حابس على الأدّعاء بأنّ أنمار ابن نزار، هو أنّ "أنماراً" مختلف فيه، إذْ الراجح أنّ ربيعة ومُضَر هما ابنا نزار: "فولدُ نِزار بن معدِّ بن عدنان: مُضر وربيعة، وإياد، وقيل: وأنمار ... إلا أنّ الصحيح المَحْض الذي لا شكّ فيه، أنّ قبائل مُضَر، وقبائل ربيعة ابنَي نِزار، ومَنْ تَناسل مِن إياد ومن عَكّ، فإنهم صُرَحاء ولد إسماعيل عليه السلام، ولا يصحّ ذلك لغيرهم البتَّة" (جَمْهَرة ابن حزم الأندلسيّ، ص: ١٠).

(٥) انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٨.

(٦) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٠٨/٤.

وأعلمهم بما كان منها من خير أو شرّ، وكان أنسب العرب، وأنسب هذه الأمّة"(١). ومرَّ بنا سابقاً أن بيت أبي بكر الصدّيق في الجاهليّة كان مقصداً للناس في طلب العلم والطعام.

وقد تَلْمذَ لأبي بكر الصّدّيق جيل من الصحابة أبرزهم حكيم بن حِزام، وجُبير بن مُطْعِم. ولأبي بكر الصدّيق خبر مشهور مع دَغْفَل النسّابة، نَقَله ابن عبد ربّه في كتابه العقد الفريد، وسنورده لاحقاً إن شاء الله.

ومِن النَسّابين المُعَمَّرين: حَكيم بن حِزام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ الأسديّ، وهو ابن أخي خديجة – رضي الله عنها – زوج النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، عاش مئة وعشرين سنة شطرها في الجاهليّة وشطرها في الإسلام(٢). *كان من أعيان قريش وسادتها في الجاهلية والإسلام، وهو من علماء قريش بأنسابها وأخبارها، وقد أخذ علمه في النسب عن أبي بكر الصدّيق*(٣).

ومنهم أيضاً: أبو الجَهْم بن حذيفة بن عامر، إذْ "**كان مِن مَشيخة قريش عالماً بالنَّسَب، وصَحِبَ النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، وكان مِن مُعمَّري قريش، بنَى في الكعبة مرّتين: مَرَّةً في الجاهليّة ومَرَّةً في الإسلام، حين بناها قريش وحين بناها ابن الزبير**"(٤). *وكان أحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب، وقد ظلّ أبو الجَهم مهتمّاً بالأنساب بعد إسلامه*(٥)*، إلاّ أنّ الجاحظ قال عنه:* "**وكان أبو الجَهم بن حذيفة العدويّ ناسباً شديد العارِضَة، كثير الذكر للأمّهات بالمثالب**"(٦)، ولعلّ هذا الخبر الأَخير عن أَبي الجَهم، أعني ذِكْرَ المثالب، هو ما دفع كثيراً من العلماء إلى ذمّ النسّابين.

والأَربعة الّذين كان يُؤخَذُ عنهم النَّسَب هم: مَخْرمَة بن نوفل بن وُهيب بن عبد مناف بن زهرة، وأبو الجَهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف، وحويطب بن عبد العُزّى، وعقيل بن أبي طالب(٧). *وكان عقيل بن أبي طالب أكثر الناس في قريش علماً بأنسابها وأيامها، وكان مِمّن يُتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب، ولكنّه كان أكثر الأربعة ذكراً لمثالب الناس وتعداداً لمساوئهم، ولذلك عادَوْه ورَمَوْه بالحمق والسَّفَه، وربّما قالوا فيه بالباطل، واختلقوا عليه كلاماً كثيراً مبالغاً*

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ١٤٧/٤. والبيان والتبيين، الجاحظ، ٣١٨/١.

(٢) انظر: الإصابة، ابن حجر، ٩٧/٢. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ٤٠٠/٢، ٤٠١.

(٣) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ٤٠١/٢. والإصابة، ابن حجر، ٩٨/٢. وسِيَر أعلام النبلاء، الذهبيّ، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، ٥١/٣.

(٤) كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، عُنِيَ بنشره لأوّل مرّة وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣م، ص: ٣٦٩.

(٥) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص: ٥.

(٦) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١. شديد العارضة: أي ذو جَلَد وصرامة وقدرة على الكلام (لسان العرب، ابن منظور: عَرَض).

(٧) انظر: البيان والتبيين، ٣٢٣/٢، ٣٢٤.

فيه[١]*. وقد روى هشام ابن الكلبيّ بسنده إلى ابن عبّاس –رضي الله عنه– قوله:* **"كان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم في المنافرات: عَقيل، ومَخْرَمَة، وحُويطب، وأبو الجَهم. وكان عقيل يعدّ المساوي، فمن كانت مساويه أكثر يُقِرُّ صاحبه عليه، ومن كانت محاسنه أكثر يقرّه**[٢] **على صاحبه"**[٣]*. وقال فيه الجاحظ:* **"وكان عقيل بن أبي طالب ناسباً عالماً بالأُمّهات، بيّن اللسان سديد الجواب، لا يقوم له أحد"**[٤].

وكانت قريش دون سائر العرب تزدري مَنْ يروي من النسّابين مثالب الناس ويقع في أعراضهم، وهم يقصدون بهذا الذمّ والازدراء أن يحطّوا منزلة راوي المثالب إذا شاعت له الأقوال السيئة في الناس، فتخرج بذلك قبيلته ممّا يلحق بها بانتسابه إليها[٥]، وكأنّ المثالب آفة من الآفات التي ينبغي على المشتغلين بعلم الأنساب أن يجتنبوها لما لها من آثار سيئة في مجتمع العرب. ويبدو أن هذه النظرة للمثالب قد استمرّت بعد الإسلام، *ونجد ذلك عند أحد أشهر المحدّثين وعلماء الأنساب في العصر الأمويّ وهو سعيد بن المسيّب، ويظهر هذا في الخبر الذي رواه الأصمعيّ عن يحيى بن طلحة، وقد جاء سعيد بن المسيّب يطلب منه أن يعلّمه النّسب، فقال له: "أنت رجل تريد أن تُسابَّ الناس"، ولكنّه عندما اطمأنّ إليه طلب منه أن يأتي ابنه محمّداً حتى يعطيه ما يحتاجه من علم بالنسب*[٦].

ومن النسّابين المعمَّرين أيضاً عُبَيْد بن شَرِيَّة الجُرهميّ، أحد معمّري العرب، وهو مِن النسّابين وأصحاب الأخبار[٧]*، ومن رؤساء النسّابين في القرن الأول الهجريّ، ومِنْ رُواة الجاهليّة وعلمائها، وقد انفرد برواية الأخبار المتقدمة وما يُسمّى بالعلم الأوّل، وكان قصّاصاً إخباريّاً، واختُلِفَ في أصله، ويرجّح أنّه كان يمنيّاً وجُرهُميّ النسب، واشتهر بمعرفة أنساب اليمن وأخبارها*[٨]*. أدرك النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، إلا أنّه لم يسمع منه شيئاً، ثم قدِم إلى معاوية، فسأله معاوية عن الأخبار المتقدّمة وملوك*

(١) انظر: البيان والتبيين، ٣٢٤/٢. ونَكْت الهِميان، الصفديّ، ص: ٢٠٠.

(٢) أظنّ أن الصّواب: يُنَفِّر، يُنَفِّره؛ لأنّهما جاءتا في سياق الحديث عن المنافرات.

(٣) الإصابة، ابن حجر، ٤٣٩/٤.

(٤) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١.

(٥) انظر تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٢/١.

(٦) انظر: الأنباه على قبائل الرّواة، ابن عبد البرّ، ص: ١٤. والبيان والتبيين، ٣٠٤/١.

(٧) انظر: كتاب المُعَمَّرين، السِّجِستانيّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص:٧٥. والمعارف، ابن قتيبة، حقّقه وقدّم له ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ص: ٥٣٤.

(٨) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١. ومروج الذهب في معرفة قبائل العرب، المسعوديّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٧م، ٨٥/٢. والفهرست، ابن النديم، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٩م، ص: ١٣٨. وتاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢١٤/١، ٣١١. ومجلة العرب/ النسّابون، جاسم الجبوريّ، ص: ٣٧٧.

العرب والعجم، وسبب اضطراب الألسنة وتفرّق الناس في البلاد، فأجابه عبيد عمّا سأل. فأمر معاوية أن يدوّن له كتاب وينسب إليه، وعاش عبيد بن شريّة إلى أيّام عبد الملك بن مروان(١).

ومن رؤساء النسّابين ومشاهيرهم قبيل الإسلام دَغْفَل النسّابة، ويعدّ أشهر نسّابي اليمن، وهو دغفل بن حنظلة السدوسيّ، أحد بني عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس نظيراً له في اللسان والعلم والحفظ(٢)، وكان أوسع زمانه رواية في أنساب العرب وأخبارها وعلومها في الجاهلية(٣). و"دَغْفل" لقب له واسمه الحجر بن الحارث الكنانيّ، وهو مخضرم، إذ عاش في أواخر العصر الجاهليّ وصدر الإسلام، وكان مِمّن أدرك النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، ولكنّه لم يسمع منه، ثم وَفد على معاوية، فاختبره معاوية وألفاه رجلاً عالماً، وطلب منه أن يعلّم ابنه "يزيد" علم النّسب والنجوم(٤).

وقد جَرَتْ بينه وبين أبي بكر الصدّيق محاورة طويلة في النسب، وكان دغفل حينئذٍ غلاماً قد نَبَتَ شَعْرُ وجهه، فسأل أبو بكر قوماً من ربيعة عن نَسبهم، وبينهم "دغفل"، فلمّا انتهى أبو بكر من محاورتهم، سأله دغفل عن نسبه، فأسْكَتَهُ(٥). وسنورد الخبر بتمامه في موضعه إن شاء الله تعالى.

ويُقَدَّمُ "دَغْفَل" على عُبَيد بن شَرِيّة في العلم بالأنساب؛ لأنّ عُبَيْداً غلب عليه رواية الأخبار، بينما غلب على دغفل رواية الأنساب، ولذلك اشتهر بـ "دغفل النسّابة".

ثانيًا: تطوُّر علم الأَنساب في صدر الإسلام:

عاش العرب قبل الإسلام في صورة قبائل متناثرة غير موحَّدة لم يربط بينها إلاّ النسب، ولم تعرف فكرة الأمّة(٦)، ولذلك عندما جاء الإسلام ذَكَّرهم ربّ العزّة، بما كانوا عليه من ضعف وتشرذم بقوله تعالى: (إذْ كنتم أعداءً فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)(٧). وقد جعل الإسلام التقوى أَساس التفاضل بين الناس، وليس الأَنساب والأَعراق(٨)، فقال تعالى: (يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(٩)، وأكّد الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – ذلك بقوله: **"ألا لا فَضْل لِعربيّ على عَجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على**

---

(١) انظر: الفهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨.

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١. ودراسة مريم الدرع لكتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، ص: ١١٦.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١١/١، ٣١٢.

(٤) انظر: الفهرست، ابن النديم، ص:١٣٧. وكتاب المُحَبَّر، ابن حبيب البغداديّ، ص: ٤٧٨. ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٩.

(٥) انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٤٥٢/٢. ونهاية الأرب، القلقشنديّ، ص: ٨، ٩.

(٦) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٨.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٨) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٦٩.

(٩) سورة الحجرات، الآية ١٣.

أسود، ولا لأسود على أحمر إلّا بالتقوى"(١). *ومع ذلك ظلّت العصبيّة القبليّة في نفوس العرب خَصماً عنيداً لأفكار الدين الجديد التي تدعو إلى نبذ العصبيّة والحميّة الجاهليّة، إذ حضّ النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – على تركها عادّاً إيّاها دعوى الجاهليّة بقوله:* "**دعوها فإنّها مُنْتِنَة**"(٢)، *وحذّر المسلمين في خطبة حجة الوداع من الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام من جهل وظلم وعدوان:* "**فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**"(٣).

وقد ظلّت نزعة التفاخر بالأنساب والزعامة على أساسه مسيطرة على العرب حتى بعد مجيء الإسلام، فتفاخروا بقبائلهم وعشائرهم ليس الأحياء منهم فقط، بل الأموات أيضاً، ونجد شاهداً على ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ***أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)*** ﴾(٤)، *وقد جاء في تفسير هاتين الآيتين قول قَتادة في التكاثر: أي التفاخر بالقبائل والعشائر، وقال ابن عبّاس ومُقاتِل والكلبيّ في سبب نزول السورة:* "**نزلت في حيّين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادَوْا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام، فقال كلّ حيّ منهم: نحن أكثر سيّدا وأعزّ عزيزا، وأعظم نفيرا، وأكثر عائِذاً، فكثَرَ بنو عبد مناف سَهْماً، ثم تكاثروا بالأموات، فكَثَرتهم سَهْم، فنزلت (أَلْهاكم التَّكاثُرُ) بأحيائكم فلم ترضَوْا (حتَّى زُرْتُم المَقَابِرَ) مفتخرين بالأموات**"(٥). وهكذا ظلَّ الفخر بالأنساب في نفوس العرب قائماً كما كان قبل الإسلام.

سعى الإسلام إلى إزالة الفوارق القبليّة والعرقيّة والنسبيّة بين الناس، وقد عَبَّر عن الأثر العظيم الذي أحدثه الإسلام في نفوس العرب مقولة جعفر بن أبي طالب عندما هاجر مع المسلمين إلى الحبشة بقوله: "**أيّها الملك، كنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف؛ فكنّا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصِدقه وأمانته وعفافَه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن**

---

(١) مُسند الإمام أحمد بن حنبل (حديث رقم ٢٣٤٨٩)، ٤٧٤/٣٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة (ح ٢٥٨٤)، المجلد الثامن، ١٤٠/١٦. جاء في هذا الحديث أنّ رجلاً من المهاجرين كَسَعَ رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا لَلأنصار! وقال المهاجريّ: ياللَمهاجرين! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: "ما بال دعوى الجاهليّة؟" قال: يا رسول الله! كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، قال: "دعوها، فإنّها مُنْتِنَة". (كَسَع أحدهما الآخر: أي ضَرب دُبْرَه وعجيزته بيدٍ أو رِجْلٍ أو سيف وغيره) صحيح مسلم، ١٤٠/١٦: الحاشية.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحجّ (ح ١٦٥٤)، ٦٢٠/٢.

(٤) سورة التكاثر، الآيتان: ١، ٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبيّ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ٤٤٨/٢٢، ٤٤٩.

الجِوار، والكَفّ عن المحارم والدّماء ..."[١]. *إلاّ أنّ الإسلام لم يتمكّن من استئصال النزعة القبليّة والعصبيّة من نفوس العرب جميعاً، وكيف يفعل ذلك وقد جَرت بأجسامهم مجرى الدم من العروق! فقد ظلّ النظام القبليّ موجوداً في العصر الإسلاميّ ضمن نطاق ا لدولة الإسلاميّة، فبقيت رابطة الولاء وحقّ الإجارة، ويمكن أن نلمس آثار النزعة القائمة على التعصّب للنسب والتفاخر على أساسه من خلال الأحداث المهمّة التي مرّت بها الأمة العربيّة بعد الإسلام؛ وأهمّها الصّراع الّذي وقع بين المهاجرين والأنصار حول مشكلة مَنْ هو أَحقّ بخلافة النّبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – بعد وفاته، وما دار مِن جدال في سقيفة بني ساعِدَة بين الفريقين*[٢].

ونلمح أثر ذلك الصراع أيضاً في حروب الردّة التي حدثت في مستهل خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، إذ رجّح الطبريّ أن يكون أحد أهمّ أسبابها إحساس قبائل العرب بتسلّط قبيلة قريش عليها، فامتنعت عن دفع الزكاة. وكذلك كانت نزعة النسب والتعصّب للقرابة وراء إشعال نار الفتنة أيام الخليفة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، إذ اتُّهِمَ بتقريب أهله وعُصبته ومنحهم المناصب العليا، ليس حسب الكفاية، بل على أساس القرابة والنسب[٣]، *وكان ذلك أحد الأسباب التي أدّت إلى قتله مما دفع قريبه معاوية بن أبي سفيان – وكان والي الشام آنذاك – إلى المطالبة بالثأر لدمه، وذلك أحيا النزاع الجاهليّ بين بني أميّة وبني هاشم، واشتدّ أجيج الصراع بين القحطانيّة والعدنانيّة في شكل حروب بين فروع هذين الجِذْمَين؛ بين الأَزْد وتميم في العراق، وبين كلب وقيس في الشام، وكان من أبرز أدوات هذا الصراع التفاخر بالأنساب وأحقيّة السيادة على أساسه، وزاد ذلك أهميّة النسّابين وعظمت مكانتهم وأَصبحت الحاجة لهم ماسّة لحفظ الأنساب*[٤].

بدأت فكرة الأمّة تتشكّل في أذهان العرب قبيل مجيء الإسلام، ولعلّ إحساسهم بالشّعور القوميّ بدأ منذ وقعة ذي قار، وقد عبّر عن ذلك الشّعور القوميّ الأَعشى بقوله[٥]:

لــو أنّ كــلّ مَعَــدٍّ كــان شــارَكَنا في يوم ذي قارٍ ما أخطاهمُ الشَّرَفُ

ومع ذلك لم يكن ذلك التطوُّر الجديد الذي أصاب العرب كفيلاً بالقضاء على الموروث الفكريّ الجاهلي كلّه، بل ظلّت بذور العصبيّة موجودة في أعماق نفوسهم، وسَرعان ما كانت تثور وتضطرم كُلَّما دعا إلى ذلك داعٍ، والدليل على ذلك أنَّ التفاخر بالآباء والأجداد والتغّني بالأمجاد والآثار القبليّة

---

(١) السيرة النبويّة، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقّا وآخرين، دار إحياء التراث العربيّ، القاهرة، بيروت، ١٩٣٦م، ٣٥٩/١.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣٠٠/٢، ٣٠١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ٢٥٦/٤، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٢.

(٤) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٧٢.

(٥) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص: ٣٦١.

ظلّ موجوداً بعد الإسلام؛ إذْ حرص أشراف القبائل على تقريب الشعراء وإكرامهم لينوّهوا بذكرهم، ويشيدوا بمناقب عشائرهم وبطونهم، وما خبر الحطيئة مع بَغيض بن عامر والزِّبرِقان بن بدر إلَّا مثال حيٌّ لاستمرار الروح الجاهليّة في العصر الإسلاميّ(١).

ومن شواهد شعر صدر الإسلام على الفخر بالأنساب أبيات حسّان بن ثابت الأنصاريّ التي يتغنّى فيها بأمجاد أصول قومه التي تطاول كواكب السماء ونجومها، ويشيد بمآثر آبائه وأجداده، ومكارمهم في الجاهليّة، وهم الملوك أبناء الملوك، ويذكر أيضاً فضل قومه في نُصرة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – يقول(٢):

ألم ترَنا أولادَ عَمرِو بن عامرٍ ... لنا شَرَفٌ يعلو على كلّ مرتقي
رَسَا في قرار الأرض ثم سَمَت له ... فُروعٌ تُسامي كُلَّ نَجْمٍ مُحَلِّقِ
ملوكٌ وأبناء الملوكِ كأنَّنا ... سَوَاري نُجومٍ طالِعاتٍ بمَشرِقِ
إذا غابَ منها كوكبٌ لاحَ بعدَهُ ... شهابٌ متى ما يَبْدُ للأرض تُشرِقِ
لِكُلّ نجيبٍ مُنْجِبٍ زَخَرَتْ بهِ ... مُهذَّبةٌ أعْرَاقُها لم تُرَهَّقِ
كجَفْنَةَ والقَمْقَامِ عمرِو بن عامرٍ ... وَأوْلادِ ماء المُزْن وابنَيْ مُحرِّقِ
وحارثةَ الغِطْرِيفِ أو كابْنِ مُنذرٍ ... وَمِثلِ أبي قابوسَ رَبّ الخَوَرْنَقِ
أتانا رسول الله لمّا تجهَّمتْ ... له الأرضُ يرميه بها كلُّ مُوفِقِ

آ- الفتوحات الإسلاميّة وتأثيرها في تطوُّر علم الأنساب:

يُعدُّ عصر الفتوحات الإسلاميّة بداية تحوّل كبير طرأ على وضع العرب اجتماعيّاً واقتصادياً وسياسيّاً، ويمثّل بداية انطلاقة جديدة لعلم الأنساب عند العرب، وكان لاجتماع الجوانب الثلاثة

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١١٦/٢-١٢٠ وما بعدها.

(٢) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، ص: ٢٨٦-٢٨٨.

عمرو بن عامر: هو مُزَيْقِيَاء بن عامر بن ماء السماء. زَخَرَتْ به: هو من قولهم: فلان زاخر أي كريم ملآن من الشرف. مُهذَّبة أعراقها: أي النقيّة الخالصة من العيوب. أعراقها: أصولها. لم تُرهَّق: لم تُدنَّس. جَفْنَة: هو ابن عمرو أول ملوك الغسّانيّين. القَمْقَام: السيّد الكثير الخير الواسع الفضل، وأراد بأولاد ماء السماء، وهو لقب عمرو مُزَيْقيَاء؛ لأنّه كان يَمُون قومه في الجدب. محرِّق: لقب الحارث بن عمرو من آل جفنة لُقِّب به لأنّه أول من أحرق العرب في ديارهم. حارثة الغِطريف: هو أبو عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة. ابن منذر: عمرو بن هند من المناذرة ملوك الحيرة. أبو قابوس: النعمان بن المنذر. الخَوَرنَق: قصره. تجهّمت: تنكَّرت. (شرح ديوان حسَّان، ص: ٢٨٦-٢٨٨: الحواشي). المُوفِق، مِنْ أَوْفَقَ السهم: وضَعَ الفُوق في الوتر ليرمي، والفُوق من السّهم موضع الوتر (لسان العرب، وَفَقَ، فَوَقَ).

الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ أثر كبير في إثراء علم النسب وتطوّره، ومَنحه اتجاهات وسمات جديدة.

وكان أهم عامل أثّر في هذه الجوانب الثلاثة: عصبيّة النَّسَب؛ ففي الجانب الاجتماعيّ نَمَا الشعور القوميّ لدى العربيّ، وغَدا التعصّب لقوميّته مِن أَبرز سماته، فتحدَّدَت معالم هوّيته، وأَصبح يعتّز بانتمائه إليها ويفاخر بها. وعَظُم ذلك الشعور لديه عندما حَقَّق المسلمون أعظم انتصار على أَضخم دولتين كانتا في ذلك العصر هما الفرس والروم، وعبَّر عنه أحد الشعراء بقوله:

إنّــا مِــن النَّفَــر الّــذين جِيادُهُــمْ طَلَعَــتْ علــى عــادٍ بــريحٍ صَرْصَــرِ

وسَــلَبْنَ تــاجَيْ مُلْــكِ قَيْصَــرَ بالقَنَــا واجتَــزْنَ بــابَ الــدَّرْبِ لابــن الأَصــفَرِ

ولكنّ هذه النزعة القوميّة التي سيطرت على العرب المسلمين لم تَستأْصِل من نفوسهم تعصّبهم لقبائلهم وأنسابهم ولم تحلّ محلّه، بل سارت النزعتان القبليّة والقوميّة جَنباً إلى جنب في حياتهم(١). وليس غريباً أن يتحوّل شاعر مثل حسّان بن ثابت من فخره بنسب قبيلته الأَزْد قبل الإسلام إلى فخره بالأنصار على قريش بعد الإسلام(٢)، فقومه الأنصار هم الذين نصروا الإسلام ونبيّ الإسلام محمّداً – صَلَّى الله عليه وسلّم – بعد أن خذله أهله وعشيرته(٣):

وكُنّــا ملــوكَ النــاس قبــل مُحّمــدٍ فلمّا أَتـى الإسـلامُ كـان لنـا الفَضـلُ

وأَكْرمَنَــا اللهُ الّــذي لــيس غيــره إلٰــهٌ بأيّــامٍ مَضَــتْ مــا لهــا شَــكْلُ

بنصــر الإلــهِ للنبــيّ ودِينــهِ وأكْرَمَنـا باسـمٍ مضـى مـا لـه مِثْـلُ

أولئــك قــومي خيــرُ قــومٍ بأسْرِهِــمْ وليــس علــى معــروفهمْ أبــداً قُفْــلُ

وهكذا نجد أنّ حركة الفتوحات الإسلاميّة أدّت إلى استقرار قبائل العرب جنباً إلى جنب في الأمصار والحواضر الجديدة، ثم احتكّت القبائل بعضها ببعض، وأدّى هذا الاحتكاك إلى إثارة الروح القبليّة والعصبيّات كافّةً خاصّةً النسبيّة منها؛ فبدأت القبائل تتّحد في الأمصار في صورة كتل قبلية ضخمة تدعى "الجماهير"، وتحلّ محلّ الوحدات القبليّة التي كانت في الجاهليّة، ثم انضوت بطون القبائل – بدافع من الحرص على توازن القوى – تحت لواء قبليّ واحد سواءً عن طريق رابطة النسب

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ١/٢٢-٢٤.

بنو الأصفر: الروم. قال ابن سِيده: لا أدري لما سُمّوا بذلك (ضحى الإسلام، ١/٢٤: الحاشية). وانظر: دراسة مريم الدرع لكتاب النّسب، ص: ٧٢، ٧٣.

(٢) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ١/٤٩١.

(٣) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، ص: ٣٢٨.

يقصد بالفضل إيواء النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم. ما لها شَكْل: ما لها مِثْل.

أو الحلف؛ فقبائل الرِّباب وضَبّة ومُزَيْنَة مثلاً أصبحت تتبع كتلة تميم، ثم اتّسع نطاق هذا التكتّل القبليّ بظهور اليمانيّة والنزاريّة ظهوراً واضحاً(١).

أمّا في الجانب الاقتصاديّ فنجد أنّ حركة الفتوحات الإسلاميّة أعقبها اتّساع أراضي الدولة الإسلاميّة، إذْ كَثُرت المغانم والموارد، فدعت الحاجة إلى تنظيم أمور المسلمين ماديّاً من أجل تعبئة الصفوف وتجنيد المحاربين حتى يكونوا مستعدّين لتلبية داعي الجهاد في أيّ وقت على أنْ يُفرض لهم عطاء من بيت مال المسلمين(٢)، ولذلك اقتضت الضرورة المُلِحّة البحث عن نظام جديد يكفل للمسلمين عدالةً في توزيع الموارد والأموال ووضع أصولٍ لضبطها وصرفها، وذلك هو ديوان العطاء الذي أنشأه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه(٣)، وكان من أهم وظائف ذلك الديوان: "**القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدَّخْل والخَرْج، وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في إبّاناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتّبها قَومَة تلك الأعمال وقَهارِمة الدولة، وهي كلّها مَسْطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدَّخْل والخرج مبنيٍّ على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلاّ المَهَرة من أهل تلك الأعمال؛ ويسمّى ذلك الكتاب بالديوان**"(٤). *وقد اعتمد الخليفة عمر في إنشاء الديوان على ركن مهمّ هو النسب، وأفاد التسجيل الذي قام به في تطوّر علم النسب عند العرب إفادة كبيرة، وكان لذلك التصنيف الذي اتّبعه الديوان في تقسيم الناس حسب أصولهم وقبائلهم القوّة الفعّالة التي حَفَّزت النسّابين لتدوين الأنساب وتصنيف القبائل حسب أصولها، واتّباعهم للترتيب الذي أُنشئ على أساسه ديوان العطاء، مِمّا أسهمَ ذلك في تثبيت أنساب العرب في صدر الإسلام، وقلّل إلى حدّ كبير من الاضطراب والارتباك اللَّذيْن كانا يقعان في النسب بسبب الاختلاط. وأسهمَ أيضاً اشتداد حرص القبائل على تدوين أنسابها في جرائد والقيام بحفظها والتفاخر بها على أساس الترتيب المُتَّبَع، أسهمَ بطريق غير مباشر في بروز العصبيّات بشكل واضح، ورَسْم معالم الأصول القبليّة ضمن أقوى رابطتين هما العدنانيّة والقحطانيّة أو النزاريّة واليمانيّة(٥).*

وكان للعامل السياسيّ تأثير مباشر في تحديد إطار علم النسب وظهوره في ساحة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، مكوّناً بذلك أحد روافدها الثقافيّة، إلاّ أنّه يُستحسن أن نرجئ الحديث عنه عندما نَتناول تطوّر علم الأنساب في العصر الأمويّ.

---

(١) انظر: العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النصّ، ص: ١٩٠، ١٩١.

(٢) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٧٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٤) تاريخ ابن خلدون، المقدّمة، ٢٥٥/١، ٢٥٦.

إبّاناتها: إبّان كلّ شيء: وقته وحينه الذي يكون فيه (لسان العرب: أَبَنَ). قَهارِمَة: جمع قَهْرَمان، لفظ فارسيّ معرّب، وهو كالخازن والوكيل الحافظ لِمَا تحت يديه (لسان العرب: قَهْرَمَ).

(٥) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٧٦. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٧٣/١.

ب- عمر بن الخطّاب وجهوده في تطوّر علم النسب:

سبق أن ذكرنا أنّ عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – هو الذي أنشأ ديوان العطاء أو الجُند، وأنّه أمر وَفْقاً لذلك بتسجيل الأنساب وترتيب القبائل، فبَدأ بعدنان وقدّم منها مضر على ربيعة، إذ النبوّة فيهم، وراعى في ذلك القرابة من النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – من بني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب، ثمّ انتقل إلى مَنْ يليهم في النسب حتى فَرغ مِن قريش، ثُمَّ انتقل إلى مَنْ يليهم في النسب حتى فَرغ من عدنان كلّها. ثُمَّ انتقلَ بعد ذلك إلى قحطان وقبائلها وهكذا، وقد أصبح هذا الديوان أساساً اعتمدت عليه كتب الأنساب التي أُلِّفَتْ في ما بعد.

وراعى عمر بن الخطّاب في فرض الأُعطيات للناس القرابة من النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، ورفض أن يبدأ بنفسه وقومه، فبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم- إذ فَرض للعبّاس ثم عليّ – رضي الله عنهما- حتى تابع بين خمس قبائل حتى انتهى إلى قومه بني عديّ بن كعب[١].

ويُعدّ ابن الخطّاب أوّل من سجّل الديوان، وكتب الناس على قبائلهم، وفرض لهم أعطياتهم من الفيء، واختصّ أهل بدر وفضّلهم على غيرهم، وجعل ذلك وَفْق أقدارهم وتقدّمهم في الإسلام[٢]*، وفي ذلك يقول الماورديّ:* "**كان الديوان موضوعاً على دعوة العرب في ترتيب الناس فيه معتبراً بالنسب وتفضيل العطاء معتبراً بالسابقة في الإسلام وحُسن الأثر في الدين، ثمّ روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقديم في الشجاعة والبلاء في الجهاد، فهذا حكم ديوان الجيش في ابتداء وضعه على الدعوة العربيّة والترتيب الشرعيّ**"[٣]*، واستعان في إنشاء الديوان وتنظيمه بعدد كبير من كبار النسّابين مِمَّنْ كان لهم علم بالنسب في تدوين أسماء القبائل وتحديد مقدار أُعطيات الجند، فاعتمد على عقيل بن أبي طالب، ومَخرمَة بن نوفل، وجُبَيْر بن مُطْعِم، وكانوا من نَسّابي قريش، فأمرهم بأن يكتبوا الناس على منازلهم، ففعلوا كما أمرهم، وبدأوا ببني هاشم، ثم أَتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه*[٤]*،* "**فلما نظر إليه عمر قال: وَدِدْتُ واللهِ أنّه هكذا، ولكنْ ابدأوا بقرابة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – الأقرب فالأقرب حتّى تضعوا عُمَر حيث وَضَعه الله**"[٥].

---

(١) انظر: كتاب الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاريّ، دراسة وتحقيق محمد المناصير، تقديم عبد العزيز الدوريّ، دار كنوز المعرفة العلميّة، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص: ٢٠٨.

(٢) انظر: كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٦٣/٣.

(٣) الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، الماورديّ، دراسة وتحقيق محمد جاسم الحَديثيّ، منشورات المجمع العلميّ، بغداد، ٢٠٠١م، ص: ٥٢٦.

(٤) انظر: كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٧٥/٣. وفتوح البلدان، البلاذريّ، ص: ٤٣٦.

(٥) كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٧٥/٣.

ويُذكر أنّ الّذي أشار عليهم بتسجيل الأنساب في الدّواوين كان الوليد بن هشام بن المغيرة لَمَّا رأى أعمال الروم في تسجيل العطاء في بلاد الشام(١)، وعندما أمر الخليفة عمر –رضي الله عنه– رجاله ببناء الأمصار بعد نجاح جيوش الفتح العربي الإسلاميّ في تحرير كُلٍّ من العراق والشام ومصر، سارع قادة الفتح إلى اختيار مواضع مناسبة لتشكيل قواعد للجند، وأماكن تقيم فيها أُسَرُهم وذَووهم، فاعتمد هؤلاء القادة لإسكان الناس في هذه الأمصار أُسُساً وقواعد محدّدة وثابتة، فقاموا بإسكانهم حسب قبائلهم وصلة النسب بينهم مراعين في ذلك الأماكن التي جاؤوا منها(٢). وهذا يدلّ على أن فكرة الديوان لم تكن بِدْعاً من العرب المسلمين، بل استفادوا من تجارب الأمم الأخرى التي كان لها فضل السبق في تنظيم أمور الدولة.

ولم يقتصر ديوان العطاء في تدوين الأنساب على تسجيل أنساب القبائل وحدها، بل استوعب أنساب أهل القرى المستقرّة، كأنساب سكّان أهل مكّة والمدينة والطائف وغيرها، إذ كانوا متمسّكين بالنظام القبليّ القائم على عصبيّة النسب للآباء والأجداد، شأنهم في ذلك شأن القبائل الأعرابيّة(٣)، كما لم يقتصر تسجيل الأنساب على أبناء القبائل الصُّرَحاء، بل شمل أيضاً حلفاء القبائل ومواليها؛ فمثلاً نجد أنّ "بني جَعْوَنَة" كانوا حلفاء للعبّاس بن عبد المطّلب، ففرض لهم ابن الخطّاب مع العبّاس، وكان لهم نصيب من العطاء(٤)، وكذلك الموالي الذين لم يضمّهم النسب كانوا يُسجَّلون في دواوين القبائل التي يوالونها، وإن شاؤوا أُلحقوا بدواوين القبائل التي يختارونها(٥)، وهكذا نجد أن ديوان العطاء كان شِبْهَ مظلّة كبيرة شملت جميع فئات الناس.

والآن يحقّ لنا أن نتساءل: أين ذهبت تلك الصحف والسجلات التي دُوّنت فيها الأنساب في صدر الإسلام؟ وما الأثر الذي يمكن أن نلمسه لديوان العطاء عند نسّابي العصرين الأمويّ والعبّاسيّ؟

الراجح أنّ أصول الجرائد التي دُوِّنَتْ عليها الأنساب في ديوان العطاء قد ضاعت، ولم يَبْقَ منها شيء، ويظهر أنّ الإخباريّين لم ينقلوا إلينا صورها، بل أخذوا الأسس التي قام عليها تسجيل الأنساب، ويظهر أنّ في إشاراتهم إلى تلك القواعد والأسس التي اتّبعها الخليفة عمر بن الخطّاب في اتخاذ القرابة من الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – والوضع القائم للقبائل، فائدة عظيمة تشير إلى الشكل الذي كانت عليه أنساب العرب في صدر الإسلام(٦).

---

(١) انظر: فتوح البلدان، البلاذريّ، ص: ٤٣٦. وتاريخ الطبري، ٢٠٩/٤، ٢١٠.

(٢) انظر: مجلّة العرب/ النسّابون وأثرهم في تدوين التاريخ العربيّ الإسلاميّ، جاسم الجبوريّ، ص: ٣٧١.

(٣) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٧١/١.

(٤) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، مؤرِّج السدوسيّ، تحقيق صلاح الدين المُنْجِد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م، ص: ٢٩. "بنو جَعْوَنة بن شَعُوب" من بني ليث بن بكر.

(٥) انظر: فتوح البلدان، البلاذريّ، ص: ٤٤٤ .

(٦) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٧١/١.

ولا تقتصر أهمّيّة ديوان العطاء على عصر صدر الإسلام، بل نجد أثره بعد ذلك في العصرين الأمويّ والعباسيّ، ويتّضح ذلك من خلال بعض النصوص التاريخيّة، فقد ورد أنّ قُتَيْبة بن مسلم الباهليّ لَمَّا وُلّي خُراسان في أيّام خلافة سليمان بن عبد الملك، خاطب قبائلها قائلاً: "**أيّها الناس، إنّكم قد علمتم أنّي وُلّيت أموركم، فَضَمَمْتُ الأخ إلى أخيه، والابن إلى أبيه، وقَسمتْ فَيئكم ووَفَّرْتُ عليكم أُعْطِياتكم**"(١)، وبهذا يتّضح أن ولاة أمور المسلمين في العصر الأمويّ ظلوا يسيرون على النهج الذي اختطّه لهم عمر بن الخطّاب في العطاء، وأنّ ديوان العطاء بات سِجلاً وافياً للنسب حُفِظَتْ فيه أنساب العرب.

ولكنّنا مع تسليمنا بقيمة ذلك الديوان، نجد أنّه لم يَسْلَمْ من عبث بعض العابثين في تنظيم توزيع العطاء في المدينة، إذْ ذكر مصعب الزُّبيريّ، وهو من نسّابي العصر العباسيّ معلومات قيّمة عن تلاعب بعض العُرَفاء بعطاء الموتى والغائبين وفَرْض عطاء لأعداد جديدة من أهل المدينة في الديوان، وهي معلومات أفادت في معرفة التطوّرات التي أصابت ديوان المدينة في العصر الأمويّ(٢).

وتظهر أيضاً قيمة ديوان العطاء في اعتماد بعض الكتب المتأخّرة في الأنساب والتراجم على الديوان في معرفة أنساب تراجمها وضبط أسمائها، وكذلك في التحرّي عن أصول بعض الأعلام الواردة فيها، ومعرفة أمكنة إقامة بعضهم والتمييز بين الأسماء المتشابهة(٣)، إذْ يقول سفيان بن العلاء: "**كُنَّا بالكوفة مع محمّد بن سليمان، فسأل عن إبراهيم النَّخَعيّ، أعربيٌّ هو أو مَوْلَى؟ فاختلفوا عليه فيه، فأرسل إلى عرفاء النَّخَع، فأتَوْه بديوانهم فوجدوه بالديوان مولى**"(٤)، وهذا يؤيّد ما ذكرناه سابقاً من تسجيل الحُلَفاء والموالي في ديوان القبائل التي يوالونها.

وذكر ابن حجر العسقلانيّ أنّه اختُلِف في ترجمة رجلين كلاهما يدعى أبا فراس الأسلميّ؛ أحدهما اسمه رَبيعة بن كعب وهو من خُدّام النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، والآخر لم يُعرف اسمه: "**الأقوى أنّهما اثنان، لأنّ أبا فراس عِداده في أهل البصرة، وربيعة بن كعب عِداده في أهل المدينة**"(٥). فلَوْلا الدّقة في تقييد أسماء الأشخاص وتحديد أماكن سُكناهم وَفْق خطّة ديوان العطاء لوَقَع الخلط بين الشخصين، ولَظُنّ أنّهما شخص واحد.

وثمّة أمر آخر تنبغي الإشارة إليه في تسجيل أنساب القبائل، وذلك أنّ الصراعات والنزاعات القبليّة بين القحطانيّين والعدنانيّين أو اليمانيّين والنزاريّين في اصطلاح أهل النسب، ألقت بظلالها

---

(١) الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفيّ، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ١٤٢/٣.

(٢) انظر: كتاب نسب قريش، مصعب الزبيريّ، ص: ١٥٤، ١٥٥. والعطاء في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، إعداد هاني حسين أحمد سعد، ص: ١٥، ١٦.

(٣) انظر: العطاء في صدر الإسلام، إعداد هاني حسين أحمد سعد، ص: ٨٨، ٨٩.

(٤) انظر: كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ١٢٩/٤ .

(٥) الإصابة في تمييز الصَّحابة، ابن حجر، ٢٦٦/٧.

وأثّرت تأثيراً خطيراً في وضع الأنساب، وذلك لأنّ تدوين الأنساب وتثبيتها في الكتب والقراطيس بُدِئَ به في ظلّ تلك الصراعات والنزاعات، ليس في صدر الإسلام وحسب، بل أنساب قبائل العرب في الجاهليّة أيضاً، إذ سُجّلت الأنساب وثُبّتَتْ أكانت إسلاميّة أم جاهليّة حسب الرأي الشائع في النسب يوم شُرِع في تسجيل الأنساب وتدوينها. ويزيد الأمر خطورة إذا عَرفنا أنّ بعض مَنْ قام بتسجيل الأنساب وترتيبها ثمّ تثبيتها في الكتب كانوا من أصحاب العصبيّة لليمانيّة أو النزاريّة، ومتأثّرين بالأوضاع السياسيّة التي عاشوها، فنجد في أقوال بعضهم انحيازاً وميلاً واضحاً إلى فريق ضِدّ فريق، وذلك ما أحدث اضطراباً في أنساب بعض القبائل وأصولها، ومن هنا كان لا بدّ من التنبُّه لهذه العصبيّات والنزاعات القبليّة، وأخذ الحِيطة والحذر عند دراسة النزاع القحطانيّ العدنانيّ(١).

ج- أبرز النسّابين في صدر الإسلام:

استمرّت رواية العرب في الإسلام للشعر والأخبار والأنساب والأيّام على مثل عادتهم في الجاهليّة، وكانت وسيلة تلك الرواية السماع والحفظ، غير أنّ كلّ ما حفظه العرب وتناقلوه لم يصل إلينا مُدوَّناً، لأنّ أغلبهم لم يكونوا أصحاب كتب، فكانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من بعض، ولذلك حُفِظ الاختلاف في ما حفظوه، ولم يكن أيضاً في ذلك المحفوظ إسناد، ولعلّ سبب ذلك أنّه لا يتّصل بأمر من أمور الدين والعقيدة، إذْ عَدُّوه أدباً ونافلة وباباً من أبواب التطوّع، وقد مضى عهد الخلافة الراشدة دون أن تدوّن قصيدة أو خبر من أخبار العرب(٢).

وإذا كان الجاحظ وغيره من العلماء ذكروا أنّ بعض مشاهير النسّابين قد ألّف كتباً في الأنساب قُبيل الإسلام أو وقت ظهوره مثل: عُبَيْد بن شَرِيّة الجُرهميّ، ودَغْفَل النسّابة، وصُحَار العَبديّ، والنَخّار العُذْريّ، وابن لسان الحُمَّرة وغيرهم(٣)، فإن ذلك لا يدفعني أن أتجاسر فأقول إنّ عصري الجاهليّة وصدر الإسلام شهدا تدويناً حقيقيّاً للأنساب، *وإنّما كانوا* "**يَروونَ مِن حِفظهم، أو مِن صُحفٍ غير مرتّبة؛ فَسَهُل ولله الحمد تناول العلم، فأخذ الحفظ يتناقص**"(٤).

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٤٩٤/١.

(٢) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، النُّويري، ٣٢٤/٢. وتاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٢٢/١-٢٢٣.

(٣) انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، ٢٠٩/٣-٢١٠. وعلم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنثَال، ترجمة صالح أحمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص:٣٣-٣٤. وتاريخ التراث العربيّ، فؤاد سزكين، نقله إلى العربيّة محمود فهمي حجازي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩١م، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص: ١٢.

(٤) النّجوم الزاهرة، ابن تغري بَرْدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٤٤٤/١-٤٤٥، وتاريخ الخلفاء، السيوطيّ، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م، ص: ٣١٠.

ويبدو أنّ ما تعرَّضت له المُدوَّنات من الضياع في تلك الحِقبة الإسلاميّة المبكّرة قد أَسْهَمَ في جعل صورة التدوين الأولى عند العرب غير واضحة المعالم، لكنّنا نجدها ثابتة في الأصول التي وصلت إلينا، فهي تحوي العديد من النصوص المنقولة عن أولئك المدوّنين الأوائل، ولكنّ ذلك ظلّ في نطاق ضيّق ومحدود(١)، ولأنّه لم يصل إلينا شيء من تلك الكتب التي أُلِّفَتْ غير ما ذكرنا من تدوين ديوان العطاء أو الجُنْد الذي ضاعت سجلاّته أيضاً، فقد دفعني ذلك إلى التسليم بأنّ مرحلة رواية الأنساب في صدر الإسلام ظلّت مرحلة شفهيّة، وأنّها استمرار للمرحلة الجاهليّة السابقة.

وقد برز في صدر الإسلام نَفَرٌ من كِبار النسّابين الذين كانوا يَتّكئون على ذاكرتهم قبل تدوين الأنساب، مِنهم مَنْ أجاد في حفظ نسب قبيلته، ومنهم مَنْ أجادَ في حفظ مجموعة من قبائل العرب؛ فمنهم مِن جيل الصحابة أبو الجَهْم بن حُذَيفة بن غانم العدويّ، إذ كان أحد أربعة كانت قريش ترجع إليهم في علم النسب، وهو من العلماء بالأنساب والأخبار ورواية الأشعار(٢). *وقد استمرّ اهتمام أبي الجَهم بالأنساب بعد إسلامه، ويُشهد له ولأبي بكر الصدّيق – رضي الله عنهما– تمكّنهما من العلم بجميع أنساب العرب إلى جانب علمهما بأنساب قريش*(٣).

وكان أبو الجهم كثير التعرّض للأمّهات بالمثالب، شديد العارِضة، أي أن لسانه سليط ولا يُبَارَى في قدرة الكلام، وذلك ما دفع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أن يمنعه ويكفّ لسانه حتى لا يؤذي أحداً(٤)، *إلا أنّ عقيل بن أبي طالب كان يفوقه ويفوق غيره في ذكر المثالب، وكان ذلك سبب بغض الناس له وسخطهم عليه.*

وعقيل بن أبي طالب من نسّابي قريش وأخباريّيهم ورُواتهم للأشعار، وكان أحد الثلاثة الذين استعان بهم عمر بن الخطّاب عندما أسس ديوان العطاء أو الجند الذي يعد بحقّ أول ديوان للأنساب عند العرب(٥). "**وكان لِعَقيل طُنْفُسَة تُطرح في مسجد رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – يصلّي عليها ويُجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب، وكان أسرع الناس جواباً، وأحضرهم مراجعةً في القول، وأبلغهم في ذلك**"(٦). *وممّن استعان بهم عمر بن الخطّاب في تأسيس ديوان العطاء جُبَيْر بن مُطْعِم، وهو جُبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف القرشيّ النوفليّ، وكان أعلم الناس بالأنساب بعد أبي بكر الصدّيق*

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ١٠٠.

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٣/٢. و" بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمري، ص: ١٦٨.

(٣) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٣/٢. وجمهرة ابن حزم، ص: ٥. و" بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة"، أكرم العمري، ص: ١٦٨.

(٤) انظر: البيان والتبيين، ٣٢٢/١. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٦١/٧.

(٥) انظر: البيان والتبيين، ٣٢٢/١، ٣٢٤/٢، ٣٢٣. وكتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٧٥/٣، وفتوح البلدان، البلاذريّ، ص: ٤٣٦. والمفصّل، جواد عليّ، ٨/ ٣٣١.

(٦) نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُمْيان، الصَّفَديّ، ص: ٢٠٠. الطِّنفِسة والطُّنْفُسة: هي البِساط الذي له خَمْل رقيق (لسان العرب، طَنْفَسَ).

رضي الله عنه، إذْ أخَذ النّسب عنه، وعنه أخذ سعيد بن المسيّب. وكان جبير من أكابر قريش وحلمائها وساداتها وعلمائها في النسب(١)، و"**مِنْ أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة**"(٢).

وذكر الجاحظ أنّ عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – لـمَّا وَصَلت إليه غنائم الحيرة، أُتِيَ بسيف النّعمان بن المنذر، فاستدعى جبير بن مطعم وألبسه إيّاه، ثمّ سأله عن نسب النعمان بن المنذر، فقال له: إنّه كان من أشلاء قَنَص بن معدّ، أي من بقايا أولاده(٣).

ومن النسّابين الإسلاميّين صُحار العبديّ، من عبد القيس، وهو صُحار بن العبّاس، وقيل ابن عيّاش. أدرك النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم– وروى عنه حديثين أو ثلاثة، وهو أحد النسّابين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان، وله أخبار ومحاورات مع دَغْفَل النسّابة، وكان من شيعة عثمان رضي الله عنه، وهو مِمَّن كَتَبَ في النسب، ولعلّه أول من أَلَّف فيه، وله كتاب الأمثال(٤). *ومِمّا روى عن النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – قوله:* "**سمعت النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – يقول: لا تقوم الساعة حتّى يُخْسَف بقبائل مِن بني فلان وبني فلان، قال: فعَرفت أنّ بني فلان من العرب؛ لأن العجم إنما تنسب إلى قراها**"(٥).

ومن نسّابي صدر الإسلام زياد بن أبي سفيان أو زياد بن أبيه، وذُكر أنّه ألَّف كتاباً في الأنساب، اشتمل معظمه على مثالب العرب، وهذا يفسّر اهتمامه بهذا الجانب من الأنساب، واعتراف الخليفة معاوية بن أبي سفيان به واستلحاقه إياه وكراهيّة المسلمين لذلك. وفُقِدَ هذا الكتاب ولم يَصِلْ إلينا منه شيء(٦)، شأنه في ذلك شأن جُلّ الكتب التي أُلِّفَتْ في صدر الإسلام.

ومن أشهر هؤلاء النسّابين النخّار بن أوس بن أُبَيْر العُذريّ، وكان علاّمة بالأنساب، وأَخذ عنه محمد بن السائب الكلبيّ نسب معدّ بن عدنان، وشهد له الكلبيّ بقوّة الحفظ، وهو مِمَّن ألّف في

---

(١) انظر: فتوح البلدان، البلاذريّ، ص: ٤٣٦. والطبقات الكبير، ابن سعد، ٢٧٥/٣. والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ، ٣٠٣/١، ٣٠٤. والإصابة، ابن حجر، ٥٧٠/١، ٥٧١. والبيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٣/١، ٣١٨. وكتاب نسب قريش، الزبيريّ، ص: ٢٠١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ، ٣٠٤/١. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حَجر، ٥٧١/١.

(٣) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٣/١. والفائق في غريب الحديث، الزمخشريّ، ٦٠٨/١-٦٠٩.

(٤) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٩٦/١. والحيوان، الجاحظ، ٢٠٩/٣. والاشتقاق، ابن دريد، ص: ٣٣٣. والفِهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٣٢٨/٣-٣٣٠. والصُّحار: عرق الحُمّى في عَقِبها (الاشتقاق، ابن دريد، ص: ٣٣٣).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجَر، ٣٢٩/٣. رواه أحمد وأبو يَعلى والبَغويّ والطبرانيّ من طريق يزيد بن الشِّخِّير عن عبد الرحمن بن صُحَار العبديّ عن أبيه.

(٦) انظر: الفهرست، ابن النديم، ص: ١٣٧. ونشأة التدوين التاريخي عند العرب، حسين نصّار، منشورات اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص: ٢٢.

الأنساب، واستوفده معاوية رضي الله عنه[١]. وقد هجاه عمرو بن المُرادة البَلويّ، لأنّه استلحق بطناً من قبيلة بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، مدّعياً أنّهم من قومه[٢]:

وقد كنتَ يا نَخّارُ ما تدّعيهمُ وتُعرِضُ عنهمْ في السّنين العَوارقِ

يُمنيّهمُ النخّارُ إلحاقَ نسبةٍ بَلأْيٍ وما النَخّارُ فينا بصادقِ

ومنهم أيضاً ابن لسان الحُمَّرة، وهو وَرْقاء بن الأَشْعَر، ويكنّى بأبي كِلاب، وكان أنسب العرب، وهو مِمَّن عاصر معاوية بن أبي سفيان، وله كتاب في النسب[٣]، ومن أمثال العرب: "أَنْسَبُ من ابن لسان الحُمَّرة "[٤].

أمّا أبو بكر الصدّيق فأغلب الظنّ أن ثقافته النسَبيّة قد توقّفت بعد الإسلام، وبقيت على حالها في الجاهليّة؛ وذلك لانشغاله بشؤون الدين الجديد وصُحبته للنبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – إذ فرضت مستجدّات العقيدة الإسلاميّة أموراً جديدة لا قبل له باستيعاب غيرها، فانصرف اهتمام أبي بكر إليها بعد أن عرف موقف الإسلام من أنّ التفاضل بين الناس ينبني على التقوى لا على الحسب والنسب، والأنساب ترتبط – كما أوضحنا سابقاً – ارتباطاً وثيقاً بحياة العرب في الجاهليّة وتعدّ من موروثهم الفكريّ الذي لم يكن من السهل التخلّي عنه. ويضاف إلى ذلك خشية أبي بكر الصدّيق من التعرّض لأناس ذوي قُرْبَى من النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، ومن هؤلاء عقيل بن أبي طالب، *ولعلّ الخبر الآتي – الذي ذكره ابن عَساكر عن المقدام بن معدي كَرِب – يؤكّد هذا الرأي:* **"استبَّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر، وكان أبو بكر سبّاباً أو نشّاباً، غير أنّه تحرّج من قرابته من النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – فأَعْرَض عنه، ولكنّه شكاه إلى رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – فقام رسول الله في النّاس: ألا تَدَعُونَ لي صاحبي؟ ما شأنكم وشأنه؟ .."**[٥].

---

(١) انظر: الفهرست، ابن النديم، ص: ١٤٦. وفي الأصل "النجَّار بن أوس العدوانيّ" وهو خطأ، والصواب ما أثبته ناصر الدين الأسد في مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٢١٦ (من معجم الشعراء، المرزبانيّ، ص: ٢٣٧). وانظر: الحيوان، الجاحظ، ٢٠٩/٣، ٢١٠. والبيان والتبيين، ٣٣٣/١. والاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٤٩٤/٦.

(٢) معجم الشعراء، المرزبانيّ، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، مكتب القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٥م، ص: ٢٣٧. السنين العوارق: أي السنين الشديدة المُجْدِبَة، من (العَرْق) أي العظم الذي أُخِذَ عنه اللحم (لسان العرب، عَرَقَ). اللَأْي: الإبطاء والجهد والمشقّة. وفعلت كذا بعد لَأْيٍ، أي بعد شدّة وإبطاء (لسان العرب: لَأَى).

(٣) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٥. والحيوان، الجاحظ، ٢٠٩/٣.

(٤) المُسْتَقصى في أمثال العرب، الزمخشريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ٣٩٠/١. والحُمَّرة: طائر يشبه العصفور (الحيوان، ٢٠٠/٢)، وقيل: القُبَّرة (تاج العروس: حَمَّر).

(٥) تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر، تحقيق وتعليق أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٧٣/٣٢. والرياض النَّضِرة في مناقب العَشرة، المحبّ الطبريّ، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م، ١١٤/١.

ثالثًا: تطوّر علم الأنساب في العصر الأمويّ:

استمر اهتمام العرب في العصر الأموي بأنسابهم، وتجلّى ذلك الاهتمام برعاية الخلفاء والرعيّة لهذا العلم، ووُضِعَتْ لهذه الغاية سجلاّت خاصّة بالأنساب، وكان أوّل من اعتنى بالأنساب من خلفاء بني أميّة معاوية بن أبي سفيان، وسار الخلفاء مِن بعده على نهجه، ويُروى أنّ الخليفة الوليد الثاني أمر بسجلٍّ وافٍ بالأنساب على غِرار سجلاّت ديوان العطاء الّذي أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١).

وفي الشعر العربيّ جاءت معلومات وافية عن أنساب العرب وقبائلهم، وتمثّل ذلك في شعر النقائض، إذ تعد الأنساب أوّل مقوّمات النقائض، وقد اتّخذها شعراء النقائض ركناً أساسيّاً في بناء قصائدهم، ووفّر موضوع الأنساب للنقائض مادة غزيرة لأكبر غرضين من أغراض الشعر العربي، هما: الفخر والهجاء، وصِرنا نرى في النقائض صوراً للتفاخر والتهاجي بين مختلف القبائل العربيّة؛ بين عدنان واليمن، وبين مُضَر وربيعة، وبين تميم وقيس، وبين العرب والموالي أيضاً (٢)، وكأنّ العصبيّة القبليّة رجعت بهذا إلى حالها الذي كان في الجاهليّة، *وانطلق شعراء النقائض معتمدين على الأنساب يفخرون بأنفسهم حيناً، ويَغْمِزون بها خصومهم حيناً آخر* (٣).

وأبرز مَنْ مثّل شعر النقائض في العصر الأمويّ جرير والفرزدق والأخطل؛ فنجد الفرزدق يفتخر بآبائه وأعمامه في حَنْظَلة بن مالك بن زيد المشهور بالعزّ والشرف، وكذلك يفتخر بأخواله من ضَبَّة، وأنّه خَلُصَ له بهما أسمى المراتب وأعلاها، وإليهما يلجأ الخائفون عند الشدائد (٤):

وأنا ابنُ حَنْظَلةَ الأَغرَّ وإنّني ... في آل ضَبَّة للمُعَمِّ المُخْوَلُ

فَرعان قد بَلَغ السماء ذُراهُما ... وإليهما من كلّ خوفٍ يُعقَلُ

فيردّ عليه جرير هاجياً إيّاه، مُنْتقِصاً من قَدْره وقَدْر أعمامه وأخواله (٥):

كان الفرزدق إذ يَعُوذ بخالِه ... مثل الذليلِ يعوذ تحت القَرْمَلِ

وافخَرْ بضبّة إن أمّك مِنْهُمُ ... ليس ابن ضبّة بالمُعَمِّ المُخْوَلِ

---

(١) انظر: الفهرست، ابن النديم، ص: ١٤٠.

(٢) انظر: تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشّايب، ص: ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٢٦٨.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص: ٢٦٨.

(٤) النقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، ١٨٨/١. المُعَمّ المُخْوَل: الكريم الأعمام والأخوال. وأمّ الفرزدق لينةُ بنت قَرَظة من بني السيّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبّة. يُعقل: يُلجأ. وذُروة كلّ شيء أعلاه (النقائض، ١٨٨/١، الحاشية).

(٥) المصدر نفسه، ٢٢٥/١. القَرْمَل: شجر ضعيف لا شوك له. ومثل للعرب: "ذَليل عاذ بقَرْمَلَة" وأيضاً في مثل آخر: "كقَرْمَلة الضَبّ الذي يتذلّل". والمعنى أنّ جريراً يشبّه الفرزدق وهو يلتجئ إلى خاله بشجرة ضعيفة واهية. المعنى: تَباهَ بأمّك وأخوالك مِنْ "ضَبَّة" وإنّ آل ضَبَّة لا يستحقّون أن يكونوا أعماماً وأخوالاً (نفسه، ٢٢٥/١: الحاشية).

وهكذا يسير شعراء النقائض على هذا النحو في الفخر والهجاء، مُنَافِحين عن قبائلهم وأنسابهم، ومُعَرِّضين بقبائل خصومهم، فنرى الفرزدق يفاخر بأصله، مُعدِّداً أجداده من قبيلته، وبذلك يعدّ شعر النقائض مرجعاً مهمّاً للأنساب وسجلاً توثيقيّاً للقبائل العربيّة(١):

إن الذي سَمَك السماء بنى لنا بيتــاً دعائمُــه أَعَــزُّ وأطْــوَلُ
بيتــاً زُرارةُ مُحْتَــبٍ بفِنائــه ومُجاشِـعٌ وأَبـو الفَـوارسِ نَهْشَـلُ
مِـنْ عِـزّهم جَحَـرتْ كُلَيبٌ بيتَهـا زَرْبــاً كأَنَّهُــمُ لديــه القُمَّــلُ

فيردّ عليه جرير ناقضاً قوله، وحاطّاً من قدره وقدر آبائه وأجداده من قبيلته، واصِفاً بيته الذي يفخر به، بأبشع الصفات وأَقْذَعها(٢):

أَخزى الّذي سَمَك السّماءَ مُجاشِعاً وبنَى بناءك في الحَضيض الأَسْفَلِ
بيتــاً يُحَمِّــمُ قَيْــنُكُمْ بفِنائِــهِ دَنِســاً مَقاعِـدُهُ خبيــثَ المَــدْخَلِ
ولقـد بَنَيْـتَ أَخَـسّ بَيْـتٍ يُبتنَــى فَهَدمْــتُ بَيْتكُــمُ بمِثْلَــيْ يَذْبُــلِ

آ- تأثير الفتوحات الإسلامية في تطوّر علم الأنساب:

كنّا أشرنا من قبل إلى أنّ الفتوحات الإسلامية قد أَثَّرتْ تأثيراً كبيراً في وضع العرب اجتماعياً واقتصادياً وسياسيّاً، وتناولنا الجانبين الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وكيف أثّرت فيهما عصبيّة النسب والشعور القوميّ الذي نما عند العرب بعد تحقيق المسلمين أكبر انتصار على أضخم دولتين كانتا قبل الإسلام، وهما دولتا الفرس والروم، ونتناول الآن تأثير العامل السياسيّ في تطور علم الأنساب عند العرب.

وجد العرب أنفسهم بعد القضاء على دولة الفرس أمام حضارات لها ثقافات مختلفة، كما وجدوا أنفسهم أمام تحدّيات من شعوب البلاد التي فتحوها، وظهر من تلك الشعوب فئة تنظر إلى إنجازات العرب نظرة كراهية وحِقد وكيد، وظهر صراع جديد بين وَرَثة النظم الاجتماعيّة الفارسيّة والروميّة العريقة، وبين النظام الاجتماعيّ العربيّ، واستهدف ذلك الصراع وجود العرب من خلال محاولة الطعن في جنسهم وثقافتهم، وكان قوام ذلك أمرين رئيسيّين، هما: اللغة العربيّة والنَسب العربيّ، وظهر مِنْ

---

(١) النقائض، أبو عبيدة، ١/١٨٢، ١٨٣. سَمَك السماء: رفعها. زُرَارَةُ: يعني زُرارة ابن عُدُس أو عُدَس (بفتح الدال) بن زيد بن عبد الله ين دارم بن مالك، ومُجاشِع ونَهْشَل ابنا دارم. يُروى البيت الثالث على هذا النحو: "مِن عِزّه اجتحرت كُلَيْبٌ عندَهُ".
جَحَرت: دخلت زَرْباً كأنه جُحْره، والزَّرْب: موضع الغنم، والقُمَّل أصغر من الجراد. (النقائض، ١/١٨٢، ١٨٣). ولسان العرب: زَرَبَ، قَمِلَ.

(٢) النَّقائض: ١/٢١٣، ٢١٤. يُحمِّم: أي يُدخِّن فيه فَيُسوِّده. القَيْن: الحَدّاد والصانع، وهو الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكِير (لسان العرب: قيَنَ). يروى "المَدْخَل": المأكَل. يَذْبُل: اسم جبل (النقائض، أبو عُبيدة، ١/٢١٤).

بين الفرس مَنْ كان يَحِنّ إلى أمجاد مملكته القديمة، إذ يظنّ أنّها أرقى من الروم والعرب حضارةً[١]. *لقد صنعت الفتوحات العربيّة الإسلاميّة دولة موحّدة بعد أن استوعبت حضارات البلاد التي فتحها العرب، فأخذوا ما يصلح لهم من علومها وتقاليدها في الحكم، وما لا يخالف الروح العربيّة الإسلاميّة*[٢]، **"ثمّ صَنَّفوا مع شعوب هذه البلدان ذلك المزيج الحضاريّ الجديد الذي تكوّن من فكر الإسلام الشاب النقيّ وروح العروبة المتوثّبة، والمواريث الحضاريّة الصالحة للبلاد التي فتحوها، فخرجت الحضارة الإسلاميّة العربيّة إلى الوجود، وتَولَّد عنها ذلك النور الساطع الذي أضاء أصقاع العالم، وفي أقلّ قرن من الزمان، وبالتحديد في نحو ثمانين عاماً صنعت الفتوحات العربية دولة موحّدة امتدّت حدودها من الصين في الشرق إلى الأندلس والأطلسيّ في الغرب ... وهذا النجاح العظيم هو الذي دفع أعداء العروبة والإسلام آنذاك إلى شنّ هجوم عنيف أعمى، قاده دعاة الشعوبيّة وأتباعهم ضد الفاتحين، وكان أول سيف استلّوه في هجومهم موجهّاً إلى إباء العربيّ وعزّته وموضع فخره، ألا وهو النسَب، فحاولوا الانتقاص من قدر العرب والتجريح بأصولهم، وهنا كان لا بدّ للعرب من صدّ هذه الهجمات العنيفة ضدّهم وضدّ أصالتهم، فكان النسّابون يقفون في الصف الأول مدافعين عن الأصل العربي والنسب العربيّ"**[٣].

وقد استغلّ دعاة الشعوبيّة "المثالب" أبشع استغلال، ووجدوا فيها تربة خَصْبة للانقضاض على العرب في أصولهم وأنسابهم، وكنّا ذكرنا أنّ زياد بن أبيه ألّف كتابًا في الأنساب اشتمل معظمه على مثالب العرب. *وذُكِرَ أيضًا أنّه ألقى به إلى ولده قائلاً: "استَظْهِروا به على العرب فإنّهم يَكُفُّونَ عنكم"*[٤].

والحركة الشعوبيّة ظهرت بوادرها في الفترة الأخيرة في العصر الأمويّ، وتحديداً منذ مطلع القرن الثاني الهجريّ على يد إسماعيل بن يسار[٥]، *إلا أنّ حسين عطوان يرى أنّ الشعوبيّة ظهرت بشكل خفيّ في منتصف القرن الأول الهجري، وبقيت مستترة طوال العصر الأمويّ*[٦]. *ومهما يكن من اختلاف حول زمن نشأتها، إلاّ أنّ المهمّ هو أنّ ظهور الشعوبيّة يرجع في حقيقته إلى أسباب اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة، أهمّها تعصُّب خلفاء بني أُميّة لجنسهم العربيّ والصبغة العربيّة الّتي طَغت على الدولة الأمويّة، وشعور الفئات الأخرى غير العربيّة كالفرس والنَبَط والقِبط وغيرهم بِفَوق العرب واضطهادهم لهم، وسوء الحالة الاجتماعيّة التي كان يعيشها هؤلاء من فقر شديد وحرمانهم الوصول إلى المناصب الرفيعة في الدولة، وكان الفرس أكثر أولئك الفئات حقداً على العرب باعتبار ماضيهم*

---

(١) انظر: فجر الإسلام، أحمد أمين، ص: ٨٤، ٩٣-٩٥.

(٢) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧٧، ٧٨.

(٤) الفِهْرست، ابن النديم، ص: ١٣٧.

(٥) انظر: الجذور التاريخيّة للشعوبيّة، عبد العزيز الدوريّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١م، ص: ٩، ١٣، ٢٤.

(٦) انظر: الزَّندقة والشعوبيّة في العصر العبّاسيّ الأول، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م، ص: ١٥٨.

المجيد وتاريخهم العريق[١]. *ويمكن تلخيص الحركة الشعوبيّة بأنّها* "**تعبير عن الوعي القوميّ الفارسيّ، وفي مظهرها تذمّر من السُّلطان العربيّ، ولو صَحّ أنّ المَوالي كانوا يضجوّن في الدولة الأمويّة من ضَيْم وقع عليهم واستبداد أجْحَفَ بهم، وأنّهم كانوا يبتغون المساواة والعدل، لوجب أن يتلاشى تضجُّرهم وقلقهم، وينتهي تذمّرهم وضيقهم بعد قيام الدولة العباسيّة، فقد أَنصفتهم وسَوَّت بينهم وبين العرب، وفتحت لهم الأبواب إلى الإدارة والوزارة والجيش، وأصبح لهم صوت مسموع ونفوذ شاسع في البلاط العباسيّ، ولكن العكس هو الذي حدث، ...، وتنامى شعورهم القوميّ تنامياً عظيماً حتى تفاقم شرّه، فإذا هم تزداد معاداتهم للعرب، وتشتدّ مناوأتهم لهم، حتى أخذوا يَجْهَرون بها جهراً، بعد أن كانوا يَطوُونها ويكتمونها في العصر الأُمويّ. وسَلكوا مختلف السُّبُل للطَّعن على العرب، واصطنعوا شتّى الوسائل للحَطّ من شأنهم في الجاهليّة والإسلام**"[٢]، فلا مُسوِّغ إذاً لمعاداة الفرس للعرب والعروبة، خاصّة بعد أن نالوا مكانتهم التي طالما سعوا إلى تبوّئها أيّام الأمويّين، وسنُسهب في القول عن الشعوبيّة – بإذن الله – عند الحديث عن تطوّر علم النسب في العصر العباسيّ.

تجلّت العناية بالأنساب في العصر الأمويّ من خلال اهتمام خلفاء بني أميّة والرعيّة بهذا العلم، ويرجع هذا الاهتمام إلى أسباب كثيرة؛ فبالإضافة إلى الانقسام الّذي شهده المجتمع الإسلاميّ إلى عرب متميّزين ومَوالٍ تابعين، بدأ الشِقاق يدُبُّ في صفوف العرب الفاتحين أنفسهم؛ بين فئة محاربة تعمل في جيش الدولة، وأخرى مُواطِنة لا علاقة لها بالعسكريّة، وتمثّل هذا الانقسام بين عرب الشام وعرب العراق، إذ ظهرت في كلٍّ من البلدين عصبيّة الأمصار بصورة واضحة، إضافةً إلى العصبيّة القبليّة التي عادت تظهر من جديد على ساحة العرب بعد انقضاء فترة الخلافة الراشدة، وهَيّأ لها ذلك ظهور الأحزاب السياسيّة التي تشكّلت بفعل الصراع على الخلافة. بين بني هاشم وبني أميّة، وما ترتّب على ذلك من حدوث انقسامات قبليّة موازية لكلّ حزب، وأعني بذلك الحزب الأمويّ في الشام والحزب العَلويّ في العراق[٣]. *وتمثّل ذلك الصراع أيّام الأمويّين في تجدّد النزاع القديم بين عرب الشمال وعرب الجنوب، أو بين مُضَر واليمن، وهو ما اتَّفق أهل الأخبار والأنساب على تسميته بالنزاع العدنانيّ القحطانيّ، وكان الخلفاء الأمويّون أنفسهم هم الذين يديرون دفّة هذا النزاع حِفظاً لتوازن قوى القبائل في ملكهم، وخدمة لمصالحهم وتثبيتاً لدعائم حكمهم؛ فكانوا يؤيّدون القبائل القيسيّة أحياناً، ويؤيّدون القبائل اليمنيّة أحياناً أخرى، وكان معاوية بن أبي سفيان أوّلَ مَن انتهج هذا النّهْج من خلفاء بني أميّة، ثم سار مَنْ خَلْفَه مِنْ بعده وَفق هذه السياسة*[٤].

---

(١) انظر: رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ٢/٢٠-٢٢. ودراسة كتاب النسب، مريم الدرع، ص: ٨٨.

(٢) انظر: الزَندقة والشعوبيّة، حسين عطوان، ص: ١٥٨.

(٣) انظر: تاريخ الطبريّ، ٤/٨٢-٩٠. ودراسة كتاب النسب، مريم الدِّرع، ص: ٧٨.

(٤) انظر: تاريخ الطبريّ، ٤/٨٢-٩٠.

وحتى لا يقع القارئ في الخلط والوهم في فهم الحدود التي تفصل بين القبائل القحطانيّة والعدنانيّة أشير إلى أنّ هذين الجِذْمين الكبيرين (قحطان وعدنان) يكادان لا يردان في الشعر إلاّ قليلاً – كما سبق ذكره – *ومن ذلك قول الحَكَم بن عبدل مستخدماً "قحطان" مقابل "مَعَدّ"* (١):

فما صادَفْتَ في قَحطانَ مثلي ولا صادَفْتُ مِثْلَك في مَعَدِّ

إلّا أنّ أكثر ما يرد في الشعر العربيّ في صدر الإسلام والعصر الأمويّ قد جاء بأسماء قبائل مختلفة هي كناية عن (قحطان وعدنان) وأحلافهما؛ فقبائل كلب وغسّان والأَزْد مثلاً ترجع إلى اليمن، أي إلى قحطان، وقبائل قريش وقيس وتميم ونِزار ومضر هي قبائل مَعَدّيّة، أي أنّها ترجع إلى عدنان (٢)*؛ فقد ذكر الفرزدق في شعره (يَمَن) و (الأَزْد) مقابل (نزار) و (مَعَدّ)* (٣).

ومن قصص ذلك النزاع في عهد معاوية ما كان بين قريش في مكّة والأنصار في المدينة المنوّرة الذين يَرَوْن لهم فضلاً في الإسلام، وذلك ما عُرِف بالنزاع اليثربيّ المكيّ، ويبدو أنّ معاوية خَشِي منذ مستهلّ حكمه اجتماع الأنصار تحت هذه التسمية (٤)*، لَمَّا تضايق من ذلك بعض رجالات قريش ومنهم عمرو بن العاص، إذ ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنّ وفود الأنصار* "**حضرت باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرّة ... فاستأذن لهم وعنده عمرو بن العاص. فقال له عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردُدْ القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إنّي أخاف من ذلك الشُّنْعَة. فقال: هي كلمة تقولها، إنْ مَضَتْ عَضَّتْهُم ونَقصَتْهم، وإلاّ فهذا الاسم راجع إليهم. وقال للحاجب: اخرج فقل: مَنْ كان ههنا مِنْ وَلَد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار. فنَظَر معاوية إلى عمرو مُنْكِراً، فقال له: باعَدْتَ جَدّاً. فقال: اخرج فقل: مَنْ كان ههنا مِن الأوس والخزرج فليدخل، فخرج فقالها، فلم يدخل أحد، فقال له معاوية: اخرج فقُلْ: مَنْ كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يَقْدمُهُم النُّعمان بن بَشير (الأَنصاريّ) وهو يقول:**

يا سَعْدُ لا تُعِد الدّعاءَ فما لَنا نَسَبٌ نُجيبُ به سوى الأَنصارِ

نَسَبٌ تَخيَّره الإلهُ لِقومِنا أَثْقِلْ به نسَباً على الكُفّارِ

إنّ الّذين ثَوَوْا بِبَدْرٍ منكمُ يوم القَليبِ هُمُ وَقودُ النارِ

فقال معاوية لعمرو: قد كُنّا أغنياء عن هذا"(٥)، *وكان النعمان بن بشير مرّةً في مجلس معاوية فَضَاحَكَهُ معاوية وسَخِرَ منه، ولَمَّا غضب النعمان وأراد ترك مجلسه استرضاه معاوية قائلاً: إن قوماً*

(١) كتاب الأغاني، أبو الفَرج الأصفهانيّ، ٢/٢٧١.

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ١/٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٧.

(٣) انظر: شرح ديوان الفرزدق، ١/٢٠، ٣٢، ٧٠، ١١٨، ١٨٦، ١٩١، ١٩٢.

(٤) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ١/٤٨٤.

(٥) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٦/٣٠، ٣١. الشُنْعَة: الفَظاعة والقُبح (لسان العرب: شَنع).

أوّلهم غسّان، وآخرهم الأنصار لكِرام. ثم قضى له حوائجه[١]. *وكان أهل المدينة يردُّون نسبهم الى نسب غسّان، ويُرْجِعون نسبهم ونسب غسّان إلى الأَزْد، ونسب الأزد إلى اليمن*[٢].

وفي أيام معاوية أيضاً وابنه يزيد، وفي عهد مروان بن الحكم نَالَتْ قبيلة كلب (اليمانيّة) مركزاً مرموقاً، وذلك بسبب مصاهرة معاوية قبيلة كلب وزواجه من ميسون بنت بَحْدَل الكلبيّة، وذلك أدّى إلى تقريب قبيلة كَلْب والقبائل المُحالِفة لها من سُدّة الحكم الأمويّ، علماً بأنّ الخلفاء الأمويّين مِن قريش، وقريش مِن قيس، وهذا مِمّا أثار قيساً المُعادِية لكلب، وكانت لفظة (قيس) في هذا العهد تقابل لفظة (مَعَدّ) و(نزار) و(مضر)، وأمّا (كلب) فترادفها (يمن). ويكفي دليلاً على ذلك أنّ وقعة مرج راهط بين مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير هي معركة – في حقيقة الأمر – بين كلب الّتي ناصرت مروان ابن الحكم، وقيس الّتي كانت تناصر ابن الزُّبير، وعلى إثر ذلك وقعت حروب بين القبيلتين قُتِل منهما خلق كثير [٣].

وقد أسهم الخلفاء الّذين جاؤوا بعد عبد الملك بن مروان في هذا النِّزاع، وانقسموا بين مؤيّد لقيس وآخر لكلب، سواءً أكانت أُمّهاتهم من قيس أم مِنْ كلب. وسار على هذه السياسة الولاة والعمال في الأمصار، وتجمَّعت بذلك القبائل وانقسمت معسكرين: قيس ويمن؛ فعندما تولّى الحُكْم يزيد بن عبد الملك مال إلى جانب القيسيّة، وناصرهم ضد اليمنيّة، وانتقم من أسرة المهلّب بن أبي صفرة الذين أخلصوا في خدمة الدولة الأمويّة، وكان لهم فضل عظيم في قتال الخوارج والخُراسانيّين والترك والخَزَر – واستبدل بهم وُلاة قيسيّين، فَعَلَتْ كلمتهم وارتفع شأنهم في عهده[٤]. *ولمّا ولي الخلافة أخوه هشام بن عبد الملك شعر باتساع نفوذ القيسيّين فعزلهم، ووَلَّى مكانهم وُلاةً وعُمّالاً يمنيّين من مثل زعيمهم خالد بن عبد الله القسريّ وغيره الذين أخذوا يثأرون لأنفسهم ويضطهدون القيسيّين، وعندما ازداد نفوذهم رجع وانحاز إلى (المُضَريّة) فعَيَّنَ منهم الولاة والعمّال مِن مثل يوسف بن عمر الثقفيّ ونَصْر بن سَيَّار*[٥]. وهكذا كانت سياسة الأمويّين في الحكم، إذ لم يتّخذوا موقفاً واحداً تجاه القبائل، بل كانوا كثيراً ما يُغيّرون مواقفهم تجاه الأحداث، فلا عدوّ عندهم دائم، ولا صديق دائم، وعرَفوا كيف يديرون دفة الصراع القبليّ من أجل بقاء دولتهم واستقرارها.

وقد أثّرت تلك النزاعات والصراعات القبليّة في وضع الأنساب، وكَمْ مِن قبيلة ادّعت انتماء قبيلة إليها، وسَعَتْ إلى ضمّها إلى نسبها، قاصدةً من وراء ذلك استمالتها إلى جانبها، ونيل تأييدها ونصرتها لها! وذلك ما أحدث اضطراباً وتأرجحاً في أنساب بعض القبائل وأصولها[٦]، *إذ ذكر الطبريّ أنّ قبيلة*

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٩/١٦.
(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٨٤/١.
(٣) انظر: المرجع نفسه، ٤٩٥/١.
(٤) انظر: تاريخ الطبريّ، ٨٢/٤–٩٠.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ١١١/٤–١١٣، ١٨٩، ٢١١، ٢١٤.
(٦) انظر: دراسة كتاب النسب، مريم الدِرع، ص: ٨١.

تَغْلِب ادّعت في أيام الخليفة هشام بن عبد الملك أنّ قبيلة باهِلَة تنسب إليها، واصطنعت في سبيل ذلك شعراً يؤيّد هذه الدعوى استعانةً بباهلة وأميرها بِلْخ عمرو بن مسلم على المُضَريّة. ولَمَّا كرهت (بكر) أن تكثرهم تغلب بهذه النسبة قال رجل منهم:

زَعَمتْ قُتَيْبَةُ أنّها مِن وائلٍ نَسَبٌ بعيدٌ يا قُتَيبةُ فاصعدي[١]

وكذلك نجد أثر اشتداد النّزاع بين القحطانيّة والعدنانيّة في تنازع كلٍّ منهما قبيلة قضاعة الضخمة التي تنتمي إليها قبائل كلب، وبَلِيّ، وسَعْد هُذَيْم، وبَهراء، وسَليح. إذْ حاول كلّ منهما أن يجعلها في نَسَبه؛ لأنّ هذه القبائل مشهورة، وكان انتماؤها إلى أيٍّ من الفريقين ضامنا برجحان كفّته، ولذلك سَعى كلا الفريقين إلى ضمّ هذه القبيلة (قُضاعة) إلى شجرة النَّسَب القحطانيّ وشجرة النسب العدنانيّ، واستمرّت هذه المحاولات منذ أوائل العصر الأموي حتى أواسط العصر العباسيّ[٢]*؛ فابن الكلبيّ وهو من نسّابي العصر العبّاسي أرجع قضاعة إلى اليمن*[٣]، بينما خالفه مؤرِّج بن عمرو السدوسيّ الذي أرجع نسب قضاعة إلى مَعَدّ، عادّاً نسبة قضاعة إلى حِمْيَر شيئاً مستحدثاً وليس نسباً قديماً، إذ يقول: "..**إنّ قُضاعة تنسب كلّها في حمير .. قول أحدثوه بعد، وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحّحوا هذا القول، وهو:**

يا أيّها الداعي ادْعُنا وأَبْشِرِ وكُنْ قُضاعيّاً ولا تَنزَّرِ

قُضاعةُ الأَثْرَوْنَ خير مَعْشَرِ قضاعةُ بنُ مالك بنِ حِمْيَرِ

وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أميّة. وشعراء قضاعة في الجاهليّة والإسلام كلّها تنتمي إلى مَعَدّ"[٤].

ونرى صدى تلك النزاعات والصراعات القبليّة في الشعر العربيّ، إذْ أسهم في ذلك كبار شعراء بني أميّة من مثل جرير والأخطل والكُمَيْت الأَسَدي وغيرهم، فنُظِمت الأشعار في مدح اليَمن وذمّ قيس، وفي مدح قيس وذَمّ اليمن بحسب قبائل الشعراء، وقام الخلفاء والولاة بتشجيعهم على هذه المعارك الأدبيّة، بدلاً من أن يكفُّوا ألسنتهم، فدبَّ الخلاف والفرقة بين العرب، وتوقّفت الفتوحات الإسلاميّة، ووجد بذلك أعداء الإسلام من الأعاجم فرصة سانحة للنّيل من العرب والانقضاض على دولتهم[٥].

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ١١٤/٤، ١١٥.

(٢) انظر: العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ، إحسان النصّ، ص: ٣٤٢.

(٣) انظر: نسب معدّ واليمن الكبير، ابن الكلبيّ، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق، ١٩٨٨م، ٢٩٩/٢.

(٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٦٦/٨، ٦٧.

(٥) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٩٥/١، ٤٩٦.

ب- رواية النَّسَب من علوم الرواية عند العرب:

كان الرواة أيام بني أُميّة مقصد الخلفاء والناس في غريب اللغة، والشعر، والأخبار، والأنساب. وكانت تلك العلوم هي علم العرب حينئذٍ، إذْ لم يكن أمر اللغة قد بدأ في ذلك العهد، وقلَّ مِنْ هؤلاء الرواة مَنْ لم يجمع علوم الرواية جُلّها أو أكثرها، وإنْ غَلَبَ على جماعة منهم الشعر، وأخرى النسب، وثالثة انفردت بعلم الأخبار، ومع ذلك كانت رواية النسب عامّة في العرب(١).

وقد شهد العصر الأمويّ في زمن معاوية بن أبي سفيان تدوين أول كتاب في الأخبار، وذلك كتاب النسّابة الإخباريّ عُبَيْد بن شَرِيّة الجرهميّ الذي استحضره معاوية من صنعاء اليمن، وسأله عن الأخبار الماضية وملوك العرب والعجم وسبب اختلاط الألسنة واضطرابها، وتفرُّق الناس في البلاد، فأجابه إلى ما طلب، ثم أمر معاوية أن يُدَوَّن كلامه ويُنْسَب إليه، أي عُبَيْد بن شَرِيَّة(٢). *وكان معاوية بن أبي سفيان يرمي إلى تقريب أهل الشعر والأنساب والأخبار مِنْ مجلسه وتأليف قلوبهم حوله، وبَالَغ في تفضيل الشعر والنسب، وبذل العطايا لرواته، حتى تحدّث الناس بذلك، وكان معاوية أيضاً أوّل مَنْ اشتهر مِن الخلفاء والأمويّين بتقريب أهل الأخبار والسُمّار إليه*(٣)، *وكان يُنْشُد الأخبار* **"ليستعين بها على إيضاح الشُّبُهَات، ويرجع فيها إلى القدوة في المُعْضِلات، فيُقال إنّه كان إذا انفتل من صلاة الفجر جلس للقَصّاص حتى يفرغ من قصصه، ثم يضطرب في أمور سائر نهاره، حتى إذا صَلَّى العشاء الآخرة جلس لمؤامرة حاشيته في ما أرادوا، صَدْراً من ليلتهم، ويستمّر إلى ثُلث الليل في أخبار العرب وأيّامها، والعَجَم وملوكها وسياستها لرعيّتها، وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكايدها، وما إلى ذلك.."**(٤).

وعندما ولي عبد الملك بن مروان الحكم سارَ على نهج معاوية، فمدَّ يده إلى الرواة بالبرّ والصلة، وبَسَط لهم جناحه، فكان لا يجالسه إلاّ أصحاب العلم والأدب(٥)، *وحَسْبُه قول الشَعبيّ فيه:* **"ما جَالَسْتُ أحداً إلاّ وَجَدْتُ لي الفضل عليه إلاّ عبد الملك بن مروان، فإنّي ما ذَاكَرْتُه حديثاً إلاّ زادني فيه ولا شعراً إلّا زَادني فيه"**(٦)، *ولذلك لم يكن غريباً أن يجتمع عنده الشعراء وعلماء الأخبار ورواة الناس، وأن يقصدوا مجلسه مِن كلّ حَدَب وصَوْب، حتى احتشدت بهم مجالسه، فكان عبد الملك يحادثهم ويفاوضهم أقوالهم، ويُشيد بهم، ويقرّبهم إليه، ومن أجل ذلك أطلق الأدباء على الدولة الأمويّة "الدولة المروانيّة" لفضل عبد الملك بن مروان على مَنْ سواه من خلفاء بني أميّة في رعايته للأدب والعلم، ولأنّ مَنْ جاء بعده مِنْ الخلفاء اقتفَوا خطاه واتّبعوا أثره، وبلغ بهم الأمر أنّهم إذا اختلفوا في بيت من*

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣٠٧/١، ٣١١.

(٢) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣٠٧/١، ٢٩٨.

(٤) المرجع السابق، ٢٩٨/١. انفَتَل: انصَرفَ (لسان العرب: مادة فَتَل).

(٥) انظر: المرجع نفسه، ٣٠٨/١.

(٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ جمال الدين المِزّيّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٤١١/١٨.

الشعر أو خبر من الأخبار أو يوم من أيّام العرب – وهم في الشام – أن يرسلوا بريداً إلى العراق يستوضحون عَمَّا أشكل عليهم واختلفوا فيه، إذْ حدَّث أدباء البصرة أنّهم كانوا يَرَوْنَ كلّ يوم راكباً من بني مروان يقصد باب الرَّاوية قَتادة بن دعامة السَّدوسيّ – وكان جمّاعة للعلوم – فيسأله عن شعر أو نَسَب أو خبر، ثم يسير ذلك الراكب إلى الشام، فيُبلِّغ الجواب، ثمّ يرتحل مرّة أخرى إلى قَتادة ليسأله عن معنى متّصل بجوابه ذاته، حتى تطمئنّ نفسه إليه(١).

ومّما تَحْفَل به كتب الأدب ما ذكره ابن عبد ربّه في العقد الفريد أنّ عبد الملك بن مروان اجتمع يوماً بجلسائه، وحاورهم في قبائل العرب وأحيائها، فإذا هو أعلمهم بأخبار الناس وأشعارهم: "**خَبِّروني عن حيٍّ من أحياء العرب، فيهم أشدّ الناس وأَسخى النّاس وأَخْطَب الناس وأَطْوَع الناس في قومه وأَحْلَم الناس وأَحْضَرهم جواباً؛ قالوا: يا أمير المؤمنين، ما نعرف هذه القبيلَة، ولكن ينبغي لها أن تكون في قريش؛ قال: لا؛ قالوا: ففي حِمْيَر وملوكها؛ قال: لا؛ قالوا: ففي مُضَر؛ قال: لا؛ قال مَصْقلة بن رُقَيَّة العَبْديّ: فهي إذاً في رَبيعة ونحن منهم؛ قال: نعم. قال جلساؤه: ما نَعْرف هذا في عبد القيس إلاّ أنْ تخبرنا به يا أمير المؤمنين. قال: نعم، أمّا أشدُّ الناس، فحكيم بن جَبَل، كان مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقُطِعت ساقه فَضمَّها إليه حتّى مرَّ به الّذي قَطَعها، فرَمَاه بها، فَجدَّله عن دابّته، ثم جَثا عليه فقتله واتّكأ عليه، فمرّ به الناس، فقالوا له: يا حَكيم مَنْ قطع ساقك؟ قال: وِسَادي هذا، وأنشأ يقول: يا ساقُ لا تُرَاعِي، إنّ معي ذِرَاعي، أَحْمِي بها كُرَاعِي**

وأَمّا أَسْخَى الناس: فعبد الله بن سَوّار، استعمله مُعاوية على السِّنْد ..."(٢)، ويمضي ابن عبد ربّه على هذا النحو، يفصّل جواب عبد الملك بن مروان عن سؤاله لجلسائه ومعرفته بقبائل العرب وأحيائها حتى يستوفي الخبر كلّه.

ج- صلة الأنساب بالأخبار والتاريخ:

بدأت دراسة التاريخ عند العرب في العصر الأمويّ وسارت في اتجاهين رئيسيّين، يمثّل الأوّل منهما الاتجاه الإسلاميّ أو اتجاه أهل الحديث. بينما يمثّل الثاني الاتجاه القبليّ أو اتجّاه الأيّام والأخبار. وإذا كانت دراسات المغازي، وتعني غزوات الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – وسراياه وعصر الرسالة وما يتعلّق بها من الحديث الشريف، تُمثّل الاتجّاه الإسلاميّ، فإنّ علم الأنساب يمثّل التراث القبليّ، وقد غلب التيّار الإسلاميّ في المدينة المنوّرة دار سنّة الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – بينما غلب الاتجاه القبليّ في الكوفة والبصرة المِصْرَيْن الجديدين اللذَيْن كانا في الأصل مركزين نشيطين للقبليّة العربيّة، وغدا لكل اتّجاه مدرسة تاريخيّة يمثّلها علماؤها، وأبرز تلك المدارس: مدرسة المدينة والشام، ومدرسة العراق، ومدرسة اليمن(٣).

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣٠٨/١، ٣٠٩.

(٢) كتاب العقد الفريد، ٣٦٧/٣، ٣٦٨. جدّله: صرعه (لسان العرب: جدل).

(٣) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري، ص: ٢٢.

وقد يبدو للوهلة الأولى أنْ ليس ثمّة صلة بين الأنساب والأخبار والتاريخ، والصواب غير ذلك، فالصلة وثيقة جدّاً ليس بين الأنساب والأخبار وحسب، بل بين الأنساب وغيرها من العلوم؛ *فقد ارتبط علم الأنساب بغيره من العلوم مثل علم السيرة والمغازي، كما ارتبط ارتباطاً وثيقاً بكتابة التاريخ والأخبار وأيّام الناس، وكانت الأخبار تُطْلَبُ للتاريخ، وأغلب الأخبار كانت تهدف الى ذكر السَمر والمُنادمَة والاستعانة على حشو علوم أخرى كالنسب والحديث والتفسير وما إلى ذلك*[١]. *ويكمن سبب ذلك الترابط بين الأنساب وغيرها من العلوم أنّ الكتابات التاريخيّة الأولى لم تشهد استقلالاً أو تخصُّصاً واضحاً على النحو الذي نراه اليوم، وإنّما كانت مناحي اهتمامات الدارسين ومؤلّفاتهم متداخلة مترابطة لدرجة كان يصعب من خلالها الفصل بينها*[٢]، *ونضرب على ذلك مثالاً بابن شهاب الزهريّ الذي جمع إلى علمه الغزير بالسيرة والمغازي علماً بالأنساب والشعر أيضاً*[٣]، *وكذلك عَوانة بن الحكم الكلبيّ الذي يعدّ إخباريّاً وعالماً بالشعر والأنساب*[٤].

وعندما انتقل مركز الخلافة إلى الشام استقدم الأمويّون إليهم جُلّ العارفين بالسيرة والمغازي وأخبار الفتوحات وأنساب القبائل وعلاقاتها وأخبار العرب قبل الإسلام، وبذلك تَجمَّعَ مَنْ يروي لهم كلّ هذه العلوم، فأُسِّسَتْ بذلك مدرسة الشام التي اهتمّت بالأنساب والتاريخ الجاهِليّ إضافةً إلى اهتمامها بالسيرة والمغازي، وتوسَّطت مدرسة الشام بذلك مدرسة المدينة التي أَوْلَت جُلّ عنايتها للسيرة والمغازي، ومدرسة العراق التي عُنِيَت بالأنساب والأخبار والتاريخ الجاهليّ، فجاءت مدرسة الشام لتجمع بين هذه الموضوعات كلّها معاً[٥].

وتَوجَّه جُلّ اهتمام دارسي التاريخ في المدينة إلى السيرة النبويّة وسيرة الخلفاء الراشدين، وفي البصرة والكوفة تَوجَّه اهتمامهم إلى الشؤون القبليّة والفتوحات. وأدّت العناية بدراسة السيرة النبويّة إلى ظهور الاهتمام بالإسناد وشيوع استعماله في الرواية، إذ كان التثبّت من سلسلة الرواة هو الطريق الأمثل للتثبُّت من صحّة الرواية، وقد ارتبطت قيمة الحديث أو الرواية ارتباطاً مباشراً بمكانة المحدّثين أو الرّواة. ولمَّا كانت دراسة المغازي تدخل ضمن دراسة الحديث الشريف، فقد استمرّ اهتمام المحدّثين بها، وغَدَوْا روّاداً في دراسة المغازي، وشكّل ذلك الاتجاه (الاهتمام بالإسناد) في فترة مبكّرة نظرية نقديّة ظلت الأساس في نقد الروايات، وكوّن أساساً قويّاً للدراسات التاريخيّة[٦]، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد تقديراً خاصّاً لعلماء المغازي والسير قلّ أن نجده تجاه غيرهم من العلماء.

---

(١) انظر: دراسة كتاب النَّسب، مريم الدِّرع، ص: ١٠٠. وانظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٦/١.

(٢) انظر: نشأة علم التاريخ، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٣٩.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص: ٢٧، ٢٨.

(٤) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٠.

(٥) انظر: التاريخ العربيّ والمؤرّخون، شاكر مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ١١٧/١-١١٩.

(٦) انظر: نشأة علم التاريخ، عبد العزيز الدوريّ، ص ٦٦، ٢٣.

١- الاتّجاه الإسلاميّ:

يمثّل محمّد بن مُسلم بن شهاب الزُّهريّ (ت ١٢٤هـ) مرحلة متطوّرة في الدراسات التاريخيّة، فهو أحد ثلاثة علماء اجتهدوا في تنمية دراسات المغازي وتوسيعها، وهم عاصم بن عمر بن قَتَادَة (ت ١٢٠هـ)، وعبد الله بن أبي بكر بن حَزم (ت ١٣٠-١٣٥هـ). ويعدّ ابن شهاب الزهريّ المؤرّخ الأول في دراسة المغازي؛ لأنّه توسّع في البحث عن روايات المدينة وأحاديثها، وكان يكتب ما يسمعه ليساعد ذاكرته، وكان ينتقد الروايات ويمحّصها واشتُهِر بقوة إسناده، ولذلك كان موضع ثقة العلماء والباحثين الذين أخذوا عنه[١].

وابن شهاب فضلاً عن علمه الغزير بالسّير والمغازي والحديث الشريف، ومعرفته بتاريخ صدر الإسلام، كان عالماً بالأنساب؛ إذ ألّف كتاباً في أنساب قريش، وأخذ عنه مصعب الزُّبيري أحد نسّابي العصر العباسيّ، وكان خالد القسريّ طلب منه أن يؤلّف في أنساب العرب، فبدأ بأنساب مُضَر، ولكنّه لم يكمل ذلك الكتاب[٢]*، وقال عنه الذَهبيّ:* **"أبو صالح عن الليث بن سعد قال: ما رأيتُ عالماً قطّ أجمعَ من الزُهريّ، قلت: لا يحسن إلاّ هذا. وإنّ حدّث عن القرآن والسنّة فكذلك**[٣]*، وقال فيه قُرّة بن عبد الرحمن:* **لم يكن للزهريّ كتاب إلاّ كتاب فيه نسب قومه"**.[٤]

ومن كتّاب السِّيَر والمغازي محمّد بن إسحق (ت ١٥١هـ)، وهو من العارفين بالأنساب، وقد جمع في كتاباته بين أسلوب القُصّاص وأسلوب المحدّثين، وهو من تلامذة ابن شهاب الزهريّ، إذْ ربط في دراساته السيرة بالأنساب، إلاّ أنّه لم يكن يملك قدرة شيخه في البحث والتدقيق. وابن إسحاق غير محمود السيرة عند كثير من العلماء خاصة علماء المدينة؛ لأنّه استقى كثيراً من مادّته من القصص الشعبيّ والإسرائيليّات، وأورد كثيراً من الشعر الموضوع وأخطأ في ذكر الأنساب[٥]*. ويُنتقد ابن إسحاق ايضاً لأنّه لا يفحص مصادر رواياته ولا ينتقي الصالح منها، بل كان ينقل كثيراً من المعلومات من كتب الآخرين دون أن يسمعها من أصحابها، ولذلك ظلت روايات ابن إسحق موضع شك وحذر عند كثير من المؤرّخين والعلماء*[٦]*، ويمكن أن يُلحظ لديه أثر الاتجاهات السياسيّة والفكريّة في ما وُجّه إليه من ميول للتشيّع، ووُصِفَ بأنه كان يتبنّى وُجهة نَظر معارضة لحكم الأمويّين، وهي مبدأ القدر أو حرّية الإرادة، إذْ يعارض ذلك فكرة الجَبْر التي قامت على أساسها الدولة الأموية*[٧].

---

(١) انظر: الإعلان بالتوبيخ لِمَن ذمّ التاريخ، السَّخاويّ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد علي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٣م، ص: ٢٣٦. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٢٦-٢٨.

(٢) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٥/٢٢.

(٣) كتاب تَذكِرة الحُفّاظ، الذهبيّ، صُحِّح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكّي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهنديّة، ١٣٧٤هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان،١٣٧٥هـ=١٩٥٥م، ١٠٩/١.

(٤) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانيّ، ٣٢٤/٨.

(٥) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٣٢، ٣٣، ١١٤.

(٦) انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيّد الناس، ضبطه وشرحه وعلّق عليه الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ١٦/١.

(٧) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٣٤.

٢- الاتّجاه القَبَليّ:

يُمثّل الإخباريّون الاتجاه القَبَليّ في الدراسات التاريخيّة، والخبر هنا يعني **"الرواية أو القصّة، والإخباريّون هم أولئك الذين كتبوا في تاريخ العرب وأخبارهم وأسمارهم ومناقبهم ومثالبهم وأيّامهم في الجاهليّة ونحو ذلك"**[١]*، وكانت الأخبار والروايات تُروى في المقام الأول في المجالس القبليّة، ورُويت أيضاً في مجالس الخلفاء وفي بعض المساجد أيضاً، وهي تدور حول القبائل ومآثرها، وتُعدّ مُلكاً مشتركاً للأُسَر والقبائل. وكان رواة الشعر وشيوخ القبائل هم الذين يقومون برواية الأخبار والروايات، ولم يكن لها في بادئ الأمر أسانيد، وإن وُجِد – وهو قليل جدّاً – فهي أسانيد غير متّصلة، وكانت الأخبار والروايات تُتَناقل مع كثير من الشعر بطريقة شفهيّة كما كانت قبل الإسلام، إذ كانت تشكّل جزءاً مهمّاً من ثقافة المجتمع*[٢].

وتطوّر الاتجاه القبليّ في الدراسات التاريخيّة، وظهر ذلك جَلِيّاً في الاهتمام بالمآثر والأنساب القبليّة، و وُجِدَ في العراق خاصّة في البصرة والكوفة مركزان نَشِيطَان فَعّالان لتداول الأخبار والرّوايات والأنساب، وغَدت التيارات السياسيّة والاجتماعيّة والمدنيّة الجديدة باعثاً للاهتمام بها[٣]*. وقد أضافت الفتوحات الإسلاميّة مآثر وأمجاداً جديدة إلى الموضوعات القبليّة، وسرعان ما ظهرت عصبيّة قبليّة في الأمصار التي سكنتها القبائل العربيّة، وأسهمت العصبيّة القبليّة والتطورات السياسيّة في تقوية الخطوط القبليّة والاهتمام بدراسات الأخبار والأنساب على نحوٍ لم يُعرف من ذي قبل، وشجّع الخلفاء الأمويّون هذه الدراسات*[٤].

وشهد القرن الثاني للهجرة ظهور شيوخ ورواة عُرفوا بعلمهم الراسخ بأنساب قبائلهم ومآثرها، كما شهد ظهور كتب تحوي أنساباً وأخباراً وأشعاراً لبعض القبائل، ويُحتمل أن يكون تَمَّ جمعها من بعض الرواة، وعُرِفَتْ بكتب القبائل؛ إذْ يشير الشاعر الطِّرِمّاح (ت ١٠٥هـ) إلى كتاب تميم، كما يشير حمّاد الراوية (ت ١٥٦هـ) إلى أنّه كان بحوزته كتابا قريش وثقيف[٥]*. وقد أفاد علماء الأخبار والأنساب واللغة – منذ منتصف القرن الثاني الهجريّ – مِن أولئك الرواة، واستقَوْا مادّة مهمّة من كتب القبائل، وأشهر هؤلاء العلماء أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وحمّاد الراوية، إذ قاما بجمع بعض الأشعار*

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٦/١.

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٦٦/٣. والمُزهر في علوم اللغة، السيوطيّ، ٢٤٨/١-٢٤٩. ونشأة علم التاريخ، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٣٩، ٤٠، ١٣٣.

(٣) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٦٥، ١٣٣.

(٤) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨. ومقدّمة طُرْفَة الأصحاب في معرفة الأنساب، تصنيف السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، حققه ك.و. سترستين عضو المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقيّ بدمشق، ١٩٤٩م، ص: ٦-٨.

(٥) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٧٠/٦. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٣٣، ١٣٤.

والأخبار وموادّ من الأنساب العربية قبل الإسلام مِن رواة القبائل ومن كُتُبها، واستخدما في ذلك الكتابة لحفظ نتاجاتهما (١).

اتّجه الإخباريّون لجمع الروايات المبعثرة في الأخبار والأنساب بصورة شفويّة، قبل أنْ يتصدّوا لجمعها وروايتها بصورة مدوّنة منظّمة في كتب، وهذا ما ميَّز الإخباريّين عن رواة الأخبار الذين كانوا يروون روايات عن حوادث معيّنة (٢)*، وهم مصادر العلم ومَظانّه الأولى والقائمون عليه، وكانوا يتحقّقون بعلم الأخبار والأنساب والآثار والأشعار، وكانوا يسكنون البادية ويسمّون "رواة العرب" وهم بمنزلة الرواة في الحضر* (٣)*، بينما اتّجه الإخباريّون إلى جمع الأخبار والروايات التي تتصل بموضوع أو حادث معيّن، ووَضْعها في كتب متسلسلة، ومن أشهر هؤلاء الأخباريّين عَوانة بن الحكَم الكلبيّ (ت ١٤٧هـ)، وأبو مِخْنَف (ت ١٥٧هـ)، إلاّ أنّ دراسات الإخباريّين وَصَلت إلى ذروتها في العصر العباسيّ على يد المدائنيّ (ت ٢٢٥هـ) الذي يعدّ شيخ الإخباريّين بلا مُنازِع* (٤).

إذاً يُعَدُّ الإخباريّون المؤرّخين الأقدمين في الاتجاه القبليّ، وهم الذين مهّدوا الطريق لكبار المؤرِّخين المعروفين كالطبريّ والبلاذريّ وغيرهما (٥)*، وقد بذلوا جهوداً في نطاق كبير لجمع الأخبار والروايات، ورجعوا في ذلك إلى الروايات الأُسْريّة والروايات القبليّة في العراق، ولم يكتفوا باعتمادهم على المِصْر الذي كانوا فيه، بل استكملوا رواياتهم بروايات مدنيّة وأخرى شاميّة ذات صلة بالأحداث التي تناولوها، وليس بعيداً أن يكونوا رجعوا إلى سجلاّت حكوميّةكـ (ديوان الخاتم) في العراق والشام، وديوان الجند أو العطاء الذي كان سجلاً للقبائل العربيّة* (٦).

ولم تصل إلينا معظم مؤلّفات الإخباريّين الأوّلين، ووصل إلينا علمهم متناثراً من خلال النُقول والمُقْتَطفات والمُقْتبَسات في كتب المؤرّخين الكبار مثل الطبريّ والبلاذريّ (٧)*. ويمكن وصف كتابات الإخباريّين بالأسلوب السهل المباشر الذي يَلتقط صوراً حيّة للأحداث، وتُمثِّل كتاباتهم مرحلة انتقال بين مرحلة سابقة يختفي فيها الإسناد، وبين أسلوب المحدّثين الذي يلتزم الإسناد الدقيق؛ إذ لا يلتزم الإخباريّون الإسناد كما التزمه المحدّثون، وإنّما يُظهرون تهاوُناً وحرّية في استخدامه، فنجد سلاسل إسناد متقطّعة غير متّصلة، وحالات يُكتَفى فيها بذكر الاسم الأول للراوي، مثل: عن عُمَيْرة بن فلان العبديّ. كما نجد استخدام "قِيل" بكثرة، وأحياناً لا يُذكر اسم الراوي، بل يرد بهذه الصيغ:* **"عن رجل مِن ..."** *و* **"عن أشياخ**

---

(١) راجع البحث، ص: ٤٠.

(٢) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٠، ٦٥، ٦٦.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٥/١.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٠، ١٣٥.

(٥) انظر: المرجع نفسه، الصفحات ذاتها.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٠، ١٣٧.

(٧) انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٠.

*مِن ..."، و"**عَمَّن أدرك من أهل العلم**" وغير ذلك*(١)*، وبمرور الزمن بدأت أهميّة الإسناد تزداد لدى الأخباريّين، ممّا يُظهر أثر الاتّجاه الإسلاميّ في الكتابات التاريخية*(٢)*.*

وقد تأثّرت الأخبار والروايات برغبات الإخباريّين وميولهم الحزبية والعصبيّات – ومنها العصبيّة القبليّة – الّتي كانت سائدة في عصرهم، وذلك أثّر تأثيراً كبيراً في كتاباتهم التاريخيّة، ولذلك فإنّه ينبغي على القارئ في أثناء تناول تلك الأخبار والروايات أن يحاول دراستها دراسة نقديّة، وَلمَّا كان التحقُّق من سلسلة الرواة هو الطريق القويم للتثبّت من صحة الأخبار والروايات، ولَمّا كان من الصعب الاعتماد على الإسناد في تلك الأخبار والروايات لِما ذكرنا سابقاً من ضعف الإسناد فيها، *فإنّه لا يبقى لدينا إلاّ أنْ ننظر في ميول الإخباريّين ورَغباتهم والتي يمكن أن تكشف عن اتّجاهاتهم من خلال الأخبار والروايات التي يوردونها ويقبلون بها أو يرفضونها، وبناءً على ذلك تنبني الثقة بالإخباريّ أو المؤرّخ عندما يذكر روايات متباينة أو مُحايدة – كما سيمرّ بنا – وعلى هذا الأساس يظهر النقد والدقّة لدى الإخباريّين والمؤرّخين من خلال فحص الأخبار والروايات في ضوء ما ذُكِر*(٣)*.*

٣- أشهر الإخباريّين:

من علماء الكوفة ورواتهم للأخبار وعلمائهم بالأشعار وأنساب العرب عَوانة بن الحكم بن عِياض الكلبيّ، ويكنّى أبا الحكَم، وعُرِف إخباريّاً أكثر من كونه عالماً بالأنساب، وتوفي سنة (١٤٧هـ) مئة وسبع وأربعين للهجرة. وقد كتب في تاريخ بني أميّة، وله كتاب "سيرة معاوية وبني أميّة" (٤)، ولم يصل إلينا كتابه هذا في ما بحثت. *واستقى عَوانه جلّ معلوماته في ما يتّصل بالأمويّين من قبيلة كلب المُوالِية للأمويّين، ويكاد يتبنّى في كتاباته وجهة النظر الأمويّة في تفسير بعض الحوادث التاريخيّة، وهي فكرة الجبر بمعنى التسليم بالأوضاع العامّة السائدة بوصفها مقدّرة من عند الله، وهذا اتّجاه شجّعه الأمويّون لتثبيت دعائم حكمهم، بينما تبنّت الأحزاب المعارضة مبدأ الحرّية ومسؤولية البشر في تلك الأوضاع، ولذلك نجد عَوانة يَميل أحياناً إلى قبول الروايات الأمويّة أمام الروايات العراقيّة*(٥)*، ومن ذلك ما رواه عن مخاطبة يزيد بن معاوية لعليّ بن الحسين – رضي الله عنهما – عَقب وقعة كَربلاء بأنّ والده الحسين كان ينبغي عليه أن يخضع لمشيئة الله عزّ وجلّ، وأن يتذكّر قوله تعالى: (قل اللهمّ مالِكَ المُلْك تؤتي المُلْكَ مِنْ تشاء وتَنزِع المُلْك مِمَّن تشاء وتُعِزّ مَنْ تشاء وتُذِلّ مَنْ تشاء بيدك الخير إنّك*

(١) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٣٩، ١٤٠.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٠.

(٣) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٦٦، ٦٧.

(٤) انظر: الفِهْرست، ابن النديم، ص: ١٤٠.

(٥) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣/٣٥٧، ٣٥٨. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ٥/٢١٤٩. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٢٩، ١٤٨.

على كلِّ شيء قدير)[١]*، وأحياناً نجده يورد روايات أخرى مدنيّة وعراقيّة تخدم وجهة نظر معارضة للأمويّين؛ ومن الأمثلة على ذلك ما رواه عَوانة عن سكينة بنت الحسين قولها:* **ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد،** *وكذلك ما عرضه من رأي جابر بن عبد الله في بيعة معاوية بأنّها "بيعة ضلال"*[٢]*، ولذلك يمكن القول إنّ عَوانة الكلبيّ لم يكنّ متحيّزاً إلى فئة دون فئة في رواياته واتجاهات كتاباته، وإنْ ظهر لديه ميل إلى الأمويّين، ولا غرابة في ذلك فقد كان عثمانيّاً وكاتباً لأخبارهم*[٣]*.*

وَصَلت إلينا روايات عَوانة عن طريق مشاهير الإخباريّين والنسّابين في العصر العبّاسي كابن الكلبِيّ والمَدائنيّ والهيثم بن عديّ، وقد أخذ هؤلاء رواياتهم عنه باتّصال مباشر به أو من خلال كتبه[٤]*.*

وثمّة إخباريّ كوفيّ آخر كان له اهتمام بالأنساب، وهو أبو مِخْنَف، واسمه لُوط بن يحيى بن سعيد بن مِخْنَف بن سليم الأزديّ (ت ١٥٧هـ)، وقد غَلب علمه بالأخبار على علمه بالأنساب[٥]*. وله مصنّفات كثيرة تقارب الستين مصنّفاً، ذكر منها ابن النديم خمسة وثلاثين مصنّفاً*، ووصل إلينا منها كتابا مقتل الحسين، وأخبار المختار بن أبي عُبَيْد الثَّقفيّ، فضلاً عن كتابه المعروف بتاريخ أبي مِخْنَف، وجاء بعنوان "نصوص من تاريخ أبي مِخْنَف". *وقد تناول في كتبه أمر الردّة، وفتوح الشام والعراق، ووقعة صفّين، وكثيراً من الأحداث، التي وقعت في العراق والشام والمدينة حتى سقوط الدولة الأمويّة*[٦]*.*

ويبدو أنّ أبا مِخْنَف لم يتناول في كتاباته الفترة العباسيّة التي عاشها وهي ربع قرن تقريباً، إذْ المرجّح أنّ آخر الأخبار التي وصلت إلينا من رواياته كان سنة (١٣٢هـ) مئة واثنتين وثلاثين للهجرة، وهي السنة التي سقطت فيها الدولة الأموية[٧]*،* وأغلب الظنّ أنَّ أبا مِخْنَف وغيره من الإخباريّين خافوا سلطة الخلافة العبّاسيّة، فاختاروا أن يَنأَوْا بأنفسهم عن الخوض في شؤون الدولة الجديدة لِمَا يمكن أن يجرّه ذلك عليهم من انتقام وويلات.

ويميل أبو مِخْنَف في أخباره ورواياته إلى العراق أمام الشام، ويُظْهِر فيها آثار اعتزاز القبائل العربية بمِصرها، ومع ذلك لا تكشف أخباره عن تحزّب سياسيّ للعراق[٨]*، وينوّع أبو مِخْنَف في*

---

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣/٣٤٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٣/٣٤١، ١٥٣.

(٣) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٥/٢١٤٩.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٣.

(٥) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٧. والفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٢.

(٦) انظر: الفِهرست، ص: ١٤٢، ١٤٣.

(٧) انظر: " مقدّمة نصوص من تاريخ أبي مِخْنَف"، استخراج وتنسيق وتحقيق كامل سلمان الجبوريّ، دار المَحجَّة البيضاء للطّباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ١/٧.

(٨) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣/٩٤، ٩٥، ٤٨.

مصادر أخباره عند جمعة للأخبار والروايات، إذ لا يكتفي بإيراد روايات عراقية فقط، بل نجد لديه في الخبر الواحد روايات مِن المدينة والجزيرة العربيّة والشام؛ فقد أورد روايات لشيوخ من قبيلته الأَزْد وقبائل مُحارِب وتَيْم الله بن ثعلبة ونُمَيْر وتميم، كما أورد روايات أسر وروايات أفراد في الحوادث نفسها (١). وبذلك يفسح أبو مِخْنَف للقارئ مجالاً رَحْباً للموازنة بين الروايات المتباينة التي يوردها، ومعرفة الصحيح منها من الزائف والمبالغ به.

ويمكن القول أخيراً إن روايات أبي مِخْنَف وأخباره اكتسبت أهميّة تاريخيّة بالرَّغْم من ميوله العلويّة والعراقيّة التي أشرنا إليها سابقاً، وذلك لأنّ كبار المؤرِّخين مثل الطبريّ وابن الأثير اللّذَيْن أكثرا من الأخذ منها في تاريخهما عن طريق ابن الكلبيّ (٢).

وتظهر صلة الأنساب بالأخبار والتاريخ واضحة عند تناول إخباريّ كوفيّ آخر هو مُحمّد بن السائب الكلبيّ المتوفَّى بالكوفة سنة (١٤٦هـ) مئة وستٍّ وأربعين للهجرة (٣)، *ويعدُّ أوفى الإخباريّين علماً وأوسعهم إطلاعاً، فهو من رُواة الأخبار ومن العلماء بالأنساب واللغة والتاريخ والتفسير أيضاً* (٤)، *بينما نجد غيره من الإخباريّين غَلَب لديه العلم بالأخبار على العلم بالأنساب، أما الكلبيّ فتوثّقت لديه الصلة بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبيّة، وسار على دربه ابنه هشام بن محمّد الكلبيّ، إذ قام بدراسة الأنساب والتاريخ واللغة، وحاول أن يعتمد –كما زعم– في جمع الروايات والأخبار القبليّة على أفضل رُواة النَّسَب في مختلف القبائل* (٥)، *ورجع إضافة إلى ذلك إلى شعر النقائض، فدرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه، إذ اشتمل ذلك الشعر على معلومات قيّمة في الأنساب، وبالرغم مّما وجّهه إليه المحدّثون من نَقْد واتّهام بمغالاته في التشيُّع، إلاّ أنّ تمكّنه من العلم بالأنساب لا يكاد يختلف عليه أحد* (٦)، *ومع ذلك لم يترك لنا الكلبيّ مؤلَّفاً في النسب، ولكنّه من رُواة النَّسَب* (٧).

---

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ٧٣/٣، ٩٠، ٩٣، ٩٦. وانظر: نشأة علم التاريخ عن العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٣٧، ١٣٨.

(٢) انظر: " مقدّمة نصوص من تاريخ أبي مِخْنَف"، كامل الجبوريّ، ٨/١، ١٨.

(٣) انظر: وَفِيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خَلِّكان، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، ٣٠٩/٤، ٣١١. والمعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٦.

(٤) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٦. والفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٥. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩. والتاريخ العربيّ والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ص: ١٩٠. وتاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٤/١.

(٥) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٧. والتاريخ العربيّ والمؤرّخون، شاكر مصطفى، ص: ١٩٠. والتاريخ والمؤرّخون العرب، السيّد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٤٨.

(٦) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٣/٩. ووَفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣٠٩/٤.

(٧) انظر: التاريخ العربيّ والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ص: ١٩٠.

د- أبرز النَسَّابين في العصر الأُمويّ:

كان الشعر عند العرب يقوم بدور كبير في حياتهم، فهو ديوانهم وحافظ أنسابهم ومآثرهم، ولذلك توسّع العرب فيه وربطوا به أعلى المعاني النفسيّة التي تجول في خواطرهم، حتى صار الشعراء لسان قومهم، يذودون عنهم، ويدافعون عن أحسابهم، وينتقصون من أعدائهم، وبذلك أضحى الشعر عمود الرواية عند العرب، وموضع الاستشهاد على أخبارهم. ولَـمَّا انبرى شيوخ القبائل وأهل الأنساب والقائمون على مفاخرها لرواية الأنساب خاصة، واستقلّت رواية الأنساب عن رواية الشعر، ظهرت الحاجة مُلِحّة إلى مَنْ يتخصّص برواية مفاخر العرب ومثالبهم، ويتتبّع أخبارها في أجذام العرب على نحو علميّ يقوم على الاستقصاء والاستيعاب، فنشأت طبقة النسّابين، وهم رُواة الجاهليّة وعلماؤها، وإليهم تنتهي الرواية، واقتصر علمهم على الجاهليّة وطرف من الإسلام، ومن أبرزهم ورؤسائهم: دَغْفَل بن حنظلة (النسّابة)، وعُبَيْد بن شَرِيَّة الجُرهميّ، وزيد بن الكَيّس النَّمري، والنَخّار بن أَوْس العُذريّ، وابن لسان الحُمَّرة وغيرهم[١].

ودَغْفَل على وزن (جَعْفَر) ذاع صيته وعُرِف بالنَسَّابة لشدّة رسوخ علمه بالنسب، وكان أيضاً عالماً بالعربيّة والنجوم[٢]*، ويُعدّ دَغْفَل من علماء الأنساب المُخَضْرَمين؛ فقد تصدّر قومه بني ربيعة – وهو غلام – في محاورة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه في النسب، وأدرك الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وجرت بينهما محاورات في النسب وغيره من العلوم*[٣]*، وعاش في عهد بني أميّة حتى توفيّ سنة سبعين للهجرة على الأرجح*[٤]*. وحَسْبُهُ إشادة بعلمه أنْ ذكره بعض شعراء بني أميّة، ومنهم الفرَزْدَق الذي يقول*[٥]*:*

أوصى عشيّةَ حينَ فارق رَهْطَه عند الشهادة والصحيفة دغفلُ

إنّ ابنَ ضَبَّة كانَ خيراً والداً وأتَمُّ في حَسَب الكرام وأفضلُ

ويأتي في طبقة دغْفَل النسّابة زيد بن الكيّس النَّمَريّ، وذكر أبو عبيدة أنّه يُقارِبُه في العلم بالأنساب، وهو مِنْ بني عوف بن سعد بن تغلب بن وائل، وقد جعلهما الشاعر مِسكين الدَارِمِيّ في منزلة واحدة:

فَحكِّمْ دَغْفَلاً وارحلْ إليه ولا تدع المَطِيَّ من الكَلالِ

وعِنْدَ الكَيّسِ النَّمَرِيّ عِلْمٌ ولَوْ أمسى بمُنْخَرِقِ الشِّمالِ[٦]

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢١٤/١.

(٢) انظر: نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٩. وانظر: المفصّل، جواد عليّ، ٣٣٢/٨.

(٣) انظر: نهاية الأرَب، القلقشنديّ، ص: ٨، ٩.

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٣٢٦/٢.

(٥) شرح ديوان الفرزدق، ٣٢٠/٢. والنقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى، ١٨٩/١: (في الصحيفة – أَنّ ابن ضَبَّة).

(٦) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١. ونهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القَلْقشنديّ، ص: ٩، ١٠. مع اختلاف في رواية صدر البيت الثاني في نهاية الأرب: (أو ابن الكَيّسِ النَّمَرِيّ زيداً).

ومن المُقَدَّمين في النَّسب في الإسلام ومستهلّ العصر الأمويّ النَخَّار بن أوس العُذْريّ، وسبق ذكره ضمن نسّابي صدر الإسلام. *وكان علاّمة بالأنساب، وقال فيه ابن الكلبيّ: كان أنسب العرب. وأخذ عنه محمّد بن السائب الكلبيّ نسب مَعَدّ بن عَدنان، وهو مِمّن استقدمهم معاوية رضي الله عنه*[١]. *ولكنّه* "**دون أصحابه إذ يجري في قصّ النسب على طريقة الكُهّان من السجع والتشبيه، لفَضْلٍ في بيانه وبَسطة في لسانه، وكانت له حكمة تزيّن ذلك. دخل على معاوية أوّل عهده به، فازدراه، وكان عليه عَباءة خَلَقَة فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ العباءة لا تكلّمك، وإنّما يكلّمك مَنْ فيها!**"[٢].

ومن نسّابي صدر الإسلام والعصر الأمويّ ابن لسان الحُمَّرة؛ وقد اختُلِفَ في اسمه، فقيل: هو عُبَيْد الله بن الحُصَين، أو عبد الله بن حِصْن، وقيل أيضاً: إنّ اسمه ورقاء بن الأشعر، أو وَرقاء الأشعر، أو وِقاء الأشعر[٣]*، واختُلِفَ في لقبه كما اختُلِفَ في اسمه، فقيل هو ابن لسان الحُمرَّة، وقيل لسان الحُمرَّة*[٤]*. ولا أدري سبب الاضطراب والاختلاف في تحديد اسمه ولقبه، وأغلب الظنّ هو أنّ النسّابة ابن لسان الحُمرَّة غير لسان الحُمرَّة، وهذا الأخير هو أبوه،ولعلّ أقوى الآراء قول ابن حزم الأندلسيّ:* "**مِن ولد صُعَيْر [من بني تَيْم الله بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل]: لسان الحُمَّرة، واسمه حِصن بن ربيعة بن صُعَيْر بن كلاب، والنسّابة هو عبد الله بن لسان الحُمَّرة**"[٥]. *ويكنّى أبا كِلاب، وقد عاصر معاوية بن أبي سفيان*[٦]*. قال عنه ابن قتيبة:* "**كان أنسب العرب وأعظمهم بَصَراً**"[٧]*، وقال عنه ابن النديم:* "**كان ناسباً وأشدّ الناس تِيهاً وكِبراً**"[٨]. *ذكر الأصفهانيّ أنّ ابن لسان الحُمرَّة قَدِم الكوفة وكان المُغيرة بن شعبة والياً عليها، فسأله المغيرة عن طبائع بعض قبائل العرب، وأصناف النساء، فأجابه، فأُعْجِبَ المغيرة بجوابه*[٩].

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٣٨٩/٦. والبيان والتبيين، الجاحظ، ٣٣٣/١.

(٢) تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٢/١. والإصابة، ابن حجر، ٣٨٩/٦.

(٣) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٥. والقاموس المحيط، الفَيروزَباديّ، مادة (حَمِرَ). وجمهرة أنساب العرب، ابن حَزم، ص: ٣١٥. والاشتقاق، ابن دريد، ص: ٣٥٤. والفِهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨. وبلوغ الأرَب في معرفة أحوال العرب، الألوسيّ، ٢٠٢/٣.

(٤) انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ، ٢٠٠/٢. وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص: ٣١٥. وكتاب الأغاني، الأصفهانيّ، ٦١/١٦. والقاموس المحيط، الفَيروزَباديّ، مادة (حَمِرَ) والاشتقاق، ابن دُرَيد، ص: ٣٥٤. والفِهرست، ابن النديم، ص: ١٣٨.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص: ٣١٥.

(٦) انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ، ٢٠٠/٢. والمعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٥.

(٧) المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٥.

(٨) الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٣٨.

(٩) كتاب الأغاني، أبو الفرَج الأصفهانيّ، ٦١/١٦، ٦٢.

وعُرِف في أواخر هذه الطبقة صَعْصَعة بن صُوحان، وكانت الرواية عنه بعد الإسلام في أخبار العرب خاصّةً، وكان ابن عبّاس على سَعة حفظه كثيراً ما يرجع إليه فيسأله ويذاكره في أمور كثيرة، ولذلك لَقَّبه بباقر علم العرب(١).

تلك هي الطبقة الأولى، أما الطبقة الثانية فهي التي أخذت عن هؤلاء النسّابين، ونشأت منتصف القرن الأول، وكان أهلها مبدأ الرواية في الإسلام، وقد تناولوا أخبار العرب وأنسابهم، وما حصل في الإسلام إلى العهد الذي كانوا فيه، وكانوا يجمعون مع أخبار العرب طبقات الصحابة وأنسابهم، وأبرزهم في أخبار العرب: قَتادة بن دِعامة السَدُوسيّ المتوفّى سنة (١١٧ هـ) مئةٍ وسبع عشرة للهجرة، ومِنْ هؤلاء أيضاً الشَّعبيّ الذي كان جليساً لعبد الملك بن مروان، وقد تَميَّزَ عن سائر رواة عصره بجمعه بين الأنساب وأيام الناس والشعر والفقه والحديث وغيرها، وفي القرن الثاني الهجريّ كان يُطلق على مَنْ يُقاربه في سَعة العلم "شَعبيّ زمانه". ومنهم أيضاً محمّد بن شهاب الزهريّ عَالِم الحجاز والشام. وكذلك النَضْر بن شُمَيل الحِميريّ، وخالد بن سلمة المخزوميّ، وكانا أكثر أهل زمانهما علماً بأنساب العرب ومثالبها، وهما اللّذان وضَعا كتاب المثالب بأمر من هشام بن عبد الملك(٢).

رابعاً: تطوّر علم الأنساب في العصر العبّاسيّ:

آ- الثورة العَبَّاسيّة:

*تعدّ ثورة العباسيّين خاتمة الثورات الكثيرة التي نشبت ضد الأمويّين، وهي ثورات كانت في ظاهرها تطالب بالعدل والمساواة والإصلاح الاجتماعيّ. وقد اتّخذ أصحاب هذه الثورة طريقين: "**الأول اتَّخذ أصحابه الرِّفْق واللِّين على نحو ما عُرِفَ عن جماعة الفقهاء، والثاني – وهو الأكثر – اتَّخذ أصحابه منهج العُنْف ليَمْحُوا سلطان الأمويّين مَحْواً على نحو ما كان يسعى إليه ابن الزُّبير والخوارج والشيعة ويزيد بن المهلّب. وقد رفع هؤلاء الثائرون السلاح في وجوه الأمويّين مِراراً، إذ كانت دولتهم تتعرّض للخطر أيّما تعرُّض،غير أنّهم استطاعوا أن يكبحوا جِماح الثائرين ويبسطوا نفوذهم بعد أن خاضوا في سبيل ذلك بحاراً من الدماء، مُتَّخذين من القضاء على الثائرين وأنصارهم عاقبة لكلّ من يحاول أن ينال من نُظُمهم السياسيّة والاجتماعيّة"*(٣)، ولم يكن العباسيّون أقلّ حرصاً من الأمويّين على قيام دولتهم ونجاح ثورتهم، بل كانوا أكثر ذكاءً منهم في عرض قضيّتهم – كما سنرى – فقد استفادوا مِنْ أخطاء الدولة الأمويّة في قَمْع كلّ الثورات ضدهم بلا هَوادة، وفي تجاهل

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٢/١، ٢٢٥: الحاشية.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٣١٣/١.

(٣) انظر: العصر العبّاسي الأوّل، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة، طبعة ثانية مُحقّقة، ١٩٦٦م، ص:٩.

غير العرب من نيل حقوقهم – كما زعم الشعوبيّون – وعرفوا أنْ لا سبيل إلى وصولهم لسُدّة الحكم دون أن يكسبوا تأييد جماهير الناس حتى لو تحالفوا مُؤقّتاً مع أعدائهم.

*ولم يذكر العباسيّون – طوال مدّتهم السّرّية لدعوتهم – أنّهم طُلاّب خلافة أو حكم، وإنّما كانوا يذكرون للناس أنّهم يسعون لإسقاط الدولة الأمويّة لأنّها دولة جائرة عليهم، ولطالما أَثْقَلَتْهم بظلمها واستبدّت بهم واستعبدتهم، مُبْرِزين لهم ما كان يعيش فيه الأمويّون من تَرف بالغ أفسد أداة الحكم إفساداً لا سبيل إلى إصلاحه إلاّ بالقضاء عليه، وبذلك أخفى العبّاسيّون أهدافهم الحقيقيّة للقضاء على الدولة الأمويّة ثمّ إقامة دولتهم وراء مطالبتهم بنُصرة الحكم الصالح ونصرة الحقّ والعدل على الباطل والظلم المستمرّ. ولكي يضمنوا نجاح خُطّتهم لم يقوموا بأخذ البَيْعة بالخلافة لأنفسهم، وإنّما رفعوا شعارهم المعروف "***الرِّضا من آل محمّد***"، فكسبوا بذلك أبناء عمومتهم العلويّين، وضَمّوهم تحت جناحهم، وكانوا كثيراً ما يشيعون بين الناس أنّهم قاموا بثورتهم كي يثأروا للشهداء من أبناء فاطمة الزهراء*[١]، ولم يكن في حقيقة الأمر دافعهم إلى ذلك حبّهم للعلويّين بل كرهاً للأمويّين. *واستمالت الثورة العباسيّة – عند قيامها – الأحزاب السياسيّة الدينيّة المناهضة للحكم الأمويّ، وأهمّ هذه الأحزاب وأخطرها وأكثرها نشاطاً الحزب الشّيعيّ، فكسبوا تأييدهم أيضاً*[٢].

ب– دوافع الاهتمام بالأنساب:

١– الصِّراع بين الأحزاب السياسيّة والدينيّة حول الإمامة والخلافة:

لم يكن الالتفاف حول النسب القرشيّ الممثّل في آل البيت هو حال الثورة العباسيّة فقط، بل كان ذلك شأن جميع حركات الاصلاح والمساواة المعارضة للحكم الأمويّ، إذ كانت – بحكم النسب – تبحث عن زعامات فرديّة دينيّة قرشيّة النسب، وذلك حتى تكسب نجاحها وتأييد الناس لها، ولذلك نجد أن جُلّ الأحزاب السياسيّة والدينيّة اتّخذت من النَّسب القُرشيّ شرطاً أساسيّاً للإمامة وخلافة المسلمين[٣]*،معتمدةً في مبدئها على الحديث الشريف* "**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهمُ اثنان**"[٤]، *وحديث آخر هو:* "**قَدِّموا قُرَيْشاً ولا تَقَدَّمُوها**"[٥]، *وقد كانت هذه الاحاديث وأشباهها سبباً قويّاً في حسم النزاع الذي كاد ينشب بين المسلمين المهاجرين منهم والأنصار، يوم اجتمعوا في سقيفة بني ساعِدة لاختيار خليفة لرسول الله – صَلّى الله عليه وسلّم – فتراجع الأنصار عن مطالبتهم بأن يكون*

---

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣٢٠/٤، ٣٢١، ٣٢٣. وتاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتّى سقوط بغداد، سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص: ٢٣٧.

(٢) انظر: تاريخ العرب والإسلام، سهيل زَكّار، ص: ٢٣٦.

(٣) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٨٥.

(٤) صحيح البخاريّ، ١٢٩٠/٣ – باب مناقب قريش – رقم الحديث (٣٣١٠).

(٥) معرفة السُّنن والآثار، البَيْهَقيّ، تدقيق ومراجعة عبد المعطي أمين قلعجيّ، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ١٥٤/١ – رقم الحديث (٢١٧).

الخليفة منهم لَمَّا سَمِعوا من أبي بكر الصدّيق[١] حديث الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – "**الأئمّة من قريش**"[٢].

إذاً يُعَدُّ النسب محوراً رئيسياً تَصارعت حوله تلك الأحزاب، وأضحى وسيلة لإثبات الحقّ الشرعيّ في الوصول إلى الحكم، وهذا ما أدّى بالنسّابين إلى زيادة الاهتمام بالأنساب والعناية بها والحرص على تدوينها، وبذلك تحوّلت وُجْهة الاهتمام بالأنساب منذ منتصف القرن الثاني الهجريّ من الانتساب للقبائل العربيّة إلى الانتساب إلى قبيلة قريش خاصّة باعتبارها محلاً للخلافة والحكم والسيادة[٣]. وإذا كان النسب القرشيّ ضرورة دينيّة لها ضوابط وأحكام في صدر الإسلام، فقد أمسى في العصر العبّاسيّ ضرورة سياسيّة للحكم والخلافة، ولذلك لم يكن غريباً أنْ تُؤلَّف كتب في أنساب قريش خاصّة مثل كتاب "نسب قريش" لمصعب الزُّبَيْريّ، و"جمهرة نسب قريش وأخبارها" للزُّبَيْر بن بكّار، وغيرها.

٢- الشعوبيّة وأثرها في تطوّر علم الأنساب:

لم يكن الصراع السياسيّ الدينيّ بين الأحزاب حول حقّها في الخلافة والإمامة، هو وحده الذي حفَّزَ النسّابين إلى زيادة الاهتمام بالأنساب وحِفْظها والحرص على تدوينها؛ فقد قَوِيَتْ في العصر العباسيّ الحركة الشعوبيّة التي حفَّزت النسّابين إلى زيادة الاهتمام بأنساب العرب، وأثّرت في تطوّر علم الأنساب[٤]، وسبق الحديث عنها بأنّها كانت ردّة فعل لشعور غير العرب، ومنهم الفرس، بإقصائهم من قبل الدولة الأمويّة التي اصطبغت بصبغة عربيّة، وقد فَنَّدْتُ مزاعمها بشيءٍ يسير من القول.

وتمثَّل عداء الشعوبيّة للعرب وحِقْدهم عليهم من خلال مظهرين بارزين أوّلهما: الطَّعن في التراث العربيّ شِعراً ونثراً، وإنْ كان للشعر نصيب أوفر من حملات التشويه والطَّعْن في تاريخ العرب وأنسابهم وأصولهم، فكان دعاة الشعوبيّة يُلهبون مشاعر شعوبهم القوميّة ضدّ العرب بأنّ العرب هم الذين اجتاحوا بلادهم وأسقطوا دولتهم، فصارت أهدافهم وآمالهم تسعى إلى إعادة بعث أمجاد دولتهم وحضارتهم، ولذلك انبرى أُدباؤهم وشُعراؤهم وكُتّابهم لتمجيد تُراثهم الأدبيّ والفكريّ، وقاموا بنشره بوسائل شتّى، وعدّوا ذلك واجباً قوميّاً عليهم[٥].

وقد شهد القرن الثاني الهجريّ حركة شعوبيّة واسعة في سبيل الوقوف أمام الثقافة العربيّة الإسلاميّة، فتُرْجِمَتْ عن الفارسيّة كتب تاريخيّة وشبه تاريخيّة، وأبرز أدباء الشعوبيّة عبد الله بن المقفّع (ت١٤٤هـ) الذي ألَّف كتاب الـ "خُداينامه"، إذ ترجمه عن الفهلويّة، وسمّاه كتاب "سِيَرُ الملوك"، وقد

---

(١) انظر: نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القَلْقَشَنْدِيّ، ص: ٧.

(٢) كتاب السُّنَن الكبرى، النَّسائيّ، تحقيق عبد الغفار سليمان البَنْداريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ٤٦٧/٣ – كتاب القضاء – رقم الحديث (٥٩٤٢).

(٣) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٨٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ٨٧.

(٥) انظر: العصر العبّاسي الأوّل، شوقي ضيف، ص: ٧٥. ودراسة مريم الدِّرع لكتاب النَّسب، ص: ٩٠.

تُرْجِمَت كتب أخرى مشابهة لهذا الكتاب. ويصوّر كتاب "الخُداينامَه" قصة التاريخ القوميّ الفارسيّ كما يراه رجال الدّين وطبقة الأشراف، ولكنّه في حقيقته يشتمل على أساطير وحكايات خُرافيّة من "الأَسْتا"، كما يحوي أحاديث دينيّة وأنسابا خياليّة(١)، وقدَّم كتاب "الخُداينامه" مادة تاريخيّة مضطربة لفترة ما قبل الإسلام، ولكنّه لم يُقدّم فكرة تاريخيّة جديدة لِما تخلَّله من خُرافات وأساطير، إلاّ أنّه يبدو أنّ دوافع الترجمة كانت سياسيّة وحضاريّة(٢). وسَلَك ابن المُقَفَّع في هجومه على العرب درب الخفاء والسريّة بدلاً من الجهر والعلانيّة، إذ تَظاهر بحبّ العرب، ولكنه كان يسعى – في حقيقة الأمر – إلى السخرية منهم والحطّ من قدرهم(٣)، ولا أَدَلَّ على ذلك من قوله:

"أيّ حكمة تكون أبلغ، أو أحسن، أو أغرب، أو أعجب، من غُلام بدويّ لم يرَ ريفاً، ولم يشبع من طعام؛ يستوحش من الكلام، ويَفْزع من البشر، ويأوي إلى القَفْر واليَرابيع، والظِّباء، وقد خَالَط الغِيلان وأَنِسَ بالجانِ"(٤).

وكما سَخِر الشعوبيّون في نثرهم من العرَب، سَخِروا منهم أيضاً في شعرهم وحاولوا أن يحطّوا من قدرهم، مستترين أحياناً بفضلهم على العرب وحبّهم للإسلام ودورهم في خدمة الدَّولة العبّاسيّة، ومصرّحين أحياناً بحضارتهم وتفوّق عرقهم الفارسيّ على العرق العربيّ، *وذلك ما نجده عند أبرز شعرائهم، وهو بَشّار بن برد الذي يفتخر بقومه الفرس في قوله(٥):*

هل مِنْ رسول مُخْبِرٍ عنّي جميع العربِ
مَنْ كان حيّاً منهمُ ومَنْ ثَوى في التُّرُبِ
جدّي الذي أسمو بهِ كِسْرى وساسانُ أبي
وقَيْصَرٌ خالي إذا عَدَدْتُ يوماً نَسَبي
كَمْ لي وكَمْ لي مِنْ أبٍ بتاجهِ مُعْتَصِبِ
إنّا ملوكٌ لم نَزَلْ في سَالفاتِ الحِقَبِ

(١) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٥٣. واسم عبد الله بن المقفّع بالفارسية "رُوزَبَه" (الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٧٨), الفَهْلَويّة: هي لغة فارسيّة قديمة، وهي لغة ملوك فارس، وتُنْسَب إلى "بَهْلَة" (كتاب مفاتيح العلوم، الخَوارزميّ، بريل، ليدن، ١٩٦٨م، ص: ١١٦، ١١٧).

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ١٣/٣، ١٤، ونشأة علم التاريخ، عبد العزيز الدوّريّ، ص: ٥٤.

(٣) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٩٠، ٩١.

(٤) زهر الآداب وثَمر الألباب، الحُصْريّ، تحقيق علي محمد البِجاويّ، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، ٤٠٣/١. القَفْر: الخلاء من الأرض، وجمعه قِفار (لسان العرب: قَفَر). اليَرابيع: مفردها اليَربوع، وهو دُوَيّبة فوق الجرذ (لسان العرب: رَبَعَ).

(٥) ديوان بشّار بن بُرْد، جَمَعه وشرحه وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسيّة للتوزيع، تونس، ١٩٧٦م، ٣٨٩/١، ٣٩٠.

ونراه أيضاً يفتخر في القصيدة نفسها مُخْفِياً شعوبيّته بذكر أمجاد قومه الفرس ونصرتهم لبني العبّاس ولآل النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – بقوله(١):

وجَـــادَت الخيـــل بنـــا طَنْجَـــةَ ذات العَجَـــبِ
حتـــى رَدَدْنـــا المُلْـــكَ فـــي أهـــل النبـــيّ العـــربِ
فاهْنَـــأْ أبـــا الفضـــلِ بهـــا أَوْلـــى قريـــشٍ بالنَّبِـــي

كذلك نرى أبا نُواس يسخر من قبائل العرب، عادّاً إيّاهم أعراباً لا عرباً، معرّضاً بهم بما وصف الله عزّ وجلّ الأعراب بقوله تعالى: (الأعراب أشدّ كفراً ونِفاقاً)(٢)، ولذلك فإنّ العرب لا يساوون – في رأيه – عند الله شيئاً، إذ يقول(٣):

يَبكي على طَلَل الماضينَ من أسدٍ لا دَرَّ دَرُّك قُلْ لي مَنْ بنو أَسَدِ
ومَنْ تَميمٌ ومَن قَيْسٌ وإخوتهم ليس الأعاريبُ عند الله مِن أَحَدِ

وينبغي أن أُشير إلى أنّ ليس كلّ ما نُسِبَ إلى بشار بن بُرْد وغيره من الشعراء والشعوبيّين والزّنادِقة الذين عُرفوا بكره العرب هو صحيح، وإنّما كان بعضه من خيال الرواة، فقد بنى أبو العلاء المعرّي كتابه "رسالة الغفران" على الخيال والمُتعارف؛ ومن ذلك ما استشهد به من شعر نُسِبَ إلى بشّار(٤)، وهو قوله(٥):

إبلـيسُ خَيْـرٌ مـن أَبـيكمْ آدَمٍ فتنبّهـوا يـا معشـر الفُجّـار
إبلـيسُ مـن نـارٍ وآدمُ طينـة والأرضُ لا تسمو سُموّ النّـارِ

فهذان البيتان مِن مُلحقات ديوان بشّار بن بُرْد، وهما ليسا صحيحَي النسبة إليه، إذْ شَكَّ بهما محقّق الدّيوان وعَدّهما موضوعَيْن من أعداء بشّار بن بُرْد لِيَشيعا بين عامّة النّاس، وقد تَداولهما الناس ولم يتبصّروا في بحثهما وتَبيينهما(٦).

---

(١) ديوان بشّار بن برد، ٣٩١/١. في الديوان (يَهْزَ)، وهي مُحرَّفة، ولا يستقيم المعنى بها (٣٩١/١: الحاشية).
(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٧.
(٣) شرح ديوان أبي نواس، ضَبَط معانيه وشروحه وأكملها إيليّا الحاويّ، منشورات الشركة العالميّة للكتاب، بيروت، ١٩٨٧م، ٢٩٤/١، ٢٩٦.
(٤) انظر: تحقيق ديوان بشّار بن برد لمحمّد الطاهر بن عاشور، ٩٢/٤.
(٥) ديوان بشّار بن برد، ٩٢/٤، ٩٣. ورسالة الغُفْران، أبو العلاء المعرّيّ، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص: ٣١٠ (مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ).
(٦) انظر: تحقيق ديوان بشّار بن برد لمحمّد الطاهر بن عاشور، ٩٢/٤.

وكان لأشعار العرب نصيب وافر من حَملات الوضع والتشويه التي قادها الشعوبيّون، إذْ عَمَدوا إلى نسج القصص واختلاق الأشعار، وذهبوا يصوغونها وينسبونها إلى العرب أنفسهم(١). ومن أشهر هؤلاء الشعوبيّين الذين عَمدوا إلى تشويه تاريخ آداب العرب والعبث بالشعر الجاهليّ خاصة وشعر العرب عامّة: حَمّاد الرّاوية الذي اتّهمه علماء الكوفة والبصرة بوضع الشعر وإفساده(٢)، ومثله أيضاً خلف الأحمر(٣)، وجَنّاد بن واصل الكوفيّ(٤).

ونأخذ حَمّادًا الرّاوية مثالاً على ذلك، **وهو "حَمّاد بن مَيْسَرة بن المُبارك بن عُبَيْد الدَّيلَميّ، مَوْلى بني بكر بن وائل، وقيل مولى مُكْنِف بن زيد الخيل الكوفيّ المعروف بالرّاوية، قال المدائنيّ: كان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أُميّة تقدّمه وتؤثره وتستزيره، فَيَفِدُ عليهم ويسألونه عن أيّام العرب وعلومها، ويُجْزِلُون صِلَته .. وتوفيّ سنة (١٥٥هـ) مئة وخمس وخمسين للهجرة"**(٥)، فالرّاوية لقب عُرِف به حمّاد لعلمه الغزير برواية الشعر وفضله بذلك عمّن سواه، وهو – كما يبدو من ذِكْر نسبه – عربيّ ولاءً لا نسَباً.

وروى أبو الفرج الأصفهانيّ أنّ الأصمعيّ قال في حمّاد الرّاوية: **كان مُتّهماً بأنّه يقول الشعر وينحله شعراء العرب**(٦)، وأن المفضّل الضَّبّيّ قال فيه: **قد سُلِّط على الشّعر مِنْ حمّاد الرّاوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في رواية أم يلحن؟ قال: ليْتَه كان كذلك، فإنّ أهل العلم يردُّون مَنْ أخطأ إلى الصواب، ولكنّه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبّه مذهب رجل، ويُدْخِلُه في شعره، ويُحْمَلُ ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك؟**(٧). *وها هو ذا أبو عمرو بن العلاء يؤكّد رأي المفضّل بوصفه العلماء بالشّعر بأنّهم* "**أقلّ من الكبريت الأحمر**"(٨)، وذلك في ندرتهم وقلّتهم.

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عُبَيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٩٠.

(٢) انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ، ٤٤٧/٤. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٢٠٤/٣.

(٣) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١٢٥٥/٣، ١٢٥٦. وبُغية الوُعاة في طبقات اللُّغويّين والنُّحاة، السيُّوطيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ٥٥٤/١.

(٤) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٧٩٩/٢.

(٥) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٢٠١/٣، ١٢٠٢، ١٢٠٥. الدَّيْلَميّ: نسبة إلى الدَّيْلَم، والدَّيْلَم جيل من العجم (الهادي إلى لغة العرب، قاموس عربي عربي، حسن سعيد الكرميّ، ٢٥٧/٢).

(٦) كتاب الأغاني، ٦٧/٦. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٢٠٤/٣. يَنْحَلُه شعراء العرب: أي ينسبه إليهم (معجم الأدباء، ١٢٠٤/٣: الحاشية)

(٧) كتاب الأغانيّ، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٦٧/٦، ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٢٠٤/٣.

(٨) تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٧/١. والكبريت الأحمر: "قيل هو الجوهر، ومعدنه خلف بلاد تُبَّت في وادي النّمل الذي مَرَّ به سليمان عليه السلام، ويُقال إن تلك النَّمل تَحْفِرُ أسراباً نباتها كبريت أحمر" (المُسْتَقصَى في أمثال العرب، الزَّمخشريّ، ٢٤٥/١ والحاشية).

ومن طريف ما ذكره أبو الفرج الأصفهانيّ في تَزيُّد حمّاد في الشعر وادّعائه لنفسه ما وقع بينه وبين الشاعر الطِّرِمَّاح بن حكيم الذي يقول: "**أنْشَدْتُ حمّاداً الرّاوية في مسجد الكوفة، وكان أذكى الناس وأحفظهم، قولي:**

بانَ الخَليطُ بسُحْرَةٍ فتَبدَّدوا

وهي ستّون بيتاً، فسَكَتَ ساعةً ولا أدري ما يريد، ثمَّ أَقْبَل عليَّ فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثمَّ رَدَّها عليّ كُلَّها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فقلت له: وَيْحك! إنّ هذا الشعر قُلْته منذ أيّام ما اطَّلعَ عليه أحد؛ قال: قد واللهِ قُلْتُ أَنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلاّ فَعَليَّ وعَلَيَّ؛ فقلتُ لله عليّ حِجّةٌ حَافِياً راجلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً؛ فأخَذ قَبضة من حصى المسجد وقال: لله عليّ بكلّ حَصاة من هذا الحصى مئة حِجّة إن كنت أبالي؛ فقلت: أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرَفْتُ"(١).

إلا أنّ ابن سلاّم الجمحيّ أورد خبراً في السّياق ذاته يجعلنا نتوقّف في قبول الخبر الذي أورده أبو الفرج، إذ يقول ابن سلاّم: "**وكان أوّل مَنْ جمع أشعار العرب وساق أحاديثها: حمّاد الراوية، وكان غير موثوق به: كان ينحل شِعرَ الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار، أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قَدِم حمّاد البصرة على بلال بن أبي بُرْدة، وهو عليها، فقال: ما أَطْرَفْتَني شيئاً! فعاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الحطيئة في مديح أبي موسى. فقال: ويحك، يمدح الحطيئةُ أبا موسى ولا أعلم به، وأنا أروي شعر الحطيئة؟! ولكن دَعْها تذهب في الناس**"(٢).

وقال ابن سلاّمُ أيضاً: "**وسَمِعْتُ يونس يقول: العجب لِمَنْ يأخذ عن حمّاد، كان يكذب ويَلْحَن ويكسر**"(٣).

فكيف يتّفق رأي ابن سلاّم الأخير في أنّ حَمّاداً غير موثوق به، لأنّه يكذب ويلحن ويكسر، مع ما قدَّمْته سابقاً مِنْ رأي المفضّل الضبيّ في براعة حمّاد في قول الشعر ونِسْبته إلى بعض شعراء العرب. فأين الصّواب في هذين الرأيين؟!

وقد شَكَّ ناصر الدين الأسد في صحّة الخبر الذي رواه أبو الفرج عن المفضَّل الضَّبّيّ، وعَدَّه موضوعاً بجملته بقوله: "**إنّه يكشف عن مقدار التخبُّط الذي وقعَتْ فيه هذه الأخبار والروايات ..**

---

(١) كتاب الأغانيّ، ٦/٧٠. والبيت كاملاً كما في ديوان الطرمّاح:

بان الخَليط بسُحْرَة فَتَبدَّدُوا والدار تُسْعِفُ بالخليط وتُبْعِدُ

الخَليط: الصديق المُخالِط والقوم الذين أمرهم واحد. وقد كَثر ذكر الخَليط في شعر شعراء العرب، لأنّهم كانوا يَنْتَجعون أيّام الكلأ، فتجتمع منهم قبائل شتّى في مكان واحد، فتقع بينهم أُلفة. فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك. وتُسْعِفُ بالخَليط: أي تُقرّب به. (ديوان الطرمّاح، حقّقه عزّة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القوميّ، دمشق، ١٩٦٨م، ص: ١٢٩ والهامش).

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمّد بن سلاّم الجُمَحيّ، شرجه محمود شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص: ٤٠، ٤١، وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٦/٦٦، ٦٧.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ٤١.

فكيف يكون حمّاد بهذا القدر من الشاعريّة الفَذّة التي حاولت الرواية أن تصوّره بها، ثم يكون بعد ذلك يكسر الشعر ولا يُقيم وزنه؟"[١].

وأرجّح أنّ حَمّاداً لم يكن يملك تلك البراعة في قول الشعر ونِسْبته إلى بعض شعراء العرب، أو في انتحاله وادّعائه لنفسه، وبناءً على ذلك يكون رأي ابن سلاّم أكثر دقّة وأقرب للصواب، *والدليل على ذلك ما ذكره أبو الفرج عن رُواته أنّ* **"حَمّاداً الراوية قَدِم على بلال بن أبي بُرْدَة البصرة، وعند بلال ذو الرُّمَّة، فأنشده حمّاد شعراً مدحه به. فقال بلال لذي الرُمَّة: كيف ترى هذا الشِّعْر؟ قال: جيْداً وليس له. قال: فمَنْ يقوله؟ قال: لا أدري إلا أنّه لم يَقُلْهُ؛ فلمّا قضى بلال حوائج حمّاد وأجازه، قال له: إنّ لي إليك حاجة. قال: هي مَقْضِيَّة. قال: أأنت قلت ذلك الشعر؟ قال: لا. قال: فمَنْ يقوله؟ قال: بعض شعراء الجاهليّة، وهو شعر قديم وما يرويه غيري. قال: فَمِنْ أين عَلِمَ ذو الرُّمَّة أنّه ليس من قولك؟ قال: عَرف كلام أهل الجاهليّة مِنْ كلام أهل الإسلام"**[٢].

إذاً لم يكن انتحال حمّاد الراوية للشعر أمراً خَفِيَّاً دقيقاً، بل كان مفضوحاً مكشوفاً لا يخفى على المتبصّرين بأشعار العرب الجاهليّة منها والإسلاميّة، والدليل على ذلك أنّ ذا الرُّمَّة مَيَّز الشعر الذي انتحله حمّاد وادّعاه لنفسه أنّه من أشعار الجاهليّة لا الإسلام، كما أنَّ حمّاداً نفسه اعترف بذلك.

وثمة أمر آخر ينبغي الإشارة إليه، وهو أنّ حَمّاداً لم تذكر أيٌّ من مصادر الأدب أنّه عُرِف بقول الشعر أو تَرك ديواناً رُوِيَ عنه؛ فلو كان حمّاد شاعراً ويمتلك المنزلة الرفيعة التي وُصِف بها، فلماذا يبخل في أن يختصّ لنفسه بديوان مِنْ أشعاره؟![٣]

وما مِنْ رَيْب في أنّه كان بين المفضّل الضبيّ وحمّاد الرّاوية منافسة شديدة – شأنهما في ذلك شأن جُلّ العلماء – وربّما استحالت هذه المنافسة إلى حدّ الخُصومة والاتّهام، ثمّ جاء تلاميذ المفضَّل واستغلّوا تلك الخصومة وزادوا فيها الأخبار، فرفعوا بذلك مِنْ قدر أستاذهم المُفَضَّل وحطُّوا من قدر مُنافِسه حَمّاد[٤]، ولا أدلَّ على ذلك مِمّا سبق من قول المدائنيّ في حمّاد إنَّ الأمويّين كانوا يقدّمونه ويُؤْثِرونه ويستزيرونه ويُجْزِلُون عطاءه!

وإنّي أراني أَسْرَفْتُ في القول في شأن حمّاد وتزيُّده في الشعر ونحله، وما أَطَلْتُ فيه إلاّ لأستأنس بما قدّمت من أخبار وروايات على صحّة ما قدّمته من اتّهام حمّاد وغيره من الشعوبيّين بالوَضْع في الأشعار والنَّحْل والكَذِب والتَّزيُّد. أمّا ما كان من مقابلة الأخبار والروايات بعضها ببعض فلأدفع نفسي ومَنْ يقرأ هذا البحث إلى التوقُّف والتثبُّت والبُعد عن الغلوّ في تلقّي تلك الأخبار والروايات إلاّ بعد فحصها ونقدها.

---

(١) مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٤٤٤.

(٢) كتاب الأغاني، أبو الفَرج الأصفهانيّ، ٦٦/٦.

(٣) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٤٤٣، ٤٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ٤٤٤، ٤٤٥.

أمّا المظهر الثاني من مظاهر طعن الشعوبيّين في تاريخ العرب ومُناصبتهم العداء لهم فتمثَّل في الطعن بأنساب العرب وأصولهم، إذ ادَّعَوْا أنّ العرب في الجاهليّة كان بعضهم ينكح نساء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح، وأنّهم بفعل ذلك اختلطت أنسابهم وأصولهم وامتزجتْ دماؤهم وأشخاصهم(١)، ولعلّ مردّ هذا الاهتمام الكبير في توجيه الشعوبيّة الطعن في أنساب العرب وأصولهم، هو معرفتهم بمكانة النَّسب العظيمة في نفوس العرب وأهميّته العالية عندهم، إذ حُفِظ في صدور رجالهم ومُدوَّناتهم للتفاخر والتفاضل في ما بينهم، والنَّسب أشرف العلوم لديهم وأرفعها منزلة. ولذلك ادّعى أنصار الشعوبيّة أنّهم أصحاب الأنساب الرفيعة والأعراق الناصعة؛ فهم أبناء الملوك والأمراء، وادّعوا النسب إلى إسحاق بن إبراهيم، وفخروا به على العرب لأنّه من سارة الحُرّة، بينما العرب ينتسبون إلى إسماعيل من هاجر الأمة، فبنو الأحرار هم العجم، وبنو اللَّخناء هم العرب، واللَّخْنَاء عند العرب هي الأَمَة(٢).

وكانت المثالب أداة طَيّعة بأيدي الشعوبيّين، إذ استغلّوها أبشع استغلال في النيل من أنساب العرب، ولعلّ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى كان مِن أوائل مَنْ وجّهوا سهامهم إلى الأنساب العربيّة في العصر العباسيّ.

وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْميّ من تَيْم قريش ولاءً لا مِنْ تَيْم الرّباب (ت ٢١١هـ)، وذُكِرَ أنّ أباه كان يهوديّاً من يهود فارس. وقد استغلّ أبو عبيدة الصراع الثقافيّ بين العرب والفرس، فألَّف كُتُباً تسيء إلى العرب أهمّها: كتاب "المَثالب" الّذي حاول فيه النّيل من نسب الرسول محمّد صَلَّى الله عليه وسلّم، وكتاب "مَثالب بَاهلة"، و"أدعياء العرب"، و"لصوص العرب"؛ وتكشف هذه الكتب عن حقده الدَّفين على العرب وبغضه لهم. وحتى يخفي أبو عبيدة شعوبيّته ألَّف كتابي "مآثر العرب"، و"مناقب باهلة". وتكشف كتبه أيضاً في الوقت نفسه عن علمه بأخبار العرب وأنسابهم وآدابهم(٣)، وهو معدود أيضاً في أصحاب غريب اللُّغة(٤).

وذكر أحمد أمين أنّ ما دفع أبا عبيدة لشرح نقائض جرير والفرزدق، هو ما كانت تشتمل عليه هذه النقائض مِن وقود أذكى نزعته الشعوبيّة، إذ وَفَّر العرب بسبب أهاجيهم القبليّة الضيّقة النّاجمة

(١) انظر: كتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسيّ، ٥٤٢/٢.

(٢) انظر: فضل العرب والتنبيه على علومها، ابن قُتَيبة، تحقيق وليد محمود خالص، دار الكتب الوطنيّة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربيّة المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص: ٥٣، ٥٤.

(٣) انظر: المعارف، ابن قُتَيْبة، ص: ٥٤٣. والفِهْرِست، ابن النديم، ص: ٨٥، ٨٦. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٥٢.

(٤) انظر: المعارف، ابن قُتَيبة، ص: ٥٤٠، ٥٤٣.

من العصبيّة القبليّة مادّة غنيّة استغلّها الشعوبيّون في ذَمّهم للعرب، وكانت تلك الأهاجي أشدّ خطراً على العرب من حروبهم فيما بينهم[١]؛ **"لأنّ نقضها أصعب والوقوف على بطلانها أعسر"**[٢].

والحقّ أنّ أبا عبيدة لم يكن أوّل من ألّف في مثالب العرب، بل وجد تربة خصبة شجَّعته على النيل من العرب، فقد سبق أن ذكرتُ أنّ زياد بن أبيه هو أوّل من ألّف كتاباً في المثالب، وأنّ هشام ابن عبد الملك أيضاً طلب من النَّضْر بن شُمَيْل الحِميريّ وخالد بن سَلَمة المخزوميّ أن يُظْهرا مثالب العرب ومناقبهم، وقد مهّد ذلك لأبي عُبَيْدة التأليف في مثالب العرب[٣].

ومع كلّ ما ذكَرْتُه عن أبي عبيدة من سَيْره في الخطّ الثقافيّ الشعوبيّ، إلا أنّه لا يُتّهم بالوضع في رواياته، كما أنّ منزلته العلميّة عالية[٤]، إذ يذكر ابن النديم أنّ **"له علم الإسلام والجاهليّة، وكان ديوان العرب في بيته"**[٥]*، وهو غزير التأليف، ويقال إنّ تصانيفه قد بَلَغتْ المئتين[٦].*

وممّن ألّف من الشعوبيّين في المثالب: الهيثم بن عَدِيّ، وهو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عديّ الطائيّ البحتُريّ الثُّعَليّ الكوفيّ[٧]. وكان الهيثم بن عَديّ **"أخباريّاً علاّمة راوية، نَقَل من أخبار العرب وأشعارهم ولغاتِها شيئاً كثيراً"**[٨]*، وهو من العلماء بالشِّعر والأخبار والأنساب والمناقب والمآثر[٩]، إلا أنّه* **"غير مرضيّ عنه في الحديث ولا في الأنساب ولا في شيء"**[١٠]*. وقد تُوفّي سنة (٢٠٧هـ) سبع ومئتينِ هجريّة أو (٢٠٩هـ) تسع ومئتين هجريّة، ومِنْ كُتبه في المثالب: كتاب المَثالب الكبير، وكتاب المَثالب الصغير، وكتاب مَثالب رَبيعة، وكتاب أسماء بغايا مِنْ قريش في الجاهليّة، وأسماء مَنْ وَلَدَنَ، وله كتب أخرى في الأخبار والأنساب، منها: كتاب نسب طَيِّئ[١١]. ولم يصل إلينا من كتبه شيء، وهي متناثرة في مصادر تاريخيّة كبرى مثل: أنساب الأشراف للبلاذُريّ، والمعارف لابن قُتيبة، وتاريخ الطبريّ، ومروج الذهب للمسعوديّ[١٢].*

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٩٣.

(٢) ضُحى الإسلام، أحمد أمين، ٥٦/١.

(٣) راجع البحث، ص: ٥٩، ٧٥.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٥٢.

(٥) الفِهرست، ص: ٨٥.

(٦) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٠٩/٦.

(٧) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٨٨/٦. وتاريخ بغداد أو مدينة السَّلام، الخطيب البغداديّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨١م، ٥٠/١٤.

(٨) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٨٩/٦.

(٩) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٥١.

(١٠) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٥٢/١٤.

(١١) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٥١، ١٥٢. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٩٢/٦.

(١٢) انظر: تاريخ التراث العربيّ، فؤاد سُزكين، المجلّد الأول، الجزء الثاني، ص: ٥٩.

وكان الهيثم بن عديّ مطعوناً في نسبه، وممّا ورد في هجائه ما قاله دِعبل الخُزاعيّ – وهو شاعر عَبّاسيّ – يهجو الهيثم بن عَديّ وابن أبي دُؤَاد، يطعن في نسبهما(١):

سَأَلْتُ أبي وكان أبي خبيراً بسُكَّان الجزيرة والسَّوَاد
فقلت له أهيثمُ مِنْ عَديٍّ فقال كأحمدَ بنِ أبي دُؤَاد
فإن يك هَيْثمٌ مِنْ جِذم قيسٍ فأحمدُ غير شكٍّ مِن إيادِ
متى كانت إيادُ تَرِيسُ قوماً لقد غَضِبَ الإلهُ على العبادِ

وفيه أيضاً يقول أبو نواس مُنْكراً نسبه(٢):

إذا نَسَبْتَ عَدِيًّا في بني ثُعَلٍ فَقَدِّم الدَّالَ قبل العين في النَّسَبِ

ومن الشعوبيّين أيضاً علاّن الوَرّاق الشعوبيّ، ولُقّب بالورّاق لأنّه اتّخذ من الورق مهنة له في نسخ الكتب وبيعها، واشتغل في خدمة الخليفتين العبّاسيّين هارون الرشيد وابنه المأمون ووزرائهما من البرامكة؛ إذْ كان نسّاخاً في بيت الحكمة(٣). وهو فارسيّ الأصل، وأكثر مَنْ تخصَّص من الشعوبيّين بمثالب العرب، وله أبيات في فضل العجم على العرب، وعلاّن الشعوبيّ من علماء الأنساب والمنافرات(٤)، إذ قال فيه ابن اسحاق **"أصله من الفرس، وكان علاّمة بالأنساب والمثالب والمنافرات مُنقَطِعاً إلى البرامكة"(٥).**

وألّف علان الشعوبيّ كُتباً في الأنساب والمثالب والمُنَافرات، إلاّ أنّ شهرته بالمثالب كانت أكبر من غيرها؛ فله **"(كتاب الميدان في المثالب) الذي اشتمل على جميع مثالب العرب، وابتدأ فيها ببني هاشم ثم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبيّ"(٦)**، *وقد شنَّع عَلاّن في هذا الكتاب على العرب وشوّه صورتهم؛ إذْ* **"هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتاباً لم يتمّه سمّاه (الحِلْيَة)، انقرض أثره"(٧)**. *وله أيضا كتاب فضائل كنانة، وكتاب النَّمِر بن قاسط، وكتاب نَسب تغلب بن وائل، وكتاب فضائل ربيعة، وكتاب المنافرة(٨).*

ويبدو أنّ ما كتبه علاّن الشعوبيّ في أنساب بعض القبائل وفضائلها كان يقصد من ورائه إخفاء كرهه للعرب وازدرائه لهم، ولا أستبعد في الوقت نفسه ألاّ يكون كلّ ما كتبه علاّن وغيره من الشعوبيّين

---

(١) شعر دعبل بن عليّ الخُزاعيّ، صنعة عبد الكريم الأشتر، مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص: ٣٧٩، ٣٨٠. والفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٥١، مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ، وهذه الأبيات من الشعر الذي نُسِبَ إلى دِعبل وإلى غيره من الشعراء.

(٢) شرح ديوان أبي نواس، ١٥٦/١. الدَّعِيّ: المُتَّهم في نسبه (لسان العرب: دعا)، وينسب البيت أيضاً إلى "ذُهْل بن ثَعلبة" في هجاء الهيثم بن عديّ (معجم البلدان ٦،/٢٧٩٠)،

(٣) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٦٠. ومعجم الأدباء، ١٦٣١/٤.

(٤) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٥٩، ١٦٠. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٦٣١/٤، ١٦٣٢.

(٥) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٦٣١/٤.

(٦) المصدر نفسه، ١٦٣١/٤.

(٧) الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٦٠. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٦٣١/٤.

(٨) الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٦٠.

صادراً عن قناعة تامّة لديهم بإعلاء شأن العجم والحَطّ من قدر العرب، بل كان يدخل بعضه في باب التكسُّب شأنه في ذلك شأن الشعر.

ج- صلة الأنساب بالأخبار والتاريخ والدراسات الأدبيّة:

اتّخذ الإخباريّون من الأخبار بعد الإسلام علماً لهم واستحدثوا منها وساروا على مثالها، ولم يَثْنِهم عن ذلك شيء في ما كان بسبيل التاريخ، وما يتطلّبه من الحكاية والتلفيق والقَصص، فلا غَضاضة عندهم ولا حَرج بما أنّ ذلك خارج عن أمور الدين، ولولا نظرتهم تلك لما بقي من الآداب العربيّة إلى اليوم كتاب واحد في تأريخ العرب أو تأريخ آدابهم[١]؛ إذ يقول الجاحظ: "**قُلْتُ لحُباب: إنّك لتكذب في الحديث، قال: وما عليك إذا كان الذي أزيد فيه أحسن منه، فواللهِ ما ينفعك صدقه ولا يَضرّك كذبه، وما يدور الأمر إلاّ على لفظ جيّد ومعنى حَسَن**"[٢]، وأظنّ أن الجاحظ أراد هنا بالحديث الخبر أو الرواية أو القصّة ممّا يتّصل بتأريخ العرب، ولم يقصد الحديث الشريف.

وقد ظلّ شأن الأخبار على هذه الحال قبل أن تنضج العلوم وتَقِلّ الرّواية الشفويّة، وكان أكثر ما وضع من الأخبار قبل التدوين مُوجَّهاً للملوك والأمراء ومَنْ في منزلتهم، أو العامّة ومَنْ في مستواهم. فأمّا الملوك و الأمراء فكان رواة الأخبار يصنعون لهم الأخبار ويُزيّنونها تقرّباً إليهم في ما تهوى أنفسهم، ويُديرون الكلام فيها وَفق أغراضهم، ويستخدمونها في السَّمَر، وكان كلُّ مَنْ شاع عنه مِنْ الرواة أنّه صاحب سَمَر كان ذلك منقصة في علمه وسبباً وجيهاً للطعن فيه؛ ومن هؤلاء الذين كان العلماء يعيبون عليهم: الشرقيّ بن القَطَامِيّ (ت ١٥٥هـ) مؤدّب المهديّ – وهو أحد النسّابين ورواة الأخبار والأنساب والأشعار – إذْ عابوا عليه ا لسَّمر وجعلوا ذلك علّته، وكان يسير على مذهب ابن دأب الشاعر الإخباريّ الذي كان في المدينة، كما سار على مذهب حمّاد الرّاوية. وأمّا عامّة الناس فكانوا يُقْبِلُون على أهل الأخبار لما يجدون عندهم من بضاعة رائجة ترضي نفوسهم[٣].

وقد تصدّى للأخبار طائفتان من الرّواة: الأولى يغلب عليها رواية أخبار العرب، والثانية غلب عليها رواية أخبار الفتوحات الإسلاميّة. ومن أبرز زعماء الطائفة الأولى محمّد بن السائب الكلبيّ، وابنه هشام صاحب جمهرة النسب وكتب كثيرة في أخبار الأوائل والأمم البائدة، وأخبار العرب وأحوالها ومناقبها ومثالبها والأحاديث والأسماء ونحوها، وقد اتُّهم هشام وأبوه أنّهما من الرَّوافض، وتُرِك الأخذ عنهما في الحديث الشريف لما ظهر مِن كذبهما. ومنهم أيضاً: شُبَيْل بن عُروة الضُّبَعيّ (ت ١٤٠ هـ)، وكان من رواة النَّسب والعلماء بالغريب، وكان شاعراً أيضاً، وكان من الرَّوافِض لسبعين سنة، ثم صار بعد ذلك من الخوارج، ومات بالبصرة وله فيها عَقِب. ومُجالد بن سعيد بن عمير الهَمْدانيّ (ت

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٧/١.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٣٩/٢. حُباب بن جَبَلة الدَقّاق، وهو مِمّن روى عن مالك بن أنس، وقد اتُّهِمَ بالكذب، وتوفيّ سنة ٢٢٨هـ (تاريخ بغداد، ٢٨٤/٨).

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٧/١، ٢٩٨. وطبقات النسّابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص: ٤٩، ٥٠.

١٤٤ هـ)، وكان يروي عن الشَّعبيّ، ورَوى عن الهيثم بن عَدِيّ، وكان نسّاباً، إلاّ أنّه غلب عليه رواية الأخبار، وكان ضعيفاً عند أهل الحديث. والشرقيّ بن القَطاميّ (ت ١٥٥ هـ)، وهو أبو المُثَنَّى الكَلبيّ، وهو من النسّابين الرواة للأخبار والأنساب والأشعار، إلاّ أنّه كان كذّاباً. ومنهم أيضاً عبد الله بن عَيَّاش الهَمْذانيّ (ت ١٥٨ هـ)، وكان عالماً بالأنساب والرّواية[١]. إلاّ أنّ هِشامًا ابن الكلبيّ يُعدُّ أَوْسَعهم علماً وأطولهم رواية وأغزرهم تأليفاً، ويكاد يكون بمفرده في وزن الطبقة كلّها[٢].

أمّا الطائفة الثانية فقد تميَّزَتْ باتّساعها في رواية أخبار الفتوحات الإسلاميّة، وقد غَلَب عليهم لقب الإخباريّين، وأشهر هؤلاء الإخباريّين أبو مِخْنَف الأَزْديّ – وسبق ذكره – وقد تخصّص برواية أخبار العراق وفتوحها، والواقديّ (ت ٢٠٧ هـ) تَخصَّص بأخبار الحجاز والسيرة النبويّة، وأبو الحَسن المَدائنيّ (ت ٢١٥ أو ٢٢٥ هـ) تَخَصَّص بأخبار خُراسان والهند وفارس. ويشترك هؤلاء مع غيرهم من الإخباريّين في فتوح الشام وأخبارها[٣].

وقد ظلّ الاهتمام بالاتّجاهين القَبَليّ والإسلاميّ في الدراسات التاريخيّة، ولكنّ الدعوة إلى الجَبريّة في تفسير الأحداث التاريخيّة – والتي تبنّاها الأمويّون – لم تجد تأييداً قويّاً في العصر العبّاسيّ الأوّل، خاصّةً في مراكز المعارضة وأهمّها الكوفة والبصرة؛ إذ وجد مبدأ حرّية الإرادة في كتابة التاريخ مجالاً رحباً على أيدي المُعتَزِلة وأهل الكلام. ومع ذلك ظلّ لعصبيّة الأمصار وعصبيّة السياسة الحزبيّة والعصبيّة القبليّة آثارها الواضحة في كتابة التاريخ، ولذلك يمكن القول إنّ دوافع كتابة التاريخ في معظم كتب الإخباريّين كانت سياسيّة واجتماعيّة في المقام الأوّل[٤]، فنجد مثلاً عند أبي مِخْنَف ميولاً علويّة وعراقيّة تمثَّلَتْ في روايته هذه التي ذكرها الطبريّ، وهي قوله: "**أدْرَكْتُ الناس وهم يقولون: إنّ أوّل ذُلّ دخل الكوفة موت الحَسَن بن عليّ وقتل حُجْر بن عَديٍّ ودعوة زياد**"[٥]. ونجد أثر السياسة الحزبيّة والعصبيّة القَبَليّة عند إخباريّ آخر هو أبو الفَضْل نَصْر بن مُزاحِم المِنْقَريّ (ت ٢١٢ هـ)، وهو كوفيّ أيضاً وأوّل إخباريّ شيعيّ؛ ولذلك تدور معظم كتبه حول موضوعات تخصّ الشيعة، منها: "وقعة صِفّين"، و"مقتل الحسين بن عليّ"، و"مَقتل حُجْر بن عَدِيّ"[٦].ولم أعثر – في ما بَحَثْتُ عن كتبه – إلاّ على كتاب "وقعة صفّين"، ويُلاحَظُ فيه ميوله العراقيّة والعلويّة، ويُلمح فيه أثر الحزبيّة واضحاً؛ إذْ

(١) انظر: المعارف، ابن قُتَيْبة، ص: ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٩. وطَبقَات النسّابين، أبو زيد بكر بن عبد الله، ص: ٤٥، ٤٩، ٥٠.

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ١/ ٣١٤.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ١/٣١٤، ٣١٥.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدُّوريّ، ص: ٥٥، ٦٧، ١٣٧.

(٥) تاريخ الطبريّ، ٣/٢٣٢.

(٦) انظر: الفِهْرِست، ابن النَّديم، ص: ١٤٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٦/٢٧٥٠. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٣، ٤٤.

يذكر أحداثاً وأخباراً تخدم قضيّة عليّ بن أبي طالب وتهاجم معاوية بن أبي سفيان وحزبه(١)، ويُبرز فيه – في الوقت نفسه – الأمجاد القبليّة ومفاخرها، ومع ذلك نجده يُوجّه نقداً لبعض خصومه من الحزب العلويّ(٢).

ونجد نَصْر بن مُزاحم في أثناء ذكره للأحداث التي أدّت إلى وقعة صفّين، يُكْثِر خلال رواياته مِنْ إيراد الشعر والخُطَب والحوار، ويستخدم في كتابه أسلوباً شبه قصصيّ؛ فهو مجموعة من الأخبار المتتالية الضعيفة في الحبك: إذ يصوّر معاوية بن أبي سفيان شيخاً من شيوخ القبائل، ويبدو في كتابه ضعف في الاهتمام بالتواريخ وتساهل في استخدام الإسناد(٣).

وقد تَمَّ جمع كتابه "وقعة صفّين" من مقتطفات الطبريّ في تاريخه وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ويمكن القول إنّ ذلك يدلّ على تقدير خاصّ في نظر هذين المؤرّخَيْن(٤).

ونتيجة لميول نَصْر بن مُزاحم الحزبيّة نجد كثيراً من المحدّثين ينتقدونه بشدّة؛ فيتّهمه بعضهم بالكذب، ويضعّفُه آخرون، ويستحسنه قليل منهم(٥).

ونجد الحال يختلف اختلافاً كبيراً عندما نستعرض دراسات المدائنيّ الإخباريّة التي تمثّل مرحلة متطوّرة في الكتابة التاريخيّة؛ إذ تصل دراسات الإخباريين إلى أعلى مستوى لها عند المَدائنيّ، وهو أبو الحَسن عليّ بن محمّد بن عبد الله بن سيف المَدائنيّ (ت ٢٢٥ هـ)، وهو بَصْريّ سَكَن المَدائن، إلاّ أنّه استقرّ بعد فترة في بغداد حتى وفاته، ونتيجة للتطوّرات الثقافيّة في عصره، فقد ظهر لديه أثر استخدام الإسناد أكبر مِمّا ظهر عند غيره من الإخباريّين الّذين سبقوه(٦).

والمدائنيّ غزير التأليف؛ إذْ بلغت كتبه – كما أحصاها ابن النديم – مئتين وتسعةً وعشرين كتاباً؛ فله كُتب في أخبار النبيّ محمّد صَلَّى الله عليه وسلّم، وفي أخبار الخلفاء، وفي الأحداث والفتوح الإسلاميّة، وفي أخبار العرب، وفي أخبار الشعراء أيضاً، وهو – فَضلاً عن كونه إخباريّاً – يعدّ من علماء الأنساب؛ فله كتاب "نَسب قريش وأخبارها"، إلا أنّه غلب عليه رواية الأخبار(٧). ولم أجد للمدائنيّ من مؤلّفاته غير كتاب "التَّعازي".

---

(١) انظر: وقعة صفّين، نَصْر بن مُزاحم، المِنقَريّ، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٦٥هـ-١٩٤٥م، ص: ٣٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٥، ٢٤٦، ٢٤٧. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٤٩.

(٢) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص: ٤٤.

(٣) انظر: وقعة صِفيّن، نَصْر بن مُزاحم، ص: ٤٢، ٤٣، ١٥٨، ١٦٧.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٤، ٤٥.

(٥) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٦/٢٧٥٠. ولسان الميزان، ابن حجر العسقلانيّ، عناية الشيخ عبد الفتاح غُدّة، دار البشائر الإسلاميّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ٨/٢٦٧، ٢٦٨.

(٦) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٥٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٤/١٥٨٢.

(٧) انظر: الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٥٣-١٥٨. والمعارف، ابن قُتيبة، ص: ٥٣٨.

وقد جمع المدائنيّ في دراساته وبحوثه بين الدراسات التاريخيّة والأدبيّة، وطاف في تاريخ العرب السياسيّ والثقافيّ والاجتماعيّ مبتدئاً من الجاهلية ثمّ مُنْتَهِياً بالعصر العبّاسيّ. وهو يأخذ عن الإخباريّين مِن مثل ابن إسحاق وأبي مِخْنَف والواقديّ، مُضيفاً إلى ما أخذه عنهم بحوثه ودراساته الخاصة[١]*.*وعن المدائنيّ أخذ البلاذُريّ كثيراً في كتابه المعروف "أنساب الأشراف".

ويميّز المدائنيّ عن غيره من الإخباريّين تفوّقه عليهم في الدقّة والبحث؛ إذ سار على منهج المحدّثين في نقد الروايات، وبذلك نال ثِقَةً لدى المؤرّخين أكبر من أسلافه الإخباريّين، كما أنّه لا يكتفي برواية واحدة حول الموضوع الذي يتناوله، بل يورد أكثر من رواية حول الموضوع نفسه، كما تَوسَّع في الأخذ من روايات المدينة، واستفاد أيضاً من روايات البصرة، وقد جاءت أخباره وافية، واتَّسمت بالاتّزان والحياد والموضوعيّة، ولذلك صار المدائِنيّ مرجعاً رئيسيّاً للمؤرّخين الذين جاءوا بعده كالبلاذُريّ[٢]*،* واستحقّ لذلك لقب شيخ الإخباريّين كما ذكرت سابقاً.

وما مِنْ شكّ في أنّ الظروف السياسيّة الحزبيّة والقَبَليّة قد أثّرت تأثيراً كبيراً في حركة التأليف في العصر العبّاسيّ خاصّة في العراق، وأنّها أَلقَتْ بظلالها على مؤلّفات الإخباريّين والنسَّابين، وقد رأينا أثر ذلك في ما قَدَّمْتُ من أمثلة يسيرة في اتجاهات الكتابة التاريخيّة عند أبرز الإخباريّين أمثال أبي مِخْنَف ونَصْر بن مُزاحم وغيرهما، والميل الواضح في أخبارهم وآرائهم نحو اعتزازهم بأمصارهم وتعصّبهم لأحزابهم. ونال النسَّابون أيضاً حظّاً غير قليل من ذلك الاعتزاز والتعصّب، وإلاّ فكيف نُفَسِّر اهتمام أبرز النسّابين في العصر العباسيّ بنسب قريش خاصّة – كمؤرِّج السَّدُوسيّ ومصعب الزبيريّ والزبير بن بكّار – أكثر من اهتمامهم بأنساب قبائل عامّة العرب؟!

وإن كنّا لَمَسْنا بعض الاعتدال في كتابات بعض الإخباريّين، فأظنّ أنّ الفضل في ذلك يرجع إلى البحث والتدقيق الذي قام به المؤرّخون الكبار مِنْ مثل الطبريّ والبلاذريّ من إهمال مُتَعمَّد لبعض أخبار أولئك الإخباريّين وآرائهم أثناء عمليّة الانتقاء التي قام بها هؤلاء المؤرِّخون الكبار[٣].

أمّا الاتّجاه الإسلاميّ فصار تأثيره أكبر في الدراسات التاريخيّة وفي النظرة إلى كتابة التاريخ. لقد ظهر اتّجاه قويّ نحو استعمال أسلوب المحدّثين في النقد الذي وَجَد في العراق مستقرّاً له، ويُضاف إلى ذلك العلاقات الثقافيّة والتطوّرات الثقافيّة التي فَسَّرتْ تطوّر الدراسات التاريخيّة من روايات الرُّواة إلى كتب الإخباريّين وكتب الأنساب، ومن الروايات الشفويّة إلى المؤلّفات المكتوبة[٤]*.*

ومرَّ بنا – في ما سبق – أنّ الصّلة قد توثّقت بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبيّة عند محمّد بن السائب الكلبيّ، وأنّ ابنه هشاماً تابع دراسات والده في الأنساب والتاريخ واللّغة.

---

(١) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٥، ١٣٦، ١٥١.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٥، ٤٦.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص: ١٣٧.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ص: ٥٥.

وقد تناول هشام ابن الكلبيّ في دراساته التاريخيّة تاريخ الأنبياء، وتاريخ جزيرة العرب قبل الإسلام، وأيّام العرب، وتاريخ الفرس والتاريخ الإسلاميّ. وينوّع ابن الكلبيّ في مصادر أخباره؛ إذْ يأخذ في تاريخ الأنبياء عن "أهل الكتب"، ويأخذ في تاريخ إيران من ترجمات عن الفارسيّة ومن بعض الأخبار والقصص المتداولة. كما يأخذ عن كتب مَنْ سبقوه مِن الإخباريّين مثل عَوانة بن الحكم الكلبيّ وأبي مِخْنَف الأزْديّ، ويُظْهِرُ حَصافة حين ينقل من الكتابات والوثائق المحفوظة في كنائس الحيرة، والتي تتعلّق بتاريخ عرب الحيرة وعلاقتهم بالساسانيّين من الفرس، ولكنّه يبدو غير مدقّق – كما ينبغي – عندما يأخذ من القصص الشعبيّ في تاريخ اليمن، ومن موادّ أسطوريّة ومن بعض الأخبار الموضوعة عن شعراء الجاهليّة[١]، ولذلك يتفاوت ابن الكلبيّ في مستوى أخباره ومعلوماته بين الدقّة والتوثيق وبين الضعف والتّرابط، ولذلك يمكن القول إنّ درجة الوثوق بابن الكلبيّ عالماً بالأنساب أكبر من درجة الوثوق به أخباريّاً.

ونرى مثالاً آخر للجمع بين الدراسات التاريخيّة ودراسات الأنساب عند الهيثم بن عديّ (ت ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ)، إذ يُعَدُّ كتابه "تاريخ الأشراف الكبير" كتاباً للتاريخ في إطار الأنساب، وقد سبق الهيثم بن عديّ – بهذا الكتاب – البلاذُريّ بكتابه المعروف "أنساب الأشراف". وكان الهيثم غزيراً في التأليف؛ إذْ أَلَّفَ ما يزيد على خمسين كتاباً، بعضها في أنساب القبائل، وبعضها في أخبار القبائل وبيوتاتها، وفي المثالب أيضاً، وفي وُلاة الأمصار، وفي الخطط، وفي موضوعات أخرى تتّصل بالخوارج وأخبار الفرس[٢].

وقد وَصَلتْ الدراسات التاريخيّة في مطلع القرن الثالث الهجريّ إلى مرحلة أدّت إلى بروز مؤرّخين كبار، وشكّل الإخباريّون والنَسّابون واللغويّون نطاق الدراسة التاريخيّة، واستوعبت دراساتهم نواحي حقولها المختلفة؛ فقد ظهرت لدى هؤلاء فكرة وَحدة التاريخ الإسلاميّ التي تمثّلت في اتّجاه تاريخيّ متسلسل بصورة دقيقة من حيث الزمن كما نجد عند الهيثم بن عديّ في "كتاب التاريخ على السّنين". وتطوَّرت دراسات الأنساب في اتجاه تاريخيّ كما نجد عند مُصْعَب الزُّبيريّ (ت ٢٣٣–٢٣٦ هـ) في كتابه "نَسَب قريش"[٣]، *ويورد الزُّبيريّ فيه إضافة إلى سلاسل الأنساب أخباراً عن بعض الشخصيّات المُهِمّة من العصر الجاهليّ حتى زمنه*[٤]، *ويدعم تلك الأخبار ويؤيّدها ببعض الشعر، ويكشف الكتاب – بصورة عامّة – قيمة دراسات الأنساب للكتابة التاريخيّة*[٥].

---

(١) انظر: الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٤٣. وكتاب تذكرة الحفّاظ، الذهبيّ، ٣٤٣/١. وكتاب الأغاني، ٣٣/١٠.

(٢) انظر، الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٥١، ١٥٢. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٩١/٦، ٢٧٩٢. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٩.

(٣) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٤٣.

(٤) انظر: نسب قريش، مُصْعب الزُّبيريّ، ص: ٦، ٧، ٢١، ١٢٨، ١٤٥، ١٤٧ (على سبيل المثال لا الحصر)

(٥) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٨، ٤٩.

ومن حيث الخُطّة والمجال ظهر التطوّر في كتاب الهيثم بن عَدِيّ – الذي أشَرْتُ إليه سابقاً – (تاريخ الأشراف الكبير). ولم تقتصر الدراسات التاريخيّة على التاريخ الإسلاميّ، بل شملت التاريخ العالميّ؛ إذ تناول هشام ابن الكلبيّ تاريخ الأنبياء وتاريخ عرب الشمال والجنوب قبل الإسلام والتاريخ الإسلاميّ.

ومن حيث الأسلوب حَظِيَ الإسناد باهتمام لم يشهده من قبل، وجعل بعض الإخباريّين يروي روايات متباينة حول الموضوع نفسه، كما هو الحال عند أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنّى وهشام ابن الكلبيّ وكذلك عند المدائنيّ (ت ٢٢٥ هـ) شيخ الإخباريّين، وقد استفاد هؤلاء من المصادر المكتوبة إضافة إلى الروايات الشفويّة، وأخذوا عن مؤلّفات طبقة أبي مِخْنَف الأزديّ وعَوانة بن الحكم الكلبيّ ومُحَمّد ابن السائب الكلبيّ وأبي عمرو بن العلاء(١).

وقد أدّت حركة الرحلة في طلب العلم التي قادها أهل الحديث إلى حصول تطوّر ثقافيّ أثّر في الدراسات التاريخيّة مِنْ حيث الأسلوب والنظرة التاريخيّة، فبَعْدَ أنْ توافرت مادة ضخمة من الروايات التاريخيّة التي رُوِيَتْ أو كُتِبَتْ في أمصار مختلفة، اتّسع استخدام الإسناد لدى الإخباريّين بشكل أكبر مِنْ ذي قبل، وحُـدِّدَتْ معالمه وأصوله بصورة أدقّ، مما غَيَّر نظرة العلماء والمؤرّخين نحو قيمة المؤلّفات، ودرجة الثّقة بأصحابها، وجعل عمل جمع الروايات أقرب للدقة وأكثر يسرا(٢)، ومع ذلك لم تبلغ أهميّة الإسناد في أحسن أحوالها لدى الإخباريّين تلك الأهمية التي بَلَغتها لدى علماء الحديث، وذلك لصلة الإسناد الوطيدة بأمور الدين.

د- العصر العبّاسيّ .. عصر تدوين العلوم:

عُرِفَتْ بدايات الكتابة والقراءة منذ العصر الجاهليّ، كما سبق أنْ ذكرت، وثمّة عشرات الأدلّة على معرفة الجاهليّين القراءة والكتابة. وكان لظهور الإسلام واستقرار القبائل العربيّة أثر في تجمُّع القبائل في منطقة واحدة، وتشكُّل نواحي اهتمام جديدة لدى تلك القبائل، وقد أدّى ذلك إلى نموّ استخدام الكتابة والقراءة، وثمّة أدلّة وافية على استخدام الكتابة لإعانة الذّاكرة على حفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجريّ حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ، وبذلك بدأت تظهر روايات مسجّلة إلى جانب الروايات الشفويّة(٣).

أَمّا حركة التدوين عند العرب فقد نَشطت في العصر العبّاسيّ الأوّل، بعد أنْ نَمتْ الرغبة العلميّة في نفوسهم، وتولّد لديهم البحث عن شتّى المعارف، فأصبحوا شديدي الحرص على معرفة تاريخ أمّتهم وأمجادها، وظهر لديهم أيضاً اهتمام بمعرفة ما لدى الأمم التي فتحوا بلادها من ثقافات مختلفة فارسيّة وهنديّة ويونانيّة نُقِلَتْ إليهم عن طريق حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العبّاسيّ الأوّل، فضلاً

---

(١) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٤٣.

(٢) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٤٣، ١٤٤.

(٣) انظر: الفِهْرست، ابن النديم، ص: ١٥، ١٦، ١٧٧، ١٧٨. وكتاب الأغاني، أبو الفرَج الأصفهانيّ، ١٧٨/٤. وإنباه الرُّواة على أَنباه النُّحاة، القِفْطيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٥٢م، ٣٤/٢. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٣٣. وتاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢١٣/١.

عن نشأة طائفة من العلماء والأدباء الذين نَهلوا علومهم ومعارفهم من شتّى مصادر المعرفة، كما كان لانتشار حلقات العلم في المساجد دافع قويّ لازدهار حركة التدوين والتأليف في العصر العبّاسيّ(١).

وكان لتشجيع الخلفاء والوزراء للعلماء ورعايتهم لهم وإسباغهم بالعطايا والهدايا أثر كبير في ازدهار حركة التأليف والتصنيف. ويعدّ الخليفة المهديّ أوّل من سَنَّ العطاء في الدولة العباسيّة، إذْ أغدق على العلماء المتخصّصين المكافآت الجزيلة، وذلك ما جعلهم يقصدونه ويشدّون إليه الرّحال من كلّ بلدة(٢)، وسار على طريقته ولده الخليفة هارون الرشيد، إذْ يُقال إنّه أعطى الأصمعيّ مئة ألف درهم(٣)، ولقي الأصمعيّ أيضاً حَظوة واسعة لدى البرامكة، ويقال إنّ جعفراً البرمكيّ وصله بِخَمسمئة ألف(٤). أمّا المأمون فكان كالغيث المُنْهَمِر في جوده وعطائه للعلماء وأهل الكلام؛ فقد أعطى النَّضِر بن شُمَيْل وهو أميرٌ بمَرْو خمسين ألف درهم(٥). كما يُروى أنّ قائده ووالِيه على خراسان طاهر بن الحسين أعطى أبا عُبَيْد القاسم بن سلاّم – وهو مِنْ علماء الأنساب – ألف دينار، ثُمَّ وصله بعد فترة بثلاثين ألفاً، وجعل له ابنه عبد الله بن طاهر بن الحسين راتباً قدره عشرة آلاف درهم في كل شهر(٦).

واهتمّ الخلفاء والحكّام والوزراء بإنشاء المكتبات ودور العلم، وشجّعوا على اقتنائها، وبدأ استخدام الورق يشهد انتشاراً واسعاً بعد أن أنشأ الفضل بن يحيى البرمكيّ – في عهد هارون الرشيد – مصنعاً للورق في بغداد، وكان لذلك أثر كبير في ارتقاء الحركة العلميّة ونهضتها، بعد أن كان الناس يكتبون في الجلود والقراطيس المصنوعة مِن ورق البَردي في مصر(٧).

وقد أسهمت العوامل التي سبق ذكرها في ازدهار حركة التدوين والتأليف في مختلف العلوم الإسلامية – وكان على رأسها علم الحديث – ومنها الفقه والتفسير والسِّيَر والمغازي والتاريخ وأخبار الناس وغيرها، وفي ذلك يقول الذهبيّ: "**... حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئة ... وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير؛ فصنَّف ابن جُريج التصانيف بمكّة، وصنَّف سعيد بن أبي عَرُوبة؛ وحمَّاد بن سلمة وغيرهما بالبصرة؛ وصنَّف الأَوزاعيُّ بالشام، وصنّف مالك الموطّأ بالمدينة، وصنَّف ابن إسحاق المغازي؛ وصنَّف مَعْمَر باليمن، وصنَّف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة، وصنَّف سُفيان الثوريّ "كتاب الجامع"، ثم بعد يسير صنَّفَ هُشَيْم كُتبه، وصنَّف الليث بمصر وابن لَهِيعة، ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب ... وكَثُر تدوين العلم وتبويبه،**

---

(١) انظر: العصر العبّاسيّ الأوّل، شوقي ضيف، ص: ٩٨، ١٠١. ودراسة مريم الدِّرع لكتاب النسب، ص: ٩٦.

(٢) انظر: إنباه الرُّواة، القِفطيّ، ٣٥/٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٢٠١/٢.

(٤) انظر: تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر، المجلد العشرون، الجزء التاسع والثلاثون، ص: ٦٣.

(٥) انظر: إنباه الرُّواة، القِفْطيّ، ٣٤٩/٣-٣٥١.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ١٥/٣، ١٦.

(٧) انظر: العصر العبّاسيّ الأوّل، شوقي ضيف، ص: ١٠٣. ودراسات في تطوّر الحركة الفكريّة في صدر الإسلام، صالح أحمد العليّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص: ٥٨، ٥٩.

ودُوِّنَتْ كتب العربيّة واللغة، والتاريخ وأيّام الناس، وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلّمون عن حِفْظهم، أو يروون العلم مِنْ صحف صحيحة غير مرتّبة؛ فسهل – ولله الحمد – تناول العلم فأخذ الحفظ يتناقص؛ ..."(١).

وللقارئ أن يتساءل: أين حَظُّ علم الأنساب في التدوين في ذلك العصر الذي تحدّث عنه الذهبيّ؟ والصّواب – كما سبق ذكره – أنّ علم الأنساب حتى ذلك العصر، وأعني بذلك منتصف القرن الثاني الهجريّ، يبدو أنّه لم يشهد استقلالاً واضحاً في تدوين العلوم، وإنّما كان يُذكر مصاحباً لغيره من العلوم التي سبقته، ويمكن أن يدخل ضمن "التاريخ وأيّام الناس". *وأكثر العلوم التي ارتبط بها علم الأنساب هي علم السِّيَر والمغازي، إذ قلّما يخلو كتاب أُلّف في هذا المجال مِن فصل تناول أنساب قبائل العرب خاصّة قريش التي يرجع إليها نَسَب النبيّ محمّد صَلَّى الله عليه وسلّم. كما ارتبط علم الأنساب بتدوين الأخبار والتاريخ ارتباطاً وثيقاً، وقد اجتمع عند كثير من الإخباريّين علمٌ بالأنساب إلى جانب علمهم بالأخبار، إذْ كان أشهر الإخباريّين كالشّرقيّ القطاميّ وعَوانة بن الحَكَم الكلبيّ وأبي الحسن المدائنيّ إخباريّين ونسّابين أيضاً*(٢).

أمّا تدوين الأنساب بشكل مستقلّ، فتشير المصادر إلى أنّه بدأ في أواسط القرن الثاني الهجريّ، إذ صَنَّف أبو اليَقْظَان سُحَيْم بن حَفْص الإخباريّ – المتوفّى سنة (١٩٠ هـ) مئة وتسعين للهجرة – كتابين في النَّسب هما: "النَّسَب الكبير" الذي ذكر فيه نَسب إياد وكنانة وأسد، و"نَسب خِنْدف وأخبارها"، إلا أنّ هذين الكتابين فُقِدا ولم يصل إلينا منهما شيء غير مقتطفات مبعثرة في كتب المؤرّخين الذين أخذوا عنه كالمدائنيّ والبلاذريّ وابن خَيّاط والطبريّ وابن قُتَيْبة(٣).

ثمّ يطالعنا في العصر العباسيّ الأوّل عالم من علماء الأنساب في البصرة هو مُؤرِّج بن عمرو السَّدوسيّ – المتوفّى سنة (١٩٥ هـ) مئة وخمس وتسعين للهجرة، إذ ألّف كتاباً في نسب قريش وهو "حَذْف مِنْ نَسَب قُرَيْش"، وهذا الكتاب مطبوع. وألّف كتاباً آخر وهو "جَماهير القبائل"، وهذا الكتاب لا يعرف عنه شيء. وبذلك يعدّ كتاب مُؤرِّج السدوسيّ – حَذْف مِن نَسَب قُريش – أقدم كتاب معروف في النسب، خِلافاً لما زعمه حاجي خليفة من أنّ الذي بدأ التدوين في الأنساب هشام بن محمد الكلبيّ(٤).

على أنّ تلك المرحلة التي وَصَلتْ إليها العلوم الإسلاميّة من التّدوين والتصنيف كانت آخر المراحل التي سارت فيها تلك العلوم من الرّواية الشفوية إلى مرحلة التّدوين البدائيّ غير المُنظَّم ثم

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبيّ، تحقيق عمر عبد السلام تدمريّ، دار الكتاب العربيّ، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ١٣/٩. والنُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تَغْري بَردي، ٤٤٤/١، ٤٤٥. وتاريخ الخلفاء، السّيوطيّ، ص: ٣١٠.

(٢) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ١٠٠.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربيّ، فؤاد سُزكين، المجلّد الأوّل، الجزء الثاني، ص: ٤٧. والتاريخ العربيّ والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ١٩٣/١، ١٩٤.

(٤) انظر: مُقدّمة مُحقِّق "حَذف من نسب قريش"، صلاح الدين المُنْجِد، ص: ٥، ٦.

مرحلة التدوين الفعليّ المرتَّب المُنظَّم لكلّ ما روي ودُوّن[١]، وهذا يفسّر ما سبق من قول الذهبيّ: **"وقَبْل هذا العصر كان الأئمة يتكلّمون عن حِفْظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتّبة"**، وهذا يدلّ على أنّ الرواية الشفويّة استمرّت فترة طويلة، ولم تتوقّف مع ظهور مدوّنات بدائيّة، حتّى هيّأ الله لهذه العلوم من يقوم على تدوينها وتصنيفها بشكل مستقلّ، وبذلك يعدّ العصر العبّاسيّ عصر التدوين الحقيقيّ للعلوم الإسلاميّة ومنها علم الأنساب.

هـ- أبرز النسّابين في العصر العبّاسيّ:

يعدّ أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ مِنْ أعظم الإخباريّين في تاريخ العرب، ومِنْ أشهر الرواة والنسّابين والعلماء في العصر العبّاسيّ، وهو مِنْ نسّابي قبيلة كلب، وقد أخذ علمه عن أبيه النسّابة محمد بن السائب الكلبيّ وعن جماعة من الرّواة[٢].

ذكر ياقوت الحمويّ أنّ هشام ابن الكلبيّ يتقدّم على كثير من الناس بعلمه بالأنساب والمثالب وأيّام العرب وأخبارها ووقائعها[٣]. *وذكر ابن النديم أنّ له (١٤٠) مِئَةً وأربعين كتاباً*[٤]، وأشهر مؤلفاته في الأنساب :"نَسب معدّ واليمن الكبير"، و"جمهرة النسب"، و"أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام"، و"أيّام العرب"، وهذه الكتب مطبوعة، *وله أيضاً كتب أخرى في الأحلاف والمآثر والبيوتات والموءودات وأخبار الأوائل، وأخبار العرب، وأخبار الإسلام، وأخبار البلدان، وأخبار الشعر وأيام العرب، والأخبار والأسمار*[٥]. *وكَتَب هشام في مثالب العرب، وله في ذلك كتاب مطبوع هو "المَثالب"، وقد نُشِر مؤخّراً في الأردنّ*، ويبدو أنّه أفاد كثيراً في هذا الكتاب مِمَّنْ سَبقه في تأليف المثالب مثل عَقيل بن أبي طالب، وأبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى وغيرهما، سواء ما تلقّاه مشافهة أو ما وَصَلَ إليه مُدوَّناً.

وقد جَمع هشام ابن الكلبيّ في كتابه الشّهير "نسب مَعَدّ واليمن الكبير" أو "النَّسب الكبير" أنساب القبائل العربيّة جميعها، إلاَّ أنّه أفرد كتباً لبعض القبائل منها: كتاب نَسب قُريش، وكتاب وَلَد العبّاس، وكتاب نسب أبي طالب، وكتاب نسب بني عَبْد شَمْس بن عبد مُناف، وكتاب أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ وغيرها[٦].

وذكر الجاحظ أنّ ابن الكلبيّ نَقَل بعض أخبار العرب القديمة عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبّاس – رضي الله عنه – كما رَوَى أشعاراً جاهليّة، وأخباراً تتّصل بمعاوية بن أبي سفيان، وتتّصل

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ٩٧.

(٢) انظر: البيان والتّبيين، الجاحظ، ٣٦٠/١، ٣٦١. والفِهْرِست، ابن النَّديم، ص: ١٤٦. ومجلّة العرب النَسَّابون وأثرهم في تدوين التاريخ العربيّ الإسلاميّ، جاسم الجبوريّ، ص: ٣٨١.

(٣) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٧٩/٦.

(٤) انظر: الفِهْرِست، ابن النَّديم، ص: ١٤٦-١٤٩.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٦- ١٤٨.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٩.

بمكاتباته لبعض الولاة أثناء خلافة عليّ بن أبي طالب(١)، وتشتمل كتب ابن الكلبيّ في الأنساب على أشعار وأخبار كثيرة جاهليّة وإسلاميّة وأمويّة وعباسيّة.

ويشترك مع ابن الكلبيّ في طبقته أبو اليَقْظَان النسَّابة، إلا أنّه يتميّز باتّساعه بالعلم بأنساب الإسلاميّين وأخبارهم من الصّحابة والتابعين رضي الله عنهم(٢)، وهو عامر بن حَفْص، ويلقّب بـ *"سُحَيْم"*، ويرد بأسماء وكُنى مختلفة هي: *سُحَيْم بن حَفْص، وعامر بن حَفْص، وعامر بن أبي محمّد، وعامر بن الأَسود، وسُحَيْم بن الأسود، وعبد الله بن حَفْص، وأبو إسحاق. وتدلّ جميع هذه الأسماء والكُنَى على شخص واحد هو أبو اليَقْظان النَسَّابة(٣)*، وكان مولىً لبني تميم*(٤)*. وهو مِنْ العلماء بالأنساب والأخبار والمثالب والمآثر، وهو ثقة في ما يرويه من روايات، وتوفّي سنة تسعين ومئة، وله كُتب في الأنساب والأخبار أهمّها: كتاب النَّسب الكبير، ويشتمل على قبائل متعدّدة، وكتاب نسب خِنْدِف، وكتاب أخبار تميم(٥)*. *إلا إنّ كتبه هذه لم يصل إلينا منها شيء إلاّ ما كان من نُقول واقتباسات مبعثرة في بطون الكتب نقلها المدائنيّ والبلاذُريّ وابن خَيَّاط والطبريّ وابن قتيبة(٦)*. *ويعدّ أبو اليقظان أوّل من صَنَّف في أنساب العرب عامّة، مُعْتَمِداً على الروايات القبليّة التي تعدّ المنبع الرئيسيّ لهذا العلم(٧)*.

ويمثّل أبو اليَقظان النَّسابة مدرسة العراق التي كانت البصرة والكوفة أشهر مراكزها، إذ تميَّزتا بأنّهما كانتا مركزين نشيطين للقبائل العربيّة، وشهدتا دراسة الحوادث الإسلاميّة والأنساب خاصّة، نتيجة للصراعات الحزبيّة والقبليّة والشعوبيّة التي ظهرت في فترة صدر الإسلام، وقد منح ذلك الروايات العراقيّة أهميّة غالبة في الاتجاه القَبَليّ ضمن اتّجاهات الكتابة التاريخيّة(٨).

وتَلْمَذَ لأبي اليَقْظان أبو جَعْفر محمّد بن حَبيب المتوفّى سنة (٢٤٥هـ) مئتين وخمس وأربعين للهجرة، وكان مولىً لبني العبّاس، و"حَبيب" أمّه، وهي مولاة أيضاً لبني العبّاس. وقال عنه محمّد بن إسحاق: **"وكان مِن علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل، وقد روى عن ابن**

---

(١) انظر: البَيان والتبيين، الجَاحظ، ١٢٣/١، ٣٦٦/٣، ٣٣١/١، ٨٦/٢،٨٧.

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٤/١.

(٣) انظر: الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٤٤.

(٤) انظر: تاريخ الطبريّ، ٧/٣ (حدّثنا سُحَيْم مولى وَبرة التميميّ)

(٥) انظر: الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٤٤.

(٦) انظر: تاريخ التراث العربيّ، فؤاد سزكين، المجلد الأوّل، الجزء الثاني، ص: ٤٧. والتاريخ العربي والمؤرّخون، شاكر مصطفى، ١٩٣/١، ١٩٤.

(٧) انظر: التاريخ العربيّ والمؤرّخون، ١٩٣/١. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٧.

(٨) انظر: نشأة علم التّاريخ عند العرب، عبد العزيز الدُّوريّ، ص: ٣٩، ٤٧. ودراسة مريم الدِّرْع لكتاب النَّسب، ص: ١٠٤.

الأعرابيّ وقُطْرُب وأبي عبيدة وأبي اليَقظان وغيرهم، وكان مؤدِّباً، وكتبه صحيحة"(١). وهو غزير التأليف، إلاّ أنّ معظم كتبه ضاعت ولم يَصِلْ إلينا منها غير كتاب "المُحَبَّر"، وهو كتاب في الأخبار، وكتاب "المُنَمَّق في أخبار قريش".

ومِمَّن عاصر أبا اليَقظان النسَّابة مُؤَرِّج بن عمرو السَّدوسيّ العجليّ، ويكنّى "أبا فَيْد" – وقد سبق ذكره – وهو من نَسَّابي العراق أيضاً، ومن شيوخه الخليل بن أحمد الفراهيديّ وأبو زيد الأنصاريّ، وله كتاب جماهير القبائل(٢)*، وكتاب "حَذْف من نَسب قريش"، ويعدّ هذا الكتاب أقدم كتاب في النَّسَب وصل إلينا*(٣)*. والحَذْف هنا يعني القطع من الطرف؛ إذْ أراد مُؤَرِّج أن يختصر في نسب قريش، فذكره من أطرافه فقط، وأوجز فيه ولم يفصّل القول فيه*(٤)*، وفي ذلك يقول ابن خَلّكان:* "**اختَصر نسب قريش في مجلّد لطيف سَمَّاه حَذْف مِنْ نسب قريش**"(٥). *وقد وُلد في البصرة، وتُوفّي سنة (١٩٥هـ) خمس وتسعين ومئة للهجرة*(٦)*.*

ومن أشهر النَسَّابين في العصر العبّاسيّ أبو عبد الله مُصْعَب الزُّبيريّ، رَحَل من المدينة وأقام ببغداد إلى أن تُوَفّي سنة (٢٣٣هـ) مئتين وثلاثٍ وثلاثين للهجرة، وهو راوٍ أديب محدّث، وعالم بالأيّام والأنساب، وله مِنْ الكتب في الأنساب: كتاب النَّسب الكبير، وكتاب نَسَب قريش(٧)*. أمّا كتابه الأوّل فلا يُعرف عنه شيء، ولم يَصِلْ إلينا إلاّ كتابه الثاني، الذي يُعَدُّ أفضل ما كُتِبَ عن أنساب قريش، وقد أخذ مُصْعَب في كتابه هذا عن الزهريّ*(٨)*،* الذي سبق أنْ ذكرت أنّ له كتاباً في نَسَب قومه قريش، إلا أنّه لم يتمّه.

ويمثّل مُصْعَب الزُّبَيْريّ في دراسته لأنساب قريش تطوُّراً في اتجاه دراسة الأنساب نحو اتّجاه تاريخيّ، ومع ذلك ظَلَّ كتابه يسير في إطار النسب(٩)*. وسار على دربه – ولكن بشكل موسّع – البلاذُريّ في كتابه "أنساب الأشراف"، وتدلُّ خطّة كتاب مصعب الزُّبيريّ أنّه اتّخذ إطاراً ثابتاً للكتابة سَبَقه ابن الكلبيّ في ذلك، وتَبِعه ا لبلاذُريّ في ما بعد*(١٠)*.*

---

(١) الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٦١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٧٧.

(٣) انظر: مقدمة محقّق حذف من نسب قريش، صلاح الدين المنجد، ص: ٥، ٦.

(٤) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص: ١٠٧.

(٥) وَفَيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٣٠٤/٥.

(٦) انظر: المَعارف، ابن قُتيبة، ص: ٥٤٣.

(٧) انظر: الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٦٦. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٢/١٣، ١١٤. وتاريخ التراث العربيّ، فؤاد سزكين، م١، ج٢، ص: ٥٧.

(٨) نَسَب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٣. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٨.

(٩) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ١٤٣.

(١٠) انظر: المرجع نفسه، ص: ٤٨.

*ومن النسَّابين أيضاً: أبو عبد الله الزُّبَيْر بن بَكَّار، مِنْ سُلالة ابن الزُّبير، وهو ابن أخي النسّابة مصعب الزُّبيريّ الذي سبق ذكره، مِن أهل المدينة، وأقام في بغداد وعمل قاضياً في مكّة، حيث توفي فيها سنة (٢٥٦ هـ) مئتين وست وخمسين للهجرة(١)، وأشاد به ابن النديم بقوله: "**إخباريّ أحد النَسَّابين، وكان شاعراً صَدُوقاً راوية نبيل القدر**"(٢).*

صنّف الزُّبَيْر بن بكّار كتباً في أنساب قريش وأخبارها وأيّامها، إلاّ أنّه لم يَصِلْ إلينا مِنْ كتبه غير كتابين هما: "جمهرة أنساب قريش وأخبارها"، و"المُوفَّقيَّات"، وهذا كتاب في الأخبار. ويختلف كتاب "الجَمْهَرة" عن بقيّة كتب الأنساب في مضمونه وترتيبه(٣)، وقد اعتمد عليه أبو الفرج الأصفهانيّ في كتابه الأغاني اعتماداً كبيراً(٤)، وقد طُبِعَ بعضه ومازالت بقيّته مخطوطة، وهو كتاب عظيم القدر والفائدة(٥).

ومن أبرز النسّابين في أواسط القرن الثالث الهجري البَلاذُريّ، وهو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البَلاذُريّ، ويكنّى أبا الحسن، وهو مِنْ أهل بغداد. ويعدّ البَلاذُريّ مُؤرّخاً جغرافيّاً نسّابة، وله كتب أشهرها وأكبرها مادّة "أنساب الأشراف"، وتوفيّ البلاذُريّ سنة (٢٧٧ هـ) مئتين وسبعٍ وسبعين للهجرة(٦).

ويُعَدُّ البَلاذُريّ ممثّلاً للتطوُّر الجديد الذي أصاب الدراسات التاريخيّة في أواسط القرن الثالث الهجريّ؛ إذْ حاول أن يستفيد من موادّ السِّيرة وكتب الإخباريّين والنَسّابين وما تيسّر له من مصادر أخرى في دراسة تاريخ الأمّة، وكان عمله يقوم على انتقاء المادّة بعد دراستها ونقدها؛ فهو يَنقد مصادره قبل أن يأخذ عنها(٧).

ويُعَدّ كتاب "أنساب الأشراف" كتاباً عامّاً للتاريخ في نطاق الأنساب، ويمثّل مزيجاً متفرّداً في خطّته ومادّته، إذ يجمع بين أساليب تأليف كُتب الطّبقات وكتب الأخبار وكتب الأنساب، ويُفَصّل الكتاب الأحداث التاريخيّة، ولا يستثني فعاليّات الأحزاب السياسيّة ومراعاتها، وعناوين كتب الإخباريّين، ويراعي في معظمه تسلسل التاريخ، إلاّ في مواضع فرضَتْها ضرورة مراعاة ذكر سلاسل النَّسب؛ فعلى سبيل المثال يرد في الكتاب ذكر يزيد بن معاوية قبل عثمان بن عفّان وَفقاً لتسلسل النسب(٨).

---

(١) انظر: الفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٦٦، ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦٦.

(٣) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٥/٣. والفِهْرِست، ابن النَّديم، ص: ١٦٧.

(٤) انظر على سبيل المثال: ٧٧/١، ٨٠، ٨٧، ٩/٣-١١، ٤٩/٥، ٥٧، ١٤٠/١٦.

(٥) انظر: طبقات النسَّابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: ٨٩.

(٦) انظر: الفِهْرِست، ابن النَّديم، ص: ١٧٠. والأعلام، قاموس تراجم، خير الدين الزِّركليّ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة، ٢٠٠٥م، ٢٦٧/١.

(٧) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٥٦، ٥٧.

(٨) انظر: المرجع نفسه، الصفحتين ذَواتيهما.

وقد نَوَّعَ البلاذُريّ في مصادر دراسته، فاعتمد – في ما يتعلّق بالشورى – بالدرجة الأولى على الواقديّ والزُّهريّ في المدينة – وهما من أصحاب المغازي – مضيفاً إليهما روايات عن أبي مِخنف (وهي أقرب للعلويّين) واعتمد على الزُّبير بين بَكَّار في ما يتعلّق بالأنساب. ويبدو البلاذُريّ – بالرّغم من صلته بالعباسيّين – مُحايِداً مُنْصِفاً متّزناً في أخباره، إذ نجده يورد روايات متباينة(١)، بخلاف مَنْ سَبقه من الإخباريّين الأوّلين الذين كانت أخبارهم ورواياتهم لا تخلو مِنْ بعض المَيْل والانحياز لفريق ضدّ آخر، وهذا ما مَيَّز المؤرِّخين عن الإخباريّين كما سبق أن ذكرت.

(١) انظر: كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ١١١/٥–١١٧. ونشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٥٧، ٥٨.

الفصل الثاني
تراجم لأبرز علماء الأنساب ومُصنَّفاتهم

أولاً: أبو بكر الصِّدِّيق:

هو عبد الله بن عثمان (أبي قحافة) بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة[١]، وهو من ولد تَيْم بن مُرَّة – تَيْم قريش – ويلتقي مع الرسول محمَّد – صَلَّى الله عليه وسلَّم – في أحد أجداده، وهو مُرَّة بن كعب، وبينهما ستّة آباء. وكان يسمّى في الجاهلية "عبد الكعبة"، فسمّاه الرسول عبد الله، ولقّبه "عَتيق" لجمال وجهه، وذُكِرَ أنّه لقب بهذا اللقب؛ لأنّ الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم– بَشَّره بعتقه من النار، وسُمّي بالصّديق لتصديقه خبر الإسراء[٢].

وُلِدَ أبو بكر في مكّة سنة (٥٧٣م) خمسمئة وثلاثٍ وسبعين للميلاد (٥٠ ق.هـ) بعد عام الفيل الذي ولد فيه النبيّ محمّد بسنتين وستة أشهر[٣]، واختُلِفَ في المدّة التي كانت بعد عام الفيل؛ فبعضهم قال: بثلاث سنين، وبعضهم قال: بسنتين وستّة أشهر، وقال آخرون: بسنتين وأشهر، ولم يحدّدوا عدد الأشهر[٤]، وتوفّي بعد أن اشتدّ عليه المرض سنة (١٣هـ) ثلاث عشرة للهجرة[٥].

وقد نشأ أبو بكر في مكّة وترعرع فيها، وكان من رؤساء قريش وأشرافها في الجاهليّة[٦]؛ إذ كان الشرف في الجاهلية ينتهي إلى عشرة رهط من عشرة أبطن، ومنهم بنو تَيْم[٧] رهط أبي بكر الصدّيق. وكان حَمَّالاً للدّيات، فإذا حَمَل شيئاً أَقَرَّتْه قريش وأَمْضَوْا حَمالته وحَمالة مَنْ قام معه، وإن احتملها غيره رفضوه ولم يصدّقوه[٨].

واشتُهِرَ أبو بكر في الجاهلية بعدد من الصفات منها: علمه بالأنساب حيث كان في ذلك صاحب **"مقام رفيع وجانب أعلى"**[٩]؛ إذْ كان عالماً بأنساب العرب وأخبارها، وله في ذلك باع طويل جعله رأس مدرسة وأستاذاً لبعض نَسَّابي صدر الإسلام، من مثل حكيم بن حِزام بن خُوَيلد وجُبير بن مُطعم كما سبق. *وكانت فيه صفة حبَّبته إلى قلوب العرب، وهي أنّه لم يكن يَعيب الأنساب ويذكر*

---

(١) انظر: أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة، ابن الأثير، ٢٠٥/٣. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حَجر العسقلاني، ١٤٤/٤، ١٤٥. والمعارف، ابن قتيبة، س: ١٦٧.

(٢) انظر: وفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٦٥/٣.

(٣) انظر: الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ١٤٥/٤.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطيّ، ص: ٤٧. وسيرة وحياة الصديق، مجدي فتحي السيّد، دار الصّحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص: ٢٩.

(٥) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣٤٥/٢. والبداية والنهاية، ابن كثير، دقَّق أصوله وحقّقه أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، المجلّد الرابع، الجزء السابع، ص: ١٢.

(٦) انظر: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ٢٠٦/٣.

(٧) انظر: كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، رفيق العظم، مطبعة هنديّة بالموسكي بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٠٩م، ١٠/١.

(٨) انظر: أُسْد الغابة، ابن الأثير، ٢٠٦/٣.

(٩) انظر: نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٨.

المثالب بخلاف غيره من النَسَّابين كعقيل بن أبي طالب وغيره(١). وكان أبو بكر "**أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما فيها من خير وشر**"(٢)، *وقد رُوي أنّ النبيّ محمّداً – صَلَّى الله عليه وسلّم- قال فيه:* "**إنَّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها**"(٣)، *وقال عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه-:* "**وكان أبو بكر مُقَدَّماً في كلِّ خبر وكان رجلاً نسّابة**"(٤).

وعُرِفَ أبو بكر الصدّيق – رضي الله عنه – ببلاغته وفصاحته وقدرته الفائقة في الخطابة والحِكَم والوصايا، وله في ذلك خُطب وحِكم ووصايا، ومن ذلك خُطبته المعروفة لمَّا وَلِيَ الخلافة، ووصيّته لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حين استخلفه، ووصاياه لقوّاده حين كان يوجّههم في الفتوحات الإسلاميّة، كوصيّته لخالد بن الوليد في قتال أهل الردّة، ووصيّته ليزيد بن أبي سفيان حين وجّهه إلى الشام(٥)، ومخاطبته لوفود أهل اليمامة، وغير ذلك مِن حِكم ووصايا عامّة في السلم والحرب(٦).

وتظهر قدرة أبي بكر في المُحاجّة والمجادلة في رَدّه على الأنصار يوم السَّقيفة سقيفة بني ساعدة، وإسكاته إيّاهم، وذلك عَقِب وفاة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلم- فأُعْجِب ابن دَأْب – وهو أحد رواة الأخبار – بردّه قائلاً: "**فرماهم والله بالمُسكِتة**"(٧).

وقد بَرع أبو بكر بحفظ النسب وبالعلم به. ولم يقتصر علمه على النّسب، بل تعدّى ذلك إلى علمه بأخبار الناس وبالشّعر أيضاً، وكانت قريش تقصد منزله لطلب العلم والطّعام أيضاً(٨)؛ إذ كان أبو بكر "**من الحافظين للشّعر الراوين له**"(٩)، *وذكر القالي في أماليه* "**أنّ المطّلب بن المطّلب بن أبي وَداعة: روى عن جدّه قوله: رأيت رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – وأبا بكر – رضي الله تعالى عنه – عند باب شَيْبة، فمرَّ رجل وهو يقول** [من الكامل]:

يـا أيُّهـا الرجـل المُحَـوِّل رَحْلَـه ... ألاَّ نزلـت بـآل عبـد الـدارِ

هبِلَتـكَ أمُّـك لـو نَزَلْـتَ بـرحلهم ... مَنَعـوكَ مِـن عُـدْم ومِـنْ إقتـارِ

(١) انظر: تاريخ دمشق الكبير، ابن عَساكر، ٧٣/٣٢. والرياض النَّضرة في مناقب العَشرة، المُحِبّ الطبريّ، ١١٤/١.
(٢) الإصابة، ابن حجر، ١٤٧/٤. والبِداية والنّهاية، ابن كثير، المجلّد الثاني، الجزء الثالث، ص: ٢٨.
(٣) صحيح مسلم، المجلّد الثامن، الجزء السادس عشر، ص: ٤٨، ٤٩.
(٤) كتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٤٧٢/٢.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ٣٢٧/٢، ١١٩/١، ٣١١. ووفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٦٥/٣-٦٩.
(٦) انظر: كتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٩٦/١، ٨٤/٢، ١٨٢، ٢٧٣.
(٧) البيان والتبين، الجاحظ، ٢٩٧/٣، ٢٩٨.
(٨) انظر: المصدر نفسه ٣٥٦/١، والمُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٣٠/٨.
(٩) المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٢٧٨/٩.

قال: فالتفت رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلّم- إلى أبي بكر فقال: أهكذا قال الشاعر؟ قال: لا والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لكنّه قال [من الكامل]:

يا أيُّها الرجل المُحوِّل رَحْلَهُ ... ألاَّ نزلت بآل عبدِ مُنافِ

هَبِلَتْكَ أمُّكَ لو نَزَلْتَ برَحْلِهِمْ ... مَنَعوُك من عُدْمٍ ومِنْ إقرافِ

الخالطين فقيرهم بغنيِّهِمْ ... حتى يعود فقيرهم كالكافي

ويُكلِّلون جِفانهم بِسَدِيفهم ... حتى تَغيبَ الشمسُ في الرَّجَّافِ

منهم عليٌّ والنبيُّ محمّدٌ ... القائلان هَلُمّ للأَضياف

قال: فتبسَّم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، وقال: هكذا سمعت الرواة ينشدونه"[1]. *وكانت قريش إذا أرادوا أن يقفوا على نسب رجل قصدوا أبا بكر يسألونه عنه، وكان أبو بكر يُطلع حسّان بن ثابت الأنصاريّ على أنساب مَنْ أراد حسّان أنْ يهجوهم مِنْ قريش مِمّن عادى النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم*[2].

وذكر الزمخشريّ أنّ: "**أبا بكر – رضي الله عنه – مَرَّ بالنّاس في معسكرهم بالجُرْف، فجعل ينسب القبائل حتى مَرَّ ببني فَزارة، فقام له رجل منهم، فقال أبو بكر: مرحبا بكم.**

قالوا: نحن يا رسول الله أحلاسُ الخيل، وقد قُدناها معنا، فقال أبو بكر: بارك الله فيكم"[3].

ولعلّ أشهر خبر يدلّ على علم أبي بكر الصدّيق بالأنساب، ذلك الخبر الذي أَورَدَتْهُ بعض كتب الأدب والتاريخ والسِّيَر والتراجم، والذي يصف محاورته لغلام من بني شيبان يقال له دَغْفَل، وقد ذاعَ صيته في ما بعد في صدر الإسلام والعصر الأمويّ وعُرِفَ بـ "دَغفل النسّابة"؛ إذ غدا مقرّباً من مجلس معاوية بن أبي سفيان، وكان له معه محاورات، كما تقدّم، وسأكتفي بإيراد الخبر هنا، أعني في ترجمة أبي بكر الصِّدِّيق.

ذكر ابن عبد ربّه أن عِكرمة روى عن ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب قوله: "**لَمّا أَمَر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم- أن يعرض نفسه على القبائل خرج مرَّةً وأنا معه وأبو بكر، حتى**

---

(١) كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، (مصوّر عن طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٦م)، مركز الموسوعات العالميّة، بيروت، ٢٤١/١، ٢٤٢. هَبِلَتْكَ: ثَكَلَتْكَ. الإقتار: التضييق على الإنسان في الرزق. الإقراف: قال ابن الأثير: القَرف: ملابسة الدّاء ومداناة المرض (لسان العرب: قَرَفَ) وأقرف القوم فلانا: أصابوه بمرض؛ لأنّه أتاهم وخالطهم (الهادي إلى لغة العرب، حسن الكرمي، ٥٠٤/٣). السَّديف: شحم السَّنام أو قِطَعُه. الرَّجَّاف: البحر، سمي بذلك لاضطرابه وتحرّك أمواجه. وقيل: يوم القيامة (كتاب الأمالي، ٢٤١/١، ٢٤٢: الحاشية. ولسان العرب، ابن منظور: حَبِل، قَتَر، قَرَف، سَدَف، رَجَف).

(٢) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٢٧٨/٩.

(٣) الفائق في غريب الحديث، الزمخشريّ، ١٧٨/١، أحلاس الخيل: واحدها: الحِلْس، وهو كلّ ما وَلِيَ ظهر الدّابة تحت الرَّحْل والسَّرْج والقتَب، والمعنى هنا أنّهم مُلازمون لظهور خيولهم (لسان العرب، حَلِسَ).

رُفِعْنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدّم أبو بكر فسلّم – قال عليّ: وكان أبو بكر مُقَدَّماً في كلّ خبر وكان رجلاً نسّابه – فقال: مِمّن القوم؟ قالوا: مِن ربيعة، قال: وأيّ ربيعة أنتم؟ أَمِنْ هامتها أم مِن لَهازمها؟ قالوا: مِنْ هامتها العظمى؛ قال: وأيّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: ذُهْل الأكبر؛ قال أبو بكر: فمنكم عَوْف بن مُحَلِّم الذي يقال فيه: لا حُرّ بوادي عَوف؟ قالوا: لا؛ قال: فمِنكم جَسّاس بن مُرّة الحامي الذِّمار والمانع الجار؟ قالوا: لا؛ قال: فمِنكم أخوال الملوكِ مِن كِنْدة؛ قالوا: لا؛ قال: فمِنكم أصهار الملوك مِن لَخْم؟ قالوا: لا؛ قال أبو بكر: فلَستمْ ذُهْلاً الأكبر، أنتم ذُهْل الأصغر. فقام إليه غلام من شيبان حين بَقل وجهه، يقال له دغفل، فقال [من الرَّجَز]:

إنّ علـــى ســـائلنا أنْ نســـأله والعِـــبْءُ لا تعرفـــهُ أو تحملُـــهْ

يا هذا، إنّك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً، فمِمّن الرجل؟ قال أبو بكر: مِن قريش؟ قال: بَخٍ بخٍ أهل الشّرف والرّياسة؛ فمِن أي قريشٍ أنت؟ قال: مِن وَلد تَيْم بن مُرَّة؛ قال: أمْكَنْتَ والله الرَّامي مِنْ سَواء الثُّغْرة، أفمِنكمْ قُصيّ بن كِلاب الذي جَمَّع القبائل فسُمي مُجَمِّعاً؟ قال: لا؛ قال: أفمنكم هاشم الذي هشَّم الثريد لقومه ورجال مكّة مُسْنتون عِجاف؟ قال: لا؛ قال: أفمنكم شيبة الحَمْد عبد المطلب مُطعم طَير السّماء الذي وجهه كالقمر في الليلة الظلماء؟ قال: لا؛ قال: فمِن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا؛ قال: فمِن أهل السِّقاية أنت؟ قال: لا. فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، فقال الغلام [من الرَّجَز]:

صـــادف دَرْء السَّـــيل دَرْءٌ يدفعُـــهْ يَهيضُـــه حِينـــاً وحينـــاً يَصْـــدَعُهْ

أما والله لو ثَبَتَّ لأخبرتُكَ أنّك مِنْ زَمَعات قريش ولست مِن الذَّوائب.

قال: فتبسّم النبيُّ عليه الصلاة والسلام. قال عليّ: فقلت له: وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابيّ على بائقة؛ قال: أجل، ما مِن طامَّة إلا وفوقها أخرى، والبلاء مُوَكّلٌ بالمنطق، والحديث ذو شجون"(١).

---

(١) كتـاب العِقْـد الفَريـد، ابـن عبـد ربّـه، ٤٧٢/٢، ٤٧٣. وانظـر أيضـاً: تـاريخ دمشـق، ابـن عسـاكر، م١٠، ٢١٢/٢١١/١٩. والفائق في غريب الحديث، الزمخشري،٢٩١/٣،٢٩٠. والرياض النَّضرة في مناقب العشرة، المحبّ الطبريّ، ١٣٥/١،١٣٤. والسيرة الحلبيّة، الحلبيّ، ضبطه وصحّحه عبد الله محمد الخليليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ٤/٢، ٥. ونهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٨، ٩، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلانيّ، ٢٧٩/٧. هامتها: رأسها. لهازمها. جمع لِهزمة بالكسر، واللّهزمتان: عظمتان ناتِئتان في اللِّحْيَيْن تحت الأذنين، وتيم الله بن ثعلبة بن عُكابة مِن بني ربيعة يقال لهم اللِّهازم. وقد أراد: أمِنْ أشرافها أمن من أوساطها؟ الذِّمار: ما ينبغي الذَّوْد عنه كالأهل والعِرض. المانع الجار: لمنعه خالته البسوس، وقَتْلِهِ كُلَيْبًا بسببها. بَقَل وجهه: خرجت لحيته. بَخٍ: كلمة تُقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو الفخر أو المدح. سواء الثُّغْرَة: أي وسط ثغرة النحر، وكأنّه استعارها لمكان شرف النسب. مُسنتون: مُجْدِبون، وأَسْنَتَ القوم، أي أجدبوا. عِجاف: جمع أَعجَف، وهو الهزيل [على غير قياس] دَرْء السيل: هجومه. يَهيضه: يكسره. الزَّمَعات: جمع الزَّمَعة (بالتحريك) هي التَّلعة الصغيرة. الذَّوائب: جمع الذؤابة، وهي مَنْبِت الناصية من الرأس، أي لست من أشرافهم. البائقة: الداهية أو الشّر، ورُويتْ "يافِعَة"، والمعنى واحد. الطّامّة: يقال لِما علَا وغلب: طَمَّ (الفائق في غريب=

وقد يتَوهم مُتوهِم فيفهم أنّ دَغْفَلاً قد أسكت أبا بكر بقوّة علمه وحجّته، حين سأله عن نسبه كما ذكر *جواد عليّ*(١)، والصّواب غير ذلك؛ إذ لم يكن إعراض أبي بكر عن دغفل إعراض ضعف في الرّد عليه، بل كان إعراض تغافل وتجاهل، فقد انتسب أبو بكر إلى أُرومة لم يكن فيها أحد مِمّن ذكره دَغفل، وبيتٍ لم يشتمل على تلك المناصب التي ذكرها، وذلك لا يقتضي إخراجه من قريش؛ فقريش بطون كثيرة، وسبق أن ذكرت أنّ بين أبي بكر والنبيّ – صَلَّى الله عليه وسلم – ستّة آباء، ومَن ذكرهم دَغفل من أشراف قريش هم من أُرومة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم– لا من أُرومة أبي بكر الصدّيق.

وقد عَرَفَ أبو بكر بفطنته – حين سكت عن محاورة دَغْفَل – أنّ دَغْفَلاً إنّما كان يقصد أن يَغُضَّ من أصله وينتقص من قدره، "**وربّما يتوهّم جاهل أنّ أبا بكر لما رجع عن دغفل كان عن انقطاع وعي، ولم يكن رجوعه لذلك،...، وإنَّما لمَّا كان أبو بكر من أفصح العرب، وأعرفهم بوجوه الكلام ومحاسنه وحقائقه ومجازاته، وأعلمهم بالنسب، لكنّه لم يكن يستعمل التمويه والمَعاريض التي هي شبيهة بالباطل، وإن كانت حقاً لمكان دينه وورعه، ودغفل وإن كان في الفصاحة والعلم بالنسب كذلك، إلّا أنّه لا دين ولا ورع عنده يمنعانه من ذلك كما قد وقع، فإنه أوهم أنَّ أبا بكر ليس من قريش بما عرض به من تعداد أقوام ونفي أبي بكر عنهم، وهو مُحِقٌّ في القول مُبْطِلٌ في الإيهام، فبذلك طَمّ على أبي بكر والله أعلم**"(٢). *ولم يكن استفهام دغفل استفهاماً حقيقياً، بل كان توبيخيًا، لأنّه معلوم أنّ من ذكرهم دغفل ليسوا من "تَيْم"، وقد تقدم أنَّ أبا بكر يلتقي مع النبيّ– صَلَّى الله عليه وسلم– في "مُرّة بن كعب"، و"مُرَّة" جدّ لـ "قصيّ"، فكأنّ دَغْفَلاً أراد أن يقول لأبي بكر موبّخاً: إنّ قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الأشراف الذي ذكرتُهم، كما أنَّ قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الأشراف الذين ذكرتَهم* (٣).

=الحديث، الزمخشريّ، ٢٩٢،٢٩١/٣. والرياض النَّضرة، المحبّ الطبريّ، ١٣٧/١، ١٣٨. ولسان العرب: ذَمَر، عَجَفَ، دَرَأَ، زَمَعَ، ذَأَبَ).

البلاء مُوَكّلٌ بالمنطق: أي أنّ ما حصل له من بلاء كان بسبب قوله، وهذا القول من أمثال العرب (مجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٧/١، ١٨). وهذا ما يفسّره قول الشاعر:

احفظ لسانك أَنْ تقول فتُبْتلى إنَّ البلاء مُوَكَّلُ بالمَنْطِقِ

(معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار، الذهبيّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤م، ١٢٥/١.

(١) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٣٣/٨.

(٢) الرياض النضّرة في مناقب العشرة، المُحِبّ الطّبريّ، ١٣٩/١٣٨/١. الأَرومة: الأصل. المَعاريض: التّورية عن الشيء بالشيء (لسان العرب: أَرَمَ، عَرَّضَ)، والمَعاريض جمع المِعراض، يقال: عرفت ذلك في مِعراض كلامه، أي فحواه، وأجود من هذا أن يقال: التعريض ضدّ التصريح، وهو أن يُلْغِز كلامه عن الظاهر، فكلامه مَعْرِض، والمعاريض جمعه، وفي الأمثال: " إنَّ في المعاريض لمندوحةً عن الكذب" والمندوحة: السّعة. ويُضرب المثل لِمَنْ يحسب أنّه مضطر إلى الكذب (مجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٣/١).

(٣) السيرة الحلبيّة، الحلبيّ، ٥/٢.

ومن الأدلّة القويّة على علم أبي بكر الصديق بالأنساب ما نجده في شعر حسّان بن ثابت الأنصاريّ شاعر الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم؛ فقد ذكر أبو زيد القُرشيّ: **" وأخبرنا محمّد بن عثمان الجعفريّ عن عبد الرحمن بن محمّد بن الهيثم بن عَديّ عن مُجالِد عن الشعبيّ قال: أتى حسّان بن ثابت إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله! إنَّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب هجاك، وأسعده على ذلك نوفل بن الحارث وكفّار قريش، أفتأذنُ لي أن أهجوَهُم يا رسول الله؟ فقال النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم: فكيف تصنع بي؟ فقال: أَسُلُّكَ منهم كما تُسَلّ الشعرة مِن العجين! قال له: اهجُهمْ وروح القدس معك، واستعِن بأبي بكر، فإنّه علاّمة قريش بأنساب العرب"**[١].

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ: **"فقال النبيّ: يا حسّان، وكيف وهو منّي وأنا منه؟ قال: والله لأَسُلَنَّكَ منه كما يُسلُّ الشَّعر مِن العجين؛ فقال: يا حسّان، فَأْتِ أبا بكر، فإنّه أعلم بأنساب القوم منك، فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله، فقال أبو بكر: كفّ عن فلانة واذكر فلانة"**[٢].

وذكر ابن حمزة الحسيني أن النبيّ- صَلَّى الله عليه وسلّم- هو الذي طلب من حسّان بن ثابت أن يهجو قريشاً: **"فقال حسان: والذي بعثك بالحق لأَفْرِينَّهم بلساني فَرْيَ الأديم، فقال رسول الله: لا تَعْجَلْ، فإنَّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنَّ لي فيهم نسَباً حتى يُلَخّص لك [نَسَبي]، فأتاه حسّان ثم رجع، فقال: يا رسول الله، لقد لخّص لي نسَبك، والّذي بَعَثَك بالحق لأَسُلنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين. قالت عائشة. فسمعت رسول الله – صَلَّى الله عليه وسلّم – يقول لحسّان: إنَّ روح القدس لا يزال يؤيّدك ما نافَحْتَ عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم"**[٣].

ومن هجاء حسّان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قوله [من الطويل][٤]:

لقد علم الأقوامُ أنّ ابنَ هاشمٍ ... هُوَ الغُصْنُ ذو الأفْنانِ لا الواحِدُ الوَغْدُ

ومَالَكَ فيهِمْ مَحْتِدٌ يَعرفونَهُ ... فَدُونَكَ فالصَقْ مِثْلَ ما لَصِقَ القُرْدَ

وإنّ سَنَامَ المَجْد مِنْ آل هاشمٍ ... كريماً ولم يَقْرَبْ عَجائِزَكَ المَجْدُ

---

(١) جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام، أبو زيد القرشي، حقّقه وعلّق عليه وزاد في شرحه محمّد علي الهاشميّ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ١٤٧/١-١٤٨.

(٢) كتاب الأغاني: أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٠٨/٤. وتمام الخبر: فقال: هجوت محمّداً فأجبت عنه...

(٣) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ابن حمزة الحُسينيّ، راجعه: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٢٠٥، ٢٥٣. الأديم: الجلد. أفْرَيْتُ الأديم: قطعته على جهة الإفساد، وأفْرَيْتُ الشيء: شققته، وأفرينّهم. أي أُقطِّعنَّهم (لسان العرب: أدم، فَرا).

(٤) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، البرقوقيّ، ص: ١٥٩-١٦١. قوله: "ابن هاشم" يعني الرسول، والواحد الواغد يعني أبا سفيان، والوغد: الدنيء أو الخادم الذي يخدم بطعام بطنه. القُرْد: جمع قُراد وهي دويبة صغيرة تتعلّق بالبعير، كالقمل، ويريد أن يقول إنّه ملصق بقريش وليس منهم. سنام المجد: أعلاه. بنو زُهْرَة: هي من قريش وهم أخوال الرسول، وأفناءُ النّاس. يعني انتشارهم وتشعُّبهم، وقوله: لم يقربْ عجائزكَ المجد: أي لم يقرب المجد أمَّهاتك.= =قوله: " لَسْتَ كَعَبَّاسٍ ولا كابن أمّه": يريد العباس وضراراً ابني عبد المطّلب، الهجين: اللئيم أو ابن الأمة. لا يُورى له زَنْد: كناية عن لؤمه وشُحّه.

ولَسْـــتَ كعبّـــاسٍ ولا كـــابن أُمّـــة ... ولكـنْ هَجـينٌ لَـيْسَ يُـورَى لـه زَنْـدُ

وأنْـــتَ زَنـــيمٌ نِـــيطَ فـــي آلِ هاشـــمٍ ... كمـا نـيطَ خَلْـفَ الراكـبِ القَـدَحُ الفَـرْدُ

وأَنَّ امـــرءاً كانـــت ســـميّةُ أُمّـــة ... وســـمراءُ مغلـــوبٌ إذا بُلِـــغَ الجَهْـــدُ

"والنَّسَب الذي خلص لحسان ليطعن منه أبا سفيان دون أن يمسّ رسول الله- صَلَّى الله عليه وسلّم- أنّه ابنُ سميّة، وهي أمّ ولد لعبد المطلب، وسمراء أمّ أبيه الحارث، وهي أيضاً أمّ ولد، ولم يكد يبلغ هذا الشعر أبا سفيان حتى قال: إنّ هذا الشعر لم يَغِبْ عنه ابن أبي قحافة، حيث كان أبو بكر أعلم قريش بالأنساب وعنه تلقى حسّان علم النسب، فعَرَف كيف يطعن ويُسدّد الطعن لِمَن يهجو دون أن يمسّ أقرباء المهجوّ من المهاجرين"[١].

ونجد حسّان بن ثابت يهجو أبا سفيان بقوله [من المتقارَب][٢]:

ولَسْـتَ مـن المَعْشَـر الأكرَميـ ... ـنَ لاعبـد شـمسٍ ولا نَوْفَـلِ

ولـيس أبـوك بِسـاقي الحجيـ ... ـجِ فاقْعد علـى الحَسَـب الأرذلِ

وقال حسّان يهجو الوليد بن المغيرة طاعناً بنسبه بأنّه ينتمي إلى "صَقْعَب الحدّاد" الذي نزل في قريش وادّعى الانتساب إليها، واسمه الحقيقي دَيْسَم بن صَقْعَب، وفي ذلك يقول [من الوافِر][٣]:

وصَـــقْعَبُ والـــدٌ لأبيـــك قَـــيْنٌ ... لئـــيمٌ حَـــلَّ فـــي شُـــعَب الأُرومِ

تُسَـــمَّونَ المُغيـــرةَ وهـــو ظُلْـــمٌ ... ويُنْسَـــى دَيْسَـــمُ الاســـمُ القـــديمُ

وقال أيضاً يهجو عبد الله بن الزِّبَعْرى- وهو أحد شعراء قريش – نافياً عنه العروبة: وقد غلب على لونه السَّواد [من الوافِر][١]:

الزَّنيم: الدَّعِيّ المُلزق أي المستلحَق في قوم ليس منهم، نِيط: عَلِقَ. سميّة: أم أبي سفيان، سمراء: أمُّ أبيه الحارث ابن عبد المطلب. والجَهْد: المشقّة (المصدر نفسه، ص: ١٥٩-١٦١: الحاشية).

(١) مجلّة البحوث الإسلاميّة، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعة والإرشاد، رئيس التحرير الشيخ عثمان الصالح، الرياض، المملكة العربية السعوديّة، ١٣٩٥-١٣٩٦هـ، المجلد الأوّل، العدد الثاني، بحث بعنوان: حسّان ابن ثابت، محمد محمد خليفة، ص: ٢٣٤.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص: ٣٤٧: في الأصل "لا لَسْتَ ..." ولا يستقيم الوزن بهذا. وهو يهجو أبا سفيان فيقول: لا تَفْخَر بنسبك وحَسَبك، فلست من كرام قريش، من عبد شمس ولا من نوفل، وحَسَبُك دنيء خسيس لا يكافئ أحسابهم.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٠٠. كان يقال للوليد بن المغيرة: "دَيْسَم بن صَقْعَب"، وكان صَقْعَب عبداً روميّاً، فَرغِبَ فيه المغيرة فادّعاه وألحق صَقّعَباً بالشام، فاشتاق له فصوَّره في الحائط. القَين: الحدّاد، الأُروم: الأصول، الشُّعَب: جمع شُعبة، وهي الفرقة والطائفة من الشيء. والبيت الثاني يشتمل على إقواء (المصدر السابق، ص: ٤٠٠: الحاشية).

فــلا تَفخَــرْ فقــد غَلَبــتْ قــديماً عليــك مَشَــابِهٌ مــن آل حــامِ

فلسـتَ إلـى الـذَّوائبِ مـن قُصـيٍّ ولا فــي عِــزّ زُهــرةَ إذ تُســامِي

ولا فــي الفَـرْع مـن أبنـاء عمـروٍ ولا فــي فَــرْع مَخُــزومِ الكــرامِ

فأَقْصِـرْ عـن هجـاء بنـي قُصَـيٍّ فقــد جَرَّبْــتَ وَقْــعَ بنــي حَــرَامِ

وهكذا نجد أن بعض شعر حسّان بن ثابت الأنصاريّ مما يمثّل لون الهجاء خاصّة، وما كان منه في الذَّبّ عن الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – والدعوة الإسلاميّة، يعدّ وثيقة مهمّة في علم أبي بكر بالأنساب، وكيف يمكن أن نفسّر تمكّن حسّان بن ثابت من الإلمام بتفاصيل أنساب القرشيين – وهو من قبيلة الخزرج في المدينة – دون أن يعلّمه ذلك أحد العارفين بأنساب قريش؟ ودون توجيه أبي بكر إيّاه في هجائه، وتعليمه مَنْ يذكر في شعره ومن يتحاشى ذكره حتى لا يصيب الرسول وأقرباءه من المهاجرين؛ فأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب هو ابن عمّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم، ولذلك فقد عَرف حسّان بفضل أبي بكر وبشاعريّته الفذّة كيف يوجّه سهام هجائه لأبي سفيان وغيره من أعداء الإسلام.

روايته للشعر الجاهليّ:

سَبق أن ذكرتُ أنّ أبا بكر الصدّيق كان مِن الحافظين للشّعر الراوين له، وكان فَضلاً عن ذلك من الناقدين لأشعار الجاهليّين والمُخضرمين، إذ كان مِن المُتَبصِّرين بالشّعر جَيّده ورديئه، وبجوره ومعانيه؛ فقد ذكر ابن رَشيق القَيروانيّ أنّه كان يستحسن شعر النابغة الذُّبيانيّ، ويقدّم النّابغة على غيره من الشعراء، ويقول فيه: **"هو أحسَنُهم شعراً، وأعذَبُهم بحراً، وأبعدهم قَعْراً"**(٢).

وذكر أبو الفرج صاحب الأغاني أنّ النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم– تَمثَّلَ يوماً بشطر بيت لسُحيم عبد بني الحَسحاس: (كفى الشَّيب والإسلام للمرء ناهياً)، **"فقال النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم: (كَفى بالإسلام والشّيب ناهياً). فقال له أبو بكر: يا رسول الله: (كفى الشَّيب والإسلام للمَرْءِ ناهِياً)، فجعل لا يطيقه، فقال أبو بكر: أشهد أنّك رسول الله (وما عَلَّمناه الشعر وما ينبغي له)"**(٣).

وذكر أبو الفَرج وابن هشام أنّ العبّاس بن مرداس أنشد شعره للرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم– حين فَضَّل غيره عليه في توزيع الغنائم، ومنه قوله [من المتقارَب]:

فأصــبح نَهْبــي ونَهــب العُبَيْــ ـــدِ بـــين عُيَيْنَـــة والأَقْـــرعِ

---

(١) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، ص: ٤٠٢. مَشَابِه: جمع شَبَه على غير قياس، و"حام" أحد أولاد نوح عليه السلام، وهم يزعمون أنّه أبو السودان، ويقولون: عبدٌ حاميّ وغلامٌ حاميّ، أي أسود.
الذَّوائب: جمع الذّؤابة، وهي من كلّ شيء أعلاه. الفَرع: أراد المجد والشّرف. حَرام: أحد أجداد حسّان بن ثابت (المصدر نفسه، ص: ٤٠٢: الحاشية).

(٢) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٧٨/١. قَعْر كلّ شيء: أقصاه.

(٣) كتاب الأغاني، ٢١٣/٢٢.

"فبلغ قوله رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، فدعاه فقال له: أنت القائل: أصبح نَهبي ونَهب العبيد بين الأقرع وعُيَيْنَة؟ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لم يَقُلْ كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشّعر، وما أنت براوِيَة، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يَضُرّك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بِعُيَيْنة، ..." *(١).*

وإذا كانت المصادر لم تزوّدنا إلا بالقليل من الأخبار والروايات التي تدلّ على تفوّق أبي بكر في العلم بالأنساب، فقد ضنّت علينا أيضاً بروايته للشعر الجاهليّ. ولم أجد – في ما بحثت – إلّا القليل من تلك الأخبار والروايات.

ثانيًا: محمّد بن السَّائب الكلبيّ:

هو **"أبو النَّضْر الكوفيّ محمد بن السّائب الكلبيّ ابن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوف بن كِنانة بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كَلب بن وَبَرة"** *(٢). نسّابة رواية عالم بالتفسير والأخبار وأيّام الناس (٣)، وهو من نَسَّابي قبيلة كَلْب (٤). وترجع قبيلته "كَلْب بن وَبَرة" إلى قُضاعة (٥)، وهي من جُذامات القبائل العربية القَحطانية التي هاجرت من اليمن، ونزلت بالشام واستقرّت بها (٦). ولا يُعلم تاريخ ولادته، ومات الكلبيّ بالكوفة سنة (١٤٦ هـ) ستٍّ وأربعين ومئة (٧).*

يتقدّم الكلبيّ على كثير من النّاس في العلمِ بالأنساب، كما يتقدّم عليهم في رواية أخبار العرب، ويُعدُّ إماماً ورائداً في علمي الأنساب والتفسير (٨)؛ إذ ذكر ابن النديم أنّ سُليمان بن عليّ استقدم الكلبيّ مِن الكوفة إلى البصرة، وأسكنه في داره، فجعل الكلبيّ يملي على الناس تفسير القرآن الكريم حتى بلغ

(١) كتاب الأغاني، ١٩٥/١٤، ١٩٦. والسّيرة النبويّة، ١٣٧/٤.

(٢) كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٤٧٨/٨، ٤٧٩. والمَعارف، ابن قُتيبة، ص: ٥٣٥. والفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٣٥. وَوفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٣٠٩/٤.

(٣) انظر: كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ٤٧٩/٨. وتهذيب التّهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩. والأعلام، الزِّركليّ، ١٣٣/٦.

(٤) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٢٢/١.

(٥) انظر: الأعلام، الزّركلي، ١٣٣/٦.

(٦) انظر: قبيلة كلب في التاريخ العربي حتى نهاية العهد الأموي في الشام، رسالة ماجستير، جاسم محمد عيسى الجبوريّ، الجامعة المستنصريّة، بغداد، ١٩٨٩م، ص: ١٧، ٢٠.

(٧) انظر: وفَيات الأعيان، ابن خلكان، ٣١١/٤. وتهذيب التهذيب، ابن حَجَر، ١٥٤/٩.

(٨) انظر: وفيات الأعيان، ٣٠٩/٤. وتاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٤/١.

آيةً من سورة (براءة) ففسّرها على خلاف ما يعرف الناس، فنَهَوْه عن تفسير هذه الآية وشكوه إلى سليمان بن عليّ، فَطَلب منهم أن يكتبوا ما يقول ويَدَعُوا ما سوى ذلك(١).

وكان أبوه السّائب بن بشر الكلبيّ الكوفيّ من الإخباريين والنَسّابين، وقد استوفده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان مع مصعب بن الزُّبير وقُتلَ معه سنة (٧٢) اثنتين وسبعين للهجرة، وله مع معاوية محاورة في أخبار العرب وقبائلها، ولا يتسع المقام هنا لِذكرها(٢).

والكلبيّ من المُغالين في التشيُّع القائلين بِرَجعة الإمام عليّ بن أبي طالب إلى الدُّنيا(٣).روى عنه سفيان الثوريّ ومحمّد بن إسحاق، وشهد موقعة دَيْر الجماجم مع عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكنديّ، كما شَهِدَ جدّه بشر وأبناؤه السّائب وعُبيد وعبد الرحمن موقعة الجمل وموقعة صفّين إلى جنب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقُتل أبوه – كما سبق – مع مصعب بن الزُّبير(٤).

ومع غلوّه في التشيّع إلاّ أنّه كانَ مَرضيّا عنه في التفسير، مُنْكَراً في الحديث، وليس لأحد أطول من تفسيره، إلاّ أنّ الإمام أحمد بن حنبل وصف تفسيره للقرآن الكريم بالكَذِب، وحذَّر من النظر فيه(٥).

وقد **"اتَّفق ثقات أهل النّقل على ذمّه وترك قبول روايته في الأحكام والفروع(٦)**. *قال عنه ابن حجر:* **مُتّهم بالكذب، ورُمِيَ بالرَّفض"(٧)**، *وقال الدّارقُطنيّ:* **"متروك"(٨)**. *وقال عنه ابن حِبّان:* **" كان بالكوفة كذّابان. الكلبيّ، وذكر آخر معه"(٩)**، *وذكر عن أحد رواته قول الكلّبي:* **"كان جبريل يملي الوحي على النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – فلما قام النبيّ لحاجته جعل يملي على عليّ بن أبي طالب"(١٠)**.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل تنهض أقوال أهل العلم في كذب الكلبيّ في الحديث دليلاً على كذبه في الأنساب؟ – وهذا ما يهمّنا في البحث – لقد لاحظنا عندهم التشدّد في قبول رواية الحديث عن الكلبيّ وتساهلهم في قبول التفسير؛ وذلك لأنّ الحديث أعظم شأناً والكذب فيه أكبر خطراً،

---

(١) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٥.

(٢) انظر: العقد الفريد، ٤٧٧/٢.

(٣) انظر: كتاب المجروحين من المحدِّثين، ابن حِبّان، تحقيق حمدي عبد المجيد السَّلفيّ، دار الصُّمَيعيّ للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ٢٦٢/٢. ووفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣١٠/٤. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩.

(٤) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٥، ٥٣٦. ووَفيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٣١١/٤.

(٥) انظر: كتاب المجروحين من المحدّثين، ابن حَبّان، ٢٦٣/٢. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٣/٩.

(٦) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩.

(٧) تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق بشّار معروف، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص: ٦٧٤.

(٨) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩.

(٩) كتاب المجروحين من المحدِّثين، ابن حبَّان، ٢٦٣/٢. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٣/٩.

(١٠) المصدران والصفحتان ذواتاهما.

وقد حذّر النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – مِن الكَذِب عليه فقال: **"ومن كَذَب عليّ– قال همّام أحسبه قال – مُتعمّداً – فليتبوّأْ مقعده مِن النار"**(١)*، بينما لم يكن هذا التشدُّد في رواية القصص عن بني إسرائيل:* **"حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج"**(٢)*.*

وينبغي أن أشير إلى أنّ كذب الكلبيّ الذي حذّر منه أهل العلم هو كَذِب مذهبيّ كما نَصَّ على ذلك ابن حِبّان(٣)*، ويبدو أنّ كذبه أتى أيضاً من كِبرَه ومرضه وغَلَبَة النّسيان عليه*(٤)*؛ فهو يعترف بنفسه بكذبه، فيقول:* **"ما حَدَّثْتُ عن أبي صالح عن ابن عَبّاس فهو كَذب فلا تَرْووه "**(٥)*.*

ومع كذب الكلبيّ في الحديث وتحذير العلماء مِن الأخذ عنه، ظلّ بعض الرواة يروون عنه، فهذا هو سفيان الثوريّ يَرُدُّ على مَنْ استنكر عليه أنّه يروي عنه؛ **"قال لنا سفيان الثوريّ: اتّقوا الكلبيّ، قالوا: إنّك تُحدِّث عنه، قال: أنا أعرف صِدْقه مِنْ كَذِبه"**(٦)**.**

إذاً لا يمكننا أن نغفل قيمة الكلبيّ في التفسير والأخبار والأنساب بالرَّغْم من كل ما ورد من أقوال لأهل العلم تدعو إلى تركه مُحَدِّثا، ولعل أنصف الأقوال فيه قول الذهبيّ الذي عدّه إماماً في الأخبار والتفسير والأنساب، مرفوضاً في الحديث: **"العلاّمة الأخباريّ أبو النَّضر محمَّد بن السّائب بن بشر الكلبيّ، المُفَسِّر وكان أيضاً رأساً في الأنساب، إلاّ أنّه شيعيّ، متروك الحديث. يروي عنه ولده هشام، وطائفة"**(٧)**.**

وقد هَيَّأ وجود الكلبيّ بالشام اتّصالاً برواة القبائل والتّعرف على أنسابها، فحاول الإلمام بأطراف علم الأنساب، مُعْتمداً على أفضل نسَّابه مِنْ كلّ قبيلة(٨)*، وساعده في ذلك تعرُّفه على الأخبار والأدب وشعر النقائض*(٩)*، ومن خلال اطّلاعه الواسع أصبح عالماً بالأنساب والتاريخ واللُّغة، إلّا أنّ ثمّة إجماعاً على أنّه أوّل النَّسابين الكبار، ومع ذلك رُوِيَ عنه ولم يؤلّف في النَّسب*(١٠)*.*

وقد اعتمد ابنه هشام بالدرجة الأولى على ما ألّفه أو رواه والده في الأنساب(١١)*. وذَكَر مصادر علم أبيه "الكلبيّ" في الأنساب – كما أخبره عنها –* **: "قال لي أبي: أَخَذْتُ نَسب قريش عن أبي صالح، وأخذه**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، م٩، ١٢٥/١٨.

(٢) صحيح البخاري، ١٢٧٣/٣، (رقم الحديث: ٣٣٧٤، كتاب الأنبياء/ باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل)

(٣) انظر: كتاب المَجْروحين من المحدِّثين، ٢٦٤/٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ٢٦٣/٢. وتهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٣/٩.

(٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٣/٩.

(٦) عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسيّر، ابن سَيِّد الناس، ٢٠/١.

(٧) سِيَر أعلام النبلاء، ٢٤٨/٦.

(٨) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٧. والتاريخ العربيّ والمُؤرِّخون، شاكر مصطفى، ١٩٠/١. والتاريخ والمؤرِّخون العرب، السيّد عبد العزيز سالم، ص: ٤٨.

(٩) انظر: التاريخ العربي والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ١٩٠/١.

(١٠) انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٥٤/٩. والتاريخ العربي والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ١٩٠/١.

(١١) انظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سُزكين، م١، ٥١/٢.

أبو صالح عن عَقيل، وأَخَذْتُ نسب كِنْدَة عن أبي الكِناس الكِنديّ وكان أعلم الناس، وأخذت نَسب معدّ بن عدنان عن النَخَّار بن أوس العُذريّ – وكان أحفظ الناس ممن رأيتُ وسَمعِتُ به – وأخذتُ نسب إياد عن عَديّ بن رِئاث الإياديّ، وكان عالماً بإياد"[١].

ومن الأخبار التي تُظهر علم الكلبيّ بالأنساب الخبر الذي رواه ابنه هشام عنه، إذ قال: **"دَخَلْتُ على "ضِرار بن عُطارِد"، مِنْ ولد حاجب بن زُرارة بالكوفة، وإذا عنده رجل كأنّه جُرْذ يتمرّغ في الخَزّ، وهو الفرزدق الشاعر، فغمزَني ضِرار، فقال: سَلْه مِمَّنْ أنت؟ قال: فقلتُ له: مِمَّنْ أنت؟ فقال: إنْ كُنْتَ نَسَّابا فانسِبْني، فإنّي من بني تميم، فابتدأت أَنسِبُ "تميماً" حتى بَلغْتُ إلى "غالب" أبيه، فقلت: ووَلَد غالب همّاما فاستوى جالساً، فقال: واللهِ ما سمّاني به أبواي إلا ساعةً من نهار، فَقُلْتُ: إنّي والله أعرف اليوم الذي سمّاك فيه أبوك "الفرزدق". قال: وأيّ يوم؟ قلت: بَعثك في حاجة فخرجتَ تمشي، وعليك مُسْتَقة لك. فقال: والله لكأنّك فرزدق دَهقان – قربه قد سمّاها بالجبل– فقال: صدقتَ واللهِ! ثم قال لي: أتروي شيئاً مِنْ شعري؟ فقلت: لا، ولكنّي أروي لجرير مئة قصيدة. فقال: أتروي لـ"ابن المراغة"، ولا تروي لي؟ والله لأهجُونَّ "كَلباً" سنة، أو تروي لي كما رويتَ لجرير. فجعلتُ أَخْتَلِفُ إليه، وأقرأ عليه النقائض خوفاً منه، ومالي في شيءٍ منها حاجة"**[٢].

والخبر يكشف عن مُصانعة رواة الشعر أحياناً لبعض الشعراء خوفاً منهم واتّقاءً لشرّهم؛ فالكلبيّ يفضّل جريراً على الفرزدق، والدليل على ذلك أنّه يروي لجرير مئة قصيدة، ولا يروي للفرزدق شيئاً، ولكنّه مع ذلك ظلّ يتردّد عليه ويقرأ عليه النقائض خوفاً من أن ينال منه ومن قبيلته "كلب" بالهجاء. ولابن الكلبيّ أيضاً خبر مع الشاعر العبّاسيّ أبي نواس يشبه خبر أبيه مع الفرزدق، ويظهر تسلّط أبي نُواس عليه في ما يتصّل بنسبه، وسأورده – إنْ شاء الله – في ترجمة النسّابة ابن الكلبي.

روايته للشعر الجاهلي:

يُعَدُّ الكلبيُّ – فضلاً عن كونه إخبارياً مفسّراً نسّابة – مِنْ رواة الشعر، وهو من أعرف رواة الشعر الجاهليّ[٣]*، إذ نقل القالي عن الكلبيّ كثيراً من أخبار العرب القديمة قبل الإسلام مما يتصل بملوك حِمْيَر وأقيال اليمن. وتصف تلك الأخبار بعض ما كان يقع بين قبائل العرب مِنْ مُنازعات وثارات، وما جرّه ذلك عليهم مِنْ خروج أحياء مِن قبائل ودخولهم في قبائل أخرى لجرائر اقترفها أفراد القبيلة.*

---

(١) الفهرست، ابن النديم، ص: ١٤٥، ١٤٦.

(٢) المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٣٦. ووفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣٠٩/٤، ٣١٠. الخَزّ: ما ينسج من أجود الصوف والحرير. المُسْتَقَة: فروة طويلة الأكمام، وجمع مَساتِق، وهي كلمة فارسيّة معرّبة. أختلف إليه: أتردّد عليه. (لسان العرب: خَزَزَ، مَسْتَقَ، خَلَف).

(٣) انظر: المُفصّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٢٩٦/٩.

وتضمّ تلك الأخبار مفاخرات العرب ومناظراتهم، وتشتمل على قدر كبير من فصاحة كلام وعِظَم بيان، ويتخلّلها أشعار تدعو إلى التناصح والاحتكام إلى العقل وترك الشرّ والاقتتال حتّى لا تفنى القبائل(١).

ثالثًا: أبو اليَقْظان النسَّابة:

هو أبو اليقظان الرَّاوية الأَخباريّ النسَّابة، وهو أحد كبار العلماء بتاريخ الجاهليّة(٢). عاش بالبصرة في القرن الثاني الهجريّ، ولذلك يذكره البلاذُريّ بـ "أبي اليقظان البَصْريّ"، ولا يُعلم تاريخ ولادته، وتُوفّيَ سنة (١٩٠هـ) مئةٍ وتسعين للهجرة(٣).

ذكره المدائنيّ بأسماء وكُنى مختلفة مُنبّهًا إلى أنّ هذه الأسماء والكُنى تدلّ جميعها عليه، إذ يقول: **"فإذا قلت: حَدّثنا أبو اليقظان فهو أبو اليقظان، وإذا قلت: سُحَيم بن حَفص، وعامر بن حَفْص، وعامر ابن أبي محمّد، وعامر بن الأسود، وسُحَيم بن الأسود، وعبد الله بن حَفْص، وأبو إسحاق – فهو أبو اليَقظان(٤)،** *إلاّ أنّ أشهر هذه الأسماء والكُنَى: سُحَيم بن حَفْص، وعامر بن حَفْص، وأبو اليقظان"(٥).* ولم أعثر في ما بحثت على سبب للاختلاف في اسمه وكنيته، ولعلّ سبب ذلك أنّه لم يكن من العرب صليبةً، وإنّما كان منهم ولاءً – كما سيأتي – فلم يكن موضع اهتمام الدارسين.

كان أبو اليقظان من مَوالي قبيلة تميم، إذ ذكر الطبريّ أنّه كان مولى " وَبْرَة التميميّ"(٦)، وهذا يفسّر اهتمام أبي اليقظان بمشاهير الشعراء من قبيلة تميم وأهمّهم جرير والفرزدق؛ فقد أورد شيئاً من النقائض بينهما(٧).

آ- مُيوله وثقافته:

أبدى أبو اليقظان ميولاً تجاه الأمويّين، وكرهًا للشُّعوبيّين، ومُخالَفةً لِغُلاة الشِّيعة(٨)، ويظهر ذلك في دفاعه عن نسب زياد إلى أبيه (أبي سفيان)؛ إذ ذكر نسب أمّه أنّها أسماء بنت الأعور مِنْ بني تميم(٩)،

---

(١) انظر: كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٧٢/١-٧٤. ٩٢، ٩٣، ١٤٢، ١٤٣.

(٢) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٤٢/٣. وتاريخ التراث العربيّ، فؤاد سُزكين، م١، ٤٧/٢.

(٣) انظر: كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٣٦/١، ١٧٥، ٢٢١، ٤٣٤/٩، ١٠٢/١٠. والفِهْرِست، ابن النديم، ص: ١٤٤. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٤٢/٣.

(٤) الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٤.

(٥) انظر: تاريخ الطبريّ، ١٦٣/٤، ٤٠٤، ٤٤٩، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥١٢، ٥٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ٤٤٩/٤.

(٧) انظر: كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٢٨٦/٥، ١٨٥/١١، ١١٨/١٢.

(٨) انظر: كتاب الطبقات، أبو عمرو خليفة بن خيّاط العُصفريّ، تحقيق أكرم ضياء العمريّ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، المقدمة، ص: ٢٢.

(٩) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٣٤٦.

كما يظهر في مهاجمته لخصوم الخلفاء الأمويين من مثل عبد الرحمن بن الأشعث الثائر على عبد الملك ابن مروان ووالييه الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، ولكنّه مع ذلك أورد روايات ضدّ الخلفاء الأمويّين أو بعض وُلاتهم كالحجّاج(١)، ولذلك يمكننا أن نصف رواياته الإخباريّة بالاعتدال.

اشتُهِر أبو اليقظان بعلمه بالأنساب والأخبار والمآثر والمثالب، وكان موثوقاً به في رواياته(٢)، *وبما أنّ أبا اليقظان كان بَصْريّاً، فقد أولى البصرة وأحداثها وأخبار أهلها عناية كبيرة؛ إذ نراه يفصّل في ذكر الأحداث المتعلّقة بالبصرة مثل موقعة الجمل وثورة ابن الأشعث، ويذكر فتوح المشرق لارتباط أقاليم المشرق بإدارة البصرة؛ فقد كانت البصرة قاعدة لانطلاق جيوش الفتح الإسلاميّ للمشرق العربيّ*(٣).

ب- مؤلّفاته:

يُعَدُّ أبو اليقظان النسّابة أوّل مَن ألّف في الأنساب نقلاً عن الروايات القبليّة في المقام الأوّل والتي تُعَدّ المنبع الرئيسي لعلمه(٤)؛ *إذْ استقى علمه في الأنساب والأخبار مِنْ نسّابي القبائل وهم المصادر الأوّليّة المباشرة*(٥)، وقد اعتمد في رواية الأخبار والأنساب على المشافهة مما يدلّ على قوة حفظه.

وتعدّ مؤلّفاته مزيجاً من الأخبار والأنساب – والأخبار أوفى مادّةً- وقد اقترنت الأنساب بالأخبار عند جُلّ الباحثين خلال القرن الثاني الهجريّ(٦)، *وله من الكتب: كتاب النسب الكبير، وكتاب نسب خِنْدِفِ وأخبارها، وكتاب أخبار تميم، وكتاب حلق تميم بعضها بعضاً، وكتاب النّوادر*(٧).

وقد نقل ابن خَلّكان في كتابه "وفيات الأعيان" أخباراً متفرّقة لأبي اليقظان النسّابة مِن كتابه "النّسب"(٨)، وأظنّ أنّ هذا الكتاب هو كتاب "النسب الكبير"، *كما أكّد ابن النَّديم اطّلاعه على كتاب النَّوادر*(٩)، وهذا يدلّ على ضياع مؤلَّفاته وعدم وصول شيء منها إلاّ متناثراً.

---

(١) انظر: عيون الأخبار، ابن قتيبة، نسخة مصوَّرة عن طبعة دار الكتب، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطّباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ١٢١/١، ١٢٢، ٢١٠/٢، ٦١/٤.

(٢) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٤٤.

(٣) انظر: كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٩٣/٥، ٩٧/١١، ٢٩٤، ٣٨٨، ١٢/١٢، ٣٦٤/١٣. كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص: -٢٠م-.

(٤) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٧. والتاريخ العربيّ والمؤرِّخون، شاكر مصطفى، ص: ١٩٣، ١٩٤.

(٥) انظر: كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص:- ٢٢م-.

(٦) انظر: نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوريّ، ص: ٤٧.

(٧) انظر: الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٤٤.

(٨) انظر: وَفيات الأعيان، ابن خلّكان، ١٧٣/٤، ٣٥٤/٦.

(٩) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٤.

إذاً ضاعت مؤلّفات أبـي اليقظان ولم يصل إلينا منها شيء، ولم يُعثر له إلّا على مقتبسات ومقتطفات مبعثرة نجدها في كتب المؤرّخين مِن مثل ابن خيّاط وابن قُتيبة والبلاذُريّ والطّبريّ(١).

وتدلّ المقتبسات المنقولة عن أبـي اليقظان من أخبار ومعلومات نسبية وما تخلّلها من أشعار على معرفة واسعة بأنساب العرب قبل الإسلام وبعده. مَن عاصرهم ومَنْ لم يعاصرهم، كما تدلّ على أنّه كان ثقةً في ما يرويه(٢).

ج- مادّته في الأخبار:

لَمَّا كان أبو اليقظان من كبار العلماء بتاريخ العرب قبل الإسلام، فقد نقل أخباراً تتّصل بقريش وبطونها في مكّة، ومحاولة عبد مُناف أخذ مفتاح الكعبة من بني عبد الدار، وأخباراً تتّصل بأشراف قريش وقبائل عرب الشمال، كما يُظهر سعة اطّلاع على أخبار العرب في صدر الإسلام والعصر الأموي انتهاءً بالزمن الذي عاش فيه وهو العصر العبّاسي الأوّل(٣).

وقد أورد ابن قتيبة مقتطفات لأبـي اليقظان تناولت بعض أخبار قريش الدينيّة قبل الإسلام، وذِكْر سيرة النبيّ محمّد- صَلَّى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين وبعض الصحابة رضي الله عنهم، وتحديد سنوات وَفَياتهم وأماكنها وحالاتها(٤).

*وتَظهر قدرة أبـي اليقظان الفائقة في معرفة سبب تسمية بعض بطون القبائل العربيّة ومنهم "بنو النار" الذين يذكر سبب تسميتهم بهذا الاسم، وهو أنّ امرأ القيس بن حُجْر كان قد مرّ بهم فأنشدوه شعراً، فقال لهم: "**إنّي لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم [بيوتكم] ناراً [مِن] جودة شعركم. فقيل لهم بنو النار**"(٥).*

*ويحاول أبو اليقظان في أخباره التي يوردها أن يرسم صورة حيّة للحوادث، التي يعرضها، وربما يحاول نقل الكلام بأسلوب مباشر على ألسنة المشاركين في تلك الحوادث، ويشتمل ذلك على الشعر أحياناً، إلّا أنّه لا يكترث بالإسناد إلّا قليلاً(٦)؛ ومن بين شيوخه الذين أخذ عنهم مباشرة: جويرية بن أسماء وأبو عمرو المَدنـيّ، ومن أمثلة ذلك قوله: "**حدّثنا جُوَيرِية بن أسماء ...**" (٧)، وقوله: "**فقال أبو عمرو المدنـيّ...** "(٨).*

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربيّ، فؤاد سركين، م١، ٤٧/٢.

(٢) انظر: المؤتلف والمختلف، الأمديّ، تحقيق عبد السّتار فرّاج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٦١م، ص: ٤٥/ ٧٠، ٩٤، ١٠٩، ١١٥، ١٢٠، ١٤٣،١٢٦، ١٥١، وانظر فهرس الشعراء والأعلام، ص: ٣٥١.

(٣) انظر: كتاب جُمل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٢٢١/١، ٩٠/٣، ٨٠/٤، ٣١٠، ٣١٣، ٣٥٥/٥، ٢٠٣/١٠، ٢٧٢، ٤٤٧، ٢٤١/١٣.

(٤) انظر: المَعارف، ص: ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٠، ١٨٤- ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٠ وما بعدها.

(٥) المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ٩٤.

(٦) انظر: كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص: ٢١م – ٢٣م.

(٧) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٢٢٣/٧، ١٤٢/٨.

(٨) المصدر نفسه، ٦٢/١١.

د- مادّته في الأنساب:

تدلّ عناوين مؤلّفات أبي اليقظان أنّه اقتصر في مؤلّفاته على أنساب عرب الشمال دون عرب الجنوب (اليمن)، وسار على دربه مؤرّج السدوسيّ، ولذلك نجد أنّ خليفة بن خيّاط صاحب الطبقات قد اعتمد في أنساب عرب الشمال على أبي اليقظان، بينما اعتمد على ابن الكلبيّ في أنساب عرب الجنوب (اليمن) (١).

*وتكشف بعض مقتطفات أبي اليقظان في الأنساب على حرص دقيق ومتابعة حثيثة لأنساب مَنْ تناولهم، ولا أدلّ على ذلك من قوله: "**لم يَبْقَ مِن بني عبد قصيّ أحد، بادوا كلّهم حتى ورث آخرهم عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، ورجل آخر من بني المطّلب بن عبد مناف**"* (٢). *وقوله في موضع آخر: "**ومِنْ بني عبد الدار بنو جُبَيْر، ولهم بقيّة قليلة بالبصرة**"* (٣). *وقوله في موضع ثالث: "**خرج بنو ثور مِن الرّباب وليس بالبصرة منهم اليوم أحد**"* (٤)، وتكشف هذه المُقتطفات عن اهتمام أبي اليقظان بأنساب القُرشيّين وأخبارهم، واهتمامٍ أيضاً بالبصرة، إذْ إنّ لها أهمية بالغة عنده بحكم نشأته بها.

وتبرز المعلومات النَّسَبيّة التي يقدّمها أبو اليقظان من خلال المُقتطفات التي عثر عليها، أنّها تعدّ وثيقة تاريخيّة، ودليلاً فاصلاً في ما اختُلِفَ فيه مِنْ صحّة رفع أنساب الأشخاص إلى بطن من بطون العرب؛ إذْ ذكر الآمدي أنّ سالماً وعبد الرحمن ابني مُسافِع بن يَربوع – وهما اللذان يقال لهما ابنا دَارَة – هما مِن بني عبد الله بن غَطَفان، وأنّ يَربوعاً هو دَارة، وسمّي بذلك لجماله وشِبْهه بدارة القمر، كما وُجِد ذلك في كتاب بني عبد الله بن غَطَفان (٥)، ولكنّنا نجد الآمديّ يقدّم رأي أبي اليقظان – الذي نسبهما إلى أمهما "دارة"، ولم يرفع نسبهما إلى عبد الله بن غَطَفان – وعدّ رأيه أصحّ الآراء، *إذ يقول: "**قال أبو اليقظان: دارة أمّهما، وهي امرأة من بني أسد، سمّيت بذلك لأنّها، كانت جميلة، شُبهت بدارة القمر، وهو إن شاء الله الصحيح**"* (٦)، *واستشهد الآمدي على صحّة هذا الرأي بقول سالم* [من البسيط]:

أنا ابن دارة معروفاً بها نَسبي وهل بِدارةَ يا لَلنّاسِ مِن عارِ

ثمّ أردف الآمدي بقوله: "**ولم يرفع أبو اليقظان نسب ابني دارة إلى عبد الله بن غَطَفان، ولا وجدت ذلك في القبيل**" (٧). وأراد الآمديّ أنّ سَالِماً حين قال: (معروفاً بها) أنّه يتحدّث عن امرأة وهي

---

(١) انظر: كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص: ١٨م-، ١٩م.

(٢) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٤١٧/٩.

(٣) المصدر نفسه، ٤١٤/٩.

(٤) المصدر نفسه، ٣٢٣/١١.

(٥) انظر: المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ١٦٦، ١٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٦٧.

(٧) المؤتلف والمختلف، الآمِديّ، ص: ١٦٧.

أمّه دارة، لا عن رجل، فلم يقل: (معروفاً به)، وتظهر هنا واضحة صلة الشعر بالنسب كوثيقة تاريخيّة وأدبيّة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر أنّ أبا اليقظان عُنِيَ بأنساب الأمّهات عناية خاصّة لدرجة أنّ بعض العلماء أشادوا به في هذا الحَقل[١]؛ إذ ذكر الجاحظ أنّ الهُذَيل المازنيّ أشاد بعلم أبي اليقظان في إتقان أنساب الأمّهات، وذلك في سياق إشادته بعلم مُثَنَّى بن زُهَيْر في حفظه لأنساب الحمَام: **"دَخَلْتُ على رجلٍ أعرفَ بالأمّهات المُنْجِبات من سُحَيْم بن حَفص"**[٢].

ويشير أبو اليقظان النسابة من خلال المعلومات النّسبيّة التي يقدمّها إلى التحوّلات القبليّة والتغيّرات في خطوط الأنساب خاصّة في العصر الأمويّ، وذلك بسبب الظروف السياسيّة التي مَرَّتْ بها الدولة الأمويّة؛ إذ كان بعض الخلفاء الأمويّين يفتعلون ردّ قبيلةٍ أو بطنٍ منها إلى قبيلة أخرى لتقوى بها وتعاضدها ويكثر عددها، وذلك ما أثار استنكار أبي اليقظان؛ ومن ذلك استنكاره لما قام به مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة مِن ردّه قبيلة جُذام إلى بني أسد[٣]*، واستشهد لتأييد رأيه بأبيات من الشعر للقعقاع الطائيّ، إذ يقول* [من البسيط][٤]*:*

ما كنت أحسب أن يمتدَّ بي أجلي حتى تكون جُذامٌ في بني أسدِ
فأصبحتْ فَقعسٌ تُدعى إمامَهُمُ يا لَلرجالِ لِرَيب الدهر ذي العددِ
والبِيضُ لَخمٌ وكانوا أهل مملكةٍ شُمُّ العرانينِ لا يُسْقَوْنَ من ثَمَدِ

ويبدو أن سبب افتعال مثل هؤلاء الخلفاء ردّ قبيلة أو بطن منها إلى قبيلة أخرى، هو طمعهم وطمع ولاتهم في استمالة القبائل من حولهم حتى تصبح في صفّهم في حروبهم ضِدّ أعدائهم، ونعلم أَنَّ تلك المرحلة كانت تمثّل نهاية الدولة الأمويّة، إذ كانت ضعيفة؛ فمروان بن محمّد هو آخر خلفاء بني أميّة، وبعد ذلك سقطت الدولة الأمويّة ثم انتقل الحكم إلى بني العبّاس.

*ومعلوم أنّ "جُذام" هي قبيلة يمانيّة، أي أنّها من عرب الجنوب، وجُذام هو "***عمرو بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أرد بن زيد بن يشجب***"*[٥]*، وأنّ بني أسد هم قبيلة عدنانيّة، أي أنّها من عرب*

(١) انظر: كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص: ١٩م.
(٢) كتاب الحيوان، الجاحظ، ٣/٢١٠، ٢١١.
(٣) انظر: كتاب جمل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ،١/٤٢.
(٤) أَنساب الأشراف، البَلاذُريّ، تحقيق محمّد حميد الله، ١/٣٦. وكتاب جُمَل من أَنساب الأشراف، البلاذُريّ، ١/٤٢-٤٣: "ذي النَّحَدِ" مكان " ذي العَدَدِ"، ولم أجد لها معنىً
فَقعس: من الفَقعسة، وهو استرخاء وبَلادة في الإنسان، وبنو فَقعس من قبائل أسد (الاشتقاق، ابن دريد، ١/١٨٠).
الشُمّ: جمع أَشَمّ، من الشَّمَم، وهو ارتفاع في قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة (لسان العرب: شَمم). العرانين: جمع العِرنين، وهو أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين، وعَرانين القوم سادتهم (الصّحاح، الجوهريّ: عَرن). الثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادَّ له، وقيل وهو القليل الذي في الجلد (لسان العرب: ثَمدَ).
(٥) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، ص: ٤٢٠.

*الشمال، وهم "**بنو خُزَيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان**"(١). وأكّد تلك الحادثة – أعني ردّ قبيلة جُذام إلى بني أسد – ابن حزم الأندلسيّ؛ إذ ذكر أنّ رَوْح بن زِنباع الجُذاميّ – والي فلسطين في أيّام الخليفتين معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد – أراد أن يردّ نسب جُذام إلى مضر، فمنعه من ذلك ناتِل بن قيس الجُذامي، وثار عليه وأخرجه مِن فلسطين واستولى عليها ودعا لعبد الله بن الزُّبير (٢).*

وأشار أبو اليقظان في أكثر من موضع إلى تَنقُّلات في بطون القبائل في ما بينها واستلحاق بعضها بعضاً، ومن ذلك ذكره لاستلحاق أسد لصعب، وأكّد هذا بِبَيْتٍ من الشعر، وهو قول بعضهم [من الرَّجَز]:

نحن بنو صَعْبٍ وصَعْبٌ لِأَسَدْ لا يُعرف المجد علينا لِأَحَدْ(٣)

*كما أورد البلاذريّ – في سياق حديثه عن نسب ولد طابِخة بن الياس بن مُضَر بن نِزار ومنهم عوف بن وائل الملقّب بِعُكْل – ذِكْر أبي اليقظان انتقال بني مالك بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع إلى عُكْل، إذ قال أبو اليقظان: "**فَهُمْ فِيهم إلى اليوم**"(٤).*

*ومع أنّ أبا اليقظان قلّما يحاول نَقد رواياته(٥)، إلا أنّه يتوقّف أحياناً عن رفع نسب بعض البطون التي يذكرها عندما تنقطع الصّلة ولا يعرف إلى ذلك سبيلاً، فنجده يعترف بعدم إلمامه بأصول بعض البطون؛ ومِنْ هؤلاء بنو دينار مِن بني رَبيع الذين يذكرهم البلاذُريّ في سياق حديثه عن نسب بني سعد بن زيد مناة بن تميم، إذ يقول أبو اليقظان: "**وكان يقال لبني دينار مِن بني ربيع رَكبة القَلوص، جاؤوا مُترادفين على قَلوص فدخلوا عُمان، ولا يُدرى من أين جاؤوا**"(٦). وقليلاً ما يرد على لسان أبي اليقظان كلمة "يُقال" مما يدلّ على عدم وثوقه بالرّواية التي يذكرها؛ ومِنْ ذلك قوله: "**يقال إنّ بني معاوية بن كُليب هم مِن مُرَّة بن غَطفان**"(٧)، وذلك في سياق حديث البَلاذُريّ عن نَسب بني كُلَيْب ابن يَربوع. ومن ذلك أيضاً قوله أيضاً: "يقال إنّ بني ناشرة مِنْ بني مازن بن عمرو بن تميم"(٨)، وذلك في سياق حديثه عن نسب بني أسد بن خُزَيمة.*

ومع سَعة اطّلاع أبي اليقظان على أنساب العرب وحرصه ودقّته في تتبّعها، إلاّ أنّ البَلاذُريّ قد وجّه إليه بعض النّقد، وأورد له بعض الأخطاء في الأنساب، ويظهر هذا النقد من خلال استخدام

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، ص:٤٧٩ .

(٢) المصدر نفسه، ص:٤٢١. وتاريخ الطبريّ، ٥٣١/٥.

(٣) انظر: كتاب جمل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٤٢/١.

(٤) المصدر نفسه، ٢٧٠/١١.

(٥) انظر: كتاب الطبقات، خليفة بن خيّاط، مقدّمة التحقيق، ص: ٢٢م- . وكتاب الأغاني، أبو الفرَج، ١٤٤/١٥.

(٦) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٢٦١/١٢.

(٧) المصدر نفسه، ٢٤٣/١٢.

(٨) المصدر نفسه، ١٨٨/١١، ١٨٩.

*عبارة "**زَعم أبو اليقظان**"(١)، مما يشير إلى عدم وثوق البلاذُريّ واطمئنانه إلى صحة الخبر أو المعلومة النَّسبيّة التي يوردها أبو اليقظان؛ ومِنْ أمثلة ذلك قول البلاذُريّ: "***وزعم أبو اليقظان عن آل زياد أنّ زياداً لأبي سفيان، وأمّه أسماء بنت الأعور مِنْ بني تميم ثمّ مِن بني عبد شمس، وذلك باطل، لأنّ الراجح أنّ أمّه سميّة***"(٢).*

ويدلّ هذا النصّ على أمرين: أوّلهما: أنّ الخطأ في الأنساب والأخبار وارد – ولو بشكل قليل – عند أبي اليقظان، وليس عنده وحسب، بل عند نسَّابين آخرين، وذلك لافتقار طبيعة المادّة التي تعدّ خليطاً مِن الأنساب والأخبار إلى الإسناد الذي يُعدّ أساساً عند العلماء والدّارسين في قبول الروايات وردّها.

والثاني: أنّ البلاذُريّ – وهو من مشاهير النسّابين في القرن الثالث الهجريّ – يمثّل مرحلة متطورة في النُّضج والوعي في الكتابة التاريخيّة في إطار الأنساب؛ إذ لم يكن يتلقّى الروايات في الأنساب والأخبار بالقبول حتى تطمئنَّ نفسه إليها، وهذا يدل على التطوّر الذي أصاب الدراسات التاريخيّة في القرن الثالث الهجريّ، وكنت قد أشرت إلى ذلك سابقاً.

وتتفاوت أهميّة المعلومات التي يقدّمها أبو اليقظان النسّابة، وإنْ كان معظمها موثوقاً به، فإنّها غير مسندة إلّا إليه، وهو غاية الإسناد في رواياته، وترد معظم رواياته في الأخبار والأنساب بصيغتين متقاربتين مِن صيغ التحمُّل هما: "قال أبو اليقظان" و "ذكر أبو اليقظان"، ولعلّ السبب في هذا هو تساهله في الإسناد وعدم ذِكْره لِمَن روى عنهم، وقد يكون هناك إسناد في رواياته، ولكن مَنْ نَقل عنه أسقط الرُّواة الذين روى عنهم ثقة بأبي اليقظان.

وتقوى رواية أبي اليقظان عندما يرد ذكر هشام ابن الكلبيّ معه(٣)، وتصبح رواياته أكثر قوة عندما يروي عنه المدائنيّ(٤) – وكثيراً ما يروي عنه – وهو شيخ الإخباريّين كما سبق.

هـ- روايته للشعر الجاهليّ:

ينقل البلاذريّ عن أبي اليقظان النسّابة طائفة من أخبار قبائل عرب الشمال قبل الإسلام، ويتّصل أكثرها بوقائعهم وغزواتهم، وقد أورد خلال ذلك معلومات نَسَبيّة تشتمل على أبيات من الشعر تؤيّد تلك الأخبار وتوثّقها.

---

(١) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ١/١٧٥، ٥/١٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ٥/١٩٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٦/٣٠٩، ١٢/٣٧٢، ١٣/٤٩، ٦٦.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ١/١٦، ٢٢٥، ٣/١٦، ٤/٢٤١، ٣٠٧، ٥/٦٢، ١٣٤، ٤٣٥، ٤٩٢، وفي مواضع أخرى من بقية الأجزاء.

ومن تلك الأشعار التي رواها أبو اليقظان النسّابة مَرثِيَّة كَعب بن سَعد الغَنَويّ في أخيه أبي المِغوار، قال أبو اليقظان: "**مِن غَنِيّ: كعب بن سعد الشاعر الذي يقول في مرثيّته لأخيه التي أوّلها** [من الطويل]:

تقول سُلَيمى ما لِجِسمكَ شاحباً كأنَّكَ يحميكَ الشَّرابَ طبيبُ"(١)

وتُعدّ هذه المرثيّة مَحطّ إعجاب العلماء والدارسين، إذ قال فيها الأصمعيّ:

"ليس في الدنيا مثلها" (٢)، *وقال أبو هلال العسكريّ:* ***"ليس للعرب مرثيّة أجود مِن قصيدة كعب بن سعد التي يرثي فيها أخاه أبا المِغوار"*** (٣)، *وقال فيها يونس النَّحويّ:* "**يتيمة المراثي**"(٤)، أي أنّ هذه المرثيّة قلّ نظيرها من المَراثي عند العرب.

وتقع مَرثيّة كعب – كما أوردها البلاذُريّ – في واحد وعشرين بيتاً فقط، بينما أوردها الأصمعيّ في خمسة وأربعين بيتاً، جعلها في قسمين: الأوّل في أربعة وعشرين بيتاً، والثاني في واحد وعشرين بيتاً، ولكنّه ذكر أنّها لشاعر آخر هو غُرَيْقَة بن مُسافِع العَبسيّ، إلاّ أنّ محقّقَي الأصمعيَّات ذكرا أنّها يقيناً لكعب بن سعد الغَنويّ، إذْ لم يجدا لغُرَيْقة ترجمة ولا ذكراً، وعدّا أنّ الأصمعيّ وَهِم أو أخطأ في نسبة القسم الثاني من القصيدة إليه (٥)، ويؤكّد ما ذهب إليه المحقّقان أنّ جوّ الأبيات في القسمين واحد، كما أنّ المعنى فيهما مترابط ترابطاً يصعب معه الفصل بينهما.

وقد جمع الباحث داود إبراهيم غَطاشة قصيدة كعب في واحد وسبعين بيتاً (٦).

والأبيات التي رواها أبو اليقظان لكعب غير مرتّبة، وبعض ألفاظها غير واضحة قياساً إلى رواية الأصمعيّ، ونلحظ هنا تفوّق رواة الشعر ودقّتهم على رواة الأنساب، وقد اكتفَيْتُ برواية أبي اليقظان للأبيات، مشيراً إلى الاختلافات في الحاشية كما وردت عند الأصمعيّ. وتدلّ رواية أبي اليقظان – كما وصلت إلينا – على قلّة عنايةٍ بإيراد الألفاظ الصَّحيحة، ولعلّ ذلك جاء من طريق الرُّواة الَّذين رَوَوْا عنه هذه الأبيات، أو مِن طريق النُّسَّاخ الَّذين قد يكونون وقعوا في التَّصحيف، أي أنَّهم أخطأوا في كتابتها أو قراءتها على غير وجهها الصَّحيح لاشتباههم في الحروف(٧).

---

(١) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٢٥٩/١٣.

(٢) كتاب فُحولة الشعراء، الأصمعيّ، ص: ١٤.

(٣) ديوان المعاني، أبو هلال العسكريّ، تمّ مقابلته بنسخة المتحفة البريطانية بوساطة المستشرق كَرنكو الّذي تفضَّل بتصحيحه، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ١٧٨/٢.

(٤) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البَلاذُريّ، ٢٦٠/١٣.

(٥) انظر: الأصمعيّات، الأصمعيّ، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م، ص: ٩٨: الحاشية.

(٦) انظر: حركة الشِّعر في قبيلة غَنِيّ حتى نهاية العصر الأمويّ، رسالة ماجستير، داود إبراهيم علي غَطاشة، الجامعة الأردنيّة، الأردنّ، ١٩٧٦م، ص: ٤٨٨–٥٠٢.

(٧) انظر: لسان العرب: صَحَّفَ.

ويعتمد الآمديّ أحياناً على أبي اليقظان في مَنْ يترجم لهم مِن شعراء، جاهليّين وإسلاميّين، إذْ يورد سلاسل أنسابهم، ويذكر لهم شعراً، ويكتفي أحياناً بذكر أنسابهم دون أن يُنشد لهم شعراً، وقليلاً ما يكتفي بذكر اسم الشاعر ولقبه دون أن يرفع نسبه(١).

ومعظم مَنْ يروي لهم أبو اليقظان من شعر هؤلاء الشعراء هم مغمورون، وبعض هذا الشعر صحيح وبعضه مضطرب، فمن الشعراء الجاهليّين الذين روى لهم شعراً: الأشهب بن عُبيد الله بن كُلَيب مِن بني عامر بن صَعْصَعة، وهُنَيّ بن أحمر مِن بني الحارث بن مُرّة بن عبد مناة بن كِنانة بن خُزيمة المعروف بابن أحمر الكِنانيّ، وخُزَز بن لَوْذان، أحد بني عَوف بن سَدوس بن شيبان بن ذُهل ابن ثعلبة بن عُكابة، ويُعرف بالمُزَّم الذُّهْليّ، وأبو الغُول الطُّهَويّ مِنْ بني طُهَيّة يقال لهم بنو عبد شمس بن أبي سُود(٢).

رابعًا: مُؤرِّج السَّدوسيّ:

هو أبو فَيْد مُؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن مَنيع بن ثور بن سَعد بن حَرملة بن عَلقمة بن عمرو بن سَدوس السَّدوسيّ العِجليّ البَصريّ النحويّ الأخباريّ، وقال ابن النديم إنّ اسمه مَرْثَد ومُؤرِّج لقب له(٣). وكان مُؤرِّج يقول: **"اسمي وكُنيتي غريبان، اسمي مؤرِّج، والعرب تقول أَرَّجْتُ بين القوم وأَرَّشْتُ إذا حَرَّشْتُ، وأنا أبو فَيْد، والفَيْد ورق الزعفران، ويقال فادَ الرجل يَفيد فَيْداً إذا مات"**(٤). *ولا يُعلم تاريخ ولادته، وتوفيّ مؤرِّج السدوسيّ سنة (١٩٥هـ) خمسٍ وتسعين ومئةٍ للهجرة في اليوم الذي توفّي فيه الشاعر العبَّاسيّ أبو نُوَاس(٥).*

ويُعدّ مُؤرِّج السدوسيّ عالماً بالعربيّة والحديث والأنساب وأحد أَئمّة الأدب. وقد أخذ علمه عن أبي زَيد الأنصاريّ، وكان مِن تلامذة الخليل بن أحمد الفراهيديّ ومِن أعيان أصحابه، وسمع الحديث من شُعبة بن الحجّاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما وأسند عنهم الحديث، وأخذ عن مُؤرِّج مِن العراقيّين أحمد بن محمّد بن أبي محمّد اليَزيديّ – وهو أحد رواة كتابه في النّسب – وروى عنه أيضاً النَّضْر بن شُمَيْل(٦).

---

(١) انظر: المُؤتلف والمُختلف، ص: ٧٠، ١١٥، ١٢٣، ٢٤٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٩، ٤٥، ١٤٣، ٢٤٥. والخُزَز: ولد الأرنب، وقيل هو الذَّكر مِن الأرانب(لسان العرب: خَزَزَ).

(٣) انظر: المَعارف، ابن قُتيبة، ص: ٥٤٣. والفِهرِست، ابن النَّديم، ص: ٧٧، وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٢٥٨/١٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣١/٦.

(٤) كتاب نور القَبَس المختصَر من المُقتبَس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، المرزُبانيّ، اختصار أبي المحاسن اليغموريّ، تحقيق رودلف زِلّهايم، فيسبادن، ١٩٦٤م، ٣٨/١. والفِهرِست، ابن النّديم، ص: ٧٧. ولسان العرب، ابن منظور: أرِجَ، فَيَدَ.

(٥) انظر: المَعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٤٣. والفِهرِست، ابن النَّديم، ص: ٧٧.

(٦) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣١/٦. وإنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، القِفطيّ، ٣٢٩/٣، ٣٣٠.

كان مُؤرِّج مع الخليفة العباسيّ المأمون في بغداد، ورحل معه إلى خراسان، حيث سكن مدينة مرو، ثم قَدِم نيسابور وأقام بها وكَتَب عن مشايخها (١).

عَدَّه ابن قتيبة مِن رواة الشعر وأصحاب الغريب والنحو، ولكنّه غلب عليه العلم باللّغة والشعر، وهو مِن الموثوق بهم في العلم باللّغة، إذ يقال إنّ الأصمعيّ كان يحفظ ثلث اللّغة، وكان الخليل يحفظ ثلث اللّغة، وكان مُؤرِّج يحفظ الثُّلثين، وكان أبو مالك (عمرو بن كِرْكِرَة الأعرابيّ – نحو ٢٤٨هـ) يحفظ اللّغة كلّها (٢).

وذكر مُؤرِّج أنّه قدم من البادية، وليس له معرفة بالقياس في العربيّة، وإنّما كانت معرفته بالعربيّة قريحةً وسليقة، وذكر أنّه أوّل ما تعلّم القياس كان في حلقة أبي زيد الأنصاريّ (٣).

ولمؤرِّج عدّة تصانيف، منها كتاب "الأنواء"، وهو كتاب حسن، وكتاب "غريب القرآن"، وكتاب "جماهير القبائل"، وكتاب "المعاني" وغير ذلك، وقد اختصر نسب قريش في مجلّد لطيف سمّاه "حذف من نسب قريش" (٤) *وهو برواية أبي عبد الله محمّد بن العبّاس اليزيديّ عن أبي جعفر أحمد بن محمد اليزيديّ عن مُؤرِّج بن عمرو السّدوسيّ.*

ويعدّ كتاب مؤرِّج السّدوسيّ "كتاب حذف من نسب قريش" أقدم مصدر من المصادر التي وصلت إلينا في الأنساب (٥)، ومعنى هذا أنّ مُؤرِّج سبق ابن الكلبيّ في التأليف في الأنساب. *ويقول مؤرِّج في مقدّمة كتابه:* **"هذا كتاب حَذف من النَّسب، ولو كتَبْتُ كتاب استئصال، لشغلتني سيرة النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – وسيرة بني العَبّاس دَهراً"**(٦). *والحَذْف هو القطع من الطَّرَف، والاستئصال هو القطع من الأصل* (٧)، *وأراد بكلامه* **"أنّه تكلَّم عن نسب قريش من أطرافه فأوجز، ولم يستوعبه كلّه مفصَّلا"**(٨) بخلاف ما هو الحال عند ابن الكلبيّ والمصعب الزبيريّ والزّبير بن بكّار الّذين فَصَّلوا القول في أنساب قريش.

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٢٥٨/١٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣١/٦. وإنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، القِفطيّ، ٣٢٩/٣.

(٢) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣١/٦. وإنباه الرُّواة، القِفطيّ، ٣٢٩/٣.

(٣) انظر: المَعارف، ابن قُتيبة، ص: ٥٤٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣١/٦. وإنباه الرُّواة، القِفطيّ، ٣٢٩/٣. ووَفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٣٠٤/٥.

(٤) انظر: الفهرست، ابن النّديم، ص: ٧٧. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٢٥٨/١٣. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٣٢/٦. ووَفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٣٠٤/٥.

(٥) انظر: مقدّمة تحقيق كتاب حَذف من نسب قريش لمؤرِّج السدوسيّ، صلاح الدين المُنجد، ص: ٦، ٨، ٩.

(٦) كتاب حذف من نَسب قريش، ص: ٢.

(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور، حَذَفَ، أَصُلَ.

(٨) كتاب حذف من نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المُنجد، المقدمة، ص: ٨.

روايته للشعر الجاهليّ:

تناول مُؤرِّج السدوسيّ في كتابه موجزاً من أنساب قبيلة قريش وأخبارها، ذاكراً بعض بطونها، مستدلاً على ذلك بأبيات من الشعر الجاهليّ والإسلاميّ.

والبطون التي تناولها مؤرِّج هي: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطّلب بن عبد مَناف، وبنو عبد شمس وأحلافهم، وبنو نَوفل بن عبد مناف وأحلافهم، وبنو عبد الدار بن قُصيّ وأحلافهم، وبنو عبد بن قُصيّ، وبنو عبد العُزّى بن قُصيّ وأحلافهم، وبنو زُهْرة بن كِلاب، وبنو مخزوم، وبنو تَيم بن مُرَّة(١).

خامسًا: هِشَام بن محمّد الكلبيّ:

*هو "***أبو المنذر هشام بن محمّد بن السَّائب بن بشر الكلبيّ، الكوفيّ، الشيعيّ***"*(٢) *ويُعدّ مِن أعظم الإخباريّين في تاريخ العرب، ومِن أشهر الرُّواة والنَسّابين والعلماء في العصر العبّاسيّ.*

*وهو مِن نَسّابي قبيلة "***كلب بن وَبْرَة***" التي ترجع إلى قبيلة قُضاعة اليمنيّة التي استقرَّت في الشام قبل الإسلام* (٣).

استقرَّ هشام ابن الكلبيّ في بغداد، وحَدَّث بها، وعاصر الخليفة المأمون وغيره من خلفاء الدولة العباسيّة، ولا يُعلم تاريخ ولادته، إلاّ أنّه عاش في القرن الثاني الهجريّ، وتُوفّي في أرجح الأقوال سنة (٢٠٤) مئتين وأربعٍ للهجرة (٤).

آ- منزلته العلميّة ومصادره:

*أجمع كبار المحدّثين والمؤرّخين على عُلوّ مكانة ابن الكلبيّ في العلم بالأنساب والأخبار، وأبرزهم: الإمامان أحمد بن حنبل والبُخاريّ اللذان وصفاه بأنّه "***صاحب نَسَب وسَمَر***"*(٥)*، وابن قتيبة الذي قال عنه إنّه "***كان أعلم الناس بالأنساب***"*(٦) *والذهبيّ الذي أجاد في وصفه بـ "***العلامّة الأخباريّ النَسَّابة الأَوحد***"*(٧) *واليافعيّ الذي قال عنه: "* **كان حافظاً عَلامّة،... وإنّ أحسن تصانيفه وأنفعها كتابه "الجمهرة في معرفة الأنساب"، لم يُصَنَّف في بابه مِثْلُه"** (٨).

---

(١) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المُنجد، المقدمة، ص: ٨.

(٢) سِيَر أعلام النبلاء، الذهبّي، ١٠١/١٠والفهرست، ابن النديم، ص: ١٤٦. ولسان الميزان، ابن حَجر، ٣٣٨/٨.

(٣) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٦٠/١، ٣٦١. والفهرست، ابن النديم. وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص: ٨، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٩.

(٤) انظر: وَفَيات الأعيان، ابن خلّكان،٨٤/٦. وسِيَر أعلام النبّلاء، الذهبّي، ١٠٣/١٠.

(٥) كتاب التاريخ الكبير، البُخاريّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ٩١/٨. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٦/١٤.

(٦) المعارف، ص: ٥٣٦.

(٧) سِيَر أعلام النبلاء، الذهبي، ١٠١/١٠. وميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبّي، ٨٨/٧.

(٨) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعِيّ اليمَنيّ المكيّ، تعليق خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ٢٣/٢.

*ويُعَدُّ ابن الكلبيّ مرجعاً في العلم بأخبار العرب وأيّامها ووقائعها وَمثالبها [١] ، وكان واسع الرواية لأيّام الناس وأخبارهم [٢] ، كما يُعَدُّ آيةً في الحفظ، إذ بَلَغ في ذلك مكانة عظيمة، فرُوِيَ عنه قوله: "***حَفِظْتُ ما لم يَحفظْه أحد، ونَسِيتُ ما لم يَنْسه أحد، كان لي عمّ يعاتبني على حفظ القرآن، فدَخلْتُ بيتاً، وحلَفْتُ أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحَفِظْتُه في ثلاثة أيام...***"[٣]. ولا يخلو كلام ابن الكلبيّ من المبالغة، ولعلّ هذا من أكاذيبه!*

أخذ العلم عن أبيه محمّد بن السائب الكلبيّ، وسارَ على خطاه في البحث والتَّنقيب في السجلّات المودعة في كنائس الحيرة، واعتمد على النقوش والآثار الموجودة فيها ليستكمل بذلك التعرّف إلى تاريخ اللَّخميّين ومشاهدهم، وصنّف ما وصل إليه من ذلك [٤]ورَوى عن مُجالد بن سعيد وأبي مِخْنَف الأَزْديّ وجماعة آخرين[٥]، كما أَخَذ عن رُواة محقّقين مثل مجاهد بن جبر المكّي مولى السَّائب الكلبيّ، وكان عالماً بالتفسير [٦].

*واعتمد في كتاباته التاريخيّة وما يتّصل منها بالأمويّين على ما ألَّفه عَوانة بن الحكم الكلبيّ[٧] واستقى معلوماته النسَّبيّة من مصدرين رئيسيّين هما: والده بطريق المُشافَهة عن نسّابي القبائل[٨] ، إذ يقول هشام:" **أَخَذْتُ نسب قريش عن أبي صالح. وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب. وأَخَذْتُ نسب كِنْده عن أبي الكِنَاس الكِنديّ، وكان أعلم الناس. وأَخَذْتُ نسب مَعّد بن عدنان عن النَّخّار بن أوس العُذريّ، وكان أحفظ الناس مِمّا رأيتُ وسَمِعتُ به. وأَخَذْتُ نسب إياد عن عُديّ بن رِئاث الإياديّ، وكان عالمَا بإِيَاد، وأَخَذْتُ نسب ربيعة عن أبي وعن خِراش بن إسماعيل العِجْليّ**"[٩] والمصدر الثاني الذي استَقى منه ابن الكلبيّ معلوماته النسَّبيّة هي دراساته [١٠].*

---

(١) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٧٩/٦.

(٢) انظر: وفَيات الأعيان، ابن خَلّكِان، ٨٣/٦.

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٥/١٤، ٤٦.

(٤) انظر: تاريخ الطبريّ، ٣٦٩/١، ٣٧٠. وتاريخ التراث العربيّ، فؤاد سُزكين، م١، ٥١/٢.

(٥) انظر: سِيَر أعلام النبّلاء، الذهبّي، ١٠١/١٠.

(٦) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٧٩/٦. وتهذيب التّهذيب، ابن حَجَر، ٣٨/١٠، ٣٩.

(٧) انظر: تاريخ التراث العربّي، فؤاد سُزكين، م١، ٥١/٢.

(٨) انظر: الفهرست، ابن النّديم، ص: ١٤٦. والمجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي. الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠م بحث بعنوان " هشام بن محمد بن السائب الَكلبيّ ورواياته عن فترة الرسالة"، غيداء خزنة كاتبي، المجلد الرابع، العدد الثالث، ص: ٣.

(٩) الفِهرِست، ابن النّديم، ص: ١٤٥، ١٤٦

(١٠) انظر المجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار، بحث "هشام بن محمّد..." المجلد الرابع، العدد الثالث، ص: ٣.

ويبدو أنّ ابن الكلبيّ قد أضاف دراساته إلى معلوماته النسّبية التي اكتسبها بالمُشافهة عن أبيه وغيره من النسّابين والإخباريّين وإنْ لم يصّرح بذلك، وهذا يعني أنّه بذل جهوداً ضخمة في جمع معلوماته، ممّا جعل لرواياته قيمة خاصّة في مجالها(١).

وبذلك تمكّن ابن الكلبيّ مِن الاطّلاع على ثقافات مختلفة في جميع حقول المعرفة الإنسانيّة من الأخبار والأنساب وأيّام العرب وأخبارهم ومثالبهم. وَكَوَّن ذلك كلّه حصيلة علميّة كبيرة ظهرت من خلال مؤلّفاته الضَّخمة التي لم يصل منها إلّا القليل، ومن خلال النقول والمقتبسات المتناثرة في كتب مَن نَقَل عنه من كبار المؤرّخين والجُغرافيّين والنَسَّابين وأصحاب التراجم والطبقات وأئمّة العِلم والأدب.

وأعِرضُ في ما يأتي أقوال بعض أهل العلم –مختصرة– في مَنْ روى عنهم ابن الكلبيّ عن أبيه من النسّابين والإخباريّين، إمّا رواية مباشرة بالتلقّي (مشافهةً)، وإمّا باطّلاعه على كتاباتهم، ومِنْ أبرز مصادره في الأنساب:

محمّد بن السّائب الكلبيّ (ت ١٤٦هـ): *هو والده، ورَوى عنه مباشرة أكثر رواياته في النسب، وأَخذ نسب قُريش عنه عن أبي صالح عن عَقيل بن أبي طالب* (٢) وقد سَبق أن ذكرت أقوال أهل العلم فيه –ضمن ترجمته–بما يغني عن الإعادة.

النَخَّار بن أوس العذريّ (ت ٦٠هـ): *كان عَلاّمة بأنساب العرب، وعالماً بنسب معدّ به عدنان*(٣) وقد سَبق الحديث عنه عندما تناولتُ أبرز النسّابين في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، *وهو مع سعة علمه بالأنساب، إلاّ أنّه يؤخذ عليه استلحاقه بطنا مِن قبيلة بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، مُدَّعياً أنّهم مِن قومه، ولذلك هَجاه عمرو بن المُرادة البَلَويّ ببيتين من الشعر كما ذكر المَرْزُبانيّ*(٤).

عَقيل بن أبي طالب (ت ٦٠ أو ٦٤هـ): *و "**يعدّ مِن أنسب قريش وأعلمهم بأيّامهم**"* (٥) *ولكنّه كان مُبغَضًا إلى قريش؛ لأنّه كان يحرص– عندما يتحاكم إليه الناس في منافراتهم– على أنْ يذكر مساوئ الرجال ويقدّمها على محاسنهم* (٦). ويبدو أنّ ابن الكلبيّ قد تأثّر به وأفاد منه كثيراً في تأليف كتابه "المثالب".

أبو صالح (ت٨٦–٩٦هـ): *عُرِف بكُنيته، واسمه "باذام"، ويقال "باذان"، وهو مَولى أمّ هانئ بنت أبي طالب*(٧)، *وكان مِن علماء النسب، وأخذ نسب قريش عن عَقيل بن أبي طالب* (٨) *وقد رَوى*

---

(١) انظر: المجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار، بحث "هشام بن محمد..." المجلد الرابع، العدد الثالث، ص: ١٥، ٢١.

(٢) انظر: الفِهرست ابن النَّديم، ص: ١٤٥، ١٤٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٦.

(٤) انظر: معجم الشعراء، ص: ٢٣٧.

(٥) انظر: تهذيب الكَمال في أسماء الرجال، الحافظ المِزّي، ٢٣٦/٢٠.

(٦) انظر: كتاب المُنَمَّق في أخبار قريش، محمّد بن حبيب البغداديّ، صَحَّحه وعلّق عليه خورشيد أحمد فارِق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ٣٨٦.

(٧) انظر: تهذيب الكَمال، الحافظ المِزّيّ، ٦/٤. وتقريب التهذيب، ابن حجر، ص: ١٠٩. وأُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ابن حَجر، ١٧٠/٥.

(٨) انظر الفهرست، ابن النديم، ص: ١٤٦.

أبو صالح الحديث عن عبد الله بن عبّاس، وعليّ بن أبي طالب، وأبي هُريرة، ومَولاته أمّ هانئ بنت أبي طالب رَضى الله عنهم جميعاً، وروى عنه جماعة منهم: سفيان الثوريّ، وسِماك بن حرب، ومحمّد ابن السَّائب الكلبيّ وآخرون [١]*. قال فيه أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة عن يحي بن مَعين:* " **ليس به بأس، وإذا روى الكلبيّ فليس بشيء**" [٢] .

أبو الكِناس الكِنديّ (ت في القرن الأول الهجريّ): *لم أجد عنه في ما بَحَثْتُ غير ما ذكر الكلبيّ فيه أنّه كان أعلم الناس بنسب قبيلته كِندة* [٣]

عَديّ بن رِئاث الإياديّ (ت في القرن الأول الهجري) *: لم أجد عنه في ما بَحَثْتُ غير ما ذكر الكلبيّ فيه أنّه كان أعلم الناس بنسب قبيلته إياد* [٤].

وأما مصادر ابن الكلبيّ في الأخبار فأشهرهم:

عَوانة بن الحَكَم الكلبيّ (ت ١٤٧هـ): وهو أوثق الرُّواة الذين رَوى عنهم ابن الكلبيّ، إذ كان مَرضيَّاً عنه في الحديث والأخبار عن أهل العلم، *وهو إخباريّ مشهور، وقد رَوى عن طائفة من التّابعين، ولم يرد ذكره في كتب الجرح والتعديل ممّا يفيد بأنّه كان صَدوقاً في الحديث* [٥] .

وكان عَوانة عالماً بالشعر وأيام الناس [٦] *إذْ قال عنه ياقوت الحَمَويّ :* "**كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة، رَوى عنه الأصمعيّ والهَيثم بن عَديّ من أعيان أهل العلم**" [٧] *وقال أحد رُواته:* "**مِنْ علماء الكوفة بالأخبار خاصّة والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة...، وكان مُوثَّقاً، وعامّة أخبار المدائنيّ عنه**" [٨] .

أبو مِخْنَف لُوط (ت ١٥٧هـ): *هو أبو مِخْنَف لُوط بن يَحيى بن سعيد إخباريّ كوفِيّ*[٩] *. قال فيه ابن سعد:* "**يُروى عنه أحاديث الناس وأيّامهم،**" [١٠] *وقال ابن حَجَر:* " **صاحب الأخبار والسِّيَر**"[١١] *وقال الذَّهبيّ:* " **ساقط تركه أبو حاتم، وقال الدارقطنيّ: ضعيف**"[١٢] *وقال أيضاً:* "**هالِك**"[١٣].

---

(١) انظر: تهذيب الكمال، الحافظ المِزّيّ،٦/٤.

(٢) المصدر نفسه، ٧/٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٦. وطبقات النَسَّابين، أبو زيد بكر بن عبد الله ص: ٦٠.

(٤) انظر: الفِهرست ابن النديم ص: ١٤٦. وطبقات النَسَّابين، أبو زيد بكر بن عبد الله ص: ٥٧.

(٥) انظر: نَكْتُ الهِمْيان في نُكَتِ العُمْيان، صلاح الدين الصَّفديّ، ص: ٢٢٢.

(٦) انظر: المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(٧) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢١٣٤/٥.

(٨) المصدر نفسه، ٢١٣٥/٥.

(٩) انظر: كتاب الطبقات الكبير ابن سعد، ٢٨٦/٦. وأُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن حجر، ٣٥٢/٤.

(١٠) كتاب الطبقات الكبير، ٢٨٦/٦.

(١١) أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ٣٥٢/٤.

(١٢) المُغني في الضُّعفاء، الذهبيّ، حقّقه وعلّق عليه نور الدّين عِتر، دار المعارف، حلب، ١٩٦١م، ٥٣٥/٢.

(١٣) المصدر نفسه، ٨٠٧/٢.

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ تلك الأحكام والآراء التي عَرَضْتُها في مَنْ أَخَذ عنهم ابن الكلبيّ تحطّ مِن شأن عدالتهم في قبول رواية الحديث الشريف عنهم –أَستثني منهم عَوانة بن الحكم الكلبيّ– وليس هذا مجال بحثي، ولكنهَّا في الوقت ذاته تُعلي من شأن قبول رواية الأنساب والأخبار عنهم، وذلك بُحكْم معرفتهم بالأنساب وسَعة اطّلاعهم على أخبار العرب وأيّامها.

ب– رُواته ومَنْ نَقَل عنه:

يُعدّ محمد بن حبيب البغداديّ أكثر مَنْ روى عن ابن الكلبيّ؛ إذ انفرد برواية كتاب "جمهرة النسب"، ورواه عن ابن حبيب أبو سعيد السُّكّريّ المتوفيّ سنة (٢٧٥) مئتين وخمس وسبعين للهجرة، وقيل سنة (٢٩٠ هـ) مئتين وتسعين للهجرة، وهو من الرّواة الثِّقات في اللغة والأنساب والأيّام[١] .

ومِمَّنْ رَوى عنه: ابنه العبّاس بن هشام، وخليفة بن خَيَّاط، ومحمّد بن سعد كاتب الواقديّ، ومحمّد بن أبي السَّريّ البغداديّ، وأبو الأشعث أحمد بن المِقْدام، وغيرهم [٢].

وقد أكثر كبار أصحاب كتب التراجم والطبقات والمؤرّخين والنسَّابين وأئمّة الأدب في النقل عن ابن الكلبيّ؛ ومنهم تلميذه محمّد بن سَعد كاتب الواقديّ صاحب الطبقات (ت٢٣٠ هـ) [٣] ويَعُدّ ابن سعد ابن الكلبيّ أوثق من أبيه [٤]. ومنهم أيضاً: الجاحظ (ت٢٥٥هـ)[٥]. والبَلاذُريّ (ت٢٧٩هـ) الذي نقل أكثر مادّته في النسب في كتابه الشهير "أنساب الأشراف" من كتاب ابن الكلبيّ "جمهرة النسب"، مُضِيفاً إليه شروحه وزياداته [٦]. وأبو الفَرج الأصفهانيّ (ت٢٨٤هـ) الذي نَقل عنه طائفة من أخبار الشعراء وأنسابهم وأخبار العرب وأيّامها في الجاهليّة والإسلام [٧] وإمام المصنّفين وحُجّة المؤرّخين الطبريّ (ت٣١٠هـ) [٨]. وابن عبد ربّه (ت٣٢٨هـ) [٩] والأنباريّ (ت٣٢٨هـ) الذي اعتَمد في شرحه

---

(١) انظر: الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ٢٣٠ ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٨٥٤/٢. وبُغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحُّاة، السيوطيّ، ٥٠٢/١.

(٢) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٥/١٤. ووَفيات الأعيان، ابن خَلِّكان،٨٢/٦

(٣) انظر كتاب الطبقات الكبير، ٣٦/١، ٣٧، ٥٥، ٦/٣، ٤١، ٤٢/٤، ١٧٨، ٢٥٣/٥، ٥٥٨، ٢٩٦/٦، وفي مواضع أخرى متفرّقة.

(٤) انظر: مقدمة كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، عليّ محمّد عمر، ٧/١.

(٥) انظر البيان والتبيين، ١٢٣/١، ٣٣١، ٨٦/٢، ٨٧. وكتاب الحيوان، ٦٥/١، ٧١، ٢٠٩/٣، ٣٧٧/٥، ٤٧٨/٦، ٣١/٧، ٣٢.

(٦) انظر: مقدّمة تحقيق أنساب الأشراف للبلاذريّ، محمد حميد الله، ٦/١. وانظر: كتاب جمل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ١٥/١، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٥٢–٥٤، ٦٩/٤، ٣٠٩/٦، ٣١٦، ٣٩/٧، ٥٠، ١٠٩، ٨/ ٦٣، ٧٤، ٢٤٣/٩، ٢٥٩، ١٢/١٠، ١٨، وفي مواضع أخرى متفرّقة.

(٧) انظر: كتاب الأغاني، ١٥٥/١٧، ١٩/١٩، ٢٠، ١٦٢/٢١، ٢٢، ٦١ /٢٢٢، ٢٣، ١٢ /٣٥/٢٤، وفي مواضع أخرى متفرّقة.

(٨) انظر: تاريخ الطبريّ، ٩٦/١، ١٤٢، ٤٠٥، ٢ /٢٤١، ٦٩٢، ٤٣٣/٣ ، ٤٧٥، وفي مواضع أخرى متفرّقة.

(٩) انظر العِقد الفريد، ٦١/٢، ٦٢، ١٢٨، ٣٠٢، ٣٠٦، ٤٠٢، ٤٧٠، ٥٣٢، ٧١/٣، ٩٧، ٤٢٠، ٥/ ١٦، ٢٨، ١٩٥.

للمُفَضَّليّات للمفضّل الضبّيّ على بعض ما روَاه ابن الكلبيّ من أنساب العرب وأخبارها وأيّامها، وما رواه أيضاً من شعر الشعراء في الجاهليّة والإسلام[١] ونَسّابة اليمن الشهير الهَمْدانيّ (ت٣٣٦ أو ٣٤٠هـ) الذي اعتَمد- في كتابه الإكليل-عليه اعتماداً كبيراً، إذ نَقل عنه أنساباً وأخباراً كثيرة[٢]، إلاّ أنّه عدّه مع ذلك مُقصِّراً في أنساب قبائل اليمن، شأنه في ذلك شأن جُلّ النسَّابين[٣]. والمسعوديّ (ت٣٤٦هـ) الذي اعتمد عليه في كتبه، وأورد عنه معلومات في الأنساب وأخباراً كثيرة[٤] وعدّه في طليعة الإخباريّين وأهل العلم بالتاريخ [٥].

ثمّ خَلَف مِنْ بعد هؤلاء العلماء- بعد زمن ليس باليسير- علماء ساروا على دَرْبهم، *وأشهرهم ياقوت الحمويّ (ت٦٢٦هـ) الذي نَقَل عن ابن الكلبيّ في مُصَنَّفَيْه: معجم الأدباء ومعجم البلدان[٦]، وأضاف ياقوت أنّ له كتاباً بعنوان "افتراق العرب" أورد فيه بعض قبائل العرب الشماليّة (العدنانيّة) والجنوبيّة (القحطانيّة أو اليمنيّة)؛ ومنها قبائل رَبيعة وقبائل بكر وتغلب ابني وائل وطيّئ وكِنْدة وغيرها، كما ذكر بعض المواضع التي نزلت بها في جزيرة العرب، وأورد خلال ذلك أشعاراً لشعراء من الجاهليّة والإسلام[٧]. وعبد القادر البغداديّ (ت١٠٣٠ هـ) الذي نَقَل عنه مادّةً في النسب وأخبار العرب وأيّامهم[٨].*

---

(١) انظر: شرح الأنباريّ لديوان المفضليّات للمفضّل الضبّي، الأنباريّ، عناية المستشرق كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيّين، بيروت، ١٩٢٠م، ص:١ ،٣٠-٣٤، ٧٩ ،١٠٠ ،١٠١ ،١٠٩ ،١١٠-١١٣، ١١٥ ،١١٦ ،١٢٧ ،٢٥٩ ،٣٢٧ ،٣٤١، وفي مواضع أخرى متفرّقة.

(٢) انظر: كتاب الإكليل، ١٣٨/١ ،٢ /٢٢ ،٣١ ،٥٤ ،١٧٥ ،١٣٢/٨ ،١٥٦ ،١٥٩ ،١٦١، ١٦٣، ١٦٥ ،١٦٦ ،١٦٨ ،١٧٣ -١٧٥ ،١٧٨ ،١٩١-١٩٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٦٠/١ ،٦١. عدّ الهَمْدانّي رواة النسب جاهلين بأنساب اليمن لبُعْدهم عنهم، إذْ يقول: "وكذلك رَوى بعضهم في "ذي يزن" قال: هو زُرعة بن هاعان، وهذا كلّه جهل بأنساب اليمن (كتاب الإكليل، الهمدانيّ، ١٦٦/٨).

(٤) انظر: مُروج الذهب ومَعادن الجوهر، المسعوديّ، دقّقه وضبطه يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنّشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، ٢٦٠/١، ٤٧/٢، ١٤٢،١٧٢، ٣٨٧، ٣٥١. والتنبيه والإشراف، المَسعوديّ، ص: ٨٥-٨٨.

(٥) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٤م، تصدير المحقّق، ص: ١٣.

(٦) انظر: معجم الأدباء، ٢٩٣/١، ٥٧٢/٢، ٥٩٦، ٦٢٤ ،١٤١٦/٣، ١٤٤٥/٤، ١٦٢٨، ١٦٣١ ، ٢١٣٣/٥، ٢١٣٥ ،٢٢٥٠ ،٦ /٢٤٥٤ ،٢٤٨٠ ،٢٤٨١. ومعجم البلدان، ٧٩/١، ٢٠٤/٥، ٢٢٥، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٢ ،٣٩٣.

(٧) انظر: معجم البلدان، ٩٧/١-٩٩، ١١٣ ،١١٤، ٢١٩/٢ ،٢٢٠، ٢١٢/٤. وذَكرَ ياقوت الحمويَ في موضع آخر أنّ له كتاب " أوراق العرب" ولا أدري إن كان هذا الكتاب هو نفسه " افتراق العرب"، وأنّ تصحيفاً وقع في أثناء نسخه، أو أنّه كتاب آخر لابن الكلبيّ (انظر: معجم البلدان، ٣٧٦/٢).

(٨) انظر خِزانة الأدب- على سبيل المثال-٤١٠/٣، ٤٢٩، ٤٧٢/٤ ، ٤٧٣ ، ٤٤٤/٥، ٤٤٥، ٨/٦، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٩٣ ،٤٨١ ، ٢٣٧/٨ ، ٣٨٤ ، ١٦٥/١٠، ١٨٠/١١ ، ١٨١ ، ٤٠٨.

ولم يكتفِ العلماء بالنَّقل عن ابن الكلبيّ، بل إنّ بعضهم قد اختصروا كتابه "جمهرة النسب"، بعد أن راجعوه ونَقّحوه؛ ومِنْ أبرزهم أبو عُبَيد القاسم بن سَلاّم (ت٢٢٤ هـ) الذي تناول الجمهرة بالاختصار والتلخيص والتهذيب [١]*، وسَمّاه "كتاب النسَّب"؛ فقد ورد في الصفحة الأولى من مخطوطة كتابه:* **"وكذا بخطّ ابن الأثير رحمه الله تعالى، وتحته بخطّه أيضاً ما صورته: رأيت على الأصل الذي نَقَلْتُ منه هذه النسخة ما هذه صورته: قال أبو سعيد: دَفَع إلينا أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد السكّري كتاباً ذَكَر أنّه أصل عليّ بن عبد العزيز البَغويّ، وخطّ يده، فنظرنا فيه فإذا هو جمهرة الأنساب لهشام ابن محمد الكلبيّ، وإذا على ظهره بخطّ عليّ ابن عبد العزيز: كتاب النسب، وذكر مَن في الجماهر مِن تسمية الصحابة والتابعين والشعراء في الجاهليّة مما ألّفه أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وعرضه عليه: عليّ بن المُغيرة أبو الحسن الأَثرم، ونسخته من نسخة الأثرم، فنَسب تأليف هذا الكتاب إلى أبي عُبيد"** [٢].

ج- مؤلّفاته:

ألَّف ابن الكلبيّ ما يزيد على مئة وأربعين كتاباً في شتّى صنوف المعرفة الإنسانيّة، وقد أحصاها ابن النَّديم وجعلها في مجموعات، وهي كتب في الأحلاف، وفي المآثر والبُيوتات والمنافرات والمؤَودات، وفي أخبار البلدان، وفي أخبار الشعر وأيام العرب، وفي الأخبار والأسمار، وفي الأنساب [٣].

وذكر *ياقوت الحمويّ أنّ مُصنَّفاته تزيد على مئة وخمسين مُصنَّفاً* [٤] إلاّ انّه لم يصل إلينا من مُصنَّفاته إلاّ القليل، وذكر محقّق كتاب ابن الكلبيّ *:"الأصنام " أنّه قد عَنَّى نفسه كثيراً في البحث والتَّنقيب في خزائن القُسطَنطينيّة وفي دور الكتب في أوروبا ليظفر بشيء مِنْ مصنّفات ابن الكلبيّ، إلاّ أنّه لم يُوفَّق إلى أن يجد غير مُخْتَصَره "الجمهرة في النسب"، وكتابين صغيرَيْن ضمَّا مِن العلم الشيء الكثير، وهما: كتاب نَسب الخيل في الجاهلية والإسلام، وكتاب الأصنام* [٥]، ويضاف إلى هذه الكتب: كتاب مثالب العرب. وكتاب الأيّام، ولم أتمكّن من الوصول إليه.

ولذلك فقد تجمَّع لي من كتب ابن الكلبيّ، وهذا كلّ ما انتهى إليه بحثي عن مصنّفاته المطبوعة:

١. جمهرة النسب.
٢. نَسب مَعَدّ واليمن الكبير.

---

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص:١١٠.

(٢) الورقة الأولى من مخطوطة كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب- قسم التاريخ- جامعة دمشق، إعداد مريم خير الدِّرع، إشراف سهيل زكّار، ١٩٨٧م.

(٣) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص : ١٤٦-١٤٩.

(٤) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧٧٩/٦. ولِسان الميزان، ابن حجر، ٣٣٨/٣.

(٥) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تصدير المحقّق، ص: ١٩.

٣. كتاب أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام.
٤. كتاب الأصنام.
٥. كتاب المثالب.
٦. كتاب الأيّام.

وتكمن قيمة كتب ابن الكلبيّ في أهميّتها البالغة في موضوعاتها، وهي تُسهم إسهاماً إيجابيّا بما تُقدّمه مِن ثَروة عقليّة عربيّة معاصرة، وتلقي ضوءاً على جوانب عديدة من حضارة ما قبل الإسلام وبعده، وقد استوعَبتْ كتبه معظم فروع المعرفة في العصر العبّاسيّ مِنْ تاريخ وأخبار وأنساب وآداب وعلوم دينيّة (١).

د- كتبه في الأنساب:

١- جمهرة النسَّب:

ورد بعنوان "جَمهرة الأنساب" و "الجمهرة في معرفة الأنساب" (٢) *وقد نَقل البلاذُريّ قسماً كبيراً مِن مادّته في كتابه " أنساب الأشراف" مِنْ كتاب الجَمهرة لابن الكلبيّ كما نَصَّ على ذلك المحقّق بقوله: "* ***ولنذكر كذلك أنّ القسم الأوّل من هذا المجلّد ليس إلاّ نَقْلاً مِن جمهرة الأنساب (مع شرح وزيادات) كما وَجدناه عند المقابلة***" (٣).

يقع كتاب جمهرة النسب في ثلاثة أجزاء، وهو برواية السُّكَّريّ عن ابن حبيب. وقد تناول في الجزء الأوّل منه نسب قبائل مُضَر؛ ومنها مُدرِكة بن إلياس، ومنها خُزَيمة، ومنها كِنانة وقريش وبطونها: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو عبد شمس بن عبد مَناف، وبنو عبد المطّلب بن عبد مناف وبنو زُهْرة بن كِلاب، وبنو تَيمْ بن مُرّة، وبنو عَديّ بن كعب وغيرها. وتناول نسب أولاد طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعدّ.

وفي الجزء الثاني تناول نسب قبائل قَيْس عَيْلان بن مُضَر وفروعها. وفي الجزء الثالث أَوْلَى اهتماماً خاصّاً بأنساب قبائل ربيعة بن نزار وإياد بن نزار، وخَلص في ما بعد إلى القبائل اليمانيّة (عرب الجنوب)؛ وهي قبائل الأَزْد بن الغَوث، إلاّ أنّه لم يُولِها اهتماماً كبيراً كالّذي أولاه لأنساب القبائل العدنانيّة (عرب الشمال) التي سبق ذكرها.

٢- نسب معدّ واليمن الكبير:

عُرِف أيضاً بعنوان "النسَّب الكبير" (٤). *وذكر محقّق الكتاب أنّه بعد تَصَفُّحه وتَقليب أوراقه مراراً وتكراراً ألفى أنّ أسلوبه وطريقة عرضه لا يختلفان عن أسلوب ابن الكلبيّ وطريقته التي انتهجها في*

(١) انظر: كتاب النَّسب لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق ودراسة مريم الدِّرع، ص:١١١.
(٢) انظر: أنساب الأشراف، تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذُريّ، تحقيق محمد حميد الله، مقدّمة المحقِّق، ٦/١. ومعجم الأدباء ياقوت الحمويّ ٢٧٨١/٦. ووَفيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٨٣/٦.
(٣) انظر: مقدمّة محقّق أنساب الأشراف للبلاذُريّ، محمد حميد الله، ٦/١.
(٤) انظر: معجم الأدباء ياقوت الحموي، ٢٧٨١/٦.

"جَمهَرة النَّسب"، وكذلك الطريقة التي اتبَّعها في عرض الأنساب وتبويبها، كما أنّ ترتيب الأنساب فيه لا يختلف كثيراً عمّا أورده ابن النّديم، وبناءً على ذلك أمكنه القول إنّ هذا الكتاب–كما وصل إلينا– قد يُشكّل بديلاً للقسم المفقود من الجَمهرة، ومع ذلك فإنّ هذا الظنّ لم يبلغ لديه درجة الترجيح إنْ كان هو الجزء المفقود منها، أم أنّه كتاب آخر لابن الكلبيّ (١).

يقع الكتاب في جزأين، وتناول ابن الكلبيّ في الجزء الأوّل منه نَسب ولد نزار بن مَعدّ بن عدنان، ومنها قبائل جَديلة؛ ومنها بكر بن وائل وبطونها، وأشهرها: بنو شَيبان بن ثَعلبة وفروعها، وبنو تَيم الله بن ثَعلبة وفروعها، وبنو ذُهْل بن ثعلبة وفروعها، وبنو لـُجَيم بن صَعب وفروعها. وكذلك قبيلة تغلب بن وائل وبطونها وغيرها، وانتهى مِن ولد ربيعة بن نزار بن مَعدّ ببني إياد. ولكنّ ابن الكلبيّ خصّص القسم الأكبر من الجزأين الأول الثاني للقبائل القحطانيّة (الجنوبيّة)، وأشهرها: قبائل كَهلان، ومنها كِندة وعَامِلة، وجُذَام وخوْلان، وطَيّئ، ومَذحِج، والنَّخَع، والأشعريّون، وخَثْعَم وبَجيلة (أنمار)، ثمّ الأَزْد وأشهرهم قبيلة خُزاعة، وانتقل بعد ذلك إلى قبائل حِمْيَر وأكبرها قُضاعة وبطونها، وأشهرها: بنو كَلب بن وَبْرَة– قبيلة صاحب الترجمة– وبنو أوس اللات بن رُفَيدة، وبنو الخَزرج بن زيد اللاَت، وبنو عُذرة بن سعد هُذَيْم، وبنو جُهَينة وغيرهم.

هـ– موضوعات كتبه في الأنساب:

*** الشرَّف:**

*يعدّ الشرف مكوَّناً أساسيّاً من مكونات كتب ابن الكلبي في الأنساب؛ إذ يُورد ابن الكلبيّ كثيراً في كتبه أفراداً أو أُسَراً أو بطوناً من الأشراف في الجاهليّة والإسلام؛ فمِن أشراف قبيلة كِنْدة: "***هانِئ بن أبي شَمِر بن جَبَلة، كان شريفاً جاهليّاً** (٢) *ومنها مِن بني حُجْر بن وَهْب: "***يزيد بن عمرو بن قيس، وهو ابن الصَمَّاء جاهليّ شريف***"* (٣)*، ومِن الأشعريّين مِن بني مُرّة بن مالك بن الأوس مِن بني عطيَّة ابن زيد: "***شأس بن قيس بن عُبادة بن زُهَير بن عَطيّة بن زيد، كان من أشراف الأَوس في الجاهليّة***"*(٤) *ولكنّ ابن الكلبيّ تظهر لديه معرفة بالأشراف في الإسلام أكثر من معرفته بهم قبل الإسلام؛ إذ يذكر أحد بطون قبيلة عَنْس بن مالك بن أُدَد الّتي تنتهي إلى نسب قَحطان (اليمن)، وهم: "***بنو الصَّحْم ابن قُرّة بن عَزيز بن عَنْس، لهم شَرَف بالشام***"*(٥)*. ويذكر أحد رجالات الأشعريّين من بني الـجُماهِر ابن أَشعر الذي يرتفع نسبه أيضاً إلى قحطان؛ إذ يقول: "* **منهم عبد الله بن عبد الرحمان بن عامر ابن عِضَاه... ابن الجُماهِر بن**

(١) انظر: كتاب نسب معدّ واليمن الكبير لابن الكلبيّ، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، المقدِّمة، ص: ٩/٨. وانظر الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٩.

(٢) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٧٢/١.

(٣) المصدر نفسه، ٨٥/١.

(٤) نفسه، ٤٠٥/٢. وجمهرة النسب، ابن الكلبيّ، رواية محمّد بن حبيب عنه، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق، ١٩٨٦م، ٤٠٥/٢.

(٥) النَّسب الكبير، ٣٦٦/١.

الأشعر، كان مِن أشراف أهل الشام مع معاوية"[١] *وتظهر هنا أهميّة القبائل اليمنيّة في الشام ودورها في تثبيت دعائم الحكم الأمويّ، وكُنْتُ قد أشرت إلى ذلك سابقاً.*

*ويَذكر أيضاً بعض رجالات القبائل العربيّة مِن أشراف الكوفة والبصرة في الإسلام؛ فمِن بني مُرَّة ابن ذُهْل بن شَيبان الّذين ذكرهم في جمهرة نسب ربيعة بن نِزار: "***حَوْشَب بن يزيد بن الحارث بن يزيد ابن رُوَيْم بن عبد الله بن سعد، وكان مِنْ أشراف أهل الكوفة، وكان على شُرَط الحجّاج"**[٢] *ويذكر مِنْ بني مُنَبِّه بن بكر بن هوازن في جمهرة نسب قَيس عَيلان بن مُضَر: "***عثمان ابن أبي العاص، وَلاّه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الطَّائف، ووَلاّه عمر بن الخطاب البحَرين، والحَكم بن أبي العَاص ابن بشر بن دُهْمانَ بن عبد الله بن هَمَّام بن أبان، وهم أشرافٌ بالبصرة"**[٣].

*** العدد والبَيْت:**

*كان "العدد" عند العرب مبعث فخرهم بأنفسهم، ويذكر ابن الكلبيّ – من خلال حديثه عن الأشراف– هذه الصفة لمن يورد سلاسل أنسابهم، ويذكر مِنْ هؤلاء كَعْباً من ولد عُلَيم بن جَناب، وذلك في سياق حديثه عن نسب قُضاعة اليمنيّة، إذ يقول: "***ووَلَدَ عُليم بن جناب: كَعبا، فيه العدد والشرف، قتله بنو سَعْد"**[٤] *؛ إذ يذكر أنّ سبب تسمية سعد العشيرة بهذا الاسم، وهو من قبيلة مَذْحِج اليمنيّة، أنّه* **"طال عمره وكان ولده وولد ولده ثلاثمئة رجل، فكان يركب فيهم، فيقال: مَنْ هؤلاء معك؟ فيقول: عشيرتي مخافة العين عليهم"**[٥].

*ويَذكر في مواضع أخرى صفة "أهل بيت"، ومن أمثلة ذلك ما ذَكَره في نسب ولد نزار بن معدّ ابن عدنان، مِنْ بني قيس بن ثعلبة: "***فولد مَرْثَد بن سَعْد: عَمْراً وحُيَيّاً، أهل بيت، أمّهم فاطمة بنت زُكْرَة بن أُقَيْصِر "**[٦] *وذكر في نَسب قُضاعة ، مِن بني زُهَير بن جَناب: "***وَلَدَ أبو جابر بن زهير بن جَناب: قَيْساً، بطن. وعَرِيناً، بطن، وحارثة، بطن وعَدِيّاً، وهم أهل بيت"** [٧].

ويمكن القول إنَّ صفة " أهل بيت" مرادفة للفظة الشرف عند ابن الكلبيّ، إذ يقول ابن منظور: **"وبيت العرب شرفها، والجمع البيوت، ثم يُجمع "بُيوتات" جمع الجمع. ابن سِيدة: والبيت مِن بيوتات العرب: الذي يضمّ شرف القبيلة كآل حِصن الفَزاريّين، وآل الجَدَّيْن الشَّيبانييّن، وآل عبد المَدان الحارِثيِّين، وكان ابن الكلبيّ يزعم أنّ هذه البيوتات أغنى بيوت العرب ويقال: بيت تميم في بني حنظلة، أي شَرفها"**[٨].

---

(١) النَّسب الكبير، ٣٧٠/١. وجمهرة النسب، ٤٦/٢، ١٦٣.

(٢) جمهرة النسَّب، ٢١٣/٢. وانظر أيضاً: النَّسب الكبير، ١٩٠/٢، ٢٥٠.

(٣) جمهرة النسَّب، ٨٨/٢.

(٤) النَّسب الكبير، ٣٢٩/٢، وانظر أيضاً: ٣٨٦/١، ١٢٣/٢، ٢٠٩، ٣١٠. وجمهرة النسَّب، ٣٨٣/١، ٦٠/٢.

(٥) النَّسب الكبير، ٢٦٣/١.

(٦) المصدر نفسه، ٢٢/١.

(٧) المصدر نفسه، ٣٤٤/٢.

(٨) انظر: لسان العرب: بَيَتَ.

ويتضّح ممّا سبق أنّ ابن الكلبيّ استخدم لفظ "الشريف" لبعض مَنْ ترجم لهم وذكر سَلاسل أنسابهم في الجاهلية، وقد أراد به الرجل الماجد والسيّد والنَّبيل أو مَن كان كريم الآباء، واستخدم اللفظ ذاته بعد الإسلام ليدلّ على المعاني ذاتها. وينطبق هذا الكلام على معظم النسَّابين بِمَنْ فيهم البلاذُريّ الذي لم يقصد بالأشراف في كتابه "أنساب الأشراف"–وما احتوى عليه مِن تراجم وأنساب– إلاّ المعنى اللُّغويّ للشريف، ولم يقصد بهم آل البيت، إذ إنّ لفظ الشريف لم يُخصّص بآل البيت ونسل عليّ بن أبي طالب إلاّ في أواخر القرن الرابع الهجريّ (١).

وقد ارتبط مفهوم الشرف قبل الإسلام بأفراد القبيلة وبنَمط حياتهم وموروثهم الثقافيّ والقيم الشخصيّة المعروفة عند العرب كالكرم والشجاعة والأَنفة وعزّة النفس والحِلم والمروءة والدفاع عن القبيلة. وظَلَّ مفهوم الشرف بعد الاسلام يدور حول هذه المعاني والقيم العربيّة القديمة، ولكنّ الإسلام بانتشاره في الجزية العربيّة وخارجها أَضاف مفاهيم جديدة إلى قيم القرابة والنسب؛ وهي الصُّحْبة ونُصرة الدين والسَّبق في الإسلام والجهاد في سبيل الله (٢).

إذاً فإن مفهوم الشرف لا ينطبق عند ابن الكلبيّ على أفراد أو أسَر أو بُطون معيّنة، وظَلّت صفة الشريف مرتبطة بالفرد حسب موقعه الاجتماعيّ في رهطه أو قبيلته، وبمكانته السياسيّة. وبما أنّ ابن الكلبي عاش في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني الهجريّ، فلا بدّ أن يكون تَميُّز الشخصيّات التي سمّاها أشرافاً بعد الإسلام قد ظهر شرفها في عهد الخلافة الراشدة في المدينة في أثناء حركة الفتوحات الإسلاميّة، وفي العصر الأمويّ خاصّة في بلاد الشام والعراق (٣).

*** الرئاسة والفروسيّة السيّادة:**

استخدم ابن الكلبيّ صفات أخرى لبعض رجال القبائل العربيّة، وهي الرئاسة والفروسيّة والسيادة، وهذه مفاهيم تتّصل بالجانب الحربيّ والسلميّ في حياة العرب، وذلك في أثناء حديثه عن وقائع العرب وغزواتهم قبل الإسلام وفي فتوحاتهم بعد الإسلام؛ ومِنْ ذلك ذِكره لبنيّ جُعْفِيّ بن سعد العشيرة؛ ومنهم: **"أسماء بن دَهرْ بن الحَدّاء بن ذُهْل، قد رأس في الجاهليّة"** (٤) *ومِنْ بني الحارث ابن حِصْن (نسب قضاعة): "***عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصْن ، وقد رَأَس، وهو الذي أسر الأعشى بن قيس،...***"** (٥). وأكثر ما يرد من لفظ الرئاسة يُطلق على رجالات القبائل في الجاهليّة.

---

(١) انظر: مقدّمة محقّق أنساب الأشراف للبلاذريّ، محمّد حميد الله، ص: ٢٠ ،٢١.

(٢) انظر: بحوث ودراسات مُهداة إلى الأستاذ الدكتور صالح درادكة بمناسبة بلوغه سنّ السبعين، عمادة البحث العلميّ، الجامعة الأردنيّة، عمّان، ٢٠٠٩م، تحرير محمد عبد القادر خريسات: "هشام بن محمّد الكلبيّ ودوره في نقل الأنساب اليمنيّة"، راضي دَغفوس، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة تونس، ص: ٧٣.

(٣) انظر: بحوث ودراسات مُهداة إلى الأستاذ الدكتور صالح درادكة بمناسبة بلوغه سنّ السبعين، عمادة البحث العلميّ، الجامعة الأردنيّة، عمّان، ٢٠٠٩م، تحرير محمد عبد القادر خريسات: "هشام بن محمّد الكلبيّ ودوره في نقل الأنساب اليمنيّة"، راضي دَغفوس، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة تونس، ص: ٧٤.

(٤) النَّسب الكبير، ٣٠٨/١.

(٥) المصدر نفسه، ٣١٦/٢. وانظر أيضاً: ٣٠٩/١، ٣١٣/٢، ٤٥٦. وجمهرة النَّسب، ٣٦٣/١، ٣٦٨، ١٠٥/٢، ٢١٩، ٣٣٠.

وأمّا "الفروسيّة والسيادة" فيستخدمهما ابن الكلبيّ ليشير بهما إلى رجالات القبائل العربيّة قبل الإسلام وبعده، حتى يصل إلى زمن الدولتين الأمويّة والعباسيّة؛ ومِنْ هؤلاء الفرسان والسادة: **"وَعْلَة ابن عبد الله بن الحارث بن هُبَيْرَة بن سُبَيْلة الشاعر الجاهليّ، من بني سُبَيلة بن الهَوْن ابن أعْجَب (نسَب قُضاعَة)، وهو الذي قَتل الحارث بن عبد المَدان[١] و"حُبَيش بن دُلَف بن الهَوْن ابن ذَكوان- مِنْ بني ضَبّة بن أُدّ- الفارس يوم القُرنَتَيْن"** *[٢]*، **"وسِماك بن عَتِيك بن امرئ القيس، مِنْ بني عمرو ابن مالك بن *الأوس، فارسهم في الجاهليّة*"** *[٣]*. *ومِنْ بني سعد بن الحارث ابن عمرو بن تميم "* **عَبَّاد ابن الحُصَين بن يزيد بن عمرو بن أوس... ابن سعد بن الحارث الحَبِط، وكان أحد فرسان تَميم في الإسلام"** *[٤]*، *ومِنْ بني الحارث بن كعب {نسب مَذْحِج}: "* **جَعفر بن عُلبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يَغوث بن الحارث بن معاوية بن صَلاءة، كان فارساً شاعراً يُغير على بني عَقيل فيكثر، وأُخِذَ بعدُ فقُتلَ صبراً بالمدينة."** *[٥] ومن بني سَهم بن عمرو بن هُصَيص: "*__مُنَبِّه ونُبَيه ابنا الحَجّاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم، كانا سيّدي بني سَهْم في الجاهليّة، وكانا مِن المُطعمين، قتلا يوم بدر كافِرَيْن__*"[٦] ومِنْ بني نَصر بن قُعَيْن: "*__رَبيع بن هُبيرة بن مُساحِق، كان سيّد بني أسد يوم القادسيّة__*" [٧].*

و- قيمة مؤلّفاته:

*تظهر لدى ابن الكلبيّ من خلال مؤلَّفاته معارف متنوّعة لغويّة وتاريخيّة وجُغرافيّة وأدبيّة واجتماعيّة ودينيّة، تتّصل بحياة العرب-في السّلم والحرب- في الجاهليّة والإسلام، وذلك من خلال المعلومات النسبيّة والأخبار التي يوردها، ونستطيع أن نلحظ الدقّة في ضبط أسماء القبائل والبطون التي يذكرها؛ ومِن ذلك قوله: "*__كلّ سَدوس في العرب فهو مفتوح السّين، إلاّ سُدوس بن أَصمع مِن طيّئ، فإنّه مَضموم السّين__*" [٨] وقوله أيضاً: "*__كل عُدَس في العرب بضَمّ العين وفتح الدّال إلاّ عُدُس ابن زيد فإنّه مضموم الدال__*"[٩] وقوله أيضاً: "*__فمِنْ بني نُشْبَة بن رُبَيْع: النعُمان بن مالك بن الحارث__*

---

(١) النَّسب الكبير، ٤٥٥/٢.

(٢) جمهرة النسب، ٤١٤/١. يوم القُرْنَتَين: يوم كانت فيه وقعة لَغطَفان على بني عامر (معجم البلدان، ياقوت الحَمويّ، ٣٣١/٤).

(٣) جمهرة النَّسب، ٣٨٥/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٣٧١/١.

(٥) النَّسب الكبير، ٢٧٨/١. "وهو شاعر مُقِلّ غَزِل فارس، مِنْ مُخَضْرَمي الدولتين الأمويّة والعباسيّة، استعدَتْ عليه بنو عُقيل السَّريَّ بن عبد الله الهاشميّ عامل مكّة لأبي جعفر المنصور، لدماء كانوا يطلبونه بها، فأُخِذَ جعفرٌ وقُتِل صَبْراً". (كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٣١/١٣).

(٦) جمهرة النَّسب، ١٤١/١.

(٧) المصدر نفسه، ٢٤٦/١.

(٨) المصدر نفسه، ٢٧٤/١.

(٩) المصدر نفسه، ٢٧٥/١.

ابن عامر بن جِساس بن نُشْبَة، صاحب يوم الكُلاب الثاني، قُتِلَ يومئذٍ النُّعمان ومعه راية الرِّباب. قال هشام: لم أسمع بجِساس مُخفَّفاً في العرب غير هذا "[١].

كما تظهر لديه دِقّة في معرفة سبب تسمية بعض القبائل والبطون والأشخاص؛ إذ نراه يذكر سبب تسمية قبائل "ذي الكُلاَع" أنّهم تكلَّعوا في الجاهليّة على سَمَيْفَع بن ناكُور، ويعني التَكلُّع في كلامهم التجمُّع [٢]. *ويذكر سبب تسمية "تَنُوخ"، وهي قبائل عظيمة: "***ووَلَد زهير بن عمرو بن فَهم: مالِكا، وعليه وعلى مالك بن فَهْم تَنَخَتْ تَنُوخ، والتَنُوخ: المُقام،"** [٣] *وقوله في سبب تسمية قُصَيّ "مُجَمَّعاً": "***وكان يقال لقُرَيْش بنو النَّضْر، فلمّا جَمَعهم قُصَيٌّ كان يُدعى مُجمَّعاً، وذلك قول حُذافة بن غانم [من الطويل]:**

أبـوكُمْ قُصَـيٌّ كـان يُـدْعَى مُجَمِّعـاً بـه جَمَـعَ اللهُ القبـائـلَ مـن فِهْـرِ"[٤]

ومِنْ معرفته بألقاب الأشخاص والشعراء في الجاهليّة ذِكْره لرجل يدعى "الكَوّاء"، واسمه عمرو ابن النُّعمان بن ظالم بن مالك مِنْ بني كِنانة، ولُقّب بهذا اللقب؛ لأنّ طبيب العرب في الجاهليّة الحارث بن كَلَدة كان كواه مِنْ دُبَيْلَةٍ أصابته [٥] *وذِكْرُه لسبب تسمية الشاعر الجاهليّ المُثَقِّب العَبديّ، وهو عائذ بن مِحْصَن بن ثَعلبة بن وائلة... بن عُذْرة بن مُنَبِّه، وذلك في سياق ذكره لجمهرة نسب عبد القَيس؛ إذ يقول:* **"ومنهم المُثَقِّب، لبيت قاله** [من الوافِر]:

وثَقَّـبْنَ الوَصـاوِصَ للعيـونِ "[٦]

وذِكْره لسبب تسمية الشاعر الجاهليّ الممزَّق العَبديّ، إذ يقول: **"ومنهم: شَأْسُ بن نَهار بن أسود... ابن عُذرة بن مُنَبِّه، وهو الممزَّق لبيت قاله** [من الطويل]:

فـإن كنـتُ مـأكولاً فكُـنْ خيـر آكِـلٍ وإلاّ فـأدرِكْني ولَمَّـا أُمَـزَّقِ"[٧]

ويظهر لدى ابن الكلبيّ حِرصٌ على تتبُّع سلاسل أنساب القبائل العربيّة وبطونها في المدن والأمصار مَنْ بقي منهم ومَنْ فَنِيَ، وكذلك تَنَقُّل بعض بطون القبائل وأفرادها في ما بينهم، ودخولهم وانتسابهم في قبائل أخرى بما يسمّى بـ "الحِلف"،[٨] ويمكن القول إنّ علمه ذلك أشبه بخارطة نَسَبيّة ترصد حركة القبائل في بلاد العرب في الجاهلية وبعد الاسلام.

---

(١) جمهرة النسب، ٣٩٠/١.

(٢) انظر: النَّسب الكبير، ٢٩٦/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٤٠٣/٢، ٤٠٦.

(٤) جمهرة النَّسب، ١٣/١.

(٥) جمهرة النَّسب، ٢٩٣/١ وانظر أيضاً: المصدر نفسه، ٢٨٦/٢، ٢٩٨

(٦) المصدر نفسه،٣٣١/٢ . والبيت كاملاً كما ورد في : المُفَضَّليّات، المُفَضَّل الضَّبيّ، ص: ٢٨٩.

ظَهَـرْنَ بِكِلَّـةٍ وسَـدَلْنَ أخـرى وثَقَّـبْنَ الوَصـاوِصَ للعيـونِ

(٧) جمهرة النسب، ٣٣٢/٢.

(٨) انظر: النَّسب الكبير، ٢٦٨/٢، ٣٠٢-٣٠٦.

ومن ذلك قوله: "**ووَلد حُمَيْس بن أُدٍّ: حَرْباً، كانوا مع أبرهة الأشرم، فهلكوا يوم الفِيل، ونجا منهم ستوّن رجلاً، فهم إلى اليوم لا يزيدون على ذلك، وهم في بني عبد الله بن دارِم، وأمّهم الخَشْناءُ بنت وَبْرَة أخت كلب، وصُوفة بن مُرٍّ، منهم: شُرَحْبيل بن حَسَنة، وهم حلفاء في جُمَح، فهم يُنسبون إليه ولا أعلم لهم بقيّة، وكان له عزّ وشرف**" [١] *وقوله:* "**وأمّا الغَوث بن مُرّ فهم الذين كانوا يُجيزون بالحاجّ حتى فَنُوا ودَرَجوا،..**" [٢] *ويَذكر أنّ* "**تَزيد وهو قَبيل عظيم في تنوخ، لهم بأس، وإليهم تُنسب الثياب التَّزيديّة؛ أمّهم سَلمى بنت أَسلم بن الحاف بن قُضاعة؛ وكانت الترك أغارت على "تَزِيد" وأَفنَوْهم،..** "[٣] *ويذكر أنّ مِنْ بني ذُهْل بن مُرّان* "**جِعَال بن جَليلة بن كَعب لهم بقيّة باليمن**" [٤] *وأنّ أبا شَمِر بن أَبرهة بن الصَّبَّاح مِنْ بني حِمْيَر بن سبأ شَهد مع علي بن أبي طالب يوم صَفّين وقُتِل معه، وكان متزوّجاً بابنة أبي موسى الأشعريّ، وظلّ له بقيّة في مصر* [٥].

وذكر ابن الكلبيّ أنّ عَنْز بن وائل-أخي بكر وتغلب- كان مع خَثْعَم، إذ يقول: "**عَنْز مع خَثْعَم حيث كانوا حُلفاء؛ .. وفي الكوفة دَرْب يقال له دَرب العَنزْيّين، لم يَبْقَ منهم في ذلك الدَّرْب أحد، وهو إلى جنب خَثْعَم؛ وهم بالسَّراةِ مع خَثْعم حيث كانوا؛ وكذلك هم بفلسطين مع خَثْعَم.**"[٦] *وذكر أيضاً أنّ عَوفاً – وهو مِنْ بني تغلب بن وائل – كان له أخٌ يُدعى "القَرْثَع الشاعر"،* "**وكان رجل يُدعى "يَعْلَى" لَطَم أخاه القَرْثَع، فلَحِق عوف بِجُهَينة وانتَسب إليهم، فقال عَوف بن أوس** [من السَّريع][٧]:

لَطْمَـــةُ يَعلـــى فرَّقَـــت بيننـــا وطوَّحَتْنـــا فـــي أقاصـــي الـــبلادِ"

ويُظهر ابن الكلبيّ اهتماماً واضحاً بأخبار العرب وأيّامهم ووقائعهم في الجاهليّة والإسلام؛ إذ يذكر يوم "أُوارة" وما كان فيه مِن قتل المنذر الأكبر ابن ماء السماء رجالاً من بكر بن وائل قَتلاً ذريعاً [٨]*، وخَبر قَتْل شُرَحْبيل بن الحارث بن عمرو يوم الكُلاب الأول [عمّ امرئ القيس]* [٩]*، وخبر أسر*

---

(١) جمهرة النسب،٤٢٢/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٧١/١. يُجيزون بالحاجّ: أي يُفيضون به.

(٣) النَّسب الكبير، ٣٠٠/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٣١٩/١.

(٥) المصدر نفسه، ٢٨٢/٢. وفي الاشتقاق، ابن دريد،٥٣٠/٢: "ابن شَمِر بن أَبرهة.. وله بقيّة بالشام".

(٦) جمهرة النسب،١٩٣/٢. في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكريّ، تحقيق مصطفى السَقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٥م، ٥٨/١ (المقدّمة): "فَظعَنتْ بَجيلة وخَثْعَم ابنا أنمار إلى جبال السَّروات، فنزلوها، وانتسبوا فيهم" .وقال ياقوت في معجم البلدان، ٢٠٥/٣:"والسَّروات ثلاثة: سَراة بين تِهامة ونَجدْ أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء، والطائف مِن سَراة بني ثقيف، وهو أدنى السَّروات إلى مكة، ومعدن البُرْم هو السَّراة الثانية، وهو في بلاد عَدوان، والسَّراة الثالثة أرض عالية وجبال مُشْرِفة على البحر من الغرب، وعلى نِجد من الشرق."

(٧) النَّسب الكبير، ٣٩/١. قبيلة عَوف عدنانيّة وقبيلة جُهَيْنة يَمنيّة، وهذا معنى قوله "وطَوَّحَتْنا في أَقاصي البلاد."

(٨) انظر: جمهرة النسب، ٢٨٦/٢ والحاشية.

(٩) انظر: المصدر نفسه، ٣٠٢/٢.

وَبرة بن رُومانِس الكلبيّ أخي النُّعمان بن المُنْذِر لأمّه يوم القُرنَتَين [١] وخبر قتال العَنابِس من بني أميّة يوم الفجار، وسُمُّوا بذلك تشبيهاً لهم بالأُسْد، وواحدها العَنْبس [٢].

ويُشير ابن الكلبيّ إلى بَلدات وقُرى قديمة في العراق واليمن وغيرهما؛ ومن تلك البَلدات: "الأُبُلَّة" التي يذكر أنّ النعُمان بن المُنذر ملك الحيرة استعمل عليها سِنان بن مالك [٣]، و"خَيْوان"، وهي قرية كانت باليمن، وسُمّي بها بطن من بطون العرب، وهو مالك مِنْ ولد زيد بن مالك بن جُشَم، وكان عمرو بن لُحَيّ قد دَفَع الصنم إلى خَيْوان في الجاهليّة [٤].

ويُبدي ابن الكلبيّ اهتماماً بحياة العرب الاجتماعيّة قبل الإسلام؛ ومِنْ ذلك زواج بعضهم مِنْ نساء آبائهم بما يُعرف بنكاح المَقْت [٥]، ويعقد كذلك فَصلاً عن المُغتربات مِن بنات هاشم اللواتي تزوَّجْن مِنْ خارج قبيلتهنّ [٦].

ولا يَنسى ابن الكلبيّ أن يتناول بعض الأخبار الدينيّة للعرب في الجاهليّة؛ ومِنْ ذلك ما ذكره مِن دَفْع أحد بني عمرو بن قيس عيلان الناس في موسم الحجّ في الجاهليّة [٧]، وتحوُّل الإفاضة بالحُجَّاج إلى كَرِب بن صَفوان بن جَناب... بن سَعد بن زَيدمَناة، وله يقول أَوس بن مغراء [من البسيط]:

ولا يَريمونَ في التَّعريف موقِفَهُمْ حتى يُقالَ أجيزوا آل صَفوانا [٨]

وثمّة أمر آخر تنبغي الإشارة إليه، وهو أنّه يلاحظ أنّ الأسماء الواردة في سلاسل الأنساب الحِمْيَريّة عربيّة قديمة تختلف عن الأسماء الواردة في سلاسل الأنساب اليمنيّة التي انتقلت إلى الشام، وكذلك سلاسل الأنساب العدنانيّة، *ويبدو أنّ السبب في ذلك يرجع إلى أنّ الأسماء الحميريّة غَدَتْ بعيدة وقديمة العهد بِمَنْ كان يعرفها، ولا نكاد نقف على اشتقاق يبيّن لنا أصلها، ومنها: أسماء قبائل ذي الكُلاَع: نَجلانُ، والأُسْرُوعُ، وعُرْنَةُ، وعَنَّة، ويُكالِم، ونَكيلٌ ، ونَهيلٌ ، وزُنْجُعٌ، والقَفَاعَةُ، وذو مَنَاخٍ، ورَيْمَانُ، وغيرها [٩].*

---

(١) انظر: جمهرة النَّسب، ١٦/٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٢٨/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٣١٨/٢. الأُبُلَّة (بضمّ أوّله وثانيه وتشديد اللم وفتحها): بَلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ ٧٦/١، ٧٧)

(٤) انظر: النَّسب الكبير، ٢٤٦/٢. خَيوان: مِن غُرَر بلد هَمْدان وأكرمه تربةً وأطيبها ثمرةً، وهي الحَدّ بين بَكيل وحاشِد. (صفة جزيرة العرب، الهَمْدانيّ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحَوالي، أشرف على طبعة حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٩٧٤م، ص: ٩٧.

(٥) انظر: جمهرة النَّسب، ١٦٩/١.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ٤٢٢/١-٤٢٦.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ١٨٢/٢.

(٨) انظر: المصدر نفسه،٢٧١/١.

(٩) انظر: النَّسب الكبير، ٢٩٦/٢. وانظر أيضاً: الاشتقاق، ابن دُرَيد، ٥٣٣/٢.

ز- بعض المآخذ على مؤلّفات ابن الكلبيّ:

*يُعدّ تأليف ابن الكلبيّ لمثالب العرب من أكبر المآخذ عليه؛ إذ صَنَّف فيها مُصَنَّفاً بعنوان "المَثالب"، ونقل الجاحظ عن أحد رواته قوله: "***كان هشام بن محمّد علاّمة نَسّابة، وراوية للمثالب عَيَّابة***"(١) وقد "***نالَ حُظوة الخليفة المهديّ بما أشاعه مِنْ مثالب الأمويّين التي استخدمها الخليفة في الردّ على كتاب أرسله الأمويّون بالأندلس في هجاء العباسيّين***"(٢)، إذ ذكر الطبريّ أنّ الخليفة المهديّ أمَرَ له بكاتب يُملي عليه مثالب الأمويّين، ثم أَنْعمَ عليه عشرة أثواب مِن أفخر الثياب وبعشرة آلاف درهم وببغلة بسرجها ولجامها (٣)، وفي ذلك يقول الكلبيّ: "***وأمْلَلْتُ عليه مثالبهم فأكثرت، فلم أُبْقِ شيئاً حتى فَرَغْتُ من الكتاب..***"(٤).*

ومن تلك المثالب ما اتّهم به أمّية بن عبد شمس وأبا سفيان بن حرب وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص-أخا مروان بن الحكم-أنّهم مِن زُناة قريش(٥)، كما ادّعى أنّ معاوية بن أبي سفيان مِن العبّاس ابن عبد المطلب، وبذلك يكون قد اتّهم العبّاس بهند بنت عُتبة "زوج أبي سفيان(٦)، وأنّ هنداً كانت من المُغْتَلِمات، وأنّها كانت تحبّ السّودان مِن الرجال، وإذا وَلَدتْ صَبِيّاً أسود قَتَلَتْه (٧)، وغير تلك الأخبار المُخْتلَقة التي تكشف عن تشيُّعه وكرهه للأمويّين، ومُوالاته للعباسيّين تقرُّباً إليهم وتكسُّباً منهم.

ويكفي دليلاً على كذب ابن الكلبيّ ودَحْض افتراءاته في ما يتّصل بهند بنت عتبة أن نُطالع خبر منافرة عُتبة بن ربيعة والفاكه بن المُغيرة المخزوميّ إلى أحد كهّان العرب، *والذي أورده ابن حَبيب، إذ بَرَّأ الكاهنُ هنداً ممّا اتّهمها به زوجها مِن الزّنا، وبشَّرها بأنّها ستلد ملكاً، ثم تزوَّجها أبو سفيان بعد أنْ فارقت الفاكه بن المغيرة فجاءت بمعاوية (٨).*

ولعلّ تلك المثالب التي رواها وألّفها وأشاعها بحقّ أشراف قريش ومنهم الأمويّون كانت سبباً مباشراً في بُغْض مُعاصريه له وحِقدهم عليه.

ويذكر ابن الكلبيّ أحياناً أخباراً تتخلّلها الأساطير القديمة والقصص العجيبة، وهو يوردها دون أن يعلّق عليها، بل يأخذها كما هي على علاّتها؛ *ومِنْ تلك الأخبار التي يرويها عن أبيه الكلبيّ:* "***وإنّما سُمّي شَعبان في ما ذكر الكلبيّ عن رجل من حِمْيَر مِن ذي الكُلاع قال: أقبل سَيْلٌ فخرق موضِعاً باليمن فأبدى عن أَزَجٍ فدخل فيه فإذا رجلٌ على سرير ميّتٍ عليه جِباب وَشْيٍ مُذْهَبة، وبين***

(١) البيان والتبيين، ١٣١/١، ١٣٢.

(٢) تاريخ الأدب العربيّ، كارل بروكلمان، نَقَل الكتاب إلى العربيّة عبد الحليم النجّار، وأشرف على الترجمة إلى العربيّة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ٣٣/٢.

(٣) انظر تاريخ الطبريّ، ٥٨٥/٤، ٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ٥٨٦/٤.

(٥) انظر: المَثالب، ابن الكلبيّ، تحقيق محمد خريسات وعصام مصطفى عقلة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠١١م، ص: ١٥٧.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٧٦.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٧٨.

(٨) انظر: كتاب المُنَمَّق في أخبار قريش، ص: ١٠٩، ١١٠.

يديه حَجَر من ذهب في رأسه ياقوته حمراء، وإذا لوحٌ فيه مكتوب: بسم الله ربّ حمير. أنا حَسَّان بن عمرو القَيْل، إذ لا قَيْلَ إلا لله. مِتّ أزمانَ هِيدٍ وما هيدٌ، هَلَك فيها اثنا عَشَر ألف قَيْل كنت آخرهم قَيْلاً. وأتَيْتُ ذا شَعْبَيْنِ ليجيرني من الموت فَأَخْفَرَني" وذو شَعْبيْن موضع"(١).

كما يرد عند ابن الكلبيّ أحياناً سلاسل أنساب غير مقبولة؛ *إذ نراه يرفع نسب شَقيقة بنت النَّخَّام ابن الخَزرج- وهي من اليهود-إلى إبراهيم الخليل عليه السّلام*(٢)*، ويُقِرّ ابن الكلبيّ نفسه ببطلان ذلك مُسْتدِلاً على عدم جواز رفع النسب إلى ما بعد مَعدّ بن عدنان بالأثَر الذي يرويه عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عبّاس قوله: "***كان رسول الله إذا انتهى في النسَّب إلى مَعدّ بن عدنان أَمسكَ، ثم قال: " كذَب النسّابون"، قال الله جل ثناؤه (وقُرونا بين ذلك كثيرا).***

قال ابن عبّاس قوله: ولو شاء رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- أن يعلّمه لعلّمه، وقال: بين مَعَدَّ بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أبًا" (٣).

ويتبادر إلى ذهن مَن يقرأ كتاب "*جمهرة النسب*" أنّ الكتاب تَمّ تجميعه ممّا رواه هشام وأبوه محمّد بن السائب الكلبيّ، بحيث لا يُشعر بالتسلسل والترابط بين أجزائه؛ ولا أدَلَّ على ذلك مِن ورود عبارات مِنْ مثل: "**وعادَ إلى الكلبيّ"، وعادَ إلى كتاب الكلبّي**"، "**وهذا مِن غير كتاب الكلبيّ**"، "**وهذا ليس من كتاب الكلبيّ** "، و"***قال ابن الكلبيّ***"(٤).

*ويبدو عند ابن الكلبيّ الضَّعْف والخَلْط في أنساب اليمن بالرغم من اشتمال كتابه "نسب معدّ واليمن الكبير" على أنساب اليمنيّين، إلاّ أنّ التقصير يظهر لديه في دِقّة تَتَبُّع أنسابهم، ومنهم "التَّبابعة" وهم ولد تُبَّع مِنْ بني حِمْيَرَ بن سبأ؛ إذ خَلَص ابن حزم الأندلسيّ في أنساب التَّبابعة إلى القول: "***وفي أنسابهم اختلاف وتخليط، وتقديم وتأخير، ونُقصان وزيادة، ولا يَصحّ مِنْ كتب أخبار التَّبابعة وأنسابهم إلاّ طرَف يَسير، لاضطراب رُواتهم وبُعد العَهد***"،(٥) وكنت أشَرْت في موضع سابق إلى هذا الأمر، عندما تناوَلْتُ مَنْ نَقَل عن ابن الكلبيّ، ومنهم نسّابة اليمن الهَمْدانّي الذي عَدّ رواة النسب قد قصّروا في أنساب قبائل اليمن لُبعدهم عنهم.*

لم يُعْنَ ابن الكلبيّ بالأشعار التي يوردها إلا باعتبارها شواهد تاريخيّة للأخبار وسلاسل الأنساب التي يذكرها، فهي ليست محلّ اهتمام أدبيّ أو لُغويّ أو نحويّ كما هي عند رواة الشعر المعروفين،

---

(١) النَّسب الكبير، ٢ ٢٦٩. الأَزَج: بناء مستطيل مُقَوَّس السقف. الحِباب: جمع جُبَّة، وهو ثوب سابغ، واسع الكمّين، مشقوق المقدّم، يُلبس فوق الثياب. الوَشْي: نقش الثوب، ويكون من كلّ لون. القَيْل: مِن ملوك اليمن في الجاهليّة، دون الملِك الأعظم، وجمعه أَقيال (لسان العرب: أَزَج، جَبَّ وَشى، قَيَل). شَعْبَين (بفتح أوّله): تثنية شَعْب، وهو حِصْن باليمن كان منزلاً لملوكهم. وذات الشَّعْبيَن: مِن أودية العَلاة باليَمامة ومخِلاف باليمن (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٤٨/٣).

(٢) انظر: النَّسب الكبير، ٣١٥/٢.

(٣) جمهرة النسب، ١/١. وسورة الفرقان، الآية ٣٨.

(٤) جمهرة النسب، ٢٨٧/١، ٣٠٦، ٣٣٣، ١/٢. والنَّسب الكبير، ٢٩٤/٢.

(٥) جمهرة أنساب العرب، ص: ٤٣٩.

وكثيراً ما كان ابن الكلبيّ يذكر أسماء شعراء جاهليّين وإسلاميّين دون أن يذكر لهم شعراً؛ ومِنْ ذلك قوله: " **مِن بني ضُبَيْعة بن رَبيعة بن نزار: المُسَيَّب بن عَلَس بن مالك بن عمرو بن ربيعة بن قُمامة ابن زيد بن ثعلبة بن عديّ الشاعر**"(١)، " **ومِنْ بني أشرس بن كِنْدة.. سَلَمة بن صُبْح بن عمرو بن ربيعة بن شُكامَة. الشاعر الجاهليّ، له أشعار كثيرة** "(٢).

ولا يكاد القارئ أحياناً يتبيّن عصور الشعراء الذين ورد ذكرهم إلاَّ قليلا، وهو لا يملك مِنْ أمره غير أن يستعين لتحديد أزمانهم بالسِّياق التاريخيّ الذي ترد أشعارهم مِن خلاله؛ وذلك لأنّ كثيراً من هؤلاء الشعراء خاصّة الجاهليّين منهم مغمورون.

ح- ابن الكلبيّ بين معارضيه ومؤيّديه:

بالرَّغم مِن المنزلة العلميّة العالية التي تبوّأها ابن الكلبيّ، إلاّ أنّ بعض أهل الحديث ورُواة الشّعر وأئمَّة الأدب نالوا منه وانتقدوه، وكذلك سَار على دَربهم بعض المؤرِّخين وبعض دارسي الأدب المُحْدَثين، وكان بعض أقوالهم فيه حقاً وبعضها كان مبالغاً به؛ وعلى رأس هؤلاء الإمام أحمد بن حَنبل الذي كان يكرهه(٣) *ويقول فيه: "***إنّما كان صاحب سَمَر ونَسب، ما ظَننتُ أنّ أحداً يحدّث عنه***"*(٤)*، وقال الدّارقطنيّ وغيره: "***متروك الحديث***"*(٥) *وقال ابن عَساكِر: "***رافِضيّ ليس بثقة** "(٦).

وابن الكلبيّ مُتَّهم عند الأصمعيّ (٧)*، وكذلك عند الجاحظ وأبي الفرج الأصفهانيّ؛ إذ ذكر الجاحظ أنّ ابن الكلبيّ أُتّهم بتلفيق الأخبار وتزويرها؛ إذْ ذكر جماعةً من خُطَباء بني هاشم من المعروفين برواية الأخبار، ثمّ قال: "***وكان إبراهيم بن السِّنديّ يحدّثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما كتبَ الهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ، وإذا سَمِعْتَهُ عَلِمْتَ أنّه ليس من المؤلَّف المُزَوَّر***"*(٨)*، ومعنى ذلك أنّه يعرّض بالهيثم بن عديّ وابن الكلبيّ في رواية الأخبار. وكذلك اتّهمه أبو الفرج الأصفهانيّ في بعض الأخبار والأشعار التي يرويها، إذ يقول: "***وهذه الأخبار التي ذَكَرْتُها عن ابن الكلبيّ موضوعة كلّها والتوليد بَيِّنٌ فيها وفي أشعاره، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُرَيد بن الصِمَّة على سائر الروايات. وأعَجَبُ مِن ذلك هذا الخبر الأخير،... وهذا من أكاذيب ابن الكلبيّ، وإنمّا ذكرتُه على ما**

(١) النَّسب الكبير، ٥٣/١.

(٢) المصدر نفسه، ١٣٣/١. وانظر أيضاً: ٣٤٣/٢، ٥/٣، ٩، ٢١.

(٣) انظر: كتاب نور القَبس المختصر من المُقتَبس، المرَزُبانّي، اختصار أبي المحاسن اليغموريّ، ص: ٢٩١.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبيّ، ١٠١/١٠. ولسان الميزان، ابن حجر، ٣٣٨/٨.

(٥) سِيَر أعلام النبّلاء، الذهبيّ، ١٠١/١٠ ومِرآة الجِنان، اليافِعيّ، ٢٣/٢.

(٦) سِيَر اعلام النبّلاء، ١٠٢/١٠ ولسان الميزان، ابن حجر، ٣٣٨/٨.

(٧) انظر: لسان الميزان، ابن حجر، ٣٣٩/٨.

(٨) البيان والتبيين، ٣٣٥/١. "زَوَّر الكلام: قَوَّمه وأتقنه قبل أن يتكلَّم به" (البيان والتبيين، ٣٣٥/١: الحاشية ٢).

فيه لئلاّ يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه "[١].*ثم يعود أبو الفرج ويروي عنه بعض الأخبار ويقول:* "**لعلّ هذا من أكاذيب ابن الكَلبيّ** "[٢].

وذكر مصطفى صادق الرافعيّ أنّ ابن الكلبيّ هو أوّل مَن اختلق خبر تعليق المُعَلَّقات على الكعبة؛ إذ أورد قول ابن الكلبيّ: "**أول شعر عُلِّق في الجاهلية شعر امرئ القيس، عُلّق على رُكْن من أركان الكعبة أيّام الموسم.**."[٣].

وانتقد جواد عليّ رواية ابن الكلبيّ للأخبار بقوله: "**لم يَخْلُ مِنْ مواطن الضعف التي تكون عادة في الإخباريّين مِن سرعة التصديق ورواية الخبر على عِلاّته دون نقد أو تمحيص** "[٤].

وفضلاً عن ذلك فقد اعترف ابن الكلبيّ نفسه بكذبه في النَّسَب؛ إذ ذكر أبو الفرج الأصفهانيّ أنّ ابن الكلبيّ اضطُرَّ إلى ركوب مَتْن الكذب [٥] *عندما سأله خالد بن عبد الله القَسريّ عن جدّته أم كُرَيز، ورَوى عنه قوله:* "**أوّل كَذِبةٍ كَذَبْتها في النَّسَب، أنّ خالد بن عبد الله القَسريّ سألني عن جدّته أمّ كُرَيز – وكانت أمّه بَغيّاً لبني أسد يقال لها زَرْنَب– فقلت له : هي زينب بنت عَرعرة بن جَذيمة بن نَصْر بن قُعَين. فُسرّ بذلك ووصلني**"[٦].

ولا غرابة من موقف أهل الحديث من ابن الكلبيّ وتشدُّدهم في الأخذ عنه أو تركه لتشيُّعه ولكونه إخباريّاً، *ومعلوم أنّ الإخباريّ كثيراً ما كان يتعرّض للسقطات والزلاّت خاصّة عندما يتصدَّى لرواية الآثار والأخبار القديمة وما يلفُّها من غرائب وعجائب وأساطير. وقد أورد الإخباريّون والمؤرّخون رواياتهم دون أن تتوافر فيهم الشروط التي ينبغي توافرها في مَن يتصدّر لإملاء الحديث* [٧]. *وقد اعترف ابن الكلبيّ نفسه ببعض هذه السقطات عندما قال:* "**حَفِظْتُ مالم يَحْفَظْهُ أحَد ونَسِيتُ مالم يَنْسَهُ أحد،** .."[٨]، أي أنّه يعترف بقُدْرته في الحفظ، كما يعترف في الوقت نفسه بنسيانه وغَفلته في بعض الأحيان. *وما مِنْ شك في أنّ هجوم أهل الحديث على ابن الكلبيّ كان بدافع الغيرة على صيانة ذلك العلم الشريف–علم الحديث– ودفع كلّ مَن يتعرّض لروايته مِن غير المتخصّصين فيه والمُنقطعين له والعاكفين على دراسته دون ما سواه*[٩].ويؤكّد ما ذَهَبْتُ إليه أنّ أحكامهم في ابن الكلبيّ كانت تحمل

---

(١) كتاب الأغاني، ٣٣/١٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٥/١٠.

(٣) تاريخ آداب العرب، ١٤٠/٣. لم أجد هذا القول لابن الكلبيّ في ما بَحثْتُ من كتب غير ما أورده مصطفى صادق الرافعيّ.

(٤) المُفصَّل في تاريخ العرب، ٨٨/١.

(٥) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تصدير المحقّق، ص: ١٧.

(٦) كتاب الأغاني، ٥٨/١٩. والتذكرة الحمدونيّة، ابن حَمْدُون، تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٦٠/٣.

(٧) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تصدير المحقّق، ص:١٣.

(٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٥/١٤، ٤٦.

(٩) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تصدير المحقّق، ص: ١٣.

ذمّه وترك قبول روايته في الحديث، ولكنّها في الوقت نفسه تشيد بعلمه في الأنساب والأخبار، ولا أدَلَّ على ذلك من أقوال العلماء فيه الذين أشادوا بتقدُّمه في الأخبار والأنساب كما سبق.

وإذا كانت بعض الروايات تصف ابن الكلبيّ بتلفيق الأخبار وتزويرها وروايتها على عِلاَّتها، فإنّ هناك روايات أخرى تفيد بأنّه كان يتحرَّى الصدق في ما يُجيب، ولا يُجيب في ما لا يعلم؛ ومِنْ ذلك ما رَواه أبو حاتم السِّجِستانيّ- وهو من الرُّواة الثِّقات- أنّ ابن الكلبيّ سُئل سؤالاً عن عدد الرجال الذين رَوى ابن عَون الحديث عنهم، فأجاب: "**وما علمي بهذا؟ عِلمه عند ابن الشاذَكُونيّ**"(١). *كما أنّه لم يكن يُلقي الكلام على عواهنه، فلا يروي شيئاً لم يبلغه*(٢)*، بل نجده يقول صراحة:* "**لا أدري، أو لم يبلغني**"(٣)*، ونحو ذلك مِنْ صيغ العبارات التي تنتشر في تضاعيف مُصنَّفاته* (٤).

وثمّة خبر آخر يرويه أبو الفرج الذي سبق أَنْ ذَكرتُ اتهّامه لابن الكلبيّ بالكذب في بعض الأخبار والأشعار التي يرويها والتي تتّصل بالشاعر دُريد بن الصِمَّة، والغريب في الخبر الآتي أنّه يُنصف ابن الكلبيّ ويصف صدقه وغيرته في ما يذكره مِن صحّة نسب الشاعر العبّاسي دِعْبِل الخُزاعيّ إلى قبيلة خُزاعة، إذ يقول، وقد تقدّم إليه أحدهم ليخبر الناس أنّ دِعْبِلاً ليس من خُزاعة: "**يا فاعل! مثل دِعبِل تَنفيه خُزاعة! واللهِ لو كان مِنْ غيرها لَرغِبْتُ فيه حتىّ تدَّعيه. دِعبِل –والله يا أخي- خُزاعةُ كلُّها**"(٥).

وهذا ياقوت الحمويّ يمدح ابن الكلبيّ في تفوُّقه على العلماء وقوّة حُجّته عليهم في ما تنازعوا فيه من تفسير كلام العرب؛ إذ يعرض قول ابن الكلبيّ في تفسير "جَوف العَير" الذي ورد على ألسنة كثير من الشعراء، كما يعرض أقوال غيره، ثم يُرَجِّح رأي ابن الكلبيّ مستشهداً بما رواه من شعر جاهليّ، ثم يقول ياقوت: "**فهذا يقوّي قول أبي المنذر هشام بن محمّد الكلبيّ، قلت ولله دَرُّه! ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلاّ وكان قوله أقوى حجّة، وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارص مكلوم**"(٦). وسأورد الخبر والشعر –إن شاء الله- عندما أتناول رواية ابن الكلبيّ للشعر الجاهليّ.

وقد دافع عنه كارل بروكلمان بقوله: "**فقد وَصمَه آخرون بأسوأ التُّهم، مِنْ مُجافاة النقد الصحيح والخبر الوَثيق، بل وَصموه كذلك بالكذب. ولكنّ البحث الحديث قد أكّد كثيرا من أقواله التي وجّه إليها معاصروه التشكُّك المُريب، والنَّقد اللاذِع**"(٧)*، ويذكر بروكلمان سبب نَقمة مُعاصريه عليه*

---

(١) كتاب نور القَبَس، المَرْزُبانيّ، ص: ٢٢٦. الشَّاذكونيّ: "هو العالم الحافظ، البارع، أبو أيّوب سليمان بن داود بن بشر المنِقَريّ البَصريّ، الشَّاذَكونيّ، أحد الهَلكى" (سِيَر أعلام النبلاء، الذهبيّ، ٦٧٩/١٠).

(٢) انظر: كتاب الأصنام لابن الكلبيّ، تصدير المحقّق، ص: ١٢.

(٣) المصدر نفسه، تصدير المحقِّق، ص: ١٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه ، تصدير المحقّق، ص: ١٢.

(٥) كتاب الأغاني، ٨٨/٢٠.

(٦) معجم البلدان، ١٨٧/٢، ١٨٨.

(٧) تاريخ الأدب العربيّ، ٣٢/٢، ٣٣.

بأنّه " **اقتفى خطوات أبيه وسار على أثره، وحاول أن يُتمّ ما جمعه بالبحث والتنقيب في الآثار التي كانت ما تزال باقية بكنائس الحيرة ليستكمل بذلك تاريخ اللّخميّين ومشاهدهم، وصَنَّف ما وصل إليه من ذلك** "[١]. *وأيّد جواد علي بروكلمان في أنّ كثيراً ممّا اتُّهم به ابن الكلبيّ لم يكن كلّه صحيحاً، وأن البحوث العلميّة التي قام بها بعض المستشرقين أكّدت كثيراً من أقواله* [٢].

ولا أقصد بما عَرَضْتُ من أخبار وأقوال تؤيّد ابن الكلبيّ أن أُسوِّغ كَذِبه- وقد اعترف نفسه ببعض هذا الكذب- ولكنّني أَلْفَيْتُ أنّ الأمر مرهون بالظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي عاش فيها أولئك النسّابون، وهي لا تختلف كثيراً عن الظروف التي عاش فيها الشعراء. وأظنّ أنّ أبرز الأسباب التي دفَعتْ ابن الكلبيّ إلى الكذب يمكن إجمالها في ثلاثة أمور رئيسية، وهي: اتّقاء ألسنة الهجّائين من الشعراء، والخوف من السلطة الحاكمة ومُوالاتها، ثم التكسُّب. أما السبب الأوّل فنَراه جَلِيّاً في الخبر الذي يرويه المَرزُبانيّ، إذْ يذكر أنّ أبا نواس طَلَب مِنْ ابن الكلبيّ أنساب مَذْحِج وسَعد العَشيرة، وأن يُقحمه في نسب بني مَذْحِج ولكنّ ابن الكلبيّ وَعَده، ثمّ أبطأ عنه وماطَلَه [٣]، *فكتب إليه أبو نواس يهدّده مخاطباً إياه بقوله* [من الطويل][٤]*:*

أبا مُنذرٍ ما بالُ أنساب مَذْحِجٍ مُرَجَّمةً دوني وأنت صديقي

فإن تأتِني يأتِكْ ثَنائي ومِدْحتي وإن تأبَ لا يُسدَدْ عليّ طريقي

فلمّا بلغ ابنَ الكلبيّ بيتا أبي نواس بَعَث بما طَلَبه إليه[٥]. ويذكّرنا هذا الخبر بالموقف الذي تعرَّض له والده الكلبيّ مِنْ تهديد الفرزدق كما مرّ بنا في ترجمته. وأمّا السّببان الآخران- وهما الخوف من السلطة الحاكمة ومُوالاتها، والتكسُّب-فإنّنا نلمحهما بوضوح في الخبر الذي رواه أبو الفرج عن ابن الكلبيّ- وقد مرّ بنا- عندما سأله خالد بن عبد الله القسريّ عن جدّته أم كُريز، فكذب في نسبها واعترف بكذبته، ويتمثَّل أيضاً في الخبر الذي رواه الطبريّ عن مصانعة ابن الكلبيّ للخليفة العبّاسيّ المهديّ بإشاعته مثالبَ الأمويّين، ونَيله المال ورضا الخليفة بسبب ذلك. ويمكن القول إنّ هذين السَّبَبيْن أثّرا في نَسَّابين آخرين غير ابن الكلبيّ، وقد مرّ بنا-في ما سبق- تأثُّر دَغْفل النسّابة بهما في مُصانعته للخليفة الأمويّ معاوية بن أبي سفيان عندما فَضَّل قومه -بني عبد شمس- علي غيرهم مِن أحياء قريش.

---

(١) تاريخ الأدب العربيّ، ٣٢/٢

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، ٨٨/١.

(٣) انظر: كتاب نور القبَس، المَرزُبانيّ، ص: ٢٩١.

(٤) شرح ديوان أبي نواس، ١٩٣/٢. وكتاب نور القبس، المرزبانيّ، ص: ٢٩١ برواية مختلفة عن رواية الديوان:

أبا مُنذرٍ ما بال أنساب مَذْحِجٍ مُحجَّبةً دوني وأنت صديقُ

فإن تأتِني تَربَحْ ثَنائي ومِدْحتي وإنْ تأْبَ لا يُسْدَدْ عليَّ طريقُ

مَذْحِج: قبيلة. المُرَجَّم: المُرتاب بأمره والمُخَمَّن عليه. يقول إنّ نسبه مُتَرجَّح مُرِيب، وإنّه إذا ما أناله امتدحه، وإن امتنع ناله به (شرح الديوان، ١٩٣/٢: الحاشية).

(٥) انظر: كتاب نور القبس، المَرزُبانيّ، ص: ٢٩١.

وبين هذه الأخبار وتلك يقع القارئ في حَيرةٍ من أمره! فهو أمام أخبار تحطّ من قدر ابن الكلبيّ وأخرى ترفع من قدره. وما مِن شكّ- في ما أظنّ- في أنّ مردّ ذلك التفاوت في الأحكام على ابن الكلبيّ يرجع إلى ما تتمتّع به شخصيّة هذا العالم مِنْ سعة اطّلاع على شتّى العلوم والمعارف الإنسانيّة، وغَزارة في التصنيف فيها، ولا بدّ مِنْ أن يأتيه بعض الباطل في ذلك التراث الضخم الذي خلّفه لنا، ولم يصل منه إلينا غير القليل، وهو مِثْل أبيه الكلبيّ متروكٌ في الحديث، مرضيّ عنه في الأخبار، مُتَّفقٌ على علمه بالأنساب. ولا يعنيني من أمره في هذا البحث إلاّ علمه بالأنساب وأثره في رواية الشعر الجاهليّ.

ط- رواية ابن الكلبيّ للشعر الجاهليّ:

يعدّ ابن الكلبيّ أكثر النَسّابين روايةً للشعر الجاهليّ، إذ رَوى ديوان حاتم الطائيّ وديوان لَقيط ابن يعمر الإياديّ، وتتَبَّع أخبار عديّ بن زيد العِباديّ ورَوَى شعره أيضاً. كما رَوى كثيراً مِن الأشعار في كتبه في الأنساب، ونَقَل كثيراً مِن مرويّاته الشعريّة بعض المؤلّفين في المعارف المختلفة.

وديوان حاتم الطائيّ كلُّه مِن رواية ابن الكلبيّ وإنْ لم ترِدْ فيه عبارة *"قال ابن الكلبيّ" إلاّ ما كان فيه عبارة "قال أبو صالح"*، وهذا قليل جدّاً. *وقد اعتمد المَرْزُبانيّ على ابن الكلبيّ في صنعته للديوان، ووَصَل إلينا قسم من هذه الرواية كما ذكر فؤاد سُزكين [١]، إلاّ أنّ كارل بروكلمان شَكَّ في كثير مِن الأشعار المرويّة لحاتم [٢] ، وهو يقول فيه : "***حاتم بن عبد الله بن سَعد الطائيّ. اشتُهِر مثلاً للكرم والجود، وكان له صحبة بِعَبيد والنّابغة ووقع ابنه وبنته في أسر المسلمينَ. والأشعار المرويّة له لا شكّ أن كثيراً منها مَنحول***"[٣] *ولم يذكر كارل بروكلمان السبب الذي دفعه إلى التشكيك في الأشعار المرويّة لحاتم أنّها مَنحولة، وقد ذكر محقّق الديوان عدداً من رُواته وأشهرهم المَرْزُبانيّ[٤].*

*ووصل إلينا عدّة نسخ من ديوان لَقيط بن يعمُر الإياديّ كما ذكر فؤاد سزكين [٥]، وقال كارل بروكلمان فيه: "***لَقيط بن يَعْمُر (وقيل مَعْمَر) الإياديّ. كان مِن عرب العراق، وأشهر شعره القصيدة التي حَذّر فيها قبيلته مِن كسرى***" [٦].**

ويُعدّ ابن الكلبيّ أوّل مَنْ تَتَبَّع أخبار عديّ ورَوى شعره؛ إذْ ذكر محقّق ديوانه أنّ ابن الكلبيّ أَولى عناية خاصّة بالحيرة والعِباديّين رَهط عديّ بن زيد، وأنّه أَلّف كتاباً عن "الحيرة" وآخر باسم " البِيَع والديارات ونسب العِباديّين " وثالثاً بعنوان "عديّ بن زيد العِبَاديّ"، إلّا أنّه لم يصل إلينا مِن هذه

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربيّ، م١، ٢/٥٥. وتاريخ الأدب العربيّ، كارل بروكلمان (إضافاته)، ١/١٦٩، ١٧٠.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربيّ، كارل بروكلمان، ١/١٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ١/١٦٩.

(٤) ديوان حاتم الطائيّ، شرح أبي صالح يحيى بن مُدْرِك الطائيّ، تحقيق حنّا نصر الحَتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص: ٢٠.

(٥) انظر: تاريخ التراث العربيّ، م١، ٢/٥٥.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ١/١٧٠.

الكتب شيء، غير أنّ كتابه الأخير وَصل إلينا مَنقولاً عن أبي الفرج الأصفهانيّ [١]، إذ نَقَل أبو الفَرج في ترجمة عَديّ روايات ابن الكلبيّ في أخبار عَديّ بن زيد وشعره أيضاً [٢].

وفضلاً عن ديوانَي الشعر اللَّذَيْن رواهما ابن الكلبيّ وغيرهما ممّا ذُكِرَ مُختصَراً عند أبي الفرج لعديّ ابن زيد، فقد عَثَرْتُ على كثير من الأشعار التي رواها ابن الكلبيّ ووَجَدْتُها متناثرة في كتب الأدب والتاريخ والمعاجم وغيرها؛ وأشهرها كتاب الأمالي لأبي عليّ القالي[٣]، وخِزانة الأدب للبغداديّ[٤]، ومعجم الأدباء لياقوت الحمويّ [٥]، وغيرها.

ويَشهد بعض أصحاب هذه الكتب بعلم ابن الكلبيّ بالشعر الجاهليّ واهتمامه بَسماعه وروايته، وبقدرته الفائقة أيضاً على معرفته بالصحيح مِن المنحول في الشعر، وأنّ أقواله كانت حُجّة في ما اختَلف فيه العلماء مِن أمور العرب؛ *فقد أثنى ياقوت الحمويّ على ابن الكلبيّ ثناءً عظيماً إذ احتجَّ بكلامه في ما اختَلف فيه العلماء حول معنى كلمة (العَيْر) التي وردت في بيت امرئ القيس* [من الطويل][٦]:

ووَادٍ كجَوف العَيْر قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِه الذئب يَعوي كالخَليع المُعَيَّلِ

إذ يقول: "**والجوف اسم وادٍ في أرض عاد، فيه ماء وشجر حَماه رجل اسمه "حِمار بن طُوَيْلِع" كان له بنون فخرجوا يتصيَّدون فأصابتهم صاعقة فماتوا، فكفَر حمار كفراً عظيماً وقال: لا أعبدُ ربّاً**

---

(١) انظر: ديوان عَديّ بن زيد العِباديّ، تحقيق محمّد جبّار المعيبد، المقدّمة، شركة دار الجمهوريّة للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م، ص: ٢٠.

(٢) انظر: كتاب الأغاني: أخباره: ٢/٦٣- ٧٤، ٢/٨٢ -٨٤، ٩٩. شعره: ٢/٦٧، ٦٨، ٧٢- ٧٤، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٨، ٩٩.

(٣) انظر: كتاب الأمالي، ١/٢٣ ،٥٣، ٩٢، ٩٣، ٢/١١٩، ١٢٠.

(٤) انظر: خزانة الأدب، ٢/١٦٦-١٧٠، ٢/٤٠٧، ٤٠٨، ٣/٤١٠، ٣٥٥، ٥٢٤، ٨/٢٣٧.

(٥) انظر: معجم البلدان، ٢/١٨٨، ٢١٠، ٣٦٥، ٣/١١٠، ٢٢٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤/٧٣، ٨٣، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤١.

(٦) هذا ما زعَمه أبو سعيد السُّكَريّ أنّه لأمرئ القيس، والراجح أنّه لتأبّط شَرّاً كما روى الرُّواة ومنهم الأصمعيّ وأبو حَنيفة الدِينَوَريّ، وابن قتيبة. ورأى البغداديّ أنّ هذا الشعر أشبه بكلام اللصُّوص والصعاليك (خزانة الأدب، البغداديّ، ١/١٣٤، ١٣٥) وأمّا بيت امرئ القيس فهو قوله:

وخَرْقٍ كجوف العَيْر قَفْرٍ مَضِلّةٍ قطعتُ بِسَامٍ ساهِمِ الوجه حُسَّانِ

(ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٤م، ص: ٩٢)

الخَرْق: الفلاة الواسعة، سمّيت بذلك لا نخراق الريح فيها، والجمع خُروق.

قَفْرٍ مَضِلَّةٍ: أي لا يُهتدَى للسّير فيه. السّامي: الفرس المشرف المرتفع. الساهم: القليل لحم الوجه، وهو أيضاً المتغيّر اللون الضامر، وهذا مما يُستحبّ في وجه الفرَس. الحُسّان: الحَسَن، وهو المبالغة في الوصف بالحُسْن (لسان العرب، ابن منظور: خَرَق، قَفَر، ضَلَّ، سَما، سَهَم، حَسُنَ. وديوان امرئ القيس، ص: ٩٢ الحاشية).

فَعل بي هذا الفِعل! ثم دعا قومه إلى الكفر، فَمَنْ عَصى منهم قتله وقَتل مَنْ مرَّ به من الناس، فأقبلتْ نار مِن أسفل الجَوف فأَحرقتْه ومَنْ فيه وغَاض ماؤه، فضَربت العرب به المثل وقالوا: أكفَرُ مِن حمار ووادٍ كجوف الحِمار وكجوف العَيْر... قال ذلك ابن الكلبيّ. وقال غير ابن الكلبيّ: ليس حِمار ههنا اسم رجل، إنَّما هو الحمار بعينه، واحتجّ بَقوْل مَن يقول: أخلى مِن جوف الحمار، لأنّ الحمار لا يُنتفع بشيء ممّا في جوفه، ولا يُؤكل بل يُرمى به؛ وأنشد ابن الكلبيّ لفارس مَيسان الكنديّ (جاهليّ) [من الطويل]:

ومَرَّتْ بَجوف العَيْر وهي حَثيثةٌ وقد خلَّفَتْ بالأمس هَجْلَ الفُراضِمِ
تَخافُ مِن المُصْلى عدوّاً مُكاشِحًا ودونَ بني المُصْلَى هُدَيْد بن ظالمِ
وما إنْ بجَوف العَيْر مِن مُتَلذِّذٍ مَسيرة يومٍ للمَطيّ الرَّواسِمِ

فهذا يُقَوّي قول أبي المنذر هشام بن محمّد الكلبيّ، قلت: ولِلّه دَرّه! ما تَنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلاّ وكان قوله أقوى حُجّةً وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارص مَكلوم"(١).

*ويؤكّد البغداديّ علم ابن الكلبيّ بالشعر الجاهليّ وقوّة حُجّته فيه، وذلك في ما رواه الأصمعيّ عن ابن الكلبيّ رأيه في عدول امرئ القيس عن ذكر "الحمار "إلى ذكر "العَيْر": "***وإنّما عُدِل عن تسميته عند ذكر الحمار إلى ذكر العير في الشّعر لأنّه أخفّ عليهم وأسهل مخرجاً؛ وذلك نحو قول امرئ القيس:**

وِواد كجَوف العَيْر قَفْرٍ قَطَعْتُه..."(٢)

وينقل البغداديّ أيضاً خبراً طويلاً وشعراً رواه ابن الكلبيّ في قصّة كُلَيب وجَسّاس (٣)*، وقوله في الحطيئة إنّه كان مغموز النسب، وأنّه كان مِن أولاد الزّنى الذين شَرُفوا، ثمّ يورد له أبياتاً في مدح إخوته مِن بني الأقمَم* (٤)*. وينقل عنه روايته في خبر يوم "بُعاث" بين الأوس والخَزرج وإسناد الأوس*

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي،١٨٧/٢، ١٨٨. حَثيثة: حادَّة سريعة في أمرها كأنّ نفسها تَحثُّها. الهَجْل: المُطْمئِنّ مِن الأرض. الفُراضِم: جمع الفِرْضِم مِن الإبل الضّخمة الثقيلة. المُصْلَى: لم أجد لها معنى، ويبدو أنّه اسم رجل أو بَطن بدليل قوله "بني المُصْلَى". المُكاشِح: العدوّ المُبْغِض. المَطِيّ: جمع المطيّة، وهي الناقة التي يُركب مطاها أي ظهرها، ويقال يُمطى بها في السَّير أي يُمدّ. الرَّواسِم: جمع الرَّوسَم، وهو الطابَع، وهو من الرَّسم، أي الأَثَر، وقيل بقيّة الأَثَر (لسان العرب: حَثَّ، هَجَل، فَرْضَمَ، كَشَح، مَطَا، رَسَم).

(٢) خزانة الأدب، ١٣٥/١، ١٣٦. ومعجم البلدان، ١٨٨/٢.

(٣) انظر: خزانة الأدب، ١٦٦/٢-١٧٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ٤٠٧/٢، ٤٠٨.

أمرهم إلى أبي قيس بن الأسلت، وشعراً لأبي قيس في ذلك اليوم(١). وينقل عنه روايته أبياتاً لعمرو بن معد يكرب الزُّبيديّ قبل إسلامه (٢). وينقل عن أبي الفَرج الأصفهانيّ خبر يوم "أُوَارة " بِسَنده إلى هشام ابن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طَيّيء وشعراً جاهليّاً في سياق ذلك اليوم لعَمرو بن ثَعلبة بن مِلْقَط الطائيّ (٣).

وذكر البغداديّ أن ابن الكلبيّ كان على علم بالمَنحول مِن أشعار العرب، ومن ذلك ذِكره لأبيات طَرَفة بن العبد التي هجا بها عمرو بن هند، إذ يقول: **" وأمّا قوله: "إذا الرَّجال شَتَوْا" إلخ فهو مِن أبياتٍ لطَرَفَة بن العبد، هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند. ويُروى كذا** [من البسيط]:

أنت ابنُ هندٍ فأخبِرْ مَن أبوك إذَنْ ... لا يُصلح المُلْكَ إلاّ كلُّ بَذَّاخِ

إنْ قُلْتَ نَصْرٌ فنَصرٌ كان شَرَّ فَتىً ... قِدْماً وأبيضَهُمْ سربالَ طبَّاخِ

ما في المعالي لكم ظِلٌّ ولا وَرَقٌ ... وفي المخَازي لكم أسناخُ أسناخِ

مع أبيات أُخَر. قال ابن الكلبيّ: هذا الشعر مَنحول" (٤)

وأشار ابن الكلبيّ نفسه في كتبه إلى موضوع النَّحل في أشعار الجاهليّين، وذلك في سِياق ذِكره لنسب الشاعر الجاهليّ امرئ القيس بن الحُمام الكلبيّ، إذ ذكَر أنّ الأبيات الخمسة الأولى مِن المعلّقة الشّهيرة لامرئ القيس بن حُجر الكِنديّ ليست له ، وإنّما وهي لامرئ القيس بن الحُمام الكلبيّ، وهو أوّل مَن بكى الدّيار، إذ يقول: **"فولَد الحُمام بن عُبَيْدة: امرأ القيس الشاعر الذي يقال له: عَدْل الآصِرَة، وهو أول مَنْ بكى الدّيار، وفيه يقول امرؤ القَيسْ بن حُجْر، وكان ابن الحُمام مِن المعمَّرين عاش مئتي سنة** [من الكامل]:

يا صاحِبيَّ قِفا النوَّاعِجَ ساعةً ... نَبكي الدِّيارَ كما بَكىَ ابنُ حُمامٍ

قال الكلبيّ: أعراب كلب يروون هذا الشعر، فإذا سألتَهم ما الذي بَكَى به الدِّيار؟

أنشدوك خمسة أبيات [من الطويل]:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومَنزلِ

---

(١) انظر خزانة الأدب، ٣/٤١٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٦/٣٥٤-٣٥٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٦/٥٢٣-٥٢٥.

(٤) خزانة الأدب، ٨/ ٢٣٧، ٢٣٨ . وديوان طَرَفَة بن العَبد، شرح الأعلم الشَّنتمريّ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصَّقَّال، إدارة الثقافة والفنون، البحرين، المؤسسة العربيّة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص: ١٥٠، ١٥١ (صلة الديوان). البَذَّاخ: الشّامِخ، الرَّفيع النَّسب. السِّربال: القميص، يقول: "فسِرْبال طبّاخه، حينئذٍ، نَقِيٌّ للؤمه، وغيره من الملوك بخلاف ذلك لكرمه". أسناخ: جم سِنْخ، والسِّنْخ: الأصل من كلِّ شيء (لسان العرب: بذَخَ، سَرْبَلَ، سنَخَ. وديوان طَرَفة، ص: ١٥٠: الحاشيتان ٨، ٩).

ثم قالوا بقيّتها لامرئ القيس"[١].

واعتمد بعض شُرَّاح الدواوين الشعريّة ومُحقّقِيها على ابن الكلبيّ في شرح بعض الأبيات الواردة في تلك الدواوين، وذكروا علمه بالشعر المنحول؛ ومن هؤلاء الأعلم الشَّنْتَمَريّ ؛ إذ اعتمد على ابن الكلبيّ في شرح بيت طرفة بن العَبْد [من الطويل][٢]*:*

ألا رُبَّ يـومٍ لـو سَـقِمْتُ لَعـادَني نسـاءٌ كِـرامٌ مِـن حُيَـيٍّ ومالـكِ

"وقوله: مِنْ حُيَيٍّ ومالكِ" قال ابن الكلبيّ: حُيَيّ بَطن مِنْ قيس بن ثعلبة، و"مالك" يعني مالك ابن سعد بن مالك وهم رَهط طَرَفة"[٣].

وذكر الأعلم الشَّنتمريّ أيضاً أنّ ابن الكلبيّ زعَم أنّ أبيات طَرَفة بن العبد_ وهي تسعة أبيات- ومطلعها [من الرَّمَل][٤]*:*

ورَكُـوبٍ تَعـزف الجـنُّ بـه قبـل هـذا الجيـل مـن عهـد أَبَـدْ

مَنحولة، وهي لِعُشّ أو عثمان بن لَبيد العُذريّ [٥].

سادسًا: مُصْعَب الزُّبَيريّ:

هو أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير بن العَوَّام حَواريّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وابن عمّته الزُّبير بن العوَّام بن خويلد بن أسد العلّامة الصّدوق الإمام، وهو عمّ النسَّابة الزُّبير بن بكّار[٦]*. وُلِدَ مصعب سنة (١٥٦هـ) مئةٍ وستٍّ وخمسين للهجرة، وتوفّي سنة (٢٣٦هـ) مئتين وستٍّ وثلاثين للهجرة وهو ابن ثمانين سنة*[٧].

---

(١) النَّسب الكبير، ٣١٠/٢. والشعر والشعراء، ابن قُتيبة، ١٢٨/١: أورد روايةً مُوافِقَة لرواية ابن الكلبيّ في النسب الكبير، وزاد: وقال أبو عُبيدة: هو ابن خِذَام، وأنشد:

عُوجا على الطّلَل المُحِيل لعلَّنا نَبكي الدِّيار كما بكى ابن خِذامِ

وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٤: "لأنَّنا" مكان "لَعلّنا". النَّواعج من الإبل: البِيض الكريمة السِّراع (لسان العرب: نَعجَ). عُوجا أي اعطفا رَواحِلكما، والطَّلل المُحِيل: أي الذي أتَى عليه حَوْل فتغيَّر. وقوله "لأنّنا" بمعنى "لعلَّنا". وابن خِذام: رجل ذكر الدّيار قبل امرئ القيس وبَكَى عليها. ويُروى: " ابن حِذام" و "ابن حُمام" (ديوان امريء القيس، ص: ١١٤: الحاشية).

(٢) ديوان طَرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمريّ، ص:٩٥ وعدد أبيات القصيدة ثلاثة عشر بيتًا. قال الشارح يذكر مناسبة القصيدة: "قالها وقد أُطْرِدَ فصار في غير قومه "الديوان، ص: ٩٤). وأشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، الأعلم الشنتمريّ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربيّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ٨١/٢.

(٣) ديوان طَرفة بن العبد، ص: ٩٦. وأشعار الشعراء الستّة الجاهليّن، ٨١/٢: الحاشية (٩).

(٤) ديوان طَرفة بن العبد، ص: ١٤٠. وأشعار الشعراء الستّة الجاهليّن، ١٠٤/٢.

(٥) ديوان طرفة بن العبد، ص: ١٤٠. وأشعار الشعراء الستَّة الجاهليّن، ١٠٤/٢: الحاشية.

(٦) انظر: الفِهرِسْت، ابن النّديم، ص: ١٦٦. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٢/١٣. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذّهبيّ، ٣٠/١١.

(٧) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٤/١٣. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣٢/١١.

ومُصعب الزُّبيريّ راوٍ أديب مُحدّث شاعر(١)*، وكان إذا سُئِلَ عن خَلْق القرآن الكريم تَوقَّف ولم يُجبْ وعاب مَن لا يقف*(٢)*. وقد سَكَن بغداد وحَدَّث بها عن مالك بن أنس، والضَحَّاك بن عثمان، وإبراهيم بن سعد، وعبد العزيز الدّاروَرديّ، وهشام بن عبد الله المخزوميّ، وسفيان بن عُيَيْنَة وغيرهم*(٣)*. وحدَّث عنه ابن ماجَة، وابن أخيه الزُّبَيْر بن بكّار، وأبو يَعلى الموصليّ، وموسى بن هارون، وأبو القاسم البَغَويّ وأبو العبّاس وطائفة أخرى*(٤)*.*

وقد حظي مُصعب الزُّبيريّ بمكانة مرموقة عند جُلّ العلماء لم يَحْظَ بها ابن الكلبيّ؛ إذ كان موثوقاً به عند أهل الحديث، فضلاً عن ثقة العلماء به في مجال الأخبار والأنساب ورواية الأدب؛ بينما اتّفق أهل الحديث على ترك ابن الكلبيّ في الحديث كما سبق أن بَيَّنْتُ، علماً بأنّ ابن الكلبيّ أغزر من مصعب الزبيريّ تأليفاً وأسبق منه علماً بالأنساب.

فقد وثَّقه يَحيى بن مَعين والدّارقُطنيّ، فقالا: "**مُصَعْب بن عبد الله الزُّبيريّ ثقة**"(٥)*، وقال أبو داود:* "**سَمِعْتُ أحمد بن حنبل يقول: مُصعب مُسْتَثْبَت**"(٦)*. ومنهم مَنْ تكلَّم فيه لأنّه توقّف عن الخوض في مسالة خلق القرآن الكريم*(٧)*.*

ويُعَدّ مصعب الزُّبيريّ مِن علماء الأنساب والأخباريّين الفُصَحاء الموثوق بهم والمشهود بعلمهم؛ إذ قال يَحيى بن معين – وذكر النَّسب – : "**الزُّبيريّ عالم بالنَّسب.. إنّما أخذه عن الواقديّ**"(٨)*، وقال فيه ابن أخيه الزُّبير بن بكّار:* "**كان عميّ وجه قريش مروءةً وعلماً وشَرفاً وبيَاناً وقَدْراً وجاهاً، وكان نسّابة قريش**"(٩)*، وقال فيه العَبّاس بن مُصعب بن بشر:* ".. **أدركتُه ببغداد، وهو أفقه قرشيّ في النَّسب**"(١٠)*، وقال ابن حَبّان:* "**كان من علماء الناس بالأنساب وأيّام الناس وما كان فيهم من الحوادث**"(١١)*، وقال الذهبيّ:* "**وكان عَلّامة نَسّابةً أخباريّاً فَصيحاً، من نُبَلاء الرجال وأفرادهم**"(١٢)*.*

---

(١) انظر: الفِهرِسْت، ابن النَّديم، ص: ١٦٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٤/١٣. وسِيَر أعلام النبلاء، الذّهبيّ، ٣٠/١١، ٣١.

(٣) انظر: الفِهرست، ابن النَّديم، ص: ١٦٦. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٢/١٣. وسِيَر أعلام النبلاء، الذهبيّ، ٣٠/١١.

(٤) انظر: سِيَر أعلام النبلاء، الذهبيّ، ٣٠/١١.

(٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٤/١٣، ١١٢. وسِيَر أعلام النُّبلاء، ٣٠/١١.

(٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٤/١٣. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣١/١١.

(٧) انظر: سِيَر أعلام النُّبلاء، الذّهبيّ، ٣٠/١١.

(٨) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٤/١٣.

(٩) المصدر نفسه، ١١٣/١٣. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣١/١١.

(١٠) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٣/١٣. وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانيّ، ١٤٩/١٠.

(١١) كتاب الثّقات، الإمام الحافظ أبو حاتم محمّد بن حِبّان بن أحمد التميميّ البستيّ المتوفّى سنة ٣٥٤هـ، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد الدَّكْن، الهند، ١٩٨٣م، ١٧٥/٩.

(١٢) سِيَر أعلام النُّبلاء، الذّهبيّ، ٣١/١١.

وقد أخذ عنه النَّسَب ابن أخيه الزُّبير بن بكّار وأحمد بن أبي خَيْثَمة وغيرهما. وأحمد بن أبي خَيثمة مِن رُواة كتابه نسب قُريش(١).

وتركَ مصعب الزبيريّ مُصَنَّفَيْن في الأنساب هما: "النَّسب الكبير" (٢) ولم أجده في ما بحثت و*"كتاب نسب قريش"*، وهو كتابه الذي نحن بصدده.

ويُعدُّ كتابه "نسب قريش" مزيجاً من الأخبار والأنساب، وقد أولى عنايته فيه بأنساب قبيلة قريش وأخبارها؛ إذْ بدأ بجدّهم الأكبر عدنان وولده مَعدّ، ثمّ النَّضْر بن كنانة، وفصَّل في ذكر أنسابهم بطناً بطناً حتّى أتى على آخرهم. وقد استوفى مصعب بذلك أنساب القُرشيّين بخلاف مؤرِّج السدوسيّ الذي اختصر في أنسابهم، فذكر أطرافها ولم يُفصّل القول فيها.

١ – روايته للشعر الجاهليّ:

اهتمّ مصعب الزُّبيريّ في أثناء ذكره لسلاسل أنساب القُرشيّين برواية الشعر، شأنه في ذلك شأن مَن سَبقه مِن النسّابين، إلّا أنّ بضاعته من الشعر الجاهليّ قليلة إذا ما قيست بما رواه ابن الكلبيّ من الشعر الجاهليّ، *فقد أورد مصعب الزبيريّ شعراً إسلاميّاً وأمويّاً وعباسيّاً، إذ روى شعراً لحسان بن ثابت الأنصاريّ، وكعب بن مالك الأنصاريّ وجرير والفرزدق والأخطل وغيرهم*(٣)*، كما روى أبياتاً قليلة لشعراء جاهليّين، ويبدو أنّ السبب في ذلك يرجع إلى اهتمامه بأبرز الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام والعصرين الأمويّ والعبّاسيّ، وأهمّها يوم بدر ويوم الجمل ويوم صِفّين ووقعة الحَرّة وغيرها* (٤).

وتبرز قيمة مرويّات مصعب من أشعار الجاهليّين من خلال توثيقه وتأريخه لأوائل شعراء القبائل على نحو ما ذكر من أنّ أوّل من قال الشّعر في هُذَيل هو أبو قِلابَة الهُذَليّ: **"أبو قِلابة الشاعر، وهو أقدم مَن قال الشعر في هُذَيل"**(٥)، *وهو الذي يقول* [من البسيط](٦):

إنّ الرشادَ وإنّ الغَيَّ في قَرَنٍ ... بكلّ ذلك يأتيكَ الجديدانِ

لا تَأمَنَنَّ وإنْ أصبحتَ في حَرَمٍ ... إنّ المنايا بجنبَيْ كلّ إنسانِ

---

(١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ١١٢/١٣. وطبقات النسّابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: ٨٢.

(٢) انظر: طبقات النسّابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: ٨٢.

(٣) انظر: كتاب نَسب قريش، ص: ٨، ٩، ١٢، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٩، ٢٤٠، ٢٥٣، ٣٠٢، ٣٩٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٢٥، ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٨١، ٣٠٢، ٣٢٥، ٣٥٥، ٤٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢١. أبو قِلابة الهُذليّ: شاعر جاهليّ قديم حجازيّ (معجم الشعراء، المرزُبانيّ، ص: ٢٤٥).

(٦) كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٢١. ولسان العرب، ابن منظور (مَنَى): غير منسوبين لأحد، وغير مرتَّبين، وفي روايتهما اختلاف:

" لا تَأمَنَنَّ وإنْ أَمْسَيْتَ في حَرَمٍ ... حتّى تُلاقيَ ما يَمني لكَ الماني

فالخيُر والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ ... بكلّ ذلك يأتيك الجديدانِ

فاستحسن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم هذين البيتين وقد أُنْشِدَهُما، وقال: لو أدرك هذا الإسلام".

وذكر ابن بَرّيّ أن البيتين لسُويد بن عامر المُصْطَلِقيّ (لسان العرب: مَنَى). الرَّشاد: ضدّ الضّلال والغَيّ. الغَيّ: الضّلال والخَيبة والفساد. القَرَن: الحبل الذي يُقرن به بعيران. الجديدان: الليل والنهار. المنايا: جمع المَنِيَّة، وهي الموت (لسان العرب: رَشَد، غَوَى، قَرَن، جَدَّ، مَنَى).

ويُبدي مصعب الزَّبيريّ في كتابه اهتماماً خاصّاً بالنساء القُرَشيّات[١]، شأنه في ذلك شأن سابقيه مِن النسّابين وعلى رأسهم ابن الكلبيّ، ولكنّ مصعبًا الزُّبيريّ يتميّز عن ابن الكلبيّ بأنّه يترجم لنساء قريش معرّفاً بهنّ ومن خَلَف عليهنّ من الرِّجال ويورد لهن أو فيهنّ شعراً، بينما اكتفى ابن الكلبيّ بذكر أمّهات الرجال ونسائهم الذين يورد أنسابهم.

فمِمَّن ترجم لهنّ مصعب الزُّبيريّ صَفيّة بنت عبد المطّلب، إذ ذكر أنّها كانت عند العوّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى، ووَلَدتْ له الزُّبير، ثم صار يتيماً في حِجر عمّه نوفل بن خويلد، وكانت صَفيّة بنت عبد المطلب تضرب الزُّبير وهو صغير وتَغلظ عليه، فلامها في ذلك نوفل وقال لها إنّها تُبغِضُه[٢]*، فقالت صَفيّة* [مِن مَشطور الرَّجَز]:

"مَنْ قال إنّي أُبغِضُهْ! فقد كَذَبْ

وإنّما أضربه لِكي يَلِبْ

ويهزمَ الجيش ويأتي بالسَّلَبْ

ولا يكنْ لمالِهِ خَبْءٌ مُخَبْ

يأكلُ ما في الطَّلِّ مِن تَمْرٍ وحَبْ

فقال نَوْفَل: "يا بني هاشم! كُفُّوا عنَّا شاعرتكم هذه!"[٣].

سابعًا: الزُّبَير بن بَكَّار:

هو **"العلّامة الحافظ النسّابة أبو عبد الله الزُّبير بن أبي بكر بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير بن العوّام القُرشيّ الأسديّ"**[٤]*. وقد وُلِد الزّبير بن بكّار سنة (١٧٢هـ) مئةٍ واثنتين وسبعين للهجرة، ونشأ بالحجاز، وكان أبوه أبو بكر بكّار قاضياً بمكّة، ثم وَلّى الخليفة المتوكّل ابنه الزّبير القضاء بمكّة بعد أبيه، وظَلَّ قاضياً بها حتّى توفّيّ ليلة الأحد في السَّابع من ذي القِعدة سنة (٢٥٦هـ) مئتين وستٍّ وخمسين للهجرة عن أربعٍ وثمانين سنة.*[٥].

---

(١) انظر: كتاب نسب قريش، ص: ١٥-٢٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٣٠.

(٣) كتاب نسب قريش، ص: ٢٣٠. يَلبّ: يصيرا ذا لُبّ، أي عقل. السَّلَب: ما يُسلَبُ من سِلاح وغيره في القتال. خَبْء: مُدَّخَر. مُخَبْ: أرادتْ مُخبّأ، وقد سَهّلتْ الهمزة. الطَّلّ: قال ابن سِيدة: الطَّلُّ: أخفّ مِن المطر وأضعف، وقيل هو الندى (لسان العرب، ابن منظور: لَبَّ، سَلَب، خَبَأ، طَلَّ).

(٤) الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٦. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٦٧/٨. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٢/٣. ووفيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٣١١/٢. وسِيَر أعلام النّبلاء، الذهبيّ، ٣١١/١٢، ٣١٢.

(٥) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٦، ١٦٧. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٧١/٨. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٢/٣. ووفيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٣١٢/٢. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣١٢/١٢.

وكان الزُّبير بن بكّار **"شاعراً صدوقاً راويةً نبيل القدر"**(١)*، ويُعدُّ من أعيان العلماء، وقد دخل بغداد عدّة مرات وحَدَّث بها في أواخر أيّامه*(٢)*، وسَمِعَ من سفيان بن عُيَيْنَة وعليّ بن محمّد المدائنيّ وعمّه النسّابة مصعب الزُّبيريّ ومن آخرين غيرهم، وحدّث عنه ابن ماجة في سُنَنه، وإسماعيل بن العبّاس الورّاق وأبو بكر بن أبي الدنيا وغيرهم*(٣)*.*

وقد أشاد العلماء بالزُّبير ووثّقوه، إذ قال أبو الحسن الدراقطنيّ فيه: **"الزُّبير بن بكّار ثقة"**(٤)*، وقال فيه الخطيب البغداديّ:* **"كان الزُّبير بن بكّار ثقة ثَبتاً عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدّمين وسائر الماضين"**(٥)*، وقال فيه ياقوت الحمويّ:* **"كان عَلّامة نَسّابةً أخباريّاً، أعلم الناس قاطبةً بأخبار قريش ومآثرها وأشعارها"**(٦)*.*

وللزّبير بن بكّار مصنّفات كثيرة تدلّ على سعة علمه بأنساب العرب وأخبارهم وأخبار الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين والأمويّين والعبّاسيين، منها: كتاب نسب قريش وأخبارها، وكتاب نوادر أخبار النسب، وكتاب أخبار العرب وأيّامها، وكتاب المُوفَّقيات في الأخبار، وكتاب أزواج النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم، وكتاب وفود النّعمان على كسرى، وكتاب الأوس والخزرج، وأخبار أميّة ابن أبي الصَّلت، وأخبار حاتم الطائيّ، وأخبار حسّان، وأخبار كُثَيِّر، وأخبار المجنون، وكتاب أخبار ابن ميّادة، وأخبار ابن هَرِمَة، وأخبار ابن الدُّمَيْنة وغيرها(٧)*.*

ولم يصل إلينا من مصنّفاته – في ما بحثت – غير كتابين هما: "جمهرة نسب قريش وأخبارها"، و"الأخبار المُوفَّقيّات"، وقد ألّفه للمُوفّق بالله بن المتوكّل العبّاسيّ(٨)*، وكتاب آخر رواه الزّبير، وهو*

---

(١) الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٦.وروى ياقوت الحمويّ بعض شعره: "فقد حدَّثَ ثعلب إذ قال: كتب رجل إلى الزُّبير بن بكّار يستجفيه، فكتب إليه الزّبير:

ما غَيَّر الدهرُ وُدّاً كنتَ تعرفه ... ولا تبدَّلْتُ بعد الذِّكرِ نِسيانا

ولا حَمَدْتُ وَفاءً من أخي ثقةً ... إلا جَعَلْتُكَ فوق الحمد عنوانا"

معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٣/٣. وانظر: المصدر نفسه، ١٣٢٤/٣، ١٣٢٥. والفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٦، ١٦٧. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٧٠/٨.

(٢) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٦. وتاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٦٧/٨. ووفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣١١/٢.

(٣) انظر: سِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣١٢/١٢.

(٤) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٦٩/٨.

(٥) المصدر نفسه، ٤٦٧/٨.

(٦) وفيات الأعيان، ١٣٢٢/٣.

(٧) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٧. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٥/٣، ١٣٢٦.

(٨) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٦٧. ومعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٥/٣، ووفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣١١/٢. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٣١٢/١٢. وقد حَقَّق كتابه "المُوفَّقيات" سامي مكّي العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، بغداد، ١٩٧٢م.

"منتخب من كتاب أزواج النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم" لمحمّد بن الحسن بن زَبالة (١٩٩هـ) [١]*. وثمّة كتاب آخر ذكره محمود شاكر، وهو "أخبار أبي دَهْبَل الجُمَحيّ الشاعر"* [٢]*.*

وقد أشاد العلماء بمؤلّفات الزّبير بن بكّار وبكتابه "جمهرة نسب قريش وأخبارها"، إذ قال ياقوت الحمويّ وابن خلّكان إنّه: **"صَنَّفَ الكتب النافعة منها كتاب "أنساب قريش" وقد جمع فيه شيئاً كثيراً، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيّين، ولـه غيره مصنّفات دَلَّتْ على فضلة واطّلاعه"**[٣]**.**
وقال الذهبيّ: **"مُصَنّف كتاب نسب قريش، وهو كتاب كبير نفيس"**[٤]**.**

ينقسم كتاب الزُّبير "جمهرة نسب قريش وأخبارها" في أصله التامّ إلى ثلاثة وعشرين جزءاً، ولم يجد محقّق الكتاب محمود شاكر سوى القسم الأخير منه؛ من الجزء الثالث عشر إلى الجزء الثالث والعشرين. ويبدأ ببني أسد بن عبد العُزّى وولد عبد الله بن الزّبير حتى ينتهي إلى آخر نسب قريش، ويعدّ هذا القسم تامّاً لا نقص فيه غير نقص في أول الجزء الثالث عشر مقداره ورقتان، فيكون كما وصل إلينا أحد عشر جزءاً من ثلاثة وعشرين جزءاً، ويقع كلّ جزء من هذه الأجزاء في كُرّاسة من عشرين ورقة أو أربعين صفحة[٥]*.*

ولم أجد من القسم الأخير الذي ذكره المحقّق غير خمسة أجزاء مجموعة في الجزء الأوّل الذي وقعت يداي عليه، ويشتمل على الجزء الثالث عشر إلى الجزء السابع عشر. وتتناول هذه الأجزاء الخمسة نسب بني أسد بن عبد العُزّى وولد عبد الله بن الزّبير، وقد خُتِم الجزء السابع عشر بعبارة "فهؤلاء بنو أسد بن عبد العُزّى". ولا أدري إن كان هذا الجزء الأول – الذي أنا بصدد دراسته – قد استوفى نسب بني أسد بن عبد العُزّى وولد عبد الله بن الزّبير جميعه أم تناول بعضه؟ والله تعالى أعلم.

ويعدّ كتاب الزّبير مزيجاً من الأخبار والأنساب، وتغلب عليه الأخبار. ويدلُّ على هذا ما جرى من حوار بين الزُّبير وبين إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، إذ ذكر الخطيب البغداديّ أنّ **"الزُّبير بن بكّار لَقِيَ يوماً إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله، عَمِلْتَ كتاباً سمَّيتَه كتاب النسب، وهو كتاب الأخبار. قال: وأنت يا أبا محمّد – أيّدك الله – عملت كتاباً سمّيته كتاب الأغاني، وهو كتاب المعاني"**[٦]**.**

---

(١) حقّقه أكرم ضياء العمريّ، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، ١٩٨١م.

(٢) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكار، شرحه وحقّقه محمود محمّد شاكر، مكتبة دار العروبة، ١٣٨١هـ، ص: ٣، ٧١. لم أعثر عليه إلّا برواية أبي عمرو الشيبانيّ.

(٣) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٣٢٢/٣. ووفيات الأعيان، ابن خلّكان، ٣١١/٢.

(٤) سير أعلام النُّبلاء، ٣١٢/١٢.

(٥) انظر: مقدّمة جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٩.

(٦) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٤٦٩/٨.

ويمكن أن نلمح في عبارة إسحاق بن إبراهيم الموصليّ التي وصف بها كتابه إشادة بمؤلّفه الزّبير، وإن لم يكن ظاهرها يدلّ على تلك الإشادة، ولكنّها تشير – على غموضها – إلى تميّز الزّبير عن غيره من النسّابين الذين لم تَخْلُ كتبهم في الأنساب من أخبار كثيرة لمن ورد ذكرهم في سياق النَّسب كالذي نراه في كتاب مؤرّج السدوسيّ "كتاب حذف من نسب قريش"، وكتابَيْ هشام ابن الكلبيّ " نَسَب معدّ واليمن الكبير" و"جمهرة النَّسب"، وكذلك ما نراه في كتاب عمّه مصعب الزُّبيريّ "نسب قريش"، وهو شبيه بكتبهم في ذكر أخبار تتخلّل الأنساب مع شيء من الإفاضة عليها في سرد الأخبار؛ فقد اتَّبع الزُّبير نَهْجاً مألوفاً غير مُنكَر أن تتخلّل الأنسابَ أخبار قليلة أو كثيرة. إلّا أنّ ما دعا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى إصدار هذا الحكم على كتاب الزُّبير إنّما هو في شيء غير النسب وغير الأخبار المبهمة التي تختلط بها الأنساب، وهو في قيمة الأخبار التي تخيّرها الزُّبير بن بكّار والتي تدلّ على شخصيّة أصحابها، والتي جعلت إسحاق يتلمّس نبض الحياة ويدرك أنّ الزُّبير قد أوتي براعة فائقة في تصوير الناس، متّخذاً من الأخبار وسيلة باللَّمحَة الدّالّة والإيماءة الخاطفة، وقد فاق بها الزّبير مَنْ سَبقه من النسّابين ومن جاء بعده[١].

١ – منهجه في التأليف:

أثنى محمود شاكر محقّق الجمهرة على الزبير بن بكّار، واصفاً إيّاه بأنّه "**أحد الحُفّاظ المتقنين للأخبار، أخبار العرب في جاهليّتها وإسلامها، ولا سيّما أخبار أهل الحجاز**"[٢]، *ووصف روايته للأخبار بأنّها كانت* "**عُمدة الناس في زمانه وبعد زمانه لما امتاز به من التقصّي والجمع والإحاطة. وقلّ أن يخلو كتاب قديم في التاريخ والأدب من رواية مستفيضة عن الزّبير بن بكّار. وقد ظلّ الزُّبير أكثر من ستّين عاماً يُحدِّث ويُحمَلُ عنه العلم، بيد أنّه لم يصلنا من كتبه غير قطعة طبعت من كتابه المُوفّقيّات في اللغة والأخبار، ثمّ كتاب آخر طبع هو "أخبار أبي دَهبل الجُمحيّ الشاعر"، كما سأبيّنه في ترجمته**"[٣].

ويضيف محمود شاكر واصفاً منهج الزّبير في تأليف كتابه الجمهرة: "**فلمّا وَقَفْتُ على كتاب "جمهرة نسب قريش وأخبارها" رأَيْتُ الزّبير يسوق النسب على نحو ما فعله عمّه المصعب في كتابه، ثمّ يتخلّل النسب بأخبار كثيرة للرجال والنساء، أَرْبَتْ على أخبار عمّه بثروة ظاهرة، ... وكتاب الزّبير ابن بكّار أوفى من كتاب عمّه في حاقِّ النَّسب وفي تفريعه... ، بيد أنّه لم يُرِد التكثّر في الأخبار، بل جَنَح إلى تَخيُّر أخبار دالّة على عقول أصحابها ونفوسهم وصفاتهم وشمائلهم، ومنازلهم في الناس بفضل هذه السّمات الظاهرة في أخلاقهم. فزيادة كتاب الزّبير على كتاب عمّه المصعب هذه**

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، المقدّمة، ص: ٦، ٧.

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، المقدّمة، ص: ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣.

الزيادة البيّنة، لم تكن في تفريع النسب وحده، ولا في الأخبار وحدها، بل في دلالة هذه الأخبار على أصحابها دِلالةً مُبينةً مميّزة.

قد يذكر الرجل المشهور بمشاهده في القتال مثلاً، فلو شاء أن يتكثّر بالأخبار لألَمَّ بذكر هذه المشاهد، ولتقصَّى أخبارها، ولكنّه لا يفعل، بل يتجاوز ذلك إلى اختيار حادثة أو حادثتين في أحد مشاهده، ممّا هو خليق أن يكشف عن جانب من أخلاقه أو شمائله. وجعل ذلك دأبه مع العلماء والشعراء والولاة وغيرهم، مِمَّن يمرّ ذكره في النسب. وهذا دليل بَيِّن على أنّ الزّبير إنّما أراد بأخباره أن يصوّر باللَّمحةِ الدالّة، وبالحادثة المُبينة، معارف شخصيّة الرجل أو معالم حياته، في إطار النسب الحافل برجال القبيلة ونسائها منذ الجاهليّة إلى منتصف القرن الثالث للإسلام. وبذلك أصبح نسب البطن من بطون قريش ينبض بالحياة في كتاب الزّبير، حتى تكاد ترى المذكورين في نسبه أحياءً يغدون ويروحون، ولكلّ امرئٍ منهم سمة صريحة للدلالة على شخصيته"[١].

ويرى المحقّق أنّ الفرق عنده بين كتاب الزُّبير وغيره من كتب النَّسب أنّه وجد كتاب الزّبير

" كتاباً يَتنفَّش بحرارة الحياة، على حين أرى سائر كتب النسب كأنّها دُمَىً مرصوصة قد رُقِمَتْ عليها أسماء أصحابها، فإذا طُمِسَت الأسماء، لم أجد في يديّ منها سوى مَسّ الدُّمى الباردة... أمَدَّنا بقدر وافر من الوثائق النافعة في الاستدلال على الحياة الاجتماعيّة في الجاهليّة والإسلام. وبذلك هيّأ لنا الزّبير مادّة غزيرة تتيح لنا أن نميط الأذى وننفي الزّيف ونُصلح الفساد، ممّا أدخله المتهجّمون على تاريخ الحياة الاجتماعيّة في جاهليّة العرب وإسلامهم بسوء بصرهم، وباعتمادهم على سواقط الأخبار وشواذّها ومفرداتها دون حقائقها ومجتمعاتها"[٢].

وممّا لا شكّ فيه أنّ منزلة الزُّبير العلميّة عند أهل الحديث وغيرهم، ونُضْج تجاربه وخبراته في التأليف في الأنساب، كان له أثر كبير في تفوُّقه سواءً أكان في مجال الأخبار والأنساب، أم في مجال الشعر الذي استشهد به في سياق تلك الأخبار والأنساب؛ فلا بُدّ أن يكون الزُّبير قد أفاد ممّن سبقه من النسّابين مثل عمّه مصعب الزُّبيريّ – الذي أخذ منه مباشرة – أو غيره مِمَّنْ أخذ عنهم أخذاً غير مباشر كمؤرّج السدوسيّ وابن الكلبيّ وغيرهما.

وقد يتوهّم مَن يجد تشابهاً كبيراً بين كتاب الزُّبير "الجمهرة" وبين كتاب عمّه "كتاب نسب قريش" من خلال الأنساب والأخبار والأشعار الواردة في الكتابين – أنّ الزُّبير قد اجترأ واستولى على كتاب عمّه ونَسَبَهُ إليه، معتمداً على خبر وفاته الذي ذكره الخطيب البغداديّ بأنّ **"سبب وفاته كان أنّه وقع من فوق سطحه، فمكث يومين لا يتكلّم، ومات. وتوفّي الزُّبير بعد فراغنا من قراءة كتاب النسب**

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، المقدِّمة، ص: ٥، ٦. أَرْبَتْ: زادت. حَاقّ النَّسب: حاقّ الشيء: وسطه وشدّته، وأراد هنا أصل النسب وتمامه وكماله (لسان العرب: رَبا، حَقَّ).

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق، محمود شاكر، المقدِّمة، ص: ٦. يَتَنغَّش: يتحرّك في مكان ويموج (لسان العرب: نَغَشَ).

بثلاثة أيام"[١]، إذ إنّ الخبر يوحي بأنّ الزّبير ألّف كتابه في النسب في أواخر أيّامه، وبعد وفاة عمّه مصعب بزمن طويل مِمّا قد يشير إلى استيلائه على كتاب عمّه[٢].

إنّ دفع هذا الوهم وهذه التُّهمة عن الزّبير بن بكّار باستيلائه على كتاب عمّه يتطلّب من الباحث التحقّق من زمن تأليف الزُّبير كتابه، وقد يَحار ولا تُسعفه الحيلة في التوصّل إلى الإجابة عن سؤال (متى ألّف الزُّبير كتابه؟). وقد يكون مِن الأجدى للباحث أن يقارن بين عملي هذين العالمين، وبين طريقتيهما في التأليف، وبين مذهبيهما في تحصيل العلم وغايتيهما من التأليف[٣].

وإنّ سيرة هذا العالِم (الزُّبير) المشهود له بجلال قدره وصدق لسانه بما أثنى عليه أهل الحديث وغيرهم من العلماء لَكفيلٌ بنفي تهمة استيلائه على كتاب عمّه مصعب "كتاب نسب قريش"، وفضلاً عن ذلك، فإنّ دراسةً موضوعيّة لكتابه تكشف عن أنّ الزّبير نَصَّ في كثير من الأخبار والأشعار التي رواها عن عمّه بقوله: "حدّثني عمّي"، مما يشير إلى اعتماده عليه في بعض رواياته وعدم اعتماده عليه في روايات أخرى[٤].

وصحيح أنّ كتاب الزُّبير قد اشتمل على أكثر ما في كتاب عمّه مصعب، إلاّ أنّ الزُّبير زاد عليه في الأخبار والأنساب والأشعار زيادة ظاهرة بَيّنة، بعضها عن عمّه وبعضها عن غير عمّه؛ فقد أدرك الزّبير بعض شيوخ عمّه فأخذ عنهم كما أَخَذ عمّه. وإذا كان مصعب الزُّبيريّ يروي الخبر عن بعض شيوخه مختصراً فإنّ الزّبير يأتي ليروي الخبر عينه عن الشيخ نفسه مُفَصَّلاً مُسْهِباً فيه زيادات كثيرة[٥].

وقد ذكر الزّبير بن بكّار زيادات في النسب لم يذكرها عمّه، وقد نَبَّه إلى ذلك محقّق كتابه "الجمهرة" بقوله: "**لم يذكره المصعب في كتابه**"؛ ومن هؤلاء: إبراهيم من ولد حمزة بن عبد الله بن الزُّبير، وأمّ العبّاس بنت عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب؛ إذ استدرك الزُّبير على عمّه فذكر هذين العلمين وغيرهما[٦].

ولا يخلو كتاب الزُّبير من نقص شأنه في ذلك شأن كثير من الكتب؛ وممّا يؤخذ على الزّبير في كتابه "الجمهرة" أنّه أغفل كثيراً من الرجال والنساء في تفريعات النسب، مع أنّه روى بطريقة السّماع عن بعضهم، وذكر بعضهم في أسانيده، أو ذكرهم عَرَضاً في سياق ذكره أخبار آخرين عاصروهم. وقد

---

(١) تاريخ بغداد، ٨/٤٧١.

(٢) انظر: جمهرة نسب قريش، المقدِّمة، ص: ٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٩.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ٩. وجمهرة نسب قريش، ص: ٥٢، ٥٣، ٨٢، ٢٣٨، ٣٥٦، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٩، ٤٥٤، ٤٦٦.

(٥) انظر: جمهرة نسب قريش، المقدِّمة، ص: ٨.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص: ٥٩، والحاشية (٤)، ٦٠ والحاشية (١).

يكون الزّبير استغنى عن ذكرهم في كتابه "الجمهرة" كونه قد ذكرهم في كتب أخرى لم تصل إلينا (١)، ومع ذلك فإنّه لا يمكننا أن نحكم على الزُّبير إلّا من خلال ما وقع بين أيدينا مِن كتب ومرويّات. *وقد نبّه محمود شاكر على هذا النقص في تراجمه وأنسابه في حواشي كتاب "الجمهرة"* (٢).

٢- روايته للشعر الجاهليّ:

روى الزّبير بن بكّار شعراً جاهليّاً كثيراً لم يروه غيره، فانفرد به ولم يُرْوَ في أيّ مصدر آخر؛ ومن ذلك ما رواه الزّبير من شعر لبشر بن أبي خازم الأسديّ في مدح بني زبّان بن سيّار ممّا لم يرد في ديوانه. وقد نَبَّه محمود شاكر إلى أنّ محقّق ديوان بشر قد أخلّ بهذا الشعر (٣)، *كما نبّه أيضاً في أكثر من موضع إلى أنّ الشعر الذي رواه الزّبير لم يجده في مكان آخر* (٤)، وتبرز هنا قيمة تاريخية لمرويّات الزّبير بن بكّار الشعريّة وغيره من النسّابين الذين تعدّ مرويّاتهم الشعريّة مصدراً من مصادر الشعر الجاهليّ.

(١) انظر: جمهرة نسب قريش، المقدِّمة، ص: ١٨، ١٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٩. وانظر استدراك المحقّق بترجمته لأشخاص لم يذكر الزُّبير أنسابهم وأخبارهم: جمهرة نسب قريش، حواشي الصفحات: ٧، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٣، ٧٩، ٩٨، ١١٠، ١٣٣، ١٥٩ وصفحات أخرى.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٥. قال المحقّق: "هذا الشعر الآتي لبشر بن أبي خازم الأسديّ في مدح بني زَبّان بن سيّار... وقد أَخَلَّ بهذا الشعر ديوان بشر الذي طُبِعَ حديثاً بدمشق، بتحقيق صديقنا الدكتور عزّة حسن، جزاه الله خيراً (جمهرة نسب قريش، ص: ٥: الحاشية ٢).

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤: الحاشية (٣)، ١٨: الحاشية (٤)، ٢٠: الحاشيتين (١، ٤)، ص: ٢١: الحاشية (٢)، ص: ٢٩: الحاشية (١).

الفصل الثالث

توثيق مرويّاتهم الشعريّة

أولًا: الشعر الصَّحيح.

ثانيًا: الشعر المضطرب.

ثالثًا: الشعر المنحول.

اعتمدتُ في هذا الفصل في توثيق المرويّات الشّعريّة لعلماء الأنّساب على مقابلة ما روَوْه من أشّعار في كتبهم بما ورد في دواوين الشّعر الجاهليّ وكتب الأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها، وما اطّلَعْتُ عليه مِن آراء لبعض العلماء بالشعر مُسْتَنِدَاً إلى أنّ الأصل في مرويّاتهم الشّعريّة أنّها صحيحة، ما لم يرد ما يوجبُ تضعيفَها أو تركَها؛ إذْ لا يصحُّ الأخذ بالأقوال المُرْسَلة لبعض العلماء بالشّعر من غير دليل قويّ أو رأي راجح.

وقد بدأتُ بالشّعر الصحيح فالمضطرب ثم المَنحول، ولم أقم بتخريج الأشعار التي ذَكرتها في هذا الفصل تجنّبًا للتكرار، إذْ قُمْتُ بتخريجها في القسم الثاني من الرسالة.

أوّلًا: الشعر الصَّحيح:

إنّه لَمِن الصعوبة بمكان أن نحكم على قصيدة أو مقطوعة من الشعر بأنّها مضطربة أو منحولة موضوعة من غير أن يكون بين أيدينا دليل قويّ ينفي صحّتها، وما ذلك التشدّد والتحوُّط إلاّ لنبتعد قدر الإمكان عن الارتجال والتعسُّف في إطلاق الأحكام حتّى لا نَضِلَّ ولا نُضِلّ(١).

وقد واجهتني مشكلة كبيرة في توثيق المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب، وهي أنّ قدراً كبيراً من تلك المرويّات هو لشعراء مغمورين لم يرد عند غيرهم من الرّواة، فضلاً عن أن تلك المرويات لم تحظَ بعناية العلماء الرُّواة كما عُنوا بالأشعار التي كانوا يقصدونها في تفسير الغريب ومسائل النَّحو، ولعلّ انصراف العلماء الرّواة عن رواية الشعر الّذي رواه علماء الأنساب –كشواهد لغوية ونحوّية– يدفعنا إلى الوثوق به لا إلى الشكّ فيه؛ وذلك لأنّ شعر الشواهد دخل فيه أكثر الموضوع لحاجة العلماء الرُّواة إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو(٢).

واجتهدتُ ما وسعني الجهد في البحث عن مصادر أخرى لمرويّاتهم تَعْضُدُ الرّواية الوحيدة لهم، فلم أجد إلاّ قليلاً؛ فقد نصّ محقّق جمهرة نسب قريش – غير مرّة – على تفرّد الزّبير بن بكّار مؤلّف الجمهرة بروايات لبعض الأشعار؛ ومن أمثلة ذلك الأبيات التي رواها الزُّبير لزَبَّان بن سيّار بن عمرو الفَزاريّ والتي يفتخر فيها بأبيه وقومه، وأوّلها:

أبي حامِلُ الأَلفِ التي جرَّ حارثٌ لمُرَّةَ إذْ لم يُرْقِ عِرْقاً رِحَالُها

إذْ خرَّج المحقّق الأبيات على النحو التالي: **"لم أجد شعر زَبَّان بتمامه، وروى البيت الأوّل في ثلاثة أبيات أبو تمّام في الوحشيات برقم (٤٢٠)، وخرَّجه هناك أستاذنا الميمنيّ، أما الثلاثة الباقية، فلم أجدها في مكان"**(٣).

وعلَّق المحقّق أيضاً على أبيات أخرى – وهي اثنا عشر بيتاً – للشاعر نفسه، يفتخر فيها بقومه في تحمُّلهم ديات القتلى بين بطون قبيلته، وأوّلها:

سائل هِلالاً إذْ تفاقمَ أمرُها وخانتهُمُ أحلامُهُمْ أيَّ مَوْئِلِ

"لم أجد الشعر في مكان آخر"(٤).

ومن ذلك أيضاً ما علّق عليه المحقّق على رواية الزّبير بن بكّار أبيات خارجة بن سنان بن أبي حارثة، وأولها:

إمّا تَرَيْنِيَ لا أهدي إلى سَفَرٍ ولستُ مُهْتَدِياً إلاَّ معي هادي

---

(١) انظر: الشعر المنحول، قضايا ونصوص، فضل بن عمّار العَمَّاري، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص: ٢٩٧.

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، ٢٧٩/١.

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ١٣ والحاشية (٢).

(٤) المصدر نفسه، ص: ص: ١٤ والحاشية (٣).

إذ يقول: **"لم أجد الشعر في مكان آخر"**(١).

وأعرض في ما يأتي إلى آراء بعض العلماء بالشعر وروايته، محاولاً نقدها وبيان صحيحها من زائفها، وإنّ أوّل ما أتناوله في توثيق المرويات الشعريّة لعلماء الأنساب هو ما ذكره ابن الكلبيّ نفسه في بعض أشعار الجاهليّين، مدّعياً أنّها منحولة؛ ومن ذلك رأيه في الأبيات الخمسة الأولى التي استهلّ بها امرؤ القيس بن حُجْر الكِنديّ معلّقته، مُدَّعياً أنّ أعراب كلب يروونها لامرئ القيس بن الحُمام الكلبيّ، وأنّها ليست لامرئ القيس بن حُجْرٍ، وأنّ امرأ القيس بن الحُمام هو أوّل من بكى الديار. وقد أورد ذلك في سياق ذكره نسب الشاعر الجاهليّ امرئ القيس بن الحُمام الكلبيّ، إذ يقول:

فوَلَد الحُمام بن عُبيدة: امرأ القيس الشاعر الذي يُقال له: عَدْل الآصِرَة، وهو أوّل من بكى الدّيار، وفيه يقول امرؤ القيس بن حُجْر: كان ابن الحُمام من المُعَمَّرين عاش مئتي سنة [من الكامل]:

يا صاحبيَّ قِفَا النواعِجَ ساعةً نبكي الدِّيارَ كما بكى ابن حُمامِ

قال الكلبيّ: أعراب كلب يروون هذا الشعر، فإذا سألتَهم ما الذي بكى به الدِّيار؟ أنشدوك خمسة أبيات [من الطويل]:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومَنزلِ

ثم قالوا: بقيّتها لامرئ القيس"(٢).

وقال ابن الكلبيّ: **"فَنَحلَها الناس امرأ القيس"**(٣).

ولا أستطيع أن أنفي ما رُوِيَ عن أبي عبيدة والأصمعيّ من أنّ كثيراً من شعر امرئ القيس هو لصعاليك كانوا معه، ولكنّني في الوقت نفسه لا أستطيع أن أقبل كلام ابن الكلبي على عواهنه في ما يتعلّق بهذه الأبيات الخمسة التي ادّعى ابن الكلبيّ أنّها ليست لامرئ القيس بن حُجْر، إذ يقول أبو عبيدة: **"كان امرؤ القيس بن حُمام الكلبيّ يصحب امرأ القيس بن حجر الكنديّ، فغلب على أكثر شعر ابن حُمام وانتحله لنفسه، فسار ذلك لامرئ القيس بن حُجْر وخَمُلَ ابن حُمَام"**(٤). *وأيّد الأصمعيّ قول أبي عبيدة، إذ يقول:* **"ويُقال إنّ كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه"**(٥).

وقد عالج دارسو الأدب العربيّ هذه الناحية في شعر امرئ القيس، بحيث أصبح اليوم لا يُعْبَأُ بمثل هذه الأقوال، وما زال البحث مستمرّاً سواءً في شعر امرئ القيس، أو في شعر غيره من الشعراء الجاهليّين(٦)*؛ ومن أبرز هؤلاء الدّارسين وهب رومية ومحمّد شفيق البيطار اللّذان فَنَّدا زعم ابن*

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٢٩ والحاشية (١).

(٢) النّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١٠/٢. والشِّعر والشُّعراء، ابن قُتيبة، ١٢٨/١.

(٣) النسب الكبير، ٣٥٤/٢.

(٤) كتاب الدرّ الفريد وبيت القصيد، تأليف محمد بن سيف الدين أيدمر بن عبد الله المستعصميّ، أصدره فؤاد سزكين، إيكهارد نويبار، معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٨م، ٧٩/٣، ١٤١/١.

(٥) كتاب فُحولة الشّعراء، الأصمعي، ص: ١٠.

(٦) انظر: الشعر المنحول قضايا ونصوص، فضل بن عمّار العمّاريّ، ص: ٢٩٨.

الكلبيّ[١]، وهذا ممّا يدفعني إلى العدول عن رأي ابن الكلبيّ في مقدّمة معلّقة امرئ القيس أنّها منحولة، وأَعُدُّها بذلك صحيحة النسبة إليه؛ إذ إنّ القولين اللذَّيْن ذكرتُهما لأبي عبيدة والأصمعيّ لا ينهضان دليلاً قويّاً على اعتبار الأبيات الخمسة الأولى من معلّقة امرئ القيس أنّها لامرئ القيس بن الحُمام الكلبيّ، ولكنّها تؤكّد في الوقت نفسه أنّ لابن حُمام شعراً انتحله امرؤ القيس لنفسه أو نَحلَه الناس إيّاه[٢].

ومن أشعار الجاهليّين التي اتّهمها ابن الكلبيّ بأنّها منحولة أبيات طَرَفَة بن العَبْد الدّاليّة – وهي تسعة أبيات – ومطلعها [من الرَّمَل] [٣]:

ورَكــــوبٍ تعــــزفُ الجــــنُّ بــــه قبــلَ هــذا الجيــلِ مــن عَهْــدِ أبَــدْ

إذ زعم ابن الكلبي – كما ذكر الأعلم الشَّنتمريّ – أنّها منحولة، وأنّها لِعُشّ أو عثمان بن لَبيد العُذريّ.

إلاّ أنّني وَجَدْتُ بعد البحث أنّ هذه الأبيات هي ممّا رواه الأصمعيّ وغيره من شعر طَرَفَة[٤]، وقد اكتفى الشارح الأعلم الشنتمريّ بالتعليق على الأبيات بقوله: **"وزَعَم ابن الكلبيّ أنّها لِعُشّ أو عثمان بن لَبيد العُذريّ"**[٥]*، ولم يُعَقِّب مُحقِّقا الديوان على قول ابن الكلبيّ بأيّ عبارة ترجّح أنّ الأبيات لغير طَرفة من الشعراء الجاهليّين.*

وقد رَجَعْتُ إلى المنحول من شعر طَرَفَة فَلَمْ أجد مِنْ بَيْنه هذه الأبيات[٦]، كما رجعت إلى المصادر التي ذكرت الشاعرين عُشًّا وعثمان بن لَبيد العُذريّ فلم أجد واحداً منها يذكر أنّ هذه الأبيات لهما ولو برواية مختلفة، ولم أجد لهما سوى بعض الأبيات نُسِبَت إليهما وإلى حُرَيْث بن جَبلَة العُذريّ[٧].

---

(١) انظر: شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب روميّة، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آذار، ١٩٩٦م، ص: ٢٣١–٢٣٩. وديوان شعراء بني كلب بن وَبْرَة، محمّد شفيق البيطار، ٨٠/١.

(٢) انظر: ديوان شعراء بني كلب، ٨٠/١.

(٣) ديوان طَرفَة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمريّ، ص: ١٤٠–١٤١. وأشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، الأعلم الشَّنتمَريّ، ١٠٤/٢.

(٤) انظر: ديوان طرفة بن العبد، ص: ١٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٤٠. وأشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، ١٠٤/٢.

(٦) انظر: الشعر المنحول قضايا ونصوص، فضل بن عمّار العَمّاريّ، ص: ١٣٨–١٤٠.

(٧) انظر: سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، تحقيق مصطفى السَّقّا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م. والعُباب الزّاخر واللُّباب الفاخر، ابن الحسن الصَّغَانيّ، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، دار الرشيد، بغداد ١٩٧٩م، (باب الطاء)، ص: ١٤١. ولُباب الآداب، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ١٢٤/١. والصِّحاح، الجوهريّ. ولسان العرب، ابن منظور: غَبَطَ.

وقد جَعَلني ذلك كُلّه أطمئنّ إلى أنّ زعم ابن الكلبيّ أنّ هذه الأبيات منحولة هو زعم باطل وكلام مُرْسَل من غير دليل، وبناءً على ذلك فإنّني أرجّح أنّ الأبيات صحيحة النسبة إلى طَرَفَة بن العبد.

ولا أدري ما السبب الذي دفع ابن الكلبيّ للحكم على أبيات امرئ القيس بن حُجْر وطَرَفة بن العبد بأنّها منحولة، ويبدو أنّ سبب ذلك هو تعصُّبه لقبيلته كلب؛ فامرؤ القيس بن الحُمام كلبيّ، وعُشّ أو عثمان بن لبيد العُذريّ من بني عُذْرة – وهما شاعران جاهليّان مُقِلّان – وبنو عُذرة بطن من قُضاعة من القحطانيّة، وهم بنو عُذرة بن سعد هَذيم بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة[١]*، قال أبو عبيد:* **وعُذرة هؤلاء هم المعروفون بشدّة العشق**"[٢]*، وكذلك بنو كلب – قبيلة الرَّاوي – بطن من قُضاعة*[٣]*.*

ولعلّ ابن الكلبيّ أراد بذلك أن يستكثر مِن شعر هؤلاء الشعراء الذين لم يكن لهم حظّ وافر من الشعر، وهذا حال بعض رواة الشعر الذين كانوا يتزيّدون في أخبار بعض القبائل وأشعارها حتى يضاهوا بها القبائل الأخرى غزيرة الشِّعْر[٤]*.*

ومن النصوص الأخرى التي تعرّض لها النُّقّاد القُدامى بالاتهام بالنَّحل أبيات عبد الله بن الزِّبَعْرى التي يمدح بها بني المغيرة من مخزوم – وهي من مرويّات ابن الكلبيّ ومصعب الزُّبيريّ – وأوّلها:

ألا للهِ قـــــــــــــــومٌ و لَـــدَتْ أخـــتُ بنـــي سَـــهْمِ
هشـــــامٌ وأبـــــو عَبْـــــدِ مَنَـــــافٍ مِـــــدْرَهُ الخَصْـــــمِ

....

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهانيّ مناسبة الأبيات وعدّها منسوبةً إلى ابن الزِّبعرى، إذ يقول: **"وأخبرني أحمد بن سليمان بن داوود الطوسيّ والحِرمِيّ بن أبي العلاء، قالا: حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمّد بن عبد العزيز عن أبي نَهْشَل عن أبيه قال: قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام – وجئته أطلب منه مغرماً – يا خال، هذه أربعة آلاف درهم، وأنْشِدْ هذه الأبيات الأربعة، وقُلْ: سمعت حسّان يُنشدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقلت: أعوذ بالله من أن أفتري على الله ورسوله، ولكنْ إن شئت أن أقول: سمعتُ عائشة تُنشدِها، فعلتُ. فقال: لا، إلاّ أن تقول: سمعت حسّان يُنشدها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ورسول الله جالس، فأبى عليّ وأبيتُ عليه، فأقمنا لذلك لا نتكلّم عدّة لَيالٍ.**

---

(١) انظر: نهاية الأرَب في معرفة أنساب العرب، القلقشنديّ، ص: ٣٥٩.
(٢) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٤٠٨.
(٤) انظر: طبقات فحول الشّعراء، ابن سلاّم الجُمحيّ، ص: ٣٩، ٤٠.

فأرسل إليّ فقال: قل هشاماً – يعني ابن المغيرة – وبني أميّة. فَقُلْتُ: سَمِّهم لي، فسمَّاهم وقال: اجعلها في عُكاظ واجعلها لأبيك. فقلت: ... الأبيات. قال: ثمّ جئتُ فقُلْتُ: هذه قالها أبي، فقال: لا، ولكنْ قل: قالها ابن الزِّبَعْرى. قال: فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزِّبَعْرى"(١).

ولكنّ ابن سَلاَّم الـجُمَحي الذي سَبَق أبا الفرج الأصفهانيّ، كان يثير شكوكاً كثيرة في هذه المسائل، ومع ذلك أورد الأبيات على أنّها صحيحة النِّسْبة إلى عبد الله بن الزِّبَعْرى (٢)*، إذ يقول:* **"وقال ابن الزِّبَعْرى لبني المُغيرة بن عبد الله المخزومييّن، وكان لهم بَلاءٌ في الفِجار، وأمّهم سَهْمِيَّة: رَيْطَة بنت سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم، قال: .... الأبيات"**(٣). *وكذلك أثبتها أبو العلاء المعَرّيّ لابن الزِّبَعرى ولم يَشُكّ فيها* (٤).

وبذلك تُقَوِّي رواية ابن الكلبيّ ومصعب الزُّبيري أبيات عبد الله بن الزِّبَعْرى أنَّها صحيحة النسبة إليه.

ومن مرويّات ابن الكلبيّ البيتان اللَّذان رواهما ابن الكلبيّ للحارث بن ظالم المُرّيّ حين هرب من ملك الحيرة النُّعمان بن المنذر بعد أن قَتَلَ خالد بن جعفر بن كِلاب فَطُلِبَ، ثم أتى عبد الله بن جُدْعان واستجار بقريش، فقال الحارث ينتسب إلى قريش ويمدحهم ويذمّ قومه:

رَفَعْتُ الرُّمْحَ إذ قالوا قريشٌ وشَبَّهْتُ الشّمائِلَ والقِبابا

فما قومي بِثَعْلَبةَ بنِ سَعْدٍ ولا بِفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقَابا

وقد روى محمّد بن إسحاق أبياتاً للحارث بن ظالم اكتفى ابن هشام بستة أبيات، منها البيت الثاني الذي رواه ابن الكلبيّ، ثم قال: **"هذا ما أنشدني أبو عُبيدة منها"**(٥).

ومن مرويّات ابن الكلبيّ أيضاً – ممّا يتّصل بالحياة الدينيّة عند العرب قبل الإسلام – بيتا أبي طالب اللّذان ذكر فيهما صَنَمي إساف ونائلة، والبيتان من قصيدة طويلة، وهما:

أحضَرْتُ عند البيت رهطي ومعشري وأمْسَكْتُ من أثوابه بالوصائلِ

وحيث يُنيخُ الأشعرونَ رِكابَهُمْ بِمُفْضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ

وقد روى القصيدة محمّد بن إسحاق، ونقَّحها ابن هشام وخَلُصَ له فيها أربعة وتسعون بيتاً، ثمّ قال: **"هذا ما صَحَّ لي من هذه القصيدة!! وبعض أهل العلم بالشِّعْر ينكر أكثرها"**(٦).

---

(١) كتاب الأغاني، ٦٣/١.

(٢) انظر: الشعر المنحول، فضل بن عمّار العمّاري، ص: ٢١٨: الحاشية.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ٢٠٠، ٢٠١.

(٤) رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعرّي عن نسختين أصيلتين بالخزانة الملكيّة بالرّباط، نصّ محقّق مع مدخل تاريخيّ وموضوعيّ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص:٧٠٤، ٧٠٥.

(٥) السيرة النبويّة، ابن هشام، ١٠٣/١، ١٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ٢٩٩/١.

وذكر ابن سلاَّم الجمحيّ أبا طالب، فقال: إنّه كان **"شاعراً جيّد الكلام، وأبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بقوله:**

وأبـيضُ يُستسـقى الغَمـامُ بوجهـه ربيـعُ اليتـامى عِصْـمَةٌ للأرامـلِ

ثم قال: وقد زيد فيها وطُوِّلَتْ. رأيتُ في كتابٍ كَتَبهُ يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة، وقد علمتُ أنْ قد زاد الناس فيها، فلا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعيّ عنها فقلت: صحيحة جيّدة. قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا أدري..." (١).

وقد شَكَّ ابن سلاّم الجمحيّ في شعر بعض الشعراء الجاهليّين مِمَّا رواه ابن الكلبيّ، وأرسل القول في شعرهم إرسالاً وأطلقه إطلاقاً، من غير أن يخصّص شعراً بذاته(٢)*، فقد تناول شعر عديّ بن زيد العِباديّ، من غير أن يخصّص شيئاً منه، وذكر أنّه وقع فيه الاضطراب والخَلْط بفعل الرُّواة الوضَّاعين، وذلك لأنّه – حسب رأيه –* ***" كان يسكن الحيرة ومراكز الريف، فلان لسانه وسَهُلَ منطقه، فَحُمِل عليه شيءٌ كثير، وتخليصه شديد. واضطرب فيه خلف الأحمر، وخَلطَ فيه المُفَضَّل فأكثر"*** (٣).

وكذلك شكَّ ابن سلاّم في شعر الأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ مُعَمّماً غير مُخَصّص شعراً بذاته، شأنه في ذلك شأن شعر عَديّ بن زيد، إذ يقول: **"وله شعر كثير جيّد ... وذكر بعض أصحابنا أنّه سمع المفضَّل يقول: له ثلاثون ومئة قصيدة. ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه؛ وقد علمتُ أنّ أهل الكوفة يروون له أكثر ممّا نروي، ويتجوّزون في ذلك بأكثر من تَجُوّزِنا"**(٤).

ولا أملك من أمري في ما أوردتُه من شعر لعديّ بن زيد العِباديّ وللأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ مما رواه ابن الكلبيّ في الاعتبار واستحالة الخلود، إلاّ أن أُسَلِّم بصحة ذلك الشعر إليهما، بالرَّغْم من الشكّ الذي أثاره ابن سلاّم حول أشعارهما، وذلك لورود ذلك الشعر في ديوانيهما، فضلاً عن ما ردّه ابن هشام على ابن إسحاق الذي ذكر بيتاً للأسود بن يَعْفُر ونسبه إلى أعشى بني قيس بن ثعلبة، وهو قوله:

بـين الخَوَرْنَـقِ والسَّـديرِ وبـارقٍ والبيـتِ ذي الكَعبَـاتِ مـن سِـندادِ

إذ قال ابن هشام: **"وهذا البيت للأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ... في قصيدة له. وأَنشَدنيهِ أبو مُحْرِز خلف الأحمر:**

أهـل الخَوَرْنَـقِ والسَّـدير وبـارقٍ والبيت ذي الشُّرُفَـاتِ من سِنـدادِ"(٥)

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ص: ٢٠٤.

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ناصر الدين الأسد، ص: ٣٤٥، ٣٤٧.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ١١٧. اضطرب فيه: أي أحدث فيه ما شاء لما يُتَّهم به خلف الأحمر من وضع الشعر في شعر الأوائل (طبقات فحول الشعراء، ص: ١١٧: الحاشية ٤).

(٤) طبقات فحول الشعراء، ص: ١٢٣.

(٥) السيرة النبوية، ٩١/١.

وبعد، فما عَرَضْتُه من أقوال بعض العلماء بالشعر في المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب من حيث صحتها ونسبتها إلى أصحابها، إنّما هو محاولة لتوثيق تلك المرويّات، وذلك من خلال دراسة تلك الأقوال والأحكام ونقدها. وقد سَعَيْتُ في سبيل ذلك إلى التثُّبت من صحّة المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب في مصادرها المختلفة، واطمأننتُ في نهاية المطاف إلى أنّ ما ورد من تلك الأشعار في دواوين الشعر الجاهليّ وأُمّات الكتب الأدبيّة والتاريخيّة والجغرافيّة وغيرها من الكتب التي رَجَعْتُ إليها، هو صحيح النِّسْبَة إلى أصحابه، ما لم يرد ما يوجب ردّه وتركه مما نصّ العلماء بالشعر على ذلك، فيكون عندئذ مضطرباً أو منحولاً، وقد استَنَدْتُ في ذلك إلى رأي ابن سلام الجُمحيّ الذي يقول: **"وقد اختلف العلماء في بعض الشّعر ... فأمَّا ما اتّفقوا عليه فليس لِأَحَدٍ أَن يَخرجَ منه"**(١)*، ومعنى هذا أنّه لا يمكنني أن أقبل الطعون والشُّكوك التي أثارها بعض العلماء بالشعر وروايته في صِحَّة المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب، فإن ثبت لي شيءٌ من ذلك أخرجته من الصحيح إلى المُضْطَرِب أو المنحول من أشعار العرب.*

ثانيًا: الشِّعْر المُضْطَرِب:

هو الشعر الذي اضطرب العلماء واختلفوا في نسبته إلى شاعرٍ بعينه، فتراهم ينسبونه إلى شاعرين أو أكثر، ولعلّ هذا ممّا قد يوهم بالوضع والنَّحْل(٢)*، وقد ذكره ابن سلاّم الجُمَحيّ الذي قال عنه:* **"وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر، كما اختلفت في بعض الأشياء"**(٣)*.*

وقد يكون سبب الاضطراب في نسبة بعض الشعر الذي رواه علماء الأنساب إلى شاعرٍ معيّن ناجماً عن اختلاف المصادر التي استقى منها الرُّواة ذلك الشّعر(٤)*، وقد يرجع إلى أنّ علماء الأنساب لم يكونوا يَحْفَلُون بالأشعار إلاّ ليستشهدوا بها على ما يسوقونه من أنساب وأخبار، ولذلك قلَّ الاهتمام عندهم بالشّعراء لصالح الشعر نفسه، وقَلَّ التحقُّق من نسبة الشعر إلى أصحابه.*

وأعرض في ما يأتي الشعر الذي وقع فيه اضطرابٌ في نسبته إلى أصحابه مِمّا رواه علماء الأنساب:

١- أبو اليَقظان النَّسّابة:

- **أَلِمَالِكٍ طيبُ البِلادُ ورِعْيُهَا ... وَلِيَ الثِّمادُ ورِعْيُهُنَّ المُجْدِبُ**

  هذا لَعَمْرُكُمُ الصَّغارُ بعينِهِ ... لا أُمَّ لي إنْ كان ذاكَ ولا أَبُ

---

(١) طبقات فحول الشّعراء، ص: ٦.

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ناصر الدين الأسد، ص: ٤٧٥.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ٦.

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٤٧٦.

أنشدهما أبو اليَقْظان النسّابة لابن أحمر الكِنانيّ، وذكر البغداديّ أنّهما يُنْسَبان مع أربعة أبيات أخرى إلى ضَمْرَة أو هَمَّام بن مُرَّة أو زُرافة الباهليّ أو بعض مذحج أو هَنيّ بن أحمر أو عمرو بن الغول. وذكر الشجريّ أنّها لهمَّام بن مُرّة الشيبانيّ.

- **طـــال الثَّـــواء بمَـــأْربٍ وظَنَنْـــتُ أنّـــي غيـــر رائِـــمْ**
  مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عمـــروَ بـــن لَأْ يٍ حيـــثُ كـــان مـــن الأقـــاوِمْ
  فَلَـــرُبَّ بـــاكٍ مـــن بنـــي ذُهْـــلٍ وقاعـــدةٍ وقـــائِمْ
  ومُشَـــــقِّقاتٍ للجيـــــو بِ علـــيَّ كـــالبَقَر الحـــوائِمْ
  لا يمنعنَّـــكَ مـــن بُغـــا ءِ الخيـــر تَعقيـــدُ التَّمـــائمْ
  ولقـــد غَـــدَوْتُ وكنـــتُ لا أغـــدو علـــى واقٍ وحـــاتم
  فـــإذا الأشـــائم كالأيـــا مِـــن والأيـــامِنُ كالأشـــائِمْ
  وكـــذاكَ لا خيـــرٌ ولا شَـــرٌّ علـــى أحَـــدٍ بـــدائمْ

وقد أنشدَها أبو اليقظان النَسّابة لـخُزَز بن لَوذان السدوسيّ، ويعرف بالمُرَقِّم الذُّهْلِيّ، وأورد الأصبهانيّ في "الزَّهْرَة" الأبيات ٦-٨، وقال إنّها للمرقِّش السُّدوسيّ، وأوردها أبو العلاء المعرّيّ في رسالة الصّاهل والشَّاحج كاملةً، وزاد عليها بيتاً ولم ينسبها لأحد، وأوردها ياقوت الحمويّ ما عدا البيت الأوّل والثالث والرابع مع اختلاف بسيط في روايتها ولم ينسبها لأحد، وذكر ابن منظور الأبيات الخامس والسادس والسابع والثامن، مع اختلاف في رواية البيت الخامس، وقال إنّها للمُرقِّش السدوسيّ، ونسب البيت الثاني فقط لخُزَز بن لَوذان السدوسيّ.

٢- ابن الكَلبِيّ:

- **أمَـــرْتُكُمْ أمـــري بمُنْقَطَـــعِ اللِّـــوَى ولا أَمْـــرَ للمعصـــيّ إلا مُضَـــيَّعَا**

ذكره ابن الكلبيّ في كتابه جَمهرة النَّسب، ونسبه للتُّرجمان للعجم يوم ذي قار، ابن عمرو بن عائذ بن عامر بن ثَعلبة، وأورده في كتابه "أنساب الخيل" ونسبه مع أبيات أخرى للكَلْحَبَة العُرينيّ اليربوعيّ.

- **ألا يـــا عـــينُ جـــودي بانـــدفاقِ علـــى مُـــرْدَى قُضـــاعة بـــالعِراقِ**
  لقـــد تركـــوا علـــى البـــرَدَان قَبـــراً ونـــادَوْا بارتحـــالٍ وانطـــلاقِ
  فلـــو أبْقَتْـــكَ وانِيـــةٌ ومَجْـــدٌ وجَـــدٌّ صـــاعِدٌ لَوقـــاكَ واقِ

نسبها ابن الكلبيّ إلى عمرو بن الأسود الكلبيّ، ونسبها ياقوت الحمويّ إلى مكحول بن حارثة الكلبيّ مع اختلاف في ترتيبها ورواية بعض ألفاظها، وزاد عليها بيتاً آخر:

فمـــا الـــدُّنيا بباقيـــةٍ لحـــيٍّ ولا حَـــيٌّ علـــى الـــدنيا ببـــاقِ

- **ألا بَكَـرَ النّـاعي بَخيْـرَي بنـي أسَـدْ بعمـرو بـن مسـعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ**

لم ينسبه ابن الكلبيّ إلى شاعر معيّن، وذكر محقّق كتابه "جمهرة النَّسب" ناجي حسن أنّه لهند بنت معبد بن نَضْلَة، وقيل لامرأة من بني أسد.

- **أبْلِـغْ نُصَـيْحَةَ أنّ راعـيَ أهلهـا سـقط العِشـاءُ بـه علـى سِـرحانِ**

سَـقَط العَشـاء بـه علـى مُتقَمِّـرٍ لـم يُثْنِـهِ خَـوْفٌ مـن الحَـدَثانِ

نسبه ابن الكلبيّ إلى هُزَلَة بن مُعَتِّب الأزديّ، ونسبه ابن منظور إلى عبد الله بن عَنَمة الضَّبيّ، وصوابه "ابن عَنَمة" كما في المفضليّات، ص: ٣٧٩.

- **وقـد أَحمِـلُ الـرُّمْحَ الأصـمَّ كعوبُـه بـهِ مـن دمـاء القـومِ كالشَّـقِراتِ**

هذا البيت شديد الاضطراب؛ فقد نسبه ابن الكلبيّ إلى شَقِرة بن الحارث بن تميم، ونَسَبهُ ابن دريد إلى الحارث بن مازن، ونسبه ابن عبد البَرّ إلى شَقِرة بن معاوية بن الحارث بن عمرو بن تميم.

- **أســـالتني بركـــائبي ورحالهـــا ونســـيتَ قَتْـــلَ فـــوارس الأربـــاعِ**

وقع الاختلاف في تحديد اليوم الذي قيل فيه هذا البيت بين يوم الأحْرَمَيْن ويوم الرَّدْم ويوم الرَّزْمِ إن كان قبل الإسلام أو بعده، إلاّ أنّ الرّاجح أنّه يُنسب إلى الأجدع بن مالك الهَمْدانيّ.

- **وأفْلَـتَ يـوم الـرَّوْعِ أوسُ بـن خالـدٍ يَمُـجُّ دمـاً كـالزَّعْفِ مُختضِبَ النَّحْـرِ**

البيت ثابت النسبة إلى حسّان بن ثابت الأنصاريّ، ولكنّ الاختلاف وَقَع في اليوم الذي قيل فيه هذا البيت بين يوم الدَّرَك الذي وقَعَ في الجاهليّة بين الأوس والخزرج، ويوم اليرموك الذي وقع في الإسلام.

٣- مُصْعَب الزُّبيريّ:

- **ارفَـعْ ضـعيفَكَ لا يَحُـرْ بـك ضَـعْفُهُ يومـاً فَتُدْرِكَـهُ العواقـب قـد نَمَـى**

يجزيـكَ أو يثنـي عليـكَ وإنّ مَـنْ أثنـى عليـكَ بمـا فَعَلْـتَ كمَـنْ جَـزَى

نسب مصعب الزُّبيريّ هذين البيتين لورقة بن نوفل، ورواهما أيضاً الزُّبير بن بكّار من قصيدةٍ مكوّنة من عشرة أبيات للشاعر نفسه، ولكنَّ ابن قتيبة نسب البيتين لزهير بن جناب الكلبيّ، ونسبهما أبو الفرج الأصفهانيّ إلى سَعْيَة بن الغَريض اليهوديّ.

- **سـبحانه ثُـمَّ سـبحاناً يعـودُ لـه وقبـلُ سَـبَّحة الجـوديُّ والجُمُـدُ**

روى هذا البيت مع ستّة أبيات أخرى مصعب الزُّبيري والزُّبير بن بكّار مع اختلاف يسير في ترتيبها ورواية بعض ألفاظها لورقة بن نوفل، إلاّ أنّ هذا البيت وقع فيه الاضطراب، إذ رواه ابن سِيدة

لأميّة بن أبي الصَّلْت الثقفيّ، ورواه أبو حيّان لزيد بن عمرو بن نُفَيل، فهذا البيت من الشعر المُتَّهم حسب رأي محقّق ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت الثقفيّ.

- **لَهاشِـــمٌ وزُهَيْـــرٌ فَـــرْعُ مَكْرُمـــةٍ بحيـثُ لاحَـتْ نجـومُ الفَـرْغِ والأَسَـدِ**

مُجـاورُ البيـتِ ذي الأركـانِ بَيْتُهمـا ما دونَـهُ مِنْ نواحي البيتِ من أحَدِ

رواهما مصعب الزُّبيريّ من غير أن ينسبهما لشاعر مُعَيَّن، ونسَبهما الزُّبَير بن بَكَّار برواية مختلفة قليلاً عن رواية مصعب إلى ضِرار بن الخَطَّاب الفِهريّ على النحو الآتي:

لِهاشـــمٍ وزُهَيْـــرٍ فَـــرْعُ مَكْرُمـــةٍ بحيـثُ لاحَـتْ نجـومُ الفَـرْغِ والأَسَـدِ

مُجـاورُ البيـتِ ذي الأركـانِ بَيْتُهمـا مـا دونَـهُ فـي جوارِ البيتِ مِنْ أحَدِ

٤- الزُّبَيْر بن بَكَّار:

- **رَبَطْنـا دِيـاتٍ للملـوكِ سَـعَىَ بهـا سِـنانٌ وسَـيَّارُ بـن عمـروٍ فَأسْـرَعا**

ونحـنُ رَهَنَّـا القـوسَ ثُـمَّ افتكَكْتُهـا بـأَلْفٍ علـى ظهـرِ ابـن مُزْنَـةَ أقْرَعـا

نسبهما الزُّبَيْر بن بَكَّار إلى أرطاة بن سُهَيَّةَ المُرّيّ، ورواهما أيضاً بتقديم البيت الثاني على الأوّل وبلفظ مختلف – في موضع آخر من كتابه – لقُراد بن حَنَش الصارديّ:

يكلِّفُهـمْ مـا شـاءَ ثُـمَّ وَفَـوْا بهـا بـأَلْفٍ علـى ظَهْـرِ الفَـزاريّ أقرعَـا

بعشـرِ مِئـينَ للملـوكِ سَـعى بهـا ليُحمَـدَ سَـيَّارُ بـن عمـروٍ فأسْـرَعَا

ولم ينسبهما أبو اليَقظان النسَّابة لأحد، ورواهما بلفظ مختلف عن رواية الزّبير بن بَكَّار:

ونحـنُ رَهَنّـا القـوسَ ثُـمَّ تَخلَّصَـتْ بـأَلْفٍ علـى ظَهْـرِ الفَـزاريّ أقْرعَـا

بعشـــرِ مِئـــينٍ للملـــوكِ وَفاؤهـــا ليُحْمَـد سَـيَارُ بـن عمـروٍ فَأسْـرَعا

ورواهما أبو الفرج الأصفهانـيّ والبغداديّ لقُراد بن حَنَش الصارديّ بلفظ وترتيب مختلف عن رواية الزُّبير على النحو الآتي:

ونحـن رهَنَّـا القَـوْسَ ثُمَـتَ فُودِيَـتْ بـأَلْفٍ علـى ظَهْـرِ الفَـزاريّ أقرعـا

بِعَشْـر مئـينٍ للملـوك سَـعَى بهـا ليـوفِيَ سَـيَّارُ بـن عمـروٍ فأَسْـرَعا

- **إنّ الرَّزِيَّـــةَ لا رَزِيَّـــةَ مثلهـــا مـا تبتغـي غَطفَـانُ يـومَ أضَـلَّتِ**

يَبْغُـونَ خيـر النّـاسِ مَسّـاً واحـداً عَظُمَـتْ رزيَّتُـه الغـداةَ وجَلَّـتِ

إنّ الركـــابَ لتبتغـــي ذا مِـــرّةً بِجُنـوبِ نَخْـلٍ إذا الشُّـهورُ أُهِلَّـتِ

رواها الزُّبير بن بَكَّار لِزُهير بن أبي سُلْمَى في رثاء سنان بن أبي حارثة المُرّيّ، وقيل إنّما رثى بها حِصْن بن حُذيفة الفَزاريّ. ونسب ابن سلاّم الجمحيّ هذه الأبيات إلى قُراد بن حنش الصارديّ،

مُتَّهِماً زهير بن أبي سُلمى بنحلها، إذ يقول ابن سلاّم: "**فحدَّثني أبو عبيدة، قال: كان قُراد بن حَنَش من شعراء غَطَفان. وكان جيّد الشعر قليلَه، وكانت شعراء غَطَفان تُغير على شعره فتأخذه وتدّعيه، منهم زهير بن أبي سُلمى. ادّعى هذه الأبيات...**"(١).

ومع أنّ ابن سَلاَّم ذكر أنّ هذه الأبيات منحولة، إلاّ أنّ قوله مُرْسَلٌ غير مُعلَّل، وقد ذَكَرَ محقّق شعر زهير فخر الدين قباوة البيتين الأوّل والثالث فقط أنّهما من شعر زهير بن أبي سُلمى، لا مِن شعر قُراد بن حَنَش، مكتفياً بذكر خبر ابن سلاّم من غير تعقيب ولا تعليق(٢)، ولذلك رأيتُ أن أجعل هذه الأبيات في قسم الشعر المضطرب لا المنحول.

- **أبْلِغْ لديكَ بني أُمَيـ ... ـيَةَ آيةً نُصْحاً مُبينا**
  أَنَّا خُلِقنا مُصلِحيـ ... ـنَ وما خُلِقْنَا مُفْسِدِينا
  أنَّى أُعادي مَعْشَراً ... كانوا لنا حِصناً حَصِينا
  خُلِقوا مع الجوزاءِ إذْ ... خُلِقوا ووالِدُهُمْ أبونا

رواها مصعب الزُّبيريّ لأبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس، بينما شَكَّ الزُّبير بن بكّار في نسبتها إلى أبي العاصي، إذ يقول: "**فقال أبو العاص (العاصي) بن أميّة بن عبد شَمْس، أو غيره**"(٣)، *ممّا يدلّ على عدم وثوقه بنسبة الأبيات إلى أبي العاص.*

ثالثًا: الشعر المَنحول:

جاء في كتب اللغة في معنى المنحول قول العرب: "**نَحلَهُ القول يَنْحَلَهُ نَحْلاً نَسَبهُ إليه، ونَحَلْتُهُ القول أنْحَلُهُ نَحْلاً، إذا أضَفْتَ إليه قولاً قالـه غيره وادَّعَيْتَه عليه... ويُقال: نُحِلَ الشاعر قصيدةً إذا نُسِبَتْ إليه وهي من قِبَل غيره**"(٤)، والشعر المنحول هو الشعر الذي نُسِبَ إلى شاعرٍ ووُضِعَ على لسانه ولم يقله.

وقد أشار الجاحظ إلى الموضوع والمنحول من أشعار العرب على ثلاثة طرق؛ فَنراه ينسب الشّعر إلى شاعر بعينه، ثم يورد ما يُفيدُ الشكّ فيه، وهو حيناً يحكم على شعرٍ ما – على سبيل الجَزْم

---

(١) طبقات فحول الشعراء، ص: ٥٦٨.

(٢) انظر: شعر زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشَّنْتَمَرِيّ، تحقيق فخرالدّين قَبَاوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، ص: ١٦٣.

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤٣١.

(٤) الصِّحاح، الجوهريّ. ولسان العرب، ابن منظور: نَحَلَ.

واليقين – بأنّه موضوع مصنوع، ولكنّه لا يشفع ذلك الحكم بحُجّةٍ أو دليل، ونراه حيناً يحكم على شعر ما بأنّه منحول، ثم يورد من الحُجج والأدلّة ما يراه كفيلاً بإثبات رأيه(١).

وفصّل ناصر الدين الأسَد القول في المنحول من أشعار الجاهليّين، إذ ذكر أنّ "**العلماء بالروايـة والشّعر كانوا على اختلاف مدارسهم يجدّون في الجمع والاستقصاء، ثمّ في البحث والتّمحيص حَتّى يميّزوا الموضوع من الصحيح، فلا يحفلوا بالموضوع فيسقطوه من مرويّاتهم وكتبهم، أو يثبتوه وينبهّوا عليه**"(٢).

وقد ذكر ابن سلاّم الجُمَحيّ أنّ حمّاداً الرّاوية كان أوّل مَنْ جَمعَ أشعار العرب وساق أحاديثها، وكان غير موثوقٍ به، كان ينحل شعر الرجل غيره، ويَنحلُه غير شعره، ويزيد في الأشعار" (٣).

وذكر أبو الفرج الأصفهانيّ أنّ حمّاداً كان ينتحل الشعر الجاهلي ويدّعيه لنفسه(٤)، إذ ذكر عن رُواته أنّ حمّاداً الراوية "**قَدِمَ على بلال بن أبي بُرْدَةَ البصرة، وعند بلال ذو الرُّمَّة، فأنشده حَمَّاد شعراً مدَحَه به. فقال بلال لذي الرُّمَّة: كيف ترى هذا الشّعر قال: جيّداً وليس له. قال: فَمَنْ يقوله؟ قال: لا أدري إلاّ أنّه لم يَقُلْهُ. فلمَّا قَضَى بلال حوائج حَمَّاد وأجازه، قال له: إنّ لي إليك حاجة. قال: هي مقضيّة. قال: أنت قلتَ ذلك الشّعر؟ قال: لا. قال: فَمَنْ يقوله؟ قال: بعض شعراء الجاهليّة، وهو شعر قديم وما يرويه غيري. قال: فَمِنْ أين عَلِمَ ذو الرُّمَّة أنّه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهليّة من كلام أهل الإسلام**"(٥).

وثمّة خبر آخر رواه أبو الفرج يكشف عن براعة حَمَّاد في وضع الشعر، إذ نَقَلَ ما يُنسب إلى المُفَضَّل من تجريح حَمَّاد، وذلك قوله: "**وقد سُلِّط على الشعر من حمّاد الرّاوية ما أَفْسَدهُ فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإنّ أهل العلم يَرُدُّونَ مَنْ أخطأ إلى الصواب، لا، ولكنّه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبّه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويُحمَلُ ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالم ناقد وأين ذلك!**" (٦).

ولكنّ المبالغة والتناقض يظهران في الخبر الذي رواه أبو الفرج عن خلف الأحمر في قوله: "**كنت آخذ من حمّاد الرّاوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك منّي ويدخله في**

---

(١) انظر: كتاب الحيوان، ٢٤٦/٢، ٤٩/٣، ٦٨-٧٠، ٢٤٨/٤، ٢٤٩، ٣٣٥/٦، ٣٣٩ – ٣٤١، ٢٧٢-٢٧٦، ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٤٦٦.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ٤٠، ٤١.

(٤) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ناصر الدين الأسد، ص: ٤٤٢.

(٥) كتاب الأغاني، ٦٦/٦.

(٦) المصدر نفسه، ٦٧/٦.

أشعارها"[١]، *إذْ عدَّ ناصر الدين الأسد هذا الخبر بجملته زائفاً كونه* **"يتناقض مع ما قَدَّمْنا من رأي العلماء في حمّاد وهو أنّه كان عالماً بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشّعراء ومعانيهم، فكيف يكون علمه هذا إذا جاز عليه ما تزعمه هذه الرواية من منحول الشعر الذي كان يعطيه إيَّاه خلف؟ بل ثمة تناقض آخر: فقد مَرَّ بنا أنّ حمّاداً اتُّهم بأنّه – لكثرة علمه بلغات العرب وشعرهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم – كان يَنْظُمُ الشعر يشبّه به مذهب رجل ويُدخله في شعره ويُحْمَلُ عنه ذلك في الآفاق. ولكنّ هذا الخبر يصوّر لنا حَمّاداً ثقةً في ما يروي لأنّ خلفاً يعترف بأنّه كان يأخذ الصحيح من أشعار العرب؛ ثم إنّه يصوّر لنا حمَّاداً في صورة الجاهل الأحمق الذي يستجهله حتى تلميذه فيعطيه المنحول من الشعر فيقبله ويجوز عليه!"** [٢].

وأستخلص من ذلك أنّ الحكم على قصيدة أو مقطوعة أو بيت من الشعر الجاهليّ بأنّه منحول ليس أمراً هَيّناً،، وإنّما يحتاج إلى إجماع أهل العلم بالشعر وروايته على إبطاله، *استناداً إلى رأي ابن سلاّم الذي يقول في ذلك:* **"وليس لِأحدٍ – إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه – أن يُقْبَلَ من صحيفة ولا يُروى من صُحُفيّ"**[٣]. وأمّا أقوال العلماء المرسلة في شعرٍ ما بأنّه منحول من غير دليل كافٍ أو حجّة ظاهرة فأمرٌ لا يمكن قبوله، وقد ضربتُ على ذلك أمثلة عندما تناولت الشعر الصحيح في هذا الفصل؛ ومن ذلك ما ذكرته من اتّهام ابن الكلبيّ للأبيات التي استهلّ بها امرؤ القيس بن حجر معلقته بأنّها منحولة، وغير ذلك من أحكام بنحل الشعر الجاهلي من غير دليل.

- *** أقامَ فَخلَّى الظاعنينَ شَبيبُ ***

هذا الشطر من قصيدة كعب بن سعد الغَنويّ في رثاء أخيه أبي المغوار، وقيل إنّ اسمه شَبيب، إذ ذكر *القالي:* **"والمرثي بهذه القصيدة يكنّى أبا المِغوار، واسمه هَرِم، وبعضهم يقول اسمه شبيب، ويحتجّ ببيت رُوي في هذه القصيدة: * أقام فخلَّى الظاعنين شبيبُ * وهذا البيت مصنوع"**[٤]

وهذا الشطر من مرويَّات أبي اليقظان النسَّابة من قصيدة كعب بن سعد الغَنويّ، ومطلعها:

تقولُ سُلَيْمَى ما لِجِسْمِكَ شاحباً كأنّك يحميكَ الشَّرابَ طبيبُ

- **ووادٍ كجَوْفِ العَيْرِ قَفرٍ قَطَعْتُهُ به الذِّئبُ يعوي كالخليعِ المُعَيَّلِ**

---

(١) كتاب الأغاني، ٦٩/٦.

(٢) مصادر الشعر الجاهليّ، ص: ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) طبقات فحول الشعراء، ص: ٦. الصُّحُفيّ: "هو الذي يأخذ عن صحيفة، ولم يعرض ما أخذه على العلماء، ولم يتلقَّ علمه بالرواية" (المصدر السابق، ص: ٦: الحاشية ٢).

(٤) كتاب الأمالي، ١٤٤/٢.

رواه ابن الكلبيّ لامرئ القيس، وزعم السُّكري أنّه كذلك، إلاّ أنّ الراجح أنّه لتأبَّط شرّاً كما ذكر الرّواة، ومنهم الأصمعيّ وأبو حنيفة الدينوريّ وابن قتيبة، ورأى البغداديّ أنّ هذا الشعر أشبه بكلام اللصوص والصعاليك، وأمّا بيت امرئ القيس فهو قوله:

وخَـرْقٍ كجـوف العَيْـرِ قَفْـرٍ مَضِـلَّةٍ قَطَعْـتُ بسـامٍ سـاهمِ الوجـهِ حُسّـانِ

- **أنـت ابـن هنـدٍ فـأَخْبِرْ مَـنْ أبـوكَ إذَنْ لا يُصـــلـح المُلْـــكَ إلاّ كـــلُّ بَـــذّاخِ**

إن قلـتَ نَصْـرٌ فنَصْـرٌ كـان شَـرَّ فَتـىً قِـــدْماً وأبيضَـــهُمْ سِـــربالَ طَبَّـــاخِ

مـا فـي المعـالي لكـمْ ظِـلٌّ ولا وَرَقٌ وفـي المَخـازي لكـم أسـناخُ أسـناخِ

ذَكَر البغدادي أنّ ابن الكلبيّ كان على علم بالمنحول من أشعار العرب، ومن ذلك ذكره هذه الأبيات التي هجا طرفة بن العبد بها ملك الحيرة عمرو بن هند، إذ يقول: "**وأمّا قولـه: (إذا الرجـال شَتَوْا) إلـخ فهو من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند. ويُروى كذا [من البسيط]: .... الأبيات. مع أبيات أُخَر. قال ابن الكلبيّ: هذا الشعر منحول**"(١).

وقد أورد محقّقا ديوان طَرَفة هذه الأبيات في الصِّلَة التي اشتملت على ما نُسِبَ إلى طَرَفة من أشعار لم يروها الأعلم الشنتمريّ، وضَمَّتْ ما عَثَرا عليه في بطون الدواوين والمجاميع وكتب الأدب واللُّغة مما ليس عند الأعلم(٢)*، إذ قال الأعلم الشنتمريّ بعد تمام الديوان:* "**كَمُلَ جميع ما رواه الأصمعيّ وغيره من شعر طرفة**"(٣)*، فتكون أبيات طَرَفَة بذلك من منحول أشعار العرب كما ذكر ابن الكلبيّ.*

- **مَـنْ مُبْلِـغٌ عنّـي أُنَـيْسَ بـن جَنْـدَلٍ أخـــا طـــارقٍ والقـــولُ ذو نَفَيـــانِ**

فَـــلا توعـــدَنّي بالقتـــالِ فـــإنّني جَمَعْـــتُ ســـلاحي رَهْبَـــةَ الحَـــدَثانِ

---

(١) خزانة الأدب، ٢٣٧/٨–٢٣٨. وديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمريّ، ص: ١٥٠، ١٥١ (صلة الديوان). والشعر المنحول قضايا ونصوص، فضل بن عمّار العمّاريّ، ص: ١٣٨.

وقد ورد البيت الثاني برواية مختلفة، وهو قوله:

إذا الرجـــالُ شَـــتَوْا واشـــتدَّ أَكْلُهُـــمُ فأنـــت أَبيضُـــهُمْ سِـــربالَ طَبَّـــاخِ

ورواه الميدانيّ وابن يعيش وابن منظور والبغداديّ والزَّبيديّ من غير عَزْوٍ لقائل مُعَيَّن (مجمع الأمثال، الميدانيّ، ٨١/١. وشرح المفصّل للزمخشريّ، ابن يَعيش، قَدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١٢٤/٤. ولسان العرب، ابن منظور: بَيَضَ: "إذا الرجالُ استوَوْا ...". وخزانة الأدب، البغداديّ، ٢٣٠/٨. وتاج العروس، الزَّبيديّ: بَيَضَ). ورَواه المُرتَضى في أماليه من غير عَزْوٍ لقائل مُعَيّن على هذا النحو:

أمّـا الملـوكُ فأنـت اليـومَ الأَمْهُـمْ لُؤْمـــاً وأَبيضَـــهُمْ سِـــرْبالَ طَبَّـــاخِ

(أمالي المُرْتَضَى غُرَر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسويّ العلويّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م، ٩٢/١).

(٢) انظر: ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِيّ، ص: ١٨٩، ١٢ (المقدّمة).

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٢.

روى هذين البيتين ابن الكلبيّ لامرئ القيس بن حُجْر، إلاّ أنّني لم أجدهما في ديوانه، والراجح أنّهما للشاعر الجاهليّ عَميرة بن جُعَل التغلبيّ من قصيدةٍ عدد أبياتها اثنا عشر بيتاً كما أوردها المفضّل الضَّبّي، ومطلعها[١]:

ألا يا ديار الحيّ بالبَرَدَانِ خَلَتْ حِجَجٌ بعدي لهنّ ثَمانِ

- **أبْلِغْ جُذَاماً ولَخْماً إن عَرَضْتَ بهم والقوم يَنفعُهُمْ عِلْماً إذا عَلِمُوا**
  والقومُ عاملةُ الأَثْرَيْنَ قُلْ لَهُمُ قولاً ستَبْلُغُه الوَسَّاجةُ الرُّسُمُ
  لأنْتُمُ في صَميم الحقِّ إخْوتُنَا إذ يُخْلَقَ الماءُ في الأرحامِ والنَّسَمُ
  لَمْ أرَ مثلَ الذي يأتونَ جاءَ بهِ قومٌ يُذَرُّ على مختومِهم خُمَمُ

هذه الأبيات – أستثني منها البيت الأخير – ممّا نُحِلَ في العصر الأمويّ بهدف التقرّب إلى أمير العراق خالد بن عبد الله القَسْريّ في أيّام المروانيّين؛ إذ نحلها الناس الشاعر الجاهليّ أبا السِّمال الأَسَدِيّ[٢]*. وقد ذكر مصعب الزُّبيريّ راوي الأبيات أنّ بني أسد بن خُزَيمة أحدثوا هذا الشعر متقرّبين بذلك إلى قوم من جند الشام – فيهم من جُذام ولَخْم – كانوا مع خالد بن عبد الله القَسريّ الذي قَدِمَ أميراً على العراق*[٣]*، إذ يقول:* "**وقالوا: أنتم قومُنا! وأحدثوا هذا الشّعر إلاّ بيتاً منه: (لم أرَ مثلَ الذي يأتون جاء به)، فإنّه قديم، لا يُدرى لِمَنْ هو، ولا مَنْ عُنِيَ به**"[٤].

ويُظهر هذا الخبر خطر نحل الشّعر وأثره في تقرُّب بعض القبائل من الأمراء والولاة لنيل المكانة السياسيّة عندهم؛ إذ ترتبط السياسة بمعناها الضيّق بالعصبيّة القَبَليّة التي حملت العرب على نحل الشِّعر ووضعه[٥].

---

(١) المُفضَّليّات، ص: ٢٥٨–٢٦٠. قال البغداديّ: هو "عَميرة بن جُعَل بن عمرو بن مالك بن الحارث بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل، شاعر جاهليّ". البيت الأوّل: "فَمَنْ مُبْلِغٌ عنّي إياساً وجندلاً ... ". البيت الثاني: "فلا توعداني بالسّلاح فإنَّما ...". والمؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ١١٤: البيت الأوّل: "فَمَنْ مُبْلِغٌ عنّي إياسَ بن جَندلٍ ...". البيت الثاني: "فلا توعِدوني بالسّلاحِ فإنَّما ...".

(٢) انظر: الشعر المنحول قضايا ونصوص، فضل بن عمّار العَمّاريّ، ص: ١٠٩: الحاشية.

(٣) انظر: كتاب نسب قريش، ص: ٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٩.

(٥) انظر: في الأدب الجاهليّ، طه حسين، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٤م، هي: ١١٦. ومصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، ص: ٣٨٨.

الفصل الرابع
مرويّاتهم الشعريّة وقيمتها التاريخيّة

أولًا: الحياة الاجتماعيّة:

١ – الوَحْدَة القبليّة:

استقرّت قبائل العرب في الجزيرة العربيّة العدنانيّون منهم والقحطانيّون، واتّحدوا معاً في نظام قبليّ يقوم على أصل اشتراكهم في الدم والنَّسب(١)*، وعُرف ذلك النظام بـ العصبيّة القبليّة التي عَرَّفها ابن خلدون بأنّها* " **النُّعَرة على ذوي القربى وأهل الأرحام، أن ينالهم ضَيْم أو تصيبهم هَلَكَة**"(٢)*؛ وقد كانت أوطانهم بحسب هذا النظام تضيق بضيق الأرض التي تنزل فيها، فإذا رحلت عنها واستقرّت بأرض جديدة بحثاً عن الماء والكلأ والمرعى غَدتْ هذه الأرض هي الموطن الجديد الذي يتعيّن على أفراد القبيلة الاستماتة في الدّفاع عنه*(٣)*.*

وقد فَرضَتْ العصبيّة القبليّة على أفراد القبيلة التمسُّك بنظمها التي تحكمهم – إذْ هي الملاذ الآمِن لهم – وذلك حمايةً لأنفسهم وصوناً لأعراضهم وأموالهم، حيث لا حقّ يحمي الفرد غير حقّ العصبيّة القائم على أساس النسب والدم(٤)*، ولذلك آمن أفراد القبيلة بمضمون المثل المقول* " **في الجريرة تشترك العشيرة**"(٥)*. ولذا دعا الشعراء إلى نصرة أفراد القبيلة بعضهم بعضاً وإجابة الداعي إلى الحرب – ظالمين كانوا أم مظلومين – حمايةً للقبيلة من أعدائها؛ ومن هؤلاء الشعراء حُجَيَّة بن المضرّب الذي يقول* [من الطويل](٦):

أخــوك الــذي إن تَدْعُــهُ لعظيمــةٍ يُجِبْكَ وإن تغضبْ إلى السيف يَغْضَبِ

ويفتخر النابغة الذُّبياني بوَفْرة أنصاره من بطون قبيلته الأعلى ضِنَّة بقوله [من الطويل](٧):

حَــدِبَتْ علــيّ بطــونُ ضِــنَّةَ كلُّهــا إنْ ظالمــــاً فــــيهمْ وإنْ مظلومـــــا

وقد كانت العصبيّة القبلية ضيّقة في حدودها؛ فهي لا تتجاوز القبيلة الواحدة، وأحياناً لا تتجاوز حدود البطن من القبيلة الواحدة(٨)*، ولذلك كان التعصُّب للبطن يَطغى في كثير من الأحيان على التعصّب للقبيلة، وما الصِّراع والاقتتال بين بطون القبيلة الواحدة إلاّ دليلٌ دامغٌ على ذلك؛ وفي ذلك*

---

(١) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٢١/٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ٣٧/١. النُّعَرة، في أصلها اللُّغويّ: ذباب ضخم أزرق العين أخضر تدخل في أنوف ذوات الحافر خاصّة كالخيل والحمير، فتركب رأسها وتُهيّجها ولا يردّها شيء، ثم استعيرت عند الإنسان للدلالة على النَّخوة والأنَفة والكِبْر. وقال الأصمعي: قولهم وإنّ في رأسه لنُعَرة أي كِبْرا (الصِّحاح للجوهريّ، ولسان العرب لابن منظور: نَعَر).

(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥١٦/١، ٣٧٤/٤.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ٥١٣/١.

(٥) مجمع الأمثال، المَيدانيّ، ٧٣/٢.

(٦) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٣٠/١.

(٧) المصدر نفسه، ٤٣/٣. وديوان النابغة الذبيانيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٠٣.

(٨) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥١٦/١، ٤١/٧.

أُشير إلى ما وقع ما بين بطون قبيلة طيّئ وجلائهم عن جبلَي "أجا وسَلمى" في ما عُرِف بـ "حرب الفَساد"[١]*، وما وقع مِنْ اقتتال بين فرعي بني عامر بن صَعْصَعة: بني جَعفر بن كِلاب وبني أبي بكر ابن كِلاب بسبب سعد بن ضَبا الأسديّ*[٢]*، وكذلك ما وقع من قتال بين بني جعفر بن كلاب والضِّباب ابن كلاب ابني رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة يوم هَرامِيت*[٣]. وقد كان التعصُّب يشتدُّ أحياناً حتى يصل إلى الانحياز إلى أبناء العمومة من جدّ واحد.

ولعلَّ الأبيات التي قالها لَبيد بن ربيعة – ورواها الزبير بن بكّار – في المنافرة الشهيرة التي جرت بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثَة شاهدةً على ضيق العصبيّة القبلية واقتصارها على أبناء العمومة من الجد الأوّل؛ إذ يقول مخاطباً هَرِم بن قُطْبَة الفَزاريّ وقد تولّى الحكم في تلك المنافرة [من مشطور الرَّجَز][٤]:

يـا هَـرِمَ ابـن الأكـرمين مَنْصِـبَا

إنّـك قـد وَليـتَ أمـراً مُعْجَبـا

فـاحكم وَصـوِّب رأس مـن تَصـوَّبا

وعـامرٌ خيرُهُمـا مُرَكَّبـا

وعـامرٌ أدنـى لقـيسٍ نَسَـبا

إن كُنْـتَ تقتـافُ الأحـبَّ الأَقربَـا

فالشاعر لبيد بن ربيعة هو ابن عمّ عامر بن الطُّفَيل، وَجدُّهما الأوّل هو مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة. وعلقمة بن عُلاَثة يلتقي مع لَبيد بن ربيعة وعامر بن الطُّفَيْل في الجَدّ الثاني جَعفر بن كِلاب، وثلاثتهم ينتهون إلى قيس عيلان، ومع ذلك انحاز لبيد إلى ابن عمّه الأقرب عامر بن الطُّفَيل، وعدّه أقرب نسباً إلى قبيلة قيس مِن علقمة بن عُلاثة[٥]*، وكانت مناسبة المنافرة بين عامر بن الطُّفيل وعلقمة بن عُلاثة أنّهما تنافسا على زعامة بني عامر بعد أن كبر عامر ابن مالك مُلاعب الأسنّة – عمّ عامر بن الطفيل – وخَشي عامر بن الطفيل أن تؤول الرئاسة إلى*

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسيّ، ص: ٣٩٩.

(٢) انظر: كتاب النقائض، أبو عبيدة معمر بن المثنّى، ٥٣٣/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٩٢٧/٢. ومعجم البلدان، ٣٩٦/٥: يوم الهَراميت يوم كان فيه قتال بين الضِّباب بن كِلاب وبني جعفر بن كلاب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة بسبب بئر أراد أحد أن يحتفرها.

(٤) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٥٠. وشرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ، حَقَّقَه وقدّم له إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص: ٣٣١ (الأراجيز) مع اختلاف في ترتيب الأبيات وزيادة: "إن الذي يعلو عليها تُرتبا". تَقْتَافُ: تَتَّبِع، من "قاف الأثر يقوفه، واقتافه" أي تَتَّبَعَهُ (لسان العرب: قَاف).

(٥) انظر: الشّعر والشعراء، ابن قتيبة، ٣٣٤/١، وكتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ١٩٠/٦، ١٩٢، ١٥٥/٨.

علقمة؛ إذ كانت الرئاسة لجدّ علقمة الثاني الأحوص بن جعفر قبل أن تنتقل إلى عامر بن مالك(١)*، ولكنّ هَرِم بن قُطبة رفض أن يفضّل أحدهما على الآخر حتى لا يجلب العداوة إليهما – وهما ابنا عمومة – ويوقع بين الحيَّين شرّا*(٢)*. وروى الزُّبَير بن بكّار أنّ عمر بن الخطاب قال لهرم بن قطبة:* **"أيُّ الرجلين كان عندك أشرف؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو قلتها اليوم لمضَت! فقال له عمر: إلى مِثْلك فلتَستبضعْ الرجالُ أحلامها"**(٣).

ولمّا كانت العصبيّة القبليّة هي الرباط الذي يوثّق صلة افراد القبيلة أو بطونها بعضهم ببعض، فقد ارتفعت لدى بعض الشعراء – وهم ألسنة القبائل المعبّرة عن أحوالها في السلم والحرب – أصوات تدعو إلى الوَحدة القبليّة، وتُثني على مَنْ كان سبباً في تجميع القبائل من أجل مواجهة الأخطار المحيطة بها؛ ومن ذلك الشعر ما رواه ابن الكلبيّ والمصعب الزبيريّ لحُذَافة بن غانم العَدويّ يمدح به أبا عُتْبَة عبد العُزّى بن عبد المطّلب [من الطّويل](٤):

أبــا عُتْبَــةَ المُلْقــي إلــيَّ حِبــاءه ... أغـرَّ هجـانَ اللَّـون مـن نَفَـرٍ زُهْـرِ

أبــوكم قُصــيٌّ كــان يُــدعى مُجمِّعــاً ... بــه جمَــع اللهُ القبائــلَ مــن فِهْــرِ

أخــارجَ إمَّــا إنْ هَلَكْــتُ فَــلا تَــزَلْ ... لَهُـمْ شـاكراً حتّـى تَغيَّـب فـي القَبْـرِ

وكان سبب هذا المدح أنّ نفراً من قبيلة جُذام خرجوا من مكّة بعد أن أَدَّوْا مناسكهم، ففقَدوا صاحباً لهم، فلقوا حُذافة بن غانم العدويّ، فأخذوه رهينة وانطلقوا به معهم، ولاقَوا عبد المطّلب بعدما كُفّ بصره ومعه ابنه أبو عُتبة (أبو لهب)، فاستنجد حُذافة بهما، فطلب عبد المطلب من ابنه أن ينطلق فيأتي به، فانطلق وكَلَّم النَّفَر الجُذاميّين وضمن لهم لصاحبهم بماله وتجارته – إن أطلقوا حُذَافَة – فأَطلقوه(٥).

والشاعر يمدح بهذه الأبيات عبد المطّلب وابنه أبا عتبة، مُخاطباً أبا عتبة واصفاً عطاءه وجوده وفضله وفضل أبيه عليه في استرداد ولده من النفر الجُذاميّين الذين أسروه، قائلاً إنه رجل مشهور من

---

(١) انظر: كتاب الدِّيباج، أبو عبيدة معمر بن المُثنَّى، تحقيق عبد الله بن سليمان الجَربوع، عبد الرحمن بن سليمان العُثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص:٨٨، ٨٩.

(٢) انظر: كتاب الأغاني، ٢٠٠/١٦.

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٥١.

(٤) جمهرة النسب، ١٣/١. وكتاب نسب قريش، ص: ٣٧٥. وقد اكتفى ابن الكلبي برواية البيت الثاني، وفي كتاب نسب قريش: "أبوهم". الحِباء: ما يحبو به الرجل صاحبه (يعطيه إياه) ويكرمه به. الأغرّ: المشهور. الهِجان: الهِجان من الأشياء: أجودها وأكرمها أصلاً. النَّفَر: من ثلاثة إلى عشرة من الرجال. الأزهر: كلّ لَون أبيض صَافٍ مشرق مضيء (لسان العرب: حَبا، غَرّ، هَجُنَ، نَفَر، زَهَر) أبوهم: يعني جدّهم. فِهر: هو جدّ أعلى لِقُصيّ بن كلاب، وفِهْر هو قريش (جمهرة النسب، ٨/١، ٩) خارجَ: يعني خارجة، ولكنّه منادى مرخّم فحذَف التاء المربوطة على لغة مَنْ ينتظر كما تقول في: "أفاطمةُ": "أفاطمَ".

(٥) انظر: كتاب نسب قريش، المُصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٧٥.

رَهْطٍ كرامِ الأصل بيضٍ مشرقةٍ وجوهُهم، ويذكر *فضل جدّهم قُصيّ بن كلاب الذي كان يدعى "مُجمّعاً"، إذ جَمَع قبيلة قريش، وكان يقال لهم بنو النَّضْر*[١]، ثمّ يلتفت إلى ابنه طالباً منه أن يظلّ وَفِيّاً لرهط الممدوحين، شاكراً لهم أنْعُمَهم عليه وحُسْن صنيعهم له حتى يغيب تحت التّراب.

ونجد من الشعراء مَنْ عاب على السُّعاة من سادات العرب إلى تفريق بطون القبيلة في القبيلة الواحدة أو في قبائل شَتّى؛ لأنّ في ذلك تشتيتاً لجمعهم وإضعافاً لقواهم وعُراهم ورباطهم القبليّ؛ ومن ذلك ما قاله شاعر من بني الهُون بن خُزَيمة وهم "القَارَة" يستنكر على يَعْمُر بن الشُّدَّاخ الكِنانيّ ويَعيب عليه أنّه أراد تفريق قبيلته في بطون كِنانة [من الوافر][٢]:

دَعُونـــا قـــارةً لا تُنْفِرونـــا فَنَجْفِـــلَ مِثْـــلَ إجفـــالِ الظَّلـــيمِ

وقول الشاعر هذا دعوة لإعادة تجميع أفراد قبيلته ونَبْذٌ للفرقة والخلاف، إذ رأى في تفرّقهم ضَعفاً وتَشتُّتا، مُشَبِّهاً تفرّقهم وضعفهم بتفرّق ذكور النّعام وشرودها وفزعها عندما تواجهها الأخطار، *وقد وُصفت قبيلة القارة بَحذْقها ومهارتها في الرّماية*[٣]، *وفيها يقول القائل* [من الرَّجَز][٤]:

"قد أنصف القارة مَنْ راماها"

وذكر ابن الكلبيّ أنّ قُضاعة لمّا أجمعت أمرها على زُهير بن جَناب بن هُبَل الكلبيّ وعلى رِزاح ابن ربيعة بن حَرام العُذريّ، أخرج رِزاح العذريّ نَهْدَ بن زيد وجَرْم بن رَبَّان وحَوْتَكَة بن سُود، كُلَّهم مِن قضاعة، فألحق نَهْداً بلَيث، وألحق حَوتَكة بمُضَر، وألحق جَرْماً بمَذْحِج فحالفوهم، وصارت "جَرْم" تقبض العطاء مع الحارث بن كعب بن مَذْحِج[٥]، *وقد ساء ذلك زهير بن جناب الكلبيّ، فقال يلوم رِزاح العُذريّ في ذلك* [من الوافر][٦]:

ألا مَـــنْ مُبلِـــغٌ عنّـــي رِزاحـــاً فـــإنّي قـــد لَحَيْتُـــكَ فـــي اثنتـــينِ

لَحَيْتُـــكَ فـــي بنـــي نَهْـــدٍ وجَـــرْمٍ كمـــا فَرَّقْـــتَ بيـــنهُمُ وبينـــي

أحَوْتكَـــةَ بـــن أَســـلمَ إنّ قومـــاً عَنَـــوْكُمْ بالمســـاءة قـــد عَنَـــوْني

فالشاعر زُهير بن جَناب الكلبيّ يَعيب على رِزاح ويلومه مُعَنِّفاً إيّاه لتفريقه بطون القبيلة الواحدة وتشتيته إياهم في بطون قبائل شتّى يمنيّة وعدنانية؛ لأنّ ذلك قد جرّ عليهم الويلات؛ إذ فرّق بفعله بينه وبين قومه، وإنّ ما سيصيبهم من مساءة وما يلحق بهم من أذىً سيعنيه (الشاعر) أمرهم كما عَناه.

---

(١) انظر: جمهرة النسب، ابن الكَلبيّ، ١٣/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٣٧/١.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربيّ، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، ٧٦٦/٢.

(٤) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ٢٣٧/١.

(٥) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٧/٣، ١٨.

(٦) المصدر نفسه، ١٨/٣.

وقد استخدم الشاعر أداة الاستفتاح (ألا) ليدلّ بذلك على أهميّة الحدث وشدّة تأثّره به وتأكيده على معاني الغضب والانفعال والحزن في نفسه.

ونجد من الشعراء مَن عاب على قبيلته تخاذلها عن نصرة أبنائها كما نجد في شعر أبي طالب واسمه عبد مَناف، إذ كان أبو طالب سيّداً مطاعاً في قومه، ونَصَر ابن أخيه النبيّ محمّدًا – صَلَّى الله عليه وسلّم – واحتمل عداوة قبيلته قريش، ودعا منهم بني عبد شمس وبني نوفل إلى نصرته، فلم يجيبوه ووافقوا قُرَيْشًا (١)*، فقال أبو طالب يلومهم على تقصيرهم في نصرته* [من الطويل](٢):

تــوانى علينــا مَولَيانــا فأصــبحا ... إذا استُنْصِرَا قالا إلى غيرنا النَّصْرُ

أَخُصُّ خُصوصاً عبد شمسٍ ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما يُنبذُ الجَمْرُ

هما أشركا في الأمر مَنْ لا أبا له ... من الناس إلاَّ أن يُرَسَّ له نِكْرُ

ونجد مسافر بن أبي عمرو بن أميّة يدعو أبناء عمومته إلى نصرته وصون الأرحام في ما بينهم وبينه، ويَعُدُّ ذلك سبيلاً للدفاع عن قبيلته وحمايتها من عدوان القبائل الأخرى [من الطويل](٣):

تَمُــدُّ إلــى الأقصــى بثــديك كُلِّــه ... وأنــت عــن الأدنــى صَــرومٌ مُجــدَّدُ

فإنّكَ لو أصلحتَ مَنْ أنت مُفْسِدٌ ... تَــودَّدَك الأَقْصَــى الــذي تتــودَّدُ

وإنَّ ابــن عــمّ المــرء يحمــي ذِمــارَهُ ... ويَمنعُــه حــين الفــرائصُ تُرعَــدُ

فالشاعر يلوم ابن عمّه لتقصيره بحقّه تجاهه وتخلّيه عنه وتجاهل أواصر القُربى بينهما، واهتمامه بالبعيد عنه في النسب، مُشَبّهاً إيّاه بالناقة التي تَمُدُّ بثديها كلّه إلى غير ولدها لتُرضعه وتحرم ولدها من ذلك العطاء، مع أنّ ولدها أولى بعنايتها ورعايتها! وينصحه بأن يتودّد إلى ابن عمّه – ويبدو أنّه يعني نفسه – إذْ هو أولى من البعيد في اجتلاب المحبّة والودّ، وينصحه أيضاً بأن يُصلح ما فَسد بينهما من علاقة؛ وذلك لأنّه هو مَنْ سيدافع عنه ويحمي عِرضه عند الشدائد والمصائب.

ويمكن لمن ينظر في تكون القبيلة أن يميّز فيها بين ثلاث فئات اجتماعية: الصُّرَحاء، والمَوالي، والعَبيد. أما الصُّرحاء فهم في العُرْف القبليّ أبناء القبيلة الخُلّص من العرب الذين ينحدرون

---

(١) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، مؤرّج السدوسيّ، ص: ١٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة ذاتها. يُرَسَّ: يُثبَّت (المصدر نفسه، ص: ١٥: الحاشية).

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧. وكتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ١٣٦: البيتان الأوّل والثاني فقط: "على الأدنى" مكان "عن الأدنى". وقال المُصعب الزُّبيري: "وكان مسافر بن أبي عمرو بن أميّة من فتيان قريش وشعرائها.. وهو الذي يقول لأبي أُحَيْحَة سعيد بن العاص" (كتاب نسب قريش، ص: ١٣٥، ١٣٦). صَروم: لا لَبن له. مُجدَّد مقطوع (كتاب حذف من نسب قريش، مؤرّج السدوسيّ، ص: ١٣٧). الذِّمار: كل ما يلزم الرجل حفظه وحمايته والدفاع عنه، ويقال: هو حامي الذِّمار. الفرائص: جمع الفَريصة، وهي لَحمة عند الكتف في وسط الجنب عند مَنْبِض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع (لسان العرب: ذَمَر، فَرَص).

من صُلب جدّ القبيلة الواحد، وهم أصفياء في دمائهم لا تشوبهم شائبة، وتتمثّل العصبيّة القبيلة في هذه الفئة بأقوى معانيها، وتتكوّن منها الطبقة العُليا (الأرستقراطيّة)، وفيهم رياستها وبيوتات الشرف، ويجمع أبناؤها الشّرف مِنْ كِلا طرفيه: الآباء والأمّهات، فلا يكون فيهما ما يعيب ذلك الشرف وينقص مِنْ قَدْره[١]*؛ ولذلك افتخر امرؤ القيس بن حُجْر ببيت بني سُدوس بن الأصمع بن أبي عبيدة بن رَبيعة بن نصر بن سعد بن نَبْهان، وكان قَدْ نَزل على خالد بن سُدوس بن الأَصمع النَّبْهانيّ*[٢]*، فقال امرؤ القيس* [مِن الوافر][٣]:

إذا مـــا كُنْـــتَ مُفْتَخِـــراً ففَـــاخِرْ ببيـــتٍ مثـــلِ بيـــت بنـــي سُدوســـا

ويمكن أن تشتمل هذه الفئة على مَنْ دخل فيها بحِلف أو جوار، ويسمّى "نَسَب استلحاق"، والغالب أن يتحوّل نسب الاستلحاق إلى نسب صريح عندما تطول إقامة الدُّخَلاء بين مَنْ دخلوا بينهم، فتُنسَى أصولهم، ويأخذ أحفادهم نَسب مَنْ دخل أجدادهم فيهم[٤].

وأمّا الفئة الثانية "الموالي" فكانت تضمّ العُتَقَاء مِنْ العبيد الذين أَعتقهم سادتهم وخلّصوهم مِن العبوديّة، فارتبطوا بالقبيلة برابطة الولاء. وتضمّ أيضاً الأحرار مِن العرب الذين التجأوا إلى القبيلة أو إلى أحد أفرادها بعد أن خلعتهم قبائلهم أو تخلّوا هم عنها، فطلبوا نصرة القبيلة التي لجأوا إليها، ثم نَعِموا من بعد ذلك بحماية رئيس القبيلة أو بعض أصحاب النفوذ والسلطة فيها، وكانوا يسمّون أحياناً "الحُلَفاء". وتتوسَّط فئة الموالي بين الفئتين الأولى والثالثة؛ فالموالي عند العرب بين الأحرار والعبيد، إذ هم أدنى منزلةً من الأحرار وأرفع منزلةً من العَبيد[٥].

وأمّا فئة العبيد فكانت تتألّف من عنصرين: عنصر عربيّ، وهم الأسرى الذين كانوا يقعون في أيدي القبيلة في أثناء حروبها مع قبائل أخرى. وعنصر غير عربيّ، وهم الرّقيق الذين جُلِبوا مِن البلاد المجاورة للجزيرة العربيّة كالحبشة وغيرها، وكان التجّار يحملونهم ثم يبيعونهم في أسواق الجزيرة العربيّة شأنهم في ذلك شأن سائر السِّلَع، وانتشرت هذه التجارة في قريش، واشتُهِرَ منها مِنْ بني تَيمْ بن مُرّة "عبد الله بن جُدعان" الذي كان رئيس قبيلة قريش في حرب الفِجار[٦].

---

(١) انظر: تاريخ ابن خلدون، المقدّمة، ١/١٤٠-١٤٤. والمُفصَّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٤/٣٥٦. والشُّعراء الصعاليك في العصر الجاهليّ، يوسف خليف، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص: ١٠٣.

(٢) انظر: النَّسب الكبير، ١/٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذواتاهما. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٣٤٤.

(٤) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٤/٣٥٦.

(٥) انظر: تاريخ التمدُّن الإسلاميّ، جُرجي زيدان، ٤/٢١، ٢٤. ويشير ابن مَنظور إلى هذه الفئة بقوله: "والمَوْلَى الحَليف، وهو مَنْ انضمَّ إليك فعزَّ بعزّك وامتنع بمنعتك... والمَوْلَى المُعْتَق انتسب بنسبك" (لسان العرب: وَلِيَ).

(٦) انظر: تاريخ التمدُّن الإسلاميّ، جُرجي زيدان، مراجعة وتعليق حسين مُؤنس، دار الهلال، مصر، ١٩٠٥م، ٤/٢٠، ٢١.

وقد شَملت العصبيّة القبليّة فئات القبيلة جميعها: أبناءها الصُّرَحاء ومواليها وعبيدها والمُستجيرين بها، وصار يتعيَّن على كلّ هؤلاء المُنتمين إليها أن يتعصَّبوا لها ويذودوا عنها ويحرصوا على مجدها وشَرفها (١).

وكان لا بُدّ لكلّ قبيلة مِن سيّد أو رئيس يتولّى شؤونها، وهو المرجع والمسؤول عن أفراد القبيلة في السلم والحرب (٢)*، ويقال لسيّد القبيلة رئيس القبيلة. ورئيس القبيلة هو سيّد القبيلة، والرِّياسة هي السّيادة، ويقال فلان رأس ورئيس القوم* (٣)*، ورؤساء القبائل هم ساداتها والمُتولُّون لأمورها وشؤونها في جميع أحوالها* (٤).

والسيادة والرياسة من الألفاظ التي استعملها عرب الحجاز ونَجْد والعراق وبلاد الشام، وأمّا عرب الجنوب فقد استخدموا ألفاظاً أخرى بدلاً عنها. وقد يسعى ذلك الرئيس أو السيّد إلى جمع شمل جملة مِن القبائل ثمّ ترؤّسها، وقد يجعل مِنْ نفسه مَلِكاً عليها كما فعل ملوك كِندة من بني آل "آكل المُرّار" وغيرهم من الملوك (٥).

ويُقال أيضاً للسيّد "المُسوَّد" (٦)*، وتقول العرب "سيّد مُعَمَّم"؛ ويريدون بذلك* **"أنّ كلّ جناية يجنيها أحدٌ منْ عشيرته معصوبة برأسه. ويقال: بل السيّد منهم كان يعتمّ بعِمامةٍ صفراء لا يَعتمّ بها غيره"**(٧)*، وذكر ابن حبيب* **"أنّ أبا أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أميّة كان لا يعتمّ أحدٌ بمكّة بلون عِمامته إعظاماً له"**(٨).

وينبغي على رئيس القبيلة أو سيّدها أن يُلِمَّ بجملة مِن الصفات الحميدة والسَّجايا الطيّبة التي تُؤهّله لرئاسة القبيلة، وأهمّها الشرف والحِلم والكرم والشجاعة والنجدة وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج والضعيف، ويحتمل فوق ذلك كلّه أذى القبيلة وجرائرها، ولذلك قيل له "محتمل أذى قومه" (٩). *وينبغي*

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٣٩٥/٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٣٤٣/٤.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور: رأس.

(٤) انظر: المفصّل، ٤٤٣/٤، ٤٤٤.

(٥) انظر: المرجع نفسه، ٤٤٣/٤.

(٦) انظر: المرجع نفسه، الجزء والصفحة ذواتاهما.

(٧) عيون الأخبار، ابن قُتيبة، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصريّة، ٢٢٦/١.

(٨) كتاب المحبّر، ص: ١٦٥. وذكر ابن سعيد الأندلسيّ أنّه "كان يُقال له سَيّد البطحاء، وكان إذا اعتمَّ لا يَعتمُّ أحد على صورة عمامته إجلالاً له، ومَزيّةً لِعظَم قدره، ولذلك قيل:

أبو أُحَيْحَة من يعتمَّ عِمّتهُ يُضربْ ولو كان ذا مالٍ وذا عَدَدِ"

(نَشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب، تأليف أبي سعيد الأندلسيّ – ٦٨٥هـ، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، ٣٤٦/١). وأُحَيْحَة "تصغير أَحَّةٍ، وهو ما يجده الإنسان في قلبه مِنْ حرارة غيظ وحَزَن. والأحَّة والأُحاح واحد" (الاشتقاق، ابن دريد، ٧٨/١).

(٩) انظر: المُفصَّل، ٣٤٤/٤.

عليه أيضاً أن يضع بنفسه خُطط القتال لقبيلته، وأن يتقدّمهم في حروبهم وغزواتهم حتّى يصنع النَّصر والمجد لنفسه ولقبيلته، فهو رمز القبيلة ورمز نصرها وباعث الهِمَم في نفوس أبنائها، وإذا ما أُصيب بمكروه، أو جَبُنَ في القتال انهزمت قبيلته. ولأهميّته في مصير القتال كان الفُرسان مِن أعدائه يوجّهون كل قوّتهم نحوه ويحرصون على الفَتْك به لأنّه الروح المعنويّة للقبيلة(١).

ولأهميّة السّادة والرؤساء في حياة القبيلة في السلم والحرب فقد ذكره الشعراء في مَدحهم وهجائهم ورثائهم؛ ومن ذلك ما مَدح به امرؤ القيس بن حُجْر خالد بن سُدوس بن الأصمع النبهانيّ، ذاكراً أنَّ بيت بني سُدوس يَكثر فيه الرؤساء، ولا ينازعهم في مكانتهم تلك مُنازع، ولا يُزاحمهم فيها مُزاحِم، إذ يقول [من الوافر](٢):

إذا مـــا كنـــت مفتخـــراً فَفـــاخِرْ ببيـــتٍ مثـــلِ بيـــت بنـــي سُدوســـا
ببيـــتٍ توجـــد الرُّؤَســـاءُ فيـــه قيامـــاً مـــا تُـــدافَعُ أو جُلوســـا(٣)

ومن ذلك أيضاً ما مَدح به بشر بن أبي خازم الأسديّ بني زبان بن سيّار [من الطويل] (٥):

مَدَحْتُ بني العَلاَّتِ من رَهْط حَلْبَسٍ وزَيـــدٍ بمثـــل البُـــرْدِ غـــالٍ ثوابُهـــا
عَنَيْتُ بهـا الحُكّـام والمجلـس الـذي لـه مِـن ميـاه ابنـي سَـمِيٍّ عِـذابُها

---

(١) انظر: المفصّل ، ٣٤٥/٤.

(٢) النَّسب الكبير، ٢٥٣/١، ٢٥٤. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٣٤٤، ورواية البيت الثاني: "ببيتٍ تُبصَرُ الرؤساء فيه قياماً لا تُنازع أو جلوسا".

(٣) هكذا ورد البيت في نسب معد ٢٥٤/١.

(٤) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٥، ٦، ١٦. ولم ترد هذه الأبيات في ديوان بشر بن أبي خازم الأسديّ، وقال شارح الجمهرة ومحقّقها محمود محمد شاكر: "هذا الشعر الآتي لبشر بن أبي خازم الأَسَديّ في مدح بني زبّان بن سيّار، كما يستظهر مما سيأتي برقم :٢٢. وقد أَخَلّ بهذا الشعر ديوان بشر الذي طُبِعَ حديثاً، بتحقيق صديقنا الدكتور عزّة حسن، جزاه الله خيراً" (ص: ٥: الحاشية رقم ٢). بنو العَلاّت: هم بنو الرجل الواحد من أمّهات شتّى، فإذا كانوا من أمّ واحدة وآباء شتّى فهم "بنو الأَخياف". العَلَل: الشَّرْبَة الثانية بعد شَرْبَةٍ أولى. "حَلْبَس وزيد" لم يعرف المحقّق من هما. البُرْد: ثوب فيه خطوط، وخصّ بعضهم به الوَشْي. الثَّواب: الأجر والجزاء (لسان العرب: عَلّ، بَرَد، ثاب). ابنا سَمِيّ بن خالد، وهو أبو الأهتم يعني المِنقَريّ (الاشتقاق، ابن دريد، ٢٥١/١)، ولعلّه أراد عمرو بن جابر بن هِلال بن عَقيل بن سَمِيّ بن مازن بن فَزارة (الجمهرة، ص: ٥: حا٤، ص: ١٨: حا٦) العِذَاب: جمع العَذب، وهو الماء المُستساغ والطيّب الذي لا مُلوحة= =فيه. الثَّايا: جمع الثنيّة، وهي الطريق العالي في الجبل، وقيل هي العَقَبة، ومنه قولهم "طَلاّع الثنايا" إذا كان سامياً لمعالي الأمور. المَجْد: نيل الشرف، وقيل كَرم الآباء خاصّة. الكُهول: جمع الكَهْل، وهو الذي جاوز الثلاثين ووَخَطَه الشيب، وقد أراد الشاعر به الحليم العاقل (لسان العرب: عَذُبَ، ثَنى، مَجَد، كَهَل). صَفاراء: قال الزُّبير بن بكّار: هي ماء لبني سَيّار، ولم يجدها المحقّق في معاجم البلدان (الجمهرة، ص: ١٦ والحاشية ٣)، وكذلك بَحثْتُ عنها في معاجم البلدان ومعاجم اللغة فلم أجدها. القِباب: جمع القُبّة، وهي البناء من الأدَم خاصّة، والقُبّة مِن= =الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. أَصْعَدَ: ارتقى مشرفاً. الكِعاب: جمع الكَعْب، وكعب

وفـــي آل زَبّـــانِ بـــن ســـيّارَ فِتيـــةٌ يَـرونَ ثنايـا المجـد سَـهْلاً صِـعابُها
وجَـدْتُ الـذي قـال الحطيئـةُ فـيهمُ توارثـــه بعـــد الكهـــول شَـــبابُها[1]
تَـزين صَـفاراءَ الملـوكُ التـي بهـا وبُنيـانُ مَجْـدٍ لـم تُهـدَّمْ قِبابُهـا
إذا ما ارتَقَوا في سُلّم المجد أصعدوا بأقـــدام عِـــزّ لا تـــزولُ كِعابُهـــا
إذا مـــات مـــنهمْ سَـــيّدٌ قـــام سَـــيّدٌ بِحُلَّـــة عَصْـــبٍ لـــم يَخُنْـــهُ اكتســـابُها

فالشّاعر يمدح بني العَلاّت مِن رهط حَلْبَس وزَيْد بقصيدة مُزَيَّنةٍ مُنَمَّقَةٍ أجاد نَسْجها كما يجيد الحائك نسج الثوب النَّفيس، وقد قصد منهم حكّامهم ومجلسهم الذي ينهل شرابه مِنْ مياه عَذبة لابني سَمِيّ بن مازن بن فَزارة، وأنّه ألفى في آل زبّان بن سيّان فِتيةً يرتقون عالياً في سُلّم المجد ويرون الأمور الصعبة سهلةً ليّنةً. وقد وجد الشاعر ما قاله فيهم الحُطيئة صواباً، وأنّ شبابهم ورثوا عن كهولهم العِزّ والشّرف، وأنّ مياههم "صَفاراء" تزدان بما شَيَّده ملوكهم مِن بنيان مجد لم تهدّم مضاربها. ويقول إن هؤلاء الممدوحين إذا ما صعدوا في سلّم المجد والشرف ارتقوا مشرفين بأقدام ثابتة مستقرّة، وإذا مات منهم سيّد نهض سيّد آخر يكتسي بُردا يمانيّاً مَوْشِيّاً أُحْكِمَ غَزله وفَتْلُه مِن ثياب السادة وأهل الغِنى، وقد نال ذلك الشّرف باقتدار ولم تَخُنْهُ هِمّته وعزيمته.

ومن ذلك أيضاً بيتا الأعشى يهجو بهما عَلقمة بن عُلاَثَةَ ويمدح عامر بن الطُّفَيل في المُنافَرة التّي جرت بينهما [2]، إذ يذكر مكانتهما في قبيلتهما بني عامر بن صَعْصَعة بقوله [مِن السّريع][1]:

الإنسان، وهو العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم (لسان العرب: قَبَّ، صَعَد، كَعَبَ)، وقوله: "لا تزول كعابها" يعني: ليس بها ضَعْف أو عيب، لا تستقرّ معه ولا تثبت، من "زال يزول زوالاً" إذا قلق فلم يستقرّ (الجمهرة، ص: ٦: الحاشية ١). الحُلّة: ثوبان إزاء ورداء، وقيل: رداء وقميص وتمامها العِمامة، والحُلّة كل ثوب جيّد جديد تلبسه غليظ أو دقيق، ولا يكون إلاّ ذا ثوبين، وهي مِن برود اليمن. العَصْب: برود يمانيّة مَوْشِيَّة، وقيل هي برود مُخطّطة، والعَصْب أيضاً: الفَتْل (لسان العرب: حَلَّ، عَصَبَ). ويدلّ قوله: "حُلّة عَصْب" أي أنّه مِن لباس السادة، وأهل الغنى والثراء. وقوله: "لم يَخُنْهُ اكتسابها" يعني أنّه نالها اقتداراً، فلم تَخُنْه هِمّته (الجمهرة، ص: ٦: الحاشية ٢).

(١) والذي قاله الحُطَيئة فيهم أربعة عشر بيتاً، ورواها الزُّبير بن بكّار أيضاً، وفيها يقول:

هُمُ آل سيّار بن عمرو بن جابرٍ رجـالٌ وَفَـتْ أحلامُهُـمْ ولهـم جَـدُّ
إذا نـــازع الأقـــوامُ يومـــاً قنـــاتَهُمْ أبَـى لهـم المعـروفُ والحَسَـبُ العِـدُّ
أولئـــك قـــوم لـــن يَسُـــدَّ مكـــانهم شـــريكٌ إذا عُـــدَّ المســـاعي ولا وَزْدُ

(جمهرة نسب قريش، ص: ١٧، ١٨. وديوان الحُطَيئة برواية وشرح ابن السِّكّيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص: ٣٢٢).

(٢) انظر: جمهرة نَسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٥١. وديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ص: ١٨٩.

علقــمَ مــا أنــت إلــى عــامرٍ النـــاقضِ الأوتـــارَ والـــواترِ

سُـدْتَ بنــي الأحـوص لـم تَعْـدُهمْ وعـــامرٌ ســـادَ بنـــي عـــامرِ

فالأعشى يهجو علقمة بن عُلاثة وقد جعل نفسه نِدّاً ومُنافِساً لعامر بن الطُّفيل، ويرى أنّه لا يشبهه في شيء ولا يقاس به في أي حال مِنْ أحواله في قبيلته. ويمدح الشاعر عامر بن الطفيل بأنّه تجمَّعَتْ لديه صِفات سيّد القبيلة؛ إذ إنّه يأخذ ثأره في أعدائه حيناً، ويترك ثأره فيهما حيناً آخر إذا كان غالباً مقتدراً. ويقول إنّ المهجّو علقمة اقتصرت سيادته في قومه على رَهْطِه الأقربين بني جدّه الأحوص، بينما عامر فاقه في سيادته قبيلته بني عامر بن صعصعة كلّها، وكلاهما من القبيلة نفسها.

ومِنْ رثاء السادة قول هند بنت معبد بن نَضْلَة ترثي عمرو بن مسعود وخالد بن المُضَلَّل اللذَيْن كانا نديمين للنعمان بن المنذر بن ماء السّماء، فأمر بقتلهما ثم نَدِم عليهما وحَزِنَ حزناً شديداً، ثمّ بنى على قبريهما الغَرِيَّيْن (٢)*، وفيهما تقول* [من الطّويل](٣):

ألا بَكـرَ النـاعي بِخَيـرَيْ بنـي أسـد بعمـرو بـن مسـعودٍ وبالسـيّدِ الصَّـمَدْ

---

(١) جمهرة نسب قريش، ص: ٥١. وديوان الأعشى، ص: ١٩١: "لا لَسْتَ" مكان "ما أنتَ". علقمَ: منادى مبني على الضمّ على التاء المحذوفة على لغة مَن ينتظر في محل نَصْب. الأوتار: جمع الوِتْر، وهو الثَّأْر. نقَضَ وِتْرَه: أي أخذ ثأره. الواتِر: الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء. الأحْوَص: هو جدّ علقمة. عامر: هو عامر ابن صعصعة، وهو الجدّ الأكبر الذي يلتقي عنده عامر بن الطُّفيل وعَلقمة بن عُلاثة وبقيّة الفروع الأخرى (لسان العرب: وَتَرَ، نَقَضَ. وديوان الأعشى، ص: ١٩١: الحواشي).

(٢) الغَرِيَّان: موضعان معروفان بالكوفة (معجم البكريّ، ٩٩٦/٣)، وسُمِّيا بذلك "لأنّ النُّعمان أمر بإبل فنُحِرَت على قبريهما، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما" (كتاب الأغاني، ٦٦/٢٢).

(٣) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ٢٥٩/١: وقيل إن هذا البيت لامرأة من بني أسد (الحاشية). وكتاب الأغاني، الأصفهانيّ، ٦٦/٢٢: "خير" مكان "خَيرَي". ومعجم ما استعجم، البكريّ، ٩٩٦/٣. الصَّمَد: "السيّد المطاع الذي لا يُقضى دونه أمر، وقيل الذي يُصْمَد إليه في الحوائج، أي يُقْصَد (لسان العرب: صَمَدَ).

٢- قيم خُلُقيّة مُتَوارَثة:

تشكّل القيم في حياة العرب قبل الإسلام لَبِنَةً رئيسيّة؛ فهي التي تضبط سلوك الأفراد والجماعات، وهي التي تؤثّر في حياتهم تأثيراً إيجابيّاً وسلبيّاً، وتشكّل لديهم منظومة الأخلاق وتُسهم في تهذيبها. *والقِيَم مفردها قِيمة، وتُطلق في الأصل –كما أقرّها علماء اللُّغَة – على ثمن الشيء وقَدْره، وأصل الياء واو (قِوْمَة)؛ لأنّه يقوم مقام الشيء. والقيمة أيضاً ثمن الشيء بالتقويم، ويقال: ما له قيمة، إذا لم يَدُم على الشيء، ولم يثبت، وهذا من باب المَجاز*[١]. *ويقال:* **"تقاوموه في ما بينهم. وإذا انقاد الشيء واستمرّت طريقته فقد استقام لوجهه.. قال ابن بِرّي: والقائم على الشيء الثابت عليه، وعليه قوله تعالى: (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) أي مواظِبَةً على الدين ثابتة، يقال: قام فلان على الشيء إذا ثبت عليه وتمسَّكَ به"**[٢].

والقِيم اصطلاحاً هي **"كلّ ما يتمسّك به فرد أو فئة اجتماعيّة. من ذلك أنّ الحريّة هي من القيم الديمقراطيّة. وبهذا تدلّ اللفظة على معنى نِسبيّ حسب الأشخاص والجماعات... وحسب هذا المفهوم تطلق لفظة القيمة على كلّ ما يقترب من النموذج المثاليّ للخير في كلّ مذهب من المذاهب الفلسفيّة"**[٣].

وينبع مفهوم القيم بالأصل من الذات الإنسانيّة ويتأثّر بها، ويختلف بتنوّع الأشخاص والمواقف، ويرتبط بمدى تحقيق الأفراد أو الجماعات لحاجاتهم أو سعيهم لإرضائها؛ فعلى سبيل المثال يمكن القول إنّ قيمة جرعة من الماء في الصحراء تطغى على قيمة جوهرة ثمينة؛ وذلك لأنّ قيمة الحياة لدى ذلك الفرد في الصحراء أكبر كثيراً من القيمة الجماليّة للجوهرة الثمينة والتي لن يستطيع إدراك حقيقتها من خلال مشاعره وشخصيّته[٤].

ويمكن القول إنّ مفهوم القِيَم حسب التعريفين اللّغوي والاصطلاحيّ اللذين قَدَّمْتُهما يدلّ على الشيء الذي له قدر وثمن معنويّ، ويفيد الاستمرار والدوام والثبات في حياة الأفراد والجماعات، ويرتبط ذلك بمدى سَعيهم للتمسُّك به وتحقيقه.

أَمّا الخُلُق فيعني الخليقة أي الطبيعة، والجمع أخلاق. والخُلْق والخُلُق – بسكون الميم وضَمّها – السَّجِيَّة، وهي ما خُلِقَ عليه الإنسان من الطَّبْع[٥]. *ويَرِد لفظ الخُلُق بمعنى الدّين والطبع والسَّجِيّة،* **"وحقيقته أنّه صورة باطنة للإنسان، وهي نَفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخُلق**

(١) انظر: الصِّحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزَّبيدي: قَوَم.
(٢) لسان العرب، ابن منظور: قَوَم. وسورة آل عمران، الآية ١١٣.
(٣) المعجم الأدبيّ، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص: ٢١٧.
(٤) انظر: المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
(٥) انظر: الصّحاح، ولسان العرب، وتاج العروس: خَلُقَ.

لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة. والثواب والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرة."(١)

" والخُلُق يأتي بمعنى العادة التي يعتادها الإنسان ويأخذ نفسه بها على مقدار بعينه. فإذا زال عنه إلى غيره قيل: تَخلَّق بغير خُلقه"(٢)*، وهو أيضاً* **"العادة والطبيعة والدّين والمروءة، والجمع الأخلاق"**(٣)*؛ ولذلك ورد لفظ الخُلُق في القرآن الكريم في قوله تعالى:* ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٤) *بمعنى الطبيعة*(٥)*، وقوله تعالى:* ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾(٦) *أي عادتهم*(٧)*. وفي حديث عائشة – رضي الله عنها – :* **"(كان خلُقه القرآن) أي أنّه – صَلَّى الله عليه وسلم – كان مُتمسّكاً به، وبآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف"**(٨).

ويُعرّف الخُلق اصطلاحاً بأنه **"مجموعة العادات والعواطف والمُثل التي تُميّز الفرد وتجعل أفعاله ثابتة نسبيّاً، ويمكن توقُّع صدورها عنه"**(٩)*، وهو* **"مَلَكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدُّم فكر وروية وتكلُّف. فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحالم لا يكون خُلُقاً. وكذا الراسخ الذي يكون مبدأً للأفعال النفسية بِعُسْر وتأمّل كالبخيل إذا حاول الكرم، والكريم إذا قَصد بإعطائه الشُّهْرة. وكذا ما تكون قدرته إلى الفعل والترك على السّواء"**(١٠).

ويقترب هذا المعنى الاصطلاحيّ للخلق ممّا قرّره الجُرجانيّ الذي يقول: **"الخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة، يصدر عنها الأَفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر ورَويّة، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأَفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُمّيت الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيّئاً، وإنّما قلنا إنّه هيئة راسخة؛ لأنَّ مَنْ يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال خُلُقه السّخاء ما لَمْ يَثْبُتْ ذلك في نفسه، وكذلك مَنْ تكلّف السكوت عند الغضب بجهد أو رَوِيَّة لا يقال خلقه الحِلْم. وليس الخُلُق**

---

(١) لسان العرب: خَلُقَ.

(٢) الفروق في اللغة، أبو هلال العَسكريّ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م، ص: ١٢٩.

(٣) كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد علي التَّهانويّ، ترجم النصوص الفارسيّة عبد النعيم محمّد حسنين، راجعة أمين الخولي، المؤسسة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣م، ٢٢٧/٢.

(٤) سورة القلم، الآية الرابعة.

(٥) انظر: لسان العرب: خَلُقَ

(٦) سورة الشعراء، الآية ١٣٧.

(٧) انظر: تفسير الكشّاف، الزمخشريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٤٧م، ٣٢٧/٣.

(٨) تاج العروس، الزَّبيديّ، خَلُقَ.

(٩) معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤م، ص: ١٦٢.

(١٠) كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التّهانوي، ٢٢٧/٢، ٢٢٨.

عبارة عن الفعل، فربّ شخص خُلُقه السَّخاء ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربّما يكون خُلُقه البخل وهو يبذل لباعثٍ أو رِياء"(١).

ويمكن أن نُفهم من نَصّ الجرجانيّ أنّ الكرم صفة راسخة في نفس صاحبها، وأمّا الفعل الصادر عن تلك الصفة، وهو البذل والعطاء، فهو سلوك ناجم عنها (٢)، وكذلك يمكن القول إنّ الشجاعة صفة راسخة في نفس الشُّجاع، وأمّا الفعل الصادر عن تلك الصّفة، وهو الإقدام وخوض القتال فهو سلوك ناجم عنها.

إذاً يستفاد من المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ للخُلقُ أنّه عادة وطبيعة ثابتتان في نفس الإنسان، وتصدر عنهما أفعاله بلِين ويُسْر ودون أي مشقّة أو تكلُّف أو تَأمّل وتفكير؛ وأضرب على ذلك مثالاً بحاتم الطائيّ الذي يُعدّ كرمه صفة راسخة في نفسه، وأمّا إكرامه لضيوفه فهو سلوك ناجم عنها، ولذلك لم يتردّد في نحر ناقته "أفعى" التي لم يجد غيرها ما يُطعم به ضيوفه الذين قَصَدوه في سنة مُجْدِبة، *إذ يقول* [من الطويل](٣):

ولمّا رأيتُ النّاسَ هرَّتْ كلابُهُمْ ضَرَبْتُ بسيفي ساق أفعى فَخرَّتِ

ولأنّ الكرم صفة راسخة في نفس حاتم لم يكترث بلوم زوجته إيّاه عندما نحر فرسه أيضاً ليطعم جارته وصِبيتها الصّغار حرصاً على عادته في إكرام ضيوفه، إذ يقول [من الطويل](٤):

وقائلةٍ أهْلَكْتَ في الجود ما لَنا ونفسَك حتى ضرَّ نفَسك جُودُها

فقلتُ دعيني إنّما تلك عادةٌ لكلّ كريم عادةٌ يستعيدها

والأخلاق " **تبحث في ما ينبغي أن يحوزه الإنسان من قِيم الخير وأفعاله، وما يجتنبه من مساوئ الشرّ وأوضاره، وتهدف إلى تحديد الغاية النهائيّة للحياة، وتُقدّم المعيار الذي نعود عليه للحكم على الأفعال. وهي تُقسم إلى قسمين: الأخلاق العمليّة، وتبحث في ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من صفات خلال حياته اليوميّة مثل العفّة والشجاعة والكرم والصدق. والأخلاق النظريّة، وتبحث في المبادئ الكليّة النَّاظمة لسلوك الإنسان في كلّ زمان ومكان مثل حقيقة الخير المُطلق وفكرة الفضيلة"**(٥).

---

(١) كتاب التعريفات، الجُرجانيّ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م، ص: ١٠٦.

(٢) انظر: العقل الأخلاقيّ العربيّ، دراسة تحليلية لنظم القيم في الثقافة العربيّة، محمد عابد الجابريّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، ص: ٣٣.

(٣) ديوان حاتم الطائيّ، شرح أبي صالح يحيى بن مُدْرِك الطائيّ، ص: ٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

(٥) الأخلاق في النقد العربيّ من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجريّ، غسّان إسماعيل عبد الخالق، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص: ١٨، ١٩. أوضاره: جمع وَضَر، وهو الوَسَخ من الدَّسَم أو غيره (لسان العرب، ابن منظور: وَضِرَ).

آ- الكَرَم:

يعدّ الكرم من أسمى القيم الخلقيّة النبيلة التي اتَّصف بها العرب قبل الإسلام إن لم يكن أعظمها على الإطلاق؛ وذلك لأنّ الكَرَم اسم جامعٌ لكلّ ما يُحمَد، إذْ يشتمل على أنواع وصفات عديدة في الخير والشرف والفضيلة، وهو بذلك يتجاوز بمفهومه البذل والعطاء، وهو نقيض اللُّؤم(١)، وليس نقيضاً للبخل كما يظن كثير من الناس. *قال ابن سِيدة:* "**الكَرم نقيض اللؤم، ويكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء**"(٢).

وذكر علماء اللغة أنّ الكرم ينقسم إلى ثلاث مراتب، وهي: السَّخاء والجود والإيثار؛ فالسَّخاء أن يعطي المرء أقلّ ما عنده ويمسك الأكثر. والجُود أن يعطي أكثر ما عنده ويُمسك الأقلّ. أما الإيثار فهو أن يعطي كلّ ما عنده من غير أن يمسك شيئاً، وهذا أشرف درجات الكرم(٣).

ويُعَبَّر عن السَّخاء أحياناً بالنَّدى، إذ يُقال: هو نَديّ الكفّ إذا كان سَخِيّاً (٤)، *وقد عُرِفَ طلحة بن عبد الله بن عوف بـ "طلَحة النَّدى" أي السَّخِيّ الكريم*(٥)؛ *إذ نجد الكرم من الصفات التي تَغَنَّى بها الشعراء الجاهليّون في أشعارهم، فهذا الأعشى الكبير يمدح بطناً من بطون كلب "بني العُبَيد" ورهط جبّار بن قُرْط وحارثة بن زيد، كما يهجو عمرو بن ثعلبة بن الحارث القُضاعيّ – وهو من كلب أيضاً – بقوله* [من الوافر](٦):

بنو الشهر الحرام فلستَ منهم ولستَ من الكِرام بَني العُبَيْدِ
ولا من رَهْط جَبّار بن قُرْطٍ ولا مِنْ رهط حارثةَ بن زَيْدِ

قال الكلبيّ: "**وهؤلاء كلّهم من كَلْب**"(٧).

وقد كان الكرم ضرورة من ضرورات حياة العرب التي كانت كثيراً ما تتعرّض للظروف الجغرافيّة القاسية التي قد تُهلك الزَّرع وتُجفّف الضَّرْعِ إذا ما حلَّ بأرضهم جفاف لفترة طويلة(٨). *وقد حَفظت لنا كتب الأدب والتاريخ أسماء عدد من الأجواد الذين عُرِفوا واشتُهِروا بفضل بَذْلهم وعطائهم للضيوف*

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور: كَرُمَ.
(٢) المصدر نفسه، والمادّة ذاتها.
(٣) انظر: نهاية الأرَب في فنون الأدَب، النُّويريّ، ٢٠٤/٣.
(٤) انظر: تاج العروس، الزّبيديّ: نَدا.
(٥) انظر: كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٢٧٣. "هو طَلحة بن عبد الله بن عَوف بن عبد عَوف، وكان من سَروَات قريش، وهو مِنْ وَلَد زُهرة بن كلاب".
(٦) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١٦/٢، ٣٦٣، ٣٦٥. وديوان الأعشى الكبير، ص: ٢١٥. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٧/٩: "بني عُبَيْدِ" مكان "بني العُبَيْد".
(٧) كتاب الأغاني، ٨٨/٩.
(٨) انظر: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاريّ في تاريخ العرب قبل الإسلام، لطفي عبد الوهاب يحيى، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ٣٥٩/١.

والمحتاجين وعابري السَّبيل؛ إذْ قال أبو عبيدة: " **أجواد العرب ثلاثة: كعب بن مامة (الإياديّ)، وحاتَم الطائيّ (وكلاهما ضُرِبَ به المثل)، وهَرِم بن سِنان صاحب زهير بن أبي سُلمى**"(١). وذكَرْتُ في ما سبق شعراً لحاتم الطائيّ ممّا رواه ابن الكلبيّ يفخر فيه بإطعام ضُيوفه وعياله، وهذه مقطوعة أخرى يرثي فيها قريبه مِلحان بن حارثة بن سعد بن حَشْرَج مشيداً بكرمه وحسن فِعاله، *إذْ يقول* [من الطويل](٢):

لِيَبْكِ على مِلحانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ ... وأرملةٌ تُزجي مع الليل أرْمَلا
إذا ارتحلا لم يجدا بِيتَ ليلةٍ ... ولم يلبسا إلاَّ بِجاداً وخَيْعَلا
وأوصَيْتَني أن أرفع الظنّ صاعداً ... وَصاتَكَ واستودِعْتَ تُرْباً وجَنْدلَا
فلا انفَكَّ رَمْسٌ بين أَضْرُعَ فاللِّوى ... يَصُبُّ عليه الله وَدْقاً مُجَلَّلَا

فالشاعر حاتم الطائيّ يطلب – مستخدماً صيغة الأمر – من ذلك الضَّيف الذي تدافعه الحيّ ولم يجد مَنْ يُضيفه غير المرثيّ "مِلحان" أن يبكي عليه، كما يطلب من تلك المرأة الفقيرة المحتاجة وزوجها المسكين العاجز الذي كانت تسوقه أن يبكيا عليه أيضاً. ويقول إنّ هذين الأرملين إذا ارتحلا – وقد لبسا أخشن الثياب وأردأها – لم يجدا قوت ليلتهما. ويخاطب المرثيّ كما لو كان حيّاً أنّه – المرثيّ – أوصاه بأن يحسن الظنّ في كلّ مَنْ يطرق بابه، ثم استودِعَ في قبره تحت التراب والحجارة بين أضرع واللِّوَى. ويدعو له بأن تظلّ سُحب السماء تسقي قبره بالمطر المنهمر وتَعُمُّه بالخير الوفير جزاءً لكرمه ورحمة به، وقد تحوّل الشاعر من صيغة المخاطب في قوله (أوصيتَني، استودعتَ) إلى صيغة الغائب في قوله (يصبّ عليه)، وذلك ليؤكّد حقيقة موته ويُقِرَّ بها بعد أنْ خاطبه كأنّه حيّ، داعيًا بالسُّقيا على قبره على عادة الشعراء القدماء.

---

(١) الشعر والشعراء، ابن قُتيبة، ٢٤١/١.

(٢) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢٣٧/١: البيت الأوّل فقط. وديوان حاتم الطائي، شرح أبي صالح يحيى بن مدرك الطائيّ، ص: ١٢٠: الأبيات جميعها: ضيف مُدَفَّع: أي يتدافعه الحيّ، يُحيله كلٌّ إلى الآخَر. أرملة: امرأة محتاجة مُعْوِزة، وكذلك أرمل. تُزجي: تسوق، والتزجية دفع الشيء كما تُزجي البقرة ولدها، أي تسوقه، ويعني الشاعر بهذا أنّ تلك الأرملة تسوق زوجها بين يديها على ضعف منه وعجز عن المشي. البِيت: القُوت. البِجاد: كساء مخطَّط من أَكْسِيَة الأعراب. الخَيْعَل: القميص الذي لا كُمَيّ له. الجَنْدَل: الصّخر الضَخم، وجمعه الجنادل. الرَّمْس: القبر. الوَدْق: المطر كلّه شديده وهيّنه، وقد وَدَق يَدِق وَدْقاً أي قَطَر. المُجلَّل: السحاب الذي يُجلّل الأرض بالمطر أي يَعُمّ (لسان العرب، ابن منظور: دَفَع، رَمَل، زَجا، بَيَت، بَجَد، خَعَل، جَنْدَلَ، رَمَس، وَدَق، جَلَّلَ).
أَضْرُع (بضم الراء): موضع بين المدينة والعراق، وقال ثعلب: هي جبال أو قارات، وقيل قارات بِنَجْد، وقد ذُكِرَ هذا الموضع في شعر الراعي النُّميريّ. أمّا أَضْرَع (بفتح الراء)، وجمعها الأضارع: اسم بركة مِن حفر الأعراب في غَربيّ طريق الحاجّ (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢١٤/١. ومعجم ما استعجم، البكريّ، ١٣٩١/٤). اللِّوَى: هو في الأصل منقطع الرَّمْلَة، وهو موضع مُعَيّن أكثر الشعراء من ذكره، وهو وادٍ من أودية بني سُلَيم، كانت فيه وقعة لبني ثعلبة على بني يربوع (معجم ما استعجم، البكريّ، ٢٣/٥).

وهذا الهُذَيل التغلبيّ يمدح خالد بن مالك بن رِبعيّ من بني نَهْشَل بن دارم التميميّ، ويختصُّه مِن قبيلته بالثناء والحَمْد؛ إذْ يَعُدّه مَوئلاً لزّوّاره – في الليل – الذين يقصدونه طَلباً للطعام والمأوى، وأنّه غاية ما يطلبه ويأمُله لكلّ فقير محتاج مطرود عن أبواب الناس مُنْصرَفٍ عن غيره إليه [من الطويل][١]:

فمـا أبتغـي فـي مالـكٍ بعـد دارمٍ وما أبتغـي فـي دارمٍ بعـد نَهْشَـلِ

ومـا أبتغـي فـي نَهْشَـلٍ بعـد خالـدٍ لِطـارقِ ضـيفٍ أو لِضَـيفٍ مُحَـوَّلِ

واشتُهِرَ بالجود أيضاً عبد الله بن جُدعان، وكان يسمّى بـ (حاسي الذّهب)؛ "**لأنّه كان يشرب في إناء من ذهب. وكانت قريش تتمثل بقولها (أقرى من حاسي الذهب) لجوده وكثرة قِراه**"[٢]. *وكان عبد الله بن جُدعان يجود على الشاعر الجاهليّ أميّة بن أبي الصَّلْت الثقفيّ، ويُقري أهل مكّة ومَنْ يأتي إليها، وله جَفنة عظيمة يأكل منها الناس، وذُكِرَ أنّه لمَّا كَبُر ابن جُدعان وهَرِمَ أراد قومه أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه لكثرة عطائه، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه لطمه لَطمةً خفيفة، ثم طلب منه أن يطلب دِيَته حتى إذا فعل ذلك أعطته بنو تَيْم مِنْ مال ابن جُدعان*[٣].

وممّا مُدِحَ به عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم – وكان مِن أجود العرب، ومِنْ سادة قريش ورؤسائهم يوم الفِجار[٤] *– أبياتٌ لأميّة بن أبي الصَّلْت الثقفيّ، إذ يقول له* [من الوافر][٥]:

أَأَذكُـرُ حـاجتي أم قـد كَفـاني حَيـاؤكَ إنّ شـيمتكَ الحيـاءُ

فكرمُ الممدوح وحياؤه أغْنَيا الشاعر عن أن يسأله حاجته. وله يقول أيضاً [من الوافر][٦]:

ومـالي لا أُحَيّيـهِ وعنـدي مَوَاهـبُ يَطَّلِعْـنَ مِـن النِّجـادِ

---

(١) جَمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٩٨/١.

(٢) ثِمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٦٧٢. ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٢٧/٢.

(٣) انظر: كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٢٩٢، ٢٩٣. والبيان والتبيين، الجاحظ، ١٢٤/٣. وثِمار القلوب، الثّعالبيّ، ص: ٦٧٢. ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٢٧/٢.

(٤) انظر: كتاب حَذف من نسب قريش، مؤرّج السَّدوسيّ، ص: ٧٦، ٧٧. الفِجار: هي "وقائع كانت بين بني كِنانة وقريش وبني قيس عَيلان؛ لأنّ البَرّاض الكِنانيّ قَتل عروبة الرحّال في قصة فيها طول..، وسمّيت بهذا الاسم لأنّهم أحلّوا الشهر الحرام وقاتلوا فيه ففَجروا، وهو قريب من عُكاظ" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٦٣/٣).

(٥) كتاب حَذف من نسب قريش، مُؤرّج السدوسيّ، ص: ٧٧. وديوان أميّة بن أبي الصَّلت، ص: ٣٣٣.

(٦) كتاب حَذف من نسب قريش، مؤرّج السدوسيّ، ص: ٧٧. وديوان أميّة بن أبي الصَّلت، ص: ٣٧٩، ٣٨١. ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٢٧/٢: البيتان الثاني والثالث فقط: "إلى رُدُح" مكان "إلى رُجُحٍ". ولسان العرب، ابن منظور (ضَوَد، رَذَمَ). وتاج العروس، الزَّبيديّ (ضَدِيَ، شَمْعَل، رَذَمَ): "قلائص" مكان "مواهب"، "إلى رُذُمٍ" مكان "إلى رُجُحٍ". مواهب: جمع موهبة، وهي العَطيّة بغير عِوَض أو غَرض. يَطَّلِعْنَ: يُشْرِفْنَ قادمين. النِّجاد: مفردها نجد، وهو ما ارتفع= =من الأرض. المُشْمَعِلّ: النشيط السَّريع. الدّارة: لغة في الدّار، وهي الدار بما فيها البناء والفناء، وقال الجوهريّ:

لَـــــهُ داعٍ بِمَكَّـــــةَ مُشْـــــمَعِلٌّ وآخَـــرُ فـــوق دارتـــهِ يُنـــادي

إلـــى رُجُـــحٍ مـــن الشِّـــيزى مِـــلاءٍ لُبـــابَ البُـــرِّ يُلبَـــكُ بالشِّـــهادِ

فالشاعر يمدح عبد الله بن جُدعان مُقرّاً بفضله عليه وجوده وعطائه له، مُتعجّباً في الوقت نفسه كيف لا يحيّيه ويشيد بكرمه وعنده مِن عطاياه الشيء الكثير! وهو يستخدم في سبيل توضيح هذا المعنى أسلوب الاستفهام المنفيّ الذي خرج به عن أصله إلى غرض بلاغيّ هو التعجُّب، وهو قوله: (ومالي لا أحيّيه). ثمّ يصف عطايا الممدوح مستخدماً أسلوب التصوير الفَنّي؛ إذ شبّهها بنوق فَتِيّة تطلّ عليه من جبال بعيدة. ويقول إنّ ضيوفه باتوا يقصدونه ويطرقون بابه لِما عُرِفَ عنه مِنْ كرم وجود؛ فمنهم مَنْ نَشَط وأسرع إليه في داره بمكّة، ومنهم مَنْ وقف في ساحة داره يناديه قاصدين جِفانه العظيمة الممتلئة بخيار القمح وخالصه المختلط بالعسل.

ومن أجواد العرب مَنْ كان يُظهر جوده في أوقات الضيق والشدّة خاصّة عندما يَقلّ المطر، ويَحِلّ الجدب، وقد عُرِف نفر من العرب بـ "مَطاعيم الرّيح"؛ وذلك لأنّهم كانوا يُطعمون الناس إذا هبّتْ ريح الصَّبا التي لا تَهبّ إلاّ في جَدْب وقحط[١]، وضُرِبَ المثل بجماعة من الجاهليّين عُرفوا بكرمهم وجودهم، وحَفظت كتب الأدب والتاريخ ذِكْرهم؛ ومن هؤلاء مَن عرفوا بـ "أزواد الرَّكْب"، وهم ثلاثة نَفَر من قريش: مُسافر بن أبي عمرو بن أميّة، وزَمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزَى بن قُصيّ، وأبو أُميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقد عرفوا واشتهروا بـ "أزواد الركب"؛ لأنّهم كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس ولم يأخذوا معهم زاداً ولم يُوقدوا ناراً؛ فكان هؤلاء الثلاثة يكفونهم مؤونتهم ويُغنونهم، وكان ذلك خُلُقاً من أخلاق أشراف قريش، ولذلك لم يُسمَّ بهذا الاسم غير هؤلاء الثلاثة[٢]، وضُرِب بهم المثل القائل: "أَقرى من زاد الراكب"[٣].

"والدّارة أخصّ من الدّار". رُجُح: جِفان رُجُح: مَلأى مكتنزة، من الفعل (رَجَح) إذا مال وثُقُل فلم يَخِفّ، وقال الأزهري: "مملوءة من الزُّبْد واللّحم". الشِّيزَى: كل شَجر تُعمل منه القِصاع والجِفاف، أو خشب أسود تُتّخذ منه الجِفان. اللُّباب: خالص كلّ شيء. البُرّ: القمح. يُلْبَك: يُخْلَط. الشِّهاد: العَسل (لسان العرب، ابن منظور: وَهَب، طَلَع، نَجَد، شَمْعَل، دارَ، رَجَح، شَيَّزَ، لَبَّ، بَرَّ، لَبَك، شَهَد، والصّحاح، الجوهريّ: دَارَ).

قلائص: جمع قَلوص، والقَلُوص: الناقة الشابّة، والفتيّة مِن الإبل بمنزلة الجارية الفتاة، وقيل هي كلّ أنثى من الإبل حين تُركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة. رُدُح: مفردها رَدَاح، وهي الجَفْنَةُ العظيمةُ. الرُّذُم: مفردها الرَّذوم، وهو القَطور مِن الدَّسَم، من الفعل رَذَم أي قَطَر، وقال الجوهريّ: "رَذَمَ الشيء أي سال وهو ممتلئ" (لسان العرب، ابن منظور: قَلَص، رَدَح، رَذَم. والصِّحاح، الجوهريّ. وتاج العروس، الزَّبيديّ: رَذَم).

(١) انظر: المُفَصّل في تاريخ العرب، جَواد عليّ، ٥٨١/٤.

(٢) انظر: كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٠٠، ٣١٥. وكتاب المُحبَّر، ابن حَبيب، ص: ١٧٧، ٤٥٧. وثِمار القلوب، الثعالبيّ، ص: ١٠٣. ولسان العرب، ابن منظور، وتاج العروس، الزَّبيديّ: زَوَد.

(٣) مجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٢٧/٢.

وممّن عُرِفَ بكرمه وجوده خالد بن مَعْشَر بن النّار بن الحارث من قبيلة مَذْحِج اليمنيّة؛ إذ عُرِف بـ "مُبَاري الرّيح" لإسراعه في سدّ جوع المحتاجين في أوقات الضيق والشدّة، وله يقول القائل من [الرَّجَز][١]:

تمَّــتْ حــالُ خالــد بــن النّــارْ المطعــمُ الشَّــحْمَ فــي الأســفارْ

مــانِحٌ جُــودَ النُّــوق فــي الأضــرارْ مــن عُصْــبٍ ماجــدةٍ أحــرارْ

فالشاعر يمدح خالد بن مَعشر بأنّ مكارمه قد كَمُلَت بإطعامه الناس في أسفارهم وارتحالهم ممّا جادت به نفسه لهم مِن لَحم ودَسَم مُسمَّن، وما بذَلَه من أَنْفَس النّوق وأجودها وأشرفها في أوقات الجَدْب التي كانت تنزل بهم.

ويُعدّ الشتاء اختباراً واقعيّاً للأجواد وكرام الأنفس، فالشّتاء عدوّ الفقير؛ إذْ يزيده آلاماً فوق آلامه فيصيبه بالبرد والجوع ويقضُّ عليه مضجعه. والفقير لا يملك غير خيمته البالية المهترئة التي لا تَقوى على حمايته مِنْ ريح الشتاء ولا مِنْ بَرده ومَطره، وإذا قلّ الزرع والصَّيْد وجَفّ الضَّرْع، فإنّه لن يجد أمامه مِن ملجأ غير أن يستجير بالكِرام الذين كانوا لا يُقصّرون – إن حَلّ الشتاء – في تقريبه إليهم وإطعامه ممّا تجود به أنفسهم، فيقتلون بكرمهم جوع الشتاء[٢]*، ولذلك قيل للواحد منهم "قاتل الشّتاء"، و"قاتل الجُوع"*[٣]*، كما قيل لامرئ القيس بن كعب بن عمرو مُزَيْقِياء "قاتل الجوع"*[٤]*، إذ نجده يفخر بنفسه لإطعامه الناس في أيام الشتاء حتى قَضى بذلك على جوعهم* [من الوافر][٥]:

قَتَلْــتُ الجــوع فــي الشَّــتَوات حتّــى تَرَكْــتُ الجُــوعَ لــيس لــه نَكيــرُ

ومِمَّنْ ذَكَرهم الشعراء مادحين جودهم للناس في الشتاء طريف بن زُمَّل بن عُميرة بن تَميم بن عَوف بن مالك بن ثَعلَبة[٦]*، وكان امرؤ القيس بن حُجْر قد نزل عنده فأكرمه وأحسن إليه فمدحه بقوله* [من الطويل][٧]:

لَـنِعْمَ الفتــى تَعْشــو إلــى ضَــوء نــاره طَريفُ بن زُمَلٍ ليلةَ الرّيحِ والخَصَرْ

---

(١) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢٧٤/١. الشَّحْم: من جسم الحيوان الأبيض الدهنيّ المسمِّن له، كسنام الناقة. الأضرار: جمع الضَّرَر، وهو الضّيق والشدّة. عُصْب: عَصب الإنسان والدابّة، والأعصاب: أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها. ماجدة: شريفة خَيِّرة (لسان العرب وتاج العروس: شَحِمَ، ضَرَرَ، عَصَبَ، مَجَدَ).

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥٨٣/٤.

(٣) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١١٠/١. وتاج العروس، الزَّبيديّ: قَتَلَ.

(٤) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١١٠/١.

(٥) المصدر نفسه، ١١٠/١. النَّكير: العقوبة الرّادعة، وأمرٌ نكير: أمرٌ صَعب (لسان العرب: نَكَرَ).

(٦) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٩٣/١.

(٧) المصدر نفسه، ١٩٣/١. ورواه ابن الكلبيّ على هذا النحو:

لَـنِعْمَ الفتـى تغشـو إلـى ضـوء نـاره طَريف بن زُمَلٍ ليلة الريحِ والخَصْرِ

تَغشو: تصحيف، والصواب "تَعشُو" كما جاء في الديوان. "الخَصْرِ" ضبطت خطأً، والصواب "الخَصَرْ" كما جاء في الديوان. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٠: "وقال يمدح طَريف بن مالك"، تعشو: من الفعل (عَشا)، وعَشا إلى النار وعَشاها رآها ليلاً عن بعد فقصَدها مُسْتضيئاً بها. الخَصَر: شدّة البرد (لسان العرب، ابن منظور: عَشا، خَصِرَ).

فامرؤ القيس يمدح طَريفَ بن زُمَل بأنّه نِعْمَ الفتى، الذي يقصده السّائر المُتَعثّر في ظلمة الليل شديد البرودة، باحثاً عن الطعام والمأوى، فيهتدي إليه بعد أن يُبصر ضوء ناره المتّقدة مِن بعيد فيسدّ جوعه ويُدفئ جسده.

وثّمة جانب آخر مهمّ يتّصل بمكارم العرب قبل الإسلام وبعده، وهو الرّفِادة والسّقاية، وهاتان المَكرُمتان مِن مَكارم قُريَش التي انتهى إليها شَرفها في عَشرة رَهْط من عشرة أبطن، ثمّ جاء الإسلام ووصل لقريش هذا الشرف كما كان لهم قبل الإسلام. وتلك المكارم هي: السّقاية والعُقاب والرّفِادة واللواء والسِّدانة مع الحِجابة والنَّدوة والمشورة والأَشناق، والقُبّة والأَعِنّة والسِّفارة والأيسار والحكومة والأموال المُحجَّرة التي سَمَّوْها لآلهتهم. وبطون قريش هي: هاشم وأميّة ونَوْفَل وعبد الدار وأَسَد وتَيمْ ومخزوم وعَديّ وجُمَح وسَهْم(١).

أما السِّقاية فهي سقاية الحجيج، وكان العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم يسقي الحجيج، وبقي له ذلك في الإسلام. والعُقَاب راية قريش، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بن أُميّة. والرّفِادة هي ما كانت تُخرجه قريش مِن أموالها وتَرْفُد به مُنْقَطِع الحاجّ، وكانت الرّفِادة إلى الحارث بن عامر مِنْ بني نوفل. واللّواء الرّاية، ولا تكون إلا بيد صاحب الجيش، والعرب تضع اللّواء في موضع الشهرة، والسِّدانة هي خدمة الكعبة، والحِجابة تعني سِدانة الكعبة وتَولّي حفظها، وسَدَنَة الكعبة هم الذين بأيديهم مفاتيحها، والنَّدوة هي المشاورة في ما يخصّ شؤون القبيلة. وكان اللواء والسِّدانة مع الحِجابة ويقال النَّدوة أيضاً إلى عثمان بن طلحة مِن بني عبد الدار. أمّا المشورة فكانت إلى يزيد بن زَمْعة بن الأسود مِنْ بني أسد، وكان من رؤوساء قريش لا يُجْمِعون على أمر حتى يَعرضوه عليه، فإنْ وَافَقَهُ والاهُمْ عليه وإلاّ تَخَيَّر. والأشناق هي الدّيات والمَغْرَم، وكانت إلى أبي بكر الصدّيق مِنْ بني تَيْم؛ فإذا احتمل شيئاً من الدّيات صَدَّقَتْهُ قريش وأَقرَّت بحمالة مَنْ قام معه، وإن احتملها غيره رفضوه. والقُبَّة فإنّهم كانوا يضربونها ثمّ يجمعون فيها ما يجهّزون به الجيش، والأَعِنَّة فقد كانت على خيل قريش في الحرب. والقُبَّة والأعنّة انتهتا إلى خالد بن الوليد مِنْ بني مخزوم. والسِّفارة كانت إلى عمر بن الخطّاب مِنْ بني عَديّ؛ فإذا وقعت حرب بينهم وبين غيرهم أرسلوه سفيراً، وإن نافَرهم حيٌّ لمفاخرةٍ كان مُفاخِراً لهم ورَضُوا به. والأيسار هي الأزلام وكانت إلى صَفوان بن أميّة من بني جُمَح. وأما الحكومة والأموال المُحجَّرة التي سَمَّوْها لآلهتهم فكانت إلى الحارث بن قيس مِنْ بني سهم(٢).

وسأكتفي بالمَكْرُمتين اللَّتيْن استهلَلْتُ بهما الحديث عن مكارم قريش، وهما الرّفادة والسقاية ممثّلاً عليهما بشيء من الشعر بِما أسعفَتْني به النصوص التي عثرت عليها.

---

(١) انظر: كتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٤٦٢/٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ٤٦٢/٢، ٤٦٣. ولسان العرب، ابن منظور: لَوى، سَدَن، حَجَب، نَدَوَ. القُبَّة: بيت صغير مُستدير من الخِيام، وهو مِن بيوت العرب. الأعنَّة: مفردها العِنان، وهو سَيْر اللِّجام الذي تُمسَكُ به الدابّة، وهو طاقان مستويان. الأموال المُحجَّرة: الأموال الموقوفة المحجوزة (لسان العرب: قَبَّ، عَنَّ، حَجَّر).

الرِّفادة مِن الرِّفْد، وهو لغةً "**العطاء والصِّلة**"(١). *وكانت قريش اتّفقت أن يُخْرِج كلُّ رجل مالاً بقَدْر استطاعته، فيجمعون بذلك مالاً كثيراً، ثمّ يشترون به للحَجيج الجُزُر والطَّعام والزَّبيب للنَّبيذ، ولا يزالون يُطعمون الناس حتّى تنقضي أيّام موسم الحجّ(٢)، وكان هاشم بن عبد مناف أوّل مَنْ قام بالرِّفادة، واسمه "عمرو"، وإنما سمّي هاشم لهَشْمه الثَّريد أي تكسيره. وكانت قريش دون غيرها مِنْ قبائل العرب تقوم بسقاية الحجيج من الزَّبيب المنبوذ في الماء، وكانت تَعدُّ ذلك مِن مفاخرها في الجاهليّة والإسلام، وكان يلي أمر ذلك العبّاس بن عبد المُطَّلِب(٣).*

وذكر مؤرِّج السدوسيّ أنّ قُرَيشاً أصابتها في سنةٍ ضائقةٌ شديدة، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى فلسطين، فاشترى طحيناً وخَبزَه ثمّ حَمَله إلى مكّة، ونَحَر الإبل وهَشَم الخبز وثَردَه لقومه(٤) – أي فَتَّه ثم بَلَّه بمَرق – ولذلك قال رجل مِنْ خُزاعة يمدحه لكرمه في تحمّل أعباء فَقْر قومه وجوعهم بعد أن أصابتهم الضائقة، فساءت أحوالهم ونَحلَتْ أجسادهم مِن قلّة الطّعام [من الكامل](٥):

عمرُو الذي هَشَم الثَّريدَ لقومِهِ ورجالُ مكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

وقال مُسافِر بن أبي عمرو بن أميّة – وكان من فتيان قريش وشعرائها – يَفْخَر بمكارم قومه بني عبد مَناف على قريش وسائر العرب بما تَولَّوْه عليهم من الرِّفادة والسِّقاية [من مجزوء الوافر](٦):

غَشِيتَ الدار مُوحِشةً ولم تُؤْنِس بها أحداً

عَفَتْ آياتُها إلاّ أَوارِيّاً ومُقْتصِدَا

---

(١) انظر: لسان العرب: رَفَدَ.

(٢) انظر: المُفصّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٥٨٤/٤.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور: ثَرَدَ، سَقَى. وتاج العَروس: رَفَدَ، سَقَى.

(٤) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٤. مُسْنِتُون: من الفعل (أَسْنَتَ) أي أَجْدَبَ. عِجاف: مِن الفعل (عَجِفَ عَجَفاً) أي هُزِلَ، والمعنى أنَّهم مُجْدَبون هَزْلَى.

(٦) كتاب نَسب قريش، المصعب الزُّبيَريّ، ص: ١٣٥، ١٣٦. والسِّيرة النبويّة، ابن هشام، ١٥٨/١، ١٥٩: الأبيات: الخامس والسابع والثامن والتاسع، مع اختلاف في ترتيب البيتين الثامن والتاسع، واختلاف في بعض الألفاظ، وزيادة بيت آخر لم يرد عند المصعب الزُّبيريّ، وهو: " ونُلْقَى عند تصريف الـ مَنايا شُدَّداً رُفُدا"

"قَنَمى" مكان "فنَمَوْا"، "ونَفقَأُ عَيْنَ" مكان "ونُرْغِمُ أنف".

"قلم نُمْلَكْ" هذه رواية ابن هشام وأبي الفرج الأصفهاني، وهي الأقرب إلى الصواب، ولذلك أَثبتُّها في المتن. وكتاب الأغاني، ٤٢/٩: الأبيات السادس والسابع والثامن والتاسع، مع اختلاف في ترتيبها، وفي رواية بعض الألفاظ: البيت السادس:

"وإنّ مناقبَ الخيرا تِ لم نُسبَقْ بها عددا"

"المِذْلاقة" مكان "الدَّلاَّفة". "أُرومتنا" مكان "أَرومتنا". "نَفقأ عين" مكان "نُرغِمُ أنف". غَشِيتَ المكان: أَتَيْتَه. عَفَتْ: زالت وامَّحتْ. آياتها: علاماتها. الأَوارِيّ: مَحابس الخيل ومَرابطها ، وفي هذا معنىً للقوّة والشّجاعة . المُقتَصِد: المتوسّط= =في الإنفاق مِنْ غير إسراف ولا تقتير. الأَشعث: المُتلَبِّد المُغْبَرُّ شعر رأسه. الماثل: مَثُلَ الرجل بين يدي فلان مثولاً:

وأشـــعثَ مـــاثلاً خُلَقـــا وسَـــبْعَاً حولـــه رُكُـــدا
عَلِمْـــتَ بأنّنـــا قِـــدْماً خُلِقْنَـــا ســـادةً رُفُـــدا
وَرِثْنـــا المجـــد عـــن آبـــا ئنـــا فنَمَـــوْا بنـــا صُـــعُدا
فـــأيّ مناقـــب الخيـــرا تِ لـم نَشـدُدْ بهـا عَضُـدَا
أَلَـــمْ نَسْـــقِ الحجـــيجَ ونَنْـــ ـــحَـــرِ الدَّلاَّفَـــةَ الرُّفُـــدَا
وزَمْـــزَمُ مـــن أَرومتنـــا ونُـــرغِمُ أَنْـــفَ مَـــن حَسَـــدا
فـــإنْ نَهلِـــكْ فلـــم نُمْلَـــكْ وهـــل مِـــنْ خالـــدٍ خَلَـــدا

يقول الشاعر هذه الأبيات مستهلّها بمقدّمة طَلَلِيَّة قصيرة على عادة الشعراء الجاهليّين، مُخَاطِباً صاحبه، ويمكن أن يكون قد خاطب نفسه مُتخيّلاً أنّه أتى داراً مُوحشة مُقْفِرةً لا أنيس بها ولا صديق، وقد زالت آثارها وامَّحت من الريح التي هبّت عليها، ولم يكن بها غير رجل عطشان لم يجد ماءً يبلّ به ريقه، وآخر قليل المال، وثالث واقف بثيابه البالية ومِنْ حوله عياله السبعة جائعين ولا يجد ما يطعمهم إياه. ثم ينتقل من ذلك إلى الفخر بقومه بأنّهم خُلِقُوا منذ القِدم سادةً كِراماً، ولم يبخلوا يوماً بما عندهم مِنْ عون وصلة للفقراء والمحتاجين، ووَرِثوا ذلك المجد والشرف عن آبائهم وأجدادهم فازدادوا بهم شرفاً ورِفعةً بين قبيلتهم قريش وقبائل العرب. ويؤكّد الشاعر كرم قومه بأنّهم لم يتركوا مأثرةً مِنْ مآثر الخير إلاّ وقاموا بها؛ ومِنْ تلك المآثر ما كانوا يقدّمونه لحُجّاج البيت الحرام مِن طعام طوال موسم الحجّ، إذ كانوا ينحرون جياد الإبل السِّمان وكثيرة الألبان، وأنّ ماء زمزم من أصول مكارمهم بين العرب، وقد كانت هذه المَكْرُمة سبباً في حَسَد القبائل الأخرى لقومه.

ويَختم أبياته مستخدماً أسلوب الاستفهام الذي خرج به إلى النَّفي، أي نَفْي خلودهم في الدنيا، إذ يُسلّم بمصيره ومصير قومه وهو الهلاك، ولكنّه يُعلي في الوقت نفسه من شأنه وشأن قومه بأنّهم إنْ هلكوا فَسيهلكون وهم سادة أحرار أعزة بين الناس لم يَدينوا يوماً لملك من الملوك.

قام بين يديه مُنْتَصِباً. الخَلَق: البالي بين الثياب والجلد وغيرها. رُكُدا: من الفعل (رَكَد رُكوداً) أي سكن وهدأ وثَبَت. رُفُدا: جمع رَفُود من الرِّفْد، وهو العَون. نَمَوْا بنا صُعُدا: ازدادوا طولاً ورفعة. شَدَّ بها عَضُدَه: قَوَّت عزيمته. الدَّلاَّفة: أراد بها الناقة البطيئة السير مِن السِّمَن وكثرة اللّبن. وقد جَعلها مُصحّحو دار الكتب المصريّة في (الأغاني، ٥٥/٩) "المِذلاقة" تَبعاً لرواية ابن منظور في اللسان (ذَلِقَ، رَفَدَ)، وعَدّوا ما في الأصول تحريفاً، ولم يوافق محقّق "كتاب نسب قريش" على ذلك مع ثبوته في أصل الكتاب وسيرة ابن هشام (حا ص: ١٣٦)، والمِذلاقة: النُّوق السَّريعة السير. الرُّفُد: جمع رَفود، وهي الناقة الحلوب التي تملأ الرَّفْد (المِحْلَب) في حَلْبَةٍ واحدة، والرَّفْد بفتح الراء وسكون الفاء: القَدَح الضَّخم الذي يُقْرَى فيه الضيف، ويجوز فيه كسر الراء أيضاً. الأَرومة: الأصل (لسان العرب، ابن منظور: غَشِيَ، عَفَا، أيًا، أَوَرَ، قَصَد، مَثُلَ، خَلَق، رَكَدَ، رَفَد، صَعَدَ، عَضَدَ، دَلَفَ، ذَلِقَ، رَفَدَ، أَرَمَ).

ب- الشَّجاعة:

تُعدّ الشَّجاعة مِن القيم العالية في نفوس العرب قبل الإسلام، وذلك لأنّها **"تُمثّل مظهراً مِن مظاهر حياتهم نشأ نتيجة عوامل اجتماعيّة وأخلاقيّة وحربيّة، وتَطَوَّر وَفْق طرق حيويّة شاملة، وقد ساعد في تطوّرها فطرةٌ عربيّة سليمة وَجَدت في المُثُل السامية قيمها الحقيقيّة وهدفها الذي تسعى إليه"**(١).

وكانت حياة العرب تتطلّب منهم القوّة والشجاعة والإقدام وركوب المخاطر والصبر عند المكاره والخطوب. وقد دفعهم إلى ذلك طبيعة حياتهم المضطربة غير المستقرّة التي كانت تقوم على غزو الأعداء والإغارة عليهم، ولم تكد حرب تنطفئ نيرانها حتى تعود وتشتعل مرّة أخرى(٢). *ولم يكن بمقدرة العرب أن يتخلّوا عن الشجاعة؛* **"إذ إنّها السبيل الوحيد لنيل الحياة الكريمة، وهم من أجل ذلك كانوا يحتقرون الضُّعفاء والجُبناء...، ولا يقبلون بالذُّلّ والهَوان، ولا يَرْضَوْن بالضَّيْم، فإذا ما تعرَّضوا هم أو حلفاؤهم لأيّ إهانة استلّوا سيوفهم، وبادروا إلى خيولهم، وصاحوا في أبواقهم، وأشعلوها حروباً ضروساً ولو ضحَّوا في ذلك بأنفسهم، وكان يؤجّج ذلك ما عُرِفَ عنهم مِن سرعة الانفعال وفَوْرَة الأعصاب"**(٣).

ويبدو أنّ الشجاعة كانت عند البدو أقوى وأشدّ منها عند أهل الحضَر، ولعل سبب ذلك – كما ذكر ابن خَلدون – أنّ **"أهل الحضر أَلقَوْا جُنوبهم على مِهاد الراحة والدَّعَة، وانغمسوا في النَّعيم والتَّرف، ووَكَّلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولَّت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تَحوطهم، والحِرْز الذي يحول دونهم، فلا تَهِيجُهُمْ هَيْعَة ولا يُنَفَّر لهم صيد؛ فهم غارُّون آمنون، وقد أَلْقَوْا السّلاح، وتَوالَتْ على ذلك منهم الأجيال وتَنزَّلوا منزلة النساء والوِلْدان الّذين هم عِيالٌ على أبي مثواهم؛ حتّى صار ذلك خُلُقاً يَتنزَّل منزلة الطّبيعة. وأهل البدو لتفرُّدهم عن المجتمع، وتوحُّشهم في الضّواحي، وبُعْدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يَكلونها إلى سِواهم، ولا يَثِقُون فيها بغيرهم. فهم دائماً يحملون السّلاح، ويتلفّتون عن كلِّ جانب في الطُّرق، ويتجافَوْن عن الهجوع إلاّ غِراراً في المجالس، وعلى الرِّحال وفوق الأقتاب، ويتوجَّسون للنَّبْآت والهَيعات، ويَتفرَّدون في القَفْر والبيداء، مُدِلّين ببأسهم؛ قد صار لهم البأس خُلُقاً والشجاعة سَجِيّةً يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ أو استنفرهم صارخ. وأهل الحضَر مهما خالطوهم في البادية، أو صاحبوهم في السَّفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئاً مِن أمر أنفسهم. وذلك مُشاهَدٌ بالعِيان حتى في معرفة النَّواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السُّبُل. وسبب ذلك ما شرحناه. وأصله أنّ الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته**

---

(١) الفُروسيّة في الشعر الجاهلي، نوري حمّودي القيسيّ، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م، ص: ٢٥.

(٢) انظر: الشعر الجاهليّ، خصائصه وفنونه، يحيى الجَبوريّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦، ص: ٦٤.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٦٥. وحضارة العرب، غوستاف لوبون، نَقله إلى العربيّة عادل زُعَيتِر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، الطَّبعة الثالثة، ١٩٥٦م، ص: ٧٢.

ومِزاجه. فالّذي أَلِفَهُ في الأحوال حتّى صار خُلُقاً ومَلَكَةً وعادةً تنزَّلُ منزلة الطّبيعة والجِبِلَّة. واعتُبِرَ ذلك في الآدميّن تجده كثيراً صحيحاً. والله يخلق ما يشاء"(١).

ولذلك أضحتْ الشّجاعة في حياة العرب صفة من صفات التّكريم والتّعظيم والتقدير، وأضحى الجُبْن والضعف صفة يُعيَّر بها صاحبها، ويُنظر إليه من خلالها نظرة احتقار تُشبه نظرتهم إلى النّساء، لا بل هي أدنى منها منزلةً وأقلّ شأناً، وذلك لأنّ الرجل خُلِقَ للعراك والقتال، بينما وُلِدَت المرأة وفي طبعها اللّين والاستسلام(٢).

وقد عَبَّر شعراء الجاهليّة في أشعارهم عن قيمة الشجاعة في نفوسهم أصدق تعبير، وأبرزوا الصورة المِثاليّة لفرسان قبائلهم أدقَّ تصوير؛ إذْ يشكّل الفارس لديهم الحِصن المَنيع الذي يردّ عن قبيلته الأخطار والأهوال؛ فهذا الزُّبير بن عبد المطّلب يفتخر بشجاعته وشجاعة فرسان قبيلته بقوله [من الوافر](٣):

ولَسْتُ كَمَنْ يُميتُ الغَيْظَ هَمّاً ولكنّي أُجيبُ إذا دُعِيتُ

ويَنَهى عَنِّيَ المُختالَ صَدْقٌ رقيقُ الحدِّ ضَرْبتُهُ صَمُوتُ

بكَفَّيْ ماجدٍ لا عَيْبَ فيهِ إذا لَقِيَ الكريهةَ يَستميتُ

فالشاعر يفتخر بشجاعته في الحرب بأنّه ليس كغيره مِمَّنْ يَكظم غيظه ويَكبحُ جِماح غضبه، ولكنّه لا يتوانى عن إجابة داعي الحرب إذا ما نُودي إلى القتال، ويفتخر أيضاً بشجاعة فرسان قومه؛ إذ يَصرف عنه عدوَّه المتباهي بنفسه – على سبيل التشخيص – سَيفٌ مُسْتَوٍ رقيق الحدّ ماضٍ في قطعه بيد فارس شجاع من قومه مُستميتٍ في الحرب والقتال.

---

(١) مقدّمة ابن خلدون، ٤٧٨/٢، ٤٧٩. المِهاد: الفراش. الدَّعَة: السَّكينة. يَسوسُهم: يرعاهم. الحِرْز: الموضع الحَصين. تَهيجهُم: تُثيرهم. الهَيْعَة: الصوت المُفزِع. يُنَفرَّ: يُفَرَّق ويُبْعَد ويُفْزَع، "ولا يُنَفَّر لهم صَيْد" كناية عن اطمئنانهم؛ لأن العربيّ إذا تعقَّب صَيْداً ونفَّره منه آخر كان غير مطمئنّ. غارُّون: غافلون مُطمئنّون. مَثواهم: منزلهم ومَسكنهم. انتباذهم: تنحيّهم وتحيّزهم. غِراراً: قليلاً من النوم وغيره. الأَقتاب: جمع القَتَب، وهو رَحْل صَغير على قَدْر سَنام البعير. يَتوجَّسون: يَتسمَّعون إلى صوت خفيّ. النَّبْآت: جمع النَّبْأَة، وهي الصوت الخفيّ. القَفْر: المَفازة، والأرض القَفْر: البعيدة الماء والتي لا نبات فيها. البَيداء: الفَلاة والمَفازة المستوية تجري فيها الخيل، وقيل: التي لا شيء بها. مُدِلّين ببأسهم: واثقين بشدّتهم في الحرب معتّزين بها. الجِبِلَّة: الخِلْقَة (لسان العرب، ابن منظور: مَهَدَ، وَدَع، سَاسَ، حَرُزَ، هاجَ، هَيَجَ، نَفَر، غَرَّ، ثَوَى، نَبَذ، غَرَّ، وَجَسَ، نَبأَ، قَفِرَ، بَيَدَ، دَلَّ، جَبَلَ. والصِّحاح، الجوهريّ: قَتَبَ. ومقدّمة ابن خَلدون، ٤٧٨/٢، الحاشية (٣٦٧).

(٢) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٦٠٠/٤، ٦٠١.

(٣) كتاب حَذف من نسب قريش، مُؤَرِّج السّدوسيّ، ص: ٢٠١. يُميت الغَيظ هَمّاً: يَكْبِتُه ويسيطر عليه. المُختال: المتكبّر المتباهي بنفسه. صَدْق: رُمح صَدْق وسَيفٌ صَدْق، أي مُستَوٍ، فحذف الشاعر الموصوف (السيف) وأبقى على صفته. صَموت: ماضٍ في القطع. ماجد: شريف خَيِّر. الكريهة: الحرب (لسان العرب، ابن منظور: مات، خَال، صَدَق، صَمَت، مَجَد، كَرِه).

ومِنْ فخرهم بشجاعتهم ما رواه الزُّبير بن بَكّار مِن أبيات لأبي زَمعة الأسود بن المطَّلب بن أَسَد بن عبد العُزّى، وذلك في خبر طويل مُفاده **"أنّ قبيلة قريش أرادت أن تُملِّكَ عليها عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى، فخرج عثمان بن الحويرث إلى قيصر ليُملِّكه على قُرَيش،... وقَدِم مكّة بكتاب قيصر مختوماً في أسفله بالذهب، وهَمَّت قريش أن تَدين له، فصاح (ابن عمّه) أبو زمعة الأسود بن المطّلب بن أسد، والناس في الطّواف: إنّ قريشاً لَقاحٌ، لا تَملِكُ ولا تُملَك. فانشقَّت قريش على كلامه، ومَنعوا عثمان ما جاء يطلب، وهو حيث رجع إلى قيصر. وكان عثمان بن الحويرث طلب مِن قَيصر أن يكتب له بحبس مَن أراد مِن تِجار قريش في الشّام، لأنّهم أرادوا أن يُفسدوا عليه أمره، فكتب قيصر لِعُثمان إلى عمرو بن جَفْنَة بذلك، ثم قَدِمَ عثمان على عمرو بن جَفنة بالشام، فوجد أبا أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس وابن أخته أبا ذيب هشام (من بني عامر بن لُؤيّ)، فحبسها عمرو بن جَفنة، ثم مات أبو ذيب في الحبس، ودسَّ السُّمّ لعثمان بن الحويرث فمات... فلما قدم أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص مكّة، جعل يُحرّض على بني أسد ويُغري بهم بني عامر وبني أميّة في دم أي ذيب... وجعلت بنو عامر تَّجمع لبني أسد"**[(١)]*، فقال أبو زمعة الأسود بن المطّلب بن أَسَد بن عبد العُزّى، يفتخر بشجاعته وشجاعة قومه بني أسد مِن قريش، ويسخر من بني عامر بن لؤيّ: أبي لُبَيد – وهو مِن فرسان قريش – وسُهَيل وسَهل ابني عمرو، ومِن أحلافهم بني دَهر بن تَيْم بن غالب – وهم مِن قريش أيضاً – ومنهم عَوف بن دهر* [من الوافر][(٢)]:

سيكفيني الوليدُ أبا لُبَيْدٍ ... ويكفي بَكْرُه عوفَ بن دَهْرِ
وأكفي غير مُكْتَرِثٍ سُهَيْلاً ... ويكفي باطلي سَهْلَ بن عمرِو
ألَمْ ترَ أنّنا مِن ذي قِذافٍ ... نَسِيلُ كأنّنا دُفّاعُ بَحْرِ
ونَلْبَسُ للعَدُوّ جُلود أُسْدٍ ... إذا نَلقاهُمُ وجُلودَ نُمْرِ

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٣. يقال "قوم لَقاح، وحَيّ لَقاح، لم يَدينوا للملوك، ولم يُملَكُوا، ولم يُصِبْهم سِباء في الجاهليّة (ص: ٤٢٧: الحاشية ١).

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٣٣، ٤٣٤. وكتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٣٤، ٤٤٣: البيت الأول فقط: "أبا لَبِيد"، "عَوْد بن دَهْرِ" مكان "عَوف بن دَهْرِ"، والصّواب ما جاء عند الزّبير بن بكّار وفي سائر المَراجع (جمهرة نسب قريش، ص: ٤٣٣: الحاشية). ومعجم الشعراء، المَرزُباني، ص: ٢٧٦: البيت الأول فقط، وفيه تصحيف: "بكفى" مكان "ويكفي".

أبو لُبَيد بن عَبدَة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهليّة (الاشتقاق، ابن دريد، ١/١١٤). وعوف بن دَهْر من بني تَيْم بن غالب، ودَهْر بن تَيْم بن غالب كانوا يداً مع بني عامر بن لؤيّ. أظنّ أنّ الشاعر أراد بـ"بَكْرُه" خالد بن الوليد. سُهَيل وسَهْل: هما ابنا عمرو من بني عامر بن لؤيّ (كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٤٣. وجَمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤٣٣: الحاشية). قِذاف: ما يطيق المرء حمله بيده مما يملأ كَفّه فيرمي به. الدُّفّاع: السَّيل المتدافع والموج المُتَلاطِم يركبُ بعضه بعضاً (لسان العرب، ابن منظور: قَذَف، دَفَع).

فالشاعر أبو زمعة يهوّن من شأن أعدائه ويسخر بهم قائلاً: إنّ الوليد بن المُغيرة سيكفيه ويردّ عنه شرّ أبي لُبَيد، وسيكفي صغيره شرّ عوف بن دَهْر[١]، وسيكفي هو – غير مُبالٍ ومُكترثٍ – سُهَيْلَ ابن عمرو، ويكفي أيضاً أخاه سَهْلَ بن عمرو، وكأنّه يلهو به في القتال لَهواً. ثمّ يفخر بشجاعة قومه مستخدماً أسلوب الاستفهام المنفيّ الذي خرج هنا إلى معنى التهديد والوعيد والتهَكُّم والسُّخرية من أعدائه، فيصوّر قومه في صلابتهم وصبرهم على شدّة الحرب بالسيل المتدافع والبحر المتلاطم الأمواج، وكأنّهم في قوّتهم وشجاعتهم قد لبسوا جلود الأسود والنّمور.

وذكر المصعب الزُّبيريّ أنّ عَوف بن دهر ردّ على أبي زَمعة ونقض عليه شعره بقوله[٢]:

ألا يـــا أيُّهـــا الـــمُهدي إلينـــا رســـالته ســـنُرجِعُها بصُـــغْرِ

فـــلا وأبيـــكَ لا تكفـــي سُـــهَيْلاً بجَمْـــعٍ إنْ جَمَعْـــتَ ولا بحَشْـــرِ

فهو يردُّ على فخر أبي زمعة بنفسه، مُقلّلاً مِن شأنه ومُشَكّكاً مِن قدرته على ملاقاة قومه، ويستخدم في سبيل ذلك أساليب التنبيه والنداء والقسم ليؤكّد مِن خلالها أنّ رسالته إلى قومه وتهديده لهم سَيرجع بها خائباً ذليلاً، ولن يقدر أن يكفي سُهَيْل بن عمرو مهما حاول أن يجمع ويحشد من فرسان قومه.

وممّا روى الزبير بن بكّار أبياتٌ يمدح بها الحارث بن ظالم المُرّيّ بني حَرْمَلَة بن الأشعر، وكان الحارث بن ظالم **"أفتكَ الناس وأشجعهم"**[٣]*، وذكر ابن قتيبة وابن حبيب أنّ الحارث بن ظالم ضُرِبَ به المثل في الفَتْك والوفاء؛ ولذلك قيل:* **"أفْتَكُ مِنْ الحارث بن ظالم"**[٤]*، وأمْنَعُ مِن الحارث ابن ظالم، وكان مِنْ فَتكه بالناس قتله خالد بن جعفر بن كِلاب – وهو مِن سادات قبيلته هَوازن – وهو في جوار الملك الأسود ابن المنذر؛ وذلك لأنّ خالد بن جعفر قتل زُهير بن جَذيمة العبسيّ سيّد غَطَفان يوم النَّفراوات*[٥]*، فقتلَ المنذر بن المنذر أبو النعمان – في أصح الأقوال – الحارثَ بن ظالم المُرّيّ*[٦]*.*

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤٣٣: الحاشية.

(٢) كتاب نسب قريش، ص: ٤٤٣. ومعجم الشعراء، المَرزُبانيّ، ص: ٢٧٦: "سَيُرْجِعها" مكان "سَنُرْجِعها".

(٣) الاشتقاق، ابن دُريد، ٢٨٧/٢.

(٤) مجمع الأمثال، الميدانيّ، ٨٩/٢.

(٥) انظر: المعارف، ابن قُتَيبة، ص: ٨٨. وكتاب المُحبَّر، ابن حَبيب، ص: ١٩٢. ومعجم ما استعجم، البكريّ، ٦٧٠/٢. ونَشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب، ابن سعيد الأندلسيّ، ٥٧٧/٢.

(٦) انظر: الاشتقاق، ابن دُريد، ٢٨٧/٢.

ويبدو أن كثرة جنايات الحارث بن ظالم وفَتْكه بالناس قد دفعت بقبيلته للتخلّي عنه، *ومن أجل ذلك قال هذه الأبيات يمدح بها بني حَرْمَلة بن الأشعر، ويُعرّض بقومه* [من الكامل][(١)]:

أبْلِغْ جَذيمةَ إن عَرَضْتَ فإنّني عَمْداً تَركتهُمُ عَبيدَ سِنانِ

لو كُنْتُ مِن رَهْط الحَراملِ لم أَعُدْ وبَنَيْتُ مَكْرُمةً بكلِّ مكانِ

القاتلين من المناذر سبعةً في الكهف فوق وسائد الريحان

والشّاعر يستهل هذه المقطوعة برسالة إلى الآخر (أَبْلِغ)، مخاطبًا إيّاه على عادة الشّعراء القدماء – لإعلام قبيلته موقفه منهم. وهو يوجّه هذه الرسالة إلى قومه، محمّلاً إيّاهم مسؤولية أخلاقيّة مجتمعيّة تجاه القضيّة التي يتحدّث عنها، وهي تخلّيه عن قومه لتخلّيهم عنه، وتحمل رسالته إلى قومه أيضًا دعوة لهم إلى التّأمُّل والتفكير والتَّعَقُّل[(٢)].

والشاعر يُعبّر بهذه الأبيات عن غضبه الشديد من قومه وسُخطه عليهم؛ إذ يطلب من صاحبه أن يُبلغ قبيلته أنّه قد تركهم – مُتَعمِّداً – عبيداً لسيّدهم سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ. وتحملُ أبياته معاني الفخر والاعتزاز بنفسه، والإهانة والتحقير لقومه؛ إذ وَصَفهم بأنّهم عَبيد، وهو ينفي بذلك عن نفسه ما أثبته لقومه، فهو حرٌّ وليس مثلهم عبيداً، وكأنّه يسوّغ لنفسه تَرْكه لقومه والتخلّي عنهم كما تركوه وتخلَّوا عنه. ومما يؤكّد غضبه مِن قومه أنّه تَمنَّى أن يكون مِن رَهْط الممدوحين "الحَرامل" وأن ينتسب إليهم، ولو تحقَّقت أمنيّاته لمَا عاد إلى قومه ولبَنَى دونهم مَكْرُمةً بكلّ مكان نزل به، ومن الواضح أنّه يُثبت للممدوحين صفةً افتقدها في قومه، وهي الشجاعة التي تتمثّل بقتل الملوك ملوك الحيرة "المَناذرة" ويَعُدَّ ذلك أقصى طموحه في الحياة.

ومن صور الشجاعة والإقدام عند العرب ما ذكره ابن الكلبيّ أنّ رجلاً يقال له الأَسَديّ كان قد خرج ليلة بإبله ليرعاها، فنزل بأرضٍ مُكْلِئَةٍ لرجل فاتك اسمه سِرحان بن مُعَتِّب بن أَحَبّ بن الغَوث بن

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٢٦. ولم أجد لهذه الأبيات مَرْجِعاً غير الجمهرة، ولذلك فقد اجتهدتُ في التعرّف إلى مناسبة الأبيات بأخبار الحارث بن ظالم المُرّيّ الواردة في كتب الأخبار. وقومه هم بنو مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض (جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١١/١). جَذيمة: رَهْط الحارث بن ظالم (جمهرة نَسَب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٢٦). عَرَضْتَ: ظَهَرْتَ وأَشْرَفْتَ (لسان العرب، ابن منظور: عَرَض). سِنان: أظنّ – والله أعلم – أنّه سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ، وكان سنان أبو هرم "سيّد غَطَفان وماتت أمّه وهي حامل به. وقالت: إذا أنا مِتُّ فشُقّوا بطني، فإنّ سيّد غَطَفان فيه، فلمّا ماتت شَقّوا بطنها فاستخرجوا منه سِناناً" (أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، الأعلم الشَّنتمريّ، ٢٧٠/١، ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ٤٢٥/١). الحَرامل: بنو حَرْمَلة بن الأشعر. المَناذر: النُّعمان بن المنذر ورَهْطه (جمهرة نسب قريش، ص: ٢٦). الرَّيحان: هو كل بَقل طيّب الريح، واحدته رَيحانة (لسان العرب، ابن منظور: رَوَحَ).

(٢) انظر: شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب روميّة، ص: ١٥٦.

عِتريف، وأقسم الأسديّ ألاَّ يبرح تلك الأرض حتى يُعشّي إبله، فمرَّ به سِرحان فقتله(١)، *فقال أخوه هُزَلة بن مُعَتِّب مُخاطباً امرأة الأسديّ، وكان يُقال لها نُصَيْحَةَ* [من الكامل](٢):

أبْلِغ نُصَيْحَةَ أنّ راعيَ أهلها سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتَقمِّرٍ لم يَثْنِهِ خَوْفٌ من الحَدَثانِ

فالشاعر يرثي أخاه الأسديّ لزوجته مُشيداً بشجاعته وإصراره على رعاية إبله في أرض علم أنّ فيها فاتكاً يبطش بمن يقترب منه، وقد صَوَّره بالأسد الذي خرج يطلب صَيْداً له في ليلة مُقْمِرة، وصوّره أيضاً بالفريسة التي لا تخاف مِمَّن يفترسها؛ إذ علم الأسديّ وتَيقَّن مِن سطوة سرحان، ومع ذلك لم يَخَفْهُ ولم يكترث له، وإنّما أصرَّ على ما في نفسه ودفع حياته ثمناً لذلك. وقد قَصَد الشاعر مِن وراء إعلام زوجة الأسديّ باستخدام فعل الأمر (أَبْلِغْ) أن يُخفّف مِن مُصابها ويسوّغ مقتله بأنّه لم يَمُت بيد جبان، وإنّما مات بيد شجاعٍ مِقدامٍ مثله.

---

(١) انظر: جمهرة النسب، ١٨٠/٢. ومَجمع الأمثال، الميدانيّ، ٣٢٨/١: "(سَقَط العشاء به على سِرحانٍ) قال ابن الأعرابيّ: أصل هذا أنّ رجلاً مِنْ غَنِيّ، يقال له سِرحان بن هُزَلَة، كان بطلاً فاتكاً يتّقيه الناس، فقال رجل يوماً: والله لأرعَينَّ إبلي هذا الوادي، فَوجدَ به سرحان وهجم عليه وقَتَله وأخذ إبِلَهُ، وقال (البيتين). يُضرب في طلب الحاجة يؤدّي صاحبها إلى التَّلفَ". وذكَر ابن منظور قول ابن برّي: "هذا مثل لمَنْ طَلب خيراً فوقع في شرّ، وقال: وأصله أن يكون الرجل في مَفازةٍ فيعوي لتجيبه بنباحها، فيعلم إذا نَبَحتْهُ الكلاب أنّه موضع الحيّ فيستضيفهم، فيسمع الأسد أو الذئب عُواءَه، فيقصد إليه فيأكله؛ قال: وقد قيل إنّ سِرحان ههنا اسم رجل كان مُغيراً، فخرج بعض العرب بإبله ليعشِّيَها فهجَم عليه سِرحان فاستاقها (لسان العرب، ابن منظور: قَمَر).

(٢) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١٨٠/٢. ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ٣٢٨/١:

أبلِغ نَصيحةَ أنّ راعيَ أهلها سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتقمِّرٍ طَلْق اليدينِ مُعاودٍ لطِعانِ

ولسان العرب، ابن منظور: قَمَر: البيتان لعبد الله بن عَنْمَة الضَّبّيّ:

أبلِغ عُثَيمةَ أنّ راعِيَ إبْلِهِ سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتقمِّرٍ حامي الذِّمارِ معاودِ الأقرانِ

أرضُ مُكِلئَة: ذات كَلأ. مُتَقَمِّر من الفعل (تقَمَّر الأسد): أي خرج يطلب الأسد في القَمراء، وأقمرت الإبل: وقعت في كلأ كثير. لم يَثْنِه: لم يَمْنَعْهُ. الحَدثَان: حَدَثان الدهر: نَوائبه وحوادثه (لسان العرب: كَلأ، قَمَر، ثَنَى، حَدَث).

طَلْق اليدين: سَمْحٌ. الطِّعان: طَعَن كلٌّ مِن الرجلين الآخر. الذِّمار: ذِمار الرجل هو كلّ ما يَلزمه حِفْظه وحياطته وحمايته والدَّفْع عنه، وإن ضَيَّعه لزمه اللّوم. والذِّمار: الحَرم والأهل، وهو ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن يَحميه. الأقران: الأنداد والمماثلون في القوّة والشجاعة، واحدها القِرْن: المِثْل والمساوي في القوّة والشَّجاعة. (لسان العرب: طَلَقَ، طَعنَ، ذَمَر، قَرَن).

ج- العِزَّة والأَنَفَة:

تُعَدُّ العِزّة والأَنَفة من أبرز شمائل العرب، وهي وجه من وجوه الشَّجاعة عندهم؛ وذلك لأنّ العرب كانوا قبائل متناحرة متنازعة في ما بينها، وقد وَطّنوا أنفسهم على الإباء ورفض الضَّيم وردّ الظلم، وكانوا يلجأون في سبيل ذ لك إلى القتل والأخذ بالثأر إذا دعا إلى ذلك داعٍ[١]. *ويكنّى عن العزّة والأنفة عند العرب بالشَّمَم، إذ يُعدُّ رمزاً لكرامتهم، وقد عَرَّفه الجوهريّ بأنّه* "**ارتفاع في قَصَبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة، ومنه قول كعب بن زهير: "شُمُّ العرانين أبطالٌ لَبوسُهُمُ"، والشُّمُّ جمع الأَشَمّ، والعرانين جمع العِرنين، وهو الأنف، وهذا كناية عن الرِّفعة والعلوّ وشرف الأنفس، وهو مِمّا يُمْدَحُ به الرجل في قبيلته**"[٢].

ومن بواعث الشّجاعة عند العرب في الحرب أن يَحموا نساءهم من السبي والعار؛ لأنّ النساء إن وَقَعْنَ في الأسر استباحهنّ الأعداء واستباحوا معهنّ شرف القبيلة، ولذلك فإنّ الدفاع عنهنّ هو دفاع عن شرف القبيلة ورمز عزّتها وكرامتها، ولذلك كانت المرأة الحرّة الشريفة تحرّض قومها ليستميتوا في الدفاع عنها، مما يدلّ على أهميّتها ورِفعة مكانتها في قومها [٣].

وللمرأة الحُرّة الشريفة ذات السُّؤدد منزلة في مجتمعها لا يدانيها منزلة وحَظٌّ لا يدانيه حظ المرأة الفقيرة، إذْ كان سُؤددها يشكّل لها دِرعاً تَحميها وتَصونها من الحطّ من قدرها ومكانتها. وتكمن عزّتها في قومها الذين كانوا يمنعون حتّى زوجها من إذلالها أو إلحاق الأذى بها، وكان هذا الأمر مبعث الفخر بنفسها على غيرها من النّساء، إذ هي من أسرة كريمة توازي أسرة زوجها في السّيادة والمجد والشّرَف [٤].

وقد انطلقت ألسنة الشعراء الجاهليّين تعبّر عن هذه المعاني أصدق تعبير كما نجد في شعر أبي هَنِيّ مَسروق بن معد يكرب الذي لم يكن راضياً عن زواج قيس بن معد يكرب بهند بنت شُرَحْبيل بن الحارث بن عمرو آكل المُرّار الكنديّ. وكان شُرَحْبيل بن الحارث قد قُتِل في يوم الكلاب الأوّل بعد أن ملَّكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو آكل المُرّار الكنديّ، إذ "**غزا بهم وانتزع عامّة ما في أيدي ملوك الحيرة اللخميّين وملوك الشام الغسّانيّين، وردّهم إلى أقاصي أعمالهم، ثمّ قُتِل (الحارث) ودُفِنَ**

---

(١) انظر: قصّة الأدب في الحجاز في العصر الجاهليّ، عبد الله عبد الجبّار ومحمد عبد المُنعم خفاجي، مكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص: ٣٠٠.

(٢) لسان العرب: شَمَمَ. وشرح ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السُّكّريّ (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ١٩٥٠م)، الدار القوميّة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٢٣:

شُمُّ العرانينِ أبطالٌ لَبَوسُهُمُ من نَسْجِ داودَ في الهيجا سَرابيلُ

(٣) انظر: قصّة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبَّار، ص: ٤٦٣.

(٤) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٦١٦/٤. السُّؤدُد (بالهمز والتسهيل وبضمّ الدال وفتحها): السّيادة والمجد والشرف (لسان العرب: سَوَدَ).

بِبَطن عاقل، ثم اختلف ابناه شُرَحبيل وسَلَمة وتَواعدا الكُلاب، فأقبل شُرَحبيل ومعه ضَبَّة والرِّباب كلّها وبنو يَربوع وبكر بن وائل، وأقبل سَلَمة في تغلب والنَّمِر وبَهراء ومَنْ تَبِعَه مِن بني مالك بن حنظلة... والتقوا على الكُلاب، واستمرَّ القتل في بني يربوع، وشدّ أبو حَنش على شُرحبيل فقتله"(١)، *فقال أبو هَنِيّ مسروق بن معد يكرب يستنكر زواج قيس بن معد يكرب مِن هند بنت شُرَحبيل بن الحارث* [من الوافر](٢):

بباب الحارث الملكِ بن عَمروٍ وتَخيَّرها وتَنكِحُ في ذُراها
لها الوَيلاتُ إنْ أكرهتموها ألا تُطْعَنُ مُدْيَتَها حَشاها
فتهلكَ حُرَّةً والموت حَقٌّ ويُفلحُ بعد ذلك مَنْ نَعاها

وتكشف الأبيات عن قيمة المرأة "هند" في نفوس العرب، ورفضهم إهانتها وإذلالها؛ فهي ابنة سيّد من سادات العرب، ولا ينبغي أن تُكْرَه – وهي حرّة كريمة – على الزواج ممّن لا تريد، وإنّ قَتْلَها نفسها بيدها أهون عليها ممّا يمكن أن تلاقيه من الذُّلّ والعار، ولو ماتت حينئذٍ فإنّها تكون عاشت عزيزة النفس وماتت كذلك، ويفلح بعد ذلك مِن الشعراء مَنْ رثاها وخلَّدها في شعره.

ثمّ أجاب أبا هَنِيّ وردّ عليه قَسَاسُ بن أبي شَمِر بن معد يكرب بقوله [من الوافر](٣):

لقد طالَبْتَ هذا قبل قَيْسٍ لتنكِحَها فلم تَكُ مِنْ هَواها
فطافَتْ بالمناهلِ تَبتغيهِ فلاقت مَشْرَباً عَذْباً سَقَاها
أدبُّ الساعِدَيْن أخا حُروبٍ إذا يُدعَى لمُعضِلةٍ كفَاهَا

---

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٥٧/١. وكتاب العِقد الفريد، ١٨٠/٤، ١٨١. بَطن عاقل: موضع على طريق حاجّ البَصرة بين رامتين وإمَّرَة. الكُلاب: وادٍ يُسْلك بين ظهرَي ثَهلان، وثَهلان جبل في ديار بني نُمَيْر لاسم موضعين أحدهما اسم ماءٍ بين الكوفة والبَصرة، وقيل ماء بين جَبَلة وشَمَام على سبع ليالٍ من اليمامة، وفيه كان الكُلاب الأوّل والكُلاب الثاني من أيّامهم المشهورة (معجم البُلدان، ياقوت الحمويّ، ٦٩/٤، ٤٧٢). استحرَّ القَتْل: اشتدّ (لسان العرب: حَرَّ).

(٢) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٩٥/١. وفي النّسب الكبير، تحقيق ناجي حسن، ١٦٣/١: البيت الأوّل: " وتُخْبِرَها" مكان " وتَخيَّرَها". البيت الثّاني: "تطعن" (من غير حركات) مكان " تُطْعَنُ". " بِمُدْيَتها" مكان " مُدْيَتَها".
ذُراها: أعلاها، وهي جمع ذُرْوَة، وذِروة كلّ شيء أعلاه، وجمعها ذُرىً. المُدْيَة: الشَّفْرَة. الحَشَى: ظاهر البطن وهو الحِضْن، وهو أيضاً ما دون الحِجاب ممّا يلي البطن كلّه من الكَبِد والطِّحال والكَرش (لسان العرب، ابن منظور: ذَرَوَ، مَدَى، حَشَا).

(٣) النَّسب الكبير، ٩٥/١. وفي النّسب الكبير، تحقيق ناجي حسن، ١٦٣/١: البيت الأوّل: " هذا " لعلّها " هِنْدًا ". البيت الثاني: " عَدَنًا" مكان "عَذْبًا".
المَناهل: جمع المَنْهَل، وهو موضع الشُّرْب. أَدبُّ الساعدين: كثير شَعْر الساعدين. مُعْضِلَة: المُعضِلة في أصل معناها هي التي يَعسر عليها ولدها حتى تموت، ثمّ استعيرت للمسألة الصعبة أو الخطّة الضيّقة المخارج (لسان العرب: نَهِلَ، دَبَّ، عَضَلَ).

فالشاعر قَساس يردّ على أبي هَنِيّ وينقض أبياته بأنّ أبا هَنِيّ استنكر زواج قيس بهند؛ لأنّه كان يطمع من الزواج منها بدلاً من قيس، وأنَّ هِنْداً لم تَرْضَ به زوجاً لأنّه لم يكن مِمَّن تهواه وترغب به، وأنّها سَعتْ للزّواج من قيس ولم تُكْرَه على الزواج منه كما ادّعى أبو هَنِيّ ، وإنّما حامت حوله تطلبه من بين فرسان العرب، فارتَضَتْه زوجًا لها، ولم تجد مثله فارساً شجاعاً مِغواراً ذا تجارب كثيرة في الحرب والقتال يكفي قومه حلّ الأمور العسيرة.

وتظهر العِزة والأنفة جليَّةً في أبيات النابغة الذُّبيانيّ التي قالها يُحذّر بها قومه بني ذُبيان وينهاهم عن الإقامة وقت الربيع في وادٍ احتماه النُّعمان بن الحارث للملك، ويُسمّى "ذا أُقُر" – وهو وادٍ مملوء حَمْضاً ومياها – فلمّا حَذَّرهم النابغة وخوّفهم إغارة الملك لم يأبَهُوا له وتربّعوه وعَيَّروه خوفه من النّعمان – إذ كان منقطعاً إليه – فلمّا مات النعمان رثاه النابغة وانقطع إلى أخيه عمرو بن الحارث، ثمّ وجّه عمرو إلى قوم النابغة خيلاً فأصابهم[١]*، وفي ذلك يقول النَّابغة الذُّبيانيّ* [من البسيط][٢]:

لا أعــرِفَنْ رَبْرَبــاً حُــوراً مَــدامِعُها كـــأَنَّهُنَّ نِعـــاجٌ حـــول دُوَّارِ

يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جَاء عن عُرُضٍ بأوجُـــهٍ مُنكـــرِاتِ الـــرِّقّ أحـــرارِ

يُـــذْرينَ دَمْـــعَ عُيـــونٍ دَمْعُهـــا دِرَرٌ يـــأمُلْنَ رِحلَـــةَ حِصْـــنٍ وابـــنِ سَـــيَّارِ

---

(١) انظر: ديوان النابغة الذُّبيانيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٧٥. أُقُر (بضمّ الهمزة والقاف): اسم وادٍ لبني مُرَّة، عن أبي عبيدة، وأنشد للنّابغة، وهذا مطلع القصيدة:

لقد نَهَيْتُ بني ذُبيانَ عن أُقُرٍ وعن تربُّعهم في كُلّ أصفارِ

(معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٣٥/١. وديوان النابغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٧٥). الحَمْض: ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات، وهي كفاكهة الإبل (القاموس المحيط، الفيروزبادي: حَمُضَ).

(٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٠، ١١. وديوان النابغة، ص: ٧٥، ٧٦، مع اختلاف في رواية البيت الأوّل: "كأن أبكارها نِعاج دَوّارِ" والبيت الثالث: يُذرين دَمْعاً على الأشفار مُنْحدِراً". الرَّبْرَب: القَطيع من بقر الوحش، وقيل مِن الظِّباء، ولا واحد له. الحُور: جمع حَوْراء، والحَوَر: شدّة سواد المقلة في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد. نِعاج: إناث البقر الوحشيّ. دُوّار: مُستدار رَمْل تدور حوله الوحش (لسان العرب: رَبَبَ، حَوَر، نَعَج، دارَ). وقال محمود شاكر محقّق الجمهرة في شرح البيت الأوّل: "لا أعرِفَن: أوقع النهي على نفسه والمراد به غيره، ومثله: (لا أراك ههنا) أي لا تكن بمكان أراك فيه. فمعنى البيت: لا تكونوا بمكانٍ تُسبَى فيه نساؤكم، ويقال في التهديد والوعيد. وقوله (رَبْرَباً حُوراً مَدامِعُها) يعني سِرباً من النساء بيض الوجوه حرائر، وشَبَّهَهُنّ بالنِّعاج، وهي إناث البقر الوحشيّ، وقوله في هذه الرواية: "حول دُوّارٍ"، إنّما يعني دُوّار الرَّمْل، وهو مستدار رمل تدور حوله الوحش، تستودع أولادها رَمْلَة سَهْلة في وسطه، ثم تدور حوله وترود لتحفظه. ومن زعم أنّ "الدُوّار" ههنا الصنم الذي كان أهل الجاهليّة ينصبونه، ويجعلون موضعاً حوله يدورون به فقد أبطل" (الجمهرة، ص: ١٠، ١١: الحاشية ٤). الشَّزْر: النَّظر بمؤخَّر العين، وقيل هو النَّظر عن يمين وشمال، وأكثر ما يكون في حالة الغَضب. عن عُرُض: عن جانب، أي أنّهن لا يلتفتنَ (لسان العرب: شَزَر، عَرَض)، وهو يقول: "ترى في وجوههنّ الحُريّة وإنكار الرِّقّ الذي وَقَعْنَ فيه" (الجمهرة، ص: ١١: الحاشية ١). يُذْرِينَ: يُسْقِطْنَ ويُنْزِلْنَ، أذْرَت العين الدمع تُذريه: صَبَّتْهُ. دِرَرٌ: جمع دِرَّة، وهي ما سَفحَ من الدَّمع (لسان العرب: ذَرَى، دَرَّ)، يقول: "دمعها سَفُوحٌ مُتَتابَع. وحِصْن هو ابن حُذيفة الفَزاريّ، يقول: يترقَّبْنَ مجيء حِصْن وابن سَيَّار لِيَفُكّا إسارهُنَّ (الجمهرة، ص: ١١: الحاشية ٢).

ويُبدي النابغة الذبيانيّ في هذه الأبيات خوفه على نساء قبيلته من السَّبي، واستياءه مِمّا سيؤول إليه حالهنّ من الذُّلّ والعار، إذ خالف قومه بنو ذبيان أوامره لهم ونُصْحه إيّاهم وتربَّعوا ذلك المكان الذي نهاهم عن الإقامة فيه. والنَّابغة يستنكر ذلك مستخدماً أسلوب النهي "لا أَعرِفَنْ" الذي خرج به إلى التّهديد والوعيد لقومه، وهو يصف نساءهم بأنّهُنَّ حرائر بيض الوجوه، مُشَبِّهاً إياهنّ بسِرْبٍ من إناث البقر الوحشيّ تدور حول دُوّار رمل، ويصوّرهنّ وهُنَّ خائفات من السَّبي بأنّهنّ ينَظرنَ بمؤخّر عيونهنّ ولا يَلتَفِتْنَ مباشرةً، مُنكِراتٍ حال الأسر الذي وقَعْنَ فيه، وقد سالت دموعهنّ تِباعاً وكأنّهنّ يَرْقُبْنَ يائساتٍ حِصْن بن حُذيفة وابن سَيّار الفَزارِيَّيْن لِيَفُكّا أَسرهُنَّ.

د- الوفاء:

يُعَدّ وفاء العربيّ لقبيلته من مظاهر العصبيّة القَبَلِيّة، إذ لا يجد مَفَرّاً مِن الانصياع لقومه، ولا يملك أن يخالفهم ويخرج عن رأيهم وإنْ وقع بينه وبينهم خلاف؛ إذْ هو واحد وهم الجماعة، فإنْ أصابهم ضَيْم هَبَّ لنجدتهم، لأنّ ما ينزل بقومه سيصيبه لا محالة، وما يصيبه سيؤثّر في قومه[١]*، ولذلك فإنّنا نرى على ألسنة الشعراء ما يعبّر عن هذه المعاني أصدق تعبير، من مثل الأبيات التي رواها مؤرّج السدوسيّ لِعكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وقالها يمدح بها البطن الذي يَنتسب إليه (بني عبد الدّار)* [من الطويل][٢]:

أَلا ذَهَب المُوفون بالعَهد والذِّمَمْ ... وساقِي الحَجيجِ والمُحامي على الكَرَمْ

ومَنْ يَرْفِدُ المَولَى إذا جاءَ غارِماً ... ومن يحملُ العِبءَ الثقيلَ إذا أَحَمّْ

فإنْ يَكُ قومي قد أُصيبوا فإنَّهمْ ... بَنَوْا لَكُمْ خَيْرَ البَنيّةِ والقَدَمْ

هُمُ وَجَّهوا أولى المُغيرةِ عَنكُمُ ... وهُمْ ضربوا وجهَ الكتيبةِ فانهزَمْ

ومُسْتَصْرِخٍ يدعو لُؤيّ بنَ غالبٍ ... وهُمْ حولَه كالبحر إذا جاشَ فالتَطمْ

وكانت عبد مناف قد تحالَفَتْ على إخراج بني عبد الدّار من الحجابة والرِّفادة واللِّواء والسِّقاية[٣]*، فقال عِكرمة هذه الأبيات وفاءً لقومه بني عبد الدار، ومَدَحهم لعهودهم ونِمَمهم، وذَكَر شَرَفَهم في سقاية الحجيج وغيرها مِن المآثر التي كانوا يقدّمونها لأهل مكّة، ومن تلك المآثر دفاعُهم عن شرف*

(١) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٠٢/٤.

(٢) كتاب حَذف من نسب قريش، ص: ٤٧، ٤٨. يَرفِدُ: يُعين ويُعْطي. الغَارِم: الذي عليه دَين، والغُرْم: الدَّيْن. أحمَّ الشيء: دنا وحضر. البَنِيَّة: كلّ ما يُبنى، وتطلق على الكعبة. القَدَم: السَّبق في الخير والمعروف. جَاش البحر: هاج واضطرب (لسان العرب، ابن منظور: رَفَد، غَرِمَ، حَمَّ، بَنَى، قدَمَ، جَاشَ).

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور: حَلَف.

القبائل، وعَطْفُهم على الفقراء من الناس الذين خسروا أموالهم في تجارتهم، فكانوا يَمدّونهم بالمال ويقضون عنهم ديونهم، وكانوا يتحمَّلون الأعباء الثقيلة التي كانت تنزل بقبيلة قريش.

ويبدي الشاعر حزنه لما آل إليه حال قومه بعد أن كانوا سادة قريش؛ إذ بَنَوْا أمجاد قبيلة قريش بُحسن فِعالهم وسَبْق معروفهم، وهم الذين حاموا عنها وردّوا عنها إغارات الأعداء وهزموهم، وكَم مِنْ مُسْتغيثٍ دعا واستنصر جدّهم الأعلى لُؤيّ بن غالب فأغاثوه، وكانوا حوله كالبحر تضرب أمواجه بعضها بعضاً.

ومِنْ صور الوفاء عند العرب وفاؤهم لِمَنْ أَسدى إليهم معروفاً من غير قومهم، فردّوه إليهم شعراً اعترافاً بُحسْن صنيعهم وجميل معروفهم، إذ ذكر ابن الكلبيّ أنَّ رأس الطّين وهو حارثة بن عديّ بن كعب بن عُلَيْم – وكان شريفاً – أسر الحارث بن قيس من بني كنانة بن تَيْم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب التغلبيّ، ثمّ أَطلقَه(١)*، فقال الحارث بن قيس* [من الوافر]*(٢)*:

ألا إنّي لَعَبْدُ بني عُلَيْمٍ ولَسْتَ لسائر الأقوام عَبْدا

ولو أنّي أُخَيَّرُ في مَعَدٍّ لِأَخْلُدَ فيهمُ لاخترتُ زَيْدا

فالشاعر يُبدي امتنانه لسيّد من سادات بني كلب، وهو رأس الطّين الّذي أسره ثم فَكّ إساره، ولذلك فإنّه يعبّر عن وفائه له بالمعروف الذي أسداه إليه بإطلاق سراحه، إذْ طوَّق بذلك عنقه لدرجة جعلته يصف نفسه بأنّه عبد لقومه "بني عُلَيْم". ويتمنَّى الشاعر لو أنّه خُيّر في سائر قبائل مَعَدّ – وهم قومه – لَتَركَهُم واختار قوم الممدوح بني زيد بن كعب بن عُلَيْم من اليمن. والشاعر يستخدم أداة التنبيه "ألا" ليَلفِت انتباه المُخاطبَين أو السامعين ويؤكّد لهم مضمون ما بعدها من خِطاب وإعلام.

ومن الشواهد الشعريّة التاريخيّة على هذه القيمة الخُلُقيّة العظيمة عند العرب أبيات امرئ القيس التي رواها ابن الكلبي، وقالها امرؤ القيس يمدح بها جارية بن مُرّ الثَّعَلي. وكان جارية هذا أجاره وأكرمه بعد أن **" نَزَل على خالد بن سُدوس بن أَصمع النّبْهانيّ، فأغار عليه باعث بن حُوَيص الجَديليّ الطائيّ في رجال معه فذهبوا بإبله، فلمّا علم ذلك امرؤ القيس أخبر جاره خالداً، فقال له خالد: أَعْطِني رواحلك ألحق القوم فأردَّ إبلك. فأعطاه رواحله فركبها خالد، فلمّا أدركهم قال: يا بني**

---

(١) انظر: النَّسب الكبير، ٣٣٦/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٣٢٩/٢. قوله "لاخترتُ زيدا" هم قوم رأس الطّين؛ لأنَّ بني زيد هم بنو جابر وقيس وعديّ بني كعب بن عُلَيم، وقد نُسِبُوا إلى أمّهم زيد بنت مالك بن عِمّيت مِن بني كلب (النسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٢٩/٢). والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنى والأنساب، ابن ماكولا، تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليمانيّ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدَّكَن، الهند، ١٩٦٣م، ١٣٦/٢. وذكره ابن الكلبيّ في موضع آخر فقال يذكر بني مَعْقِل الكَلبيّين: "ومنهم قُبَيْس بن الحُنَيف بن سعود بن حارثة بن مَعْقِل بن كعب بن عُلَيم بن جَناب، كان فارساً في الجاهلية، وقيس ابن أبي سَخْطى – وهو زيد مناة – ابن مَعْقِل، وله يقول رأس الطين: ... (وأنشد بيتاً) (النسب الكبير، ٣٣٣/٢). وقد ورَدت "زَيد" "زَبْد" بالباء تصحيفاً (ديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ٢٨٣/١).

جَديلة، أغَرْتُمْ على جاري فردّوا إليه إبله، فقالوا ما هو لك بجار! فقال: بلى والله، ما هذه الإبل التي معكم إلاّ كالرّواحل التي تحتي! فقالوا: أكذاك؟ فرجعوا إليه فأنزلوه عنها وذهبوا بها أيضاً. فلمّا عاد إلى امرئ القيس بهذه الحال تحوَّل عنه إلى جارية بن مُرّ الثُّعَليّ فأجاره وأكرمه"(١).

فقال امرؤ القيس يمدحه ويمدح قومه بني ثُعَل وينمّ خالدا [من الطويل](٢):

أَبَـتْ أجَـأٌ أنْ تُسْـلِمَ العَـامَ جارهـا ... فَمـنْ شاءَ فليـنهضْ لهـا مِـن مُقاتِـلِ

تَبيـــتُ لَبـــوني بالقُريَّـــة أُمَّنـــاً ... وأَســـرَحُهَا غِبّـــاً بأكنـــاف حائـــلِ

بَنُـــو ثُعَـــلٍ جيرانُهـــا وحُماتهـــا ... وتُمنـــعُ مِـــن رُمـــاة سَـــعْدٍ ونائـــلِ

---

(١) مجمع الأمثال، الميدانيّ، ٢٦٧/١، ٢٦٨. وشرح ديوان امرئ القَيس، ومعه أخبار المَراقِسَة وأشعارهم في الجاهليّة وصدر الإسلام، تأليف حسن السَّندوبيّ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٥٩م، ص: ١٧٣، ١٧٤.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحَمويّ، ٢١٠/٢. وشرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، ص: ١٧٥. "نابِل" مكان "نائل". أجَأ: أحد جبلي طيّئ، والمراد أهل أَجَأ. اللَّبُون: مِن الشَّاء والإبل ذات اللَّبن، والشاعر يريد بها نوقه التي يَحتلب لبنها. أسْرَحُها: سَرَّحْتُ الماشية أي أَخْرَجْتُها بالغَداة (النهار) إلى المرعى. غِبّاً: ساعةً بعد ساعة أو وقتاً بعد وقت. الأَكناف: جمع الكَنَفَة، وهي ناحية الشيء. بنو ثُعَل: قبيلة مِن طيّئ كان رجالها معروفين بالحَذْق في الرّماية. سعد ونابل: مِن رُماة بني نَبهان (لسان العرب، ابن منظور: لَبَن، سَرَح، غَبَّ، كَنَفَ. وشرح ديوان امرئ القيس، ص: ١٧٥: الحواشي ١، ٢، ٣). القُريَّة: تصغير قَرْيَة، مكان في جَبَلي طَيِّئ مشهور. حائل: وادٍ في جَبَلَي طَيِّئ (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٤٠/٤، ٢١٠/٢).

قال ياقوت الحمويّ: "ثم إني وَقَفْتُ بعدما سَطَرْتُه آنفاً، على جامع شعر امرئ القيس، وقد نصَّ الأصمعيّ على ما قُلْتُه، وهو أنّ أَجأ موضع، وهو أحد جبلي طَيّئٍ، والآخر سَلمى. وإنّما أراد أهل أَجَأ... وأما سبب نزول طَيِّئ الجبلين، واختصاصهم بسكناهما دون غيرهم من العرب، فقد اختلف الرواة فيه. قال ابن الكلبيّ، وجماعة سواه: لمَّا تفرَّق بنو سَبأ أيام سَيل العَرِم سار جابر وحَرْمَلة ابنا أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُريب بن زيد بن كهلان. والحكاية عنه، وكان أبو عبيدة قال زَيد بن الهُمَيْسَع؛ فساروا نحو تِهامة وكانوا في ما بينها وبين اليمن، ثمّ وقع بين طَيّئ وعمومته مُلاحاة ففارقهم وسار نحو الحجاز بأهله وماله وتَتبَّع مواقع القَطْر، فسمّي طَيِّئاً لطَيِّه المنازل، وقيل إنّه سُمِّيَ طَيِّئاً لغير ذلك. وأَوغلَ طَيِّئ بأرض الحجاز، وكان له بعير يشرد في كلّ سنة عن إبله، ويغيب ثلاثة أشهر، ثم يعود إليه وقد عَبُلَ وسَمن وآثار الخُضْرة باديةٌ في شِدْقَيْه، فقال لابنه عمرو: تَفَقَّدْ يا بُنيَّ هذا البعير، فإذا شَرَد فاتَّبِع أثره حتّى تنظَر إلى أين ينتهي. فلمّا كانت أيّام الربيع وشَرَد البعير تبعه على ناقة له فلم يزل يقفو أثره حتى صار إلى جبل طيّئٍ، فأقام هنالك ونظر عمرو إلى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والرّيف، فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فسار طَيِّئٌ بإبلِه وولده حتّى نزل الجَبلَين فرآهما أرضاً لها شأن، ورأى فيها شيخاً عظيماً، جسيماً مديد القامة، على خَلْق العاديّين ومعه امرأة على خَلْقه يُقال لها سَلمى، وهي امرأته وقد اقتسما الجبلَين بينهما بنصفين، فأجأٌ في أحد الجبلين وسَلمى في الآخر، فسألهما طَيِّئ عن أمرهما؛ فقال الشيخ: نحن مِن بقايا صُحار غَنِينا بهذين الجبلين عَصْراً بعد عصر، أفنانا كَرُّ الليل والنّهار؛ فقال له طَيِّئٌ: هل لك في مشاركتي إيّاك في هذا المكان فأكون لك مُؤْنِساً وخِلّاً؟ فقال الشيخ: إنّ لي في ذلك رأياً فأَقِمْ فإنّ المكان واسع، والشجر يافعٌ، والماء طاهرٌ، والكلأ غامِرٌ. فأقامَ معه طيّئٌ بإبلِه وولده بالجبلين، فلم يَلْبَثْ الشيخ والعجوز إلَّا قليلاً حتى هَلَكا وخَلَص المكان لطَيِّئٍ فولَدُه به إلى هذه الغاية" (معجم البلدان، ٩٦/١، ٩٧). مُلاحاة: تَنازُع. الشِّدْقان: مثنّى الشِّدْق، وهو جانب الفَم، والشِّدْقان: طَقْطَقَه الفم من باطن الخَدَّيْن. يَقفو أثره: يَتَّبِعُه (لسان العرب: لَحا، شَدِقَ، قَفَا).

فامرؤ القيس يمدح بني ثُعَل قوم جارية بن مُرّ الثُّعَليّ لإكرامهم إيّاه وصَوْنهم حقّه في الاستجارة بهم، ويُعَرِّض بقوم خالد بن نَبْهان الذين خَفَروا ذمّته، إذ يقول: إنّ بني ثُعَل من أهل جبل أجَأ قد استعصوا ومنعوا الأعداء الذين أغاروا على جارهم – ويعني نفسه – فلم يُسلموه لهم. وهو يفخر بعزّتهم ومَنَعتهم، ومَنْ أراد من الأعداء أن يختبر قوّتهم ويَلقى الهزيمة فلينهضْ لقتالهم، ويقول إنَّ مِن علامات حرصهم على أمن المستجير بهم أنّ نُوقَه تبيت بالقُرَيَّة في جبل أجَأ آمنة مطمئنةً، ويرسلها في مراعيهم حيناً بعد حين في جوانب وادي حائل المحيط بجبل أجَأ، فلا يمسّها بذلك أيّ مكروه، وما ذلك إلاّ لأنّ بني ثُعَل قوم جارية الممدوح هم حُماته من رُماة سعد ونائل النَّبْهانيّين.

هـ- حمل الدِّيَة:

ومن مظاهر العَصَبيَّة القبليّة حمل الدِّيَة، إذ تفرض القبيلة على أفرادها تحمُّل التَّبِعَة التي يجرُّها ارتكاب رجل أو رجال من القبيلة جناية قتل رجل أو جماعة من قبيلة أخرى، وهي تَبِعَة جماعيّة؛ فتكون قبيلة الرجل القاتل مسؤولة عن جنايته، ويقع عليها دفع الدِّيَة إذا عجز القاتل أو عشيرته الأقربون عن دفعها. وقد يتحمّل الدية سادة القبيلة أحياناً، إذ يدفعونها كاملة أو يدفعون ما تبقّى منها، وقد يشترك في دفعها الموسرون من أفراد القبيلة(١).

وقد روى الزُّبَيْر بن بَكّار بيتين من الشعر لأرطاة بن سُهَيَّة المُرّي يمدح بهما الحارث بن سفيان الصارديّ وسَيَّار بن عمرو بن جابر الفَزاريّ – وهو أخو الحارث بن سفيان لأمّه – لتأديتهما دية ابن الملك النُّعمان بن المنذر الذي قتله الحارث بن ظالم المُريّ ابن أخت الحارث بن سفيان؛ فقد أدّى الحارث بن سفيان ألف ناقة إلاّ مئةً دية ابن النعمان، ثم رهن قوسه بالمئة بالباقية، ثم أدركه الموت، فأدّى المئة سَيَّار ابن عمرو بن جابر الفَزاريّ أخو الحارث لأمّه(٢)*، وفي ذلك يقول أرطاة بن سُهَيَّة المُرّيّ* [من الطويل](٣):

رَبَطنا دِياتٍ للملوك سَعَى بها سِنانٌ وسَيَّار بن عمرو فأسْرَعَا

---

(١) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٩٥/٤.

(٢) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٢. وانظر الخبر أيضاً في: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٧٧/١١، ٧٨. وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧.

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار. وقد ورد البيتان لقُراد بن حَنَش الصارديّ – وهو شاعر جاهليّ من بني صَارِدة (خزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٥/٧) – بترتيب ولفظ مختلفين على النحو التالي:

ونحن رَهَنَّا القوس ثُمَّتَ فودِيَتْ بألفٍ على ظهر الفَزاريّ أقرَعا

بعشر مئينٍ للملوك سعى بها ليوفِيَ سَيَّارُ بن عمروٍ فأَسْرَعا

(كتاب الأغاني، ٧٨/١١. وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧)، ووردا أيضاً بترتيب ولفظ مختلفين لِقُراد بن حَنَش الصارديّ في: جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزّبير بن بَكَّار، ص: ١٩:

يكلِّفُهُمْ ما شاء ثمّ وَفَوْا بألفٍ على ظهر الفَزاريّ أقرَعا

بعشر مئينَ للملوك سَعى بها ليُحْمَد سَيَّارُ بن عمرو فأسْرَعا

ابن مُزْنة: أراد "ابني مُزنة"، وهما: سَيَّار بن عمرو والحارث بن سفيان (جمهرة نسب قريش، ص: ١٣). أَقْرَعا: أراد "ألف أقرع" أي تامّ (لسان العرب، ابن منظور: قَرَع)، وقال البغداديّ: " ألف بعير، وهي دية الملوك، ورَهنه بها قوسه، فَوفى. وكان هذا قبل قوس حاجب بن زُرَارة " (خِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧)، ولعلّه أراد " قبل رهن قوس حاجب بن زُرَارة " الّتي رَهنها عند كِسرى (انظر: خِزانة الأدب، ٣٥٤/١).

ونحـن رَهَنّـا القـوس ثـم افتكَكْتُهـا بـألْفٍ علـى ظَهـرِ ابـنِ مُزْنَـةَ أقرَعَـا

فالشاعر يفخر بإسراع سادة قومه بتحمّلهم دية ابن الملك، واستخدم (ديات الملوك) مبالغاً للتفاخر والتباهي، ويفخر أيضاً بتحمّل قبيلته مسؤوليّاتها تجاه الجُناة مِن أبنائها – ويعني بذلك قريبه الحارث بن ظالم المُرّيّ – وعدم تخلّيها عنه. ويكشف البيتان عن عمق شعوره بالانتماء إلى القبيلة والوفاء بالعهود والذِّمَم تجاه أبنائها، وآية ذلك استخدام الشاعر ضمير المتكلّمين (نحن).

وقال قُراد بن حَنش الصارديّ يمدح سَيَّار بن عمرو بن جابر الفَزاريّ حَمالته لِدِيَة ابن النُّعمان [مِن الطويل][(١)]:

إذا اتَّفقَ العَمرانِ عمروُ بن جابرٍ وبدرُ بن عمروٍ كان ذُبيانُ تُبَّعا

وذلك أنّ الله فَضَّل مازناً وبدراً على ذُبيانَ بالفضل أَجْمَعا

وأَنَّهُمُ مأوى الحَمالاتِ منهمُ وأصبرُ إنْ عَضَّ الزّمانُ فأَوجَعَا

وأَنَّهُمُ مأوى الطريدِ إذا ضَوَى وقد راح مرعوبَ الفؤاد مُروَّعَا

هُمُ حاربوا النُّعمانَ في عَصر دَهْرِهِ فما اسطاعَ أن يستطلعَ الحرب مَطْلَعَا

يكلّفُهُمْ ما شَاءَ ثمّ وَفَوْا بها بأَلفٍ على ظَهْر الفَزاريّ أقرَعَا

بعَشْرِ مئينَ للملوكِ سعى بها ليُحمَدَ سَيَّارُ بنُ عمرو فأسرعا

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبَيْر بن بكّار،: ص: ١٨، ١٩. وكتاب المُثنّى، أبو الطَّيِّب اللغويّ، تحقيق وشرح عِزّ الدين التنوخيّ، دمشق، ١٩٦٠م، ص: ٥٤، ٥٥: ذكر بيتين: الأوّل وبيتاً آخر لم يَرْوِه الزّبير بن بكّار، ولم ينسبهما أبو الطيّب اللغويّ لأحد:

إذا اجتمع العَمرانِ عمروُ بن جابرٍ وبدرُ بن عمروٍ خِلْتَ ذُبيانَ تُبَّعا

وأَلْقَوْا مقاليد الأمور إليهمُ جميعاً قِمَاءً كارِهينَ وطُوَّعَا

ولسان العرب: عَمَر: ذكر البيتين السابقين لِقُراد بن حَبش الصارديّ: "إليهما" مكان "إليهم".

العَمران: ذكر أبو الطيّب اللغويّ أنّهما عمرو بن جابر وبدر ابنه (كتاب المثنّى، ص: ٥٤)، وفي لسان العرب: عَمَر: "عمرو بن جابر بن هِلال بن عَقيل بن سَمِيّ بن مازن بن فَزارة، وبدر بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عَديّ بن فَزارة"، وهو الصواب كما ذكر محمود محمّد شاكر محقّق جمهرة نسب قريش (ص: ١٨: الحاشية ١). مازن: بنو مازن بن فَزارة بن ذُبيان، وبدر: بدر بن عمرو أبو حذيفة بن بدر(جمهرة نسب قريش، ص: ١٩: حا ١). ضَوَى إليه: طَرَقَه ولَجأ إليه (لسان العرب: ضَوَى).أراد بقوله "عَصْر دهره" زمان سلطانه = =وبأسه، جعل "الدهر" هو السلطان والملك، وهذا معنىً أغفلته كتب اللغة (جمهرة نسب قريش، ص: ١٩: الحاشية ٣). الأبيات ٦–٨ عند أبي الفرج الأصفهاني برواية مختلفة، قال: ويُقال لربيع بن قَعْنَب (الأغاني، ٧٨/١١).

أتــاهُمْ بــآلاف المِئــينَ فأصــبحتْ ... ثَنايــاهُ للسَّــاعِينَ للمَجْــدِ مَهْيَعــا

إذا بــادَروه المَجْــد أربــى علــيهمُ ... بسَـجْلَيْنِ حَتَّـى استفرَغ المَجْدَ مُتْرَعـا

ومـا رَفَـدتْ سـعدُ بـن ذُبيـانَ قومَهـا ... بِجَـدْيٍ لهـا فـي ذلـك الأمـر أصْـمَعَا

ولكــنَّهمْ قــومٌ كَفــاهُمْ أخــوهُمُ ... فَــزارةُ شَــعْبَ الأمــر حــين تَصــدَّعا

هـم النــازلونَ الثَّغْـرَ قُـدَّامَ قـومِهِمْ ... يُعِــدُّونَ للأعــداء سَــمّاً مُسَــلَّعَا

فالشاعر يمدح عمرو بن جابر وبدر بن عمرو الفَزارِيَّيْن مُشيداً بفضلهما وتأثيرهما في القبيلة، إذ كان قرارهما نافذاً في القبيلة كلّها، وصار أفراد القبيلة مِن ذُبيان تَبَعاً لهما في كل ما يُقرّرانه ويريانه صواباً، وأنّ الله فَضَّل بني مازن بن فَزارة وبدر بن عمرو على سائر قبيلة ذُبيان، وأنّهم أهل لتحمُّل ديات القتلى وأكثر صبراً عند الشدائد والمُلِمَّات، وهم أيضاً ملجأ لجميع الجُناة والخارجين عن القبيلة إذا طرقوا بابهم قاصدين حاجتهم، وقد حاربوا الملك النعمان في زمان سلطانه وبأسه، فلم يقدر عليهم لشدّة بأسهم وشجاعتهم.

ويقول الشاعر إنّ النعمان قد كلّفهم بدية ابنه ما يريد من مال، ثُمَّ وَفَوْا له بها بألفٍ تامّةٍ من الإبل تَحمَّلها سَيَّار بن عمرو الفَزاريّ وأسرع في أدائها. ويمدح سَيَّار بن عمرو بأنّ سادة ذُبيان قد سابقوه إلى المجد فما استطاعوا، وسَبَقهم وظفر بالمجد وحده حتى امتلأت دِلاؤه وفاضت مِن خيره وعطائه. ويذمُّ سعد بن ذبيان بأنّها قَصَّرتْ في تَحمُّل الدِّيَة ولم تُعِنْ قومها في هذه الدِّيَة ولو بِجَدْيٍ أَصْمَع، وأمّا فَزارةُ فقد كفى قومه الدية وأصلح أمرهم بعد أن كاد يتشقَّق ويتصدَّع، ويصف شجاعتهم بأنّهم يتقدّمون قومهم ويُعِدُّون لأعدائهم ببأسهم وقوّتهم السُّمّ الناقع.

مَهْيَعا: طريق مَهْيَع: أي واضح واسع بَيِّن وجمعه مهايع. بادروا: أسرعوا. أرْبَى: زاد. السَّجْل: الدَّلو الضَّخْمة المملوءة ماءً. مُتْرَعاً: ممتلئاً. الأَصْمَع: الصَّغير الأُذن مِن المَعْز التي أذنها كأذن الظَّبْي. تَصَدَّع: تشَقَّق. مُسَلَّعا: مسموماً من السَّلَع، وهو نَبت يخرج في أول البقل لا يُذاق، إنّما هو سَمّ (لسان العرب: هَيَع، بَدَر، رَبا، سَجَل، تَرِعَ، صَمَعَ، صَدَع. وتاج العروس: سَلَعَ).

ثانيًا: الحياة السِّياسيّة:

شَهِد العصر الجاهليّ حياة سياسيّة تمثَّلتْ في مجموعة من القيم حَدَّدتها علاقة القبائل العربيّة في ما بينها، وعلاقة بعض القبائل العربيّة ذات السِّيادة والمكانة العالية مع النفوذ الخارجيّ المُمثَّل في دولتي الفرس والرّوم وملوك الحيرة المناذرة اللخميّين.

ويمكن أن نقسّم القيم السياسيّة التي شهدتها القبائل العربيّة إلى: قيم سياسيّة سِلميّة تمثَّلت في عقد التحالفات التي حَدَّدت صلات قبيلة ما بالقبائل المجاورة لها سواء جمعتها معها رابطة النسب أم لم تربطهما، وقيم حربيّة تمثّلت في غزو القبائل لغيرها من القبائل وذكر ما جرى بينها من أيّام ووقائع وغارات(١).

آ- الأحلاف:

دفعت الظروف المعيشيّة الصعبة بعض قبائل جزيرة العرب إلى تشكيل أحلاف رعايةً لمصالحها وحمايةً لحقوقها وحقوق غيرها من القبائل المجاورة الضّعيفة، وبذلك تقوى بها وتدفع عن نفسها وعن القبائل المتحالفة معها الظُّلم والعدوان إذا ما تعرضت للأخطار من القبائل المعادية لها. ولم يكن باستطاعة القبائل أو العشائر الصغيرة كلّها أن تحافظ على نفسها من غير حليف قويّ يشدّ أزْرها إذا هاجمتها قبيلة أخرى أو أرادت أخذ الثأر منها، ولذلك فقد دخلت قبائل كثيرة في هذه الأحلاف(٢)؛ وفي ذلك يقول البكريّ: **"فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفُرقة وتنافس الناس في الماء والكَلَأ، والتماسهم المَعاش في المُتَّسَع، وغَلَبة بعضهم بعضاً على الميلاد والمعاش واستضعاف القويّ الضعيف، انضمَّ الذَّليل منهم إلى العزيز وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحالّهم وانتشر كلُّ قوم في ما يليهم"(٣).**

ولا يعني هذا أن جميع القبائل كانت تدخل في أحلاف، فهناك عدد قليل من قبائل العرب كانت تمتاز بالقوّة والكثرة في العدد والعُدَّة، واستغنت بذلك عن التحالف مع قبائل أخرى لِمَا وَجَدتْ في نفسها مِنْ إحساس بقوّتها وَمَنَعتها وعِزّتها، وكان هذا الأمر مبعث افتخارها بنفسها؛ لأنّها لم تعتمد كغيرها على حليف يُدافع عنها، بل كانت تأخذ ثأرها بنفسها وتنال حَقّها بالسَّيف، وقد عُرِفَت هذه القبائل بجَمَرات العرب(٤).

---

(١) انظر: الشعر الجاهليّ، خصائصه وفنونه، ص: ٤٦.

(٢) انظر: المفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥١٥/١، ٣٧٣/٤.

(٣) مُعجَم ما استُعْجِمَ من أسماء البلاد والمواضع، ٥٣/١.

(٤) انظر: المُفَصَّل، جواد علي، ٥١٥/١، ٣٧٧/٤. "وجَمَرات العرب – وواحدها جَمْرة – ثلاثة: بنو نُمَيْر بن عامر بن صَعْصَعة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو ضَبَّة بن أُدّ. وإنّما سُمّوا بذلك؛ لأنّهم متوافرون في أنفسهم فلم يُدْخِلوا معهم غيرهم، والتَّجمير في كلام العرب التَّجميع. وأشهر هذه الجَمَرات بنو نُمَيْر بن عامر بن صَعْصَعة، وهم أشرف بيوت قَيس بن عَيلان بن مُضَر؛ وكان الرجل منهم إذا قيل له: مِمَّن أنت؟ قال نُمَيريّ إدلالاً بنَسَبه، وافتخاراً بمنصبه" (زهر الآداب، الحُصَريّ، ٢٥/١).

والحِلْف في اللغة اليمين والقَسَم، وأصله العَقْد بالعَزْم والنيَّة، وكذلك العَهد الذي يكون بين القوم، وقد حَالَفه أي عاهده، وتحالفوا أي تعاهدوا. وذكر ابن الأثير أنَّ الحِلف يقوم على تعاقد القوم وتعاهدهم في ما بينهم على الاتّفاق والتعاضُد والتساعد في أمر يَخُصُّهم، وما كان مِن ذلك في الجاهليّة على الفِتَن والقتال والغارات بين القبائل فقد نَهى عنه الإسلام. ويتّصل الحِلف بالحياة الدينيّة أو الشّعائر الدينيّة عند العرب؛ إذ يعمد المتحالفون إلى وضع أيديهم في جَفْنَة مملوءة طِيباً، ثم يقومون بوضع أيديهم فيها ويتعاقدون، ثمّ يَمسحون الكعبة بأيديهم توكيداً لتعاقدهم كما حدث في حلف المُطيَّبين، وهم أَسَد وزُهْرة وتَيْم، إذْ حالفوا عبد مناف عندما أرادت أن تُخرج بني عبد الدّار من الحِجابة والرِّفادة واللِّواء والسِّقاية[١].

وقد كانت مصلحة القبيلة هي العامل المؤثِّر في تشكيل الأحلاف وإطالة أمدها؛ ولذلك فإنَّ الأحلاف كانت تُعقد لتنفيذ شروط اتُّفِقَ عليها؛ كأن تُعقد لمواجهة قبيلة غازية أو للوقوف مع قبيلةٍ مُطَالِبةً بالثأر من قبيلة أخرى. ومتى انقضت تلك المصلحة أو تَلكَّأ أحد الأطراف المتحالفة في التنفيذ انحلَّ ذلك الحلف، وهذا يعني أنّ تفكير العرب لم يكن يتجاوز مصالح القبيلة أو العشيرة، ولم يتولَّد لديهم الاهتمام بمصالح قبائل جزيرة العرب والدّفاع عن بلاد العرب ومقاومة خطر الفرس إلّا في عهد قريب من ظهور الإسلام[٢].

وخير مثال للقبائل التي اقتضت مصالحها عَقد التحالفات والتكتّلات القبيلة هو قبيلة "تَنوخ" في العراق، إذ تشكّلت من تحالف قبائل من العرب في البحرين؛ فقد تحالفوا على التّعاضُد والتناصر والتآزُر في ما بينهم، وقد انضمَّ إلى تَنوخ وتَلاشى فيها كثير من القبائل والعشائر العِراقيّة[٣]. *وهناك حِلف آخر قديم هو "فَرَسَان"؛ إذ تشكّل من بطون مختلفة مِنْ تغلب، وقد تحالفت تلك البطون على أن تنسب إلى هذا الاسم وتَراضَوْا به في ما بينهم*[٤].

ومن أشهر هذه الأحلاف التي شهدها العرب في الجاهليّة "حِلف الفُضول"، وكان هذا الحلف يدعو إلى مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام وأقرَّها، وأهمّها نُصرة المظلومين والوقوف في وجه الظالمين، مهما كانت منزلتهم في قومهم. وعُقِدَ هذا الحِلف في مكّة في دار عبد الله بن جُدْعان سيّد

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور: حَلَفَ.

(٢) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥١٥/١، ٥١٦، ٣٧٣/٤.

(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلاميّة، أصدرها بالإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة أئمّة المستشرقين في العالم، النسخة العربيّة، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، دار الشعب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م، ٨٧/١ (مادّة تَنُوخ).

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروزباديّ: فَرسَ: "فَرَسَان جزيرة مأهولة ببحر اليمن ولَقب قبيلة ليس بأب ولا أُمّ، وإنما هم أخلاط مِن تَغْلِب، اصطلحوا على هذا الاسم، وعَبديد الفَرسَانيّ مِن رجالهم".

قُرَيش في الجاهليّة، وقد شهِدَ هذا الحلف الرسول – صَلَّى الله عليه وسلَّم – مع عُمومته وهو صغير السنّ، وكان لهذا الحِلف أثر كبير في نفسه، إذ يقول: **"لقد شَهِدْتُ في دار عبد الله بن جُدْعان حِلفاً ما أُحِبُّ أَنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولو دُعِيتُ به في الإسلام لَأَجَبْتُ"**. *وكان سادة مكّة قد تحالفوا فيه ألّا يُظلَمَ فيه أحد بمكّة إلّا وقفوا بجانبه حتّى يَرُدَّ ظَلامته*(١). *وفي ذلك يقول نُبَيه بن الحجّاج السَّهميّ – وبنو سَهم من بطون قريش – يذكر حلف الفُضول* [من مجزوء الكامل](٢):

لــــولا الفُضـــولُ وأنّـــه ... لا أمْـــنَ مـــن رَوعائهـــا
لأَتَيْتُهـــا أمشـــي بـــلا ... هـــادٍ لـــدى ظَلمائهـــا
فشَـــرِبْتُ فَضـــلةَ ريقهـــا ... ولَبِثْـــتُ فـــي أحشـــائها

وكان نُبَيه بن الحَجّاج السَّهميّ قد عَلِقَ ابنة رجل مِن خَثْعَم قدم مكّة تاجراً، وغلب أباها عليها وجعلها عنده، فُطِلِبَ من أبيها أن يقصد حلف الفضول ففعل، فأتوا نُبَيه بن الحجّاج وطلبوا منه أن يَرُدّ ابنة الرجل وأَلَحُّوا عليه في ذلك حتى أخرجها إليهم(٣)*، ثم حزن وقال في ذلك شعراً منه هذه الأبيات.*

ويكشف الخبر والأبيات عن قيمة حلف الفضول السياسيّة في حياة العرب في مكّة من حيث إنصاف المظلومين وردّ الحقوق لهم، وتصف الأبيات أثر تعلّقه بابنة الرجل في نفسه، وشعوره بفراقها وبعدها عنه؛ إذ يقول: إنّه لولا حلف الفضول ووفاؤه له، وأنّه لا يستطيع أن يأمن على نفسه دونه لَقَصَد بيت مَنْ أحبّها ومشى إليها وحيداً بلا دليل في ظلمات الليل غير مُبالٍ ومكترث بأحد.

وهذا زهير بن أبي سُلْمَى يمدح خَارجة بن سنان بن أبي حارثة المُرّيّ وابن عمّه الحارث بن عَوف بن أبي حارثة المُرّيّ، ويذكر فضلهما في تدارك حِلف عَبس وذُبيان – بعد أن كاد يَنصَدع – بتأديتهما دية القتلى في دماء عبس وذبيان؛ فرهن خارجة بن سنان قوسه بألف ناقة، ثم أشرك أبوه معه

---

(١) انظر: كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٢٩١. وفِقه السيرة، محمد الغزاليّ، خرَّج أحاديث الكتاب مُحدِّث الديار الشاميّة محمد ناصر الدين الألبانيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م، ص: ٧٥.

(٢) كتاب نسب قريش، ص: ٢٩١. كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٠٦/١٧: "عُدَوائها" مكان "رَوعائها"، ورواية أبي الفرج الأصفهاني أقرب إلى الصواب؛ لأنّ "عُدَوائها" تعني بُعْدها، وأمّا الرَّوع والرَّوعاء فهو الفَزَع، وناقة رَوعاء حَديدة الفؤاد، وفرس رَوعاء: التي كأنَّ بها فَزَعاً من ذكائها وخِفّة روحها. هادٍ: دليل (لسان العرب: عَدَا، راع، هَدَى). وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٠٤/١٧، ٢٠٥: "ولَجِئْتُها" مكان "لأَتَيْتُها". "ولَبِتُّ" مكان "ولبِثْتُ".
وقد أورد أبو الفرج أربعة عشر بيتاً، وتَمامها:

فَسَـــــلي بمكّـــــةَ تُخْبـــــرَي ... أنّـــــا مِـــــن أهـــــل وفائهـــــا
قِـــــدْماً وأفضـــــلُ أهلهـــــا ... مِنّـــــا علـــــى أكفائهـــــا
نَمشـــــي بألويـــــة الـــــوَغى ... ونمـــــوتُ فـــــي أودائهـــــا

(٣) انظر: كتاب الأغاني، ٢٠٤/١٧.

ابن عمّه الحارث بن عوف، فأدّى خارجة بن سنان الألف ناقة، ثمّ أدّيا بعدها مئتي ناقة في القتيلين اللّذَيْن قتلهما ابنا ضَمْضَم المُرّيّ بعد الصُّلح(١)*، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سُلمى* [من الطويل](٢):

فَرِحْتُ بما خُبِّرْتُ عن سَيِّديكُمُ ... وكانوا قديماً كلُّ أمرهما يعلو

تداركتُما الأحلاف قد ثُلَّ عُرْشُها ... وذُبيانَ إذ زَلَّتْ بأقدامها النَّعْلُ

فأصبحتما منها على خَير موطنٍ ... سَبيلكُما فيها إذا أحزنوا سَهْلُ

سعَى بعدهُمْ قومٌ لكي يُدركوهمُ ... فلم يفعلوا ولم يُلامُوا ولَمْ يألُوا

والشاعر يُعبّر عن سروره بسَعْي خارجة بن سِنان وابن عمّه الحارث بن عوف للإصلاح وإشاعة السّلام بين القبيلتين ورأب الصَّدْع بينهما في ما تحمَّلاه مِن دِيَة القتلى وحفاظهما على روابط الحِلف بين القبيلتين بعد أن أصابه ما كَسره وهَدَمه، وأنّهما أصبحا بسَعْيهما بالصُّلْح وتَحمُّلهما دِيَة قومهم على خير موطن من الحرب لِما نَالاه مِن الحمد وشرف المنزلة بحَقْنهما دماء القبيلتين، فهما في الإخاء إذا اشتدّ أمر القوم. ويقول إنّ هؤلاء قد سبقوا في المجد والشّرف، وسَعى على آثارهم قوم آخرون لكي يُدركوهم وينالوا مثل منزلتهم فلم يَبلغوها، ولكنّهم لم يقصّروا في السَّعي نحو جميل الأفعال والمكارم، ولذلك لم يُلُمْهُم أحد(٣)*.*

وثمّة أحلاف كانت تُعقد في الحرب كما عُقِدَتْ في السلم، وكانت بعض قبائل العرب تُوقِد ناراً عند تحالفها مع قبائل أخرى، فلا يَعقدون حلفهم إلا عندها، ويُشيدون بمنافعها ويُحذّرون ويُخوّفون مِن حرمان منفعتها مَنْ ينقض الحلف، ويقولون في أثناء عَقدهم الحلف: "**الدّمُ الدّم، والهَدَم الهَدَم، لا يَزيده**

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبَير بن بكّار، ص: ٢٨. الذي اتّفق عليه جمهور الرُّواة أنّ الذي حَمَل الحَمالة هما الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهَرِم بن سِنان بن أبي حارثة (شعر زهير بن أبي سُلمَى، صَنعة الأعلم الشنتمريّ، ص: ٤٠. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٠/٢٢٩-٢٣٣) والصّواب ما أثبتَه محقّق "جَمهرة نسب قريش وأخبارها" محمود محمّد شاكر، ص: ٢٨، ٢٩: الحاشية ٥.

(٢) جمهرة نسب قريش، الزُّبير بن بَكّار، ص: ٢٨. وشرح ديوان زهير بن أبي سُلمَى، صَنعة الإمام أبي العبّاس ثعلب، ص: ١٠٩، ١١٠، ١١٤: البيت الأوّل، الشطر الثاني: "وكانا أمرأيْنِ كلُّ شأنهما يعلو". البيت الثاني: "قد" مكان "إذْ". البيت الثالث: "وإن أَحْزَنوا" مكان "إذا أحْزَنوا". وشعر زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشَّنتمريّ، ص: ٤٠، ٤١، ٤٣: "وكانا امرأين كلُّ أمرهما يعلو". "قد" مكان "إذْ". "وإنْ أَحْزَنوا" مكان "إذا أَحْزَنوا". "ولم يُلِيموا" مكان "ولم يُلَامُوا". وبين النسختين اختلاف في خبر الأبيات؛ إذ فَسَّر ثعلب الأحلاف: عَبس وفَزارة، بينما فسّرها الأعلم الشنتمريّ: أسَد وغَطَفان وطَيِّئ (ص: ١٠٩- ص: ٤١). وكذلك خالف ثعلب والأعلم الشَّنتمريّ الزّبير بن بكّار بأنّ الذي حَمَل الدِّيَة مع الحارث بن عوف هو هَرِم بن سِنان وليس خارجة بن سنان.
العَرْش: البيت والمنزل. ثُلَّ عرشها: هُدِم بناؤها. أَحْزَنوا: وقعوا في أمر صعب، والحَزْن: ما غَلُظَ من الأرض في ارتفاع. يألو: يُقصِّر (لسان العرب: عَرش، ثُلَّ، حَزنَ، أَلاَ).

(٣) انظر: شعر زهير بن أبي سلمى، الأعلم الشَّنتمريّ، ص: ٤١. وشرح ديوان زهير، صنعة الإمام أبي العبّاس ثعلب، ص: ١١٠ والحاشية ٣.

طلوع الشمس إلا شَدَّا، وطول الليالي إلّا مَدّا، ما بلَّ البحر صوفة، وما أقام رَضوى في مكانه (إن كان جبلهم رَضوى)"(١).

ومن أحلاف العرب في الجاهليّة التي ذكرها الشعراء حلف "المِحَاش" الذي عقدته قبائل مُرَّة بن عوف الذُّبيانيّين، إذْ تحالفوا حول نار ودَنَوْا منها حتى مَحشَتهم أي أحرقَتهم(٢)*، ولذلك قال النابغة الذُّبيانيّ يذكر هذا الحِلف الذي جمَّعه يَزيد بن سنان بن أبي حارثة المُرّيّ من قبائل شَتَّى منهم: بنو سَهْم وخُصَيْلَة ابن مُرَّة على رَهْط النابغة الذبيانيّ بني يربوع بن مُرَّة بن غَطفان* [من الكامل](٣):

جَمِّـعْ مِحاشَـكَ يـا يزيـدُ فـإنّني أعَـدْتُ يَربوعـاً لكـمْ وتَميمـا
ولَحِقْـتُ بالنَّسـب الـذي عيَّرتَنـي وتركـتَ أصـلك يـا يزيـدُ ذمَيمـا

ويبدو من البيتين أنّ النابغة الذبيانيّ يَذُمّ حلف المِحاش؛ وذلك لأنَّه لم يكن يسعى إلى الخير والإصلاح بين الناس، وإنّما كان يَسعى إلى الشرّ والاقتتال ضدّ رهط النابغة الذُّبيانيّ، وإنّ هذا الحِلْف مِنْ شأنه أن يُدير رَحى الحرب بين العشائر ويُذكي الفِتَن في ما بينها. والشاعر يفخر بأنّه أَعدّ لمواجهة هذا الحِلف قومه بني يربوع بن مُرّة بن غَطَفان، ثمّ يهجو يزيد بن سِنان ويفخر بنسبه الذي عَيَّره به يزيد وهو ليس مثله قد تَبرَّأ من أصله. ويرى الشاعر أنّ يزيد بتشكيله حلف المِحاش قطّع أواصر القبيلة الواحدة؛ *إذْ إنّهما – النابغة ويزيد – من القبيلة نفسها بني مُرّة بن غَطَفان*(٤).

ب- سيادة بعض القبائل العربيّة ونفوذها:

كانت بعض القبائل العربيّة تتمتّع بنفوذ قويّ، وصار لها بهذا الزعامة والسِّيادة على قبائل العرب، وكان الفرس والرّوم وحلفاؤهم مِن المَناذِرة والغَساسنة يعترفون بمنزلتها بين القبائل؛ إذا كان البيزنطيّون (الرّوم) يتودّدون إلى سادات القبائل العربيّة النازلة في جزيرة العرب وبادية الشام لتضمَّها إلى صفوفهم وتحرّضهم على الفرس(٥)*، وكان الفرس أيضاً يستشعرون خطر تلك القبائل التي كانت تُغير على حدودها، ولذلك فقد كان الفرس يَسْعَوْنَ دائماً إلى تقريب تلك القبائل منها خَوفاً على كيانها*(٦)*؛ إذ ذكر الطبريّ أنّ*

---

(١) كتاب الحَيوان، الجاحظ، ٤/٤٧٠. "الهَدَم: إهدار دم القتيل، والمعنى إنْ طُلِبَ دمكم فقد طُلِبَ دَمُنا، وإن أُهدِرَ دمكم فقد أُهدِرَ دمنا. أي قبرنا قبركم، فلا نزال معكم حتى نموت عندكم.
الصُّوفة: واحدة الصّوف، وصوف البحر: شيء على شكل هذا الصوف الحيواني، واحدته صُوفة. رَضْوَى: جبل بالمدينة" (تاج العروس ولسان العرب، هَدَم، صَوَف، رَضِيَ).

(٢) انظر: معجم الشعراء، المَرْزُبانيّ، ص: ٤٨٣. وتاج العروس، الزَّبيدي: مَحَشَ.

(٣) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣/٤٣: "ووَجَدْتُ نَصْرَكَ" مكان "وتركتَ أصْلَكَ". وديوان النابغة الذُّبيانيّ، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ص: ٢٢٤. ومعجم الشعراء، المَرزُبانيّ، ص: ٤٨٣.

(٤) انظر: معجم الشعراء، المَرزُبانيّ، ص٤٨٣.

(٥) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤/١٧٠.

(٦) انظر: تاريخ الطبريّ، ٢/٦١. والمفصّل، ٩/٦٩٣.

سابور اتَّبع بعد انتصاره على الروم سياسة استرضاء العرب، "**فاستصلحهم وأسكَن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كِرمان وتُوج والأهواز**"(١). *وكانت جيوش الحيرة المُوالية للفرس في نزاع مستمرّ مع هذه القبائل التي كانت ترفض دفع الإتاوة والخضوع للمناذرة ملوك الحيرة*(٢).

وسأسلّط الضوء على أربع قبائل – مُوجِزاً فيها القول – كان لها السيادة والنفوذ بين قبائل العرب، وهي: قريش وتميم وعبد القيس وإياد.

١ – قُرَيش:

تعدّ قبيلة قريش أهم القبائل العربيّة التي كان لها شرفٌ ومكانة عالية بين قبائل العرب، ويعدّ قُصَيّ بن كلاب مؤسسها الحقيقيّ، وهو أوّل مَنْ أصاب المُلْكَ مِن قريش بعد ولد إسماعيل عليه السلام، وذلك في أيّام المنذر بن النّعمان مَلِك الحيرة ومَلِك الفرس الساسانيّين بَهرام جور (٣).

وقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش ومَنْ جاورهم من العرب الفُصَحاء (٤)، *ودليل ذلك قوله تعالى:* ***﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾*** (٥). *واشتهرت قريش بالتجارة في مكّة وذاع صيتها بين قبائل العرب، وعُرفوا بنشاطهم التجاريّ مع الشّام واليمن* (٦)، *ونجد مصداق ذلك في قوله تعالى:* ***﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)﴾*** (٧)، *وقال المفسّرون في ذلك إنّ رحلة الشتاء كانت إلى اليمن، وكانت رحلة الصّيف إلى بلاد الشام* (٨).

ولهذا يمكن القول إنّ نزول القرآن الكريم بلغة قريش وشهرتهم في التجارة بين الشام واليمن مَكَّنَا لهم السّيادة والصدارة بين قبائل العرب.

وقد تمكّن رجال قبيلة قريش بفضل ذكائهم وحُنكتهم السياسيّة بُحسْن تعاملهم مع القبائل العربيّة مِن إقامة علاقات طَيّبة بالدول الكبرى المعروفة قبل الإسلام – ونعني بهذا الفرس والروم والحبشة والإمارتين العربيّتين: المناذرة والغساسنة التابعين للفرس والروم – وتمكّنوا أيضاً من الاتّصال بسادات القبائل العربيّة وعَقد أحلاف معها، وقد ضَمِنَ لهم ذلك حُسن الجوار معها في جميع أنحاء جزيرة العرب (٩).

وفضلاً عن ذلك كلّه تُعدّ قبيلة قريش من القبائل العربيّة القليلة التي لم تكن تدين للملوك، ولم تُمْلَكْ، ولم يُصِبْها سِباء في الجاهليّة؛ فعندما خرج عُثمان بن الحُوَيرِث بن أَسَد بن عبد العُزّى إلى قيصر الروم يطلب تنصيبه ملكاً على قريش جاءهم بكتاب قيصر مختوماً في أسفله بالذهب، ثمّ همَّت قريش أن تَدين

---

(١) تاريخ الطبريّ، ٦١/٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبريّ، ٦١/٢. والمُفَصَّل، ٦٩٣/٩. الإتاوة: الرِّشْوة والعطاء والخراج..

(٣) انظر: بُلوغ الأرب في أحوال العرب، الألوسيّ، ٢٤٧/١.

(٤) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٦٠٤/٨.

(٥) سورة إبراهيم: الآية الرابعة.

(٦) انظر: المُفصَّل، ١٩/٤، ١١٣.

(٧) سورة قريش: الآيتان ١، ٢.

(٨) انظر: المفصّل، ١١٣/٤.

(٩) انظر: المرجع نفسه، ١٩/٤.

وتخضع له، فصاح فيهم أبو زَمْعَة الأسود بن المطّلب بن أسَد بن عبد العُزّى وكان الناس في الطَّواف: إنّ قريشاً لَقاح لا تَملِك ولا تُملك، فتفرَّقَتْ قريش على كلامه ومنعوا عثمان ما جاء يطلبه(١).

وقد هَيَّأت هذه الظروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة لقريش المكانة المرموقة بين سائر قبائل العرب، وجَعلتها مَهوى أفئدة الناس مِنْ شتّى القبائل العربيّة؛ ولذلك كانت مقصد الحارث بن ظالم المُرّيّ حين هرب خوفاً من ملك الحيرة بعد قَتْله خالد بن جعفر بن كِلاب – مِن بني عَبْس – فطُلِب، ثم أتى عبد الله بن جدعان بِعُكاظ في مكّة مُستجيراً به، وكانت قريش تريد حرب قيس، فلذلك انتمى إليهم واستجار بهم وَنَكَس رمحه، ثمّ رفعه حين عرفوه وأَخَذَ الأمان على نفسه(٢)*، فقال الحارث بن ظالم ينتسب إلى قريش ويمدحهم ويَذُمّ قومه* [من الوافر](٣):

رَفَعْتُ الرُّمْحَ إذْ قالوا قريشٌ وشَبَّهْتُ الشمائلَ والقِبابا

فما قومي بثعلبةَ بن سَعْدٍ ولا بِفَزارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

فالشاعر يعتزّ بانتسابه إلى قبيلة قريش، ويفتخر بانتمائه إليهم مع أنّه ليس منهم، وهو يَعُدُّهم بذلك أشرف العرب لِما وجده عندهم من حسن إجارة وأمان للطريد الجاني؛ ولذلك رَفع رمحه إذْ قالوا "قريشٌ" ليثبت للنّاس حبّه لهم وانتماءه إليهم، ويقول إنّه قد اتّصف بمنزلتهم العالية وعُلوِّ نسبهم وشرف أصلهم عندما صار فيهم، وتحلّى بمكارم أخلاقهم وصفاتهم الحميدة ومحاسن فِعالهم عندما أمَّنوه وأجاروه. ثمّ ذَمّ قومه بما هُجُوا به عندما العرب مِن كثرة شعر القفا. *وكان عمر بن الخطّاب يقول:* **"لو أدَّعَيْتُ حَيًّا من أحياء العرب لادَّعَيْتُهمْ"**(٤).

---

(١) انظر: جمهرة نَسب قريش وأخبارها، الزُّبَير بن بكّار، ص: ٤٢٧، ٤٣٠.

(٢) انظر: أنساب الأشراف، البلاذريّ، تحقيق محمد حميد الله، ٤٢/١، ٤٣. والحارث بن ظالم المُرّيّ هو "من بني مُرّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض" (جمهرة النَّسَب، ابن الكلبيّ، ١١/١).

(٣) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١١/١. والمُفضَّليّات، المُفضَّل الضّبيّ، ص: ٣١٤، ٣١٥: "رِقابا" مكان "الرِّقابا" مع اختلاف في ترتيب البيتين؛ إذْ أورد البيت الثاني قبل البيت الأوّل بستّة أبيات، والقصيدة مكوّنة مِن ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها:

نَـأَتْ سلمى وأَمسَت في عَدوٍّ تَحثُّ إليهمُ القُلُصَ الصِّعابَا

وكتاب المُحبَّر، ابن حبيب، ص: ١٦٩: "رِقابا" مكان "الرِّقابا". وأنساب الأشراف، البلاذريّ ٤٢/١: رواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ.

الشَّمائل: جمع الشِّمال، وهو الخُلُق والطَّبع. القِباب: القُبَّة من الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب، وهي واحدة القباب، وهي رمز العزّة والعلوّ والرِّفعة. الشُّعْر: جمع أشْعَر، وهو كثير شعر القَفا، وأراد أنَّ كلّ واحد مِن فَزارة هذه صفته، وقال الجاحظ: هُجِيَتْ فَزارة بكثرة شعر القَفا (لسان العرب: شَمِلَ، قَبَّ، شَعَر. والبيان والتبيين، ٢٧٠/٣). ومعنى البيت الأول: "أظهرتُ له ما تُجِنُّ صدورنا ويشتمل عليه أحشاؤنا من الوُدّ المكنون. ومعنى "رَفَعْتُ الرمح" أريت الناس زَوال الخلاف بيننا، وأنَّ آلة الحرب موضوعة فينا مُستغنىً عنها" (المُفضَّليّات، المُفضَّل الضَبّيّ، ص: ٣١٥: الحاشية ١٥).

(٤) جمهرة النّسب، ابن الكلبيّ، ١١/١.

وقد سبق أن ذكرتُ في سياق حديثي عن رواية ابن الكلبيّ للشعر الجاهليّ أبيات عبد الله بن الزِّبَعْرى التي مدح بها بني المُغيرة المخزوميّين القرشيّين، وأَثْبَتَ لهم فيها صفات السيادة والزّعامة.

٢ – تَميم:

تعدّ قبيلة تميم من القبائل ذات السِّيادة والنّفوذ القويّ بين العرب، ومن القبائل الكبيرة التي كان لها شأن عظيم في الجاهليّة وبعد الإسلام[١]، وتَميم مِن أكبر قواعد العرب كما يرى ابن حزم الأندلسي[٢]، وقد سَكَنت في مواضع متعدّدة مِن الجزيرة العربية وفي العراق وبادية الشام[٣].

وكان بنو تميم ملوك المُشَقَّر بهَجَر، وقد استعملهم عليها الفرس ومَكّنوا لهم، فزاد ذلك من نفوذهم[٤]، ولكنّهم كانوا – مع ذلك – يرسلون إليهم الجنود لمحاربتهم عندما يَتَمادَوْن عليهم؛ إذْ أغار بنو تميم على حِمْل مِنْ أحمال كسرى أرسله إليه من اليمن نائبه باذان، فلمّا بلغ الحِمْل أرض نجد أغاروا عليه وانتهبوه، فأرسل كسرى إليهم هَوذة بن عليّ الحَنفِيّ – وكان نصرانيّاً – صاحب اليمامة، يطلب منه أن يغزوهم مع عساكره، فسار إلى هَجَر ونزل بالمُشَقَّر، ثُمَّ قَتل منهم خَلْقاً كثيراً وأطلق منهم مئة رجل بعد أنْ كساهم يوم الفِصح[٥].

وكان لتميم أيضاً صلات قوية بالمَنادِرَة ملوك الحيرة؛ وذلك لأنّهم لم يخضعوا لسيطرة الفرس وسيطرة حلفائهم المناذرة، إذ لم يدفعوا الإتاوة لهم، فهم قوم لَقاح شأنهم في ذلك شأن قبيلة قريش وغيرها من القبائل القليلة التي لم تَخضع للملوك[٦].

وكانت تميم مِن أشدّ القبائل مراساً في الحروب، وكان منهم بنو يَربوع أكثرهم إغارةً على ملوك الحيرة[٧]، ومن أجل ذلك فقد تقرَّب إليهم المناذرة ملوك الحيرة عندما يئسوا مِن إخضاعهم لسلطانهم ومنحوهم مَنصب الرِّدافة، وهذه منزلة عظيمة لا تُمنح إلّا للقبائل المتنفّذة القويّة[٨].

---

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ١١٥/٣، والمُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٥٠٠/٤.

(٢) انظر: جمهرة أنساب العرب، ص: ٢٠٧.

(٣) انظر: تاريخ الطبريّ، ١١٥/٣. ونهاية الأرب في فنون الأدب، النُّويريّ، ٣٢/١٨ وما بعدها.

(٤) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٢٠٣/٤. المُشَقَّر: حِصْن بالبحرين عظيم لعبد القيس. وهَجَر هي ناحية البحرين كلّها، وسأفصّل القول فيهما حين أتناول قبيلة عبد القيس في ما يأتي.

(٥) انظر: تاريخ الطبريّ، ١٦٩/٢–١٧١. والكامل في التّاريخ، ابن الأثير، ٣٩٤/١، ٥١٠.

(٦) كتاب النَّقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى، ١٤١/١. والكامل في التاريخ، ٥٢٤/١.

(٧) انظر: الكامل في التاريخ، ٥٣١/١، ٥٣٢. ولسان العرب، ابن منظور: رَدِفَ.

(٨) انظر: انظر: الكامل في التاريخ، ٥٣١/١، ٥٣٢. وكتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ١٩٠/٤. والمُفصَّل، جواد عليّ، ٢٠٧/٤. الرِّدافة: الاسم من أرداف الملوك في الجاهليّة. والرِّدافة بمنزلة الوزارة، وهي أن يجلس الرِّدْف عن يمين الملك، فإذا شرب الملك شَرِب الرِّدْف بعده قبل الناس، وإذا غَزا المَلِك قَعَد الرِّدْف مكانه، فكان خليفةً على الناس حتى يعود الملك، وله مِن الغنيمة المِرْباع (رُبْع الغنيمة). وكانت الرِّدافة في الجاهليّة لبني يربوع التَميميّين، لأنّه لم يكن أحد أكثر إغارةً على ملوك الحيرة منهم، فصالحهم ملوك الحيرة على أن جعلوا لهم الرِّدافة مقابل أن يَكفُّوا الغارة عن أهل العراق (لسان العرب، ابن منظور: رَدِفَ. وانظر: الكامل في التاريخ، ٥٣١/١، ٥٣٢. وكتاب العِقد الفريد، ١٩٠/٤).

وكان لتميم أيضاً صِلات حسنة بقريش في تجارتها، إذْ كانت تؤمّن لهم الوصول إلى أسواق دُوَمة الجندل والمُشَقَّر والأسواق الأُخرى[١]. وكانت تُدير موسم الحجّ وتحافظ على شعائره في ما يُعْرَفُ بـ "الإجازة"، ولم تكن قريش لِتمنَح الإجازة لتميم لولا ما كانت تتمتَّع به مِن نفوذ سياسيّ وعلاقات طيّبة معها[٢].

ولذلك فقد مَدحَهم أوس بن مغراء، ذاكراً إجازة آل صَفوان – وهو من تميم – بأهل موسم الحجّ في الجاهلية؛ قال أبو اليقظان: قال أوس بن مَغراء في إفاضة آل صَفوان [من البسيط][٣]:

ولا يَريمـون فـي التَّعريـف مَـوقفهمْ حتّــى يُقــالَ أجيــزوا آلَ صَــفْوانَا

فالشاعر يرى أن النّاس لا يَبرحون مكانهم في عرفات قبل أَنْ يأذن ويجيز لهم آل صفوان بذلك فيفيضوا ويُكملوا شعائر الحجّ، وهذه منزلة عالية لتميم تدلّ على سيادتهم ونفوذهم السياسيّ عند قريش وقبائل العرب.

٣- عبد القَيس:

يُعدّ بنو عبد القيس مِن قبائل العرب المتحضّرة والمتنفّذة التي سكنت البحرين، وكان غالبيّتهم مِن النّصارى[٤]؛ إذ كان جُلّ سُكّان البحرين مِن بني عبد القيس وبكر بن وائل وتميم، وهم بين أهل شرك أو نصرانيّة وبين جماعات قليلة مِن يهود ومَجوس[٥].

---

(١) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٢٠٧/٤. دُومة الجَندل: حِصْن وقرىً بين الشّام والمدينة قرب جبلي طَيِّئ كانت به بنو كِنانة مِن كلب، ودُومة مِن القُرَيَّات، من وادي القُرى إلى تَيماء أربع ليالٍ (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٤٨٧/٢).

(٢) انظر: المُفصَّل، جواد عليّ، ٢٠٩/٤.

(٣) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ٣٦٤/١٢. وكتاب المُحَبَّر، ابن حبيب، ص: ١٨٣. وسيرة ابن هشام (برواية مختلفة)، ١٢٧/١: هذا البيت في قصيدة لأوس بن مَغراء:

لا يَبـرحُ النـاس مـا حَجُّـوا مُعـرَّفهم حتّــى يُقــالَ أجيــزوا آل صَــفوانا

وكتاب العِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٤٠٠/١ برواية موافقة لرواية أبي اليقظان النّسابة، وبعده:

مَـا تَطلـع الشـمس إلا عنـد أَوّلنـا ولا تُغَيَّــبُ إلا عنــد أُخرانــا

ولسان العرب، ابن منظور: صَوَفَ:

ولا يَرِيمـون فـي التعريـف مـوقفهم حتــى يُقــال أجيــزوا آل صُــوفانا

قال البلاذُريّ: "من بني عُطارِد (من تميم) كَرِب بن صَفوان بن شِجْنَة الذي كان يدفع بالناس في الجاهلية في الموسم" (كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٣٦٢/١٢). وقال ابن حزم الأندلسيّ: "كَرِب بن صَفوان بن شِجْنَة الذي كان يُجيز بأهل الموسم في الجاهليّة" (ص: ٢١٩). وقال ابن منظور: "ومِن بني تَميم حَيٌّ يقال لهم صُوفة، ويقال في الحجّ: أَجيزي صوفة، فإذا أجازت، قيل: أجيزي خِنْدِف، فإذا أجازت أُذِنَ للناس كلّهم في الإجازة، وهي الإفاضة (لسان العرب: صَوَف).

رام يريم: بَرِحَ، وأكثر ما يُستعمل في النفي: لا تَرِمْ أي لا تَبرح، ويقال: ما يريم يفعل ذلك، أي ما يبرح. التَّعريف: إفاضة الحجيج، يُدفع بهم مِن عرفات (لسان العرب: رام، عَرَف).

(٤) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٧٨٣/٨، ٢٠٩/٤.

(٥) انظر: كتاب المُحبَّر، ابن حبيب، ص: ٢٦٥. وتاريخ الطبري، ١٦٩/٢، ١٧٠. والمُفصَّل، جواد عليّ، ٢٠٣/٤.

وكان بنو عبد القيس ينزلون بهَجَر ويتحصَّنون بها في حِصْنَين معروفين لهما هما المُشَقَّر والصَّفا[١]. *وتقع ديارهم* **"إلى الشّمال من ديار أَزْد عُمان، وتُشرف على الخليج وتمتدّ نحو الشمال حتّى تصل إلى منازل قبائل بكر بن وائل، وقد خالطتها قبائل أخرى، فسكنت إلى الغرب من ديار عبد القيس قبائل تميم التي تمتدّ موازيةً لها حتى تصل إلى ديار بكر بن وائل وديار أسد التي تؤلّف الحدود الشّمالية الغربيّة لها. وأما القبائل التي نزلت إلى الغرب من ديار تميم فهي أَسَد وهَوازن وغَنِيّ وباهلة، وأما القبائل التي نزلت إلى الجنوب من ديار تميم فهي أَزْد عُمان وعَبد مَناة وضَبَّة"**[٢].

ويظهر من دراسة روايات الإخباريّين عن هجرة القبائل أنّ بني عبد القيس لمّا نزلوا البحرين كانت البلاد إذْ ذاك لإياد، فَجلَتْ إياد عن البحرين ورحلت إلى العراق، فكان ما كان لها من مواجهات هناك مع الفرس[٣].

ومواطن عبد القيس – في الأصل – بتِهامة، ثم ارتحلت عنها بسبب الحروب التي وقعت بين أبناء ربيعة، فذَهبت إلى البحرين وتَغلَّبت على مَنْ كان قد سكن قبلهم بها مِن قبائل إياد وبكر بن وائل وتميم[٤].

وكانت عبد القيس من القبائل الغازية لحدود الفرس، ولذلك فقد كان الفرس يسعون أحياناً إلى استرضائهم، ويقومون بتأديبهم أحياناً أخرى؛ ولذلك كانت العلاقة بين عبد القيس والفرس تمرّ بمراحل من المسالمة والموادعة حيناً والمقاتلة حيناً آخر؛ *فقد اتَّبع سابور بعد انتصاره على الروم سياسة استرضاء القبائل المحاربة الغازية لحدود الفرس، إذ أسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن*

---

(١) المُشَقَّر: حِصن بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حِصْناً آخر لهم يقال له الصَّفا قبل مدينة هَجَر والمسجد الجامع بالمشقّر.. ولمّا قدمت عبد القيس البحرين وبها إياد أخرجوهم منها قهراً ونزلوها فاستقروّا بها إلى الآن. هَجَر: مدينة، وهي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هَجَر، وهو الصَّواب (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١٣٤/٥، ٣٩٣). لم تكن "البحرين" يومئذٍ ما يُعرَف اليوم بالبحرين، إذ كانت تضمّ بلادًا واسعة، وهي كما ذكر ياقوت الحمويّ: " اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البَصْرة وعُمان، قيل هي قصبة هَجَر، ... وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة،.. روى ابن عبّاس: البحرين من أعمال العراق وحَدّه من عُمان ناحية جُرَّفار، واليَمامة على جبالها..." (معجم البلدان، ٣٤٧/١).

(٢) انظر: المُفصَّل، جواد عليّ، ٢٠٤/٤، ٢٠٥.

(٣) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٩٦/١، ٩٧. وأنساب الأشراف البلاذُريّ، تحقيق محمد حميد الله، ٢٥/١. ومعجم ما استعجم، البكريّ، ٦٧/١، ٨٢.

(٤) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٨٤/٤، ٤٨٥. تِهامة: قال أبو المنذر (ابن الكلبيّ):" تِهامة تساير البحر، منها مَكّة،...". وقال المَدائنيّ:" تِهامة مِن اليمن، وهو ما أصحر منها إلى حدّ باديتها، ومكّة من تِهامة، ... وهي على ليلتين من مكّة..، وسُمّيَت تِهامة لشدّة حَرّها وركود ريحها " (معجم البلدان، ٦٣/٢، ٦٤).

وائل كِرْمان وتوج والأهواز(١)*، واضطرّ سابور الثاني المعروف بـ"سابور ذي الأكتاف" حوالي سنة ٣٥٠م إلى مهاجمة هذه القبائل ومحاربتها*(٢).

وكانت عبد القيس وتميم على اتصال بملوك الحيرة المناذرة الذين كان نفوذهم يمتدّ إلى البحرين واليَمامة، فكانت جيوش الحيرة في نزاع مستمرّ مع هذه القبائل التي كانت ترفض الخضوع ودفع الإتاوة لهم(٣).

وذكر الجاحظ أن بني عبد القيس بعد محاربة إياد تفرّقوا فرقتين؛ ففرقة وقعت بِعُمان وشِقّ عُمان وفيهم خطباء العرب، وفرقة وقعت بالبحرين وشِقّ البحرين، وهم من أشعر قبائل العرب(٤).

ويبدو أن سبب كثرة الشعر عند عبد القيس أنّها كانت قبيلة محاربة، وإنّما يكثر الشعر في القبائل المتحاربة، وكأنَّ الحقد والعداوة بينها يُذكيان الشِّعر ويوقدانه، فتنطلق بذلك ألسنة الشّعراء، *ولذلك يقول ابن سلّام الجُمَحيّ:* "**وبالطَّائف شعر وليس بالكثير، وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء، نحو حرب الأوس والخَزْرَج، أو قوم يُغيرون ويُغارُ عليهم، والذي قَلَّل شعر قريش أنّه لم يكن بينهم نائرة، ولم يُحاربوا**"(٥).

ومن أبرز شعراء عبد القيس المُثَقِّب العبديّ، وهو "**عائذ بن مِحْصَن بن ثَعلبة بن وائلة... ابن عُذْرة بن مُنبّه، وإنما سُمّي المُثقّب لبيت قاله [من الوافر]: وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ للعيونِ**"(٦).

ومن بني عبد القيس المُمزَّق العَبديّ، وهو **شَأْس بن نهار بن أسود... بن عُذْرة بن مُنَبِّه، وإنّما سُمّي الممزّق ببيت قاله [من الطويل]:**

فإنْ كُنْتُ مَأكولاً فكُنْ خيرَ آكلٍ وإلّا فَأدرِكْني ولَمَّا أمُزَّقِ"(٧)

ومن الشّواهد الشعريّة التاريخيّة على مكانة عبد القيس وأهميتها عند قبائل العرب البيتان اللذان قالهما الحارث بن هَمّام بن مُرّة الشيبانيّ – ورواهما ابن الكلبي – يمدح بهما الجُعَيد بن صَبِرَة من بني عبد القيس [من الوافر](٨):

غَنِينا في تِهامَةَ قاطنيها ليالي العِزِّ في آل الجُعَيْدِ

تَدينُ له القَبائلُ من مَعَدٍّ كما دانَتْ قُضاعةُ لابن زيدِ

---

(١) انظر: تاريخ الطبريّ، ٦١/٢. والمُفصَّل، جواد عليّ، ٤٨٦/٤.

(٢) انظر: تاريخ الطبريّ، ٥٥/٢–٦٠. والمُفصَّل، جواد عليّ، ٥٠٠/٤.

(٣) انظر: المُفصَّل، جواد عليّ، ٦٩٣/٩.

(٤) انظر: البيان والتبيين، ٩٦/١، ٩٧.

(٥) طبقات فحول الشعراء، ص: ٢١٧. نائرة: عداوة وشحناء (لسان العرب: نَأَرَ).

(٦) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٤٧/١.

(٧) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذواتاهما.

(٨) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ٣٣٧/٢. ابن زيد: يريد حَنظلة بن نهد بن زَيد (جمهرة ابن الكلبيّ، ٣٣٧/٢).

وتكمن قيمة البيتين في الإشارة التاريخية إلى موطن بني عبد القيس الأصليّ وهو تِهامة قبل أن ينزلوا البحرين، ويشير الشاعر بهما إلى مكانة عبد القيس ومنزلتها بين قبائل العرب، ويمدح منهم الجُعَيد بن صَبرَة، إذ يذكر سيادته على قومه وأنّ قبائل مَعَدٍّ قد دانت له وخَضعت لمشيئته كما دانت قضاعة لحنظلة بن نَهد بن زيد.

٤ – إياد:

ذكر ابن الكلبيّ أنّ "إياد" مِن أبناء نزار بن معدّ بن عَدنان(١)، وتُظهر روايات أهل الأخبار عن هجرة القبائل أنّ إياد كانت تنزل البحرين، ثمّ نَزحت إلى العراق لمّا جاء بنو عبد القيس وأخرجوهم، فكان لهم مواجهات مع الفرس(٢)، ثمّ شتّت الفرس شملهم في العراق فاضطُرُّوا مُكرهين – بعد أنْ أغاروا على قافلة لكسرى – إل ترك ديارهم، واختلفوا من بعد ذلك فلَحِقَتْ فرقة بالشام ورجعت فرقة إلى سواد العراق، وأقامت فرقة بالجزيرة الفُراتيّة(٣).

كانت منازل إياد القديمة تِهامة مع أبناء أنمار ما بين حدود أرض مضر إلى حدّ نَجران وما والاها وقاربها من البلاد(٤)، وقد وَصَف ابن قُتيبة إيادًا بقوله: **"وكانت إياد أكثر نزار عدداً، وأحسَنَهم وجوهاً وأمدَّهم وأشدَّهم وأمْنَعَهُم، وكانوا لَقاحاً لا يُؤدّون خَرجاً، وهم أوّل مَعدِّيّ خرج مِنْ تِهامة، فنزلوا السَّواد وغلبوا على ما بين البحرين إلى سِنداد والخَورْنَق، وسِنداد نَهْرٌ كان بين الحيرة إلى الأُبُلَّة"**(٥).

وذكر المسعوديّ أنّ سابور بن هُرْمُز المعروف بـ "سابور ذي الأكتاف" (٣١٠–٣٧٩م) كان قد أوقع بالعرب مواقع عظيمة؛ لأنّ العرب وفي مُقدَّمتهم قبائل إياد كانت قد غَلبت على سَواد العراق وعَصَت الفرس وتمرَّدت عليهم، فأراد سابور أن ينتقم من إياد ويُخضعها للساسانيّين كما كانت مِن قبل، فبعث جيوشه، وكان في حَبْسه لَقيط بن يعمر الإياديّ فلمّا سمع لَقيط بعَزْم سابور على مهاجمة قومه، أرسل إليهم شعراً يحذّرهم به، ولكنّ قومه لم يَأبهوا لتحذيره ولم يستعدّوا، ففاجأتهم جيوش كسرى وأوقعت بهم فلم يفلت منهم إلّا نَفَرٌ لَحِقوا بأرض الروم، فخَلَع بعد ذلك سابور أكتاف العرب فسُمّي سابور ذا الأكتاف(٦).

ثم أورد المسعوديّ رواية أخرى، وهي أنّ سابور بن سابور وهو سابور الثالث (٣٨٣–٣٨٨م) كانت له حروب أيضاً مع إياد وغيرها من قبائل العرب، ويتّضح مِنْ بيت شعر نسبه المسعوديّ إلى

---

(١) جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ٣٣٧/٢.

(٢) انظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٩٦/١، ٩٧. وأنساب الأشراف، البلاذُريّ، تحقيق محمّد حميد الله، ٢٥/١. ومعجم ما استعجِم، البكريّ، ٦٧/١، ٨٢.

(٣) انظر: الشّعر والشعراء، ابن قتيبة، ٢٠٠/١. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٢١/٤، ٣٢٢.

(٤) انظر: معجم ما استعجِم، البكريّ، ١٨/١.

(٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ١٩٩/١. وانظر: معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٦٦/٣.

(٦) انظر: مروج الذَّهب ومعادن الجوهر، ٢٥٤/١، ٢٥٥. وتاريخ الطبريّ، ٦٠/٢. والمؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ٢٦٦. والمُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٦٣٦/٢.

شاعر – نَعتَه بـ "شاعر إياد" ولم يُسمّه – أنّ قبائل إياد **"استعادت مكانتها بعد ذلك وأصبحت قِبابها وحولها الخيل والنَّعَم، وذلك على رَغْم سابور بن سابور"**(١).

وقد وردت روايات عن مهاجمة إياد للفرس وهزيمتها لهم وقضائها على جيوشهم التي كانت تتعقّبهم، إذ لم يُفلِت مِن الفرس إلّا القليل، وجَمعوا جماجمهم فجعلوها أكواماً كالقُبّة، وسُمّي ذلك الموضع بـ "دَير الجماجم" (٢).

ووردت رواية أخرى أنّ إيادًا كانت مُقرَّبة مِن الفرس، حتى إنّ كِسرى بن هُرْمُز اتَّخذ منهم جماعة تَميَّزوا بدقّة الرماية، فجعلهم عنده واتَّخذ منهم مراصد يرقبون له الطريق في ما بينه وبين الفرات، وأنّ العلاقة بين كسرى وقبيلة إياد قد ساءت بعد أن اعتدَوْا على خاصّته مِن القافلة والنّساء (٣)، فقال لَقيط بن يَعْمُر – كما مرَّ بنا – قصيدته الحماسيّة التي حذَّر فيها قومه مِن غضب كسرى وجيوشه الجرَّارة إليهم.

وينبغي أن أشير في هذا المقام الذي أجد نفسي فيه أمام جملة من الروايات في أيّام العرب وحروب القبائل – سواءً في ما بينها بعضها ببعض أو حروبها مع الفرس – أن بعض هذه الروايات قد تأثّر بالعواطف القبليّة وأخَذَ منحى التحيّز والتعصُّب لقبائل مُعَيَّنة دون بعض، ولذا فإنّه ينبغي على مَن يقرأ هذه الأخبار والروايات أن يتنبَّه لذلك (٤)*؛ إذ إنّ الراجح أنّ رواية هجوم إياد على الفرس وانتصارها عليهم في "دَيْر الجماجم" –كما مَرَّ بنا – هي الرواية الوحيدة التي ورد فيها خبر انتصار إياد على الفرس، وأما الروايات الأخرى فتؤكّد خبر انتصار الفرس على إياد* (٥)، كما دلّ على ذلك قصيدة لَقيط بن يعمر الحَماسيّة.

ويمكن أن نلمس في قصيدة لقيط بن يعمر إحساساً عميقاً بالشعور القوميّ الذي يتجاوز عنده العصبيّة القبليّة، ويَظهر من خلاله صورة الرفض لهزيمة العرب أمام الفُرس الذين سَعَوْا إلى اجتثاث أصولهم من جذورها والقضاء عليهم، ولذلك طلب الشاعر من قومه أن يتَّحدوا ويختاروا لأنفسهم قائداً سياسياً يُنجيهم مِن الفناء والتَّشتُّت بعد عزٍّ ونعيمٍ شهدوه. والشاعر يستخدم صِيَغاً إنشائيّة طَلَبيّة مِن نداء وتعجُّب وأمر، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إيقاظ الوعي والحِسّ القوميّ لديهم، وترغيبهم في استعادة أمجداهم الماضية، وترهيبهم من مصير مؤلم ينتظرهم [من البسيط](٦):

يـا لَهْـفَ نفسـي أَنْ كانـت أمـوركمُ ... شـتَّى وأُحْكِـمَ أمـرُ النّـاس فاجتَمعـا
فاشـفُوا غليلـي بـرأيٍ مـنكمُ حَسَـنٍ ... يُضـحي فـؤادي لـه رَيّـانَ قـد نَقَعَـا
يـا قـومِ إنَّ لَكُـمْ مِـن عِـزّ أوَّلِكُـمْ ... إرثـاً قَـدِ أشْـفَقْتُ أن يـودِيَ فيَنْقَطِعَـا

(١) مروج الذَّهب، ٢٦٠/١، ٢٦١. وانظر أيضاً: المُفصَّل، جواد عليّ، ٦٤٤/٢، ٦٤٥.
(٢) انظر: معجم ما استعجم، البكري، ٧٠/١. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٥٠٤/٢.
(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٧٢/٤، ٤٧٣.
(٤) انظر: المرجع نفسه، ٢٩٧/٣.
(٥) انظر: المرجع نفسه، ٤٧٢/٨.
(٦) ديوان لقيط بن يَعْمُر الإياديّ على رواية ابن الكلبيّ، شرح وتحقيق محمد التُّونجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص: ٧٧، ٨١، ٨٤–٨٦.

ومـــا يُـــرَدُّ عَلـــيكُمْ عِـــزٌّ أوّلِكُـــمْ إن ضَـــاع آخـــرُه أو ذَلَّ فاتَّضَـــعَا
هـو الجَـلاءُ الـذي يَجتـثُّ أصـلكمُ فَمَـنْ رأى مثـل ذا رأيـاً ومَـنْ سَـمِعَا
فَقلِّـــــدوا أمـــــركمْ للَّهِ دَرُّكُـــــمُ رَحْـبَ الـذِّراع بـأمر الحـرب مُضطَلِعَا

لقد شَكَّلَ الفرس أمام القبائل العربية الكبيرة ذات السّيادة والنفوذ السياسيّ خَطرا خارجيّاً حقيقيّاً هدَّدَ كيانهم ووجودهم، لأنّهم – الفرس – أكثروا مِن تدخُّلهم في حياتهم، وأظهروا احتقاراً لهم، وأمْعَنوا في قتلهم واحتلال أجزاء واسعة مِن بلادهم(١). وما عَرَضْتُه مِن أمثلة على هَجمات الفُرس العاتية ضِدَّ هذه القبائل الكبيرة ما هو إلّا دليل دامغ على محاولة هَيمنة الدول العظمى عليها وإخضاعها لسلطانها، وقد جاءت قصيدة لقيط بن يَعْمُر الإياديّ لتُعبِّر عن رفضه – متمثّلاً روح قومه الجماعيّ – لتلك الهَيمنَة والسيطرة على قبيلته، وصراعه وصراع قومه من أجل البقاء. *وقد تحقَّق للعرب النصر على الفرس بانتصار قبائل بكر بن وائل عليهم في يوم ذي قار وهزيمتهم هزيمةً مُنكَرة*(٢).

ج- الغزو وأيّام العرب:

إنّ أهمّ ما كان يميّز حياة العرب أنّها كانت – في بعض جوانبها – حياة حربيّة تقوم على سفك الدماء، وأصبح ذلك سُنّةً مِن سنن القبائل العربيّة. وكان الغزو عندهم مورداً من موارد الرّزق خاصّةً عندما تنحبس السماء وينقطع الغيث، فتنقطع بهم سبل العيش ولا يجدون غير الغزو وسيلة إلى استمرار حياتهم وبقائهم في أرضهم؛ فهم إن لم يكونوا قاتلين فلا بدّ أنّهم مقتولون، وكأنّهم كانوا يَرَوْنَ في القتال والغزو ما يحقّق لهم العيش الكريم. وكثيراً ما كانت القبائل القويّة تطمع في القبائل الضَّعيفة لتستولي على ما عندها من مال ورزق، فكانت تغزوها لتحصل على ما طمعت به، وقد يكون النجاح حليفها، وقد تخسر ما طمعت به. ومن دواعي الغزو أيضاً ما كان يسود من علاقات شخصيّة بين سادات القبائل من زواج وطلاق، ومن حَسَد وتنافس، ومِن هجاء مُقْذِع بين متخاصِمَيْن أو كلام نابٍ بين متنافِرَيْن قد يثير حرباً بين قبيلتين أو أكثر، وكذلك ما تؤدّي جَريرةٌ اقترفها جاهل يثير بها غزواً وحرباً لتعصّب قبيلته له ظالماً كان أو مظلوماً (٣).

وقد لَخَّص دُريد بن الصِّمَّة حياة قبيلته – والقبائل العامّة – بقوله [من الطويل](٤):

يُغـــارُ علينـــا واتِـــرينَ فَيُشـــتَفى بِنـا إنْ أُصِـبْنا أو نُغيـرُ علـى وِتْـرِ
بـذاكَ قَسَـمْنا الـدّهَر شطرَيْنِ قِسْـمَةً فَمـا ينقضـي إلاّ ونحـنُ علـى شَـطْرِ

---

(١) انظر: الحِسّ القوميّ في الأدب الجاهليّ، رسالة ماجستير، إعداد هشام عبد الرحمن جيت، إشراف جاسر خليل أبو صَفيّة، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٣م، ص: ٢٧.

(٢) انظر: المعَارف، ابن قُتيبة، ص: ٦٠٣. وتاريخ الطبريّ، ١٩٣/٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٩٣/٤، ٢٩٤.

(٣) انظر: المُفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٣٤/٥. والعصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص: ٦٢.

(٤) ديوان دُرَيد بن الصِّمَّة الجُشَميّ، قدّم له شاكر الفَحَّام، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعيّ، دار قتيبة، ١٩٨١م، ص: ٦٤، ٦٥. الواتِر: الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء. الوِتْر: الثَّأْر. وقوله: " أو نُغير على وِتْرِ" أي على ثأرٍ لنا عندهم. وفي البيت الثّاني يقول: جعلنا أوقات الدّهر مقسومةً شطرين بيننا وبين أعدائنا، فلا ينقضي شيء منها إلا ونحن فيه على أحد الشطرين، إمّا علينا وإمّا لنا (لسان العرب: وَتَرَ. وديوان دُريد بن الصِّمَّة الجُشميّ، ص: ٦٤، ٦٥: الحواشي).

ولذلك يمكن القول إنّ غزو القبائل العربيّة بعضها لبعض كان نتيجةً حتميّة لظروف اقتصادية واجتماعيّة صعبة عاشوها، وقد دفعتهم إلى هذا الأمر لتضمن لهم استمرار الحياة.

وكانت القوّة هي السبيل الوحيد للحياة الكريمة التي كانوا يتوقون إليها، وكان العرب يحتقرون الضّعيف، إذْ يرون فيه مظهراً من مظاهر الذُّلّ والهوان؛ لأنّ ذلك الضّعيف لن يكون قادراً على حماية نفسه وحماية قومه وردّ الظلم والعدوان عنهم(١).

إذاً كانت طبيعة حياة العرب تستدعي إظهار القوّة والشجاعة وركوب الأهوال والمخاطر والصبر عند المكاره والخطوب، وما كان ذلك إلّا لأنّ حياتهم غير مستقرّة وتقوم على الغزو والإغارة على غيرهم؛ فهم أمام نزاعات وحروب قد تنشأ لأسباب عظيمة كالتنافس على شرف القبيلة ورئاستها والتنازع على ماءٍ أو مرعى، وقد تنشأ لأسباب أقلّ شأناً من هذا كإدراك ثأر أو رَدٍّ على غارة أو مفاخرة ومنافرة وغير ذلك(٢).

وقد عبَّرتْ أشعار الجاهليّين عن الجانب الحربيّ في حياة القبائل العربيّة أصدق تعبير، وكثر في تلك الأشعار الحديث عن الفخر بقتل الملوك وسادة القبائل وفرسانها؛ فهذا هو الأجدع بن مالك الهَمْدانيّ يفخر بقتل فوارس الأرباع – وهم بنو الحُصَيْن مِن ولد كعب بن الحارث – الذي قتلتهم هَمْدان يوم الأحْرمَيْن [من الكامل](٣):

أســـألَتني بركـــائبي ورِحَالهـــا ونَسِـــيتَ قَتْـــل فَـــوارس الأربـــاعِ

---

(١) انظر: الشعر الجاهليّ، خصائصه وفنونه، يحيى الجبوريّ، ص: ٦٥.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص: ٦٤.

(٣) النَّسب الكبير، ابن الكلبي، ٢٨٠/١: لم أجد ليوم الأَحْرَميْن ذكراً في ما رَجَعْتُ إليه مِن مصادر، ولكنّ ابن هشام قال: "يوم الرَّدْم كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان، وهو وقعة أصابت فيه هَمْدان من مراد، وكان الذي قاد هَمدان إلى مراد الأجدع الهَمْدانيّ (السيرة النبويّة، ابن هشام، تحقيق مصطفى السَّقَّا، ٢٢٨/٤). وأورد الهَمْدانيّ صاحب الإكليل هذا البيت مع ستّة أبيات أخرى قالها الأجدع الهَمْدانيّ يوم الرَّزْم: "بركائب" مكان "بركائبي" (كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوع، ٧٧/١٠، ٧٨). وقال البكريّ: "يوم الرَّزْم يوم لهَمْدان على مراد قبيل الإسلام، ورئيس هَمْدان يومئذ الأجدع الشاعر" (معجم ما استعجم، البكريّ، ٦٤٩/٢). ويتَّضح مما سبق أنّ ثمَّة اضطراباً وقع في اسم اليوم الذي قيل فيه البيت على النحو التالي: "الأحرمين" وقد انفرد ابن الكلبيّ بذكره. "الرَّدْم" ذكره ابن هشام. "الرَّزْم": ذكره الهَمْدانيّ صاحب الإكليل والبكريّ. وأغرب من هذا ما ذكره محقّق كتاب الإكليل محمّد الأكوع في تاريخ هذا اليوم على اختلاف تسميته، إذ نفى أن يكون هذا اليوم قد وقع في الجاهليّة، دون أن يذكر مرجعاً لكلامه: "يوم الرَّزْم، ويقال فيه يوم الرَّدْم، وهو موضع اجتمعت فيه هَمْدان كلّها ومَذْحِج كلّها، وكان سبب ذلك أنّ صنم يغوث كان في هؤلاء مرّة وفي هؤلاء مرّة، فأرادت مراد أن تغلب عليه في مرّتهم فقامت الحرب، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة في وقعة بَدر (كتاب الإكليل، ٧٧/١٠: الحاشية). والاضطراب وقع في اسم اليوم وتاريخه دون البيت ونسبته إلى الأجدع الهَمْدانيّ.

فوارس الأرباع: قال ابن الكلبيّ: "هم بنو الحُصَين مِن بني كعب بن الحارث بن كعب مِن مَذْحج، وهم عَمرو وزياد ومالك، يقال لهم فوارس الأرباع، كانوا إذا وقعت حرب وَلِيَ كلّ واحد منهم رُبْعها، قتلتهم هَمْدان يوم الأحرمين" (النسب الكبير، ٢٧٩/١، ٢٨٠). وقال البكريّ: "هم بنو الحُصَيْن ذي الغُصَّة، فقيل الأرباع هم الذي يأخذون رُبْع الغنيمة، وقيل: الأرباع: "موضع قُتِلُوا فيه" وذكر البيت (معجم ما استعجم، ٦٥١/٢).

ومِن ذلك أيضاً ما قاله ثَعْلَبة الفاتك بن عامر الكلبيّ يفخر بالمشاركة في قتل داود بن هَبالة السَّليحيّ القُضاعيّ في غارةٍ أغارها ثعلبة مع بعض قومه، وكان داود هذا مَلِكاً من ملوك الشام قبل غَسّان وكان يغير، ولكنّه تنصَّر وكَرِهِ القتل والدّماء، ثم بنى دَيْراً له، وكان داود يَنقل الطّين والماء على ظهره فتَلَثَّق ثيابه، وكره أن يعينه أحد في عمله فسمّي داود اللَّثِق"، فلمّا ضعف شأنه جعل أعداؤه يُغيرون عليه(١)*، وفي ذلك قال ثَعلبة بن عامر الكلبيّ* [من الكامل](٢):

نحنُ الأُلَى أردتْ ظُبَات سيوفنا داودَ بين القريتين مُحاربِ

خَطَرَت عليه رماحنا فَتَرَكْنَهُ لمّا قَصَدْنَ لَهُ كأمسِ الذّاهبِ

وكذاك إنّا لا تزالُ سيوفُنا تَنفي العِدى وتفيد رُغْبَ الرَّاغبِ

فالشاعر ثعلبة الكلبيّ يفتخر بمشاركته قومه في قتل مَلِكهم داود السَّليحيّ – وكلاهما ينتمي إلى قُضاعة – الذي تخلّى عن سنة قبليّة وهي الإغارة، وكان هذا الأمر – كما يرى – دليلاً على ضعفه، ولذلك فقد نال مع قومه منه بحدّ سيوفهم ورماحهم التي اهتزّت نحوه قاصدةً قتله، فذهب إلى غير رَجعة كأمسه المنصرم، وهم لا تزال سيوفهم تُنحّي أعداءهم عنهم وتُبعدهم جانباً عن حماهم. ويؤكّد الشاعر أنّ ما دفعه إلى قتله هو خوفه على نفسه وقومه من الذُّلّ والإهانة التي ستَلحق بهم عندما يضعف شأنهم ويصبحون مَطمعاً لأعدائهم.

وقد حَفِلت أشعار الجاهليّين بذكر أيام العرب، وكانت تلك الأشعار صدىً واضحاً لها مِن ذكر وقائعها ووَصْف أهوالها وبكاء قتلاها وتوعُّد الخصوم والمطالبة بالثأر والتفاخر بالنَّصر والتعيير

---

(١) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٥٧/٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٣١/٤: "داود بن هَبولة" تَلثَّق ثيابه: تبلّلَ، واللَّثِق: الماء والطين المختلطان (لسان العرب، ابن منظور: لَثِقَ).

(٢) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٥٧/٢، ٣٥٨: "القريتين مُحاربِ" تصحيف، وصوابها "القُرنَتَيْنِ فَحاربِ"، كما صَحَّحها محمّد شفيق البيطار عن: أسماء المغتالين وشرح القصيدة الدّامغة ومعجم البلدان؛ غير أنّه جاء في أسماء المُغتالين وشرح القصيدة الدامغة: "البرقتين فحاربِ"، وفي معجم البلدان (٣٣١/٤): "بحاربِ" (ديوان شعراء بني كلب، محمد شفيق البيطار، ٢٢٦/١: الحاشية ٢). "لَمَّا شُرِعْنَ" مكان "لمّا قَصدْنَ له" في أسماء المغتالين وشرح القصيدة الدّامغة عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٣). "لا تزال رماحنا" مكان "لا تزال سيوفنا" في أسماء المغتالين عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٤). وفي شرح القصيدة الدّامغة: "لا تزال رماحنا تنفي المَذلّة لو بقتل الصاحبِ" عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٤). وفي النَّسب الكبير: "ولذاك ... وتُعيد رُعْبَ الرّاعب" تصحيف صَحَّحه محمّد شفيق البيطار عن أسماء المغتالين.

الأُلَى: جمع لا مفرد له من لفظه بمعنى الذين. أَرْدَت: أهلكت. ظُبات السيوف: جمع ظُبَة، وهي حدّ السيف (لسان العرب: أَلى، رَدَى، ظَبا). القُرنتان: تثنية القُرنَة، والقُرْنَة من كلّ شيء حدّه، وهو موضع على أحد عشر ميلاً مِن فَيْد للقاصد مكّة؛ .. وقال نصر: القُرنتان: تثنية قُرْنَة، بين البصرة واليمامة في ديار تميم (معجم البلدان، ٣٣١/٤). حارِب: موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصُّفر من ديار قُضاعة (معجم البلدان، ٢٠٤/٢، ٢٠٥). خَطَرت عليه: اهتزَّت. قصَدْنَ له: توجّهت إليه عَمداً. تنفي العِدَى: تُنَحّيهم وتُبعدهم. الرُّغب: الرَّغبة (لسان العرب: خَطَر، قَصَد، نَفَى، رَغِبَ).

بالهزيمة(١)*، فهذا حَسّان بن ثابت الأنصاريّ يعيّر أوس بن خالد بن عبيد بن أميّة بهزيمته وفراره يوم الدَّرَك*(٢)*، واصفاً حاله في المعركة فَزِعاً خائفاً متضرّجاً بدمائه* [من الطويل](٣):

وأفْلَتَ يومَ الرَّوْعِ أوسُ بنِ خالدٍ يَمُجُّ دماً كالرَّعْفِ مُخْتَضِبَ النَّحْرِ

ومِن أيّام العرب التي ذكرها ابن الكلبيّ وروى فيها شعراً يوم "بُعَاث"؛ **"وكانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بُعاث إلى أبي قيس بن الأسْلَت، فقام في حربهم وآثرها على كلّ أمر، حتّى شَحِبَ وتغيَّر، ولَبِثَ أشهراً لا يَقْرُب امرأة؛ ثم إنّه جاء ليلة فَدَقَّ على امرأته ففتحت، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس! فقالت: والله ما عَرَفْتُكَ حتى تكلَّمْتَ!"**(٤)*، فقال في ذلك أبو قَيس القصيدة التي أوّلها* [من السّريع](٥):

قالت ولم تقصِدْ لقيل الخَنى مَهْلاً فقد أبلَغْتَ أسماعي
استنكرَتْ لوناً له شاحِباً والحربُ غولٌ ذات أوجاعِ
مَنْ يَذُقِ الحرب يجد طَعمَها مُرّاً وتتركْهُ بجَعْجَاعِ
قد حَصَّتْ البَيْضَةُ رأسي فما أطعَمُ نوماً غير تَهْجاعِ
أسعى على جُلّ بني مالكٍ كلُّ امرئٍ في شأنه ساعي
لا نألمُ القتلَ ونَجزي به أعداء كيل الصَّاعِ بالصَّاعِ

---

(١) انظر: الشعر الجاهليّ، يحيى الجبوريّ، ص: ٤٨.

(٢) الدَّرَك: يوم كان بين الأوس والخَزرج في الجاهليّة (معجم البلدان، ٤٥٢/٢)، وفي هذا الخبر اضطراب أيضاً، إذ ذكر البرقوقيّ أنّ حسّان بن ثابت قال يذكر فرار أوس بن خالد بن عُبيد بن أميّة ... ابن أوس الأنصاريّ يوم اليرموك (شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، ص: ٢٤١).

(٣) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١/٢: "كالرَّعْثِ" مكان "كالرَّعْفِ"، والصّواب ما أثبتُّه عن ديوان حسّان بن ثابت؛ لأن "الرَّعْث" لا توافق السياق، فهي تصحيف، وشرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي، ص: ٢٤١. وأُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن الأثير، ١٧٠/١: "كالوَعث" مكان "كالرَّعْف". والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حَجر العسقلانيّ، ٢٩٨/١: "كالرَّعْثِ" مكان "كالرَّعْفِ". الرَّوْع: الفَزع. يَمُجُّ: يبصق. الرَّعْف: خروج الدم من الأنف. الوَعْثُ: المكان السَّهْل الكثير الدَّهْس تَغيب فيه الأقدام. قال ابن سِيدَة: الوَعْثُ من الرَّمْل: ما غابت فيه الأَرْجُل والأخفاف. مُختَضِب: متلوّن مِن الخِضاب أي الحِنّاء. النَّحْر: أعلى الصدر (لسان العرب: رَوِعَ، مَجَّ، رَعَفَ، وَعُثَ، وَعِثَ، خَضَبَ، نَحَرَ).

(٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٨/١٧. وخزانة الأدب، البغداديّ، ٤١٠/٣: "لا يقرب امرأته". بُعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخَزْرَج في الجاهليّة (معجم البلدان، ٤٥١/١). أبو قيس بن الأسلت: قال أبو الفرج الأصفهاني: "لم يقع إليّ اسمه، والأسلت لقب أبيه... وهو شاعر من شعراء الجاهليّة" (كتاب الأغاني، ٨٨/١٧).

(٥) خزانة الأدب، البغداديّ، ٤١٠/٣، ٤١١. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٩/١٧: الأبيات الثلاثة الأولى فقط. الخَنَا: الفُحْش في الكلام. الجَعجاع: الأرض التي لا أحد بها، والمكان الضيّق الخشن الغليظ. البَيْضَة مِن السلاح: الخَوذة التي يلبسها المحارب على رأسه، وسُمّيت بذلك لأنّها على شكل بيضة النّعام. حَصَّتْ البيضة رأسه: أذهبت شعره. التَّهجاع: النَّومة الخفيفة. الصّاع: مِكيال محدّد لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد، يُذكَّر ويُؤنّث (لسان العرب: خَنَا، جَعْجَعَ، بَيَض، حَصَّ، هَجَع، صاعَ).

فالشاعر أبو قيس بن الأسلت يذكر لوم زوجته له ودَفْعها إيّاه إذْ لم تعرفه؛ فقد استنكرت حالته مِن شحوب لون وتغيُّر هيئة ثمّ عَرفته بعد ذلك. وهو يردّ عليها بأنّ الحرب مَنْ غَيَّر شكله ولونه ونَحَل جسمه لطول ما عاناه مِن قتال، وأنّها – الحرب – ذات آلام وأوجاع، مُصوّراً إيّاها بغول مُفْترِس. ويؤكّد الشاعر أنّ مَن يباشر الحروب يجد طعمها مُرّاً ويصير مرتهناً بيدها فلا يقدر على الخلاص منها، وأنّ خوذة القتال قد نَحلَت شعره لطول مُكْثها على رأسه، فلم يَذُقْ طعم النوم إلّا قليلاً. ويذكر أن سبب صبره على هذه المكاره هو سَعْيهُ لحماية قومه مِن بني مالك بن الأوس والدفاع عنهم مِن أخطار الحرب وآثارها، ويؤكّد أنّ قومه لا يهابون الموت ويُذيقونه لأعدائهم ويكيلونه لهم صاعاً بصاع.

ومِن أيّامهم أيضاً يوم "أُوَارة"، وقد روى أبو الفَرَج الأصفهانيّ خبر هذا اليوم بسَنَده إلى هشام ابن الكلبيّ عن أبيه وغيره مِن أشياخ طيّئ أنّ المنذر بن ماء السّماء وَضَع ابناً صغيراً له اسمه مالك – وقيل بل كان أخاه – عند زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظليّ التميميّ. وخرج مالك ابن المنذر ذات يوم يتصيّد فلم يرجع بشيء، ثمّ مَرَّ بإبل لرجلٍ من بني عبد الله بن دارم يُقال له سُويد – وهو زوج ابنة زُرارة بن عُدَس – فأمر مالك بناقة سمينة فنَحرها. ولمّا عَلِمَ سويد بذلك قتله ثم وَلّى هارباً، وكانت طَيّئ تطلب عَثَرات زُرارة وبني أبيه حتّى بَلَغهم ما صنعوا بأخي الملك عمرو بن هند[1]، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائيّ يحرّض على زُرارَة وقومه [من مجزوء الكامل][2]:

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عمـــراً بـــأَ (م) نَّ المـــرء لـــم يُخْلَـــقْ صُـــبَارَهْ
وحـــــوادثُ الأيّـــــامِ لا يَبقـــى لهـــا إلَّا الحِجـــارَهْ
أنّ ابـــن عِجْـــزَةِ أمّـــه بالسَّـــفْحِ أســـفلَ مِـــن أُوارَهْ
تَســـفي الرّيـــاحُ خـــلال كَشْـــ (م) حَيْـــهِ وقـــد سَـــلبوا إزارَهْ
فاقتـــــــــل زُرارَة لا أرى فـــي القـــوم أَوْفَـــى مِـــنْ زُرارَهْ

---

(١) انظر: كتاب الأغاني، ١٣٣/٢٢. وخزانة الأدب، البغداديّ، ٥٢٤/٦.
أُوَارَة: "اسم ماء أو جبل لبني تميم، قيل بناحية البحرين، وهو الموضع الذي حَرَق فيه عمرو بن هند بني تميم،... وكان مِن حديث ذلك أنّ أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند كان مُسْتَودَعاً في بني تميم، فقُتِل خَطأً، فحلَفَ عمرو ابن هند لَيقتُلَنَّ به مئةً مِن بني تميم، فأغار عليهم في بلادهم بأُوَارة، فَظفِرَ منهم بتسعة وتسعين رجلاً، فأوقد لهم ناراً وألقاهم فيها، فمرَّ رجلٌ من البراجم – وهم بطن مِن بني حَنظلة من تميم – وظنَّ أنّ دخان النار دخان طعام، فأكمل به عمرو بن هند المئة رجل" (معجم البلدان، ٢٧٣/١، ٢٧٤)، ولذلك هَجا يزيد بن عمرو بن الصَّعِق – أحد بني عمرو بن كلاب – قبيلة تميم بقوله:

ألا أَبْلِغْ لديك بني تميمٍ بآيةِ ما يُحبُّون الطَّعاما

(الكامل في اللغة والأدب، أبو العبّاس المبرّد، عارَضه بأصوله وعلَّق عليه محمّد أبو الفضل إبراهيم وسيّد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٧١/١).

(٢) خزانة الأدب، البغداديّ، ٥٢٥/٦. والاشتقاق، ابن دُريد، ٣٨٥/٢: "ها إنّ" مكان "أنَّ ابنَ". وكتاب الأغاني، ١٣٣/٢٢، ١٣٤: "تبقى" مكان "يبقى". "خلاله سَحياً" مكان "خلال كَشْحَيْهِ". "أفضل" مكان "أوفى". صُبَارة: حجارة. العِجْزَة: آخر ولد الرجل. الكَشْح: ما بين الخاصرة والضلوع. الإزار: المِلْحَفة، وهو كلّ ما وارى المرء وسَتره (لسان العرب، ابن منظور: صَبَرَ، عَجُزَ، كَشَحَ، أَزَرَ).

فلمّا بَلَغ الشعر عمرو بن هند – وهو عمرو بن المنذر بن ماء السّماء وكان يُعرف بأمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجر آكل المُرّار الكِنديّ – بكى حتى فاضت عيناه، وبلغ زُرارةَ الخبرُ فهرب، فركب عمرو بن ثَعلبة بن مِلقط الطائيّ (الشاعر) على مقدّمة رجال ولَحِق به عمرو بن هند حتى انتهى إلى أُوارة، فأَمَر لهم بأُخدود ثمّ أَضْرَمه ناراً، وقَذَف بهم فاحترقوا(١).

ويبدو الشاعر في أبياته أنّه يُحرّض الملك عمرو بن هند على قتل زُرارة وقومه بني حنظلة التميميّين للأخذ بثأر أخيه مالك بن المنذر. وهو يستخدم صيغة إعلاميّة (أبلغ) ليلفت نظر المخاطب (الملك) إلى أهميّة الكلام الذي يريد قوله: وليُثير في نفسه الأحزان والرّغبة في الانتقام، ويذكّره بأنّه لا ينبغي له أن يسكت عن مصرع أخيه؛ وهو تارةً يستثير قسوته وصلابته ضدّ قَتَلَة أخيه، إذْ إنّ حوادث الدهر ومصائبه لا يَصمُد أمامها إلاّ الحجارة، وهو يشبّهه بالحجارة في صلابتها وشدّتها حتى لا ينسى ثأره من قَتَلة أخيه. وتارةً يستثير فيه لِينه وعاطفته تجاه أخيه بأنّه لم يُخْلَق مِن حجارة، ويرسم في سبيل ذلك التأثير العاطفي صورة حزينة بشعة، وهي أنّه أصغر إخوته، وأنّه قُتِل غدراً وتُرِكَ صريعاً في أسفل سفح جبلٍ لبني تميم عاري الصدر بعد أن سُلِبَ قميصه والرياح تذرو التراب عن خاصرتَيْه. والشاعر يرى أنّ الملك لن يشفى غليله بإدراك ثأر أخيه إلّا إذا قتل سيّد قومه زُرارة؛ إذْ يعدُّه أوفى قومه منزلةً وأعلاهم شأناً.

ولم ينسَ الشعراء الجاهليّون في أثناء حديثهم عن غزوات العرب وأيّامهم أن يذكروا الأسلحة التي كانوا يستخدمونها في الحرب؛ مِن سيوف ورماح وسهام وغير ذلك من أسلحة القتال عندهم.

وكانت السّيوف هي السلاح الرئيسيّ في القتال عند العرب؛ إذا كانوا يستخدمونها في هجومهم على أعدائهم وفي الدّفاع عن أنفسهم، وقد يكون السيف من حَدٍّ واحد وقد يكون من حَدَّيْن، وقد يكون رأسه مُدّبّباً حادّاً يُستخدم للطعن، وأما الضرب فيكون بحدّ السيف. وأجود السيوف عند العرب هي السيوف المصنوعة من الفولاذ والحديد النقيّ الجيّد، وأشهرها السيوف اليمانيّة المصنوعة في اليمن، وتشتهر بلمعانها وبياضها، ولذلك قيل "بِيض يمانيّة" (٢)*، وكذلك السيوف المشرفيّة المنسوبة إلى مشارف الشام، وقيل إنّها منسوبة إلى "المشارف"، وهي قُرىً من أرض اليمن*(٣).

ولم يكتف العرب باستخدام السيوف العربيّة، وإنّما استَوردوا أجود الأنواع المصنوعة في الهند، وقد عُرِفَ السَّيف الجيّد المصنوع في الهند بـ"المُهَنَّد"، واشتُهِرَ الفرس والروم أيضاً بصناعة السّيوف الجيّدة، إذا تَفنَّنوا في تزيينها وكِسْوتها بماء الذهب أو الفضّة(٤).

---

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٣٤/٢٢. وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٥٢٥/٦، ٥٢٦.

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٢٢/٥، ٤٢٣.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور: شَرُفَ.

(٤) انظر: كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قُتيبة الدينوريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ١١٠٣/٢. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٢٤/٥.

ولشهرة السيف عند العرب فقد تفاخروا بها لجودتها وشدّة وَقْعها في الأعداء[١]*؛ فهذا عَديّ بن الرِّعلاء يفتخر بضربة السَّيف المَجليّ الحادّ وطعنة الرمح الواسعة في الأعداء في يوم بُصْرى* [مِن الخَفيف][٢]:

رُبَّمـــا ضَـــرْبَةٍ بســـيفٍ صَـــقيلٍ يـــوم بُصْـــرَى وطَعْنَـــةٍ نَجـــلاءِ

ويصف عمرو بن بَرَّاقَة الهَمدانيّ سيفه في إغارةٍ على حَريم بن نُعمان المُراديّ؛ إذ ذكر القالي أنّ أبا بكر بن الأنباريّ حَدَّثه عن السَّكَن بن سعيد عن محمّد بن عَبّاد عن ابن الكلبيّ خبراً مُفَاده أنّ حَريم بن نُعمان المُراديّ كان قد أغار على إبل عمرو بن بَرَّاقة الهَمْداني وخيله ثم أخذها، فاستشار عمرو بن بَرَّاقة سَلمى بنت سيّد قومه، فأشارت عليه بالإغارة على حَريم بن نُعمان واسترداد إبله وخيله منه، ففعل عمرو واستاق كلّ شيء كان له[٣]*، فقال عمرو بن بَرَّاقة* [من الطويل][٤]:

تقـــول سُـــلَيمى لا تَعـــرَّضْ لتَلْفَـــةٍ ولَيْلُـــكَ عـــن ليـــل الصَّـــعاليكِ نـــائمُ
وكيـف ينـامُ الليـلُ مـن جُـلّ مالـه حُسـامٌ كلـون المِلْـحِ أبـيضُ صـارمُ
فـلا صُـلْحَ حتـى تُقْـدَعَ الخيـلُ بالقَنـا وتُضـربَ بـالبِيض الخِفـافِ الجمـاجمُ

فالشاعر يقول إنّ سَلمى قد نَصحته بألّا ينام ليله قبل أن يستردّ ماله، وتستنكر عليه أن يَقْرَب النوم حتى يثأر لنفسه، وجلُّ ما يملكه سيف قاطع أبيض يشبه لونه لون الملح، فإنّه ينبغي عليه أن يصونه ويقاتل به، وهو يردّ عليها أنّه لن يُنهي الحرب والخصومة مع أعدائه حتى يكفّ خيولهم ويكبح جماحها بالرماح، ويضرب بالسيوف الخِفاف جماجم أعدائه.

ويصف مالك بن حَريم سيفه القاطع في إغارته على بني قُمَيْر؛ إذ ذكر القالي أيضاً حديث قتل أخيه سِماك بن حَريم في بني قُمَيْر، عن أبي بكر بن الأنباريّ عن السَّكَن بن سعيد عن أبيه وعن ابن الكلبيّ، قال: "**قُتِلَ سِماك بن حَريم، قَتَلَتْه مُراد غِيلةً، فلم يَدْرِ مالك مَنْ قَتَلَه حتّى أُخبِرَ بعد ذلك أنّ بني قُمَيْر قتلوا أخاه، فأغار عليهم وقَتَل قاتل أخيه**"[٥]*، وأنشأ يقول* [من المُنسَرح][٦]:

بَنـــي قُمَيْـــرٍ قَتَلْـــتُ سَـــيِّدكمْ فـــاليومَ لا فِدْيَـــةٌ ولا جَـــزَعُ
جَلَّلْتُـــه صـــارمَ الحديـــدة كالـــ مِلْـــحِ وفيـــه سَفَاسِـــقٌ لُمَـــعُ

(١) انظر: المفصَّل، ٥/٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) النسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢/١٨٤. لم أجد ليوم بُصرى ذكراً في ما بَحَثْتُ مِن مصادر. السيف الصَّقيل: السيف المَجليّ الذي كُشِفَ صدأه. طعنة نَجلاء: واسعة (لسان العرب: صَقَل، نَجِلَ).

(٣) انظر: كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٢/١١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١٩. التَّلْفَة: الهَضبة المنيعة يُخشى التَّلَف على مَنْ علاها. صارم: قاطع. تُقْدَع: قَدَعْتُ فَرسَي: كبَحْتُه وكَفَفْتُه. القَنا: جمع القَناة، وهي الرُّمح (لسان العرب: تَلِفَ، صَرَم، قَدَع، قَنَوَ).

(٥) كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٢/١٢٠. غِيلةً: غَدراً (لسان العرب، ابن منظور: غَالَ).

(٦) كتاب الأمالي، ٢/١٢٠. جَلَّلْتُه: عَلَوْتُه. سَفاسِق: جمع سِفْسِقَة: شُطْبَة السيف كأنّها عمود في متنه مَمدود، وسفاسق السيف: طرائقه التي يقال لها الفِرِنْد، فارسيّ معرّب (لسان العرب: جَلَّلَ، سَفْسَقَ).

فالشاعر يفتخر بقتل قاتل أخيه وهو سيّد قومه بني قُمَيْر، إذ لَمْ يقبل منهم دِية عن أخيه ولم يجزع لمقتله، وإنّما عَلا قاتله بسيف قاطع أبيض كالمِلح لامعةٍ شُطُبُه وطَرائقُه.

وقد عُرِفَ بعض الرُّماة بمهارتهم ودقّة إصابتهم الهدف، فكانوا يصيبون برمامحهم وسهامهم أَدَقّ الأهداف، واشتُهِرَ هؤلاء الرُّماة بـ "رُماة الحَدَق" أي المَهَرة في الرَّمْي؛ إذ إنّ حِداقهم لا تكاد تخطئهم في الرَّمْي(١)*. ومن قبائل العرب التي اشتهرت بالرَّمي قبيلة عُرِفَت بـ "القارَة"، وهم بنو الهُون بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة، فقد اشتُهروا بالرمي، وقيل إنّهم أرمى حيّ في العرب*(٢)*، وفيهم يقول القائل* [من الرَّجَز]*(٣)*:

قد أَنْصَف القارةَ مَنْ راماها

ومن مشاهير الرُّماة عمرو بن عبد المسيح الطائيّ، وكان مِنْ أرمى العرب(٤)*، وقد وَفَد إلى النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – وفيه يقول امرؤ القيس* [من المَديد]*(٥)*:

رُبَّ رامٍ مِن بني ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ مِن سُتَرِهْ

---

(١) انظر: المُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤٢٧/٥. الحَدق: جمع الحَدَقة، وهي السواد المستدير وسط العين (لسان العرب: حَدَقَ).

(٢) انظر: المُفصَّل، جواد علي، ٤٢٨/٥.

(٣) جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٣٧/١. هذا مثل ويضرب في "مساواة الرجل صاحبه في ما يدعوه إليه. وسُمُّوا قارةً لاجتماعهم والتفافهم. والقارَة: الأكَمَة، والجمع قُور، وكانوا رُماة الحَدَق. وأصل المثَل كان في حرب وقعت بين قريش وبكر بن عبد مَناة بن كِنانة، وكانت القارة مع قريش؛ فلما التقى الفريقان رماهم الآخرون؛ فقيل: قد أنصفوكم إذْ قاتلوكم بما تُقاتِلون به؛ وجُعِلَ المَثل شِعراً؛ فقيل:

قد أَنْصَفَ القارَةَ مَنْ راماها إنَّا إذا ما فئةٌ نَلقاها
نَرُدُّ أولاها على أُخراها"

(كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ، حقَّقه وعلَّق حواشيه ووضع فهارسه محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ٥٥/١، ٥٦).

(٤) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٣١٤. عمرو بن عبد المسيح الطائيّ: "هو أحد المُعَمَّرين عاش مئةً وخمسين سنة، وفد إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم (الاشتقاق، ابن دريد، ٣٨٨/٢).

(٥) النسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢١٠/١. وشرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، ص: ١٠٣. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٢٣: الشطر الثاني "مُثْلِجٍ كَفَّيه في قُتَره".
والاشتقاق، ابن دريد، ٣٨٨/٢: رواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ.
بنو ثُعَل: قبيلة من طَيّئ اشتهرت بجودة الرَّمْي (انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٣٣٩/٤). مُثْلِج: مُدْخِل. قُتَر: جمع قُتْرة، وهي بيت الصّائد الذي يَكمن فيه للوحش لئلّا تراه فتنفرَ منه (لسان العرب: وَلَجَ، قَتَر). وقد اعترض الأصمعيّ على معنى "مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ مِنْ سُتَره" فقال: "أما عَلِمَ أنّ الصائد أَشَدُّ خَتْلاً مِن أَنْ يُظهر شيئاً منه" (المُوشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء، المَرزُبانيّ، المطبعة السَّلَفيّة، القاهرة، ١٣٤٣هـ، ص: ٢٨). خَتَلَ الصَّيْد: تَخَفَّى له. وخَتلَه خَتْلاً وخَتَلاناً: خَدعَه عن غَفْلة (لسان العرب: خَتَلَ).

وقال شاعر آخر يصف قوة سِهام عمرو بن عبد المسيح الطائيّ ونفاذها في سواد قلب خَصمه [من الكامل][١]:

ليت الغُرابَ رمَى حَماطة قلبهِ عمرو بأَسْهُمِهِ التي لا تُغْلَبُ

وهذا شَقِرَة بن الحارث بن تميم يفتخر بحمله رُمْحاً شديداً صُلْباً يقطر دماً مُشْبِهاً بحُمْرَته نبات شَقائق النعمان، مِن [الطويل][٢]:

وقد أحمل الرُّمْحَ الأصمَّ كعوبُهُ به مِنْ دماء القوم كالشَّقِراتِ

وهذا أبو قيس بن الأَسْلَت يصف خوذة القتال التي طال مُكْثها فوق رأسه فذهبت بِشَعْرِهِ ونَحلَتْهُ، وحَرَمتْه النوم إلّا قليلا [من السَّريع][٣]:

قد حَصَّتْ البَيضةُ رأسي فما أطعَمُ نومًا غيرَ تَهْجَاعِ

(١) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢١٠/١. حَماطة قلبه، سَوادُه وحَبّته (لسان العرب: حَمَطَ).

(٢) جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٧٢/١. الأصمّ: الصُلْب الشديد المُصْمَت. كُعوب الرمح: الكَعْب: عقدة ما بين الأُنبوبين من القَصَب والقَنا، وقيل الكَعْب: هو طرف الأُنبوب النّاشز، وهذا يدلّ على القوّة والشدّة. الشَّقِرات: جمع الشَّقِرَة، وهي نَوْر يُشبَّه بالشّقائق، أو هو الشّقائق بعينها، والشقائق هي شقائق النُّعمان، وهي نَبات أحمر يُشَبّه بالدم (لسان العرب: صَمَّ، كَعَبَ، شَقِرَ، شَقَقَ. والاشتقاق، ابن دريد، ١٩٧/١). و"الرُّمح الأَصمّ كعوبه" معنى استخدمه الشعراء الجاهليّون، ومنهم النابغة الجعديّ الذي يقول:

ولا يَشْعُرُ الرُّمْحُ الأصمُّ كعوبُهُ بثَروة رَهْط الأعْيَطِ المُتَظلِّمِ

(ديوان النابغة الجعديّ، ص: ١٦٦. الثَّروة: كثرة العدد من الناس والمال. الأَعْيَط: الطويل الرأس والعُنُق، وهو سَمْح، والمُتَظلِّم هنا الظالم (لسان العرب: ثَرَا، عَيِطَ).

(٣) خزانة الأدب، البغداديّ، ٤١١/٣.

ثالثاً: الحياة الدينيّة:

آ- عبادة الأصنام:

ظهرت نظريّتان في نشأة الدّين وتطوّره: أولاهما: النّظريّة التطوريّة التي ذهب أصحابها إلى أنّ "تعدّد الآلهة" كان هو الأصل عند المجتمعات الأولى من البشر، ثم تطوّر بعد ذلك حتى وصل إلى "التّوحيد". والثانية: هي النظريّة الفطريّة التي تنادي بأنّ الإنسان قد فُطِرَ على التوحيد، ثمّ طرأت عليه طوارئ فظهر التعدّد والشّرك والتّثليث(١).

ويوافق النظريّةَ الفطريّة قولُه تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾(٣)،

عَرَّفَ علماء اللغة الدين بأنّه العادة والشَّأن، والطاعة والتَعبُّد. وقد عَرفَ العرب في الجاهليّة الأصنام والأوثان وأشركوا بها الله – عزّ وجلّ – في عبادتهم. ولم يصفهم القرآن الكريم بأنّهم عَبَدة أصنام لا يعرفون الله، بل وصفهم بأنّهم مشركون يتّخذون الأصنام وسيلةً تقربهم إلى الله، ولم يكن إيمانهم بتلك الأصنام والأوثان إيماناً راسخاً –كما قد يُظنّ – وإنّما كان إيماناً مُزعزعاً، إذ كان كثير من الأعراب يسخرون من تلك الأصنام والأوثان وينتقصون من قَدْرها(٤).

ولعلّ من الأدلّة الدّامغة على أن إيمان العرب في الجاهليّة بالأصنام والأوثان هو إيمان غير مَتين أنّهم كانوا يتّخذونها وسائط وشفاعات تُقرّبهم إلى الله سبحانه وتعالى، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾(٥)، وقوله أيضاً: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾(٦). فقد كانوا يقرّون بأنّ الله هو الخالق لا غيره، ولكنّهم يشركون به لاعتقادهم بأنّ الأصنام والأوثان وسائط تقرّبهم منه عزّ وجلّ، ودليل إقرارهم بأنّ الله هو الخالق قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(٧).

ويمكن القول إنّ فكرة الآلهة لم تكن موجودة في أذهان العرب الجاهليّين كما هي عند اليونان والرومان وغيرهم من الأقوام، ولم يتعمَّق دارسو تأريخ أديان الجاهليّين تعمّقاً كافياً عندما بحثوا عن الوَثَنيّة، ولم يتناولوها إلّا بسبب اتّصالهم بالإسلام، وغلب على كثير ممّا ذكروه عن الوثنيّة طابع

---

(١) انظر: نشأة الدّين، النظريّات التطوّريّة والمُؤلَّهة، علي سامي النَّشّار، دار نشر الثقافة بالإسكندريّة، ١٩٤٩م، ص٣١، ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٤) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٣٧.

(٥) سورة الزُّمَر: الآية ٣.

(٦) سورة يونس: الآية ١٨.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ٦١.

السَّذاجة وأسلوب الصَّنعة. وقد اقتصرت بحوثهم في أحوال الوثنيّة على الحجاز وبعض القبائل التي ورد لها ذكر في حوادث الإسلام أيّام الرسول – صَلَّى الله عليه وسلّم – من مثل قدوم وفود سادات القبائل على النبيّ وأمره بتحطيم الأصنام بعد فتح مكّة، وبذلك لا نجد للوثنيّة في بقيّة جزيرة العرب مكاناً في ما كتبه أولئك العلماء. وكذلك نجد أنّ الأخبار عن اليهوديّة والنصرانيّة قليلة جدّاً إلّا ما كان له صلة بما ورد في القرآن الكريم وما له صلة أيضاً بعصر الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم(١).

ويقول ابن الكلبي إنّ العرب قد اشتُهِروا "**بعبادة الأصنام، فمنهم من اتّخذ بيتاً، ومنهم من اتّخذ صَنَماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء البيت نَصَبَ حَجراً أمام الحرم وأمام غيره ممّا استحسن، ثم طَاف به كطوافه بالبيت... فكان الرجل إذا سافر فنَزَلَ منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتّخذها رَبّاً، وجعل ثلاث أثافيّ لِقِدْرِهِ فإذا ارتحل تركه، فإذا نَزل منزلاً آخر فَعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عندها كلّها ويتقرّبون إليها**"(٢). *ورُوي أنّه لم يكن حيّ من أحياء العرب إلّا وله صنم يعبده يسمّونه* "**أنثى بني فلان**"(٣)، *ومنه قوله تعالى:* ﴿**إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا...**﴾(٤). *والإناث* "**كلُّ شيء ليس فيه روح مثل الخَشبة والحجارة**"(٥). *وقد رَدّ الله عزّ وجلّ عليهم ساخراً من تسميتهم آلهتِهم بالأنثى دون الذَّكر بقوله تعالى:* ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)**﴾(٦).

وقد عَرَّف علماء اللغة الصَّنم بأنّه ما اتُّخذَ إلهاً من دون الله وما كان له صورة كالتمثال "مثال"، وَعُمِلَ مِن خَشَب أو فضّة أو نحاس أو حديد أو غيرها من معادن الأرض وجواهرها (٧).

وزاد ابن الكلبيّ مُميّزاً بين الصَّنَم والوَثَن؛ بأن الصَّنَم ما كان مصنوعاً من خشب أو ذهب أو فضّة على صورة إنسان، وأنّ الوَثَن كان يُتَّخذ مِن الحجارة(٨)، *وقد وصف ابن الكلبيّ هيئة بعض الأصنام؛ إذ ذكر أنّ الصَّنَم "هُبَل" كان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، وقد أدركته قريش فجعلت له يداً من ذهب*(٩).

وتفيد روايات الإخباريّين في بعض الأحيان بأنّ بعض العرب كانوا يعتقدون بفكرة المسخ كالذي رَوَوْهُ عن الصَّنَمَيْن إساف ونائلة أنّهما رجل وامرأة مِن قبيلة جُرْهُم، وأنّ "إِسَافًا" وقع على "نائلة" في

---

(١) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ١٣/٦، ١٤.

(٢) كتاب الأصنام، ص: ٣٣. الأَثافِيّ: جمع الأُثْفِيَّة والإِثْفِيَّة، وهي الحجارة التي تُنْصَب وتُجعَلُ القِدْر عليها (لسان العرب: أثِفَ).

(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٦٦/٦، ٦٧.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٧.

(٥) لسان العرب، ابن منظور: صَنَمَ.

(٦) سورة النجم: الآيات ١٩–٢٢.

(٧) انظر: تاج العروس للزَّبيديّ ولسان العرب لابن منظور: صَنَمَ. والاشتقاق، ابن دُريد، ٤١٧/٢.

(٨) انظر: كتاب الأصنام، ص: ٥٣.

(٩) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٧.

الكعبة فمُسِخا حَجَرَيْن[١]. *وكان بعض العرب يعتقدون بفكرة التَّقَمُّص؛ إذ روى الإخباريّون أنّ الصنم اللَّات* **"كان رجلاً مِن ثَقيف بالطائف، فلمّا مات قال لهم عمرو بن لُحَيّ الخُزاعيّ إنّه لم يمت، ولكنّه دخل في الصخرة. ثمّ أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بنياناً يسمّى اللَّات"**[٢].

ويعدّ كتاب الأصنام لابن الكلبيّ من أنفس الكتب وأندرها، والتي تكشف عن حياة العرب الدينيّة قبل الإسلام في ما يتّصل بها من عبادة الأصنام والأوثان. وقد أفاد ياقوت الحمويّ من كتاب ابن الكلبيّ، وأخذ عنه معلومات قيّمة وغنيّة عن أصنام العرب في كتابه معجم البلدان[٣].

ومن أشهر أصنام العرب التي ذكرها ابن الكلبيّ "العُزّى"، وهي أعظم الأصنام عند قريش[٤]*؛ إذ يقول:* **"وقد بلغنا أنّ النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – ذكرها يوماً فقال: لقد أَهْدَيْتُ للعزّى شاة عفراء وأنا على دين قومي، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللَّاتِ والعُزّى ومَناةَ الثالثة الأخرى.. فإنهنّ الغَرانيق العُلى وإنّ شفاعتهنَّ لتُرْتَجى... كانوا يقولون بنات الله عزّ وجلّ عن ذلك، وهُنَّ يَشْفَعْنَ إليه، فلما بعث رسوله – صَلَّى الله عليه وسلّم – أنزل عليه قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ(٢٣))"**[٥].

وللعُزّى يقول درهم بن زيد الأوسيّ [من المنسرح][٦]:

إنّــي وربِّ العُــزَّى السَّــعيدة والــ لــــهِ الــــذي دونَ بيتــــه سَــــرَفُ

وذكر ابن الكلبيّ أنّ قبيلة قريش كانت قد حَمَتْ للعُزّى شِعباً مِن وادي حُراض يُقالُ له "سُقَام" يُضاهون به حرم الكعبة[١]*، ورَوى شِعراً لأبي جُنْدَب الهُذَليّ في امرأةٍ كان يهواها* [من الطويل][٢]:

---

(١) انظر: الرَّوْض الأُنُف في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام، السُّهيليّ، قدّم له وعلَّق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، ١٠٥/١.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٤/٥.

(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ١٣/٦.

(٤) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١١٦/٤. وسورة النجم: الآيات ١٩–٢٣. قول ابن الكلبيّ "لقد أَهْدَيْتُ للعُزّى شاة عفراء وأنا على دين قومي" لا يصحّ مطلقاً عن النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – وهو حديث مُختَلَق موضوع بإجماع أهل العلم بالحديث (دفاع عن السنّة وردّ شُبَه المُستشرقين والكتّاب المعاصرين، محمّد أبو شَهبة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ٣٢١/٢) ويكذّبه أيضاً القرآن الكريم: (سورة النّحل: الآية ١٢٣، سورة الأنعام: الآية ١٦١).
عَفْراء: خالصة البياض. الغَرانيق: هي الأصنام، الواحد منها الغُرنوق والغُرْنَيق: طائر أبيض، وقيل طائر أسود من طير الماء طويل العُنق، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، فشُبّهت أصنامهم بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء (لسان العرب: عَفَر، غَرْنَقَ).

(٦) كتاب الأصنام، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ١١٦/٤: "سَرِفُ" مكان "سَرَفُ". قال أبو عُبيد: السَّرِف الجاهل (معجم البلدان، ٢١٢/٣). والسَّرَف: هو الخطأ والجهل (لسان العرب: سَرَفَ). فالشاعر يقسم بالله وربّ العُزّى. مشيراً إلى طهارة المكان وقداسته الذي دونه الخطأ والجهل والغَفلة وتجاوز الحدّ.

لقـد حَلَفـتْ جَهْـداً يمينـاً غَليظـةً بفَـرْع التـي أَحْمَـتْ فـروعَ سُـقَامِ

لـئن أنـتَ لـم تُرْسِـلْ ثيـابيَ فـانطلقْ أُباديـكَ أخـرى عَيْشِـنا بكـلامِ

يَعِـزُّ عليـه صَـرْمُ أمِّ حُـويرِثٍ فأمسـى يَـرومُ الأمـر كـلَّ مُـرامِ

فالشاعر أو جُنْدَب الهُذَليّ يذكر حَلْفَ زوجته "أمّ حويرث" له بأعلى العُزّى – وقد عَزمت على مفارقته – بأنّه إن لم يُرسل إليها ثيابها فستقاطعه ولن يبقى بينهما إلّا الكلام. ويذكر الشاعر أنّ قطيعتها إيّاه كان ممّا عزَّ عليه وأَوْجَعه، ومع ذلك فستظلّ نفسه تطلبها، وسيبقى ذلك حاله ما عاش حياته. وقد استخدم صيغة الغائب في (يَعزُّ عليه) ليبرز نفسه بالمعنى الإنسانيّ العام، ويُشْعِر بما آل إليه مصيره مِنْ قَطع حبل الودّ بينه وبين أمّ الحويرث.

ومن أصنام العرب "إساف ونائلة"، وذكَرَ ابن الكلبي خبرهما بقوله: **"حَدَّثني أبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس أنّ إسافاً رجل من جُرْهُم يُقال له إساف بن يَعلى، ونائلة بنت زيد مِن جُرْهُم، وكان يتعشَّقها بأرض اليمن فأقبلا حاجَّين، فدخلا الكعبة فوجدا غَفْلَةً من الناس وخِلوةً في البيت ففَجَرَ بها في البيت فمُسِخَا، فأصبحوا فوجدوهما مَسْخَيْن، فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خُزاعة وقريش وَمَنْ حجّ البيت بَعْدُ من العرب. قال هشام: ولمّا مُسِخَ إساف ونائلة حَجريْن وُضِعا عند الكعبة ليتَّعظ بهما الناس، فلمَّا طال مُكثهما وعُبِدَت الأصنام عُبِدا**

---

(١) انظر: كتاب الأَصنام، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ٢٢٦/٣. الشِّعْب: ما انفرج بين جَبليْن. ومَسيل الماء في بطن من الأرض، له حرفان مُشرفان، وعرضه بطحة رجل، إذا انبطح، وقد يكون بين سَنَدَيْ جبلين (لسان العرب: شَعَبَ).

حُراض: فُعال من الحَرْض وهو الهلاك: موضع قرب مَكّة بين المُشَاش والغُمَيْر، وهناك كانت العُزّى في ما قيل؛ قال أبو المنذر (ابن الكلبيّ):" أوّل مَنْ اتّخذ العُزّى ظالم بن أسعد، وكانت بوادٍ من نخلة الشاميّة يقال له حُراض بإزاء الغُمَيْر عن يمين المَصْعَد مِن مكّة إلى العراق، وذلك فوق ذات عِرق إلى البستان بتسعة أميال"(معجم البلدان، ٢٣٤/٢).

(٢) كتاب الأَصنام، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ٢٢٦/٣: "أُناديكَ" مكان "أُباديكَ". "صُرْم" مكان "صَرْم". ولم أجد هذه الأبيات لأبي جُندَب في ديوان الهذليّين أو في غيره من المصادر إلّا ما ذكره ابن الكلبيّ وياقوت الحمويّ.

سُقام: اسم وادٍ بالحجاز في شعر أبي خِراش الهذليّ، ولم يذكر أبا جندب، وأُنشد لأبي خِراش:

أمسى سُقامٌ خلاءً لا أنيسَ به إلّا السِّباعُ ومَرُّ الريح بالغَرَفِ (معجم البلدان، ٢٢٦/٣. وديوان الهذليّين، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ١٥٦/٢).

فَرْع كل شيء: أعلاه. أَحمى المكان: جعله حِمىً لا يُقرب. أُباديكَ: أجاهرك بالعداوة. الصَّرْم: القطع البائن للحبل. يَروم: يطلب (لسان العرب: فَرَع، حَمَى، بَدَا، صَرَمَ، رامَ).

معها، وكان أحدهما بِلَصق الكعبة فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما"(١). *فلمّا تَحالفتْ قريش على بني هاشم خاف أبو طالب فصار يتودَّد أشراف قومه وغيرهم، ويستعطفهم في ذلك مِن شعره أنّه لن يُسْلِمَ محمّداً – صَلَّى الله عليه وسلّم – ولن يتركه لهم حتى يهلك دونه*(٢)*، فقال أبو طالب من قصيدة طويلة – قِوامها (٩٤) أربعة وتسعون بيتاً – هذين البيتين، يَحْلِفُ بإساف ونائلة ويذكر تحالف قريش على بني هاشم* [من الطويل](٣):

أَحْضَرْتُ عند البيت رَهطي ومَعْشَري وأمْسَكْتُ مِن أثوابِهِ بالوَصائلِ

وحيثُ يُنيخُ الأشْعَرون ركابَهُمْ بِمُفْضَى السُّيولِ من إسافٍ ونائلِ

فأبو طالب يُبدي استعطافه لقومه قريش وتَمَسُّحه بالبيت (الكعبة) وتقرّبه لِصَنَميْ إساف ونائلة بجوار الكعبة؛ وذلك كي يَكُفّوا أذاهم عن ابن أخيه محمّد صَلَّى الله عليه وسلم؛ إذ يذكر أنّه قد أحضر جماعته وتمسَّح ببُرود الكعبة تعظيماً لها، وأحضرهم أيضاً حيث ينيخ الأشعريّون اليمانيّون إبلهم فملأوا المكان المتّسع القريب من صنمي إساف ونائلة.

وهذا بَلعاء بن قَيس الكِنانيّ "الشُّدَّاخ اللَّيثيّ" يذكر صنم "مَناف"، وكانت قريش تُجِلّه وتعظّمه وتسمّي به "عبد مناف"، ولكنّ ابن الكلبيّ يجهل أين كان ومَن نَصَبه، إلّا أنّه يذكر أنّ مِن تعظيم

---

(١) كتاب الأصنام، ص: ٢٩. ومعجم البلدان، ١/١٧٠.

(٢) المصدران ذواتاهما. والسّيرة النبويّة، ابن هشام، ١/٢٩١.

(٣) كتاب الأصنام، ص: ٢٩. ومعجم البلدان، ١/١٧٠. والسيرة النبويّة، ١/٢٩١: "إخوتي" مكان "مَعشري".

رَهْطُ الرجل: قومه وقبيلته، والرَّهْط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة قال تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ) (سورة النّحل: الآية ٤٨). الوصائل: جمع جمع؛ وهي جمع الوصيل: بُرود اليمن، الواحدة وصيلة. الأَشْعَرون: أصلها الأشعريّون، فحذف يائي النسبة، وهم نسبة إلى أشْعَر وهي قبيلة يمانية. الرِّكاب: الإبل التي يُسار عليها، واحدتها راحلة، ولا واحد لها مِن لفظها، وجمعها رُكُب. مُفْضَى السيول: المكان المُتَّسع، ويقال أفضى: بَلَغَ بهم مكاناً واسعاً، وأفضى بهم إليه حتى انقطع ذلك الطريق إلى شيء يعرفونه (لسان العرب، ابن منظور: رَهَط، وَصَل، شَعِرَ، رَكِبَ، فَضَا).

وقد أورد ابن هشام القصيدة كاملة (السّيرة النبويّة، ١/٢٩١–٢٩٩) وهي أربعة وتسعون بيتاً ومطلعها:

ولَـمَّا رأيـت القـوم لاوُدَّ فـيهمُ وقـد قَطعـوا كـلّ العُـرى والوسـائلِ

وفيها يمدح النبيّ – صَلَّى الله عليه وسلّم – بقوله:

وأبـيضَ يُستسـقَى الغَمـامُ بوجهـه ثِمـالَ اليَتـامى عَصـمةً للأرامـلِ

ثِمال اليتامى: الذي يَثمُلُهم ويقوم بهم (السيرة النبوية، ١/١٩٥: الحاشية ١).

قال ابن هشام محقّق السيرة النبويّة وضابطها وشارحها: "هذا ما صَحَّ لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشّعر يُنكِرُ أكثرها" (السيرة النبويّة، ١/٢٩٩).

قريش لصنم مناف أنّهم لم يكونوا يسمحون للنساء الحُيَّض من الاقتراب منه ومِن أصنامهم، وإنّما كُنَّ يَقِفْنَ ناحيةً منها [١]*، وفي ذلك يقول بَلعاء بن قيس بن عبد الله بن يَعْمرُ، وهو الشُدَّاخ الليثيّ* [من الوافِر][٢]:

تَرَكْتُ ابن الحُرَيْزِ على ذِمامِ وصُحْبتَه تلوذُ به العَوافي

ولم يَصرِفْ صُدورَ الخيل إلّا صَوايحُ من أيائيمٍ ضعافِ

وقِرْنٍ قد تَركتُ الطيرَ منه كمُعْتَنِزِ العَوارِكِ مِنْ مَنافِ

فالشاعر يذكر صاحباً له وهو ابن الحُرَيز، ويقول إنّه قد تَركه على عَهده به مِن حفظ الحقوق والحُرمات للأهل والناس، وتَركَ أصحاب ابن الحُريز أيضاً يحتمي بهم الأضياف وطُلّاب الرّزق. ويفتخر بقوّته وشجاعته؛ إذ إنّه لَمْ يمنعه في أثناء إغاراته على أعدائه مِن أنْ يُجهز عليهم سوى صياح نساء أرامل ضِعاف، وأنّه كثيراً ما كان يترك خصمه ونظيره في الشجاعة ويتنحّى عنه استهانةً به وترفُّعاً عنه، وفي البيت الثالث فخر بشجاعته وذَمٌّ لخصمه، مُشبِّهاً موقفه منه بالرجل الذي يعتزل الحُيَّض مِن النّساء اللّواتي لا يجرُؤْنَ على الاقتراب من الصنم "مَناف".

وهذا جعفر بن أبي خَلّاس الكلبيّ يذكر صنماً مِن أصنام العرب يُقال له "سُعَيْر"، إذ يذكر طواف الناس حوله وتقديمهم له الذَّبائح تقرُّباً إليه، وكان هذا الصَّنَم لقبيلة عَنَزة؛ وخَرَج جعفر مَرَّةً على ناقته، فرأى بني عَنَزة يطوفون حوله، وقد ذُبِحَت عنده ذبيحة، فنفَرتْ ناقته من ذلك المشهد[٣]*، فقال يصف جلال ذلك المشهد وهيبته* [من الكامل][١]:

---

(١) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٣٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٠٣/٥.

(٢) المصدران والصفحتان ذواتاهما. وفي كتاب الأصنام: "أياتيم" مكان "أيائيم"، ولم أجد لها معنىً، فأثبتُّ رواية ياقوت الحمويّ. معجم البلدان: "مُعْتَرِك" مكان "مُعْتَنِز".

الذِّمام: الحقّ والحُرمَة، وكلُّ حرمة تلزم المرء إذا ضَيَّعها المَذمّة. العوافي: واحدها العافية، والعوافي: الأضياف وطُلّاب المعروف، وقيل طُلّاب الرّزق من الإنس والدَّواب والطَّيْر. أيائيم: صوابها "أيايِم"، ثم قُلِبَتْ فأصبحت "أَيامى"، والأيامى هم الذي لا أزواج لهم مِن الرّجال والنّساء، وأراد هنا النّساء، والواحد أَيِّم، وامرأة أَيِّم بِكراً كانت أو ثَيِّباً، ويبدو أنّ الشاعر زاد ياءً فأصبحت "أَياييم". القِرن: الخَصم والمكافئ في الشجاعة. المُعْتَنِز: الذي لا يُساكن الناس ولا يخالطهم لئلّا يُرزأَ شيئاً. العَوارك: جمع العارك، وهي الحائض من النساء (الصِّحاح للجوهريّ ولسان العرب لابن منظور: ذمَّ، عَفَا، أَيِمَ، قَرَن، عَنَزَ، عَرَكَ).

(٣) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٤١. والنسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٥٦/٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٢٢/٣: "جعفر بن خَلَّاس الكلبيّ"، والخَلّاس: الشُّجاع الحذر (لسان العرب: خَلَس).

نَفَرتْ قلوصي مِن عَتائرَ صُرِّعَتْ حول السُّعَيْر يزوره ابنا يَقْدُمِ

وجموعُ يَذْكُرَ مُهْطِعينَ جَنابَهُ ما إنْ يُحيرُ إليهمُ بتكلُّمِ

فالشّاعر يقول إنّ ناقته جَفَلتْ إذ رأت دماء الذبائح التي قُدِّمَتْ تقرُّباً إلى صنم السُّعَيْر، وكان ابنا يَقْدُم ويذكر ابني عَنَزة يزورونه ويطوفون حوله، وكانوا يقفون حوله ناظرين إليه ويشعرون – وهم في حَضْرَته – بالجلال والهيبة والوَقار من ذلك المشهد، وهو – الصنم – لا يردّ عليهم.

وكان الذي نشر عبادة الأصنام في جزيرة العرب عمرو بن لُحَيّ الخُزاعيّ، وقد كان العرب قبل ذلك يَدينون بدين إبراهيم عليه السلام دين التوحيد؛ إذ كانوا يعبدون الله وحده عزّ وجلّ، لا يشركون به بصنم أو غيره، وكانوا يُسَمَّوْنَ "الحُنَفاء"(٢)، *وقد أشار القرآن الكريم إليهم بقوله تعالى:* ***﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾***(٣). *فلمّا جاء عمرو بن لُحَيّ أفسد العرب ونشر بينهم الضَّلال بعبادة الأصنام لِما وجده عند أهل الشام من عبادة الأصنام والأوثان؛ إذ كانوا يستسقون بها المطر ويستنصرون بها على أعدائهم، فَطلَب منهم أن يعطوه منها، فقدِمَ بها إلى مكّة ونَصَبها حول الكعبة، ثم جعل يوزّعها على قبائل العرب، وبذلك شاعت بينهم عبادة الأصنام*(٤).

فأصل ديانة العرب هو الحَنيفيّة، أعني التوحيد بالله وعدم الإشراك به، وهذا هو دين إبراهيم عليه السلام، وأمّا ما كان مِن عبادة الأصنام والأوثان فأمر طارئٌ عليهم.

وظهر مِن بين الجاهليّين جماعةٌ كرهوا عبادة الأصنام وتأفّفوا منها؛ لأنّهم رَأَوْا أنّها غير نافعة ولا ضارّة، ولا تملك الشفاعة لهم عند الله عزّ وجلّ فقالوا بالتوحيد(٥)*؛ ومِن هؤلاء زَيد بن عمرو بن نُفَيل*

---

(١) كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٤١: "تَزورُه" مكان "يَزوره"، والصّواب ما أثْبَتُّه عن ياقوت الحمويّ؛ لأنّه يشير إلى رجلين اثنين (ديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ٢٦٩/١). "يُحِيرُ" مكان " يُجيزُ"؛ لأنّ " يُحيرُ" معناه يردّ ويجيب (لسان العرب: حَارَ)، وهذا المعنى لا يَتّفق والسياق. والنسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٥٦/٢: موافقة لرواية الأصنام، ما عدا: "ذُبِّحَتْ" مكان "صُرِّعَتْ". ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٢٢/٣.

القَلوص: الفَتِيَّة من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. عَتائر: جمع عَتيرة، وهي أوّل ما ينتج من الشّاء، وكان العرب يذبحونها تقرُّباً لآلهتهم (لسان العرب: قَلَص، عَتَر). يَقْدُم ويَذْكُر: قال أبو المنذر ابن الكلبيّ: "يَقْدُم ويَذْكُر ابنا عَنَزَة، فرأى بني هؤلاء يطوفون حول السُّعَيْر، وكانت للعرب حجارة غُبُر منصوبة يطوفون بها ويَعتِرون عندها يسمّونها الأنصاب، ويسمّون الطَّواف بها الدَّوَار" (كتاب الأصنام، ص: ٤٢). المُهطِع: الذي ينظر في ذُلّ وخشوع، وهَطَعَ وأَهْطَعَ: أقبل مُسْرِعاً خائفاً ولا يكون إلّا مع خوف، وأقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، وفي التنزيل العزيز (مُهْطِعين مُقنعي رؤوسِهم لا يرتدُّ إليهم طَرْفُهم). جَنابَه: حوله (لسان العرب: هَطَعَ، جَنَب. وسورة إبراهيم: الآية ٤٣).

(٢) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٨. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٧٧/٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٤) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٨. والمُفَصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٧٧/٦.

(٥) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٦٨/٦.

الذي تألّه في الجاهليّة وترك عبادة اللّات والعُزّى وهُبَل وغيرها مِن أصنام العرب(١)*، وكانت قريش تَخُصُّ العُزّى بالإعظام والإكبار، وفي ذلك يقول زيد بن عمرو بن نُفَيْل* [من الوافر](٢):

تركــتُ الــلّاتَ والعُــزّى جَميعــاً كــذلك يفعــلُ الجَلْــدُ الصَّــبُورُ

فــلا العُــزّى أَديــنُ ولا ابنتيهــا ولا صَــنَمي بنــي عَمْــرو أَزورُ

ولا هُــبَلاً أزور وكــان رَبّــاً لنــا فــي الــدهر إذْ حلمــي صَــغيرُ

فالشاعر يعلن تخليّه عن عبادة أصنام قومه وتبرُّئه منها جميعها، وأنّه لم يعد يدين لأيٍّ منها بالطاعة والتعظيم. ويَعدُّ أنّ عبادته إيّاها – في ما سبق من حياته – ضَرْبٌ من الجهل والسَّفَه وصِغَر العقل.

ب- الاعتبار واستحالة الخلود:

يتّصل تفكير العرب قبل الإسلام تجاه الكون بالحياة الدينيّة عندهم، ولم يكد يخلو تفكيرهم في أغلب الأحيان مِن نظرةٍ جادّةٍ إلى بقائهم ومصيرهم في حياتهم الدنيويّة. وقد أدّى هذا التفكير التأمُّليّ عندهم إلى الاعتبار من الأمم الفائتة والتيقُّن مِن استحالة خلودهم في الدنيا.

ويمكن القول إنّ وقوف الشعراء على الأطلال وبكاءهم على أحبّتهم وأصحابهم هو نوع من التفكير التأمُّليّ بالمصير الإنسانيّ، لأنّ الزّمن كان يوحي إليهم بدنوّ الأجل ونهاية الحياة، ولذلك نجد مَسْحَةً مِن الحزن في أشعارهم في حديثهم عن الموت والفناء.

وقد شَغَلت مشكلة الموت والفناء فِكر الشّاعر القديم وعقله وأَقَضَّتْ عليهم مضجعه؛ فهي تجربة فرديّة ذاتيّة غير قابلة للإعادة وتشبه تجربة الميلاد ولا إرادة للفرد فيها. وكلتا التجربتين – الموت والميلاد – تشكّل تجربة شموليّة كونيّة يمرُّ بها الخَلْق جميعًا فتصبح قضية كبرى، ولذلك لم يكن غريبًا أنْ وقف الشعراء القدماء أمامها مستسلمين عاجزين عن تعليلها أو سَبْر أغوارها (٣).

ذَكَر الطبريّ خبراً في ما رواه هشام ابن الكلبيّ يتّصل بالمَلِك النعمان بن المنذر الأكبر وتَرْكِه مُلْكَه وسياحته في الأرض، وما قيل في ذلك مِن شعر لعديّ بن زيد العِباديّ؛ إذ قال هشام: "**وكان النُّعمان قد غزا الشام مِراراً وأكثرَ المصائب في أهلها، وسَبَى وغَنِم، وكان مِن أشدّ الملوك نكايةً في عدوّه، وأبعدهم مُغاراً فيهم، وكان ملك فارس جعل معه كَتيبتَيْن: يقال لإحداهما: دَوْسَر، وهي لتَنوخ، وللأخرى: الشَّهباء، وهي لفارس، وهما اللّتان يقال لهما: القبيلتان، فكان يغزو بهما بلاد الشأم ومَن لَمْ يَدِنْ له من العرب.**

---

(١) انظر: كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٢٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١١٦/٤.

(٢) المصدران والصفحتان ذَواتاهما . اللّاتُ: أصله اللّاتُّ، بتشديد التاء، وسمّي بهذا لأنّ رجلاً كان يَلُتُّ السَّويق عند هذه الأصنام، أي يَخْلِطُه، فخُفِّفَ وجُعِلَ اسماً للصَّنم (لسان العرب: لَتَّ). والسَّويق: هو ما يُتّخذ من الحِنطة والشعير (لسان العرب: سَاقَ).

(٣) انظر: شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رميّة، ص: ٢٧٧، ٢٧٨.

قال: فذكرَ لَنا – والله أعلم – أنَّه جلس يوماً في مجلسه مِن الخَورنَق، فأَشرَف منه على النَّجَف وما يليه مِن البساتين والنّخل والجِنان والأنهار مِمّا يلي المغرب، وعلى الفرات مِمّا يلي المشرق، وهو على مَتْن النَّجَف، في يوم من أيّام الرَّبيع، فأعجبه ما رأى مِن الخُضرة والنَّوْر والأنهار، فقال لوزيره وصاحبه: هل رأيتَ مثل هذا المنظر قَطّ! فقال: لا، لو كان يدوم! قال: فما الذي يدوم؟ قال: ما عند الله في الآخرة، قال: فَبِمَ يُنَالُ ذاك؟ قال: بِتَرْكك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده؛ فتَركَ مُلْكه مِن ليلته ولَبِسَ المُسوح، وخرج مُسْتَخفياً هارباً لا يُعلم ما به، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله، فحضروا بابه، فلم يُؤْذَن لهم عليه كما كان يفعل، فلمّا أبطأ الإذنَ عليهم، سألوا عنه فلم يجدوه، وفي ذلك يقول عَديّ بن زيد العِباديّ [من الخفيف]:

وتَفكَّــرْ ربَّ الخَورنــقِ إذْ أشْــ ـــرَفَ يومــاً وللهُــدى تَبْصِــيرُ
سَــرُّهُ حالــه وكَثْــرةُ مــا يَمْــ ـلِــكُ والبحــر مُعْــرِضٌ والسَّــدِيرُ
فــارعَوَى قلبُــه فقــال وَمَــا غِبْــ طَــةُ حَــيٍّ إلــى المَمــاتِ يَصِــيرُ
ثــمَّ بعــد الفَــلَاح والمُلْــكِ والــ إمَّــةِ وارَتْهُــمُ هُنــاكَ القبــورُ
ثُــمَّ أضْــحَوْا كــأنَّهُمْ وَرَقٌ جَــ ـفَّ فــأَلْوَتْ بــهِ الصَّــبَا والــدَّبُورُ

فكان ملك النُّعمان إلى أن ترك ملكه وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنةً وأربعة أشهر.

قال ابن الكلبيّ: من ذلك في زمن يَزْدَجِرْد خمس عشرة سنة، وفي زمن بَهرام جور بن يَزْدَجِرْد أربع عشرة سنة"(١).

ولا يخلو الخبر الذي رواه ابن الكلبيّ مِن شيء من الضَّعف والمُبالغة والخَلْط، ويظهر هذا جليّاً من عبارة ابن الكلبيّ (ذُكِر لنا والله أعلم) دون إسناد الخبر إلى قائله، وفي مضمون قصّة اختفائه وسياحته في الأرض تسعةً وعشرين سنة وأربعة أشهر. *ويظهر الضَّعف والخلط أيضاً من خلال رأي أبي الفرج الأصفهانيّ بأنّ الشاعر عديّ بن زيد العِباديّ لم يلتقِ بالملك النعمان الأكبر، وهو لا يعرفه ولم يلتقِ به قَطُّ في حياته، وأنّ الذي صحبه هو النّعمان بن المنذر الأَصْغَر بن المنذر الأكبر*(٢). ومع

---

(١) تاريخ الطبريّ، ٦٧/٢، ٦٨. وديوان عَديّ بن زيد العِباديّ، ص: ٨٩، ٩٠: "وتأمَّلْ" مكان "وتَفكَّرْ"، "تفكيرُ" مكان "تَبصيرُ"، "مالُهُ" مكان "حالُهُ"، "مُعْرِضاً" مكان "مُعْرِضٌ". ولسان العرب، ابن منظور: (بَحر، خَرْنَقَ): "وتَذكَّرْ"، "وتَبيَّنْ" مكان "وتَفكَّرْ"، الأبيات الثلاثة الأولى فقط. الخَورْنَق: اسم قصر بالعراق فارسيّ معرّب، بَناه النُّعمان الأكبر الذي يقال له الأعور، وهو الذي لَبِسَ المُسوح فساح في الأرض. البَحر: أراد به الفُرات، لأنّ ربّ الخورنق كان يُشرف على الفرات. مُعْرِض: مُتَّسِع. السَّدير: فارسيّة، وقال الأصمعيّ: فارسيّة كأنّ أصله (سادل) أي قُبَّة في ثلاث قباب متداخلة، ويقال قَصر فيه قِباب مُتداخلة (وهذا هو الرأي الأرجح)، والسَّدير: النهر ونهر بالحيرة، ومنبع الماء وسدير النّخل: سَواده ومُجْتَمعه، وله معانٍ أخرى. ارعَوَى: كَفَّ عن الشيء وانتهى وامتنع. الغِبطَة: حُسن الحال. الفَلاح: البقاء. الإمَّة: النَّعيم والمُلْك.
أَلْوَتْ به: أهلكته. الصَّبا: ريح الشمال. الدَّبُور: ريح تقشع السحاب (لسان العرب: خَرْنَقَ، بَحَر، عَرَض، سَدَر، غَبَط، فَلَح، أَمَّ، لَوَى، صَبا، دَبَرَ).

(٢) انظر: كتاب الأغاني، ٨٧/٢.

ذلك فإنّه يمكننا القول بأنّ الأبيات التي قيلت في سياق الخبر – وهذا ما يهمّنا – هي صحيحة النسبة إلى الشاعر عديّ بن زيد؛ لأنّها وردت في ديوانه مع اختلاف يسير في روايتها.

والشاعر يتخيّل صاحباً له ثُمّ يطلب منه أن يتأمّل ويتدبّر صاحب قصر الخَوَرْنَق الملك النعمان في الحيرة، وقد أَطَلَّ مِن فوق قصره مُتأمّلاً ما وهبه الله مِن ملك عريض وسَرَّه حاله وكثرة ماله ومُلكه الواسع مِن قصور وأنهار، فامتنع قلبُه وكَفَّ عن الفرح والسرور لمَّا تذكّر أنّ مآل ذلك كلّه إلى البلى والنّفاد والهلاك بعد أن يصير هو إلى الموت والفناء، وأنّه لا بُدَّ أن يصير إلى قبر يُواريه تحت التراب كما آل غيره وخلَّفُوا وراءهم كُلَّ مُلْكهم ومالهم، ثم أَضحَوْا كأنّهم أوراق جافّة عَصَفت بها ريح الصَّبا والدَّبُور الشماليّة والتي تَقشع السُّحب في السماء.

وروى ابن الكلبي في سياق الخبر نفسه خبراً آخر مُسْنَداً إلى جرير بن عبد الله البَجَليّ في سبب تَنصُّر النُّعمان بن المنذر الأكبر، وروى في سياق ذلك شعراً لعَديّ بن زيد العَباديّ في الاعتبار بالموت والفَناء؛ إذ قال ابن الكلبيّ بعد أن ذكر سلسلة رواة الخبر مُنتهياً إلى جرير بن عبد الله البَجَليّ: **"كان سبب تَنصُّر النُّعمان بن المُنذر الأكبر أنّه كان قد خرج يتنزّه بِظَهْر الحيرة ومعه عَديّ بن زيد، فمَرَّ على المقابر مِن ظهر الحيرة ونَهْرها؛ فقال له عَديّ بن زيد: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا، قال له: تقول [من مجزوء الرَّمَل]:**

أَيُّهـــا الرَّكْـــبُ المُخِبُّـــو ... نَ علـــى الأرض المُجِـــدُّونْ

كمـــــا أنـــــتمُ كُنَّـــــا ... وكمـــا نحـــنُ تكونـــونْ"[1]

فالشّاعر يستنطق القبور التي مَرَّ بها بصُحبة الملك النُّعمان، ويجعلها تتكلَّم وتُخاطب الأحياء قائلة: أيّها السَّائرون المسرعون فوق ظهور خيولكم وإبلكم على هذه الأرض، والساعون في حياتكم طلباً للرزق والمعاش، لقد كنّا مثلكم تماماً، وكما صِرنا تحت التراب ستصيرون، فتأمَّلوا أموركم واعتبروا بأنْ لا خلود في هذه الحياة مهما طالت أعماركم وامتدَّت آجالكم.

قال ابن الكلبي: **"فانصرف (النّعمان) وقد دَخَلَتْه رِقّة، فَمَكَثَ بعد ذلك يسيراً، ثمّ خَرجَ خرجة أخرى، فَمرَّ على تلك المقابر ومَعه عَديّ، فقال له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنّها تقول [من الرَّمَل]:**

مَـــنْ رآنـــا فليحـــدِّثْ نفســـه ... أَنَّـــه مُـــوفٍ علـــى قَـــرْنِ زَوالِ

وصُـــروف الـــدَّهرِ لا يَبقـــى لهـــا ... ولِمَـــا تـــأتي بـــه صُـــمُّ الجِبـــالِ

رُبَّ رَكْـــبٍ قـــد أنـــاخوا عنـــدنا ... يَشـــربون الخمـــر بالمـــاء الـــزُّلالِ

---

(١) كتاب الأغاني، ٨٦/٢. وديوان عَديّ بن زيد العِباديّ، ص: ١٨٠، مع اختلاف في حركة الرَّوِيّ: المُخِبّونَ – تكونونَ. المُخِبُّون: المُسرعون في أمر ما، من الخبَبَ، وهو ضرب من العَدْو وقيل: هو أن ينقل الفرس أَيامِنَهُ جميعاً وأياسِرَهُ جميعاً، وقيل: هو أن يُراوح بين يديه ورِجْليه، وكذلك البعير (لسان العرب: خَبَّ).

والأباريقُ عليها فُدُمٌ وجِيادُ الخيل تَردي في الجِلالِ
عَمِرُوا دَهراً بعيشٍ حَسَنٍ آمِني دَهْرِهُمُ غيرَ عِجالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا عصفَ الدَّهْرُ بهمْ وكذاك الدهرُ يُودي بالرِّجالِ
وكذاك الدَّهْرُ يرمي بالفتى في طِلاب العيشِ حالاً بعد حالِ

فرَجَع النُّعمان فَتنصَّر"(١).

فالشاعر عديّ بن زيد يستنطق المقابر مرّةً أخرى، ويجعلها شاهد عيان على آثار مصائب الدهر، مُصوّراً إيّاها بأناس يخاطبون كلّ مَن يزورهم بأنّه ينبغي أن يحدّث نفسه بأنّه لا بُدَّ مشرفٌ على الهلاك والزَّوال، وأنّ مصائب الدهر لا تُبقي شيئاً على حالة في الدنيا، وأنّ كلّ ما يطويه الزّمن سيزور هذه المقابر ولا يستطيع الصُّمود أمام تلك المصائب كائناً ما كان! حتّى الجبال القاسية الصَّلدة الشامخة فإنّها لا تَقوى على الصّمود أيضاً. ورُبّ قوم مرتحلين نزلوا وأقاموا بأرض فنَعِمُوا فيها بشُرب الخمر الممزوج بالماء الصافي بأحسن الأباريق وأصفاها، وخيولهم الجياد الأصيلة تعدو بحوافرها، فأمِنوا على أنفسهم غير مُتَعجّلين. ولكنّهم أصبحوا بعد ذلك قد عَصَف الدهر بهم، فأودى بهم كما أودى بالجبال الصُّمّ. وهذه حال الدنيا التي ترمي الفَتى بمصائبها – بينما هو ساعٍ لطلب العيش – ولا تُبقي على أحد.

وممّا رواه ابن الكلبيّ مِن شعر في الحديث عن الاعتبار بما آلت إليه منازل العرب وديارهم من زوال واندثار ورحيل ساكنيها، بعد طول عِزّ ومُقام أبياتُ الأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ التّميميّ، والتي يصف فيها منازل قبائل العرب ورحيلها عنها، إذ ذكر ياقوت الحمويّ: **"وقال ابن الكلبيّ: وكانت إياد تنزل سِنداد، وسِنداد نهر في ما بين الحيرة إلى الأُبُلَّة وكان عليه قَصر تَحجُّ العرب إليه، وهو القَصر الذي ذكره الأسود بن يَعْفُر، ومَرَّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جَفنة، فتمثّل مُزاحِم مَولاه بقول الأسود بن يَعْفُر النَّهشِليّ [من الكامل]:**

ومن الحوادث لا أبالَكَ أنّني ضُرِبَتْ عليَّ الأرض بالأَسدادِ
لا أهتدي فيها لِمَدفع تَلْعَةٍ بين العِراق وبين أرض مُرادِ
ماذا أُؤمِّلَ بعد آل مُحَرِّقٍ تركوا منازلهمْ وبعد إيادِ
أهلِ الخَورْنَق والسَّدير وبارقٍ والقَصْر ذي الشُّرُفات مِن سِنمارِ
حَلُّوا بأَنْقِرَةٍ يَسيلُ عليهِمُ ماءُ الفُرات يجيءُ مِنْ أطوادِ

---

(١) كتاب الأغاني، ٨٦/٢، ٨٧. وديوان عَديّ بن زيد، ص: ٨٢، ٨٣، مع اختلاف في حركة الرَّوِيّ (زَوالْ، الجبالْ، ...) واختلاف أيضاً في رواية بعض الكلمات: "وخُطوب" مكان "وصُروف"، "وعتاق" مكان "وجياد"، "أخنعَ" مكان "عَصَف". مُوفٍ: مُشرف. قَرْن: طَرْف. صُروف الدهر: الواحد صَرْف، وهو حِدْثان الدَّهر، اسم لأنَّه يصرف الأشياء عن وجوهها. صُمّ الجبال: الجبال المُجْدِبَة التي لا تُنبت، ولعلَّه أراد هنا الجبال العظيمة الصَّلْدَة التي لا تُنبت لارتفاعها. الرَّكْب: أصحاب الإبل في السَّفَر دون الدّواب. أناخوا: أي أناخوا إبلهم، أي أبركوها فبرَكت. الماء الزُّلال: الماء الصّافي. فُدُم: جمع فِدام، وهو مِصفاة الكوز والإبريق ونحوه، وهو شيء تشدُّه العجم على أفواهها عند السَّقي. الجِلال: جُلّ الدابّة وجَلُّها: الذي تلبسه لِتُصانَ به. يُودي: يُهلك (لسان العرب، ابن منظور: وَفَى، قَرَن، صَرَف، صَمَّ، رَكِبَ، ناخَ، زَلَّ، فَدَم، جَلَّ، وَدَى).

أَرضٌ تَخيَّرهـــا لِطيـــب مَقيلِهـــا كَعـــبُ بـــن مامَـــةَ وابـــنُ أمِّ دُؤادِ
جَـرَتْ الرّيـاحُ علـى عِـراصِ ديـارهِمْ فكأَنَّمـــا كـــانوا علـــى ميعـــادِ
ولقـد غَنَـوْا فيهـا بأفضَـلِ عيشـةٍ فـــي ظِـــلِّ مُلْـــكٍ ثابـــتِ الأوتـــادِ
فـإذا النَّعـيمُ وكـلُّ مـا يُلهَـى بـهِ يومـــاً يصـــير إلـــى بِلـــىً ونَفَـــادِ

فقال له عمر: ألا قَرأْتَ: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آَخَرِينَ (٢٨)﴾(١).

فالأسود بن يَعْفُر يتحسَّر في هذه الأبيات على نفسه أوّلاً، ثمّ على مَنْ مَضَى مِن سادات قبائل العرب، واصفاً ديارهم، ويقول إنّ ما جرَّته مصائب الدهر عليه أنّه كَبرُ وضعف وعَشِيَ بصره ثم عِمَي، فَسُدَّتْ عليه الأرض وضَاقتْ بما اتَّسعتْ ولم يَعُدْ يهتدي إلى شيء من منازل العرب في أرضهم التي كانت ضاربةً بين العراق واليمن، ولم يعد – بعد طول عمره – يأمل مِن حياته شيئاً بعد أن ترك ملوك العرب المناذرة منازلهم في الخَوَرْنَق والسَّدير وبَارق، وبعد أن تركت قبائل إياد قصر سِنداد المُشرف من عَلٍ والذي كانت العرب تَقصُده من كلِّ مكان. ويذكر أنّهم كانوا قبل زمن ينزلون بأَنقِرَة في الحيرة، كان ماء الفرات يتدفَّق إليهم مِن الجبال التي حولهم، وقد تَخيَّر ملوك إياد وسادتها هذه

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٦٦/٣. وسورة الدُّخان: الآيات ٢٥–٢٨. وديوان الأَسود بن يَعْفُر، صَنعة نوري حمّودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٦٨م، ص: ٢٥–٢٧: القصيدة كاملة وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً، ما عدا البيت الأخير، مع ترتيب مختلف عن رواية ياقوت: البيت الثاني: "مَوضع" بدل "مَدفع". البيت الخامس: "نَزلوا" بدل "حَلّوا". البيت السادس / الشطر الأول: "أرضاً تخيرَّها لدار أبيهمُ". البيت السابع: "مكان" بدل "عِراص". البيت الثامن: "أَنْعَمِ" مكان "أَفْضَلِ".

النَّلْعَة: أرض مرتفعة غليظة يتردّد فيها السّيل ثمّ يدفع منها إلى تَلعة أسفل منها. آل محرِّق: "كان عمرو بن هند يُلقَّب بالمحرِّق؛ لأنّه حرَّق مئةً مِن بني تَميم: تسعة وتسعين مِن بني دارم، وواحداً من البراجم، وشأنه مشهور. ومُحرِّق أيضاً لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جَفنة، وإنّما سُمِّي بذلك لأنّه أوّل مَن حَرَّق العرب في ديارهم، فهم يدعون آل مُحرِّق. وقد عَنى الشاعر هنا امرأ القيس بن عمرو بن عَديّ اللَّخميّ، لأنَّه أيضاً يُدعى مُحرِّقاً. قال ابن سِيدة: مُحَرِّق لَقب ملك، وهما محرِّقان: مُحَرِّق الأكبر وهو امرؤ القَيس اللخميّ، ومحرِّق الثاني هو عَمرو بن هند مُضَرِّط الحجارة، سُمِّي بذلك لتحريقه بني تميم يوم أُوَارة". الخَورنَق والسَّدير: سبق شرحهما. بارِق: "ماء بالعراق، وهو الحَدّ بين القادسيّة والبَصرة، وهو مِن أعمال الكوفة، وقد ذكره الشعراء فأكثروا". أَنقِرَة: "موضع بنواحي الحيرة في قول الأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ ..." (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣١٩/١، ٢٧٢/١)، وهو غير الموضع الذي ذكره امرؤ القيس عندما قصد ملك الرُّوم يستنجده على قَتَلة أبيه (انظر: معجم البلدان، ٢٧١/١). أطواد: جمع طَوْد وهو الجبل العظيم العالي. مَقيلها: المَقيل موضع القيلولة وهي الاستراحة نصف النّهار إذا اشتدّ الحرّ وإنْ لم يكن مع ذلك نَوْم. عِراص: جمع عَرْصَة، وعَرْصَة الدار وَسَطُها، وقيل هو ما لا بِناء فيه، والعَرْصة كلّ بُقعة بين الدّور واسعة ليس فيها بناء. الأوتاد: جمع وَتِد، وهو ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب وثَبَتْ.

البِلَى: الفَناء. النَّفاد: الفَناء والذَّهاب (لسان العرب، ابن منظور: تَلَعَ، حَرَقَ، طَوَدَ، قَيَلَ، عَرَصَ، وَتَدَ، بَلِيَ، نَفَدَ).

أراد الشاعر بـ "كعب بن مَامَة وابن أمّ دُؤادِ": " كعب بن مَامة بن ثَعلبة بن سَلولة بن شبابة الإياديّ الذي ضُرِبَ المثل بجوده، وكان أبوه مَلِك إياد، وأبا دُؤاد الإياديّ الشّاعر المشهور، وهذا دليل على أنّ سِنداد كانت منازل إياد" (معجم البلدان، ياقوت الحَمَويّ، ٢٦٦/٣).

الأرض لطيب العيش فيها؛ ومِن هؤلاء كَعب بن مَامَة الإياديّ الذي ضُرِبَ به المثل لجوده وسخائه، والشاعر المعروف أبو دُؤَاد الإياديّ.

ثمّ عَفَت الرياح آثار ديارهم فكأنَّهم كانوا معها على ميعاد، بعد أَنْ نَعِمُوا زمناً طويلاً في تلك الدّيار بأطيب عَيْشٍ وأسعد حياة، إذ كان مُلْكهم فيها ثابتاً مستقرّاً. ويختم الشاعر أبياته بالتسليم بأنّ الحياة وكلّ ما فيها مِنْ لَهو ونعيم ورَخاء لا بُدّ يوماً أن يصير إلى الموت والفناء.

الفصل الخامس

مناهج علماء الأَنساب في رواية الشعر الجاهليّ

أولًا: العلماء الرُّواة وعلماء الأنساب:

نَهض رواة الشعر يجمعون أشعار الجاهليّين وأخبارهم من مصادر متنوّعة، فقد تَلقَّوها مشافهةً من الشعراء أنفسهم الذين عاشوا جزءاً من حياتهم في الجاهليّة والجزء الثاني في الإسلام، فحسّان بن ثابت الأنصاريّ والحطيئة ولبيد بن ربيعة وغيرهم شعراء جاهليّون، ولكنّهم أدركوا الإسلام. وجمع رواة الشعر أيضاً أشعار الشعراء الجاهليّين وأخبارهم من أبناء الشعراء أنفسهم من ذوي أرحامهم وآلِهم(١)*، فقد وصل إلينا شعر حاتم وأخباره عن طريق ابنه عديّ بن حاتم*(٢)*. وأخذوا أشعار الجاهليّين من قبائلهم؛ إذ كان في القبيلة مَن يحفظ شعر شعرائها أو شعر المبرّزين منهم*(٣)*.*

وقد ذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنّ ما وصل إلينا من أشعار الجاهليّين قليل ممّا قاله الشعراء، وذلك بسبب ضياع كثير منه، إذ كان محفوظاً في الصدور، ولم يكن مُدوَّناً، وفي ذلك يقول: **"ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"**(٤)*.*

ويرى جواد عليّ – ولعلّه قد بالغ – أنّه ليس ثمّة بيتٌ واحدٌ من الشعر الجاهليّ ثبت أنّه كان مدوّناً في الجاهليّة، وأنّ رواة الشعر وحَفَظَته وجدوه مكتوباً بأبجديّة جاهليّة فنقلوه عنها(٥)*، ويرى أيضاً أنّه لم يتجرّأ أحد من رواة الشعر وحُفّاظه أن يدّعي بأنّه نقل ما عنده من شعر جاهلي من ديوان جاهليّ أو من سجلّات جاهليّة، أو من مادّة مكتوبة ترجع إلى العصر الجاهليّ*(٦)*. ويخلص من ذلك إلى أنّ ما وصل إلينا من شعر جاهليّ إنّما هو من عهد الكتابة والتّدوين الّذي لم يبدأ إلّا في العصر العبّاسيّ في أيام الخليفة العبّاسي الأمين*(٧)*.*

ويُفهم مما سبق أن الشعر الجاهليّ لم يكن مُدَوَّنًا في صحيفة أو كتاب، وإنّما كان محفوظاً في الصُّدور، وأنّه روي بطريقة المشافهة والسَّماع. إلّا أنّ جواد علي تراجع عمّا ذهب إليه من عدم تدوين أخبار الجاهليّة وأشعارها بأنّ ذلك تنفيه روايات تزعم أنّ الجاهليّين كانوا يدوّنون أشعارهم؛ ومن تلك الروايات ما ذُكِرَ أن النّعمان بن المنذر أمر فَنُسِخَت له أشعار العرب في كراريس، ثمّ دفَنَها في قصره الأبيض، فلمّا كان المختار بن عُبَيد الثَّقفيّ، قيل له إنّ تحت القصر كنزاً، فاحتفره وأخرج تلك الأشعار، ولذلك كان أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البَصرة(٨)*. وهناك رواية أخرى تذكر أنّه "* **كان عند آل**

---

(١) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٧٦/٩.

(٢) انظر: ديوان حاتم الطائيّ، ص: ٣١.

(٣) انظر: المفصّل، ٧٦/٩.

(٤) المُزهِر في علوم اللغة، السيوطيّ، ٤٧٤/٢. وطبقات فحول الشعراء، ابن سلّام الجُمَحيّ، ص: ٢٣.

(٥) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٢٥٠/٩.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ٢٥٠/٩.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ٢٥٠/٩.

(٨) انظر: المُزهِر في علوم اللغة، السيوطيّ، ٢٤٩/١. وتاج العروس، الزَّبيديّ: طَنَجَ.

النّعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مُدِح به هو وأهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان؛ أو ما صار منه"(١).

وهناك رواية ثالثة ساقها الطبريّ في تاريخه عن ابن الكلبيّ، إذ زعم أنّه **"كان يستخرج أنساب آل نَصر وتأريخ مَنْ حكَمَ منهم ومُدَد أعمارهم وما إلى ذلك من بِيَع الحيرة"**(٢).

ومع أنّ هذا الخبر الأخير يعتريه بعض الضعف من جهة أنّ بعض الباحثين عالجوا زَعْم ابن الكلبيّ هذا بأنّ كتابات أهل الحيرة كانت بالحروف والأرقام النبطيّة كما أثبت ذلك نصّ النُّمارة، وأنّ ابن الكلبيّ لم يكن يحسن قراءة النبطيّة وفهمها (٣)*، إلّا أنّ هذا الخبر ليس هو الدليل الوحيد الذي يشير إلى استخدام العرب للكتابة قبل الإسلام.*

وقد عَرَضْتُ – في ما سبق عندما تناولت رواية ابن الكلبيّ للشعر الجاهليّ – قصيدة لقيط بن يعمر الإياديّ التي كتبها وأرسلها إلى قومه يحذّرهم فيها من كسرى وجيوشه الجرّارة إليهم، وأوّلها (٤)*:*

سلامٌ في الصحيفة من لَقيطٍ إلى مَنْ بالجزيرة من إيادِ

كان رواة الشعر على دراية بلغة النصّ أكثر من دراية مبدعيه الشعراء، لأنّ الشعراء حين كانوا يبدعون أشعارهم كانوا ينصرفون إلى إبراز تجاربهم الشعوريّة من غير أن يعلموا ما عَلِقَ بهذه التجارب الشعوريّة من آثار تدلّ على العقل الباطن للمجتمع(٥).

ولم يكن عمل رواة الشعر يقتصر على رواية الشعر وإنشاده للناس، وإنّما كان يقوم أيضاً على شرح الألفاظ الغامضة وكشف المعاني الخفيّة، ويقوم أيضاً على شرح المناسبات التي قيلت فيها الأشعار، ولذلك فإنّ راوية الشعر يُعَدُّ ديواناً حيّاً للشاعر فيه كلّ ما يتعلّق بشعره(٦).

وقد كان بعض رواة الشعر العالِمين به يُجرون تغييراً في بعض نصوص الشعر لتحسينه وتصليحه بما يتّفق مع المعنى(٧)*، إذ رُوي أن الأصمعيّ رفع لفظ "زنديه" وجعل بدلاً منها "كَفَّيْه" في بيت امرئ القيس* [من المديد] (٨):

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كفَّيه من سُتَرِهِ

---

(١) المُزهِر، السيوطيّ، ٤٧٤/٢. وتاج العروس، الزَّبيديّ: طنَجَ. وطبقات فحول الشعراء، ابن سلّام، ص: ٢٣.

(٢) تاريخ الطبريّ، ٦٢٨/١.

(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٨٩/١.

(٤) ديوان لقيط بن يعمر الإياديّ، ص: ٧٢.

(٥) انظر: نَقد أعلام الرّواة الشعرَ العربي حتّى أواخر القرن الثالث، عبد الكريم محمّد حسين، دار النوادر، دمشق، بيروت، الكويت، ص: ١٦٧.

(٦) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٢٨٩/٩.

(٧) انظر: المرجع نفسه، ٨٠/٩.

(٨) شرح ديوان امرئ القيس، حسن السَّندوبيّ، ص: ١٠٣. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٢٣: الشطر الثاني "مُثْلِجٍ كفَّيْهِ في قُتَره". وروى البيت أيضاً ابن الكلبيّ في النّسب الكبير، ٢١٠/١.

ومن رُواة الشعر مَن كان يغيّر في ألفاظ بعض الأبيات لتوجيه حُجّته وإقامة دليله، فَتُروى الأبيات على وجهها المُغَيَّر، وذلك منتشرٌ بينهم خاصّةً عند رواة الكوفيّين، ومنهم مَنْ كان يُغيّر في الدواوين المكتوبة لِيُعذَرَ بها عند وقوع الخلاف ويقيم منها الحُجّة على روايته الصحيحة، فيكون ذلك سبباً في الاختلاف(١).

وأسهم علماء العربيّة: علماء اللغة والنحو والتفسير والحديث إسهاماً كبيراً في تخليد الشعر الجاهليّ بما جمعوه من شواهد لغويّة ونحويّة وصرفيّة ومن شواهد في تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، فوصل إلينا بفضل جهودهم مادّة وَفْرَةً أغنت معارفنا في شعر ما قبل الإسلام، وفي ضبط روايات الشعر في المصادر المختلفة وتصحيح ما وقع من أخطاء وأوهام وتصحيف في الروايات المضطربة (٢).

ويمكن القول من خلال ما سبق إنّ الشعر كان بمثابة عمود الرواية عند العرب، إذ كان لا بدّ منه لكلِّ راويةٍ من الرُّواة، وكان الرّواة يتفاضلون في الشعر مِن جهتين: معرفة تفسيره والتبصُّر بمعانيه، وكانوا يطلبون الشعر للشاهد والمثل، وهذان غرضان أكثر ما تُؤدّيهما الألفاظ دون المعاني. والجهة الثانية: الاتّساع في رواية العلوم الأخرى كالنَّسب والخبر والعربيّة، والقراءة، والحديث ونحو ذلك(٣).

ومن أشهر رواة الشعر الجاهلي: أبو عمرو بن العَلاء، وحمّاد الرّاوية، والمفضّل الضبيّ، وخلف الأحمر، وأبو عمرو الشيبانيّ، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، والأصمعيّ، ومحمّد بن السائب الكلبيّ وابنه هشام ابن الكلبيّ.

١- أبو عمرو بن العلاء:

يُعدّ أبو عمرو بن العلاء شيخ الرُّواة بلا مُنازِع(٤)*، وهو* "**أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العُرْيان التميميّ ثمّ المازنيّ البصريّ، وأمّه مِن بني حَنيفة**"(٥)*. واختُلِفَ في اسمه فقيل إنّ اسمه زَبَّان والعُرْيان*(٦)*، وذكر ابن قتيبة أنّ اسمه هو كنيته*(٧).

وقد أشاد العلماء بمنزلته العلميّة، فقال ابن سلّام فيه: "**كان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولُغاتها وغريبها**"(٨)*، وقال ابن قُتَيبة:* "**هو من أهل القراءة، إلّا أنّ الغريب والشعر كانا أغلب عليه،**

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٤/١.

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٢٨٩/٩. نشأ التصحيف بفعل تشابه الكلمات، ولذلك شواهد كثيرة في كتاب التصحيف للعسكريّ (انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٩٤/١).

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٣١٦/١.

(٤) انظر: المرجع نفسه، ٢٥٨/١.

(٥) سِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٤٠٧/٦.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ٤٠٧/٦.

(٧) انظر: المعارف، ص: ٥٤٠.

(٨) طبقات فحول الشعراء، ص: ١٤.

فَذكَرناه مع أصحاب الغريب"[١]، *وقال أبو عبيدة:* **"كان أعلم الناس بالقراءات والعربيّة والشعر وأيّام العرب. وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثمّ تَنسَّك فأَحرقَها"**[٢]. *وقال ابن خَلِّكان:* **" كان أَعلمَ النّاس بالقرآن الكريم والعربيّة والشعر، وهو في النّحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه"**[٣]، *وقال فيه الذهبيّ:* **"شيخ القُرّاء والعربيّة"**[٤].

وكان الشعر الجاهليّ هو المُقَدَّم والمُفَضَّل عند علماء اللغة والشعر ومنهم أبو عمرو بن العلاء، إذْ لم يكن يحتجّ بالشعر الإسلاميّ وإنْ استحسنه، وقد شهد له بذلك الأصمعيّ الذي يقول: **"جَلَسْتُ إليه ثماني حِجَج، فما سَمِعْتُه يحتجُّ ببيت إسلاميّ، وسُئِلَ عن المُولَّدين، فقال: ما كان من حَسَنٍ، فقد سُبقوا إليه، وما كان مِن قبيح فهو من عندهم"**[٥].

ومات أبو عمرو بن العلاء في أرجح الأقوال في سنة أربع وخمسين ومئة[٦]، *وقال خليفة بن خيّاط وحده:* **"مات أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء سنة سبع وخمسين ومئة"**[٧].

٢- حمّاد الرّاوية:

هو **"العلّامة الأخباريّ أبو القاسم حَمَّاد بن سابور بن مبارك الشيبانيّ، مولاهم"**[٨]، *وكان نديماً للخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك، وهو مِن الرُّواة لأيّام الناس والشعر والأنساب*[٩]، *ويُعَدّ رأساً من مشاهير رواة الشعر الجاهليّ وحُفّاظه، وفضلاً عن ذلك كان هو نفسه شاعراً مُجيداً، ولعلّ ذلك كان سَبباً في وضعه الشعر على ألسنة الشعراء المتقدّمين*[١٠].

وقد توفّي حَمّاد سنة سِتٍّ وخمسين ومئة، وقيل توفّي في خلافة المهديّ نحو الستّين ومئة[١١].

٣- المُفضَّل الضَبّيّ:

هو **"أبو عبد الرحمن المفضّل بن محمّد بن يَعلى الضَبّيّ الرّاوية الأديب النَّحويّ"**[١٢]، *ويُعدّ من أكابر علماء الكوفة بالأخبار والأشعار والعربيّة، وقد أخذ عنه العلم أبو عبد الله بن الأعرابيّ وأبو زيد الأنصاريّ وخلف الأحمر وغيرهم*[١٣].

---

(١) المعارف، ص: ٥٣١.
(٢) سير أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ٤٠٨/٦.
(٣) وفيات الأعيان، ٤٦٦/٣.
(٤) سير أعلام النُّبلاء، الذَّهبيّ، ٤٠٧/٦.
(٥) العُمْدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ، ٧٣/١.
(٦) انظر: المعارف، ص: ٥٤٠. وسير أعلام النّبلاء، ٤١٠/٦.
(٧) سير أعلام النُّبلاء، ٤١٠/٦.
(٨) المصدر نفسه، ١٥٧/٧.
(٩) انظر: المصدر نفسه، والجزء والصفحة ذوَاتَيهما.
(١٠) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٠٦/٩.
(١١) انظر: سِيَر أعلام النّبلاء، ١٥٧/٧.
(١٢) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧١٠/٦.
(١٣) انظر: المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذوَاتَيهما.

وقد أشاد به العلماء في الأخبار والأشعار فَوثَّقوه، وضَعَّفوه في الحديث والقراءة، فقال ابن سلّام: **"وكان أبوعُبيدة والأصمعيّ من أهل العلم. وأعلم مَن وَرَد علينا من غير أهل البصرة: المُفَضّل بن محمّد الضَّبِّيّ الكوفيّ"**(١)، *وقال أبو بكر الخطيب:* **"كان علّامة أخباريّاً مُوَثّقاً"**(٢)، *وقال ياقوت الحمويّ:* **"كان ثِقة ثَبْتاً"**(٣)، *وقال أبو حاتم السِّجستانيّ:* **"ثِقَةٌ في الأشعار غير ثقةٍ في الحروف"**(٤)، *وسُئِل عنه ابن أبي حاتم الرّازيّ فقال:* **"متروك الحديث متروك القراءة"**(٥).

وللمفضّل الضبّيّ مِن التّصانيف: كتاب الاختيارات، كتاب معاني الشعر، كتاب الأمثال، كتاب الألفاظ، كتاب العَروض، والمُفضّليّات، ويتضمّن أشعاراً مختارة جمعها المفضّل للخليفة المهديّ، وفي بعض نسخها زيادة ونقص، وأصحّ النسخ التي وراها عنه أبو عبد الله ابن الأَعرابيّ(٦).

ومات المفضّل الضَبّيّ سنة ثمانٍ وستّين ومئة(٧).

٤- خَلَف الأحمر:

هو خَلف بن حيّان بن مُحْرِز البصريّ المعروف بالأحمر، ويكنّى أبا مُحْرِز، وكان مولىً لأبي بُردة بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأَشعريّ(٨).

وقد أشاد العلماء بعلمه بالشعر وروايته، وقد جعل ذلك الأصمعيّ يسلك طريقه ويحذو حَذْوَه(٩)، *وقال فيه أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى:* **"خلف الأحمر معلّم الأصمعيّ ومعلّم أهل البصرة"**(١٠)، *وقال الأخفش:* **"لم أُدرِكْ أحداً أعلم بالشعر مِن خلف الأحمر والأصمعيّ"**(١١). *وقال ابن سلّام الجمحيّ:* **"اجتمع أصحابنا أنّه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقه لساناً. كنّا لا نُبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدَنا شعراً أن لا نَسمعه مِن صاحبه"**(١٢).

---

(١) طبقات فحول الشّعراء، ص: ١٤.

(٢) غاية النّهاية في طبقات القُرّاء، ابن الجَزَريّ، عُني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٣م، ٣٠٧/٢.

(٣) معجم الأدباء، ٢٧١٠/٦.

(٤) غاية النهاية، ابن الجَزَريّ، ٣٠٧/٢. ويُقصد هنا بالحروف "القراءات".

(٥) المصدر نفسه، ٣٠٧/٢.

(٦) انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٢٧١٢/٦.

(٧) انظر: غاية النهاية، ابن الجَزَريّ، ٣٠٧/٢.

(٨) انظر: معجم الأدباء، ١٢٥٤/٣.

(٩) انظر: المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذوَاتَيهما.

(١٠) المصدر نفسه، ١٢٥٥/٣.

(١١) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذَواتاهما.

(١٢) طبقات فحول الشعراء، ص: ٢١. أفرس: من الفِراسة، وهي النّظر والتثبُّت، والتأمُّل للشيء والبَصَر به، ورجل فارس بالأمر حاذِقٌ به عالم بَصير (الحاشية).

ومع ذلك فقد عِيبَ على خلف الأحمر كما عِيبَ على حمّاد الرّاوية مِن صنع الشعر ونحله كبارَ الشعراء الجاهليّين لدرجة يصعب بها التفريق بين ألفاظه وألفاظهم: "**فلم يكن فيه ما يُعاب، إلّا أنّه كان يعمل القصيدة، يَسلكُ فيها ألفاظ العرب القدماء ويَنحلُها أعيان الشعراء كأبي دُؤَاد الإياديّ وتأبّط شرّاً والشَّنفَرى وغيرهم، فلا يُفَرَّقُ بين ألفاظه وألفاظهم فترويها جُلَّة العلماء لذلك الشاعر الذي نَحَله إيّاها... وممّا نَحَله خلف الأحمر قصيدة لامِيَّة العرب للشَّنْفَرى، إذ نَحَله إيّاها، وأوّلها:**

أقيموا بني أمّي صدور مَطيّكم فإنّي إلى قومٍ سِواكم لأَمْيَلُ"[١]

وقال أبو الطيّب اللغويّ: "**ولَمْ يُرَ أحدٌ قطّ أعلم بالشعر والشعراء منه، وكان به يُضرب المثل في عمل الشعر، وكان يعمل على ألسنة الناس فيشبّه كلّ شعر يقوله بشعر الذي يَضَعُه عليه، ثمّ نَسَكَ، فكان يختم القرآن في كلّ يوم وليلة**"[٢].

ولا يخلو الخبر الأخير من المبالغة. وأمَّا موضوع نَحْله قصيدة لاميّة للشَّنْفَرى فأمرٌ يحتاج إلى تَحَقُّق وتَثَبُّت، ولعلّ هذا الخبر من تجنّي بعض الرُّواة على خَلَف الأَحمر[٣].

ومات خلف الأحمر بعد وفاة الرشيد، أي بعد سنة ثلاث وتسعين مئة، ورَوى بعضهم أنّه مات سنة خمسٍ وسبعين ومئة[٤].

٥- أبو عمرو الشَّيبانيّ:

هو "**سعد بن إياس الكوفيّ من بني شيبان بن ثعلبة بن عُكَابة**"[٥]، *وقد عُمّرِ طويلاً، إذ عاش مئة وعشرين عاماً، فأدرك الجاهليّة وكاد يكون صحابيّاً*[٦]. *قال عنه يَحيى بن مَعين:* "**كوفيّ ثقة**"[٧]، *وذكر ابن النّديم أنّه كان عالماً بأشعار القبائل، وقد أُخِذَ عنه دواوين أشعار القبائل، وكان قد جمع أشعار نَيّفٍ وثمانين قبيلةً*[٨].

مات أبو عمرو الشَّيبانيّ سنة ستّ ومئتين، وقيل سنة ثلاث عشرة ومئتين في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ[٩].

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ١٢٥٥/٣.
(٢) مراتب النحويّين، تصنيف أبي الطيّب عبد الواحد بن عليّ اللُّغَويّ، حقّقه وعلَّق عليه محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ١٩٥٥م، ص: ٤٧.
(٣) انظر: مصادر الشعر الجاهليّ، ناصر الدين الأسد، ص: ٤٥٧.
(٤) انظر: معجم الأدباء، ١٢٥٤/٣.
(٥) سِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ١٧٣/٤.
(٦) انظر: المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذَواتيهما.
(٧) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذَواتاهما.
(٨) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٠٧.
(٩) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٠٨.

٦- أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى:

هو "**الإمام العَلّامة البحر أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيميّ بالولاء، تَيْم قُريش، البَصْريّ النحويّ**"(١). *وقد حَدَّثَ عن هشام بن عُروة، ورُؤبة بن العَجّاج وأبي عمرو بن العلاء وطائفة من العلماء*(٢).

ويُعَدُّ أبو عبيدة مِنْ رواة الشعر والعلماء به، ومن علماء اللغة وأخبار العرب وأنسابها(٣)*، إلّا أنّه غلب عليه معرفة الغريب وأخبار العرب وأيّامهم*(٤)*، وقد أشاد الجاحظ بعلمه، إذ يقول:* "**لم يكن في الأرض جَماعيٌّ أعلم بجميع العلوم من أبي عُبيدة**"(٥).

وكان أبو عُبيدة يرى رأي الخوارج ويكره العرب(٦)*، وقد عُرِفَ بالطَّعن في أنساب العرب وصَنّف في مثالبهم كُتُباً، ولذلك لم يَحضُرْ جنازته أحد عندما مات*(٧).

وتوفّيَ أبو عُبيدة سنة تسعٍ ومئتين بالبصرة، وقيل سنة إحدى عشرة، وسنة عشر، وقيل ثلاث عشرة ومئتين(٨).

٧- الأصمعيّ:

هو "**الإمام العلّامة الحافظ، حُجّة الأدب، لسان العرب أبو سَعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن عليّ بن أصمع بن مظهر ... الأصمعيّ البصريّ اللغويّ الأخباريّ، أحد الأعلام. يقال اسم أبيه عاصم، ولقبه قُرَيب**"(٩).

ورُوِيَ أنّ "**الأصمعيّ كان أتقن القوم باللّغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً، وكان قد تعلَّم نقد الشعر من خلف الأحمر**"(١٠).

وقد مات الأصمعيّ كما ذكر خليفة بن خيّاط وأبو العَيناء سنة خمس عشرة ومئتين للهجرة، وذكر محمّد بن المُثَنّى والبُخاريّ أنّه توفّي سنة ستّ عشرة، ويُقال إنّه عاش ثمانياً وثمانين سنة(١١).

---

(١) وفيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٢٣٥/٥. وسِيَر أعلام النّبلاء، الذهبيّ، ٤٤٥/٩.
(٢) انظر: سِيَر أعلام النّبلاء، الذهبيّ، ٤٤٥/٩.
(٣) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٣٠٤/٩.
(٤) انظر: المعارف، ابن قتيبة، ص: ٥٤٣.
(٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ٢٥٢/١٣. ووفّيات الأعيان، ابن خَلِّكان، ٢٣٥/٥. وسِيَر أعلام النُّبلاء، الذّهبيّ، ٤٤٦/٩.
(٦) انظر: المعارف، ص: ٥٤٣. ووفيات الأعيان، ٢٣٥/٥.
(٧) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٣٠٤/٩.
(٨) انظر: وفيات الأعيان، ٢٤٣/٥.
(٩) سِيَر أعلام النّبلاء، الذهبيّ، ١٧٥/١٠.
(١٠) المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها، السّيوطيّ، ٤٠٣/٢.
(١١) انظر: سِيَر أعلام النُّبلاء، الذهبيّ، ١٨١/١٠.

ولم تقتصر رواية الشعر على رواة الشعر والعلماء به أو على الرّواة الشعراء، وإنّما أَسْهَم في ذلك أناسٌ تَخصَّصوا بأمور أخرى غير الشعر، ولكنْ لهم اتّصال متين بالشعر، وهم علماء الأنساب والأخبار وأيّام العرب. وقد أمدّنا هؤلاء بمادّة غنيّة لا بأس بها من الشعر الجاهليّ، فكان النسّابون إذا تحدّثوا عن نسب قبيلة أو رجال من قبيلة ذكروا ما قيل في حقّهم من فخر أو مدح أو هجاء أو رثاءٍ أو غير ذلك[١].

وقد ظهرت الحاجة إلى مَنْ يتخصّص برواية المفاخر والمثالب، ويتتبّع أخبارها في أجذام العرب وأُصولهم[٢]. *وقد ساندت دراسات النسّابين علم التاريخ، إذ قام النسّابون بتدوين الأخبار التاريخيّة في إطار النَّسَب، ومِنْ أبرزهم في القرن الثاني الهجريّ هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ الذي ضَمَّنَ حديثه عن أنساب العرب معلومات تاريخيّة متنوّعة ومُتعدِّدة. وخدمت دراسات الأنساب علم التاريخ بإعطاء الأنساب مع بعض المعلومات عن حياة الشخصيّات، ويبدو أنّه كان للصراعات القبليّة دافع كبير للاهتمام بها. وقد هيّأت هذه الدراسات عن أشراف القبائل ما هيّأته كتب الطبقات عن المُحَدِّثين، وكان مرجع النسّابين في المقام الأوّل الشعر والروايات القبليّة التي تتّصل بالشعر، أو التي يرد الشّعر خلالها لإثبات صحّتها، وفي فترة تالية غَدَتْ سجلّات دواوين الجند مرجعاً آخر للنسّابين*[٣].

ويمكن أن نتبيّن الفرق بين غاية كلٍّ من النَّحْويّين ورواة الأشعار ورواة الأخبار والأنساب من خلال مقولة الجاحظ: **ولم أرَ غاية النحويّين إلّا كلّ شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلّا كلّ شِعر فيه غريب أو معنىً صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أرَ غاية رواة الأخبار إلّا كلّ شعر فيه الشاهد والمثل**"[٤]، ومعنى ذلك أنّ مقاصد الرّواة في رواية الشعر تختلف كلٌّ بحسب تخصُّصه؛ فالنُّحاة يطلبون الشعر لإقامة حججهم في النحو والإعراب، ورواة الأشعار يبحثون فيه عن الألفاظ الغريبة والمعاني الصعبة، *وأَمّا رواة الأخبار والأنساب فيطلبون الشعر التماساً للشاهد والمثل*[٥]، *فالنّسب يتطلّب رواية أخبار العرب وما تتضمّنه من شواهد على التاريخ من أشعارها*[٦].

وقد كان بعض رواة الأخبار والأنساب يعمدون إلى الصَّنعة والافتعال في ما يروونه من أخبار، وعلى رأسهم ابن الكلبيّ الذي افتَعَل خبر تعليق المعلّقات على الكعبة كما ذكر الرَّافعيّ[٧]. *ويُشْبِهُ ابن الكلبيّ بذلك بعض رواة الأشعار المطعون بهم والذين اتُّهموا بوضع الأشعار على ألسنة الشعراء الجاهليّين مثل حمّاد الرّاوية وخلف الأحمر وغيرهما*[٨].

---

(١) انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٢٨٩/٩.

(٢) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢١٤/١.

(٣) انظر: المجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار: هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، غيداء كاتبي، ص: ١.

(٤) البيان والتبيين، ٢٤/٤.

(٥) انظر: تاريخ آداب العرب، الرافعيّ، ٢٥٨/١.

(٦) انظر: المرجع نفسه، ٣١١/١.

(٧) انظر: المرجع نفسه، ١٤١/٣.

(٨) انظر: المفصّل: جواد عليّ، ٢٢٥/٩.

وقد جعل هذا الأمر رواة الأخبار والأنساب في منزلة دون منزلة رواة الأشعار الموثوق بهم كأبي عمرو بن العلاء وغيره، وشجَّع أهل الحديث الذين عُرِفوا بالتشدّد في قبول الرواية على الاستهانة برواة الأخبار والأنساب.

ويمكن القول إنّ منهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ هو أقرب إلى منهج المؤرّخين والجغرافيّين، وكانت غايتهم من إيراد الأشعار توثيق المعلومات النسبيّة التي يقدّمونها والأخبار التي يسوقونها. ولم تكن غايتهم من وراء ذلك أيّ غرض نحويّ أو لُغويّ أو أدبيّ كما هو الحال عند علماء النحو واللغة ورواة الشعر، ومَنْ يتأمّل الأشعار التي رواها النَسَّابون يَرَ أنّهم لم يقصدوها لذاتها، وإنّما قصدوها كشاهد تاريخيّ للمعلومات النسبيّة والأخبار التي أوردوها، والدليل على ذلك أنّ كثيراً من الشعر الذي استشهدوا به كان يَعتوره كثير مِن التصحيف والتحريف والأخطاء النحويّة والعروضيّة.

وقد اكتفى النسّابون بالاستشهاد بثلاثة أبيات وببيتين وببيت واحد وأحياناً بنصف بيت في سبيل أن يذكروا معلومة نسبيّة أو خبراً من الأخبار.

ولم يصل مِن نقد الـرُّواة النسّابين إلّا قليل(١)، وقد جعل هذا مهمّة وصولي إلى آرائهم النقديّة عملاً صعباً، ولم يُمَكنّي ذلك من الوقوف على رؤية نقديّة متكاملة لديهم – بخلاف ما هو الحال عند رواة الشعر المعروفين – خَلا بعض الأحكام النقديّة التي سأشير إليها عندما أتناول بالتفصيل مناهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ، مع أنّ منهجهم يكاد يكون واحداً؛ لأنّه يُشْبه منهج المؤرّخين من خلال التتبّع والاستقصاء للأخبار والمعلومات النسبيّة في إطار تاريخيّ.

ثانيًا: منهج مؤرِّج السَّدوسيّ في رواية الشعر الجاهليّ:

يُعَدّ مؤرّج السَّدوسيّ أوّل مَن ألّف في الأنساب من حيث ما وصل إلينا من مصنّفات علماء الأنساب. وقد سبقه في التأليف في أنساب العرب محمّد بن مُسْلِم بن شهاب الزُّهريّ المتوفّى سنة (١٢٤هـ) مئة وأربع وعشرين للهجرة، ثمّ تلاه أبو اليقظان سُحَيم بن حَفص الأخباريّ المتوفّى سنة (١٩٠هـ) مئة وتسعين للهجرة؛ فقد بدأ بكتاب في نسب قومه ولكنّه لم يتمّه، وله كتاب "النسب الكبير"، وذكر فيه نسب إياد وكنانة وأسد..، وكتاب "نسب خِنْدِف وأخبارها" (٢). *وبذلك يكون مؤرّج بن عمرو السّدوسيّ أوّل مَن دَوَّن في الأنساب باعتبار ما وصل إلينا من كتب في الأنساب، ويكون بذلك حاجي خليفة قد أخطأ حين ظنّ أنّ ابن الكلبيّ قد سبقه في التأليف في الأنساب*(٣).

---

(١) انظر: نقد أعلام الرواة الشعر العربيّ حتى أواخر القرن الثالث، عبد الكريم محمد حسين، ص: ٦٢.

(٢) انظر: الفِهرست، ابن النّديم، ص: ١٤٤. ومقدّمة تحقيق كتاب حذف من نسب قريش لمؤرّج السدوسيّ، صلاح الدين المنجد، ص: ٥، ٦.

(٣) انظر: كشف الظّنون عن كتب الأسامي والفنون، ١/١٩١، ١٩٢.

وقد رتّب مؤرّج الأسماء ترتيباً منطقيّاً واضحاً، ويُعدّ ترتيبه أوضح من ترتيب ابن الكلبيّ ومصعب الزُّبيريّ في ذِكْرِهما أنساب قُرَيش(١). *وتفرّد مؤرّج في كتابه بضبط بعض الأسماء بروايةٍ لا نكاد نجدها عند غيره من علماء الأنساب، وهي أوثق من رواياتهم، ولذلك ينبغي أن تؤخذ عنه لبعد عصره واطّلاعه الواسع على اللُّغة ولتوثيق العلماء إيّاه*(٢)، كما تفرّد أيضاً برواية أشعار لم أجدها عند غيره من العلماء، وقد أخذها عنه غيره من النسّابين الذين تناولوا أنساب قريش كمصعب الزبيريّ.

وقد أشار مُحقِّق "كتاب حذف من نسب قريش" صلاح الدين المنجد إلى دقّة مؤرّج في ضبط الأسماء الواردة في سلاسل الأنساب، وأخطاء وردت عند غيره من النسّابين في ضبط تلك الأسماء، ومن ذلك حديثه عن بني نوفل بن عبد مناف وقد ذكر منهم " **نافع بن ظُرَيب بن عمرو بن نوفل، وهو الّذي كتب القرآن على عهد عثمان رحمه الله**"(٣)، *إذْ قال المحقّق:* "**في نسب قريش للمصعب: ٢٠٣، ٢٠٤، وفي جمهرة الأنساب لابن حزم، ١٠٧ "بن طريف" وهو خَطأ، صوابه هذا الضبط هنا**"(٤).

ولم يلتزم مؤرّج الترتيب الزّمنيّ للأعلام الذين ترجم لهم وذكر أنسابهم، وإنّما اتّبع سلسلة النسب بصرف النظر عن الترتيب الزمنيّ؛ فقد ذكر نسب الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان قبل أن يذكر نسب أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أميّة – وهو مِن عظماء قريش في الجاهليّة – وكلاهما مِن بني أبي العاص بن أُمَيّة(٥). وهذه سمة تميَّزَ بها مؤرّج السدوسيّ في كتابه عن غيره من النسّابين الذين لم يُراعوا الترتيب الزمنيّ في ذِكْر أنساب الرجال.

وقد قلّ التصحيف والخطأ في الشعر الذي رواه مؤرِّج إذا ما قيس بما رواه ابن الكلبيّ، فلا يكاد القارئ يجد أخطاءً عنده في ما رواه من أشعار إلّا قليلاً، ولعلّ سبب ذلك كونه عالماً باللّغة والنحو وإماماً في الأدب – كما سبق أن ذكرتُ في ترجمته – فضلاً عن الاختصار الذي أَلْزَمَهُ، إذْ لم يتوسّع في ذكر الأنساب والأخبار ورواية الأشعار الشاهدة عليها.

وأبدى مؤرّج السدوسيّ اهتماماً كبيراً بأشراف قريش ورؤسائها وعظمائها، فترجم لهم وذكر شيئاً من شعرهم أو شعر قيل فيهم؛ ومن هؤلاء صُبَيْرَةُ بن سُعَيد بن سَعد بن سَهْم، إذ كان من أشراف قريش في الجاهليّة(٦)، *وله يقول الشاعر يرثيه* [من مجزوء الكامل](٧):

لا تـــأمَنَنَّ الـــدهرَ بَعْـــ دَ صُـــبَيْرَةَ السَّـــهميّ ماتـــا
عَجِلَـــتْ مَنيَّتُـــهُ الحيـــا ةَ وكـــان مِيتَتُـــهُ افتلاتـــا

(١) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المنجد، المقدِّمة، ص: ٩.
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٩.
(٣) كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٤٢. وانظر أيضاً: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البَرّ، ٥٣/٤. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانيّ، ٣٢١/٦ (نافع بن ظريب القرشيّ)
(٤) كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٤٢: الحاشية.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص: ٣٣، ٣٤.
(٦) انظر: المصدر نفسه، ص: ٨٦.
(٧) المصدر نفسه والصفحة ذاتها. افتلاتا: فجأةً، من (افتَلَتَهُ الموت) إذا فاجأه وعاجله (لسان العرب، ابن منظور: فَلَتَ).

ومنهم أيضاً قُنْفُذ بن عُمير بن جُدعان بن عمرو، وكان من أشراف قريش، وهو أحد الّذين ذكرهم أبو طالب في قصيدته حين حاصرته قبيلة قريش[١]، إذْ قال يتودَّده ويستعطفه [من الطويل][٢]:

وعُثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقُنْفُذٌ ولكنْ أطاعا أمر تلك القبائلِ

ويبدو من قول مؤرِّج الآتي أنّه لم يكُنْ يُعنى بالشّعر عنايته بالرّجال الّذين يورد أنسابهم وأخبارهم، إذْ اكتفى برواية بيتٍ واحدٍ من قصيدةٍ لأبي طالب، وما ذلك إلاّ ليدعم معلومته النَّسَبيّة والخبر المتّصل بها: "**وقُنْفُذُ بن عُمَيْر بن جُدعان بن عمرو، كان من أشراف قُرَيْش. وهو أحد الّذين ذكرَ أبو طالب في قصيدته حين أَطْبَقَتْ عليهم قُرَيشٌ، يتودَّدُه ويَعْطِفُه: (البيت)**" [٣].

ويكتفي مؤرّج أحياناً بذكر أنساب بعض من يترجم لهم وأخبارهم دون أن يورد لهم أو فيهم شعراً[٤]؛ ومن هؤلاء من بني عبد الدار بن قصيّ: "**الحارث بن عَلقمة بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مَناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ، كان عظيم القدر في الجاهليّة. رهَنَ ابنه يوم الفِجار عن قريش بدماء مَنْ أصابوا مِن قيس**"[٥].

*ومنهم أيضاً: قيس بن مَخْرَمة بن المطّلب بن عبد مناف، وهو الذي كان يَمكو ويصفّق حول الكعبة في أثناء صلاته، فيُسمع مكاؤه وتصفيقه من غار حِراء، ولذلك أنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً...**﴾*[٦].

وقد اختصر مؤرِّج في ذكر أنساب مَن ترجم لهم في كتابه، فكان يكتفي في ذكر نسب مَنْ يترجم له بذكر أبيه وجدّه فقط دون أن يورد سلسلة نسبه كاملة. ويمكن القول إنّه عَمَد إلى اختصار الأنساب والأخبار وكذلك الأشعار الشاهدة عليها.

ولا يختلف منهج مؤرج السدوسيّ في رواية الشعر الجاهلي عن منهج علماء الأنساب من حيث اعتماده على التوثيق التاريخيّ للأنساب والأخبار وما تحتويه من شواهد شعرّية، إلّا أنّه تفوّق على غيره من علماء الأنساب في الجانب اللُّغوي؛ *فكتابه يعدّ المرجع الأوّل الذي ضَبط من خلاله النسّابون مؤلّفاتهم في أنساب العرب، وذلك لأنّه وإن كان صغيراً في حجمه، إلّا أنَّ صاحبه كان ثقةً في اللُّغة والنحو*[٧]، فقد أخذ علمه – كما سبق أن ذَكَرْتُ – عن إمامَيْن من أئمّة اللُّغة هما أبو زيد الأنصاريّ

---

(١) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٨. لم يَرْبَع علينا: لم يَعْطِف ويُشفق علينا (لسان العرب: رَبَعَ). وانظر أيضاً: كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٤٠.

(٣) كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٧٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤، ٣٤، ٣٩، ٨٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٤٧.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٧. وسورة الأنفال، الآية: ٣٥. المُكاء: الصَّفير. التصدية: التَّصفيق (لسان العرب: مَكا، صَدَّى).

(٧) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المُنجد، المقدِّمة، ص: ٨، ٩.

والخليل بن أحمد الفراهيديّ، وكان يحفظ ثُلُثَي اللُّغة. *ويُعَدّ كتابه أيضاً نواةً صغيرة لما أُلِّفَ في التراجم الواردة في كتب النسّابين، ونجد بذلك اختلافاً في منهجه عن سائر النسّابين المؤلِّفين، حيث لم يكتفِ بسرد الأسماء، وإنما ذكر لهم ترجمة أو شبه ترجمة، وقد يبسط القول فيهم ويعرّفهم بأمر يدلّ عليهم أو قصّة وقعت لهم، فضلاً عمّا يورده لهم أحياناً من بعض شعرهم أو من شعرٍ قيل فيهم*[١].

ومن الأمثلة الدالّة على اهتمامه باللغة وبراعته في هذا الجانب في روايته للشعر الجاهليّ أنّه كان يتوقّف في أثناء روايته الأبيات، فيشرح لفظاً صعباً موضِّحاً معناه حسب السّياق الذي ورد فيه؛ ومن ذلك قوله في بيت للزبير بن عبد المطلب [من الطويل]:

"وأشقحَ من راحِ العراقِ مُمَلَّأٍ مَخيطٍ عليه الخَيْشُ جَلدٍ مَرائِرُهْ

يعني زِقّاً يضرب إلى الحُمرة"[٢]، *ثمّ يروي بيتين آخرين بعده للزُّبير من الشعر نفسه.*

ومن ذلك أيضاً شرحه لكلمتي "صَروم" و"مُجدَّد" في بيت من أبيات مسافر بن أبي عمرو بن أميّة، وذلك قوله [من الطويل]:

"تَمُدُّ إلى الأقصى بثديكَ كلّه وأنت عن الأدنى صَرومٌ مُجَدَّدُ

صَروم: لا لَبن له، مُجدَّد: مقطوع"[٣].

ثم يستأنف مؤرّج رواية الأبيات.

وبذلك حاول مؤرّج السدوسيّ أن يُقارب بين منهج المؤرّخين في الاستشهاد بالشعر للتوثيق التاريخيّ للمعلومات النسبيّة والأخبار، وبين منهج علماء اللغة الذين كانوا يطلبون الشعر بحثاً عن الألفاظ الغريبة. وقد تميّز بذلك من غيره من النسّابين الذين خلفوه.

ثالثًا: مَنهج ابن الكلبيّ في رواية الشعر الجاهليّ:

تميّز ابن الكلبيّ بمنهج خاص يقترب به من طريقة المؤرّخين في تدوين التأريخ، وإليه يرجع الفضل الكبير في دراسات تاريخ العرب قبل الإسلام، وإليه ترجع أغلب معارفنا في تلك الفترة[٤]. *وتُظهِر روايات ابن الكلبيّ قيمة خاصّة لدراسات الأنساب في إطار التاريخ، وتكشف عن اطّلاعه على مصادر غير عربيّة أفاد منها في عرض الأحداث فضلاً عن إفادته من كتابات إخباريّين معاصرين للأحداث التي تناولها، ومن روايات شفويّة معاصرة له، مع أنّه لم يكن معاصراً لكثير من الأحداث التي ذَكرها* [٥].

(١) انظر: كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٧.

(٤) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٨٧/١، ٨٨.

(٥) انظر: المجلّة الأردنية للتاريخ والآثار، هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ، غيداء خزنة كابتي، ص: ١.

وقد سلك ابن الكلبيّ مسلكاً جعله في طليعة الباحثين الذين درسوا الآثار عند المسلمين، وذلك برجوعه إلى الأصول القديمة والمراجع التاريخيّة متبّعاً بذلك طريقةً تختلف عن طريقة أهل اللغة في البحث(١)؛ إذ زعم أنّه قال: **"كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمال مَنْ عَمِلَ منهم لآل كِسرى وتاريخ سِنيّهم من بِيَع الحيرة، وفيها مُلكهم وأمورهم كلّها"**(٢)*، حيث رأى أنّ كتابات أهل الحيرة كانت بالنّبطيّة، كما أثْبَتَ ذلك نصّ "النُّمارة"، وقد شَكَّ بذلك الباحثون المعاصرون – وعلى رأسهم جواد عليّ – بقدرة ابن الكلبيّ على قراءة النبطيّة وفهمها وأنّه وقع في أوهام عندما حاول قراءتها، ويرى جواد عليّ أنّ هذا الموضوع جدير بالدراسة والعناية(٣).*

وقد تميّز ابن الكلبيّ بخاصيّة جعلته في مقدّمة النسّابين الإخباريّين في القرن الثاني الهجريّ، وهي أنّه دوّن الأخبار التاريخيّة في إطار النَّسَب(٤)؛ فمن خلال حديثه عن نسب عبد الله الأصغر أمكننا معرفة تاريخ هجرته إلى الحبشة(٥)، ومن خلال نسب نُفَيْع بن المُعلَّى أمكننا معرفة أنّه أوّل شهيد من الأنصار في الإسلام(٦). وقد اشتملت معلوماته النسبيّة عن القبائل وأفخاذها وبطونها وأبنائها على معلومات تاريخيّة كثيرة متنوعّة(٧).

وممّا يميّز منهج ابن الكلبيّ التاريخيّ أنّه لم يكتفِ بنقل مرويّات سابقيه، بل كان يلجأ إلى انتقاد كثير منها انتقاداً مباشراً ثمّ يقوم بتصحيحها(٨)؛ فقد أبطل ابن الكلبيّ قول من قال إنّ هود هو عابر، إذ ذكر أنّ هود هو **"هود بن عبد الله بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح"**(٩)*. وأنكر ما ذهب إليه ابن دُرَيد من أن العرب عبدوا صنماً اسمه "مَدَان"(١٠). وخالف أيضاً ابن الكلبيّ بعض المؤرّخين الّذين ذكروا أنّ السَّيف "ذا الفَقار" قد أعطاه النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ قال إنّ السَّيف كان يملكه العاص بن نُبيه بن الحجّاج بن عامر السَّهْميّ، وقتله عليّ مع أبيه في يوم بدر ثمّ استولى على سيفه(١١).*

---

(١) انظر: المفصّل، ٨٨/١.

(٢) تاريخ الطبريّ، ٦٢٨/١. بِيَع: جمع بِيعَة، وهي كنيسة النّصارى، وقيل كنيسة اليهود (انظر: لسان العرب: بَيَعَ).

(٣) انظر: المفصّل، ٨٩/١.

(٤) انظر: هشام بن محمّد بن السّائب الكلبيّ، ودوره في التدوين التاريخيّ، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصريّة، مهدي محمّد عبد الهادي، إشراف محمد جاسم المشهدانيّ، ١٩٨٩م، ص: ١٣١.

(٥) انظر: كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، ١١٧/٤.

(٦) انظر: الاستبصار في نَسب الصحابة من الأنصار، ابن قُدامة المقدسيّ، حقّقه وقدّم له عليّ نويهض، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م، ص: ١٨٢.

(٧) انظر: هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ ودوره في التدوين التاريخيّ، مهدي محمد عبد الهادي، ص: ١٣٢.

(٨) انظر: المرجع نفسه، ص: ١٤٢.

(٩) القَصْد والأَمَم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، ابن عبد البّر القرطبيّ، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٠هـ، ص: ٥٨.

(١٠) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٧٤/٥.

(١١) انظر: وفيات الأعيان، ابن خَلّكان، ٣٢٩/٦.

وقد وُصِفَ ابن الكلبيّ – كما سبق في ترجمته – بأنّه إخباريّ نَسّابة وراوية للمثالب، وأنّه صاحب سِيَر ونَسَب، وكثيراً ما كان يُسأل في ما اختلفت فيه القبائل. ويرجع تفوّقه إلى أنّه كان يأخذ معلوماته وأخباره من مصدرين هما: والده عن نسّابي القبائل مُشافَهةً[١]*؛ إذ يصرّح بقوله:* "**قال لي أبي: أخذتُ نسب قريش من أبي صالح، وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب، وأخذتُ نسب كِندة عن أبي الكُناس الكنديّ، وكان أعلم الناس، وأخذتُ نسب معدّ بن عدنان عن النّجار بن أوس العدوانيّ، وكان أحفظ الناس مِمَّن رأيتُ وسَمِعْتُ به، وأخذتُ نسب إياد عن عديّ بن رثاث الإياديّ وكان عالماً بإياد**"*[٢]*. والمصدر الثاني هو دراساته وأبحاثه الخاصّة*[٣]*، إذ قال ابن الكلبيّ:* "**وأخذت نسب ربيعة عن أبي وعن خِراش بن إسماعيل العِجليّ**"*[٤]*.

وسبق أن ذكرت أنّ ابن الكلبيّ مرفوض عند أهل الحديث الذين يشترطون الالتزام بالإسناد في الرواية، ولذلك فقد رفضوا روايته في الحديث أوّلاً، وفي التاريخ ثانياً، وذلك لأنّها تتناقض مع منهجهم في العلم، وما أكثر ما نجد في مرويّات ابن الكلبيّ انقطاعاً في سلسلة الإسناد[٥]*، وهناك روايات كثيرة لابن الكلبيّ يكتفي فيها بذكر الاسم الأوّل للرّاوي من مثل:* "**قال / ذكر هشام عن عَوانة ...**" [٦]، و"**قال هشام عن أبي مِخْنَف ...**" [٧].

ولعلّ تساهل ابن الكلبيّ في استخدام الإسناد في مرويّاته ناجم عن طبيعة تأثّره بمنهج شيوخه الذين لم يكونوا من المحدّثين[٨]*، ولذلك نجد تساهلاً واضحاً في استخدام الأسانيد ليس عند ابن الكلبيّ وحده وحسب، وإنّما نجده أيضاً عند سائر النسّابين والإخباريّين؛ فقد كان اهتمام الرّواة بالإسناد في الأدب – سواءً أكان خبراً أم شعراً – ضعيفاً، وقد يكون سبب ذلك نابعاً من قناعتهم بألّا خطر مِن ترك الإسناد بما أنّه لا يتعلّق بأمر من أمور الدين وما يتّصل بها من الحلال والحرام، ولذلك عَدُّوا الإسناد نافلةً وباباً من التطوُّع*[٩]*.*

---

(١) انظر: المجلّة الأردنية للتاريخ والآثار، غيداء كاتبي، ص: ٣.

(٢) الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٥، ١٤٦. " النجّار بن أوس العُدوانيّ " خطأ، والصّواب "النخّار بن أوس العُذريّ" كما صحّحه ناصر الدّين الأسَد.

(٣) انظر: المجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار، غيداء كاتبي، ص: ٣.

(٤) الفهرست، ص: ١٤٦.

(٥) انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ، مَهدي محمّد عبد الهادي، ص: ١٥٢.

(٦) تاريخ الطبري، ٥٢٧/٥، ٥٣٠.

(٧) المصدر نفسه، ٥٩٩/٥، ٦٠٥، ٣٩/٦.

(٨) انظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، ٢٢٢/١. وهشام بن محمد بن السائب الكلبيّ، مهدي محمّد عبد الهادي، ص: ١٥٣.

(٩) انظر: تاريخ آداب العرب، ٢٢٢/١.

ولا أريد بهذا أن أدافع عن ابن الكلبيّ، ولكنّني أحاول أن أُسوّغ تقصيره وتقصير النسّابين والإخباريّين في استخدام الإسناد في الرواية، *ولعلّ ما يسوّغ تقصيرهم أيضاً هو أنّ الرّواية في الأدب لم تكن علماً قائماً متميّزاً، وإنما كانوا يُجرون على رواياتهم ما يوافقها ويناسبها من علوم الحديث*(١).

ولم تخلُ بعض دراسات ابن الكلبيّ مِن مواطن الضعف التي تقع عادةً عند الإخباريّين، مثل سرعة الأخبار وروايتها على علّاتها دون نقد أو تمحيص، وقد اتُّهِمَ فيها بالوضع والكذب؛ ومِن ذلك ما ذكرتُه سابقاً من افتعال خبر تعليق المعلّقات على الكعبة، ومنها أيضاً اختراعه سلاسل أنساب زعم أنّها وردت في التوراة، أو عند النسّابين، مع أنّ الوضع فيها واضح ظاهر ولم ترد في التوراة ولا في التلمود. ويبدو أنّ حرص ابن الكلبيّ على أنّ يُظهر نفسه بمظهر العالم الملمّ بالكثير من أخبار الماضين هو ما دفعه إلى الوضع والكذب(٢).

وقد دافع بروكلمان عن ابن الكلبيّ، إذ ذهب إلى أنّ كثيراً مما اتُّهِمَ به لم يكن صحيحاً، وأنّ البحوث العلميّة التي قام بها المستشرقون أكّدت أنّ الحقّ كان في جانبه في كثير من الأمور التي اتُّهم بها(٣).

ويمكن القول إنّ منهج ابن الكلبيّ في رواية الشعر الجاهليّ هو ذاته منهجه في تدوين التاريخ، وذلك لأنّه تعامل مع الشعر كوثيقة تاريخيّة داعمةٍ للأخبار والأنساب الّتي يرويها، وممّا يؤكّد هذا قلّة عدد الأبيات الّتي يستشهد بها في سياق ذكره للأخبار والأنساب؛ فنراه يذكر أنساب القبائل وأخبارها قبيلةً قبيلة وبطناً بَطنا، ثمّ يستشهد عليها ببيتين أو ثلاثة، وقليلاً ما يورد ثلاثة أبيات، إنْ لم يكتفِ ببيت واحد وبنصف بيت أحياناً، وذلك ليشير إلى ما يذهب إليه إشارة خاطفة. وكذلك لا نجده يعتني بالشعر عناية رواة الشعر الذين كانوا يقصدون الشعر استدلالاً وإقامةً للحجج والبراهين على قضايا اللغة والنحو.

ولا يلتزم ابن الكلبيّ – شأنه في ذلك شأن غيره من النسّابين – التسلسل الزمنيّ للشعراء باعتبار عصورهم الأدبيّة من الجاهليّ حتى العبّاسيّ، وإنّما يولي اهتمامه ما تقتضيه سلسلة نسب القبائل الّتي يوردها؛ *فقد أورد نسب عديّ بن الرّقاع العامليّ، وهو شاعر أمويّ، قبل أن يورد نسب لَقيط بن مَعبَد (أو مَعْمَر) الإياديّ، وهو شاعر جاهليّ*(٤).

ومن خصائص منهج ابن الكلبيّ في رواية الشعر الجاهليّ إيراده أشعارًا لشعراء لم يذكر أسماءهم، وما أكثر ما نجد عنده عبارات: "**ولهم يقول الشّاعر .. وله يقول الشّاعر .. الذي يقول له الشّاعر .. وفي ذلك قال الشّاعر**"(٥)، ويؤكّد هذا أنّ اهتمام ابن الكلبيّ كان مُنْصَبًّا في روايته للشعر على توثيق الأنساب والأخبار أكثر من اهتمامه بالشعر والشعراء.

---

(١) انظر: تاريخ آداب العرب، ٢٤٨/١.

(٢) انظر: المفصّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٨٨/١.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربيّ، ٣٣/٢. وانظر: المفصّل في تاريخ العرب، ٨٨/١.

(٤) انظر: النَّسب الكبير، ١/١، ٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ٤٢/١. وانظر أيضاً: ٢١٠/١، ٢١١، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٧٣، ٣٠٦/٢.

ويكتفي ابن الكلبيّ أحياناً عندما يورد أنساب بعض الأعلام في القبيلة بأن يشير إلى أنّهم وردوا في شعر الشعراء دون أن يذكر ذلك الشعر؛ ومن ذلك قول ابن الكلبيّ: "**وهؤلاء بنو ضُبَيْعَة بن ربيعة ابن نزار.. ومنهم سعد بن الضَّباب الذي نزل به امرؤ القيس بن حُجْر ومدحه**"(١). *وقوله أيضاً:* "**ومن بني عُقْدَةَ: ذو الحَصيرَيْن، وهو عبد الملك بن عبد الإله بن حارثة بن غَزيّة بن صُهْبَان بن عَمَمِيّ بن عَمْرو بن سِنْبِس الذي ذكره حاتم في شعره**"(٢).

وكثيراً ما كان ابن الكلبيّ يتوقّف عن رواية الشعر في مواضع كثيرة، مكتفياً بذكر اسم الشاعر ونسبه دون أن يورد له شعراً؛ ومن ذلك قوله: "**وهؤلاء بنو أَشْرَس بن كِندة.. وسَلَمةُ بن صُبْح بن عمرو بن رَبيعة بن شُكامَة. الشاعر الجاهليّ، له أشعار كثيرة**"(٣). *وقوله:* "**وهؤلاء بنو بَولان بن عمرو .. منهم: خالد بن عَنَمة الشاعر. جاهليّ**"(٤). *وقوله أيضاً:* ".. **والحارث بن ثعلبة بن ناشرة ابن الأبيض الشاعر الجاهلي الذي يُقال له ابن حَبابَة**"(٥).

ويدلّ هذا على أنّ ابن الكلبيّ كان يعتني بالأنساب والأخبار أكثر من عنايته بالشعر، فهو لا يستشهد بالشعر إلّا إذا وجد لذلك داعياً أو أسعفته ذاكرته في خدمة منهجه التاريخيّ.

ويُبدي اهتماماً خاصّاً في أثناء ذكره للأنساب والأخبار بألقاب بعض رجال القبائل وشعرائها؛ ومن ذلك ذِكْرُه لرجال من ولد بكر بن حبيب من بني تغلب بن وائل، ويقال لهم الأَراقِم، وهم: جُشَم ومالك وعمرو وثَعلبة ومعاوية والحارث(٦)*، ولهم يقول الحارث بن حِلِّزَة* [من الخفيف](٧):

إنّ إخواننـــــا الأراقـــمَ يَغْلُـــو نَ عَلينـــا فـــي قـــولهم إخفـــاءُ

---

(١) النسب الكبير، ١/٥٥، ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ١/٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ١/١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ١/٢٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ١/٢٨٤، ٢٨٧.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ١/٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ١/٣٤. وديوان الحارث بن حِلِّزة، أعاد تحقيقه هاشم الطَعَّان، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م، ص: ١٠: "في قِيلِهِم إحفاء". الأراقم: حَيٌّ من تغلب، سُمّوا بذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيّات. يَغْلُون: يتجاوزون الحدّ. الإحفاء في المسألة: الإلحاح (ورواية الديوان أصحّ من رواية ابن الكلبيّ). وأراد الشاعر أنّ إخواننا من الأراقم قد تجاوزوا الحدّ في عدواتهم لنا وألّحوا علينا في مقالتهم (انظر: لسان العرب: رَقَمَ، غَلاَ، حَفَا. وشرح المعلقات السبع، الزَّوزنيّ، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م، ص: ١٩٤: الحاشية).

ومِن بني الخزرج بن زيد اللات بن رُفَيْدَة بن ثور بن كلب عَميرة بن أوس بن ثعلبة، كان يقال له "الملك"[١]*، وله يقول الشاعر* [من الوافر][٢]:

ولابــن عَميــرةَ الملــكِ بــن أوسٍ ولــو طُفْــتَ البَريَّــةَ أجمعينــا

وكان عَميرة هذا قائداً على إحدى المُجَنِّبَتَيْن يوم السُّلَّان[٣].

ومِن الشعراء الذين ذكرهم ابن الكلبيّ المثقّب العبديّ من بني عبد القيس بن أفصى، إذْ أورد نسبه وذكر سبب تسميته بالمُثَقَّب بقوله: **"منهم المُثَقَّب، وهو عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة بن وائلة بن عَدِيّ بن عَوف بن دُهْن بن عُذرة بن مُنبِّه، وإنّما سُمّي لَقَبه لبيتٍ قاله [من الوافر]: "وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للعُيُونِ"**[٤].

ومنهم أيضاً: **"شأس بن نَهار بن أسود بن حُزَيك بن حُيي بن عَوف بن سود بن عُذرة بن مُنَبِّه، وهو المُمَزَّق، وإنّما سُمِّيَ المُمزَّق ببيتٍ قاله** [من الطويل]:

فـإنْ كُنْـتُ مـأكولاً فكُـنْ لـي آكِـلاً وإلاّ فــأدْرِكني ولمَّــا أُمــزَّقُ"[٥]

ومِن بني كعب بن عمرو مُزيقياء شاعر اسمه امرؤ القيس، وسُمّيَ بـ "قاتل الجوع"، وقال ابن الكلبيّ: **"وولَد كعب بن عمرو مُزيقياء بن عامر: ثَعلبة، ومالكاً، وامرأ القيس، وهو قاتل الجوع، سمّي بذلك لقوله** [من الوافر]:

قَتَلْـتُ الجـوع فـي الشَّـتَوات حَتّـى تركـتُ الجـوعَ لـيس لــه نَكيـرُ"[٦]

وقد حرص ابن الكلبيّ من خلال رواياته على الإشارة إلى مَنْ تَميّزوا في مجالات مختلفة في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة قبل الإسلام، فذكر بعض السّادة وأشراف قومهم وفرسانهم[٧].

---

(١) انظر: النسب الكبير، ٣٠٦/٢.

(٢) المصدر نفسه، ٣٠٦/٢.

(٣) انظر: النسب الكبير، ٣٠٦/٢. المُجَنَّبتان من الجيش: المَيمنَة والميسرة (لسان العرب: جَنَبَ). يوم السُّلاَّن: "يوم بين بني ضَبَّة وبني عامر بن صعصعة...، وفي هذا اليوم سُمّي مُلاعب الأسنّة. ويوم السُّلاَّن أيضاً قبل هذا بين مَعدّ ومَذْحِج، وكلب يومئذٍ مَعدّيون..." (معجم البلدان، ٢٣٥/٣).

(٤) النَّسَب الكبير، ٤٧/١. وجمهرة النسب، ٣٣١/٢. والبيت كاملاً كما ورد في: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٣٩٥/١، والمفضّليات، ص: ٢٩٨:

رَدَدْنَ تحيّــةً وكَــنَنَّ أخــرى وثَقَّــبْنَ الوَصــاوِصَ للعيــونِ

(٥) النَّسَب الكبير، ٤٧/١. وجمهرة النسب، ٣٣٢/٢. والأصمعيّات، ص: ١٦٦ برواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ.

(٦) النَّسَب الكبير، ١١٠/١.

(٧) انظر: المجلّة الأردنية للتاريخ والاثار، هشام بن محمّد الكلبيّ، غيداء خزنة كاتبي، ص: ٢٠.

فمنْ أشراف قومهم الّذين ذَكَرهم: مِلحان بن حارثة بن سعد الـحَشْرَج، وهو مِن بنـي جَرْوَل بن ثُعَل من بنـي الغَوث بن طَـيّئ[١]*، إذ قال ابن الكلبـيّ:* "**ومِلحان بن حارثة بن سعد، وكان شريفاً، وله يقول حاتم بن عبد الله الطائيّ** [من الطويل]:

لِيَبْـكِ علـى مِلحـانَ ضَـيْفٌ مُـدَفَّعٌ وأرْمَلَـةٌ تُزجـي مـع الليـل أرْمَـلَا"[٢]

ومِنْ فرسان قبيلة إياد بن نزار مازن بن قَنان بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن كنانة، وزيد القَنا ابن سِنان بن يحيى بن عوف بن مالك بن كِنانة[٣]*، وقد ذكرهما لَقيط بن مَعْبَد (يَعْمُر) الإياديّ في شعره* [من البسيط][٤]:

كمَـازنِ بـن قَنـانٍ أو كصـاحبه زيـدِ القَنـا يـوم لاقَـى الحـارثَيْنِ معَـا

ومِن فرسان بنـي كعب بن الحارث بن كعب: عمرو وزياد ومالك بنـو الـحُصَيْن، ويُقال لهم فوارس الأَرباع[٥]*، ولهم يقول الأجدع بن مالك الهَمْدانـيّ ثمّ الوادِعـيّ* [من الكامل][٦]:

أسـألتَني بركـائبي ورحالهـا ونَسِـيتَ قتـلَ فـوارس الأربـاعِ

ومن مظاهر حرص ابن الكلبـيّ على التّوثيق التاريخـيّ للأنساب والأخبار ذِكره أمّهات بعض البطون والأشخاص؛ ومن ذلك ما ذكره عن قبيل عظيم مِنْ قضاعة يُدعى "تَزِيد"، إذ قال ابن الكلبـيّ: "**وتَزيد، وهو قَبيل عظيم في تَنوخ، ...؛ أمّهم: سَلمى بنت أسْلَمَ بن الحاف بن قُضاعَةَ**"[٧]*، ثم استشهد ببيت من الشعر.*

---

(١) انظر: النَّسب الكبير، ١٩٧/١، ٢٠٥، ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ٢٣٧/١. وديوان حاتم الطّائيّ، ص: ١٢٠.

(٣) انظر: النَّسب الكبير، ٥٨/١.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ٥٨/١. وديوان لقيط بن يَعْمُر الإياديّ، ص: ٨٨: "كمالكِ" مكان "كمَازنِ". والحارثان هما: الحارث بن ظالم المُرّيّ أشهر فُتّاك العرب في الجاهليّة، والحارث بن عوف المُرّيّ من فرسان الجاهليّة (انظر: ديوان لَقيط، ص: ٨٨: الحاشية).

(٥) انظر: النَّسب الكبير، ٢٧٩/١.

(٦) المصدر نفسه، ٢٨٠/١. وانظر أيضاً: ٩١/١، ٣٣٨/٢.

(٧) المصدر نفسه، ٣٠٠/٢.

ومن ذلك أيضاً قوله: "**وأمّا عمرو بن هَمَّام، وثعلبةُ، وعائشةُ، ومازن، وعبد الله، أمّهم: فُطَيْمَةُ بنت حَبيب بن ثعلبة بن ثعلبة بن سَعْد بن قيس بن ثعلبة، ولها يقول الأعشى** [من البسيط]:

(فبني فُطَيمةَ لا مَيْلٌ ولا عُزْلُ)"(١)

ومن جوانب اهتمام ابن الكلبيّ بالدراسات التاريخيّة ذكره لأيّام العرب قبل الإسلام، وقليلٌ مِمّا ذكره من أيّام العرب معروف، وكثير منها غير معروف؛ فقد ذكر يوم عين أُباغ، واستشهد عليه من شعر أوس بن حجر(٢)*، ويوم الكُلاب، واستشهد عليه ببيت من الشعر لسَلَمة بن الحارث*(٣)*، ويوم قِضَة، واستشهد عليه بيت من الشعر لزهير بن عَتّاب*(٤)*، ويوم فَيْف الرّيح، واستشهد عليه ببيتين لعامر ابن الطُّفَيل*(٥)*، ويوم الدَّرَك، واستشهد عليه ببيت لحسّان بن ثابت الأنصاريّ*(٦)*، ويوم نُهاذَة، واستشهد عليه ببيتين لجعفر بن أبي خِلاس الكلبيّ*(٧)*.*

ولم يقتصر ابن الكلبيّ على الجانب التاريخيّ في روايته للأخبار والأنساب، وإنّما تجاوز ذلك إلى الجانب الجغرافيّ، فقد كان أيضاً نَسّابة جغرافيّاً اهتمّ بالمواضع والأماكن، مشيراً إلى مَن نزل بها من قبائل العرب، موثّقاً إيّاها بالشعر الذي رواه؛ فقد ذكر جَبَلَيْ أجأ وسلمى وسبب نزول طيّئ بهما وتفرُّق بني سبأ أيام سيل العَرِم، ثمّ روى في ذلك شعراً لِطَيّئ(٨)*.*

---

(١) النَّسب الكبير، ٨/١. وقد اكتفى ابن الكلبيّ برواية العجز بما يخدم غرضه، والأعشى يمدح هنا بني فُطيمة بالشجاعة والثبات في قتال الأعداء. وديوان الأعشى، ص: ١١٣:

نحنُ الفوارس يوم العَيْن ضاحيةً جَنْبَيْ "فُطيمةَ" لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

مِيلٌ: جمع أَميل، وهو الذي يميلُ على السّرج ولا يثبت عليه، وقيل هو الجبان. عُزُل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه (انظر: لسان العرب: مال، عَزَلَ).

ومن المحتمل أن تكون "فُطَيمة" هنا: "اسم موضع بالبحرين كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضُبَيْعَةَ وتغلب بن ربيعة أيضاً ظَفِرَ فيها بنو تغلب على بني شيبان، فقال الأعشى (البيت) برواية مختلفة عن رواية ابن الكلبيّ على هذا النحو: "نحنُ الفوارسُ يوم الحِنْو ضاحيةً"، إلاّ أنَّ محقّق ديوان الأعشى محمّد محمّد حسين أنكر هذه الرواية قائلاً: "ومن روى (نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية) فهو مخطئ، لأنّ يوم الحِنو هو يوم ذي قار، وأحسن الناس بلاءً فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مُسْهِر الذي يهجوه الأعشى بهذه القصيدة، فغير معقول أن يستعلي عليه الأعشى مُفاخِراً بهذا اليوم" (الديوان، ص: ١١٣: الحاشية ٦٥)، ولم أستطع ان أتبيّن "يوم العَين" في ما رَجَعْتُ إليه من مصادر.

(٢) انظر: النسب الكبير، ٢٤/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٣٥/١.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ٣٦/١.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ٢٧٨/١.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ٣١/٢.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ٣٥٦/٢.

(٨) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٩٧/١.

وقد زوَّدَنا ابن الكلبيّ بمعلومات جغرافيّة واسعة ومتنوّعة عن البلدان والمناطق التي زارها (١). *وهو من المؤرّخين المكثرين في التأليف بالجغرافية، إذ قام بتصنيف نحو اثني عشر كتاباً؛ ومنها: كتاب البلدان الكبير، وكتاب البلدان الصغير، وكتاب تسمية مَن بالحجاز من أحياء العرب، وكتاب عجائب البحر، وكتاب الأنهار، وغيرها* (٢).

ويبدو من اسمي الكتابين الأخيرين أنّ ابن الكلبيّ قد رحل إلى أقاليم مُتعدِّدة، ويحتمل أن يكون رحل بحراً أو نهراً ليدوّن مشاهداته وملاحظاته، إذ يصعب على المؤلّف أن يصنّف في هذا الموضوع بطريق السّماع، ودون أن يركب البحر أو النهر بنفسه، فيصف ما شاهده في رحلاته من عجائب البحر وأهواله (٣).

وذكر ياقوت الحموي أنّ لابن الكلبيّ كتاباً اسمه "أنساب المواضع"، نَقَل منه خبر قتل كسرى قبيلة إياد ونفيها إلى الشام، إذ أرسل إليهم كسرى ألفاً وأربعمئة فارس ليقتلوا فرسان إياد، ثمّ وقع فرسان كسرى بأيدي فرسان إياد، فقتلوهم عن آخرهم وجعلوا جماجمهم قُبّةً، فأمر كسرى ان يُبنى عليهم ديراً، فسمّي "دير الجماجم" (٤).

ويشيد ياقوت الحمويّ بفضل ابن الكلبيّ في الاهتمام بذكر منازل العرب بقوله: "**وأمّا الذين قصدوا ذكر الأماكن العربيّة والمنازل البدويّة فطبقة أهل الأدب، وهم ... وهشام بن محمّد الكلبيّ، وَقَفْتُ له على كتاب سمّاه اشتقاق البلدان**"(٥).

ومن المواضع التي ذكرها ابن الكلبيّ "جوف العَيْر"، إذْ قال: "**والجوف اسم وادٍ في أرض عاد فيه ماء وشجر، حَماه رجل اسمه حمار بن طُوَيْلِع كان له بنون فخرجوا يتصيّدون فأصابتهم صاعقة فماتوا، فكفَر حِمار كفراً عظيماً، وقال: لا أعبدُ ربّاً فعل بي هذا الفعل! ثمّ دعا قومه إلى الكفر، فَمَنْ عَصى منهم قَتَله وقتل مَنْ مَرَّ به من الناس، فأقبلت نارٌ من أسفل الجوف فأحرقته ومَنْ فيه وغاضَ ماؤه، فضَربت العرب به المثل وقالوا: أكفرُ من حمار، وواد كجوف الحمار وكجوف العير، وأخربُ من جوف حمار، وأخلى من جوف حمار**، ..." (٦)، *ثمّ استشهد ابن الكلبيّ على هذا الموضع بأبيات لشاعر جاهليّ هو فارس مَيسان الكِنديّ* [من الطويل](٧):

ومَـرّتْ بجَـوْف العَيْـر وهـي حَثيثـةٌ وقـد خلَّفَـتْ بـالأمْسِ هَجْـلِ الفُراضِـمِ

تَخـافُ مـن المُصْـلَى عَـدُوًّا مُكاشِـحاً ودون بنـي المُصْـلَى هُديـد بـن ظـالمِ

ومـا إن بجـوف العَيْـر مِـنْ مُتَلـذِّذٍ مســـيرة يـــومٍ للمطـــيِّ الرَّواســـمِ

---

(١) انظر: هشام بن محمد الكلبيّ ودوره في التدوين التاريخي، مهدي محمد عبد الهادي، ص: ١٤٣.

(٢) انظر: الفِهرست، ابن النديم، ص: ١٤٨.

(٣) انظر: هشام بن محمد الكلبيّ ودوره في التدوين التاريخيّ، ص: ١٤٣.

(٤) انظر: معجم البلدان، ٥٠٤/٢.

(٥) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١١/١.

(٦) المصدر نفسه، ١٨٧/٢، ١٨٨، وانظر: ١٧٢/٤.

(٧) المصدر نفسه، ١٨٨/٢. وقد سَبق تفسير المفردات في ما سبق من ترجمة ابن الكلبيّ.

ومن المواضع التي ذكرها ابن الكلبيّ "سِنداد"، وروى في ذلك أبياتاً للأسود بن يَعْفُر النهشليّ، إذا قال: **"وكانت إياد تنزل سِنداد، وسِنداد نهر في ما بين الحيرة إلى الأُبُلَّة، وكان عليه قَصْرٌ تحجُّ العرب إليه، وهو القَصر الذي ذكره الأسود بن يَعْفُر، ومَرَّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جَفْنَة، فتَمثَّلَ مُزاحِم مولاه بقول الأسود بن يَعْفُر النهشليّ** [من الكامل]:

.....

أهــلِ الخَوَرْنَــق والسّــديرِ وبَــارقٍ والقَصْـرِ ذي الشُّـرُفَات مِـنْ سِـنادِ

.....(الأبيات)" [١]

ومن المواضع التي وَثَّقها ابن الكلبيّ في ما رواه من شعر "سواد الخصوص"، وقد ذكره في سياق بيت قاله عديّ بن زيد العباديّ يمدح به عبد هند بن لُجَم بن مَنْعَة بن بُرجان من بني إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان، وهم بالحيرة[٢]*، إذ قال عديّ بن زيد العِباديّ* [من السَّريع][٣]:

أَبْلِــغ خليلــي عَبْــدَ هِنْــدٍ فَــلاَ زِلْـتَ قريبـاً مـن سـوادِ الخُصـوصِ

ومنها أيضاً: "دَيْر الأعور"، والأعور رجل يُنسب إليه الدَّيْر، وهو مِن بني أميّة بن حُذاقَة، وهؤلاء من بني إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان[٤]*، وروى ابن الكلبيّ بيتاً لأبي دُؤَاد الإيادي* [من المُتقارَب][٥]:

ودَيْــرٍ يقــولُ لــه الزَّائــرو (م) نَ ويــلُ أمِّ دار الحُــذاقيّ دارا

ومن خصائص منهج ابن الكلبيّ التاريخيّ في روايته للشعر الجاهليّ دراسته للناحية السُّكانية والبشريّة للقبائل *والجماعات* والأشخاص في ما يمكن أن نطلق عليه في جانب من جوانبه بالديموغرافيا أو علم السُّكَّان، فقد أشار ابن الكلبيّ في سياق ذكره للأنساب والأخبار إلى بطون وأحياء عظيمة هلكوا؛ *ومن هؤلاء "تَزيد"، وقد مَضَى ذكرهم، وهم* **"قبيل عظيم في تنوخ لهم بأس، وإليهم تُنسب الثِّياب التزيديّة، ... وكانت التُّرك أغارت على تَزيد وأفْنَوهم، فقال في ذلك عمرو بن مالك التَّزيديّ** [من الوافر]:

وليلتنــا بآمِــدَ لــم نَنَمْهــا كليلتنــا بميّــا فارِقينــا"[٦]

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٦٦/٣. وديوان الأسود بن يَعْفُر، ص: ٢٥-٢٧.

(٢) انظر: النَّسب الكبير، ٥٥/١. الخُصوص: موضع قريب من الكوفة (معجم البلدان، ٣٧٥/٢).

(٣) النسب الكبير، ٥٥/١. وديوان عدي بن زيد العِباديّ، ص: ٦٨: الخُصوصْ (الرَّويّ ساكن).

(٤) انظر: النسب الكبير، ٥٥/١. دير الأعور: دَير بظاهر الكوفة، وقد بَناه رجل من إياد يقال له الأعور، من بني حُذاقَة بن زهر بن إياد (معجم البلدان، ٤٩٩/٢).

(٥) النسب الكبير، ٥٥/١. ولسان العرب: (حَذَق): "الزّائدونَ" مكان "الزّائرونَ"، قال ابن منظور: "يعني بالحُذاقيّ نفسه، وحُذاق هم رَهط أبي دُوَاد، ...". والأصمعيّات، ص: ١٩٠، وقد أورد الأصمعيّ خمسة عشر بيتاً. والشاعر يصف فيها منزلاً من منازل البادية، وهو منزل آهِلٌ بالوحش، وقد اعتزم الصَّيد وأعدّ لذلك، وهو فرس منعوت، فامتطاه الغُلام في أول الصُّبح وتمكَّن من إحراز صيد كثير (جو القصيدة: الأصمعيّات، ص: ١٩٠: الحاشية).

(٦) النّسب الكبير، ٣٠٠/٢.

ومن أحياء العرب الفانية بنو الطمَّاح، وذَكرهُم ابن الكلبيّ بقوله: "**فولد نُمارة بن إياد: الطَّمَّاح، حيّ عظيم، كان لهم بأس وعدد فهلكوا، ولهم يقول عمرو بن كلثوم [من الوافر]:**

ألا سَـــائل بنـــي الطَمَّـــاحِ عَنّـــا ودُعْمِيّـــاً فكيـــف وجـــدتمونا"(١)

ويشير ابن الكلبيّ إلى حركة تنقّل بعض بطون العرب بين القبائل، ومن هؤلاء :"يَعْمَر" من ولد مالك بن بُهثة بن حرب بن مالك من بني ضُبيْعَة بن ربيعة بن نزار(٢)*، إذْ قال:* "**فوَلَد مالك بن بُهثة: يَعْمَر، كانوا في كلب دَهْراً، ولهم يقول امرؤ القيس بن حُجْر الكنديّ** [من الطويل]:

كِنَانيّـةٌ بَانَـتْ وفـي الصَّـدْرِ وُدُّهـا مجـاورةً غَسَّـانَ والحـيّ يَعْمَـرا"(٣)

وأعرض في ما يأتي بعض آراء ابن الكلبيّ النقديّة في الشعر الجاهليّ. وقد سبق أن ذكرت أنّ نقد الرواة النسّابين للشعر كان قليلاً إذا ما قِيسَ بنقد رواة الشعر، ويمكن القول إنّ ثقافة ابن الكلبيّ في تدوين التاريخ قد أثّرت كثيراً في ثقافته النقديَّة للشعر.

ويمكن أن نلمح من خلال رواياته اهتماماً واضحاً بنقد الشعر، وذلك من خلال إشاراته السريعة وتصحيحه لبعض الروايات الأدبية؛ فمن مظاهر اهتمامه بنقد الشعر روايته خبراً عن الوليد بن عبد الملك يُظهر فيه إعجابه من دقّة إصابة الشمّاخ بن ضرار في وصف الحمير(٤)*، إذا قال ابن الكلبيّ:* "**أُنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً مِن شعر الشمّاخ في صفة الحمير، فقال: ما أوصفَهَ لها! إنّي لأحسب أنَّ أحد أبويه كان حَمَّاراً**"(٥)؛ *إذ أُعجِبَ الوليد من دقّة الشَّمَّاخ في الوصف الذي لا يمكنُ أن يصدر إلّا عن شاعر ذي خبرةٍ حسّيّة*(٦).

---

(١) النّسب الكبير، ٥٥/١. وديوان الحارث بن حِلِّزة وعمرو بن كلثوم، شرح مَجيد طراد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م، ص: ١٥١. قال ابن السِّكيّت: بنو الطَمَّاح من بني وائل، وهم من بني نُمارة. ودُعميّ بن جَديلة من إياد (شرح القصائد، الخطيب التبريزيّ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص: ٣١٩: الحاشية)، وقال ابن الأنباريّ: الطَمَّاح ودُعميّ حيّان من إياد، والمعنى: فقل لهم كيف وجدتم ممارستنا؟ (شرح القصائد السبع الطوِّال الجاهليّات، ص: ٤١٩، ٤٢٠).

(٢) انظر: النسب الكبير، ٥٢/١، ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ٥٣/١. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٥٦. كِنانيّة: من بني كِنَانة، وكِنَانة من مُضَر. بانت: فَارقَتْ. غسّان من اليمن، ويَعْمَر من بني كنانة، فهو يريد أن يقول إنّ حيّها ليس مِن حيّة؛ وذلك أشدّ وأبعد لاجتماعه بها، فمرّةً تُجاوِرُ في هذا الحيّ من اليمن، ومرّة أخرى تُجاور في هذا الحيّ من كنانة (ص: ٥٦: الحاشية).

(٤) انظر: نقد أعلام الرواة الشعر العربيّ حتى أواخر القرن الثالث، عبد الكريم محمّد حسين، ص: ٣٢٩.

(٥) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ١٢٠/٩. وخزانة الأدب، البغداديّ، ١٩٧/٣. الحَمَّار: هو صاحب الحمار في السّفر، وجمعه حَمَّارة (لسان العرب، ابن منظور: حَمَرَ).

(٦) انظر: نقد أعلام الرّواة، عبد الكريم محمد حسين، ص: ٣٢٩.

ونجده يتعجَّب من استهلال دُرَيْد بن الصِّمَّة مرثيّته بالنَّسيب، إذ يقول: " **لا أَعلَمُ مَرثيّةً أوّلها نَسيب إلّا قصيدة دُرَيد بن الصِّمَّة** " [١]، *ومطلعها* [من الطويل][٢]:

أَرَثَّ جديــدُ الحبــلِ مِــن أُمّ مَعْبَــدِ بعاقبـــةٍ وأخْلَفَـــتْ كُـــلَّ مَوْعـــدِ

ولعلّه لم يَغِبْ عن بال شاعر كبير مثل دريد بن الصِّمّة ما استقرّ عليه نُقّاد الشّعر من أنّه لا يجوز للشاعر أن يستهلّ قصيدته في الرثاء بالغزل، ولذلك فقد تأخّر في نَظم هذه القصيدة بعد مَقتل أخيه بسنة، وقد ذكر ابن رَشيق أنّ "**الآخذ في الرّثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التَّشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة؛ وإنّما تغزَّلَ دُرَيْد بعد قتل أخيه بسنة، وحين أَخَذ ثأره، وأدرك طُلْبتَه**"[٣].

ويُعدّ ابن الكلبيّ من أهم الرُّواة الذين تناولوا شعر امرئ القيس بالنَّقْد، وقد ذهب في ذلك مذهب المؤرِّخ الذي لا يخلو حكمه من قيمة نقديّة[٤]*، إذا قال:* " **أوّل من بكى في الدّيار امرؤ القيس بن حارثة بن الحُمام بن معاوية، وإياه عَنى امرؤ القيس بقوله** [من الكامل]:

يــا صــاحبيّ قِفــا النَّــواعِجَ ســاعةً نَبكــي الــدِّيار كمــا بكــى ابــن حُمَــامِ

قال: وهو القائل: [من الطويل]:

كــأَنّي غــداة البَــيْنِ يــوم تَحمَّلــوا لــدى سَــمُرات الحــيّ نــاقِفُ حَنْظَــلِ

أراد أنّه بكى في الدِّيار عند تحمُّلهم، فكأنَّه ناقِفُ حَنظل، وناقف الحنظلة يَنْقُفُها بظُفره، فإذا صوَّتَتْ علم أنّها مدركة فاجتناها، فعينُه تدمع لحدّة الحنظل وشدّة رائحته ..."[٥].

فقد أشار ابن الكلبيّ في قوله "أوّل مَنْ بكَى في الديار" إشارة تاريخيّة إلى شاعر سبق امرأ القيس في الزَّمن، وهو امرؤ القيس بن حُمَام (أو خِذام)[٦]، مستدلاً على ذلك ببيت لامرئ القيس بن حُجْر. وقد

---

(١) العُمْدَة في محاسن الشعر وآدابه ونَقده، ابن رشيق القَيروانيّ، ١٥١/٢.

(٢) ديوان دُرَيد بن الصِّمَّة الجشميّ، ص: ٤٥.

(٣) العُمدة، ابن رشيق، ١٥٢/٢.

(٤) انظر: نقد أعلام الرُّواة، عبد الكريم حسين، ص: ١٦٩، ١٧٦.

(٥) الشِّعر والشُّعراء، ابن قُتيبة، ١٢٨/١، ١٢٩.

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٤. وقال أبو عبيدة: هو ابن خِذام، وأنشد:

عُوجا على الطلل المحيلِ لعلّنا نَبكي الدّيار كما بَكَى ابن خِذَامِ

(الشِّعر والشُّعراء، ابن قتيبة، ١٢٨/١. وديوان امرئ القيس، ص: ١١٤).

ديوان امرئ القيس، ص: ٩. السَّمُر: شجر أُمِّ غَيْلَان، وهي شجر الصَّمْغ العربيّ، والناقِف: المستخرج حبّ الحنظل، والحَنظل له حرارة تدمع منها العين، فشبَّه ما جرى من دمعه لفقد أهل الدار بما يسيل من عين ناقف الحنظل، وإنّما خَصَّ ناقف الحنظل، لأنّه لا يملك سَيَلان دمعه كما لا يملكه من اشتدّ شوقه وحزنه (الديوان، ص: ٩: الحاشية ٤).

(٦) انظر: نقد أعلام الرّواة، عبد الكريم حسين، ص: ١٧٧.

تناول بيت امرئ القيس (الثاني) بالنَّقد مُستخدِماً الشرح والتفسير، إذ أوضح سبب تشبيه الشاعر حالته النفسيّة ساعةَ رحيل محبوبته عن الدّيار بالحالة النفسيّة لناقف الحنظل؛ فالشاعر يبكي حُزْناً وشوقاً إلى محبوبته التي فارقته ورحلت عنه، ولا يملك أن يوقف جريان دموعه، وكذلك ناقف الحنظل يبكي من شدّة رائحة الحنظل وحرارته، ولا يملك أن يوقف جريان دموعه، فكلاهما يبكي رُغماً عنه.

وليس غريباً أن يهتمّ ابن الكلبي بشعر امرئ القيس وبنقده، وهو الذي ترك لنا فيه كتاباً لم يصل إلينا، وهو "كتاب تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنّساء وأنسابهم وأسماء الأرضين والجبال والمياه"(١)*، ومن علمه بشعر امرئ القيس علمه بالمَنحول من شعره؛ إذ ذكر أنّ الأبيات الخمسة الأولى من معلّقة امرئ القيس مَنحولة، وأنّها لامرئ القيس بن حُمام الكلبيّ، إذ قال ابن الكلبيّ* يذكر *ابن حُمام:* **"وفيه يقول امرؤ القيس بن حُجْر:**

يـا صـاحبيّ قِفـا النَّـواعِجَ سـاعةً نبكـي الـدّيارَ كمـا بكـى ابـن حُمـامِ

قال الكلبيّ: أعراب كلب يروونَ هذا الشعر، فإذا سألْتَهُمْ ما الذي بكى به الديار؟ أنشدوك خمسة أبيات من (قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ)، ثمّ قالوا بقيّتها لامرئ القيس"(٢)*، وقال في موضع آخر:* **"فَنَحلها الناسُ امرأَ القيس"**(٣).

وممّا يمكن أن يؤكّد زعم ابن الكلبيّ قول أبي عُبيدة: **"كان امرؤ القيس بن حُمام الكلبيّ يصحب امرأ القيس بن حجر الكنديّ، فغَلَب على أكثر شعر ابن حُمام وانتحله لنفسه، فسار ذلك لامرئ القيس بن حُجْر وخَمُل ابن حُمَام"**(٤)*، وأيّد الأصمعيّ قول أبي عبيدة عن امرئ القيس بن حجر، إذ قال:* **"ويُقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس لِصعاليك كانوا معه"**(٥).

ومع ذلك ذهب محمّد شفيق البيطار إلى أنّ هذه الأقوال التي ذكرتُها لرواة الأشعار في شعر امرئ القيس لا تشكّل دليلاً قاطعاً على اعتبار الأبيات الخمسة الأولى من معلّقة امرئ القيس أنّها لابن حُمام الكلبيّ، ولكنّها تؤكّد أنّ لابن حُمام شعراً انتحله امرؤ القيس لنفسه أو نَحلَه الناسُ إيّاه(٦).

---

(١) انظر: الفِهرِست، ابن النّديم، ص: ١٤٨.

(٢) النّسب الكبير، ٣١٠/٢. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٤:

عُوجا على الطّلل المُحيلِ لأنّنا نَبكي الدِّيارَ كما بَكَى ابن خِذَامِ

والسّندوبي، ص: ١٧٦: "لعلّنا" مكان "لأنّنا". "حِذامِ" مكان "خِذامِ".

النَّواعج: واحدها النَّاعجة من الإبِل وهي البيضاء، وقيل هي التي يُصاد عليها نِعاج الوحش، والنَّواعج من الإبل: البيض الكريمة، وقيل السِّراع، إذ إنَّ النَّعْج ضربٌ من سير الإبل، وقد نَعَجتْ النَّاقة في سيرها: أسرعَتْ (انظر: لسان العرب: نَعِجَ، نَعَجَ).

(٣) النَّسب الكبير، ٣٥٤/٢.

(٤) كتاب الدُّرّ الفريد وبيت القصيد، تأليف محمد بن سيف الدين أيدمر بن عبد الله المستعصميّ، أصدره فؤاد سزكين، إيكهارد نويباور، معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، ألمانيا، ١٩٨٨م، ٧٩/٣، ١٤١/١.

(٥) كتاب فحولة الشعراء، الأصمعيّ، تحقيق ش. تورّي، قدّم لها صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص: ١٠.

(٦) انظر: ديوان شعراء بني كلب بن وَبرة، ٨٠/١.

ومن آرائه النقديّة ما نقله ياقوت الحمويّ عنه، ويظهر فيه نقدٌ مباشر لأخبار العرب وعلمٌ بأشعارهم، وذلك في الخبر الذي يتّصل بالموضع الذي ذكره ابن الكلبيّ "جَوف العَيْر"، إذْ فسّر بعض الدارسين القدماء "العَيْر" أنّه الحمار بعينه، مستدلّين على ذلك بالمثل القائل: "أخلى مِنْ جوف الحمار"، وقالوا: لأنّ الحمار لا يُنتفَعُ بشيء ممّا في جوفه ولا يؤكل بل يُرمى به، مخالفين بذلك ما ذهب إليه ابن الكلبيّ أنّ "العَيْر" هو حمار وهو اسم رَجُل[١]*، إذ قال ابن الكلبيّ:* "**وقد أكثرت الشعراء من ذ كره ... ، وإنَّما عُدِلَ عند تسميته عن ذكر الحمار إلى ذكر العَيْر في الشعر، لأنّه أخفّ عليهم وأسهل مخرجاً، وذلك نحو قول امرئ القيس: ووادٍ كجوفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه**"[٢].

ثم استشهد ابن الكلبيّ على ما ذَهبَ إليه بأبيات فارس مَيسان الكنديّ والتي ذكرتها سابقاً، وأوّلها:

ومَـرَّتْ بجـوف العَيْـرِ وهـي حثيثـةٌ وقد خَلَّفَتْ بالأمس هجل الفُراضِمِ[٣]

وقد أُعْجِبَ ياقوت الحموي برأي ابن الكلبيّ، وقال بعد أن ذكر البيتين الآخرين: "**فهذا يُقَوّي قول أبي المنذر هشام بن محمّد الكلبيّ، قلت: ولِلّه دَرُّهُ! ما تَنازعَ العلماء في شيء من أمور العرب إلّا وكان قوله أقوى حُجّةً، وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارص مَكلوم**"[٤].

وخُلاصة القول في منهج ابن الكلبيّ في روايته للشعر الجاهليّ أنّه كان يذكر الشاهد الشعريّ كُلّما تسنّى له ذلك، ولم يكن الشّعر مقصوداً عنده لذاته، وإنّما كان يستخدمه دليلاً داعماً لخبرٍ أو معلومة نَسَبيّة، والدليل على ذلك أنه كان يذكر كثيراً من الأخبار والأنساب دون أن يُمَثِّلَ عليها بشيءٍ مِن الشعر إذا لم يجد ما يسعفه من الشعر في ذلك. ولم تكن صحّة الشواهد الشعريّة من حيث ألفاظها وأوزانها العروضيّة من اهتماماته؛ فقد أنشد ابن الكلبيّ أبياتاً كثيرة وقع فيها تصحيف واضطراب في الوزن، وقد أَشَرْتُ إلى ذلك في موضعه.

---

(١) انظر: معجم البلدان، ١٨٧/٢، ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٨/٢. وتمام البيت: "به الذئب يعوي كالخليع المُعَيّلِ" هذا زعم أبي سعيد السُّكّريّ أنّه لامرئ القيس، والراجح أنّه لتأبّط شرّاً كما روى الرّواة، ومنهم الأصمعيّ وأبو حنيفة الدينوريّ وابن قتيبة. ورأى البغداديّ أنّ هذا الشعر أشبه بكلام اللصوص والصعاليك (خزانة الأدب، ١٣٤/١، ١٣٥)، وأمّا بيت امرئ القيس فهو قوله:

وخَرْقٍ كَجوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ مَضِلَّةٍ قطعتُ بِسَامٍ ساهمَ الوجه حُسَّانِ

(ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٩٢).

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١٨٨/٢.

(٤) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذواتاهما. القَوارص: جمع القارِصَة، وهي هنا بمعنى الكلمة المُؤذِية. مَكلوم: مجروح (لسان العرب: قَرصَ، كَلَمَ).

رابعاً: منهج مُصْعَب الزُّبيريّ:

وظَّف مصعب الزبيريّ الشعر الجاهليّ شاهداً على أنساب قبيلة قريش وأخبارها التي ذكرها في كتابه "نسب قريش"، مُوافِقاً بذلك منهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ. ولعلّ مدح قبيلة قريش ببطونها المختلفة والفخر بها ورثاء ساداتها كان له النَّصيب الأكبر من رواياته الشعريّة، ولعلّ سبب ذلك هو اقتصاره على أنساب القرشيّين وأخبارهم دون غيرهم من قبائل العرب، ومن أشهر بطون قبيلة قريش التي ذكرها وروى فيها أشعاراً بنو عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب، وبنو أسد بن عبد العزّى، وبنو تَيْم بن كعب وغيرها.

ولا يختلف مصعب الزّبيريّ في طريقه عرضه للشعر عن طريقة غيره من النسّابين ممّا يدلّ على أنّه أفاد في نهجه ممّن سبقوه من النسّابين.

وقد اهتمّ مصعب في كتابه بالشعر الإسلاميّ أكثر من اهتمامه بالشعر الجاهليّ، ويظهر هذا واضحاً من خلال عدد الأبيات التي رواها من شعر جاهليّ قياساً بما رواه من شعر إسلاميّ، ولعلّ مردّ ذلك إلى اهتمامه بالأخبار والأحداث التي وقعت بعد الإسلام؛ *فقد ذكر نُبيهَ بن الحجّاج السّهميّ، فقال:* "**وكان نُبيه بن الحجّاح شاعراً**"(١)، *وروى له أربعة أبيات، ثمّ قال:* "**وله أشعار كثيرة**"(٢). *وذكر عُمارة بن الوليد بن المغيرة، فقال:* "**كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً، وهو الذي بعثته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشيّ يكلّمانه فيمن قَدِمَ عليه من المهاجرين، ...**" (٣)، *ثم قال:* "**وله أشعار كثيرة تُروى**"(٤).

وقال في موضع آخر يذكر حَفْص بن حُذافه بن غانم: "**وكان حَفص بن حُذافةَ مِن شعراء قريش، وقد انقرض**"(٥)، *ولم يذكر شيئاً من شعره.*

والسؤال الذي يفرض نفسه: أين هذه الأشعار الكثيرة؟ وهل اكتفى مصعب الزُّبيريّ منها برواية بيتين أو ثلاثة، مستدلّاً بها على ما أورده من أنساب وأخبار، ثمّ أَهْمَلَ بقيّتها، أم أنّه قد رواها في كتب أخرى له لم تصل إلينا بعد؟(٦).

وقد استفاد مصعب الزُّبيريّ مِن علمه بالشعر في التثبُّت من أنساب بعض قبائل العرب، إذ قال: "**وأشعار قُضاعَة في الجاهليّة وبعد الجاهليّة تدلّ على أنّ نَسبهم في مَعدّ**"(٧)، وهذا يدلّ على أنّه

(١) كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٠٤.
(٢) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٢٢.
(٤) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.
(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٧٥.
(٦) انظر: طبقات النَّسَّابين، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص: ٨٢.
(٧) كتاب نسب قريش، ص: ٥.

كان يستعين بالشعر في إثبات صحة أنساب قبائل العرب، وأنّه يستخدمه كوثيقة تاريخيّة شأنه في ذلك شأن النسّابين رواة الشعر.

ويبدو عند مصعب الزُّبيريّ منهج الاستقصاء التاريخيّ والتتبّع لحركة القبائل وبطونها وتنقُّلها في بلاد العرب، ونراه يميّز بين القبائل الصّريحة وغيرها من القبائل الدّخيلة، *إذ قال:* "**فَولَدَ نزار: مُضَر، وإيَاداً، وأُمُّهما: خَبِيَّة بنت عَكِّ بن عدنان؛ ورَبيعةَ، وأَنمارَ ابني نزار، وأُمُّهما: حُدَالة بنت وَعْلان بن جوشَم بن جُلْهُمَة بن عامر بن عوف بن عَدِيّ بن دُبِّ بن جُرْهُم؛ وكان يُقال: ربيعة ومُضَر الصَّريحانِ من ولد إسماعيل. فَدخَلَ مَنْ كان منهم بالعِراق في النَّخَع، وكان منهم بالشّام على نَسَبهم في نزار. وقد قال امرؤ القيس بن حُجر** [من الكامل]:

ولقد رَحَلْتُ العِيسَ ثُمَّ زَجَرْتُها ... وَهْناً وقلتُ عليكِ خَيْرَ مَعَدِّ
فعليكِ سَعْدَ بنَ الضَّبابِ فآسرعي ... سَيْراً إلى سَعْدٍ عليكِ بِسَعْدِ
قومٌ تَفَرَّعَ من إيادٍ بَيتُها ... بينَ النَّبيتِ الأكرَمِينَ وبُرْدِ
سَعْدٌ يُجيُر الخائفينَ وكَفُّهُ ... تَندى نَوالاً مِنْ طَريفٍ وتُلْدِ"[(١)]

وذكر الحارث بن أسد بن عبد العُزّى، فقال: "**وأمّا الحارث بن أسَد ففيهم عدد وبقيّة نَسْل. ولزهير وهاشم ابني الحارث بن أسد يقول الشاعر** [من البسيط]:

لَهَاشمٌ وزهيرٌ فَرْعُ مَكرُمَةٍ ... بحيث لاحَتْ نُجوم الفَرْغِ والأسَدِ
مجاورُ البيت ذي الأركانِ بَيْتُهما ... ما دونَهُ في نواحي البيت من أَحَدِ"[(٢)]

ثمّ نراه يذكر منهم ولد أميّة بن الحارث بن أسد، فيقول: "**عمرو بن أميّة، لا عَقِبَ له**"[(٣)].

---

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٦. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٢٠٧: "وقال يمدح سعد بن ضَباب الإياديّ": الأبيات كلّها بترتيب مختلف ورواية مختلفة في بعض ألفاظها: البيت الثالث مكان البيت الرابع. "بَعَثْتُ العَنْسَ" مكان "رَحَلْتُ العيسَ". "وعليكِ" مكان "فَعليكِ". "فَسَمِّحي" مكان "فاسرعي". "فَرْعٌ" مكان "قَوْمٌ". والبيت الرّابع: سَعْدٌ يُجير الخائفينَ وتَنْدَى ... يَدُهُ عَطاءً من طَارفاتٍ وتُلْدِ (وفي وزنه اضطراب)
وشرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، ص: ٨١: ما عدا البيت الرابع، مع اختلاف في رواية البيت الثالث:
قَرْمٍ تفَرَّعَ من إيادٍ بَيتُهُ ... بينَ النَّبيتِ الأكرَمينَ وسَرْدِ
العِيس: الإبل البيض مع شُقْرَةٍ يسيرة، واحدها أعيس وعَيْساء. زَجَر الإبل: إذا حَثَّها وحَملها على السُّرعة. الوَهْن: نحوٌ من نصف الليل، وقيل هو بعد ساعة منه، وقيل هو حين يدبرُ الليل، وقيل الساعة من الليل أيَّ ساعةٍ كانت. قوله "بيتها" يعني بيت الحَسب. النَّبيت: حيّ من اليمن، وقيل "النَّبيت وبُرْد": قبيلتان من إياد. الطّريف: هو ما استحدَثْتَ من المال. التُّلْد: جمع تَليد، وهو ما وَرِثْتَه عن الآباء قديماً (انظر: لسان العرب: عَيَسَ، زَجَر، وَهَنَ، طَرُفَ، تَلَدَ. والصِّحاح، الجوهريّ: نَبَتَ. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٢٠٧: الحاشية).

(٢) كتاب نسب قريش، ص: ٢١١، ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٢.

ومن مظاهر تأثُّر مصعب الزُّبيريّ بالمنهج التاريخيّ في رواية الشعر الجاهليّ اهتمامه بتاريخ أشعار القبائل، إذ نراه يُوثّقُ أقدم مَن قال الشعر في بعض هذه القبائل، إذ قال: **"الحارث بن صَعْصَعة ابن كعب بن طابخة بن لِحيان بن هُذَيل... وهو أبو قِلابَة الشّاعر، وهو أقدم مَن قال الشّعر في هُذَيل؛ وهو الذي يقول: ..."** (١).

وتكشف روايات الزُّبيريّ عن الصراع القبليّ وأثر الشعر في السعي إلى السيادة والزعامة على قبائل العرب، وتُظهر أيضاً قيمة خاصّة للشّعر مِن حيث أثره في ما كان يجري بين شعراء الجاهلية من منافرات قبليّة في أسواقهم الأدبيّة، وأثر أشعارهم في الأحكام التي كان يُصدرها حُكّام المنافرات؛ ومن أبرز هؤلاء الحُكّام الأقرع بن حابس التميميّ الذي عُرِف بمحاباته وتَحيُّزه لقبيلة دون قبيلة من قبائل العرب(٢)*، وعُدّ أيضاً من الحُكّام المرتشين في المنافرات*(٣)*، وروى مصعب خبراً وشعراً يتّصل بإحدى هذه المنافرات، إذ قال:* **"وأمّا أنمار بن نِزار، فمنهم بَجيلة، انتسبوا إلى اليمن، إلّا مَنْ كان بالشّأم والمغرب؛ فإنّهم على نَسَبهم إلى أَنمار بن نِزار. وقد قال جَرير بن عبد الله (البَجليّ) حين نَافَرَ الفَرافِصَة الكلبيَّ إلى الأقرع بن حابس** [من الرَّجَز]:

يــا أَقْــرَعَ بــن حــابسٍ يــا أَقْــرَعُ إنْ يُصْــرَعِ اليــومَ أخــوكَ تُصْــرَعُ

وقال أيضاً [من الرَّجَز]:

يــا ابنَــيْ نِــزارٍ انصُــرا أخاكُمَــا إنّ أبــــي وَجَدْتُـــهُ أباكُمَـــا

لــن يُخْــذَلَ اليــومَ أخٌ والَاكُمَــا

فنفَّره الأقرعُ على الفَرافِصة بن الأَحْوَص"(٤).

وتكشف روايات الزُّبيريّ أيضاً عن علمه بالشعر المنحول الذي كان بعضه يُقال بدعوى صلة النسب والقرابة، وذلك من أجل سعي بعض القبائل إلى التقرُّب من الأمراء والولاة ونيل الحُظوة والمكانة لديهم، إذ قال مصعب الزبيريّ: **"فأمّا أسَدَة، فيزعمون أنّه جُذام ولَخم وعاملة؛ واسم جُذام عامر. وقد انتسب بنو أسَدَة في اليمن؛ فقالوا: جُذام بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن مالك بن زيد بن كَهلان، وقد قال أبو سَمَّال الأسديّ، واسمه سَمعان بن هُبَيْرَة بن مُساحِق ابن بُجَير بن عُمَير بن أسامة بن نَصر بن قُعَين، وهو يذكر نسب جُذام ولَخْم وعامِلة** [من البسيط]:

أَبْلِغْ جُذاماً ولَخْماً إن عَرَضْتَ بهمْ والقــومُ يَــنفعهُمْ عِلمــاً إذا عَلِمُــوا

والقــومُ عاملــةُ الأَثْــريْنَ قُــلْ لَهُــمُ قَــوْلاً ســتَبلغُهُ الوَسَّــاجةُ الرُّسُــمُ

---

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٢١. وقد أَوْرَدْتُ بيتي الشعر لأبي قِلابة الهُذَليّ في ترجمة مصعب الزُّبيريّ.

(٢) انظر: كتاب النقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، ١٣٩/١. المُنافرات: واحدتها المُنافَرة، وهي المحاكمة في الحسب، وهي أن يفتخر الرّجلان كلٌّ منهما على صاحبه، ثم يُحكِّما بينهما رجلاً (انظر: الصِّحاح، لسان العرب: نَفَرَ).

(٣) انظر: كتاب الدِّيباج، أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْمِيّ، تحقيق عبد الله بن سليمان الجَربوع وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص: ٩٩-١٠١.

(٤) كتاب نسب قريش، ص: ٧. وراجع الخبر: الأَنباه على قبائل الرُّواة، ابن عبد البَرّ، ص: ١٠٠.

لأَنــتُمُ فــي صَــميم الحــقِّ إخْوَتُنــا إذ يُخْلَقُ المـاءُ فـي الأرحـام والنَّسَـمُ

لـم أرَ مثـلَ الّـذي يـأتونَ جـاء بـهِ قـومٌ يُـذَرُّ علــى مختــومِهم خُمَــمُ

وقال بعض من يعلم: لما قَدِمَ خالد بن عبد الله القَسْريّ أميراً على العراق، ومعه قومٌ من جند الشَّأم، فيهم مِن لخم وجُذام، فأهدت لهم بنو أسد بن خُزَيْمَة؛ فقالوا: " أنتمْ قومُنا!" وأَحدثوا هذا الشّعر، إلّا بَيْتاً منه: "لم أرَ مِثْل الذي يأتون جاءَ بهِ"، فإنّه قديم، لا يُدْرَى لِمَنْ هو، ولا مَنْ عُنِيَ به"[١].

فالخبر يكشف اهتمام مصعب الزُّبيري بالشعر المرويّ إلى جانب اهتمامه بأخبار العرب وأنسابهم، ويدلّ على تكلّف بعض قبائل العرب في رواية الشعر للاستدلال على أنسابهم وتحقيق مصالح خاصّة لها وأهمّها خدمة العصبيّة القبليّة التي تشكّل عماد القبيلة وقوّتها. ويكشف أيضاً عن ثقافة واسعة لدى النسّابين تُضاف إلى ثقافة رواة الشعر في نقد الشعر وتمييز الصَّحيح من المنحول، وكأنّ النسّابين تنبّهوا إلى خطر الشعر المنحول الذي كانت بعض القبائل تسعى من خلاله إلى نيل مكاسب سياسيّة بين قبائل العرب.

خامساً: منهج الزُّبير بن بَكَّار:

تَميَّزَ الزُّبير بن بَكَّار بأنّه كان شاعراً بالإضافة إلى روايته للشعر، وقد نَقَلَ الخطيب البغداديّ وياقوت الحمويّ بعض أشعاره[٢]. وقد غلب على كتاب الزُّبير "جمهرة نسب قريش وأخبارها" طابع الأخبار لدرجة دَفَعَتْ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنْ يصفَ كتابه – كما سبق في ترجمته – بأنّه كتاب الأخبار.

وأولى الزُّبير اهتمامه بأخبار قريش وأنسابها بعد الإسلام أكثر من اهتمامه بها قبل الإسلام؛ فقد خَصَّصَ جزءاً كبيراً من النسخة المُتَوافِرة بين أيدينا لأخبار قريش وما قيل فيها من أشعار بعد الإسلام، ولعلّ هذا مِمّا وصل إلينا من كتابه، ولا يعني أنّه كلّ ما رواه الزُّبير.

واعتمد الزُّبير في رواية الأنساب والأخبار والأشعار على الإسناد أكثر مما اعتمد عليه غيره من النسّابين، وقد مَنَح هذا الأمر روايات الزُّبير قيمة خاصّة بين روايات النسّابين مع أنّ أسانيده تعدّ قصيرة.

حرص الزُّبير بن بكّار على إيراد الأخبار والأشعار الشاهدة عليها بطريقة مُنَظّمة مُحْكَمة ومتسلسلة تدلّ على تطوّر في التأليف عند صاحبها، فنراه يعرض الخبر والشعر في موضع، ثمّ يَنُصُّ صراحةً على استيفائه في موضعٍ آخر فَيُتِمُّه فعلاً؛ فقد ذكر خبر مقتل عثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العُزّى بيد عمرو بن جفنة الغسّانيّ بالشام، وأنشد أبياتاً لورقة بن نوفل في رثائه: "**وقال أيضاً**

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٨، ٩.
(٢) تاريخ بغداد، ٤٧٠/٨. ومعجم الأدباء، ١٣٢٣/٣.

يبكي عثمان بن الحُويرث بن أَسَد بن عبد العُزّى، وكان سَمَّه عمرو بن جَفْنَة الغسَّانيّ بالشّام، ولذلك حديثٌ سيأتي في قصّة عثمان بن الحويرث إن شاء الله:

أَلَا هلَ أتَى ابنتي عُثمانَ أنّ أباهما حانَتْ مَنيَّتُهَ بجَنْبِ الفَرْصَدِ

..... (الأبيات)" (١)

وقد حاول الزُّبير أن يوظّف ما حَفِظَ من أشعار جاهليّة كشواهد للأنساب والأخبار الّتي يوردها مُكتَفِياً بالقليل من الشعر الّذي يحفظه، إذ نجده أحياناً بعد أن ينُشِد أربعة أبيات لورقَة بن نوفل، أوّلها [من الكامل] (٢)*:*

لِمَن الدّيارُ غَشِيتُهَا كالمُهْرَقِ قَدُمَتْ وعَهْدُ جديدها لم يُخْلِقِ

يقول: **"وله شعر كثير"**(٣).

ويتميّز الزُّبير عن غيره من النسّابين بأنّه استوفى روايات الشعر أكثر من غيره من النَسَّابين، فصرنا نلاحظ إطالةً في عدد الأبيات؛ إذ روى لزبَّان بن سَيَّار عشرة أبيات حين أدّى الدّية في القتلى بين بني نَجْبَة وبين عَوف من بني هلال بن شَمْخ بن فَزارَة (٤)*. وروى للحُطيئة خمسة عشر بيتاً في مدح آل سَيَّار بن عمرو بن جابر* (٥)*. وروى أربعة عشر بيتاً لقُراد بن حَنَش الصاردِيّ، وقيل بعضها لربيع بن قَعْنَب يمدح فيها سَيَّار بن عمرو بن جابر الذي حَملَ للنُّعمان في دية ابنه الذي قتله الحارث بن ظالم المُرّيّ* (٦)*.*

وتبرز قيمة روايات الزُّبير الشعريّة تاريخياً من خلال تنبيه المحقّق إلى أنّ كثيراً من الشعر الذي رواه الزُّبَير لم يجده في مكانٍ آخر (٧)، وتعدّ بذلك مرويّاته الشعريّة مصدراً من مصادر الشعر الجاهليّ، لأنّها لم ترد في غير كتابه.

ويبدو عند الزّبير أيضاً علمٌ بالشعر والشعراء وحُسن اطّلاع على الروايات الشعريّة لغيره من رواة الشعر، وقد ظهر ذلك من خلال تصحيحه لبعض الروايات التي اطّلع عليها، ومن ذلك تصحيحه

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤١٩، وانظر تمام الخبر، ص: ٤٢٦-٤٢٨. وروى الأبيات أيضاً مُصعب الزُّبيريّ برواية مختلفة، وقد ذكرتُها في ترجمته.

(٢) جمهرة نسب قريش، ص: ٤٢٠. المُهْرَق: الصَّحيفة البيضاء يُكْتَبُ فيها، تُشَبَّهُ بها الصحراء الملساء التي لا أثر بها، كلمة فارسيّة معرّبة (انظر: لسان العرب: هَرَقَ).

(٣) جمهرة نسب قريش، ص: ٤٢٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص: ١٤-١٦.

(٥) انظر: جمهرة نسب قريش، ص: ١٦-١٨. وديوان الحطيئة بشرح ابن السِّكيت والسُّكّريّ والسِّجِستانيّ، تحقيق نعمان أمين طه، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م، ص: ٦، ٧، ١٦-١٨: "وقال يمدح بني سعد". وقد انفرَدَ الزُّبير برواية عشرة أبيات، إذْ لم أجد في ديوان الحطيئة غير خمسة أبيات من الأربعة عشر بيتاً التي رواها الزّبير، وهي البيت الخامس مع اختلافٍ في روايته، ثمّ البيت الحادي عشر إلى الثالث عشر، ورواية الزّبير لم يجدها المحقّق في شيء من الكتب التي بين يديه (انظر: جمهرة نسب قريش، ص: ١٦: الحاشية ٤).

(٦) انظر: جمهرة نسب قريش، ص: ١٨، ١٩ والحاشية (٥).

(٧) انظر على سبيل المثال: المصدر نفسه، ص: ١٤: الحاشية (٣)، ص: ١٨: الحاشية (٤)، ص: ٢٠ :الحاشيتين (١، ٤) ، ص: ٢١ : الحاشية (٢) ، ص: ٢٩ : الحاشية (١) ، ص: ٤٢٠ : الحاشية (١).

لصدر بيتٍ للحُطَيئة ورد خطأً، إذ قال: **"وحَدَّثنا موسى بن زهير بن مضرِّس بن منظور بن زبّان بن سيّار، قال: لم يَقُل الحطيئة:**

*** أتت آل شَمَّاس بن لأيٍ وإنّما ***

وإنّما قال:

أتت آل سَيّار بن عمروٍ وإنَّما أتاهُمْ بها الآباء والحَسَبُ العِدُّ
أولئك قومٌ لا يَسُدُّ مسدَّهُمْ شَريكٌ إذا عُدَّ المساعي ولا وَرْدُ"(١)

ثمّ قال: **"والذي عليه مَنْ رأيتُ من الرُّواة في قول الحطيئة:**

أتَتْ آل شَمَّاس بن لأْيٍ وإنَّما أتاهُمْ بها الآباءُ والحَسَبُ العِدُّ"(٢)

ويدلّ هذا على تَفوُّق الزُّبير بن بَكَّار على غيره من النسّابين في مراجعة الأشعار ومحاولة التوفيق بين الروايات الشعريّة المختلفة.

وأمّا ما أُثيرَ من شَكّ حول كتاب الزبير بن بكّار واستيلائه على كتاب عمّه مصعب الزُّبيريّ، فقد سبق أن بَيَّنْتُ في ترجمة الزّبير أنّه لم يعتمد على عمّه وحده في رواياته، إذ زاد على روايات عمّه تفصيلاً وإسهاباً، وإنّ في الرّجوع إلى ما قدَّمْتُ ما يغني عن الإعادة، وسأكتفي بالاستشهاد على ذلك بأبيات زيد بن عمرو بن نفيل التي رواها الزبير عن عمّه مصعب. وقال هذه الأبيات في تركه عبادة الأوثان وفراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك(٣)*، إذ قال الزُّبير:* **"وحدَّثني عمّي مُصْعَب بن عبد الله، عن الضَحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال، قال هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصّديق أنّها قالت: قال زيد بن عمرو** [من الوافر]**:**

عَزَلْتُ الجِنَّ والجِنَّانَ عَنّي كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أَدينُ ولا ابنَتيْها ولا أُطَمَيْ بني طَسْمٍ أُديرُ
ولا غَنْماً أدِينُ وكان رَبّاً لنا في الدَّهْرِ إذْ حِلْمي صَغيرُ
أَرَبّاً واحداً أم ألفَ رَبٍّ أَدينُ إذا تُقسِّمَتْ الأمورُ
ألَمْ تعلمْ بأنّ الله أفنى رجالاً كان شأنَهُمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ فيربو منهمُ الطّفلُ الصغيرُ

---

(١) جمهرة نسب قريش، ص: ٦. العِدُّ: هو الماء القديم الذي لا تنقطع مادّته، وقد جعله الشاعر صفة لحسَبهم القديم الذي لا ينقطع مجده (انظر: لسان العرب: عَدَّ. وجمهرة نسب قريش، ص: ٦، الحاشية ٤). "شَريك" و"وَرْد": قال الزُّبير: ابنا حذيفة بن بدر (الجمهرة، ص: ٦).

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧.

(٣) انظر: السّيرة النبويّة، ابن هشام، ٢٤١/١. وكتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٦٤. كان زيد بن عمرو ابن نُفَيل من الحُنَفاء كورقة بن نوفل. وهما من الذين رفضوا عبادة الأوثان. إذ ذكر أبو حبيب أنّه كان يتحنّف – أي يتعبّد – بِغار حِراء، ولا يأكل ما ذُبِحَ للأصنام، وأنّه كان نَديماً لورقة بن نَوفل بن أسَد بن عبد العُزّى (انظر: كتاب المحبَّر، ابن حَبيب، ١٧١/١. والمُنَّمق في أخبار قريش، ابن حَبيب، ص: ٣٦٥، ٤٢٢).

وبَيْنـــا المـــرءُ يَعْثُـــرُ ثـــابَ يومـــاً كمـــا يَتَـــرَوَّحُ الغُصْـــنُ المَطِيـــرُ"[١].

ومن الأدّلة على اختلاف رواية الزّبير عن رواية عمّه مصعب في الشعر، واهتمام الزُّبَير بسلامة المعنى التي تؤدّيها الألفاظ قول محقّق جمهرة نسب قريش محمود محمد شاكر في رواية البيت الثاني: ".. **إلّا أنَّه في كتاب المصعب جعل القافية "أَدينُ"، وهو خطأ، صوابه ما ههنا**"[٢]،أي" أُدِيرُ".

وتدلّ الأبيات السابقة على تبايُن واضح بين رواية الزّبير ورواية عَمّه مصعب ورواية غيرهما من الرُّواة – كما بَيَّنْتُ في الحاشية – سواءٌ أكان ذلك في عدد الأبيات أم في رواية بعضها، مما يدلّ على أنّ الزُّبَير لم يكن ناقلاً أو ناسخاً لما رواه عن عمّه من شعر، وأنّه قد تَلَقَّى الروايات عن عمّه بطريقة السَّماع، وفي ذلك دَفْعٌ لما اتُّهِمَ به من استيلائه على كتاب عمّه.

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤١٦، ٤١٧. وكتاب نسب قريش، ص: ٣٦٤، ٣٦٥: روى خمسة أبيات فقط: البيت الثاني، ثمّ من الرابع إلى آخر الأبيات مع اختلاف في رواية البيت الثاني: "أَدينُ" مكان "أُدِيرُ". البيت الرابع: "تَقَسَّمت" مكان "تُقَسِّمَتْ". وصدر البيت السابع: "رأينا المرءَ يَعثُرُ ذات يومٍ". وكتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٢٢: روى الثلاثة أبيات الأولى فقط، ونقلها عنه ياقوت الحمويّ في معجم البلدان، ١١٦/٤: صدر البيت الأوّل: "تركتُ اللَّاتَ والعُزّى جميعاً، عَجُز البيت الثاني: "ولا صَنَميْ بني عمروٍ أَزورُ". صدر البيت الثالث: "ولا هُبَلاً أزورُ وكان رَبّاً". والسّيرة النبويّة، ابن هشام، ٢٤١/١، ٢٤٢: روى اثني عشر بيتاً، بزيادة خمسة أبيات بروايةٍ وترتيبٍ مختلفين عن رواية الزّبير: صدر البيت الأوّل "عَزَلْتُ اللَّاتَ والعُزَّى جميعاً". عَجُز البيت الثاني: "ولا صَنَميْ بني عمروٍ أزورُ". صدر البيت الثالث: "ولا هُبَلاً أَدينُ وكان رَبّاً"، و"يَسيرُ" مكان "صَغيرُ". البيت الخامس:

بـــأنّ الله قـــد أفنـــى رِجـــالاً كثيـــراً كـــان شـــأنهُمُ الفُجـــورُ

البيت السادس: "فَيَرْبِلُ" مكان "فيربو" وهي بالمعنى ذاته. البيت السابع: "يَفْتُرُ" مكان "يَعْثَرُ". وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٤/٣، ٨٥: الأبيات كاملة، برواية موافقةٍ لرواية الزّبير مع اختلاف في رواية عَجُز البيت الثاني: "ولا صَنَمَي بني غَنْمٍ أَزورُ". البيت الثالث: "ولا هُبَلاً" مكان "ولا غَنْماً". البيت السابع: "النَّضِيرُ" مكان "المَطِيرُ". عَزَلْتُ: نَحيَّتُ. عنّي: عن نفسي. الجِنّان: جمع جانّ (بتشديد النون). العُزَّى: من أصنام العرب المشهورة. ابنتيها: لعلّه أراد اللّات ومَناة. الأُطُم: كل بيت مُربَّع مُسَطَّح، كأنّه بمعنى الوَثَن. طَسْم: من القبائل البائدة. غَنْم: من أصنام العرب أيضاً. ربا يربو: نما وزاد. ثابَ: رَجَع ونهض من عثرته وما أصابه من البَلاء. تروَّح الغُصْن: إذا تَفَطَّرَ بالورق قبل الشتاء من غير مطر، وذلك حين يبرد الليل، فيخرج ورقه من غير مَطَر (انظر: لسان العرب، ابن منظور: عَزَلَ، جَنَّ، أَطَمَ، رَبَا، ثابَ، رَوَحَ، مَطَرَ. وتاج العروس، الزَّبيديّ: طَسَمَ، غَنَمَ. وجمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤١٦، ٤١٧: الحواشي).

(٢) جمهرة نسب قريش، ص: ٤١٦: الحاشية (٣).

خُلاصَة الدِّراسة

بعد أن اكتملت صورة الموضوع في ذهني بما توافَر لي مِن معلومات نَسبيّة وأخبار وما اتّصل بها مِن أَشعار جاهليّة تدعم تلك المعلومات النَسبيّة والأخبار، فقد استقرَّت قناعتي على أنّ ذكر الأنساب قد اقترن بذكر علم النَّسَّابين بالشعر وروايته، ولكنّ الفترة الجاهليّة وصدر الإسلام والعصر الأمويّ لم أَحْظَ فيها إلاّ بالنَّزْر اليسير من الشعر الجاهليّ.

وقد دُوِّنَ كثير من أنساب عرب الجنوب (اليَمَن) حسب الرَّأي الشائع في النَّسَب بلا فَحْصٍ ولا تَحَرٍّ؛ وذلك لصعوبة المرّحلة والمشقّة في البحث والتحرّي مِنْ أنساب مَنْ كتبوا عنهم؛ ولذلك أُخِذَتْ أنسابهم مصادفةً من قبل علماء الأنساب الشماليّين. وقد فتح هذا أمام بعض المستشرقين مجالاً واسعاً للشّكِّ في أنساب بعض القبائل العربيّة خاصّة القديمة منها.

وقد وقع الاختلاف في أنساب بعض القبائل نتيجة هجرتها وعدم استقرارها في منطقة محدودة مما أوقع علماء الأنساب في اضطراب وحيرة كبيرين، وجعلهم يختلفون في أنسابها كما وقع الاختلاف في نسب "أنمار". وكذلك أثَّرت ظاهرتا الجماهير والأحلاف في وضع الأنساب عند العرب قبل الإسلام تأثيراً مباشراً، وأوقعتا بذلك خلطاً وإرباكاً واضحين لدى بعض علماء الأنساب الَّذين بذلوا جهوداً كبيرة في تتبُّع أنساب بعض القبائل العربيّة.

ويُشير أبو اليَقظان من خلال المعلومات النسبيّة التي يقدّمها إلى التحوُّلات القبليّة والتغيُّرات في خطوط الأنساب، خاصّةً في العصر الأُمويّ، وذلك بسبب الظروف السياسيّة التي مرَّتْ بها الدولة الأمويّة.

وتعامل علماء الأنساب مع الشعر كوثيقة تاريخيّة وأدبيّة داعمة للأخبار والأنساب، والدليل على ذلك قلّة عدد الأبيات التي استشهدوا بها في سياق ذكرهم للأخبار والأنساب، فلم يَرْووا قصائد أو مقطوعات طويلة إلاّ قليلاً كما نجد عند أبي اليقظان النسّابة وابن الكلبيّ، وإنمّا كانوا يكتفون بالاستشهاد بثلاثة أبيات وببيتين وببيت واحد وبنصف بيت في سبيل أن يذكروا معلومة نسبيّة أو خبراً من الأخبار؛ ومن هؤلاء العلماء ابن الكلبيّ الذي روى نصف بيت للمثقَّب العَبديّ، مستدلّاً بذلك على سبب تلقيبه بهذا اللَّقَب. فالشّعر المَروِيّ عن طريق علماء الأنساب قليل إذا ما قيس بالشعر المرويّ عن طريق العلماء الرواة، ومع ذلك انفردوا برواية أبيات لشعراء لم ترد في دواوينهم. وقد نصَّ علماء الأنساب على معرفتهم بأشعار كثيرة لمن رَوَوْا لهم من شعراء، ولكنّهم لم يثبتوها، مكتفين بالقليل منها، ومن ذلك قول ابن الكلبيّ: "فقيل في شعرٍ طويلٍ مِنْهُ" (النَّسب الكبير، ٣٨٣/٢)، ثُمَّ ذكر بيتاً واحداً.

وبذلك يمكن القول إنّ الشّعر الذي رواه علماء الأنساب يُعَدُّ مصدراً آخر من مصادر الشعر الجاهليّ.

ويمكن القول إنّ منهج علماء الأنساب في رواية الشعر الجاهليّ أقرب إلى منهج المؤرِّخين والجغرافيّين، وكانت غايتهم من رواية الشعر توثيق المعلومات النسبيّة التي يقدّمونها والأخبار التي

يسوقونها. ولم تكن غايتهم من وراء ذلك أيّ غرض نَحْويّ أو لُغَويّ أو أدبيّ كما هو الحال عند علماء النحو واللغة ورواة الشعر المعروفين، فلم يقصدوا الأشعار التي رَوَوْها لذاتها، وإنّما قصدوها كشاهد تاريخيّ للمعلومات النسَّبيّة والأخبار التي ذكروها؛ ولذلك فقد قلَّ اهتمام علماء الأنساب بالشعراء لصالح أشعارهم. ولم يُعْنُوا بتلك الأشعار كما عُنِيَ بها العلماء الرُّواة للشعر؛ ولذلك وقع التصحيف في بعض مرويّاتهم كما نجد عند أبي اليقظان النسَّابة وابن الكلبيّ وغيرهما؛ إذ وقع في بعضها أخطاء إملائيّة لا تتفّق والمعنى الذي يتطلّبه السِّياق الذي وردت في خلاله الأشعار، كما وقع في بعضها خلل في الوزن الشّعريّ، فقمتُ بتصويبها مشيراً إلى ذلك في الحواشي.

وقد يكون سبب وقوع تلك الأخطاء الإملائيّة والعروضيّة في الشّعر الّذي رواه علماء الأنساب يرجع إلى ضعف اهتمامهم بالشعر قياساً باهتمام العلماء والرُّواة، ولم تكن لهم دراية كافية بالشعر، إذ كانت غايتهم التوثيق التاريخيّ وحسب.

ووَجَدْتُ أنّ الحكم على بعض أبيات الشّعر الجاهليّ الّذي رواه علماء الأنساب بأنّها منحولة كان لا يخلو من تعصُّب لقبائلهم، ومن هؤلاء ابن الكلبيّ، في حين نجد الأمر مختلفاً عند علماء الأنساب المتأخّرين؛ إذ نلمس النُّضج في عِلْمِهم بالشّعر ونَحْله كما نجد عند مُصعب الزُّبيريّ الّذي أشار إلى أثر السّياسة في نحل الشّعر عندما ذَكَرَ بني أسد بن خُزَيمة الذين أحدثوا شعراً متقرّبين به إلى قوم من جند الشام لينالوا الحظوة بذلك عند خالد بن عبد الله القَسريّ الذي قَدِم أميراً إلى العراق.

وخَلَصْتُ إلى أنّ الشَّكَّ في الشّعر الّذي رواه علماء الأنساب لا يستقيم بغير دليل قويّ ورأي راجح. وقد تباينت آراء العلماء الرُّواة في صحّة الشّعر الّذي رواه علماء الأنساب؛ فنجد أبا الفرج الأصفهانيّ يشكُّ في شعر عبد الله بن الزِّبعرى، ويورد أخباراً تؤيّد أنّها غير صحيحة النِّسبة إليه، في حين أنّ ابن سلاّم الجُمحَيّ وأبا العلاء المعرّيّ أثبتاها لابن الزِّبَعرى مُوَافِقَيْنِ بذلك رأي ابن الكلبيّ ومُصعب الزُّبيريّ.

القسم الثّاني
جمع الشِّعر الَّذي رواه علماء الأنساب

هذا هو القسم الثاني من الرسالة، وقد جَمَعْتُ فيه ما استطعتُ من الشِّعر الذي رواه علماء الأنساب. وهؤلاء العلماء صِنْفَان:

الأوّل منهما: المتقدّمون الّذين لم يؤلِّفوا والّذين لم تصل إلينا مؤلَّفات مَن أَلَّف منهم. وقد جاءت مرويّاتهم الشعريّة متناثرة في تضاعيف بعض كتب الأدب والتاريخ والأنساب، وهم: أبو بكر الصِّدّيق ومحمّد بن السائب الكلبيّ وأبو اليقظان النسّابة. فأمّا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فقد حُفِظ علمه في النسّب وما اتّصل به من الأخبار والأشعار في صدور الرُّواة، وكذلك محمّد بن السائب الكلبيّ الّذي رُوِيَ عنه ولم يؤلّف في النسَّب كما ذكر ابن حجر العَسقلانيّ. وأما أبو اليقظان النَّسَّابة فقد ضاعت مصنَّفاته في الأنساب وما حوته من أخبار وأنساب.

والصِّنف الثّاني من هؤلاء العلماء فهم أصحاب المصنّفات، وقد أَثْبَتُّ مرويّاتهم الشعريّة من مُصَنَّفَاتهم مباشرةً فضلًا عمّا تناثر من مرويّاتهم في كتب الأدب والتاريخ والأنساب والبلدان وبعض الدّواوين والمجموعات الشعريّة، وهؤلاء العلماء هم: مؤرِّج السدوسيّ، وابن الكلبيّ، ومصعب الزُّبيريّ، والزُّبير بن بكّار.

وقد رتَّبْتُ علماء الأنساب تاريخيًّا مبتدئًا بأبي بكر الصدّيق في العصر الجاهليّ وصدر الإسلام، ومُنْتَهيًا بالزُّبير بن بكّار في العصر العبّاسيّ.

وقد قابَلْتُ في الحواشي المصادر بعضها ببعض، وقُمْتُ بتصويب ما اشتملت عليه بعض مرويّات النَّسَّابين من تصحيف وتحريف وخلل في الوزن الشعريّ، مقابلًا مرويّاتهم بمرويّات غيرهم في المصادر الأخرى السليمة، ومُشيرًا إلى الصحيح منا.

ومَيَّزْتُ المصادر التي أَثْبَتَتْ المرويّات الشّعريّة لعلماء الأنساب من المصادر الأخرى التي لم تنصّ على أنّها من مرويّاتهم الشعريّة بخط كوفيّ غامق، ثمّ شرحت مفردات الأبيات، مُختارًا الأقرب منها إلى السّياق، وعَرَّفْتُ بالأعلام والأمكنة والبلدان والأيام التي ذكرها الشّعراء، مستعيناً بالسّياق التاريخيّ في تحديد زمن بعض الأشعار المرويّة خاصَّة المغمور أصحابها.

أبو بكر الصِّدِّيق

ذكر الميدانـيّ أنّ الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– كان يحفظ خطبة قُسّ بن ساعدة الإياديّ، ولم يكن يحفظ أبيات الشعر المُلْحقَة بها، ولكنّ أبا بكر الصديق كان يحفظ ذلك الشعر، وقد أنشده للرسول صلّى الله عليه وسلّم [من مجزوء الكامل][1]:

فـــي الـــذَّاهبين الأوّلـــينَ ... مِـــن القـــرون لنـــا بَصـــائِرْ
لمّـــا رأيـــتُ مَـــوارِدا ... للمـــوت لـــيس لهـــا مصـــادِرْ
ورأيـــتُ قـــومي نحوهـــا ... يســـعى الأصـــاغرُ والأكـــابِرْ
لا يرجـــع الماضـــي إلَـــي ... يَ ولا مِـــن البـــاقين غـــابِرْ
أيقنـــتُ أنّـــي لا مَحـــا ... لـــةَ حيـــثُ صـــار القـــوم صـــائِرْ

وممّا رواه أبو بكر الصدّيق بيتان من الشعر لطُفيل الغنويّ إذ ذُكر أنّه: **" قال يوماً للأنصار: زادكم الله عنّا يا معشر الأنصار خَيراً، فما مِثْلُنا ومِثْلُكم إلّا كما قال طُفيل الغَنَويّ [من الطويل]:**

جَزى الله عنّا جعفراً حين أَزلَقتْ ... بنـا نَعلُنـا فـي الـواطِئين فزَلَّـتِ
أبَـوْا أنْ يَمَلُّونـا ولـو أنّ أُمَّنـا ... تُلاقـي الـذي يَلَقْـونَ مِنّا لَمَلَّـتِ"[2]

---

(١) **مجمع الأمثال، الميدانيّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنّة المحمّدية، ١٩٥٥م، ١١١/١ (أبلغ من قُسّ).**

البداية والنهاية، ابن كثير، م١، ٢١٤/٢، ٢١٥: البيت الثالث: "يمضي" مكان "يسعى". والبيت الرابع:
لا مَـنْ مَضـى يـأتي إليـ ... ـكَ ولا .....
البيان والتبيين، الجاحظ، ٣٠٩/١: "روى الأبيات بعض أهل الأخبار": البيت الثالث: "يمضي" مكان "يسعى". والبيت الرابع:
لا يرجـــع الماضـــي ولا ... يَبقـــى مـــن البـــاقين غـــابِر

(٢) **ديوان طفيل الغَنَويّ، شرح الأصمعيّ، تحقيق حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص: ١٣٠.**

ذكر المحقّق أنّ هذين البيتين مع ثلاثة أبيات أخرى هي ممّا رُوِيَ لطُفيل وليس في ديوانه. وديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص: ٩٨ (تلاقي الذي لاقَوْه مِنّا لملَّتِ). وذكر المُحقِّق أنّ هذه الأبيات نُسِبت إلى طُفيل، ونقلها المُحقِّق مِن كتب مختلفة (ص: ٩٤)، ومع ذلك أَثْبَتُّها لِطُفَيل لورودها في ديوانه تحقيق كرنكو المنشور في سنة ١٩٢٧ في لندن – ولم أعثر عليه – كما أشارت إلى ذلك المصادر التالية: كتاب الوَحشيّات" الحَماسة الصَّغرى"، أبو تَمّام حبيب بن أوس الطائي، عَلّق عليه وحَقّقه عبد العزيز الميمنيّ الراجكُوتيّ وزاده في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص: ٢٥١.
فُتوح البُلدان، البلاذُريّ، ٣١/١: (جزى الله عنّا جعفراً حين أُزلِقَتْ ... بنا نَعلُنا في الوَطأتينِ فَزلَّتِ).
وأدب الكُتّاب، أبو بكر محمّد بن يحيى الصّوليّ، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بَهجة الأثريّ، ونَظر فيه علّامة العراق محمود شكري الألوسيّ، بغداد، ١٣٤١هـ، ١٩٠/٢: (ولو كانت أُمَّنا).
ونَشوة الطَّرب في تاريخ جاهليّة العرب، ابن سعيد الأندلسيّ، ص: ٥٧، ٥٨: (تُقاسيه ما قاسَوْه منّا لملَّتِ).

وذكر ابن عَساكر أنّ أبا بكر الصدّيق خرج قبل مبعث النبيّ محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– إلى اليمن، وأنّه لقي هناك شيخاً عالماً من الأَزْد، ثمّ حَمَّله أبياتاً مِن الشعر قالها في النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك الأبيات دليلاً على صدق دعوة النبيّ، وسبباً في إسلام أبي بكر الصدّيق، وذلك لأنّ الوحي أخبر النبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– كما ذكر، قبل أن يبلّغه بها أبو بكر، إذْ قال: "**يا أبا بكر، إنّي رسول الله إليك وإلى الناس كلّهم، فآمِنْ بالله، فقلتُ: وما دليلك على ذلك، قال: الشيخ الذي لقيتَه باليمن، فقلت: وكم مِنْ مشايخ لَقيتُ باليمن، وأمرتُ وأخذتُ وأعطيتُ، قال: الشيخ الذي أفادك الأبيات، قلتُ، ومنْ أخبرك بهذا يا حبيبي، قال: الملك العظيم الذي يأتي الأنبياء قبل، قلتُ: مُدَّ يَدك، فأنا أشهدُ أنّ لا إله إلا الله وأنت رسول الله**"(١). والأبيات كما أوردها ابن عساكر ثلاثة عشر بيتاً، واكتفى النُّويريّ بذكر اثني عشر بيتاً. وقد اعتمدت على كتاب النُّويريّ مصدرًا رئيسيًّا للشّعر الذي رواه أبو بكر؛ وذلك لأنّه أكثر دقَّةً من كتاب ابن عساكر من حيث قلّة الخطأ والتَّصحيف والتحريف في أبيات الشعر؛ إذْ ذكر النُّويريّ: "**ومنه ما رُوي أَنّ عبد الله بن مسعود كان يُحَدِّث عن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنهما، قال: خرجت إلى اليمن في تجارة قبل أن يُبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فنزلت على شيخ من الأَزْد عالم .... ، ثمّ أَتَيْتُ الشّيخ لأُودّعه، فقال: أحاملٌ أنت مِنّي أنباءً إلى ذلك النبيّ، قلت نعم، فانشأ يقول** [من الطويل]:

ألـم تـرَ أنّـي قـد سَـئِمْتُ مَعاشِـري ... ونفسي وقد أصبحتُ في الحَيّ راهِنا
حَيِيـتُ وفـي الأَيَّـام للمـرءِ عِبـرةٌ ... ثـلاثَ مئـينَ ثُـمَّ تسـعينَ آمِنـا
وصـاحَبتُ أحبـارًا أَنـاروا بعلمِهـم ... غياهِـبَ جَهـلٍ مـا تَـرى فيـه طابِنـا
وكـم راهـب فـوق عنشـبيل قـائمٍ ... لَقِيتُ ومـا غادرتُ فـي البحث كاهِنا
وكلُّهـم لمـا تعطَّشـتُ قـال لـي ... بـأن نَبيًّـا سـوف تلقَـاه دائِنـا
بمكـةَ والأوثـانُ فيهـا عزيـزةٌ ... فَيَرْكُسَـها حتـى تراهـا كَوامِنـا
فمـا زلـتُ أدعـو الله فـي كُـلِّ حاضـرٍ ... حَلَلـتُ بـه سِـرًا وجهـرًا مُعالِنـا
وقـد خَمَـدَتْ منِّـي شـرارة قُـوّتي ... وأُلفيـتُ شـيخًا لا أُطيـق الشَّـواجنا
وأنـتَ وربِّ البيـتِ تلقَـى مُحمَّـدًا ... بعامِـك هـذا قـد أقـام البَراهنـا

(١) تاريخ دمشق الكبير، م١٦، ٢٢/٣٢.

فحـــيّ رســـولَ الله عنّـــي فـــإنّني علـــى دينـــهِ أحيَـــا وإن كنـــتُ واهنـــا

فيـــا ليتَنـــي أدركتُـــه فـــي شَـــبِيبتي فكنـــتُ لـــه عبـــدًا وإلَّا العُجَاهِنـــا

عليـــه ســـلامُ الله مـــا ذَرَّ شـــارِقٌ تـــألّق هنَّافًـــا مـــن النُّـــور هَافِنـــا[1]

(١) **نهاية الأَرَب في فنون الأدب، النُّويريّ، ١٤٥/١٦-١٤٧.**

راهِنا: مُقيمًا ثابتًا. طابنًا: عازماً بالشَّيء. عنشبيل: هكذا وردت، ولم أجد لها معنىً. يركُسُها: من الرَّكسْ، وهو ردّ الشيء مقلوبًا وقَلْبُه على رأسه، أو رَدّ أوّله على آخره. كوامِنا: الكَوامِن: جمع كامِن، وهو المُختفي المُتواري عن الأنظار. الشَّواجِن: الطرّق المتداخلة المُتخالفة؛ "أي لا أطيق السَّير في هذه الأرض". واهنا: ضعيفًا. العُجاهِن: الخادم. ما ذَرَّ شارِقٌ: الشَّارق: قرن الشمس، أي ما طلع الشَّرْق، وهو الشمس. هَنَّافًا: صيغة مبالغة من الفعل (هَنَفَ)، والهُنوف والهِناف: ضَحِكٌ فوق التبسُّم، وخَصَّ بعضهم به ضَحِك النّساء. هافِنا: "وفي خير البشر ص٦٢: وقوله: هافنا هو الضعيف. ولم أجد في معاجم اللغة ما يؤيّده، ولعلّها: آفِنا" (نهاية الأرب في فنون الأدب، النُّويريّ، ١٤٧/١٦: الحاشية. ولسان العرب: ابن منظور: رَكَسَ، كَمِنَ وكَمَنَ، شَرَقَ، هَنَفَ).

محمّد بن السّائب الكلبيّ

ذَكَرَ القالي عن رواته عن الكلبيّ أنّ مَرْثَد الخير بن يَنكَف بن نوف بن مَعدِي كرب بن مُضحي كان قَيْلاً، وكان مُحبّاً لعشيرته حريصاً على صلاحهم، وكان قد تنازع الشرف سُبيع بن الحارث أخو عَلَس، وعَلَس هو ذو جَدَن – ومِيثَم بن مَثوب بن ذي رُعَيْن، حتى تنازعا وخِيفَ أن يقع بين حَيَّيهما شرّ وقتال؛ فيفنى أصلاهما، فأرسل إليهما مَرثد الخير يطلبهما ليصلح بينهما(١)، إذ يقول: "وحدَّثَنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا السَّكَن بن سعيد الجُرموزيّ عن محمّد بن عبّاد عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: كان مَرْثَد الخير بن يَنْكَف قَيْلاً .. فقال لهما : **"إنّ التخبُّط وامتطاء الهَجاج، واستحقاب اللَّجاج، سيقفكما على شفا هُوّة في تَوَرُّدها بَوار الأَصيلة، وانقطاع الوسيلة، فتلافيَا أمركما قبل انتكاث العَهد، وانحلال العَقد، وتشتُّت الأُلفة، وتباين السُّهمة، وأنتما في فُسحة رافهة، وقدم واطدة، والمودّة مُثْرِية، والبُقيا مُعْرِضة، فقد عرفتم أنباء مَنْ كان قبلكم من العرب مِمَّن عصى النَّصيح، وخالف الرشيد، وأَصغى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سَعيهم، وكيف كان صَيّور أُمورِهم، فَتَلَافَوْا القَرحة قبل تفاقم الشَّأي واستفحال الداء، وإعواز الدواء، فإنّه إذا سُفِكَت الدماء، استحكَمَتْ الشَّحناء، وإذا استحكمت الشَّحناء، تقضَّبتْ عُرَى الإبقاء وشمِل البلاء.**

فقال سُبَيع، أيُّها الملك، إنّ عداوة بني العَلاَّت لا تُبرئها الأُساة، ولا تشفيها الرُّقاة، ولا تستقلّ بها الكُفَاة. والحسد الكامن هو الداء الباطن، وقد علم بنو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا، وغَيثٌ إذا أجدبوا، وعَضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَعٌ إذا نُكِبوا، وإنّا وإياهم كما قال الأولّ (أوس بن حجر) [من الطويل]:

إذا ما عُلُوا قالوا: أبونا وأُمُّنا ولـيس لهم عالِينَ أمٌّ ولا أَبُ

فقال مِيثم: أيّها الملك، إنّ مَنْ نَفِسَ على ابن أبيه الزَّعامةَ، وجَدَبه في المَقامة، واستكثر له قليل الكرامة، كان قَرِفاً بالملامة، ومؤنّباً على ترك الاستقامة، وإنّا – والله – ما نعتدُّ لهم بيد إلاّ وقد نالهم منّا كِفاؤها، ولا نذكر لهم حسنة إلاّ وقد تطلعّ منّا إليهم جَزاؤها، ولا يتفيَّأ لهم علينا ظِلُّ نعمه إلاّ وقد قوبلوا بشَرواها، ونحن بَنُو فَحلٍ مُقْرَمٍ لم تقعدْ بنا الأمّهات ولا بهم، ولم تَنْزِعنا أعراق السّوء ولا إيّاهم، فعلامَ مَطّ الخُدود، وخَزَر العيون، والجَخيف والتصعُّر، والبَأو والتكبُّر؟ ألكثرة عَدَد، أم لفضل جَلَد، أم لطول مُعْتَقد؟ وإنّا وإيّاهم لكما قال الأول (ذو الإصبع العدوانيّ) [من البسيط]:

لاهِ ابنُ عمّك لا أفْضَلْتَ في حَسَبٍ عنّي ولا أنت دَيَّاني فتَخزوني

ومقاطع الأمور ثلاثة: حرب مُبيرة، أو سَلمٌ قريرة، أو مُدَاجاة وغَفيرة.

---

(١) انظر: كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، (مصوّر عن طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط٢، ١٩٢٦م)، مركز الموسوعات العالميّة، بيروت، ٩٢/١، ٩٣.

فقال الملك: لا تُنشِطوا عُقُلَ الشّوارد، ولا تُلْقِحُوا العُون القواعد، ولا تُؤَرِّثوا نيران الأحقاد، ففيها المَتْلَفةُ المُستأصِلة والجائحةُ والأَلِيلة، وعَفُّوا بالحلم أبلادَ الكَلْم. وأَنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأَقْصَد، فإنّ الحرب تُقْبِلُ بزِبرِج الغُرور، وتُدْبِرُ بالوَيْل والثُّبور، ثم قال الملك [من الطويل]:

ألا هل أتى الأقوامَ بذلي نصيحةً حَبَوْتُ بها مِنّي سُبَيْعاً ومِيثَما

فقالا: لا أيّها الملك، بل نقبل نُصْحَك، ونطيع أمرك، ونُطفئ النَّائرة، ونَحُلُّ الضَّغائن، ونَثوبُ إلى السَّلم"(١).

---

(١) كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٩٣،٩٢/١.

ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م، ص: ٨. وديوان ذي الإصبَع العدواني، جمعه وحقّقه عبد الوهّاب محمد علي العدوانيّ، ومحمد نائف الدُّلَيميّ، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٣م، ص: ٨٩.

القَيْل: من ملوك اليمن في الجاهليّة، وهو الذي دون الملك الأعظم، وجمعه: أقيال. التَّخَبُّط: "وقال أبو بكر: التخبُّط: ركوب الرّجل رأسه في الشرّ خاصّة، ولم أسمع هذه الكلمة من غيره". الهَجاج: يقال ركب الرجل هَجاجه: إذا لجَّ ومَحِك. استحقاب اللَّجاج: يريد أنّه احتزم باللَّجاج، أو جعله في وعائه. الهُوّة: الحُفرة البعيدة القَعر. البَوار: الهلاك. الأَصيلة والأصل واحد. الانتكاث: الانتقاض. السُّهمة: القرابة. رافِهة : ناعمة ، من الرَّفاهية. واطدة: ثابتة. مُثْرِيَة: متّصلة؛ مأخوذة من الثَّرى، وهو التراب النديّ. البُقيا. الإبقاء. مُعْرِضة: ممكنة. الصَّيُّور. الأمر الذي يُرجع إليه. القَرحة: واحدة القَرْح والقُروح، وهي الجروح. والقَرْح البَثْر (خُرَّاج صِغار) إذا ترامى إلى فساد. الثَّأْي: الحزم أو الضَّعف. استفحال الدّاء: اشتداده. تقضَّبت: تقطّعت. شَمِل البلاء: عَمَّ.

بنو العَلّات: هم بنو رجل واحد مِنْ أمّهات شتّى، الإخوة لأب، ويقابلهم بنو الأخياف، وهم بنو الأمّ الواحدة من آباء شتّى، الإخوة لأُم. الأُساة: الأطباء، واحدهم آسٍ. الرِّدْء: العَون. الزَّعامة: الرِّياسة. حَدَبه: عابه. المَقَامَة: المجلس.

قَرِفاً: خليقاً. شَرواها: مِثْلُها. المَطّ والمَدّ والمَتّ: بمعنى واحد. الخَزَر: أن ينظر الرجل إلى أحد عُرضيه، أي بمؤخّر عينه. الجَخِيف والتصعُّر والبَأو بمعنى واحد، وهو التكبُّر. الديَّان: القائم بالأمر. تخزوني: تقهرني وتسوسني. مُبيرة: مُهلكة. مُداجاة: مُساتَرة، قال الأصمعيّ: دجا الليل يدجو، إذا ألبس كلّ شيء.

غَفيرة: أي غُفران. لا تُنْشِطوا: لا تَحُلُّوا. العُقُل: جمع عِقال، وهو الحبل الذي يعقل به البعير. شَرَد البعير: نَفَر واستعصى. قوله: "ولا تُلقِحُوا العُون" إنّما هو مثل، وأصله في الإبل، يُقال: لَقِحَت الناقة، إذا حملت، وألقحها الفَحل، ثم ضرب ذلك مثلاً للحرب إذا ابتدأت. والعُون : جمع عَوان ، وهي الثَّيِّب ، يقال للحرب: عَوان، إذا كان قد قُوتل فيها مرّة بعد مرّة. تُؤَرِّثوا: تُذكوا وتُهيجّوا.

الجائحة: الاستئصال. الأَلِيلة: الثُّكْل. أبلاد: آثار. الكَلْم: الجرح. الزِّبرِج: السّحاب الرقيق فيه حُمرة. نأرت نائرة في النّاس: هاجت هائجة (كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٩٣/١-٩٨. ولسان العرب: قَيَل، هَوَى، بَقِيَ، قَرِحَ، ثَئِيَ وثَأَى، عَلَّ، خَيِفَ، دانَ، بارَ، نَشَطَ، عَقَلَ، شَرَدَ، كَلَمَ، زَبْرَجَ).

أبو اليَقْظان النَّسَّابة

قال البلاذُريّ: "قال أبو اليقظان: من غَنِيّ: كعب بن سعد الشاعر الذي يقول في مرثيّته لأخيه التي أوّلها ... (الأبيات) " [١]، وقد روى أبو اليقظان قصيدة كعب بن سعد الغنويّ في رثاء أخيه أبي المِغوار، وهي [من الطويل]: [٢]

١- **تقولُ سُلَيمى ما لجِسمكَ شاحباً كأنَّكَ يحميكَ الشَّرابَ طبيبُ**

٢- **فقلت تباريح تَحز من اخوتي وشَيَّبْنَ رأسي والخُطوب تُشيبُ**

---

(١) **كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، ٣٥٩/١٣.**

(٢) **المصدر نفسه، ٣٥٩/١٣، ٣٦٠.**

واسم المرثيّ في أصحّ الأقوال "هَرِم"؛ إذْ يقول القالي: "والمرثيّ بهذه القصيدة يكنّى أبا المغوار، واسمه هَرِم، وبعضهم يقول اسمه شبيب، ويحتجُّ ببيت رُوي في هذه القصيدة: * أقام فخلَّى الظاعنين شَبيبُ * وهذا البيت مصنوع (كتاب الأمالي، ١٤٤/٢).

وانظر تخريج القصيدة في: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القُرشيّ، ٧٠١/٢-٧١٠ لمحمّد بن كعب بن سعد الغنويّ، وفي سائر المصادر التي ترجمت له أو رَوتْ شيئاً من شعره اسمه "كعب بن سعد الغَنويّ" (الجمهرة، ٧٠١/٢: الحاشية ١): (٥٠) خمسون بيتاً. والأصمعيّات، الأصمعيّ، ص:٩٥-١٠٠: (٤٥) خمسة وأربعون بيتاً، وقد جعلها في قِسْمَيْن: الأول لكعب ابن سعد الغنويّ، والثاني لِغُرَيْقَةَ بن مُسافِع العَبسيّ، ولكنَّ محقّقي الأصمعيّات قالا في القسم الثاني: "والقصيدة قصيدة كعب بن سعد الغنويّ يقيناً، كما بيّنا في الكلام على القصيدة السابقة ٢٥". (الأصمعيّات، ص: ٩٨: الحاشية). ومجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م، ١٤٠/١: البيت الأول فقط. والعقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٤٢٦/٢، ٤٢٧: (١٩) تسعة عشر بيتاً. وكتاب الأمالي. أبو عليّ القالي، ١٤٥/٢-١٤٧: (٤٨) ثمانية وأربعون بيتاً. وديوان المعاني، أبو هلال العسكريّ، ١٧٨/٢، ١٧٩: (١٠) عشرة أبيات. وكتاب الحماسة البَصْرية، البَصْريّ، تحقيق وشرح ودراسة عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٦٨٣/٢-٦٨٦: (٣٢) اثنان وثلاثون بيتاً: "وقال كَعْب بن سعد بن عُقبة الغَنَويّ، جاهليّ" (٦٨٣/٢). وخزانة الأدب، البَغداديّ، ٤٣٤/١٠-٤٣٦: (٣٤) أربعة وثلاثون بيتاً، ثم قال بعد أن أوردها: "وهذا آخر القصيدة، وحَذَفْتُ منها أبياتاً كثيراً" (٤٣٦/١٠).

١- في العقد الفريد والأمالي والحماسة البصرية: "الطَّعامَ" مكان "الشَّرابَ". والبيت غير موجود في ديوان المعاني. يَحميك الشَّرابَ: يمنعك عنه. ونلمح في هذا البيت تأثرّ أبي ذُؤيب في مَرْثِيَّته التي قالها في أبنائه الذين قَضَوْا كلّهم في عام واحد بِمَرْثِيَّة كعب لأخيه، إذ يقول أبو ذُؤيب [من الكامل]:

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذُ ابتُذِلْتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ

(ديوان الهُذَليّين، ٢/١)

٣- فـإنْ تكُـنْ الأيّـام أَحْسَـنَّ مَـرَّةً إلـيّ فقـد عـادت لَهُـنّ ذُنـوبُ

٤- أتـى دونَ حُلْـوِ العـيشِ حتّـى أَمَرَّهُ نُكـوبٌ علـى آثـارهنّ تَنُـوبُ

٥- لقـد كـان أمـا حِلْمُـه فمَـزوجٌ علينـا وأمّـا جهلُـه فعَزيـبُ

٦- وقـد كـان يكفينـي وكـان يُعيننـي علـى نائبـات الـدهر حـين تَنـوبُ

٧- أخـي مـا أخـي لا فـاحِشٌ عند بيتـه ولا وَرَعٌ عنـد اللقـاء هَيُـوبُ

٨- حَليمٌ إذا مـا سَورة الجهـل أَطْلَقَتْ حَبَـا الشـيبِ للـنفس اللَّجـوج غَلُـوبُ

٩- هَوتْ أمُّـه مـا تبعثُ الصُّبْحَ غاديـا ومـاذا يـؤدّي الليـل حـين يـؤوبُ

٢- "فقلت تباريح تَحز من اخوتي" فيه تصحيف، وصوابه ما جاء في الحماسة البصرية: "تتابعُ أحداثٍ تَخرَّمْنَ إخوتي". وفي العقد الفريد:

فَقُلْتُ شُجونٌ من خُطوبٍ تَتابَعَتْ عليّ كِبارٌ والزَّمانُ يَريبُ

وفي كتاب الأمالي: "تَتابَعَ أحداثٌ" مكان "تَتَابُعُ أحداثٍ". والبيت غير موجود في جمهرة أشعار العرب وديوان المعاني. تَخرَّمْنَ: اقتطعنَ واستأصَلْنَ.

٤- "نُكوبُ" مكان "تَنُوبُ" في: الأصمعيّات والحماسة البصريّة وديوان المعاني. والبيت غير موجود في: جمهرة أشعار العرب وكتاب الأمالي وخزانة الأدب.

أمَرَّه: جعله مُرّاً. نُكوب: جمع نَكْب، والنَّكْبُ والنَّكْبَةُ بمعنى واحد.

٥- "لقد كان أما حلمه فمزوج" فيه تصحيف، وصوابه: "لقد كان أمّا حلمه فَمُروَّحٌ" كما جاء في: الأصمعيّات وجمهرة أشعار العرب، وفي بقية المصادر مع اختلاف بسيط في رواية الصدر والعَجُز: في الحماسة البصريّة: "وقورٌ فأمّا حِلمُه فَمُروَّحٌ". وفي الجمهرة: "عَليَّ" مكان "عَلينا"، "فَعَزوبُ" مكان "فَعَزيبُ". وفي الأصمعيّات: "عليّ" مكان "عَلَينا". وفي الأمالي: "وقد كان" مكان "لَقد كان". والبيت غير موجود في العقد الفريد.

مُرَوَّح: من الرَّوَاح. عَزيب: بعيد.

٦- في الجمهرة والأصمعيّات والأَمالي وخزانة الأدب: "أخي" مكان "وَقَدْ". والبيت غير موجود في بقيّة المصادر.

٧- في الجمهرة: "رِيبَةِ" مكان "بَيْتِهِ". والبيت غير موجود في ديوان المعاني. نائبات الدَّهر: مصائبه. الوَرَع: الجَبان.

٨- "حُبَى الشِّيبِ" مكان "حَبَا الشيب" في الحماسة البصريّة والأصمعيّات وكتاب الأمالي. وفي الجمهرة والأمالي والحماسة وخزانة الأدب:

حَليمٌ إذا ما سَوْرَةُ الجهلِ أُطْلِقَتْ حَيِيٌّ إذا النَّفْسُ اللَّجوجُ غَلُوبُ

والبيت غير موجود في بقيّة المصادر. سَورَة الجَهل: حِدّته. الحُبَى: جمع حُبْوَة، بضمّ الحاء وكسرها، وهي الثّوب الذي يُحْتَبى به، واحتَبى الرّجل احتباءً: جَمَع ظهره وساقَيْه بعِمامته، وقد يَحْتَبي بيديه. يُقال: حَلَّ حُبْوَته وحِبوته (لسان العرب: حَبَا). وإنّما خَصَّ حُبَى الشِّيب لأنّهم أكثر وَقاراً، وحَلّ الحُبى دلالة على الاستعداد للشرّ والحرب. اللَّجوج: المُتمادِيَة، وتُقال للذّكر والأنثى.

١٠- أخو شَتَواتٍ يعلم الصيف أنّه سَيَكْثُرُ ما في قِدْرِهِ ويَطيبُ

١١- حَليفُ النَّدى يدعو الندى فيُجيبه قريباً ويدعوه النّدى فيُجيبُ

١٢- إذا شَهِدَ الأيسارُ أو غاب بَعْضُهمْ كفى ذاك وضّاحُ الجبين أريبُ

١٣- فتىً أَرْيَحِيٌّ كان يهتزُّ للنّدى كما اهتزّ مِن ماء الحديد قَضيبُ

١٤- فلو كان مَيْتٌ يُفتدى لفَدَيْتُه ما لم تكن عنه النُّفوسُ تطيبُ

٩- في الجمهرة:

هَوتْ أمُّه ما يبعثُ الصُّبْحُ غادياً وماذا يُواري اللّيلُ حين يؤوبُ

وفي الأصمعيّات وديوان المعاني والحماسة البَصريّة: "ما يبعثُ الصُّبْحُ"

وفي العقد الفريد والأمالي وخزانة الأدب: "ما يبعثُ الصُّبْحُ"، "يَرُدُّ" مكان "يُؤدّي". هوت أمّه: هَلَكت، أو معناه: ثكلتهُ أمّه. قال البغداديّ: "والمراد ليس الدُّعاء بالوقوع، بل التعجُّب والمدح، كقولهم: قاتله الله ما أَفْصَحَهُ! يعني أنّه مستحقٌّ لأن يُحسد ويُدعى عليه بالهلاك" (خزانة الأدب، ٤٣٦/١٠، ٤٣٧). وإنما خصّ هذين الوقتين (الصباح والمساء) لأنّهما وقت الغارة ووقت طروق الضِّيفان (حركة الشعر في قبيلة غَنِي، داود غطاشة، ص: ٤٩١. الحاشية).

١٠- "الصيف" تصحيف، والصّواب: "الضَّيْفُ". كما جاء في الحماسة البصريّة والأصمعيّات وكتاب الأمالي. وفي الأمالي: "يعلمَ الحيُّ". وفي الحماسة البصريّة: "يعلمُ الحيُّ"، والبيت غير موجود في بقيّة المصادر. "العرب تكنّي بالشَّتَوات عن المجاعات والشّدائد، لأنّها أكثر ما تكون عندهم في الشّتاء" (الأصمعيّات، ص: ٩٦: الحاشية ٧).

١١- في الجمهرة: "سَريعاً" مكان "قريباً". والبيت غير موجود في: الأصمعيّات والعِقد الفريد. النَّدى: الكرم.

١٢- في الجمهرة:

فإن غابَ عنهم غائبٌ أو تخاذلوا كَفَى ذاكَ منهُ والجَنابُ خَصيبُ

وفي الأصمعيّات: "إذا نزلَ الأضيافُ أو غِبْتَ عنهمُ". وفي كتاب الأمالي: "نَجيبُ" مكان "أريبُ"، وفي رواية أخرى:

وإن شَهدوا أو غابَ بعضُ كفَى القومَ وضَّاحُ الجبين أريبُ

والبيت غير موجود في بقيّة المصادر. الأيسار: جمع الياسر، وهو الذي يلي قِسمة الجَزور في المَيسِر، أو اللاّعب بالقِداح في المَيسر. الأريب: العاقل.

١٣- في الأصمعيات: "أَرَيحيّاً". وفي الأمالي والحماسة البصريّة: العَجُز: "كما اهتزَّ ماضي الشَّفْرَتَيْنِ قَضيبُ". وفي ديوان المعاني: "كيفَ" مكان "كان". والبيت غير موجود في العقد الفريد. الأريَحيّ: الواسع الخُلق المُنبسط إلى المعروف، والنّصب فيها على المدح، أو على أنّه خبر "كان" مقدّم (الأصمعيات، ص: ٩٧: الحاشية ١٨). القَضيب: السيف القاطع.

١٥- وداعٍ دعا مَنْ ذا يجيب إلى النّدى فلم يَستجبْ عند الدعاء مُجِيبُ

١٦- فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت مرّة لعلّ أبا المِغوار منك قريبُ

١٧- يُجِيبُ كما قد كان يفعل مرّةً لأمثالها رحب الذِّراعِ طَلوبُ

١٨- ترى عَرَصاتِ الحيّ غُبْراً كأنّها إذا غاب لم يَحْلُلْ بهنّ غريبُ

١٩- وأعلمُ أنّ الباقيَ الحيَّ ينتهي إلى أجلٍ أقصى مداه قريبُ

١٤- في: الأصمعيّات والحماسة البصريّة وكتاب الأمالي والجمهرة: "بما لم تكن" وهذا أضبط للوزن. وفي الجمهرة والعِقد الفريد: "فلو كانت الموتى تُباعُ اشتريتُه". وفي الأمالي والحماسة البصريّة: "حَيٌّ" مكان "مَيْتٌ". وفي الخزانة: "ولَوْ" مكان فَلَوْ"، "حيٌّ" مكان "مَيْتٌ". والبيت غير موجود في ديوان المعاني.

١٥- في الجمهرة:

وداعٍ دَعا هَلْ مِنْ مُجيبٍ إلى النَّدى فَلَم يستجِبْ عند الدّعاء مُجيبُ

في الأصمعيّات والعقد الفريد والأمالي والحماسة البصريّة والخِزانة:

وداعٍ دَعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدى فَلَم يَستجِبْهُ عند ذاكَ مُجيبُ

وفي ديوان المعاني:

وداعٍ دَعانا مَنْ يجيبُ إلى النَّدى فَلم يُجِبْهُ عند ذاك مُجيبُ

١٦- في الجمهرة والعقد الفريد: "ثانياً" مكان "مَرَّةً". وفي الأصمعيّات والأمالي والخزانة: "دعوةً" مكان "مَرَّةً"، وكذلك الحماسة البصريّة ما عدا: "أبي" مكان "أبا". وفي ديوان العاني: "فَقُلْتُ ادعُ أخرى وارفض الصوت مَسمعا".

١٧- في الجمهرة والأصمعيّات والعقد الفريد:

يُجِبْكَ كما قد كان يفعلُ إنّهُ بأمثالِها رَحْبُ الذِّراعِ أريبُ

وفي الأمالي والخِزانة: رواية الصَّدر موافقة لما سبق، والعَجُز: "مُجيبٌ لأبواب العلاءِ طَلوبُ". والبيت غير موجود في ديوان المعاني والحماسة البصريّة.

رَحْب الذِّراع: واسع القوّة عند الشدائد، ورحب الذِّراع والباع: سَخيّ.

١٨- في الجمهرة:

كأنّ بيوت الحيّ ما لم يَكُنْ بها بسابِسُ قَفْرٍ ما بهنَّ عَريبُ

وفي الأمالي والحماسة البصرية والخِزانة:

كأنّ بيوت الحَيّ ما لم يَكُنْ بها بسابِسُ لا يُلقى بهنّ عَرِيبُ

والبيت غير موجود في بقيّة المصادر. العَرَصات: جمع عَرْصَة، وهي البقعة الواسعة بين الدُّور ليس فيها بناء. عريب: أحد، ولا تُستعمل في غير النَّفي.

٢٠- وحدَّثتُماني إنّما الموت في القُرى فكيف وهذي هَضْبةٌ وكَثيبُ

٢١- وماءُ سماءٍ كان غير مُكدرٍ تهبُّ عليه بالعشيّ جنوب

وممّا رواه أبو اليقظان النسّابة من شعر في ما يتّصل بغارات العرب بعضهم على بعض ما ذكره من وصف إغارة الشاعر الجاهليّ "صَخر الغَيّ الهُذَليّ" على بعض أحياء العرب، واستنجاده ببطون قبيلته هُذَيل، وإغاثة بعضهم إياه، وتخلّي بعضهم عنه، ثم ملاقاته لمصيره وهو القتل، إذ قال أبو اليقظان: "**مِن بطون هُذَيل: بنو سعد بن هذيل، وبنو خُناعة، وبنو قِرْد، وبنو سَهْم، وبنو تَميم،**

١٩- في الجمهرة: "منهمُ" مكان "ينتهي". وفي الأصمعيّات والأمالي: "منهما" مكان "ينتهي". والبيت غير موجود في بقيّة المصادر.

٢٠- في الجمهرة:

وحدَّتتماني أنَّما الموتُ بالقرى فما لي وهذه روضةٌ وقَليبُ

وفي الأصمعيّات:

وحَدَّثتُماني أنَّما الموتُ في القُرى فكيف وهاتا هَضْبَةٌ وقَليبُ

وفي العقد الفريد:

وحَدَّثتُماني أنَّما الموتُ بالقُرى فكيف وهاتي هَضْبَةٌ وكَثيبُ

وفي الأمالي:

وخَبَّرتماني أنَّما الموتُ بالقُرى فكيف وهاتا هَضْبَةٌ وكَثيبُ

وفي ديوان المعاني موافقة لرواية أبي اليقظان عند البلاذُريّ.

وفي الحماسة البصريّة: موافقة لرواية القالي في الأمالي ما عدا: "هَضْبَةٌ وقَليبُ" مكان "روضةٌ وكثيبُ". والبيت غير موجود في خزانة الأدب. الهَضْبَة: الجبل المنبسط الممتدّ على وجه الأرض. الكَثيب: الرمل المستطيل المُحدودِب. القَليب: البئر.

٢١- في الجمهرة:

وماءُ سَماءٍ كان غير مَحَمَّةٍ بداويَّةٍ تجري عليه جَنوبُ

وفي الأصمعيّات:

وماءُ سماءٍ كان غير مُخَمَّرٍ بِبَريَّةٍ تجري عليه جَنوبُ

وفي الأمالي:

ألا مَنْ لِقَبْرٍ لا يزال تَهُجُّهُ شمالٌ ومِسيافُ العَشِيّ جَنوبُ

والبيت غير موجود في بقيّة المصادر. المَحمَّة: موضع الحُمّى. الدّاويّة: الفَلاة التي يُسمع فيها دَويّ. غير مُخَمَّر: غير مُغطًّى، وذلك أنفى لفساده. الجَنوب: الرّيح التي تقابل الشَّمال، قال الأصمعيّ: "إذا جاءت الجَنوب جاء معها خَير وتلقيح" (الأصمعيّات، ص: ٩٧: الحاشية ٢٠).

وبنو مُؤَمَّل؛ فأغار صخر الغَيّ علي بعض العرب، فتَبِعوه، فمرّ بهذه البطون، فكلّما مرّ ببطن منهم أغاثوه، حتى جاوزهم، فَلُحِقَ ففُتِل، فقال [من السّريع]:

لَــو أنّ أصــحابي بنــو خُناعَــهْ أهــلُ النّــدى والمجــد والبراعَــهْ

تحــت جلــود البقــر القَرّاعَــهْ لمنَعــوا مِــن هــذه اليَراعَــهْ"[1]

وروى أبو اليقظان بيتين من الشعر وَثّق بهما خبر إغارة بني شيبان على بني يربوع، وقَتْل رئيس بني يربوع عُتَيْبَةَ بن الحارث التميميّ، وثأر ولده له بقتل قاتله، والبيتان لِحُصَيْن بن الَقعقاع التميميّ، ويَرثي بهما عُتيبة بن الحارث ويتغنى بالثأر له؛ إذ ذكر البلاذُريّ أنّ بني شيبان ورئيسهم الحَوفَزان – وهو الحارث بن شَريك الشيبانيّ– وبِسطام بن قيس أغارت على بني يربوع، ورئيسهم عُتيبة ابن الحارث بن شهاب التميميّ، فالتقوا بأعشاش، فأُسر بِسطام وقُتِلَ رجل من آل الحَوْفزان يقال له بِشر ويلقب بـ "خوافي النَّسر"، وكانت تلك الإغارة أول إغارة يغزوها بِسطام بن قيس، فأطلق بنو يربوع سراحه، وقَتل نُؤاب بن رُبَيّعة بن عبيد بن أسعد بن جَنيمة بن مالك بن نصر– عُتَيْبَةَ بن الحارث[2]، وفي هذه

---

(١) كتاب جُمل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٣٥٦/١١.

ديوان الهذليّين. ٢٣٦،٢٣٧/٢. وكتاب شرح أشعار الهُذَليّين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ، حقّقه عبد الستار أحمد فرّاج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٥م،٢٨١/١. خُناعة: قبيلة من هُذيل (ديوان الهذليّين، ٢٣٦/٢: الحاشية). وقد أورد السكّري البيت الأول مع اختلاف يسير في إحدى مفرداته، وهو: " لو أنَّ أصحابي بنو خُزاعَة"، ثمّ قال: خُزاعة حَيْ من هذيل (كتاب شرح أشعار الهُذليّين، السُّكّريّ، ٢٨١/١). قال أبو سعيد: يقال أمر بارع إذا كان أمراً شريفاً رائعاً؛ ويقال أيضاً: رجل بارع، أي رجع مرتفع الشأن (ديوان الهُذليّين، ٢٣٦/٢).

والبَراعة: الحُسن، يقال أمر بارع حسن، والبارع: الفاضل من الرجال، الفائق.

وقد ورد البيت الثاني في ديوان الهذليين على النحو التالي:

الحاملو السيوفِ والقَرّاعهْ لمنعوا من هذه اليَراعَهْ (ديوان الهذليّين، ٢٣٧/٢).

القَرّاعة: التِّراس الصِّلاب، وقوله "جلود البقر" يعني التِّرَسَة، أي هم يتّقون بها على رؤوسهم، فصاروا تحتها لَمَّا تترَّسوا بها ويقال للشديد قَرَّاع (ديوان الهُذليّين، ٢٣٧/٢. وكتاب شرح أشعار الهُذَليّين، السُّكّريّ، ٢٨١/١).

واليَراعة: الضَّعيف. يريد به الرجل الذي ليس له قلب، كأنّه قَصب أجوف. واليَراعة: القصب نفسه، كأنّه شبَّههم بالقصب. واليراعة أيضاً: الجبان، وهو مثل الأجوف من القصب، أي لا عقل له. (ديوان الهُذليّين، ٢٣٧/٢. وكتاب شرح أشعار الهُذليّين، ٢٨١/١).

(٢) انظر: كتاب جُمل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ١٦٩/١١، ١٧٧/١٢.

السّياق ذكر أبو اليقظان **أنّ "الحُلَيْس بن عُتيبة قتل ذؤاباً، فقال حُصين بن القَعقاع بن مَعْبَد بن زُرارة التّميميّ** [من الكامل]:

تذَكَرْتُ نُدْماني عُتَيْبَةَ بعدما عُصِبَتْ رؤوسُ نسائه بسِلابِ

قتلوا ذُؤاباً بعد مقتل ستّةٍ فَشَفَى الغليلَ وريبةَ المُرْتابِ"(١)

وممّا روى أبو اليقظان من شعر يتّصل بالقتل ومدح سادة القبائل لوفائها بدِيَة المقتول، ما رواه في سياق خبر قتل بني أبي حارثة مِن بني مرّة بن فَزارة ابناً للملك عمرو بن هند، فضَمِنَ له سَيَّار بن عمرو الفَزاريّ الوفاء بدية ابنه، إذ قال أبو اليقظان: **"قتل بنو أبي حارثة من بني مُرّة. ابناً لعمرو بن**

أَعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع ابن حَنْظَلة، قال الفَرزدق:

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعزِفُ وأنكَرْتَ مِن حَدراءَ، ما كُنْتَ تعرفُ

ولَجَّ بكَ الهجرانُ حتّى كأنّما ترى الموت في البيت الذي كُنْتَ تألَفُ

(معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٢١/١ وشرح ديوان الفرزدق، ١١٣/٢: "تَيْلَفُ" مكان "تألَفُ"، وهذا من باب تسهيل الهمزة). عَزَفْتَ: صَدَفْتَ وانصرَفْتَ. أعشاش: موضع. حَدراء: اسم امرأة الشاعر (شرح الديوان، ١١٣/٢: الحاشية). ويوم أعشاش هو يوم الإياد ويوم العَظالى، "وإنّما سُمّي يوم العَظالى، لأنّ بِسطام بن قيس وهانئ بن قُبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا (اجتمعوا) على الرِّياسة، "

(مجموع أيام العرب في الجاهليّة والإسلام، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص: ٨٥).

الخَوافي: قال الأصمعيّ: هي ما دون الرّيشات العشر من مُقدَّم الجناح، وهي الرِّيش الصِّغار التي في جناح الطائر ضدّ القوادم، واحدتها خافية، وسُميّت بذلك لأنّ الطائر إذا ضمّ جناحه خفيت (لسان العرب: خفا).

(١) **كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، ١٧٠/١١.**

البيت الأوّل: "تذكَّرْتُ": لا يستقيم بها الوزن، ولعلّ صوابها "وذَكَرْتُ". وكتاب الحيوان، الجاحظ، ٣١٦/١: وقد أورد الجاحظ البيت الثاني فقط مع بيتين آخرين:

بكَرَ النَّعِيُّ بخير خِنْدفَ كُلِّها بِعُتَيْبَةَ بن الحارث بن شِهابِ

قتلوا ذُؤاباً بعد مقتل سبعةٍ فشفى الغليلَ وريبة المُرتابِ

يوم الحُلَيْسِ بذي الفَقَارِ كأنّه كَلِبٌ بضربِ جَماجِمٍ ورقابِ

" نُدماني": وردَت هكذا في الأصل (بضمّ النّون) والصّواب " نَدْماني" (بفتح النّون). والنَّدْمان: هو المجالس على الشّراب.

السِّلاب: ثياب سود تلبسُها النّساء في الحِداد، واحدتها سَلَبة. الرِّيبة: الظنّ والشلة والتُّهمة، جمعها رِيَب (لسان العرب: سَلَب، نَدِمَ، رَاب).

هند، فضَمِنَ له سَيَّار بن عمرو ألف بعير دِيَة ابنه، ورَهَن قوسه بها، ثم أدّى الألف التي عليه، فقال الشاعر [من الطويل]:

ونحن رَهَنّا القوس ثم تخلَّصَتْ بـأَلْفٍ علـى ظهـر الفَـزاريّ أقرعَـا

بعشـر مِئـينٍ للملـوك وَفاؤهـا لِيُحمدَ سَيَّارُ بنُ عَمْرٍو فأسرعَا"(١)

وروى أبو اليقظان بيتاً لأوس بن مَغراء التميميّ يمدح به آل صفوان التَّميميّين، مُشيداً بإفاضتهم الناس في موسم الحجّ في الجاهليّة [من البسيط] (٢):

---

(١) كتاب جُمل من أنساب الأشراف، البلاذريّ، ١٧٧/١٣.

ولم يذكر أبو اليقظان قائل هذين البيتين، وهما لقُراد بن حَنَش الصارِديّ، وقالهما في مدح بني فَزارة وسَيّار بن عمرو الفَزاريّ، وذكر أبو الفرج الأصفهانيّ أنّ سَيّار بن عمرو لم يكن له حَمَالة الدِّيَة كلها، خلافاً لِما أورده أبو اليقظان، لأنّ الذي حمل الدِّيَة هو أخو سَيّار لأمّه الحارث بن سفيان بن مُرَّة ابن عَوف بن الحارث بن سفيان. وتفصيل الخبر أنّ الحارث بن ظالم المُـرّيّ قتل شُرَحْبيل ابن الملك الأسود بن المُنذر، بعد أن استعار سرج سِنان بن أبي حارثة المُـرّيّ دون علمه – وسنان يومئذٍ رأسُ غطفان – وكان قد تَبنّى شُرَحْبِيل ابن الملك، فأَسرَ الملك سِنانًا عِندهُ ظنّاً مِنْه أنّه هو الذي قتل ابنه، فأتاه الحارث بن سفيان، واعتذرَ إليه أن يكون سنان عَلِم بالأمر أو اطَّلع عليه، وتحمّل ألف بعير دِيَة الملوك، فحمَلها إيّاه، وخَلَّى عن سبيل سنان، وأدّى الحارث من الدِّيَة ثمانمئة بعير ثمّ مات، فقام سَيّار ابن عمرو الفزاريّ مقام أخيه لأمّه الحارث بن سفيان، ولم يرضَ الملك الأسود بذلك، فَرَهَنه سيَّار قوسه، فأدّى بقية الدِّيَة (انظر: الأغاني، ٧٥/١١–٧٨. وانظر أيضاً: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥٦٣/١. وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧)، ولذلك قال قُراد بن حَنَش الصَّارديّ – "وصارِدَة" فخذ من فَزارة – يمدح سَيَّار ابن عمرو الفَزاريّ:

ونحـنُ رَهَنّـا القـوس ثُمَّـتَ فُودِيَـتْ بـألفٍ علـى ظهـر الفَـزاريّ أقرعَـا

بعشـر مئـينٍ للملـوك سـعى بهـا ليـوفِيَ سـيّارُ بـنُ عَمْـرٍو فَأسْـرَعا

(الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٧٨/١١: "فُودِيتَ". وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧)

وإن كان الاختلاف والاضطراب وقع في تفاصيل الخبر؛ إذ ذكر أبو اليقظان أنّ الملك الذي قُتِل ابنه هو عمرو بن هند – ولعلّ أبا اليقظان انفرد بهذا الخبر – بينما ذكر أبو الفرج وابن الأثير والبَغداديّ أنّ الملك الذي قُتل ابنه هو الأسود بن المنذر، وأنّ الذي قتله هو الحارث بن ظالم المُـرّيّ، فإنّ المصادر التاريخية والأدبية تتّفق على أنّ هذين البيتين اللَّذَيْن رواهما أبو اليقظان ووردا عند أبي الفرج والبغداديّ مع الاختلاف البسيط في بعض الألفاظ – هما في مدح سَيَّار بن عمرو الفَزاريّ.

(٢) كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٣٦٤/١٣.

ولا يَريمونَ في التَّعريفِ موقِفَهُمْ حتَّى يُقالَ أجيزوا آلَ صَفْوانا

وأنشد أبو اليقظان بيتين من الشّعر لابن أحمر الكنانيّ، وهو شاعر جاهليّ، إذ يقول الآمِديّ: ".. ومنهم ابن أحمر الكِنانيّ... جاهليّ، وزاد أبو اليقظان [من الكامل]:

ألمالِك طِيبُ البلادِ ورِعْيُهَا ولِيَ الثِّمادُ ورِعْيُهُنَّ المُجْدِبُ

هذا لَعَمركُمُ الصَّغارُ بعينهِ لا أُمَّ لي إنْ كان ذاك ولا أبُ"(١)

ومِما أنشد أبو اليقظان أبياتٌ لخُزَز بن لَوْذان، ويعرف بالمُرَقِّم الذُّهْليّ، إذ يقول الآمديّ: ".. ومنهم.. خُزَز بن لَوْذَان، أحد بني عوف بن سَدوس بن شَيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن الصَّعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، ويعرف بالمُرَقِّم الذُّهليّ، وأنشد له أبو اليقظان [مجزوء الكامل]:

طال الثَّواءُ بمأرِبٍ وظَنَنْتُ أنّي غير رائِمْ

مَنْ مُبْلِغٌ عمروَ بنَ لَأْ يٍ حيثُ كان مِن الأقاوِمْ

روى ابن الكلبيّ هذا البيت موافقاً رواية أبي اليقظان النسّابة (جمهرة النسَّب، ٢٧١/١). رامَ يَريمُ: بَرِحَ، وأكثر ما يُستعمل في النفي: لا تَرِمْ أي لا تَبرح، ويقال: ما يريم يفعل ذلك، أي ما يبرح. التَّعريف: إفاضة الحجيج، يُدفع بهم مِن عرفات (لسان العرب: رام، عَرَف).

(١) **المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ٤٥.**

الثِّماد: جمع ثَمد، وهو الماء القليل يتجمّع في الشتاء وينضب في الصَّيف، أو هو الحفرة يجتمع فيها. الصَّغَار: الذُّلّ (المؤتلف والمختلف، ص٤٥: الحاشية).

وقد ورد هذان البيتان برواية مختلفة في الخزانة، ٣٨/٢:

ولجُنْدبٍ سهل البلاد وعَذْبُها ولِيَ المِلاحُ وخَبتهنّ المُجْدِبُ

هذا وجَدِّكُمُ الصَّغارُ بعينهِ لا أُمَّ لي إنْ كان ذاك ولا أبُ

وهذان البيتان من الشّعر المضطرب، إذْ لم يُتّفق على نسبتهما إلى شاعر بعينه، فقد ذكر البغداديّ أنّهما يُنسَبان مع أربعة أبيات أخرى إلى ضَمْرة بن ضَمْرة أو هَمّام بن مُرّة أو زُرافة الباهليّ أو بعض مَذْحِج أو هُنَيّ بن أحمر أو عمرو بن الغول (انظر: خزانة الأدب، ٣٨/٢).

وذكر الشجريّ أنّها لهمّام بن مُرّة الشيبانيّ (انظر: الحماسة الشجريّة، ابن الشَّجَريّ، تحقيق عبد المعين المَلّوحي وأسماء الحِمصيّ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م، ٢٥٤/١).

وذكر الآمِديّ أنّ الأبيات الأربعة الأخرى هي ممّا أنشده أبو العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب، وفي روايتها بعض الاختلاف عمّا ورد في بقيّة المصادر (المؤتلف والمختلف، ص: ٤٥):

ضَمْرَ أَخبرني ولست بمُخْبري وأخوك ناصِحك الذي لا يكذِبُ

هل في القضيّة أنْ إذا استغنيتمُ وأمِنْتمُ فأنا البعيدُ الأجنبُ

وإذا الشدائد بالشدائد مَرّةً أشْجَتكمُ فأنا المُحِبُّ الأقربُ

وإذا تكون كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاس الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ)

وقال البغداديّ في مناسبة الأبيات: "وهذا الشّعر لضَمْرة بن ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم، شاعر جاهلي. ويقال إنّ ضَمرة كان اسمه "شِقَّة" فسماه النُّعمان "ضَمرة بن ضَمرة". وكان يَبَرُّ أمّه ويَخدِمُها، وكانت مع ذلك تُؤثر أخاً له يقال له "جُنْدَب"، وأوّله:

يا جُنْدَبُ اَخْبِرني ولستَ بمُخْبِري وأخوك ناصِحُكَ الذي لا يكذبُ "

(خزانة الأدب، ٣٧/٢، ٣٨).

فَلَـــرُبَّ بـــاكٍ مِـــنْ بنـــي ذُهْـــلٍ وقَاعـــدةٍ وقـــائِمْ
ومُشَـــــقِّقاتٍ للجُيـــــو بِ علـــيَّ كـــالبقر الحَـــوائِمْ
لا يَمنعنَّـــك مِـــنْ بُغـــا ءِ الخيـــر تَعقيـــدُ التَّمـــائِمْ
ولَقَـــد غَـــدَوْتُ وكنـــتُ لا أغـــدو علـــى واقٍ وحـــاتِمْ
فـــإذا الأشـــائمُ كالأيـــا مِـــنِ والأيـــامِنُ كالأشـــائِمْ
وكـــذاكَ لا خيـــرٌ ولا شـرٌّ علـى أحـدٍ بدائِـــمْ"(١)

مُؤرِّج السَّدوسيّ

اهتمّ مُؤرِّج السَّدوسيّ في روايته للشعر الجاهليّ بمدح قبيلة قريش أشرافها وساداتها وذِكْر مآثرهم وصفاتهم النبيلة من الكرم والشجاعة ونُصرة الضعيف وإغاثة الملهوف وغير ذلك من الصفات القبليّة المعروفة.

---

(١) المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ١٤٣.

انظر تخريج الأبيات في: كتاب الحيوان، الجاحظ، ٤٣٦/٣: الأبيات ٦، ٧، ٨ للمرقّش السدوسيّ. وفي عيون الأخبار، ابن قتيبة، ١٤٥/١: الأبيات، ٦،٧،٨ للمرقّش. وفي الزُّهرة، الأصبهانيّ، تحقيق إبراهيم السامَرَّائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردنّ، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ٣٤١: الأبيات ٦، ٧، ٨. للمرقّش السدوسيّ. وفي رسالة الصَّاهل والشاحج، أبو العلاء المعرّيّ، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص: ٢٧٣: الأبيات كاملة، وزاد عليها بيتاً، ولم ينسبها لأحد، والبيت التاسع هو:

قـد خُـطَّ ذلـك فـي السُّـطو رِ الأَوَّلِيَّـــاتِ القـــدائِمْ

وفي معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ٣١٨/١: الأبيات ٢، ٥، ٦، ٧، ٨ مع اختلاف بسيط في رواية بعض الألفاظ، ولم ينسبها لأحد. وفي اللسان: مادة (حَتَم): الأبيات ٥–٨ مع اختلاف في رواية البيت الخامس للمرقّش السدوسيّ، وقيل هي لخُزَز بن لَوْذان:

لا يمنعنَّـــكَ مـــن بِغـــا ءِ الخيـــر تَعقـــادُ التَّمـــائِمْ

ومادة (قَوَمَ): البيت الثاني فقط لخُزز بن لَوذان. ومادة (يمَنَ): الأبيات ٥–٨ مع اختلاف في ترتيبها ورواية البيت الخامس كما ورد في (حَتَم).

وقد أورد ابن قُتيبة الأبيات في كتاب الحرب في الطِّيَرة والفأل (انظر: عيون الأخبار، ١٤٤/١). وقال المعرّيَ: "وكانت العقلاء من العرب في الجاهليّة تَعيب الطِّيَرة وأهلها" (رسالة الصّاهل والشّاحِج، ص: ٢٧٢)، وقال جواد عليّ: "وكان خُزَز بن لَوْذان السَّدوسيّ على مذهب مَنْ ينكر الطِّيرَة ولا يعتقد به" (المفصّل في تاريخ العرب، ٨٣٤/٩).

الثَّواء: طول المقام. مَأْرِب: اسم المكان من الأَرَب، وهي الحاجة،..، وهي بلاد الأَزْد باليمن، قال السُّهيليّ: مأرب اسم قصر كان لهم،..." (معجم البلدان، ياقوت الحَمويّ، ٣٤/٥). وذكر الآمديّ أنّه حِصْن. ولم أجد هذا المعنى عند ياقوت الحمويّ والبكريّ في معجميهما. رائم: مُفارق، من: رامَ المكان ومنه، فهو رائم أي فارقه وزال عنه.

عمرو بن لَأي: ابن زَيَّابة، من بني تيم اللاَّت بن ثعلبة، شاعر جاهليّ مِن أشراف بكر بن وائل، وهو فارس مِجْلَز، ومِجْلَز فرسه (معجم الشعراء، المرزبانيّ، ص:٢٤). الأقاوم: جمع قوم. الحَوائم: جمع الحائمة، وهي التي تحوم حول الماء، أي تطوف فلا تجد ماءً ترده، وحوائم وحُوَّم أي عِطاش جدّاً، وأكثر ما تُستخدم للإبل. التَّمائم: جمع التميمة، ما يُعلَّق في العُنق لدفع العين. الواقي: الصُّرَد، وهو طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار، وكانوا يتشاءمون منه. الحاتِم: الغُراب (لسان العرب: ثَوَى، رامَ، قامَ، حامَ، وَقَى، حَتَمَ).

وممّا رواه مُؤرِّج السّدوسيّ من شعر جاهليّ بيتان مدح بهما شاعرٌ حَفصَ بن المغيرة المخزوميّ، وكان حَفص من أطعم الناس في قريش، إذْ يقول [من الطويل][(١)]:

نادِ الغريب المُسْتَضيفَ وقُل له ... لدى دار حفصِ بن المُغيرة فانزلِ

فإنَّ بلاد الله إلّا بلادَهُ ... جُدوبٌ وإن تَنزِلْ على الجَدْرِ تُهْزِلِ

وقال رجلٌ من خزاعة يمدح هاشم بن عبد مَناف لكرمه في تحمُّل أعباء قومه وإشباع حاجتهم بعد أن أصابهم قَحْط وجَدْب، فهَشَم لهم الثّريد وسدّ جوعهم [من الكامل][(٢)]:

عمرُو الذي هَشَم الثّريدَ لقومهِ ... ورجالُ مكّة مُسْنِتون عِجافُ

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهميّ يمدح سادة بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم – وهم من قريش – ويمدح أمّهم رَيْطة بنت سعد بن سَهْم [من الهَزَج][(٣)]:

ألا لِلّهِ قومٌ و ... لَدَتْ أختُ بني سَهْمِ

هِشامٌ وأبو عبدِ ... مَنافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ

وذو الرُّمْحَيْنِ أشبالٌ ... على القوّة والحَزْمِ

---

(١) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٦٨.**

كتاب جُمَل من أنساب الأشراف، ٢٠٢/١٠:

ونادِ الضَّعيفَ المُستضيفَ وقُل له ... إذا جئتَ حفصَ بن المغيرة فاجلسِ

جُدوبٌ: جمع جَدْبَاء، وهي الأرض اليابسة لاحتباس الماء عنها. الجَدْر: الحائط، ولعلّه أصل الجدار. تُهْزِل: تُضْعِف (لسان العرب: جَدُبَ وجَدَبَ، جَدَر، هَزَل). حَفص بن المغيرة هو عمّ خالد بن الوليد، وهو من الجاهليّة، وكان زوج هند بنت عتبة قبل أبي سفيان (انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبيّ، ٢٩٨/٣).

(٢) **كتاب حذف من نسب قريش، مُؤرِّج السدوسيّ، ص: ٤.**

عمرو: هو هاشم بن عبد مَناف نفسه، وإنّما سُمّي هاشماً؛ لأنّ قريشاً أصابتهم ضائقة، فخرج إلى فلسطين واشترى طحيناً وخَبَزه، ورجع إلى مكّة ونحر الإبل التي قدم عليها، ثمّ هَشَم الخبز وثَرَدَ. والهَشْم: كسر الشيء اليابس. مُسْنِتُون: من الفعل (أَسْنَتَ) أي أَجْدَبَ. عِجاف: مِن الفعل (عَجِفَ عَجَفاً) أي هُزِلَ، والمعنى أنَّهم مُجْدَبون هَزْلَى. (لسان العرب: هَشَمَ، أَسْنَتَ، عَجِفَ. وكتاب حذف من نسب قريش، ص: ٣).

(٣) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٦٦، ٦٧.**

ورواها ابن الكلبيّ في: جمهرة النسب، ١٠٩/١: الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٨، ٩: وفيها اختلاف عن رواية مؤرّج: "أشباكَ ... من" مكان " أشبالٌ ... على". المِدْرَه: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلّم عنهم.= =الكَثَب: القُرْب. الهَضْم: الكسر، وهو بمعنى الهزيمة. جأواء: كتيبة جَأواء، أي عليها صدأ الحديد وسواده. ويقال: كتيبة بَيّنة الجأَى، هي التي يعلوها لون السَّواد لكثرة الدّروع. طَحون: كتيبة طَحون: تطحن كلّ شيء. القَوْنَس: أعلى البيضة من الحديد ومقدّم البَيضة، والبَيضة من السلاح: الخَوذَة، وسمّيت بذلك لأنّها على شكل بَيضة النّعام. الرَّدْم: ما يسقط من الجدار إذا انهدم. والرَّدْم أيضاً موضع بِتِهَامة (لسان العرب، ابن منظور: دَرَهَ، كثَبَ، هَضَمَ، جَأَى، طَحَنَ، قَنسَ، بَاضَ، رَدَم).

فهـــــــذانِ يَـــــــذودانِ وذا مـــــن كَثَـــبٍ يرمـــــي

أســـــودٌ تزدهـــــي الأقـــــرا نَ منَّـــــاعونَ للهَضْـــــمِ

وهـــم يـــوم عُكـــاظٍ مـــَ نَعُـــوا النـــاس مـــن الهَـــزْمِ

بِجَـــأوَاء طَحُـــونٍ فَخْـــ مـــةِ القَـــوْنَسِ كـــالنَّجْمِ

فـــإنْ أحْلِـــفْ ورَبِّ البَيْـــ ـــتِ لا أحْلِـــفْ علـــى إثْـــمِ

لَمَـــا إنْ إخْـــوَةٌ بـــين قُصـــور الشَّـــأمِ والـــرَّدْمِ

كأمثـــالِ بنـــي رَيْطَـــ ـــةَ مـــن عُـــرْبٍ ولا عُجْـــمِ

ومن شعر المدح الذي رواه مؤرّج السدوسيّ ما يدخل في باب الاقتضاء والاستنجاز – كما سمّاه ابن رشيق القيروانـيّ – وهو ما يطلب فيه الشاعر حاجته بلطف[١]*؛ ومن ذلك أبيات أميّة بن أبـي الصَّلت الثقفيّ التـي يمدح بها عبد الله بن جُدْعان التَّيميّ – وكان من أجود العرب ومن سادة قريش ورؤسائهم يوم الفِجار*[٢] *– إذ يقول واصفاً جوده وعطاءه [من الوافر]*[٣]*:*

أأذكـــر حـــاجتي أم قـــد كَفـــاني حيـــاؤكَ إنّ شـــيمتكَ الحيـــاءُ

وله يقول أيضاً [من الوافر][٤]*:*

---

(١) انظر: العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١٥٨/٢.

(٢) انظر: كتاب حَذف من نسب قريش، مؤرِّج السَّدوسيّ، ص: ٧٦، ٧٧. الفِجار: هي "وقائع كانت بين بني كِنانة وقريش وبني قيس عَيلان؛ لأنّ البَرَّاض الكِنانيّ قَتل عَروبة الرحّال في قصة فيها طول..، وسمّيت بهذا الاسم لأنّهم أحلّوا الشهر الحرام وقاتلوا فيه ففَجروا، وهو قريب من عُكاظ" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٦٣/٣).

(٣) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٧٧.**

ديوان أميّة بن أبي الصلت، ص: ٣٣٣.

(٤) **كتاب حذف من نسب قريش، مؤرّج السدوسيّ، ص: ٧٧.**

ديوان أميّة بن أبي الصَّلت، ص: ٣٧٩، ٣٨١. ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ١٢٧/٢: البيتان الثاني والثالث فقط: "إلى رُدُح" مكان "إلى رُجُحٍ". ولسان العرب، ابن منظور (ضَوَد، رَذَمَ). وتاج العروس، الزَّبيديّ (ضَدِيَ، شَمْعَل، رَذَمَ): "قلائص" مكان "مواهب"، "إلى رُذُمٍ" مكان "إلى رُجُحٍ". مواهب: جمع موهبة، وهي العَطيّة بغير عِوَض أو غَرض.

ومـــــالي لا أُحيّيـــــه وعنـــــدي مواهـــبُ يَطَّلِعْـــنَ مِـــن النِّجـــادِ
لـــــه داعٍ بِمَكَّـــــةَ مُشْـــــمَعِلٌّ وآخـــرُ فـــوق دارتـــهِ يُنـــادي
إلـــى رُجُـــحٍ مـــن الشِّـــيزى مِـــلاءٍ لُبـــابَ البُـــرِّ يُلبَـــكُ بالشِّـــهادِ

ومِمّا رواه مؤرّج أبيات مُسافِر بن أبي عمرو بن أميّة يمدح بها قومه بني عبد مناف ويدعوهم إلى حفظ أواصر القُربى والرَّحم في ما بينهم [من الرَّمَل](١):

يـــا بنـــي عَبـــدِ مَنـــافٍ إنّكُـــمْ مَعشـــرٌ أهـــل جـــلالٍ وكـــرَمْ
فـاحفظوا الأرحـامَ فـي مـا بيـنكمْ قَـرُبَ الأرحـامُ فالبعـدُ ابـنُ عَـمْ
قَـــد أرانـــي وحـــديثٌ مَوْلِـــدي ولنـــا جَمْـــعٌ رَجِيـــعُ المُرْتَـــزَمْ
حِـــينَ لا تمنـــع أنثـــى فَرْجَهـــا ووجـــوه القـــومِ سُـــودٌ كـــالحُمَمْ

ونجد من الشعراء الجاهليّين مَن عاب على قبيلته تخاذلها عن نصرة أبنائها؛ إذ روى مُؤرّج أبياتاً لأبي طالب بن عبد المطلب يُعاتب بها أبناء قبيلته قريش: بني عبد شمس وبني نوفل لتقصيرهم في نصرته [من الطويل](٢):

يَطَّلِعْنَ: يُشْرِفْنَ قادمين. النِّجاد: مفردها نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. المُشْمَعِلّ: النشيط السَّريع. الدّارة: لغة في الدّار، وهي الدار بما فيها البناء والفناء، وقال الجوهريّ: "والدّارة أخصّ من الدّار". رُجُح: جِفان رُجُح: مَلأى مكتنزة، من الفعل (رَجَح) إذا مال وثُقُل فلم يَخِفّ، وقال الأزهري: "مملوءة من الزُّبْد واللّحم". الشِّيزَى: كل شَجر تُعمل منه القِصاع والجِفاف، أو خشب أسود تُتّخذ منه الجِفان. اللُّبَاب: خالص كلّ شيء. البُرّ: القمح. يُلْبَك: يُخْلَط. الشِّهاد: العَسل (لسان العرب، ابن منظور: وَهَب، طَلَع، نَجَد، شَمْعَل، دارَ، رَجَح، شَيَّزَ، لَبَّ، بَرَّ، لَبَك، شَهَد، والصّحاح، الجوهريّ: دَارَ). قلائص: جمع قَلوص، والقَلُوص: الناقة الشابّة، والفتيّة مِن الإبل بمنزلة الجارية الفتاة، وقيل هي كلّ أنثى من الإبل حين تُركب إلى التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة. رُدُح: مفردها رَدَاح، وهي الجَفْنَةُ العظيمةُ. الرُّذُم: مفردها الرَّذوم، وهو القَطور مِن الدَّسَم، من الفعل رَذَم أي قَطَر، وقال الجوهريّ: "رَذَمَ الشيء أي سال وهو ممتلئ" (لسان العرب، ابن منظور: قَلَص، رَدَح، رَذَم. والصِّحاح، الجوهريّ. وتاج العروس، الزَّبيديّ: رَذَم).

(١) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٣٧.**

كان مسافر بن أبي عمرو بن أميّة من فتيان قريش وشعرائها، وكان هلاكه بالعراق؛ إذ خرج في تجارة إلى الحيرة، فهلك بها عند النعمان بن المنذر (انظر: كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيري، ص: ١٣٥ وما بعدها. والاشتقاق، ابن دُريد، ١٦٦/١). المُرتزَم: الصوت الشديد، وأصله من إرزام النّاقة، وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاها، وأرزم الرَّعد اشتدّ صوته. وجَمْعٌ رجيعُ المرتزم: أي أنّ صوتهم قويّ، وهذا كناية عن كثرة العدد وقوّته. الحُمَم: الفَحْم، وكلّ ما احترق من النار، واحدتُه حُمَمَةُ، وقوله: حين لا تمنع أنثى فرجها، أراد شدّة الزمان وقسوته (لسان العرب، ابن منظور: رَزَمَ، حَمَّ. وشعراء مكّة قبل الإسلام، جمع ودراسة وتحقيق محمد حمزة إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١٧م، ص: ٥٩٠).

(٢) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ١٥.**

تــوانى علينــا مَولَيانــا فأصــبحا إذا استُنْصِرَا قالا إلى غيرنا النَّصْرُ

أَخُصُّ خُصوصاً عبد شمسٍ ونوفلا هما نبذانا مثل ما يُنبذُ الجَمْرُ

هما أشركا في الأمر مَنْ لا أبا له من الناس إلاَّ أن يُرَسَّ له ذِكْرُ

وقال مسافر بن أبي عمرو بن أميّة يعاتب أبناء عمومته ويلومهم، ويذكّرهم بأواصر القربى والرَّحِم والنسب في ما بينهم [من الطويل](١):

تَمُدُّ إلى الأقصى بثديك كُلِّه وأنت عن الأدنى صَرومٌ مُجدَّدُ

فإنّكَ لو أصلحتَ مَنْ أنت مُفْسِدٌ تَوَدَّدَكَ الأَقْصَى الذي تتودَّدُ

وإنَّ ابن عمّ المرء يحمي ذِمارَهُ ويَمنعُه حين الفرائصُ تُرعَدُ

وقال أبو طالب يتودّد قُنفذ بن عُمير بن جُدْعان بن عمرو ويستعطفه، وذلك حين أطبقت عليهم قريش [من الطويل] (٢):

وعُثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقنفذٌ ولكنْ أطاعا أمر تلك القبائلِ

وروى مؤرّج أبياتاً لوَهْب بن الحارث بن زُهْرَة بن كلاب يفتخر فيها بتحمّله أعباء المسؤوليّة تجاه قومه، ويدعوهم إلى تحمّلها [من الكامل](٣):

وأَمانــةٍ حُمِّلْتُهــا فحَمَلْتُهــا وأَمانــةٍ حَمَّلْــتُ غيــرَ أمــينِ

وأخٍ نَطَقْــتُ وراءه بمغيبــةٍ فكَفَيْتُــه ويقــول لا يكفينــي

يُرَسَّ: يُثبَّت (المصدر نفسه، ص: ١٥: الحاشية).

(١) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٣٧.**

وروى مصعب الزُّبيريّ في كتابه: نسب قريش، ص: ١٣٦: البيتين الأوّل والثاني فقط: "على الأدنى" مكان "عن الأدنى". وقال مُصعب الزُّبيري: "وكان مسافر بن أبي عمرو بن أميّة من فتيان قريش وشعرائها.. وهو الذي يقول لأبي أُحَيْحَة سعيد بن العاص" (كتاب نسب قريش، ص: ١٣٥، ١٣٦). صَروم: لا لَبن له. مُجدَّد مقطوع (كتاب حذف من نسب قريش، مؤرّج السدوسيّ، ص: ١٣٧). الذِّمار: كل ما يلزم الرجل حفظه وحمايته والدفاع عنه، ويقال: هو حامي الذِّمار. الفرائص: جمع الفَريصة، وهي لَحمة عند الكتف في وسط الجنب عند مَنْبِض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع (لسان العرب: ذَمَر، فَرَص).

(٢) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٧٧، ٧٨.**

وقُنفُذ هذا "كان من أشراف قريش. وهو أحد الذين ذكر أبو طالب في قصيدته حين أطبقت عليهم قريش، يتودّده ويَعْطِفُه" (المصدر نفسه، ص: ٧٧). لم يَرْبَع علينا: أي لم يعطف علينا (لسان العرب: رَبَعَ).

(٣) **كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٦٤.**

فأنـا ابـنُ عَمّـك فـاعرِفَنَّ مكانَـهُ مهمـا عَنـاكَ فإنَّـه يعنينـي

وقال أيضاً مخاطباً أميّة بن عبد شمس، ومفتخراً بنفسه [من البسيط](١):

مهـلاً أُمَـيَّ فـإنّ البغـي مَصْـرَعُه لا يُرْدِيَنَّـكَ يومـاً باسِـلٌ ذَكَـرُ

تبـدو كواكبُـهُ والشـمسُ طالعـةٌ يجري على الكَأْسِ منه الصَّابُ والمَقِرُ

لا تحسـبنَّي كـأقوامٍ ضَـرِيتَ بِهِـمْ لـن يـأنَفُوا الـذُّلَّ حتّـى يـأنَفَ الحُمُـرُ

وقال الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى يفتخر بقومه بني عبد العُزّى بن قصيّ [من الطويل](٢):

أُكَلِّـلُ أَظفـاري وآمـرُ بـالتُّقَى ومن لم يُخالفْ عن رَدى الجهل يندمِ

أُحِـبُّ قُريشـاً كُلَّهـا وأحَوطُهـا ولسـتُ بسَـبَّابٍ لـذي الـرَّحْمِ مِلْطَـمِ

وأجعـلُ مـالي دون عرضـي وأتَّقـي عَـداوتهم حتَّـى أُوسَّـدَ مِعْصَـمي

وإن حَمَّلـوني مـا أطيـق حَمَلْتُـه ويَكْـرُمُ فـيهمْ مُسـتَرادي ومَطعَمـي

وقال الزّبير بن عبد المطّلب يفتخر بشجاعته وشجاعة فرسان قبيلته [من الوافر](٣):

---

(١) **المصدر نفسه، ص: ٦٥.**

الحماسة، البُحتريّ، اعتنى بضبطه وتدوين فهارسه وملحوظاته الأب لويس شيخو اليسوعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م، ص: ٢٣: البيت الثالث فقط: "لا تحسِبَنّي كأقوامٍ عَبِثْتَ بِهِمْ". لا يُرْدِينَّك: لا يُهْلِكَنَّكَ. الصَّاب والمَقِر: شجران مُرّان. ضَرِيتَ بهم: ضَرِيَ بالشيء إذا اعتاده فلا يكاد يفارقه ويصبر عنه. أَنِفَ من الشيء: إذا كَرِهَه، وأراد به ها هنا أخذته الحَميّة من الغيرة والغضب (لسان العرب: رَدِيَ، صابَ، مَقَرَ، ضَرا، أنِفَ).

(٢) **كتاب حذف من نسب قريش، مؤرِّج السدوسيّ، ص: ٥٣.**

كَلَّلَ أظفاره: زَيَّنها، وكليل الظُّفْر: أي مَهين حقير. والشاعر لم يقصد هذين المعنيين حقيقةً، وإنّما أراد المعنى المجازيّ، فقد كَنّى بقوله: "أكَلِّلُ أظفاري" عن كَفّه أذاه عن قومه وترويعه إيّاهم. التُّقى: التَّقوى والتُّقَى واحد، وهي بمعنى البِرّ والخير. خالَف عنه مُخالفة وخِلافاً: تَخلَّفَ. الرَّدى: الهلاك. أحوطها: مِن: حاط الشيء، أي حَفِظَه وتَعهَّده بجلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه. سَبَّاب: كثير السَّبّ من المبالغة في الشيء. مِلْطَم: كثير اللَّطْم. واللَّطْم: ضَربة الخدّ وصَفعة الجَسَد ببسط اليد. أُوَسِّدُ مِعْصَمي: أجعل معصمي وسادة لي، أي أموت. ما أُطيق: أراد "ما لا أُطيق" فحذف "لا". المُستراد: ما يُطلب ويُشحُّ به لنفاسته (لسان العرب، ابن منظور: كَلَّلَ، وَقَى، خَلَفَ، رَدِيَ، حَاطَ، سَبَّ، لَطَمَ، وَسَّدَ، رادَ).

(٣) **كتاب حَذف من نسب قريش، مُؤَرِّج السّدوسيّ، ص: ٣٠١.**

يُميت الغَيظ هَمّاً: يَكْبِتُه ويسيطر عليه. المُختال: المتكبّر المتباهي بنفسه. صَدْق: رُمح صَدْق وسَيفٌ صَدْق، أي مُستَوٍ، فحذف الشاعر الموصوف (السيف) وأبقى على صفته. صَموت: ماضٍ في القطع. ماجد: شريف خَيِّر. الكريهة: الحرب (لسان العرب، ابن منظور: مات، خَال، صَدَق، صَمَت، مَجَد، كَرِه).

ولَسْـتُ كَمَـنْ يُميـتُ الغَـيْظَ هَمّـاً ولكنّـــي أُجيـــبُ إذا دُعِيـــتُ

ويَنَهـــى عَنِّـــيَ المُختـــالَ صَـــدْقٌ رقيـــقُ الحـــدِّ ضَـــرْبتُهُ صَـــمُوتُ

بكَفَّـــيْ ماجـــدٍ لا عَيْـــبَ فيـــهِ إذا لَقِـــيَ الكريهـــة يَســـتميتُ

وقال عكرمة بن هاشم بن عبد مناف يفتخر بالبطن الذي ينتسب إليه بني عبد الدار، ذاكراً وفاءهم لقبيلتهم في الدفاع عنها وبناء مجدها وشرفها [من الطويل](١):

ألا ذَهَـب المُوفـون بالعَهـد والـذِّمَمْ وساقِي الحَجيج والمُحامي على الكَرَمْ

ومَـنْ يَرْفِـدُ المَـولَى إذا جـاءَ غارِمـاً ومـن يحمـلُ العِـبء الثقيـلَ إذا أحَـمّْ

فـإنْ يَـكُ قـومي قـد أُصـيبوا فـإنَّهم بَنَـــوْا لَكُـــمْ خيَـــر البَنيّـــة والقَـــدَمْ

هُـمُ وَجَّهـوا أولـى المغيـرةِ عَـنكُمُ وهـم ضـربوا وجـه الكتيبـة فـانهزَمْ

ومُسْتَصْـرِخٍ يـدعو لـؤيّ بـن غالـبٍ وهـم حولـه كـالبحر إذا جـاشَ فـالتَطمْ

وروى مؤرّج السدوسيّ بيتين رثى بهما شاعرٌ صُبَيْرَة بن سُعيد بن سَعْد بن سَهْم، وكان من أشراف قريش في الجاهليّة، وله يقول الشاعر [من مجزوء الكامل](٢):

لا تـــأمَنَنَّ الـــدهرَ بَعْـــ دَ صُـــبَيْرَةَ السَّـــهميِّ ماتـــا

عَجِلَـــتْ مَنيَّتُـــهُ الحيـــا ةَ وكـــان مِيتَتُـــهُ افتلاتـــا

وروى أيضاً ثلاثة أبيات وَصَف بها الزُّبير بن عبد المطّلب الخمر [من الطويل](٣):

---

(١) كتاب حَذف من نسب قريش، ص: ٤٧، ٤٨.

يَرفِدُ: يُعين ويُعْطي. الغَارِم: الذي عليه دَين، والغُرْم: الدَّيْن. أحمَّ الشيء: دنا وحضر. البَنِيَّة: كلّ ما يُبنى، وتطلق على الكعبة. القَدَم: السَّبق في الخير والمعروف. جَاش البحر: هاج واضطرب (لسان العرب، ابن منظور: رَفَد، غَرِمَ، حَمَّ، بَنَى، قدَمَ، جَاشَ).

(٢) كتاب حَذف من نسب قريش، ص: ٨٦.

افتلاتا: فجأةً، من (افتَلَتَهُ الموت) إذا فاجأه وعاجله (لسان العرب، ابن منظور: فَلَتَ).

(٣) كتاب حذف من نسب قريش، ص: ٢١، ٢٣.

الأَشْقَح: من الشَّقْحَة، وهي البُسْرَة المتغيّرة إلى الحُمْرة، وأَشقحَ البُسْر: لوَّنَ واحمرَّ واصفَرَّ، وأراد به هنا زِقّ الخمر الذي يميل إلى الحُمْرَة. الرَّاح: الخَمْر التي يرتاح لها صاحبها. جَلْد: قويّ مُحْكَم. مرائره، واحدها مَرير ومَريرة، وهي الحبال المفتولة على أكثر مِن طَاق. الطَّلْق: الحرّ الذي لا قيد عليه. يَراحُ: يقال فلان يَراح للمعروف إذا أخذته

وأشــقحَ مــن راحِ العــراقِ مُمَــلَّأٍ مَخـيطٍ عليـه الخَـيْشُ جَلـدٍ مَرائِـرُهْ

سَبَقْتُ بـه طَلْقاً يَراحُ إلـى النَّدى إذا مـا انتشَـى لـم تَحتضِـرْهُ مَفـاقِرُهْ

ضعيفاً بِجَنْبِ الكأْسِ قَبْضُ بَنانِـهِ كلـيلاً علـى وَجْـهِ النَّـديمِ أَظـافِرُهْ

أريحيّة وخِفة، والأريَحِيّ: الذي يرتاح للنَّدى. النَّدى: الجود والمعروف. انتَشى: سَكِر، فهو نَشوان. مَفاقره: وجوه الفقر، ولا واحد لها، وهي جمع فَقْر على غير قياس. بَنانه: أصابعه، وقيل أطرافها. كليلاً: ضعيفاً أو متعباً ويقال رجل كليل الظُّفْر: ضعيف (لسان العرب: شَقَحَ، راحَ، جَلُدَ، مَرَّ، طَلُقَ، راح، نَدِيَ، نَشِيَ، فَقُرَ، بَنَنَ، كَلَّ).

هِشَام ابن الكلبيّ

روى ابن الكلبيّ أبياتاً لأمّ حاتم الطائيّ، واسمها عِنَبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس – وهي من أجود الناس وأقراهم للضيف – كانت لا تمنع شيئاً عن أَحَدٍ يطلبه، فلمّا رأى إخوتها إتلافها المال حَجروا عليها ومنعوها مالها، حتى أشفقوا عليها لِما وَجدوا من سوء حالتها، فأعطَوْها صِرْمةً من إبلها، فقصدتها امرأةٌ مِن هَوازن كانت تأتيها كلّ سنة، فأعطتها الصِّرمة وقد أقسمت لها إنَّها لن تمنع بعد ذلك اليوم طول الدهر سائلاً يطلب منها شيئاً (١)*، إذ ذكر القالي وأبو الفَرَج:* " **حدّثنا السَّكَن بن سعيد عن العبّاس عن أبيه قال: كانت عِنَبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس وهي أمّ حاتم من أسخى النساء وأقراهم للضّيف...، ثم أنشأت تقول [من الطويل]:**

لعَمري لَقِدْماً عَضّني الجوع عَضّةً ... فَآلَيْتُ ألاّ أمنعَ الدهرَ جائعاً

فقولا لهذا اللائميّ اليوم أَعْفِني ... فإن أنت لم تَفْعل فَعَضَّ الأصابعا

فماذا عَسيتُمْ أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذلِكمْ أو عذل مَنْ كان مانِعا

ولا ما تَرونَ الخُلْق إلا طبيعةً ... فكيف بتركي – يا ابن أمِّ – الطَّبائعا "(٢)

وليس غريباً أنْ يرث حاتم الطائيّ من أمّه الجود الذي اتَّصفَتْ به؛ إذ روى ابن الكلبيّ أبياتاً لحاتم الطائيّ يفتخر فيها بكرمه: "**حدَّثني إبراهيم قال: أخبرني أبو جعفر قال: نا أبو صالح قال: نا ابن الكلبيّ: قال أبو سُحيم الكِلابيّ: ضَاف حاتماً ضَيْف في سنة فلم يقدِر على شيء، وله ناقة**

---

(١) انظر: كتاب ذَيل الأمالي والنّوادر، تأليف أبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البَغداديّ، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، مصطفى إسماعيل، الطبعة الثالثة، ١٩٥٤م، ص: ٢٣. والخبر مرويّ عن طريق السَّكَن بن سعيد، عن العبَّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٦١/١٧، ٢٦٢، وذكر أبو الفرج أنّ اسمها "عُتبة"، والصواب ما ذكره القالي كما صَحّحه الميَمنيّ في السِّمط، ١٣/٣.

الصِّرْمَة: القِطعة من النَّخل أو الإبل أو السّحاب (لسان العرب، صَرَمَ).

(٢) **كتاب ذّيل الأمالي، ص: ٢٣. وكتاب الأغاني، ٢٦١/١٧، ٢٦٢.**

وفي كتاب الأغاني: البيت الثالث: "فماذا عَساكم". البيت الرابع: "ولا تَرون اليوم". آلَيْتُ: أقْسَمْتُ.

يسافر عليها يُقالُ لها "أَفعى"، فعقَرها وأطعم أضيافه قسمها، وبَعَث إلى عِياله بقِسمها الآخر. فقال حاتمٌ في ذلك [من الطويل]:

لمَّا رأيتُ الناس هرَّت كلابِهُمْ ضَرَبْتُ بسيفي ساق أفعى فَخرَّتِ

فقُلْتُ لِأَصباهٍ صِغارٍ ونسوةٍ بشهباءَ مِنْ ليل اليمانينَ قرَّتِ

عليكم مِن الشَّطَّيْنِ كُلَّ وَرِيَّةٍ إذا النَّارُ مَسَّتْ جانبيها ارمَعلَّتِ

ولا يتركُ المرءُ الكريمَ عِيالَهُ وأضيافَهُ ما ساق مالاً بِضَرَّةِ "(١)

*وروى ابن الكلبيّ أيضاً بيتين لحاتم الطائيّ يفتخر فيهما بكرمه وإتلافه ماله، وقد لامَتْه زوجته في ذلك، "***حدَّثني إبراهيم قال: أخبرني أبو جعفر قال: نا أبو صالح قال: نا ابن الكلبيّ قال: وقال حاتم [من الطويل]:**

وقائلةٍ أهْلَكْتَ في الجود مالَنا ونفسَك حتى ضرَّ نفَسك جُودُها

فقلتُ دعيني إنّما تلك عادةٌ لكلّ كريم عادةٌ يستعيدها "(٢)

وهذا امرؤ القيس بن كعب بن عمرو مُزَيْقِياءً يفخر بنفسه في إطعامه الناس وسدّ جوعهم عندما يشتدّ البرد عليهم، إذ يقول [من الوافر](٣):

قَتَلْتُ الجوع في الشَّتَوات حتّى تَرَكْتُ الجُوعَ ليس له نَكيرُ

---

(١) ديوان حاتم الطائيّ (عن أبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ)، تأليف أبي صالم يحيى بن مُدرك الطائيّ، تحقيق حنّا نصر الحَتّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص: ٣٥، ٣٦.

أصباه: في الأصل "أَصْبِيَة" جمع صبيّ، حيث قُلبت الياء ألفاً، وهذه لغة شائعة في طيّئ. شَهباء: أي ليلة شهباء: مُجدِبة لا خُضرة فيها ولا مطر، أو كثرة الثلج. "ليل اليمانين" تُروى الثلاثين، وليل الثلاثين أشدّ الليالي ظلمة. قَرَّت: بَردت. الوَرِيّة: الدَّسِمة السَّمينة. البيت الرابع: رواية أخرى "ولا ينزل". الضَرّة: الشدّة والضّيق وسوء الحال (الديوان، ص: ٣٦: الحواشي).

(٢) ديوان حاتم الطائيّ، شرم أبي صالم يحيى بن مُدْرِك الطائيّ، ص: ٤٦.

(٣) النَّسَب الكبير، ١١٠/١.

النَّكير: العقوبة الرّادعة، وأمرٌ نكير: أمرٌ صَعب (لسان العرب: نَكَرَ).

ويفخر معوّدِ الحكماء – واسمه معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب – بشجاعته، وقد فاخره "القُرَطاء" من قبيلة كلاب بكثرة عددهم، فردّ عليهم شعراً بقوله [من الوافر][1]:

تُفـــاخرني بكثرتهـــا قُـــرَيْط وقبلـــك والـــدَ الحَجَـــل الصُّـــقورُ

فـــإن أكُ فـــي عديـــدكمُ قلـــيلاً فـــإنّي فـــي عـــدوّكُمُ كثيـــرُ

بُغـــاث الطيـــر أكثرهـــا فِراخـــاً وأُمّ الصَّـــقر مِقْـــلاتٌ نَـــزورُ

(١) **جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١٨/٣.**

معجم الشعراء، المرزبانيّ، ص: ٣١٠. وسِمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البَكريّ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ١٩٠/١. و"مُعَوِّد الحُكَماء" شاعر جاهليّ، وهو عمّ لَبيد بن ربيعة، وسُمّي "مُعوِّد الحُكَماء" بقوله:

سأَعقِلُها وتحملهـا غَنِـيٌّ وأُورث مَجـدها أبـداً كِلابـا

أُعـوِّدُ مِثلهـا الحُكَمـاء بعـدي إذا مـا مُعْضِـلُ الحـدَثان نابـا

(المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ٢٨٨. وكتاب نزهة الألباب في الألقاب، ابن حَجَر العسقلانيّ، تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص: ٢٦٣. وسِمط اللآلي، أبو عُبيد البكري، ١٩٠/١). وقد وردتْ الأبيات في معجم الشعراء وسِمط اللآلي بترتيب مختلف عن رواية ابن الكلبيّ، وفيهما أيضاً اختلاف في رواية بعض الألفاظ: معجم الشعراء: البيت الأول: "فيالَك والد الحجل الصقورُ". البيت الثاني: "فإن أكُ في عدادكمُ قليلاً". سِمط اللالي: البيت الأول: "يفاخرني... والدُ الحجلِ الصّقورُ". البيت الثالث: "شِرار الطير".

الحَجَل: جمع الحَجَلة، طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طَيّب اللحم. البُغاث: طائر أَبْغَث اللون، أي فيه بُقَع بيض وسود، بطيء الطيران، وفي المثل: "إنّ البُغاث بأرضنا يَستنِسرُ"، أي مَن جاورنا عَزّ بنا. المِقلات: التي لا يعيش لها ولد. النَّزور: كل شيء يقلّ (لسان العرب، ابن منظور: حَجَلَ، بَغِثَ، قَلِتَ، نَزُرَ).

ومن الفخر بالشجاعة أبيات ثعلبة بن عامر الكلبيّ التي فخر بها بقتل مَلِك من ملوك الشام في إغارةٍ أغارها مع بعض قومه، وذلك قوله [من الكامل] (١):

نحـنُ الأُلَـى أردتْ ظُبَـات سـيوفنا داودَ بـين القـريتين مُحـاربِ

خَطـرَت عليـه رماحنـا فَتَرَكْنَـهُ لمّـا قَصَـدْنَ لَـهُ كـأمسِ الـذّاهبِ

ولـذاك إنّـا لا تـزالُ سـيوفُنا تَنفـي العِدى وتُعيـد رُعْـبَ الرّاعـب

(١) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٥٧/٣، ٣٥٨.**

"القريتين مُحاربِ" تصحيف، وصوابها "القُرنَتَيْنِ فَحاربِ"، كما صَحَّحها محمّد شفيق البيطار عن: أسماء المغتالين وشرح القصيدة الدَّامغة ومعجم البلدان؛ غير أنّه جاء في أسماء المُغتالين وشرح القصيدة الدامغة: "البرقتين فحاربِ"، وفي معجم البلدان (٣٣١/٤): "بحاربِ" (ديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ٢٢٦/١: الحاشية ٢). "لَمَّا شُرِعْنَ" مكان "لمّا قَصدْنَ له" في أسماء المغتالين وشرح القصيدة الدّامغة عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٣). "لا تزال رماحنا" مكان "لا تزال سيوفنا" في أسماء المغتالين عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٤). وفي شرح القصيدة الدّامغة: "لا تزال رماحنا تنفي المَذلّة لو بقتل الصاحبِ" عن محمّد شفيق البيطار (ديوان شعراء بني كلب، ٢٢٦/١: الحاشية ٤).

"وتُعيد رُعْبَ الرّاعب" تصحيف، وقد صَحَّحه محمّد شفيق البيطار عن أسماء المغتالين: "وتفيدُ رُغْبَ الرّاغبِ".

الأُلَى: جمع لا مفرد له من لفظه بمعنى الذين. أَرْدَت: أهلكت. ظُبات السيوف: جمع ظُبَة، وهي حدّ السيف (لسان العرب: أَلى، رَدَى، ظَبا). القُرنتان: تثنية القُرنَة، والقُرْنَة من كلّ شيء حدّه، وهو موضع على أحد عشر ميلاً مِن فَيْد للقاصد مكّة؛ .. وقال نصر: القُرنتان: تثنية قُرْنَة، بين البصرة واليمامة في ديار تميم (معجم البلدان، ٣٣١/٤). حارِب: موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصُّفْر من ديار قُضاعة (معجم البلدان، ٢٠٤/٢، ٢٠٥). خَطَرت عليه: اهتزَّت. قصَدْنَ له: توجّهت إليه عَمداً. تنفي العِدَى: تُنَحّيهم وتُبعدهم. الرُّغب: الرَّغبة (لسان العرب: خَطَر، قَصَد، نَفَى، رَغِبَ).

ويفتخر الأجدع بن مالك الهَمْدانيّ بقتل فوارس الأرباع – وهم بنو الحُصَيْن من بني كعب بن الحارث بن كعب مِن مَذْحِج – الذين قتلتهم هَمْدان يوم الأَحْرَمَيْن [من الكامل][1]:

أســـألتَني بركـــائبي ورحالهـــا ونَسِـــيتَ قتـــلَ فـــوارس الأربـــاعِ

ويفتخر أيضاً عمرو بن كلثوم التغلبيّ بقومه على بني الطَّمَّاح بن نُمارة بن إياد بقوله [من الوافر][2]:

ألا سَـــائل بنـــي الطَمَّـــاحِ عَنّـــا ودُعْمِيّـــاً فكيـــف وجـــدتمونا

---

(١) **النسب الكبير، ٢٨٠/١. وانظر أيضاً: ٩١/١، ٣٣٨/٢.**

فوارس الأرباع: قال ابن الكلبيّ: "هم بنو الحُصَين مِن بني كعب بن الحارث بن كعب مِن مَذْحج، وهم عَمرو وزياد ومالك، يقال لهم فوارس الأرباع، كانوا إذا وقعت حرب وَلِيَ كلّ واحد منهم رُبْعها، قتلتهم هَمْدان يوم الأحرمين" (النسب الكبير، ٢٧٩/١، ٢٨٠). وقال البكريّ: "هم بنو الحُصَيْن ذي الغُصَّة، فقيل الأرباع هم الذي يأخذون رُبْع الغنيمة، وقيل: الأرباع: "موضع قُتِلُوا فيه" وذكر البيت (معجم ما استعجم، ٦٥١/٢).

ولم أجد ليوم الأَحْرَمَيْن ذكراً في ما رَجَعْتُ إليه مِن مصادر، ولكنّ ابن هشام قال: "يوم الرَّدْم كان قبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان، وهو وقعة أصابت فيه هَمْدان من مراد، وكان الذي قاد هَمدان إلى مراد الأجدع الهَمْدانيّ (السيرة النبويّة، ابن هشام، تحقيق مصطفى السَّقَّا، ٢٢٨/٤). وأورد الهَمْدانيّ صاحب الإكليل هذا البيت مع ستّة أبيات أخرى قالها الأجدع الهَمْدانيّ يوم الرَّزْم: "بركائب" مكان "بركائبي" (كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوع، ٧٧/١٠، ٧٨). وقال البكريّ: "يوم الرَّزْم يوم لهَمْدان على مراد قبيل الإسلام، ورئيس هَمْدان يومئذ الأجدع الشاعر" (معجم ما استعجم، البكريّ، ٦٤٩/٢). ويتَّضح مما سبق أنّ ثمَّة اضطراباً وقع في اسم اليوم الذي قيل فيه البيت على النحو التالي: "الأحرمين" وقد انفرد ابن الكلبيّ بذكره. "الرَّدْم" ذكره ابن هشام. "الرَّزْم": ذكره الهَمْدانيّ صاحب الإكليل والبكريّ. وأغرب من هذا ما ذكره محقّق كتاب الإكليل محمّد الأكوع في تاريخ هذا اليوم على اختلاف تسميته، إذ نفى أن يكون هذا اليوم قد وقع في الجاهليّة، دون أن يذكر مرجعاً لكلامه: "يوم الرَّزْم، ويقال فيه يوم الرَّدْم، وهو موضع اجتمعت فيه هَمْدان كلّها ومَذْحِج كلّها، وكان سبب ذلك أنّ صنم يغوث كان في هؤلاء مرّة وفي هؤلاء مرّة، فأرادت مراد أن تغلب عليه في مرّتهم فقامت الحرب، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة في وقعة بَدر (كتاب الإكليل، ٧٧/١٠: الحاشية). والاضطراب وقع في اسم اليوم وتاريخه دون البيت ونسبته إلى الأجدع الهَمْدانيّ.

(٢) **النَّسب الكبير، ٥٥/١.**

ديوان الحارث بن حِلِّزة وعمرو بن كلثوم، شرح مَجيد طراد، ص: ١٥١. قال ابن السِّكيّت: بنو الطَمَّاح من بني وائل، وهم من بني نُمارة. ودُعميّ بن جَديلة من إياد (شرح القصائد العَشْر، الخطيب التبريزيّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، ص: ٣١٩: الحاشية)، وقال ابن الأنباريّ: الطَمَّاح ودُعميّ حيّان من إياد، والمعنى: فقل لهم كيف وجدتم ممارستنا؟ (شرح القصائد السبع الطوِّال الجاهليّات، ص: ٤١٩).

وهذا بَلعاء بن قيس الكناني يفتخر بقوّته وشجاعته عند ملاقاة خصمه من [من الوافِر][(١)]:

تَرَكْتُ ابن الحُرَيْزِ على ذِمامِ وصُحْبتَه تلوذُ به العَوافي
ولم يَصرِفْ صُدورَ الخيل إلّا صَوايحُ من أياتيمٍ ضِعافِ
وقِرْنٍ قد تَركتُ الطيرَ منه كمُعْتَنِزِ العَوارِكِ مِنْ مَنافِ

وقد اهتمّ ابن الكلبيّ – كما سبق – بشعر لقيط بن يَعْمُر الإياديّ، ورَواه أيضاً، إلّا أنّ ديوانه لم يضمّ غير قصيدته العينيّة التي تبلغ ستّين بيتاً، ومقطوعة داليّة مكوَّنة مِن أربعة أبيات فقط، وكلتاهما ذواتا مضمون واحد هو إنذار قومه من الفرسِ وتحريضهم على قتالهم. وكانت قبيلة إياد – وهي من قبائل العرب المنيعة، إذ كانت لِمَنَعتها لا تدفع الأتاوة لأيّ مِن الملوك – قد وَثَبتْ على امرأة كسرى أنو شُرْوان، فسَبَتْها وأخذت منها أموالاً طائلة، فجهَّز كسرى إليهم جنوده مرّتين، فهزَمَتْهم إياد ثم انجلَوْا حتى نزلوا أرض الجزيرة (دجلة والفرات)، فوجَّه إليهم كسرى جيشاً قِوامه ستّون ألفا، وكان الشاعر لَقيط بن يعمر الإياديّ ينزل الجزيرة في ذلك الحين[(٢)]، فلمّا بلغَه الخبر كَتب إلى قومه ينذرهم [من الوافر][(٣)]:

سَلامٌ في الصَّحيفة مِنْ لَقيطٍ إلى مَنْ بالجزيرة مِن إيادِ
بأنّ الليثَ كِسرى قدْ أتاكمْ فلا يَشْغَلكُمُ سَوْق النِّقَادِ
أتاكُمْ منهمُ ستّون ألفاً يَزُجّون الكتائب كالجرادِ
على حَنَقٍ أتَيناكُمْ فهذا أوانُ هلاكِكُمْ كهلاكِ عادِ

---

(١) **كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص٣٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٠٣/٥.**

"أياتيم": لم أجد لها معنىً، ولعلّ الصّواب "أيائيم" كما ذكرها ياقوت في معجم البلدان. وفي معجم البلدان: "مُعْتَرِك" مكان "مُعْتَنِز".
الذِّمام: الحقّ والحُرمَة، وكلُّ حرمة تلزم المرء إذا ضَيَّعها المَذمّة. العوافي: واحدها العافية، والعوافي: الأضياف وطُلّاب المعروف، وقيل طُلّاب الرِّزق من الإنس والدَّواب والطَّيْر. أيائيم: صوابها "أيايِم"، ثم قُلِبَتْ فأصبحت "أيامى"، والأيامى هم الذي لا أزواج لهم مِن الرّجال والنّساء، وأراد هنا النّساء، والواحد أَيِّم، وامرأة أَيِّم بِكراً كانت أو ثَيِّباً، ويبدو أنّ الشاعر زاد ياءً فأصبحت "أَياييم". القِرن: الخَصم والمكافئ في الشجاعة. المُعْتَنِز: الذي لا يُساكن الناس ولا يخالطهم لئلّا يُرزَأَ شيئاً. العَوارك: جمع العارك، وهي الحائض من النساء (الصِّحاح للجوهريّ ولسان العرب لابن منظور: ذمَّ، عَفَا، أَيِمَ، قَرَن، عَنَزَ، عَرَكَ).

(٢) انظر: ديوان لقيط بن يعمر الإياديّ على رواية ابن الكلبيّ، شرح وتحقيق محمد التُّونجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص: ٧١، ٧٢.
الشعر والشعراء، ابن قُتيبة، ١٩٩/١. والأغاني، ١٢/٢٣. والمفصّل في تاريخ العرب، جواد علي، ٨٠٦/٩.

(٣) **ديوان لقيط بن يَعْمُر الإياديّ، ص: ٧٣، ٧٣.**

وردت الأبيات بتمامها في المؤتلف والمختلف للآمديّ، ص: ٢٦٦، مع اختلاف في رواية البيت الثاني: "فإنّ الليث آتيكم دَليفاً فلا يَحبسكمُ سَوْقُ النِّقادِ". الجزيرة: هي جزيرة "أَقور" (بالقاف)، وسُميت بالجزيرة لأنّها تقع بين دِجلة والفرات، وتجاور الشام وتشتمل على ديار مُضَر وبَكر، وتعرف اليوم بالجزيرة الفُراتيّة (معجم البلدان، ١٣٤/٢). النِّقاد: صِغار الغَنم. يَزُجُّون: يرمون. الحَنَق: الغضب والغَيظ. الدَّليف: مَشْيٌ فوق الدَّبيب كما تَدلِفُ الكتيبة نحو الكتيبة في الحرب. (لسان العرب: نَقَد، زَجَّ، حَنِقَ، دَلَف).

وذكر ابن قتيبة أنّ إيَاداً لمّا بلغتها أبياتُ لقيط أَعدّت العُدّة لقتال جيش كسرى، ثم التقى الفريقان واقتتلوا قتالاً شديداً، أصيب فيه من الفريقين. ورَجَعت عنهم الخيل، ثم دَبَّ الخلاف بينهم فتوجّهت منهم فرقة إلى الشام، ورجَعَتْ فِرقة إلى السّواد – سواد العِراق – وبقيت فرقة بالجزيرة(١).

وذكر ابن الكلبيّ أنّ خيول كسرى لمّا أَشرفَتْ على الجزيرة حيث قبائل إياد، كتب لقيط هذه القصيدة، وقوامها اثنان وخمسون بيتاً(٢). وتعدّ هذه القصيدة – في ما بحثت – أطول ما روى ابن الكلبيّ مِنْ شعر في الجاهليّة. قال لقيط بن يَعْمُر الإياديّ [من البسيط](٣):

يـا دارَ عمـرة مـن مُحتَلّهـا الجَرَعـا ... هاجَـتْ لـيَ الهَـمَّ والأحـزانَ والوَجَعـا
تامَـتْ فـؤادي بـذات الجِـزْع خَرْعَبـةٌ ... مــرَّتْ تُريــدُ بِــذاتِ العَذْبــةِ البِيَعَـا
جَرَّت لِما بيننـا حَبْلَ الشَّموس فـلا ... يأســاً مُبينــاً تــرى منهــا ولا طَمَعـا
فمــا أزالُ علــى شَــحْطٍ يُــؤرّقُني ... طَيْـفٌ تعمَّـد رَحْلـي حَيثمـا وُضِـعا
إنّــي بعينِــيَ إذ أمَّــتْ حُمــولُهُم ... بَطْـنَ السَّـلَوْطَحِ لا يَنْظُـرْنَ مَـن تَبِعَا
طَــوْراً أراهــمْ وطــوراً لا أُبيــنهُمُ ... إذا تواضَــع خِــدْرٌ ســاعةً لمَعَــا
بل أيّها الرَّاكبُ المُزجي على عَجَلٍ ... نحــو الجزيــرة مُرتــاداً ومُنتَجَعَــا
أَبْلِــغْ إيــاداً وخَلِّــلْ فــي سَــراتِهِمِ ... أَنّي أرى الرأيَ إنْ لم أُعْصَ قد نَصِعَا
يـا لَهْـفَ نفسـيَ إنْ كانـت أمـوركمُ ... شَـتَّى وأُحكِـمَ أمـر النـاسِ فاجتمعـا

---

(١) انظر: الشعر والشّعراء، ابن قتيبة، ٢٠٠/١. والمفصّل، جواد علي، ٨٠٦/٩. السَّوَاد: سُمّي لخضرته بالزُّروع والأشجار والنخيل؛ لأنّ الخضرة تَظهر سواداً لِمَنْ يراها من بعيد، ومنه "سَواد العراق" (معجم البلدان، ٢٧٢/٣).

(٢) هذا ما رواه ابن الكلبيّ، وانفرد ابن الشّجريّ برواية ثمانية أبيات ممّا لم يُذكر في المخطوطات (انظر: حواشي الديوان، الصفحات: ٧٥، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٨٥).

(٣) **ديوان لقيط بن يَعْمُر الإياديّ، ص: ٧٤–٨٩.**

في الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ٢٠٠/١: "يا دار عَبلَة". وفي المؤتلف والمختلف، الآمديّ، ص: ٢٦٦: "يا دار مَيَّةَ". وفي الحماسة البصريّة، ٢٨٠/١: "هاجَتْ لك". الجَرَع: الأرض ذات الحَزونة تشاكل الرمل. هاجَتْ: أثارت. الجِزْع: منعطف الوادي. خَرْعبَة: شابّة حَسنة القِوام (لسان العرب، ابن منظور: جَرَع، هاج، جَزَع، خَرْعَب) عَذْبَة: موضع على ليلتين من البصرة فيه مياه طيّبة (معجم البلدان، ٩١/٤) البِيَع: جمع البِيَعة، وهي كنيسة النَّصارى، وقيل: كنيسة اليهود. الشَّموس: الدَّابّة الشَّرود التي تمنع ركوب ظهرها. مُبيناً: واضحاً. الشَّحط: البعد والفراق. يؤرّقني: يسهّرني. طَيف: خيال. تَعمَّد: قَصد. أمَّتْ: قصَدتْ (لسان العرب: بَيَعَ، شَمسَ، بان، شَحَط، أَرَق، طاف، عَمَد، أمَّ) السَّلَوْطح: موضع بالجزيرة الفُراتيّة (معجم البلدان، ٢٤٢/٣). الخِدْر: خشَبَات تُنْصَب فوق قَتَب البعير مستورة بثوب، وهو الهَوْدَج.

المُزْجي: السائق. الارتياد والانتجاع: طلب الكلأ. خَلِّلْ: خُصّ. سَراة القوم: سادتهم. نَصَع: وَضَح وبانَ. اللَّهْف: الحزن والأسى والحسرة. (لسان العرب: خَدَرَ، زَجا، رَادَ، نَجَعَ، خَلَّ، سَرا، نَصِع، لَهِفَ).=

أَلا تخـــافونَ قومـــاً لا أبـــا لكـــمُ ... أَمْسَـوْا إلـيكم كأمثـال الـدَّبا سُـرُعا؟
أَبنـــاءُ قَـــوْمٍ تـــأَوَّوْكُمْ علـــى حَنَـــقٍ ... لا يشـــعرون أَضَـــرَّ اللهُ أَم نَفَعـــا
أحـرارُ فـارسَ أبنـاءُ الملـوك لَهُـمْ ... مِـن الجمـوع جُمـوعٌ تزدَهـي القَلَعـا
فهـم سِـراعٌ إلـيكم بـين مُلْـتقِطٍ ... شَـوكاً وآخـر يَجنـي الصَّـابَ والسَّـلَعا
لـــو أَنّ جَمْعَهُـــمُ رَامُـــوا بَهذّتِـــهِ ... شُمَّ الشَّماريخِ مِن ثَهلانَ لانْصَدَعَا
فـي كـلّ يـومٍ يَسِـنّون الحِـرابَ لكـمْ ... لا يَهجعـون إذا مـا غافِـلٌ هَجَعـا
خُـــزْراً عيـــونهُمُ كـــأنّ لَحظَهُـــمُ ... حريـق نـارٍ تـرى منـه السَّـنا قِطعَـا
لا الحَرْثُ يَشغَلهُمْ بل لا يَروْنَ لهمْ ... مِـن دون بَيضـتكمْ رِيّـاً ولا شِـبَعا
وأنـتمْ تحرثـون الأرض عـن سَـفَهٍ ... فـي كـلّ مُعْتَمَـلٍ تَبغُـون مُزْدَرعـا
وتُلقِحـون حِيـالَ الشَّـوْلِ آوِنَـةً ... وتَنتِجـون بـدار القُلْعَـةِ الرُّبَعـا
وتَلبِسـون ثيـاب الأمـن ضـاحيةً ... لا تَجمعـونَ وهـذا الليـث قـد جَمَعـا
أنـتُمْ فريقـانِ هـذا لا يقـوم لـه ... هَصْـرُ الليـوثِ وهـذا هالِـكٌ صَـقَعا
وقـد أظَلَّكُـمُ مِـنْ شَـطْرِ ثَغْـركمُ ... هَـوْلٌ لـه ظُلَـمٌ تَغشـاكمُ قِطَعَـا
مـالي أراكُـمْ نِيامـاً فـي بُلَهْنِيَـةٍ ... وقد تَروْنَ شِهابَ الحرب قد سَطَعا؟
فاشـفُوا غليلـي بِـرَأْيٍ مـنكمُ حَسَـنٍ ... يُضْـحي فـؤادي لـه ريّـانَ قـد نَقَعـا

=الدَّبَى: صِغار الجراد. تأَوَّوْكم: تجمعّوا نحوكم. الحَنَق: الغضب والغيظ. القَلَع: قِطع من السحاب كأنّها الجبال، واحدتها قَلَعَة. الصّاب والسَّلَع: ضربان من الشجر مُرَّان. والصَّاب: عُصارة شجر مُرّ، وقيل هو شجر إذا اعتُصِر خَرج منه كهيئة اللبن ما يُؤذي العين إذا أصابها. والسَّلَع: شجر مُرّ ينبت في اليمن، وهو من الفَصيلة العِنبيَّة. رَامُوا: طلبوا. الهَدَّة: صوت وقوع الشيء الثقيل. شُمّ الشّماريخ: أعاليها. الشَّمَّاريخ: رؤوس الجبال النّاتئة. انصدَع: انشقَّ. (لسان العرب: دَبَى، أَوَى، حَنِق، قَلِعَ، صَاب، سَلِعَ، رَامَ، هَدَّ، شَمَّ، شَمرخَ، صَدَع. ثَهْلاَن: مِن جبال نجد، وهو لبني نُمَيْر بن عامر بن صَعْصَعَة، به ماءٌ ونخل (معجم البلدان، ٨٨/٢). السَّنّ: الحَدّ. الحِراب: جمع الحَربة، وهي آلة قصيرة من الحديد مُحدَّدة الرأس تستعمل في الحرب. خُزْر العيون: العين الصغيرة الضيّقة، وهذه كناية عن حِدّة النظر والترقُّب. السَّنا: الضَّوء.
الحرَث: الزَّرْع. بَيضتكم: بَيضة القوم حَوزتهم وحِماهم وأرضهم. (ويبدو أن الشاعر كان على علم باستقرار قبيلة إياد في الجزيرة، والجزيرة شديد الخصوبة، ولذلك شَغَلتهم الزراعة وأَغَرَّتهم المحاصيل: شرح الديوان، ص: ٧٩: الحاشية). السَّفَه: الغَفْلة. مُعْتَمَل: موضع العمل. مُزْدَرَع: موضع الزراعة. الشَّوْل: النُّوق التي شَوَّل لبنها أي جَفّ وذهب. حِيال: جمع حائل، وهي الناقة التي لا تَحبل. تَنتجون: تُلقحون. دار القُلْعة: دار التحوّل والارتحال. الرُّبَع: الفصيل الذي يُنتَج في الرَّبيع. ضاحية: ظاهرة. هَصْر اللّيوث: كَسْرها وشدّة افتراسها. صَقَعا: من الفعل (صَقِعَ) أي تنحَّى بعيداً عن الأعداء فلا يُدرَى أين هو. وقال شارح الديوان: "أي أراكم تتقسمون فريقين: فريقاً قويّاً يكسر الأقوياء ويبطش بهم، وهم الفُرس. وفريقاً ضعيفاً سيهلك فَزَعاً من الحرب، وهم قومه" (الديوان، ص: ٨١: الحاشية). شطر: ناحية. الثَّغْر: الموضع الذي يُخاف هجوم العدوّ منه. البُلَهْنِيَة: الرَّخاء وسعة العيش في غَفلة عن الشرّ. نَقع: رَوِيَ (لسان العرب: سَنَّ، حَرب، خَزِرَ، سَنا، حَرَث، باض، عَمِلَ، زَرع، شَال، حَال، نَتَج، قَلِعَ، رَبَع، ضَحا، هَصَر، صَقِع، شَطَر، ثَغَر، بَلِهَ، نَقَع).=

ولا تكونـوا كمَـنْ قـد بـات مُكْتَنِعـاً إذا يُقـالُ لـه افْـرِجْ غُمَّـةً كنَعَـا

صـونوا جِيـادَكمُ واجْلُـوا سُـيوفَكمُ وجَـدِّدوا للقِسِـيِّ النَّبْـلَ والشِّـرَعَا

واشـرُوا تِلادَكُـمُ فـي حِـرْز أنفُسِـكمْ وحِـرْزَ نسـوتكم لا تَهْلِكُـوا هَلَعـا

ولا يَـدَعْ بعضُـكمْ بعضـاً لنائبـةٍ كمـا تَـرَكَتكُمْ بـأعلى بِيشَـةَ النَّخَعَـا

أَذكُوا العُيونَ وراء السَّرْحِ واحترِسُوا حتـى تُرى الخيلُ مِنْ تَعدائها رُجُعَا

فـإنْ غُلِبْـتُمْ علـى ضَـنٍّ بـداركمُ فقـد لَقِيـتُمْ بـأمرٍ حـازمٍ فَزَعـا

هيهـاتَ لا مـالَ مِـنْ زَرْعٍ ولا إبِـلٍ يُرْجَـى لغـابرِكمْ إن أنفُكُـمْ جُـدِعَا

لا تَثِمُـروا المـال للأعـداء إنّهُـمُ إنْ يَظْفَـروا يَحتـووكُمْ والـتِّلادَ مَعَـا

واللهِ مـا انفكَّـتْ الأمـوال مُـذْ أَبَـدٍ لأهلهـا إنْ أُصـيبوا مـرّةً تَبَعـا

يـا قـومِ إنّ لكـمْ مِـن عِـزّ أوّلِكُـمْ إرْثـاً قـدَ اشْـفَقْتُ أنْ يـودي فَينْقَطِعـا

ومـا يُـردّ علـيكم عِـزّ أوّلِكُـمْ إنْ ضـاع آخِـرُه أو ذلّ فاتَّضَـعا؟

فـلا تَغُـرَّنْكُمُ دنيـا ولا طَمَـعٌ لَـنْ تَنْعَشـوا بزِمـاع ذلـك الطَّمَعـا

يـا قـومِ بَيضـتكُمْ لا تُفْجَعُـنَّ بِهـا إنّـي أخـافُ عليهـا الأَزلـمَ الجَـذَعَا

يـا قـومِ لا تـأمَنُوا إنْ كنـتمُ غُيُـراً علـى نسـائكُمُ كِسْـرَى ومـا جَمَعـا

هـو الجَـلاءُ الّـذي يَجتَـثُّ أصـلكُمُ فَمَـنْ رأى مثـلَ ذا رأيـاً ومَـن سَـمِعَا؟

=كَنَع: خَضَع وذَلّ. جَلَى السيف: كشَف صَدأه وصَقَله. النَّبْل: جمع النِّبال وهي السِّهام. الشِّرَع: الأوتار الدِّقاق، واحدتها شِرْعَة. اِشرُوا: بيعوا. التِّلاد: المال القديم الأصيل الذي يولد عند المرء، وهو نقيض الطّارِف. الحِرْز: الموضع الحصين. النّائبة: المُصيبة. بِيشَة: اسم قرية غَنَّاء في وادٍ كثير الأهل من بلاد اليمن (معجم البلدان، ٥٢٩/١). النَّخَع: قبيلة من الأَزْد، وقيل من اليمن. أَذكُوا العيون: أرسلوها. السَّرْح: شجر كبار عظام طِوال لا تُرعى، وإنّما يُستَظلُّ فيها. التَّعداء: العدو والجَري. الضَّنّ: البُخل. غابركم: بقيّتكم. جُدِعَ: قُطِع، وجَدْع الأنف كناية عن الخضوع والذّلّ. يُودي: يهلك. اتّضع: ذلّ. الزِّماع: المَضاء في الأمر والعَزم عليه. بَيضتكم: مَضَى شرحها، وهي هنا بمعنى ساحتكم وموضع عزّكم. الأَزلَم الجَذَع: الوعول والظِّباء؛ لأنّها لا يسقط لها سِنّ فهي جَذعان أبداً، وقد أراد بذلك أنّ الدهر على حال واحدة. (لسان العرب: كَنَع، جَلَى، نَبَل، شَرَع، شَرَى، تَلَد، حَرَز، نابَ، نَخَع، ذَكا، سَرَح، عَدا، ضَنَّ، غَبَر، جَدَع، وَدَى، وَضَع، زَمَع، زَلَم) وشرح الديوان، ص: ٨٦: الحاشية. =

فقَلِّـــــدوا أمـــــركُمْ لِلّه دَرُّكُـــــمُ ... رَحْبَ الـذِّراع بـأَمر الحـرب مُضْـطَلِعا

لا مُتْرَفـاً إنْ رخـاءُ العـيش سـاعَدَهُ ... ولا إذا عَـضَّ مكـروهٌ بـه خَشَـعا

مُسَـــهَّدَ النَّـــوْمِ تَعنيـــهِ ثغـــوركُمُ ... يَـرومُ مِنهـا إلـى الأعـداء مُطَّلَعَـا

مـا انفـكَّ يحلُـبُ دَرَّ الـدهر أشْـطُرَهُ ... يكـــون مُتَّبِعـــاً طَـــوْراً ومُتَّبَعـــا

ولـــيس يشـــغَلُهُ مـــالٌ يُثَمِّـــرُهُ ... عـنكمْ ولا وَلَـدٌ يَبغـي لـه الرِّفَعـا

حتـى استمرَّت علـى شَـزْرٍ مَريرتُـه ... مُسْـتَحكِمَ السِّـنِّ لا قَحْمـاً ولا ضَـرَعا

كمالـــكِ بـــن قَنَـــانٍ أو كصـــاحبهِ ... زَيـدِ القَنـا يـوم لاقـى الحـارِثَيْنِ مَعـا

إذ عابَـهُ عائـبٌ يومـاً فقـال لـه ... دَمِّـثْ لجَنْبِـكَ قبـل الليـل مُضْـطجَعَا

فَســـاوَرُوه فـــأَلْفَوْهُ أخـــا عَلَـــلٍ ... فـي الحـرب يَحْتَبِـلُ الرِّئبـالَ والسَّـبُعَا

عَبْـــلَ الـــذِّراع أبِيَّـــاً ذا مُزَابَنَـــةٍ ... فـي الحـرب لا عـاجزاً نِكْساً ولا وَرِعا

مُسْـتَنجِداً يتحـدَّى النـاس كُلَّهُـمُ ... لـو قـارعَ النـاس عن أحسابهم قَرَعا

هـذا كتـابي إلـيكمْ والنَّـذيرُ لكـم ... فمَـنْ رأى رأيـه مـنكُمْ ومَـنْ سَـمِعَا

لقـد بَـذَلْتُ لكـم نُصـحي بـلا دَخَـلٍ ... فاسـتيقظوا إنّ خيـر العلـم مـا نَفعَـا

=الجَلاء: الخروج من بلد إلى بلد بالنفي والطرد. يجتثّكم: ينتزعكم مِنْ جذوركم. لِلّه دَرُّكم: عبارة تعجُّب سماعي. دَرُّكم: خيركم. رَحْب الذراع: واسعه. مُضطَلِعاً: مُحْتَمِلاً. يقول: "صَيِّروا لكم رأساً ولا تختلفوا". المُتْرَف: المتنعِّم. خَشَع: خَضَع وذلّ. المُسهَّد: المؤرَّق الذي يجافيه النوم. الثُّغور: مفردها الثَّغْر، وهو الفُرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك. المُطَّلَعَ: المكان المُشرِف. حَلَب فلانٌ الدهر أشطره: أي خَبِر ضروبه، يعني أنّه مَرَّ به خيره وشرّه وشدّته ورخاؤه تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة، إذ للناقة خِلفان قادمان وخلفان آخران، فكلّ خِلْفين شَطْر. يَبغي: يطلب. الرِّفَع: جمع الرِّفْعة، وهي خِلاف الضَّعَة. الشَّزْر: الفَتل بشدّة. القَحْم: الشيخ الكبير السنّ. الضَّرَع: الغَمْر الضّعيف من الرّجال، وقيل الصغير السنّ. التَّدميث: اللِّين وسهولة الخُلق. ساوَروه: واثَبُوه. العَلَل: الشَّربة الثانية، وقيل الشُّرب بعد الشّرب تِباعاً، يُقال: عَلَل بعد نَهَل. والمقصود بـ (أخا عَلَل) أي أنّه صاحب خبرات وتجارب في الحروب. يَحتبل: يَصيد. احتبَلَه: أخَذه وصَاده بالحِبالة أو نَصَبها له. الرِّئبال: من أسماء الأسد. عَبْل الذِّراع: ضَخمها. الأَبِيّ: الممتنع. المُزابَنة: المُدافَعة والمُصادَمة، مِن الفعل: زَبَنَ، أي دَفَع. النِّكْس: الرجل الضَّعيف. الوَرِع: الجَبان (لسان العرب، ابن منظور: جَلَا، جَثَّ، دَرَّ، رَحِبَ، ضَلُعَ، تَرِفَ، خَشَع، سَهِدَ، ثَغَر، طَلَع، حَلَبَ، بَغَى، شَزَر، قَحَم، ضَرَعَ، دَمُثَ، سَار، عَلَل، حَبَلَ، رَأْبَلَ، عَبِلَ، أَبَى، زَبَن، نَكَس، وَرَعَ. وشرح الديوان، ص:٨٦: الحاشية).

وقد ذكر جواد علي أنّ بعض الأَخباريّين شَكُّوا بَقْتك كِسرى بقبيلة إياد ونَفيْه إيّاهم إلى الشام، وأنّ هناك صلات حسنة كانت تربطه بهم، وذَكَرَ أنّ بعض أهل الأخبار رَوَوْا شعراً زَعموا أنّ لَقيطاً قاله في كيفيّة الحكم وسياسة الرعيّة؛ إلاّ أنّني وجدت أن الأبيات التي ذكرها مُثْبَتَةٌ في ديوان لَقيط، ولم تُشر أيٌّ مِنْ نُسخ الديوان بتحقيقاته المختلفة إلى أنّ هذه الأبيات منسوبة إليه(١).

وديوان لَقيط بن يَعْمُر لا يشتمل على غير هذه القصيدة والمقطوعة السابقة اللتين أوردتهما، ولا يُدْرَى إن كان هذا هو كلّ شعر لقيط الذي وصل إلينا؛ فأبو الفرج الأصفهانيّ يذكر في ترجمته للقيط أنّه لم يُعرف له شعر غير هذه القصيدة العينيّة وقِطَع من الشِّعر لِطافٍ مُتَفَرِّقة(٢). ويبدو أنّ ابن الكلبيّ قد اكتفى بالقصيدة العينيّة والمقطوعة الداليّة لِما حَوَتاه مِنْ مضامين قوميّة وحماسيّة، وأهمل بذلك رواية سائر الديوان(٣)، أو أن يكون ابن الكلبيّ قد رَوى شعر لقيط كاملاً بما اشتمل عليه مِن القِطع الشعريّة اللِطاف التي أشار إليها أبو الفرج، ولكنّه ضاع في ما ضاع مِنْ مَرويّاته الشعريّة، والله تعالى أعلم.

ومن مرويّات ابن الكلبيّ في شعر الفخر والحماسة أبياتُ كَلْحَبَة اليربوعيّ التي قالها معتذراً عن إفلات خَصمه حَزيمة التغلبيّ منه في إغارة أغارها عليه، وقد رواها ابن الكلبيّ في سياق ذكره "العَرادَة" من خيل ضَبّة، والعَرادة فرس كَلْحَبة، وهو هُبَيْرة بن عبد مناف اليربوعيّ(٤). و**"كان حَزيمةُ بن طارق التغلبيّ أغار على رهط الكَلْحَبة فاستاق إبلهم، فأتاهم الصّريخ، فركبوا في إثره، فَهُزِمَ حَزيمة، واستنقذ منه ما كان أخذ، وأَفْلَتَ حَزيمَة من الكَلْحَبة، ثُمَّ أسره غيره. فقال الكَلْحَبة الأبيات يعتذر ممّا أفلت منه حَزِيمة"**(٥).

---

(١) غير بيتين هما:

قُومـوا قِيامـاً علـى أَمْشَـاط أرجُلِكُـمْ ثُـمَّ افزَعـوا قـد يَنـال الأمـرَ مَـن فَزِعَـا
هَيهـات مـا زالـتْ الأمـوال مِـنْ أبَـدٍ لأهلهـــا إنْ أُصـــيبوا مـــرّة تَبعَـــا

(المفصَّل في تاريخ العرب، جواد عليّ، ٤/٤٧٤، ٥/٢٣٨، ٩/٨٠٦. وديوان لَقيط بن يعمر الإياديّ، حقّقه وقدّمه عبد المُعيد خان، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١م، ص: ٤٧-٤٩، ٥٤، ٥٥. وديوان لَقيط..، تحقيق وتعليق وتقديم خليل العطيّة، مديريّة الثقافة العامّة، وزارة الإعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٩٧٠م، ص: ٤٤، ٤٦-٤٨).

(٢) انظر: كتاب الأغاني، ٢٣/١٢.

(٣) انظر: مقدمة ديوان لَقيط (النسخة المعتمدة)، ص: ٣٦.

(٤) انظر: أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبيّ، ص: ٤٧.

(٥) المُفَضَّليّات، المُفَضّل الضَّبيّ، ص: ٣١: الحاشية.

فقال في ذلك كُلْحَبة اليربوعيّ [من الطويل] (١):

أَمَــرْتُهمُ أمــري بِمُنْعَــرجِ اللِّــوَى ... ولا أمْــرَ للمَعصِــيِّ إلاّ مُضَــيَّعَا
فَقُلْــتُ لِكــاسٍ أَلجِميهــا فإنَّمــا ... حَلَلْنــا الكَثيــبَ مــن زَرُودٍ لِنَفْزَعــا
كــأنّ بِلِيَتْيهَــا وبَلــدةِ نَحْرِهــا ... مــن النَّبْلِ كُـرَّاثَ الصَّـرِيم المُشـرَّعا
فإنْ تَـنْجُ منهـا يـا حَـزِيمَ بـنَ طـارقٍ ... فقـد تَرَكَـتْ مـا خَلْـفَ ظهـرِكَ بَلقَعـا
ونـادى منـادي الحـيِّ أن قـد أُتِيـتُمُ ... وقـد شَـرِبَتْ مـاءَ المَـزادةِ أجمعـا
إذا المرء لـم يَغْشَ الكريهـة أَوْشَكَتْ ... حِبـالُ المنايـا بـالفَتى أن تَقَطَّعـا
فـأدركَ إبطـاءَ العَـرَادةِ صَـنعتي ... وقـد تَرَكَتْنـي مِـنْ حَزِيَمـة إصـبَعَا

---

(١) أنساب الخيل، ص: ٤٧، ٤٨.

المُفَضَّليّات، ص: ٣١، ٣٢. وقد ذكره المفضّل الضَّبيّ: "الكلحبة العُرَنِيّ"، وهو شاعر جاهليّ من بني يربوع (انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب، ابن سعيد الأندلسيّ، ٤٤٨/١٢).

وفي رواية المفضّل اختلاف عن رواية ابن الكلبيّ في ترتيب الأبيات وفي رواية بعض ألفاظها: البيت الأوّل: "أَمَرتكُمُ" مكان "أَمَرْتُهُمُ". وروى ابن الكلبيّ البيت الأول لشاعر آخر، وهو التُّرجُمان للعجم يوم ذي قار، وهو ابن عمرو بن عائذ بن عامر بن ثعلبة:

أمرتكمُ أمري بُمنْقَطع اللِّوى ... ولا أَمْرَ للمعصيّ إلاَّ مُضَيَّعا (جمهرة النسب، ٢٩٣/٢).

البيت الثاني: "لِكَأسٍ" مكان "لِكاسٍ"، "نَزَلْنا" مكان "حَلَلْنَا"، "زَرُودَ" مكان ""زَرودٍ". البيت الثالث: "المُنَزَّعا" مكان "المُشرَّعا". البيت السادس: "الهُوَينا" مكان "المَنايا". البيت السابع: "إبقاءَ" مكان "إبطاءَ"، "ظَلْعُها" مكان "صنعتي"، "جَعَلَتْني" مكان "تركَتْني".

اللِّوَى: ما التوى من الرَّمْل، ومُنْعَرَجه: حيث انعرج. كأس: اسم ابنته، وقيل: اسم جاريته، والعرب لا تثق بأحد من خيلها إلاّ بأولادها ونسائها. ألجميها: أي ضعي في فمها اللِّجام، واللِّجام: حبل أو عصا تدخل في فم الدابّة وتلزمه إلى قفاه. الكثيب: القطعة من الرمل مستطيلة محدودبة. زَرُود: موضع، ويوم زَرود: من أيام العرب مشهور بين بني تغلب وبني يربوع. الفَزَع: الإغاثة، وهذا من الأضداد. اللِّيت: صفحة العُنُق. بلدة النَّحْر: ثغرته وما حولها. الكُرّاث: نَبْت. الصَّريم: قطعة من الرَّمل. المُنَزَّع: المنزوع، لأنّ ساق الكُرّاثة تكون في الرمل فإذا نُزِعَتْ أشبهت السَّهم، يصف كثرة ما أصاب فرسه من السهام. منها: من فرس الكلحبة، وكانت تسمّى العَرادَة. حَزيم: ترخيم حَزِيمَة. البَلْقَع: الأجرد الذي لا شيء فيه. وهو يقول: إن نجوتَ منها فقد ذهبتَ بمالك، والعرب كثيراً ما تسند عملها إلى الخيل، لأنّهم عليها فعلوا وأدركوا. المَزادَة: إناء كبير من جلد يُتزوَّد فيه الماء، وهو يقول: أتى قومه الصَّريخ وقد شربت فرسه، فعاقها عن الجري، فهو يعتذر عن انفلات حَزيمة منها. وقيل العرب إذا علمت أنّه يُغار عليها وكانت عِطاشاً، فمنها ما يشرب بعض الشّرب ولا يُروى، وبعضها لا يشرب البَتَّة. قال أبو محمّد الأنباريّ: يقول: مَنْ لا يركب السهول تقطّع أمره. وقد كان يُقال: من أشعر نفسه الجراءة والغلبة ظَفِر. إصبعا: اي قيد إصبع، يقول: إنّ شُرْب العَرادة أضعف جريها، ففاتها حَزيمة وهو قيد إصبع منها (انظر: المفضّليّات، ص: ٣١، ٣٢: الحواشي. وشرح المفضليّات لابن الأنباريّ، ص: ٢٢. ولسان العرب: لَجَمَ. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١٣٩/٣).

وروى ابن الكلبيّ لعمرو بن ثَعْلبَة بن مِلْقَط الطائيّ أبياتاً يحرّض بها قبيلته طَـيْئ على قتل زُرارَة بن عُدَس التميميّ وقومه – وكانت طَـيّئ تطلب عَثَرات زُرارَة وبني أبيه[1]، إذ ذكر أبو الفرج خبر يوم (أُوارة) والشّعر بسندهما إلى ابن الكلبيّ: **" نَسَخْتُ ذلك من كتاب عمر بن محمّد بن عبد الملك الزَّيات بخطّه،... عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّئ. قال: وحدّثني محمّد بن أبي السَّريّ عن هشام بن الكلبيّ قالوا: كانَ من حديث يوم أُوارة أنَّ عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند... فأنشأ عمرو بن ثَعلبة بن مِلْقَط الطائيّ يقول... [من مجزوء الكامل]:**

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عمـــراً بـــأنّ المـــرء لـــم يُخْلَـــقْ صُـــبَارَهْ

وحـــــــوادثُ الأيّـــــــامِ لا يَبقـــــى لهـــــا إلَّا الحِجـــــارَهْ

أنّ ابـــــن عِجْـــــزَةِ أمّـــــه بالسَّـــــفْحِ أســـــفلَ مِـــــن أُوارَهْ

تَســـفي الرّيـــاحُ خـــلال كَشْـــ ـــحَيْـــــهِ وقـــــد سَـــــلبوا إزارَهْ

فاقتـــــــــــــــل زُرارَة لا أرى فـــي القـــوم أَوْفَـــى مِـــنْ زُرارَهْ "[2]

وروى ابن الكلبيّ لشعراء جاهليّين وَصفوا الظعائن المرتحلة من الديار؛ ومنهم القَعقاع بن دَرْماء الكلبيّ، واسمه القَعقاع بن حُرَيْث بن حَكيم بن سَلامة بن مِحْصَن بن جابر، وله خبر مع امرئ القيس بن عَديّ الكلبيّ، ذكره ابن الكلبيّ: **"ولَطَمه امرؤ القيس فطَلَب بلَطْمته فلم يُعْطَ، فلَحِق ببني بُحْتُر مِنْ طَيّئ فنزل على أُنَيْف بن مسعود بن قَيس بن عَتّاب بن أبي حارثة... ابن بُحْتُر في الجَاهليّة..."[3]،**

---

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفَرَج الأصفهانيّ، ١٣٣/٢٢. وخزانة الأدب، البغداديّ، ٥٢٤/٦.

(٢) **كتاب الأغاني، أبو الفَرَج الأصفهانيّ، ١٣١/٢٢، ١٣٣، ١٣٤. وخزانة الأدب، البغداديّ، ٥٢٣/٦-٥٢٥.**

الاشتقاق، ابن دُريد، ٣٨٥/٢: "ها إنّ" مكان "أنَّ ابنَ". وكتاب الأغاني، ١٣٣/٢٢، ١٣٤: "تبقى" مكان "يبقى". "خلاله سَحْيَاً" مكان "خلال كَشْحَيْهِ". "أفضل" مكان "أوفى". صُبَارة: حجارة. العِجْزَة: آخر ولد الرجل. الكَشْح: ما بين الخاصرة والضلوع. الإزار: المِلْحَفة، وهو كلّ ما وارى المرء وسَتره (لسان العرب، ابن منظور: صَبَرَ، عَجُزَ، كَشَحَ، أَزَرَ).

(٣) النَّسب الكبير، ٣٣٤/٢. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٠٩/٤.

فلما طَرِب ابن دَرْماء الكلبيّ واشتاق إلى أهله قال [من الوافر][١]:

تَبَصَّرْ يا بنَ مَسعود بن قيسٍ بعينِكَ هل ترَى ظُعُنَ القَطينِ
خرَجْنَ من الغِمار مُشرَّقاتٍ تَميلُ بهنّ أزواج العُهونِ
بِدَمِكَ يا امرأ القيس استقلَّتْ رُعانُ غَوارِبِ الجبلين دُوني

وثمّة مشهد قصير آخر للظعائن يصوّره لنا لَقيط بن يعمر الإياديّ في القصيدة التي قالها ينذر فيها قومه ويحرّضهم على قتال جيش كسرى؛ فبعد أن ذكر أنّ خَيال محبوبته "عَمْرة" قد أرّقه وأقَضَّ مَضجعه حيثما حطّ رحله، انتقل متعجّلاً إلى وَصف ظَعن المحبوبة بقوله [من البسيط][٢]:

فما أزَالُ على شَحْطٍ يُورّقني طَيْفٌ تعمَّد رَحلي حيثما وُضِعَا
إنّي بعينيَ إذ أمَّتْ حُمولُهُمُ بَطْنَ السَّلَوطحِ لا يَنظُرْنَ مَنْ تَبِعَا
طَوْراً أراهُمْ وطوراً لا أُبينُهمُ إذا ما تواضَع خِدْرٌ ساعةً لَمعَا

وقد يكون مِن العَسير أن نَتَبيَّن صورة مكتملة للظَّعائن كالّتي نُشاهدها عند كِبار الشعراء الجاهليّين الذين أطالوا في وَصف الظعائن كما نجد عند زهير بن أبي سُلمى في معلّقته المشهورة[٣]، ولعلّ سبب قصر مشهد الظعائن في الشعر الذي رواه ابن الكلبيّ وغيره من النسّابين – خاصّة في مصنّفاتهم – يعود إلى أنّها مقطوعات في معظمها، ويبدو أنّ الضرورة التاريخيّة قد اقتضت ذلك

---

(١) **النَّسَب الكبير، ٣٣٤/٢.**

معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٠٩/٤: الظُّعُن: جمع الظَّعينة، وهي الراحلة التي يرتحل عليها. والظَّعينة أيضاً: الهَوْدَج تكون فيه المرأة، وقيل الهَودج سواء كانت فيه المرأة أو لم تكن. القَطين: أهل الدار وأتباع الرّجل وخَدمه وحَشَمُه (لسان العرب، ابن منظور: ظَعن، قطَن). الغِمار: جمع غَمْر، وهو الماء المُغرِق، وهو اسم وادٍ بنجد (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٠٩/٤). مُشَرّقات: مُتَّجهات نحو الشّرق. العُهون: جمع العِهْن، وهو الصّوف المصبوغ ألواناً، وواحدتها عِهْنة (لسان العرب، ابن منظور: شَرق، عَهَن). ورواية البيت الثالث كما وردت عند ابن الكلبيّ: "بدَمِكَ ..... رُعان" والصّواب ما ذكره ياقوت الحمويّ: (بِذَمِّكَ ... رِعانُ)، إذ يستقيم به المعنى. استقلَّ القوم: مَضَوا وارتحلوا. الرِّعان: جمع الرَّعْن، وهو الأَنف العظيم من الجبل تراه مقدّماً. الغَوارب: جمع الغارب، وهو أعلى كلّ شيء (لسان العرب، ابن منظور: قلَّ، رَعَن، غرَب). الجَبَلان: هما جبلا طَيّئ "أَجأ وسلمى" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٩٦/١).

(٢) **ديوان لقيط بن يعمر الإياديّ، ص: ٧٥، ٧٦.**

الشَّحْط: البُعد والفراق. يُؤرّقني: يُسهّرني. طَيف: خيال. تَعمَّد: قَصَد. أمَّتْ: قصَدت (لسان العرب: شَحَط، أَرَق، طَافَ، عَمَد، أَمَّ). السَّلَوْطح: موضع بالجزيرة الفُراتيّة، ٢٤٢/٣). الخِدْر: خشَبَات تُنْصَب فوق قَتَب البعير مستورة بثوب، وهو الهَوْدَج (لسان العرب: خَدَرَ).

(٣) انظر: شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، صَنعة الإمام ثعلب. وعدد الأبيات التي وَصَف بها الظَّعائن تسعة أبيات، وأوّلها:
تَبصَّرْ خليلي هل تَرى مِنْ ظَعائنٍ تَحمَّلْنَ بالعَلياء مِنْ فوق جُرْثُمِ (ص: ٩-١٣)

الاختصار للاستشهاد فقط على صحّة الأخبار والأنساب المرويّة لغايات التوثيق والتسجيل التاريخيّ؛ فالحديث عن الظَّعائن عند ابن دَرْماء الكلبيّ – كما سبق – كان وسيلة فنيّة لإعلان خبر الرّحيل، وكذلك كان وسيلة فَنيَّة عند لقيط الإياديّ لإبلاغ قومه مِنْ قبيلة إياد وإنذارهم غزو جيش كِسرى لهم والفَتك بهم.

ومن شعر وصف الطبيعة الذي رواه ابن الكلبيّ أبياتُ فارس ميسان الكنديّ التي وصف بها موضعاً يدعى "جوف العَيْر"، وهو وادٍ في أرض عاد كان فيه ماء وشجر، وقد استشهد ابن الكلبيّ بهذه الأبيات ليستدلّ بها على الموضع الذي أورد خبره، إذ ذكر ياقوت الحمويّ: **"وأنشد ابن الكلبيّ لفارس مَيْسان الكنديّ جاهليّ [من الطويل]:**

ومَـرّتْ بجَـوْف العَيْـر وهـي حَثيثـةٌ وقـد خلَّفَـتْ بـالأمْسِ هَجْـلِ الفُراضِـمِ

تَخـافُ مـن المُصْـلَى عَـدُوًّا مُكاشِـحاً ودون بنـي المُصْـلَى هُديـد بـن ظـالمِ

ومـا إن بجـوف العَيْـر مِـنْ مُتَلـذِّذٍ مسـيرة يـومٍ للمطـيِّ الرَّواسـمِ "[1]

ومن ذلك أيضاً بيت أبي دُؤاد الإياديّ الذي يصف به دَيْر الأَعور[2]، إذ يقول [من المُتقارَب][3]:

ودَيْـــرٍ يقـــولُ لـــه الزَّائـــرو نَ ويـــلُ أمِّ دار الحُـــذاقيّ دارا

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ١٨٨/٣.

حَثيثة: حادَّة سريعة في أمرها كأنّ نفسها تَحثُّها. الهَجْل: المُطمئنّ مِن الأرض. الفُراضِم: جمع الفِرْضِم مِن الإبل الضّخمة الثقيلة. المُصْلَى: لم أجد لها معنى، ويبدو أنّه اسم رجل أو بَطن بدليل قوله "بني المُصْلَى". المُكاشِح: العدوّ المُبْغِض. المَطِيّ: جمع المطيّة، وهي الناقة التي يُركب مطاها أي ظهرها، ويقال يُمطى بها في السَّير أي يُمدّ. الرَّواسِم: جمع الرَّوسَم، وهو الطابَع، وهو من الرَّسم، أي الأَثَر، وقيل بقيّة الأَثَر (لسان العرب : حَثَّ، هَجَل، فَرْضَمَ، كَشَح، مَطَا، رَسَم).

(٢) دَيْر الأعور: "دَيْر بظاهر الكوفة، وقد بَناه رجل من إياد يُقال له الأعور، من بني حُذاقة بن زهر بن إياد" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٤٩٩/٢).

(٣) النَّسَب الكبير، ٥٥/١.

لسان العرب: (حَذَق): "الرّائدونَ" مكان "الزّائرونَ"، قال ابن منظور: "يعني بالحُذاقيّ نفسه، وحُذاق هم رَهط أبي دُوَاد، ...". والأصمعيّات، ص: ١٩٠، وقد أورد الأصمعيّ خمسة عشر بيتاً. والشاعر يصف فيها منزلاً من منازل البادية، وهو منزل آهِلٌ بالوحش، وقد اعتزم الصَّيد وأعدّ لذلك، وهو فرس منعوت، فامتطاه الغُلام في أول الصُّبح وتمكَّن من إحراز صيد كثير (جو القصيدة: الأصمعيّات، ص: ١٩٠: الحاشية).

ووصف عمرو بن مالك التَّزيديّ ليلةً يبدو أنّها كانت ثقيلة عليه وعلى قومه، إذ يقول [من الوافر][١]:

وليلتنـــا بآمِـــدَ لـــم ننَمْهـــا كليلتنـــا بِمَيَّـــا فارِقينـــا

وعُنِيَ ابن الكلبيّ برواية الشعر الجاهليّ الذي يصف الخيل، ومن ذلك ما رواه في وصف "الوَرْد" مِنْ خيل بني هاشم، وهو فرس حمزة بن عبد المطّلب – رضي الله عنه – و"وَرْد" من بنات "ذي العُقَّال" ولد "أعوج"[٢]، وفي ذلك يقول حمزة يذكر نجابة فرسه وعَراقة نسبه [من الخفيف][٣]:

لـــيس عنـــدي إلا سِـــلاحٌ ووَرْدٌ قـــارِحٌ مـــن بَنـــاتِ ذي العُقَّـــالِ

وقد أجاد الشعراء الجاهليّون في وصف خيولهم في أيّامهم ووقائعهم القتاليّة بين قومهم وخصومهم؛ ومن تلك الخيول التي وَصفوها "البُرَيْت" وهو فرس إياس بن قَبيصة الطائيّ – عامل كِسرى أنو شروان وأَبرويز على الحيرة بعد النُّعمان بن المُنذِر – إذْ وَصَف فرسه حارثةُ بن أوس الكلبيّ بأبيات قالها في يومٍ كان في الجاهليّة بين بني كلب وبين الأعاجم ومَنْ كان معهم مِن العرب، ويسمّى "سُيَيْف"، وكان الظَّفَر في هذا اليوم لبني كلب[٤]، وفي ذلك يقول حارثة بن أوس الكلبيّ

---

(١) **النّسب الكبير، ٣٠٠/٢.**

(٢) انظر: أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام، ابن الكلبيّ، ص: ٢٠.

(٣) **المصدر نفسه، ص٣٠.**

قارِحٌ: الفرس الذي بلغ عمره خمس سنين، والقارح من الفرس النَّابِهُ أيضاً (لسان العرب: قَرَح).

(٤) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١٨/٢. والأخبار الطِّوال، أبو حَنيفة الدِّينورَي، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشّيَّال، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، ص: ٩١. وتاريخ الطبريّ، ٢٠٦/٢. وكان كسرى ملك الفرس قد مَلَّك إياس بن قَبيصة الطائيّ على الحيرة بعد قَتْل النّعمان بن المنذر، فصار إياس قائد القبائل المُوالِية لكسرى مِنْ تَغْلِب والنَّمِر بن قاسِط وقُضاعة وإياد في معركة ذي قار التي انتصف فيها العرب – وفي مُقدَّمتهم بكر بن وائل – من العَجَم (الأخبار الطِّوال، ص: ٩١. وتاريخ الطبريّ، ٢٠٦/٢. ومعجم البلدان، ٢٩٤/٤). وحارثة بن أوس الكلبيّ هو حارثة بن أوس بن طَريف بن المُتَمنِّي شاعر كلب في الجاهليّة (النَّسَب الكبير، ٣٧٩/٢).

[من الطويل] (١):

ونجَّـــى إياســـاً ســـابحٌ ذو عُلَالـــةٍ مُلِـــحٌّ إذا يعلـــو الحَزابـــيَّ مُلْهِـــبُ

أبـــو أمّـــه العُرْيـــانُ أو هـــو خالُـــهُ إلـــى كـــل عِـــرْقٍ صـــالح يَتَنسَّـــبُ

كـــأنّ اســـته إذ أخطأتْـــه رِماحنـــا وفـــاتَ البُرَيْـــتُ لِبْـــدُه يَتصـــبَّبُ

ذُنـابَى حُبـارى أخطـأ الصَّـقْرُ رأسَـها فجـادَتْ بمَكْنـونٍ مـن السَّـلْحِ يَثْعَـبُ

---

(١) **أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام، ابن الكلبيّ، ص: ٩٦، ٩٧. والنَّسَب الكبير، ٣٧٩/٢**: البيتان الأوّل والثاني فقط، وفيهما تَصحيف وتحريف على النحو التالي:

ونحـا أنـاس مـن سـنف محـدب تـراه إذا حـدب الحـل بلعـب

أبـو أمـه التريـب أو هـو حالـه إلـى كـل عـرق صـالح ينتسـب

كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فُرسانها، أبو محمّد الأعرابيّ الملقّب بالأسود الغُندجَانيّ، حَقّقه وقدّم له محمد علي سلطاني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٥٣:

ونَجَّى إياساً من سُيوف مُجَنَّبٌ تَراه إذا مـا جَـدّتْ الخيـل يلعـبُ

أبـو أمّـه البِرّيـتُ أو هـو خالُـه إلـى كـل عِـرقٍ صـالحٍ يتنَسَّـبُ

فرس سابِح: يسبح بيديه في سيره. العُلالة: بقيّة جري الفرس. ألَحّ على الشيء: أقبل عليه لا يَفترُ عنه. الحَزابِيّ: جمع الحِزباءة، وهي الأرض الغَليظة الشديدة الحَزْنَة. المُلْهِب: الفرس الشديد الجَري المثير للغبار (لسان العرب: سَبَح، عَلَلَ، لَحّ، حَزَب، لَهَبَ). العُرْيان: فرس لبني سَلول (النَّسب الكبير، ٣٧٩/٢). الاست: العَجُز، وقد يُراد به حَلَقة الدُّبُر. اللِّبْد: ما يوضع تحت سَرج الفرس من الصوف أو الشعر المتلبّد. الذُّنَابى: ذنَب الطائر، وقيل مَنبَت الذّنَب. الحُبارى: "نوع من الطير، وللعرب فيها أمثلة جَمّة، منها قولهم: أَذرَقُ مِنْ حُبارى، وأَسْلَح مِن حُبارى؛ لأنّها ترمي الصقر بسَلحها إذا أَراغها ليصيدها فتلوّث ريشه بسَلحها، ويقال إنّ ذلك يشتدّ على الصَّقر لِمَنْعه إيّاه من الطَّيران". السَّلْح: ما يخرج من البطن من الفَضَلات، ويَغلب على المائع منه. يَثْعَبُ: يجري ويندفع بقوّة (لسان العرب: است، ذَنَب، حَبَر). وقد صَحَّح محمّد شفيق البيطار رواية البيتين الأول والثاني كما وردا في: النَّسب الكبير لابن الكلبيّ وكتاب أسماء خيل العرب وأنسابها للغُندجَانيّ، وذلك بمقابلة الروايات بعضها ببعض على النحو التالي: وضع محقّق كتاب أسماء خيل العرب كلمة "سيوف" بدل "سُيَيْف"، وقال: "في الأصل (سيف) ولا يستقيم به الوزن (ص: ٥٣: الحاشية)، والصَّواب ما جاء في: النَّسب الكبير ، ٣٧٩/٢ بعد تصحيح الكلمة بوضع الإعجام لتصبح "سُيَيْف" (ديوان شعراء بني كلب، ١٢٦/١: الحاشية). "التُّريب أو هو حاله" هذا تصحيف، والصواب: "البُرَيت... خاله". وبعد التصحيح لا يمكن قبول رواية ابن الكلبي على هذا النحو: "أبو أمّه البُرَيْت أو هو خاله"؛ لأنّ هذه الرواية تُناقض المعنى الذي ذهب إليه ابن الكلبيّ نفسه في كتابه "أنساب الخيل"؛ لأن "البُرَيْت" هو فرس إياس بن قَبيصة الطائيّ، إذ لا يصحّ أن يكون فرسه "البُريت" وأبو أمّه "البُريت" أيضاً؛ فالصّواب إذاً ما ورد في: أنساب الخيل: "أبو أمّه العُريان"، لأن العُريان فرس لبني سلول كما سَبق، وبذلك يستقيم الكلام، فيكون "البُرَيت" فرس إياس، ويكون "العُريان" فرساً لبني سَلول، ومِنْ نَسله "البُرَيت" (ديوان شعراء بني كلب، ١٢٦/١، ١٢٧: الحاشية).

ويذكر الشاعر نفسه فرسه "حَوْمَل" في يوم "عُذْر" الّذي كان بين قبيلته بني كلب وبين بني يَربوع، وهزمتهم يومئذٍ بنو يربوع(١)، إذ يقول [من الوافر](٢):

لــولا جَــرْيُ حَوْمَــلَ يــومَ عُــذْرٍ لمَزّقنـــــي وإيّاهـــا السِّـــلاحُ
تُثيـــبُ إثابـــةَ اليَعفـــورِ لَمّـــا تَنـــاولَ ربَّهـــا الشُّـــعْثُ الشِّـــحاحُ

ومِنْ الخيول العربية التي وصفها الشعراء قبل الإسلام "المَزْنوق" فرس عامر بن الطُّفَيل مِنْ بني عامر بن صَعْصَعة مِنْ هَوازن، وهو من مشهوري فرسان العرب. وكان عامر بن الطُّفَيل قد أُصيب في يومٍ يسمّى " فَيْف الرّيح" يوم فُقِئَتْ عينه فَفرَّ مِن المعركة لينجو بنفسه(٣)، وقال أبو عبيدة يذكر ذلك اليوم: **"تجمَّعَتْ قبائل مَذْحِج، وأكثرها بنو الحارث بن كعب، وقبائل من مُراد وجُعْفِيّ وزَبِيد وخَثْعَم، وعليهم أَنَس بن مُدْركة، وعلى بني الحارث الحُصَين، فأغاروا على بني عامر بن صَعْصَعة بفَيف الرّيح، وعلى بني عامر: عامر بن مالك مُلاعِب الأسنَّة. قال: فاقتتل القوم فكَثَّروهم. وارفضَّت قبائل مِنْ بني عامر. وصَبرت بنو نُمَير فما شُبِّهوا إلّا بالكلاب المُتَعَاظِلة حول اللّواء. وأقبل عامر بن الطُّفيل، وخَلفه دَعيٌّ بن جعفر. فقال: يا مَعشر الفتيان، مَنْ ضرَب ضربة أو طَعن طعنة فليُشهدني. فكان الفارس إذا ضرَب ضربة أو طَعن طَعْنة قال عند ذلك: أبا عليّ. فبينما هو كذلك إذْ أتاه مُسْهِر بن يزيد الحارثيّ، فقال له من ورائه: عندك يا عامر والرُّمح عند أذنه. فوهَصَه – أي طعنه – فأصاب عينه. فوَثب عامرٌ**

---

(١) انظر: أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٩٧. والحَلْبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهليّة والإسلام، الصَّاحِبي التاجيّ، تحقيق ودراسة حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص: ٣٤: "ولها يقول يوم عُذْرة". ولم أجد لهذا اليوم ذكراً في كتب التاريخ وأيّام العرب، ومن الممكن أن يكون هذا اليوم وقعة أو غارة قصيرة بين بني كلب وبني يَربوع لم يهتمّ بها رواة الأخبار.

(٢) **أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٩٧، ٩٨.**

"لولا..." صوابها "ولولا..." أو "فلولا..." جريّاً مع الوزن.
الحَلْبَة في أسماء الخيل المشهورة، الصّاحبي التاجيّ، ص: ٣٤: البيت الأول فقط برواية مختلفة: "ولولا حَزْمُ حَومَلَ...". وفي تاج العروس: "غُدْر" تصحيف. تُثيبُ: تُقْبِلُ. اليَعْفور: الظبي الذي لونه كلون العَفَر وهو التراب، وقيل هو الظبي عامة. ربّها: مالكها وصاحبها. الشُّعْث: جمع الأَشعث، وهو الذي تلبَّد شعره واغبّر. وأراد أنْ يصفهم بقِلّة الاغتسال والادّهان لانشغالهم بالحرب. الشِّحاح: جمع الشَّحيح، وهو الشديد البخل، والشُّح: البخل مع حرص؛ وأراد أنّهم كانوا حريصين على ألاّ يفوتهم ويُفلت من بين أيديهم (لسان العرب: ثاب، عَفَر، رَبَّ، شَعَث، شَحَّ. وديوان شعراء بني كلب، ١٢٧/١، ١٢٨: الحواشي).

(٣) انظر: أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٦٣، ٦٤. فَيْف الرّيح: موضع معروف بأعالي نَجد (معجم البلدان، ٢٨٦/٤). عامر به الطُّفَيل: هو "عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر بن كِلاب العامريّ، وهو ابن عمّ لبيد بن ربيعة الشاعر، وكان فارس قيس، وكان أعور عقيماً لا يولد له، ولم يُعَقِّبْ" (الشعر والشعراء، ٣٣٤/١).

عن فرسه ونجا على رجليه، وأخذ مُسْهِر رُمْح عامر"(١). *وفي ذلك يقول عامر بن الطُّفَيْل يصف فرسه "المَزنوق". وهو مِنْ أكرم الخيول العربيّة – ويعتذر عن فِراره من أرض المعركة بعد أن فُقِئت عينه* [من الطويل](٢):

لقد عَلِم المَزنوقُ أنّي أكرُّه ... على جَمْعهم كرَّ المَنيحِ المُشَهَّرِ
إذا ازورَّ مِن وقع الرِّماح زَجَرتُهُ ... وقُلْتُ له ارجِعْ مُقبِلاً غير مُدْبِرِ
وأَنبأتُه أنّ الفِرار خَزايةٌ ... على المرء ما لم يُبْلِ عُذْراً فَيُعْذَرِ
ألستَ تَرى أرماحهم فِيَّ شُرَّعاً ... وأنتَ حِصانٌ ماجِدُ العِرق فاصبِرِ

ويصف أوس بن حَجَر فرس أبي عامر الطُّفيل بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر ابن صَعْصَعة، وهو "قُرْزُل"، وهذا الفرس مِنْ ولد "داحِس" مِن خيل هوازن(٣). *وذَكَر أبو عُبيدة أنّه كان لبني تميم – قبيلة أوس بن حَجَر – يومٌ يُدعى يوم السُّوبان هُزِمَتْ فيه بنو عامر – قبيلة الطُّفَيْل بن مالك – وعَبْس*(٤)، *وأنّ أوس بن حَجَر قال أبياتاً يُعيّر بها الطّفيل بن مالك فراره من أرض المعركة،*

---

(١) نقائض جرير والفرزدق، ٤٦٩/١–٤٧١. وكتاب العقد الفريد، ابن عبد ربّه، ١٩١/٤. ونهاية الأرَب في فنون الأدب، النُّويريّ، ٤١٤/١٥. كَثّروهم: غَلبوهم بكثرتهم. ارفَضَّتْ: تفرَّقت وتبدَّدت. الكلاب المتعاظِلة: التي يَلزم بعضها بعضاً في السِّفاد (لسان العرب: كثَر، رَفَض، عَظَلَ، سَفَد).

(٢) **أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٦٤.**

ديوان عامر بن الطُّفَيْل، تحقيق شارلز لايل، تقديم وإعداد للنشر وترجمة التعليقات إلى العربيّة محمد عوني عبد الرؤوف، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ٢٠٠٩م، ص: ٢٧، ٢٨: البيت الأوّل:

"وقد عَلِمَ المزنوقُ أَنّي أكرُّه ... عَشيّة فيف الرّيح كرَّ المُشَهَّرِ"

والقصيدة ثلاثة عشر بيتاً ومطلعها: لقد عَلِمَتْ عُليا هوازنَ أنّني أنا الفارس الحامي حقيقة جَعْفَرِ

المَزنوق: اسم فرسه. المَنيح: "قِدْحٌ تكثر به القِداح لا حظَّ له، وإنّما خُصَّ المَنيح لكثرة جَوَلانه في القِداح، لأنّه إذا خرج منها رُدَّ فيها، وإذا خرجَ منها غيرهُ ممّا له حظّ عُزِل عنها. وهو غير المَنيح الذي يُزْجَر"، وأراد قِدْح المَيسِر. وقال ابن منظور: "سَهم من سهام المَيسِر ممّا لا نصيب له إلّا أنْ يُمنَح صاحبه شيئاً". المُشَهَّر: المشهور، وعُني بذلك لكثرة جَوَلانه عليهم. ازورَّ: عَدل عنه وانحَرف. زَجَرْتُه: نَهيْتُه عن الميل والانحراف ورَدَدْتُه إلى طريقه الصحيح. خَزاية: استحياء. شُرَّعاً: متجّهة نحوي (المُفَضَّليَّات، ص: ٣٦١: الحاشية. ولسان العرب: مَنَح، شَهَر، زَوِرَ، خَزِيَ، شَرَع).

(٣) انظر: أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٧٧.

(٤) انظر: النَّقائض، أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى، ٣٨٦/١. السُّؤبان (تلفظ بالهمزة وبتسهيلها): وادٍ في ديار بني تميم، ويوم من أيّام حروب بني عامر وبني تميم يُسمَّى يوم السُّؤبان (معجم ما استعجم، البكريّ، ٧٠٩/٣) وفيه قال أوس بن حَجَر: كأنّهم يوم الشُّمَيْط وصَارَةٍ ... وجُرْثُمَ والسُّوبانِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ

(ديوان أوس بن حجر، ص: ٥٨. ومعجم البلدان، ٢٧٧/٣). الشُّمَيْط: جبل في بلاد طيّئ. صَارَة: ماء بين فَيْد وضَرِيّة. جُرْثُم: ماء من مياه بني أسد ثم بني فَقْعَس، وقد ذكره زهير بن أبي سلمى في معلّقته (معجم ما استعجم، البَكريّ، ٨١٢/٣، ٨٢٢، ٣٧٥/٢).

ويصف فيه فرسه " قُرْزُل" بقوله [من الطويل][١]:

هَرَبْـتَ وأسـلَمْتَ ابـن أُمِّـكَ عـامراً يُلاعـبُ أطـرافَ الوَشـيج المُزَعْـزَعِ
ونَجَّـاكَ تحـت اللَّيـلِ شَـدّاتُ قُـرْزُلٍ يَمُـرُّ كخُـذْروفِ الوَليـدِ المُقَـزَّعِ

وروى ابن الكلبيّ لأبي قيس بن الأسلت أبياتاً يصف بها حالته من آثار حرب خاضها مع قومه الأوس في يوم "بُعَاث" مع الخزرج في الجاهليّة[٢]*، إذ ذكر أبو الفرج:* **" قال هشام ابن الكلبيّ: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بُعاث إلى أبي قيس بن الأَسلت الوائليّ،... فقال في ذلك أبو قيس هذه القصيدة،... وأوّلها: ..."**[٣] **وذلك [من السّريع]**[٤]:

قالـت ولـم تقصِـدْ لقيـل الخَنـى مَهْـلاً فقـد أبلَغْـتَ أسـماعي
اسـتنكرَتْ لونـاً لـه شـاحِباً والحـربُ غـولٌ ذات أوجـاعِ
مَـنْ يَـذُقْ الحـرب يجـد طَعمَهـا مُـرّاً وتتركْـهُ بجَعْجَـاعِ
قـد حَصَّـتْ البَيْضَـةُ رأسـي فمـا أطعَـمُ نومـاً غيـر تَهْجـاعِ
أسـعى علـى جُـلّ بنـي مالـكٍ كـلُّ امـرئٍ فـي شـأنه سـاعي
لا نـألمُ القتـلَ ونَجـزي بـه الـ أعـداءَ كَيْـلَ الصَّـاعِ بالصَّـاعِ

---

(١) **أنساب الخيل، ابن الكلبيّ، ص: ٧٧، ٧٨.**

ديوان أوس بن حجر، ص: ٦١. بترتيب مختلف ورواية مختلفة لرواية ابن الكلبيّ كما يلي:

ووَدَّع إخـوانَ الصَّـفاءِ بقُـرْزُلٍ يمـرُّ كمَـرّيخِ الوليـد الـمُقَزَّعِ
فِراراً وأَسْلَمْتَ ابـن أمّـك عـامراً يُلاعبُ أطراف الوشيج الـمُزَعْزَعِ

والنَّقائض، ٩٣٣/٢: البيت الثاني فقط برواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ. وتاج العروس، الزَّبِيديّ: (قُرْزُل): البيت الثاني فقط موافقٌ لرواية ابن الكلبيّ ما عدا كلمة (المُقَزَّعِ) مكان كلمة (المُقَزَّعِ).
الوَشيج: الرماح. المزَعْزَع: المتحرّك (لسان العرب: وَشَجَ، زَعْزَعَ). قال أبو عبيدة: "قوله: كمَريخ الوَليد.. هو قَضيب يجعل الصبيّ في أعلاه تَمرة وطِينة تُثقّله ثم يرمي به بغير ريش (النقائض، ٩٣٣/٢). الخُذروف: شيء يدوّره الصَّبيّ بخيط في يده فَيُسمع له دَوِيّ، وجمعه الخَذاريف. المقُزَّع: السَّريع الخفيف من كلّ شيء (لسان العرب: خَذْرَفَ، قَزَع).

(٢) بُعَاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخَزْرَج في الجاهليّة (معجم البلدان، ٤٥١/١). أبو قيس بن الأسلت: شاعر من شعراء الجاهليّة (كتاب الأغاني، ٨٨/١٧).

(٣) **كتاب الأغاني، الأصفهانيّ، ٨٨/١٧. وخزانة الأدب البغداديّ، ٤١٠/٣.**

(٤) **خزانة الأدب، البغداديّ، ٤١٠/٣، ٤١١. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٩/١٧:** الأبيات الثلاثة الأولى فقط.

الخَنَا: الفُحْش في الكلام. الجَعجاع: الأرض التي لا أحد بها، والمكان الضيّق الخشن الغليظ. البَيْضَة مِن السلاح: الخَوذة التي يلبسها المحارب على رأسه، وسُمّيت بذلك لأنّها على شكل بيضة النّعام. حَصَّتْ البيضة رأسه: أذهبت شعره. التَّهجاع: النَّومة الخفيفة. الصّاع: مِكيال محدّد لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد، يُذكَّر ويُؤنّث (لسان العرب: خَنَا، جَعْجَعَ، بَيَض، حَصَّ، هَجَع، صاع).

ويذكر حسّان بن ثابت الأنصاريّ فِرار أوسٍ بن خالد بن عُبَيد بن أميّة، ويعيّره بهزيمته يوم الدَّرَك(١)*، واصفاً حاله في المعركة فزعاً خائفاً مُضَرَّجاً بدمه* [من الطويل](٢):

وأفْلَتَ يومَ الرَّوْعِ أوسُ بنِ خالدٍ يَمُجُّ دماً كالرَّعْثِ مُخْتَضِبَ النَّحْرِ

ومن الشعر الذي وصَف به الجاهليّون أسلحتهم أبياتُ عمرو بن بَرَّاقة الهَمدانيّ التي وصف بها سيفه في إحدى الغارات على قبيل مُراد؛ إذ ذكر القالي أنّ أبا بكر ابن الأنباريّ حَدَّثه عن السَّكَن بن سعيد عن محمّد بن عَبّاد عن ابن الكلبيّ خبراً مُفَاده أنّ حريم بن نُعمان المُراديّ كان قد أغار على إبل عمرو بن بَرَّاقة الهَمْدانيّ وخيله ثم أخذها، فاستشار عمرو بن بَرَّاقة سَلمى بنت سيّد قومه، فأشارت عليه بالإغارة على حَريم بن نُعمان واسترداد إبله وخيله منه، ففعل عمرو واستاق كلّ شيء كان له(٣)*، إذ قال القالي: "وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا السَّكَن بن سعيد عن محمد بن عَبَّاد عن ابن الكلبيّ قال: أغار رجل من مراد يقال له حَريم بن نعمان على إبل عمرو بن برَّاقة الهمدانيّ وخيل له فذهب بها، ... وقال عمرو* [من الطويل]:

تقولُ سُلَيمى لا تَعرَّضْ لتَلْفَةٍ ولَيْلُكَ عن ليلِ الصَّعاليكِ نائمُ
وكيفَ ينامُ الليلُ مَن جُلّ مالِهِ حُسامٌ كلَونِ المِلْحِ أَبيضُ صارمُ
فلا صُلْحَ حتى تُقْدَعَ الخيلُ بالقَنا وتُضربَ بالبِيضِ الخِفافِ الجَماجمُ "(٤)

---

(١) الدَّرَك: يوم كان بين الأوس والخَزرج في الجاهليّة (معجم البلدان، ٤٥٢/٢)، وفي هذا الخبر اضطراب أيضاً، إذ ذكر البرقوقيّ أنّ حسّان بن ثابت قال يذكر فرار أوس بن خالد بن عُبيد بن أميّة ... ابن أوس الأنصاريّ يوم اليرموك (شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، ص: ٢٤١).

(٢) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١/٣:**

"كالرَّعْثِ" تصحيف والصّواب "كالرَّعْفِ" كما ورد في شرح ديوان حسّان بن ثابت، البرقوقيّ، ص: ٢٤١.
أُسْد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن الأثير، ١٧٠/١: "كالوَعث". والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حَجر العسقلانيّ، ٢٩٨/١: "كالرَّعْثِ".
الرَّوْع: الفَزع. يَمُجُّ: يبصق. الرَّعْث: ما عُلِّقَ بالأُذُن من قُرْطٍ ونحوه. الرَّعْف: خروج الدم من الأنف. الوَعْثُ: المكان السَّهْل الكثير الدَّهْس تَغيب فيه الأقدام. قال ابن سِيدَة: الوَعْثُ من الرَّمْل: ما غابت فيه الأَرْجُل والأخفاف. مُختَضِب: متلوّن مِن الخِضاب أي الحِنّاء. النَّحْر: أعلى الصدر (لسان العرب: رَوِعَ، مَجَّ، رَعَثَ ورَعِثَ، رَعَفَ، وَعُثَ، وَعِثَ، خَضَبَ، نَحَرَ).

(٣) انظر: كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ١١٨/٢.

(٤) **المصدر نفسه، ١١٨/٣، ١١٩.**

التَّلْفَة: الهَضبة المنيعة يُخشى التَّلَف على مَنْ علاها. صارم: قاطع. تُقْدَع: قَدَعْتُ فَرسَي: كبَحْتُه وكَفَفْتُه. القَنا: جمع القَناة، وهي الرُّمح. البِيض: جمع الأَبْيَض، وهو السَّيف. (لسان العرب: تَلِفَ، صَرَم، قَدَع، قَنَوَ بَيَضَ).

وهذا عديّ بن الرِّعلاء الغسّانـيّ يصف سيفه الصَّقيل ورمحه واسع الطَّعن في الأعداء بقوله [مِن الخَفيف](١):

رُبَّمـــا ضَـــرْبَةٍ بســـيفٍ صَـــقيلٍ يـــوم بُصْـــرَى وطَعْنَـــةٍ نَجـــلاءِ

ويصف مالك بن حَريم المُراديّ سيفه في إغارة أغارها على بني قُمَيْر، إذا ذكر القالي حديث قتل أخيه سماك بن حريم في بني قُمَيْر، عن أبي بكر ابن الأنباريّ عن السَّكن بن سعيد عن أبيه وعن ابن الكلبيّ، قال: "**قُتِلَ سِماك بن حَريم، قَتلَتْه مُراد غِيلةً، فلم يَدْرِ مالك مَنْ قَتلَه حتّى أُخبِرَ بعد ذلك أنّ بني قُمَيْر قتلوا أخاه، فأغار عليهم وقتل قاتل أخيه، وأنشأ يقول** [من المُنسَرح]:

بَنـــي قُمَيْـــرٍ قَتَلْـــتُ سَـــيِّدكمْ فـــاليومَ لا فِدْيَـــةٌ ولا جَـــزَعُ

جَلَّلْتُـــه صـــارمَ الحديـــدة كالـــ ـــمِلْـــحِ وفيـــه سَفَاسِـــقٌ لُمَـــعُ "(٢)

ويصف شَقِرَة بن الحارث بن تميم صلابة رمحه بقوله [من الطويل](٣):

وقـد أحمـل الـرُّمْحَ الأصـمَّ كعوبُـهُ بـه مِـنْ دمـاء القـوم كالشَّـقِراتِ

ويصف شاعر قوة سِهام عمرو بن عبد المسيح الطائيّ بقوله [من الكامل](٤):

ليـت الغُـرابَ رمَـى حَماطـة قلبـهِ عمـرو بأَسْـهُمِهِ التـي لا تُغْلَـبُ

---

(١) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٨٤/٢.**

لم أجد ليوم بُصرى ذكراً في ما بَحَثْتُ مِن مصادر. السيف الصَّقيل: السيف المَجليّ الذي كُشِفَ صدأه. طعنة نَجلاء: واسعة (لسان العرب: صَقَل، نَجِلَ).

(٢) **كتاب الأمالي، ١٣٠/٢.**

غِيلةً: غَدراً. جَلَّلْتُه: عَلَوْتُه. سَفاسِق: جمع سِفْسِقَة: شُطْبَة السيف كأنّها عمود في متنه مَمدود، وسفاسق السيف: طرائقه التي يقال لها الفِرِنْد، فارسيّ معرّب (لسان العرب، ابن منظور: غَالَ، جَلَّلَ، سَفْسَقَ).

(٣) **جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٧٣/١.**

الأصمّ: الصُّلْب الشديد المُصْمَت. كُعوب الرمح: الكَعْب: عقدة ما بين الأُنبوبين من القَصَب والقَنا، وقيل الكَعْب: هو طرف الأُنبوب النّاشز، وهذا يدلّ على القوّة والشدّة. الشَّقِرات: جمع الشَّقِرَة، وهي نَوْر يُشبَّه بالشّقائق، أو هو الشّقائق بعينها، والشقائق هي شقائق النُّعمان، وهي نَبات أحمر يُشَبّه بالدم (لسان العرب: صَمَّ، كَعَبَ، شَقِرَ، شَقَقَ. والاشتقاق، ابن دريد، ١٩٧/١). و"الرُّمح الأَصمّ كعوبه" معنى استخدمه الشعراء الجاهليّون، ومنهم النابغة الجعديّ الذي يقول:

ولا يَشْعُرُ الرُّمْحُ الأصمُّ كعوبُهُ بثَروة رَهْط الأعْيَطِ المُتَظلِّمِ

(ديوان النابغة الجعديّ، ص: ١٦٦. الثَّروة: كثرة العدد من الناس والمال. الأَعْيَط: الطويل الرأس والعُنُق، وهو سَمْح، والمُتَظلِّم هنا الظالم (لسان العرب: ثَرَا، عَيِطَ).

(٤) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١٠/١.**

حَماطة قلبه، سَوادُه وحَبّته (لسان العرب: حَمَطَ).

ويصف امرؤ القيس بن حُجْر الكنديّ براعة أحد رماة قبيلة طَيّئ بقوله [من المَديد][١]:

رُبَّ رامٍ مِـــــن بنـــــي ثُعَـــــلٍ مُخْـــــرِجٌ كَفَّيْـــــهِ مِـــــن سُـــــتَرِهْ

ويصف شاعرٌ قبيلة القارة – وهم بنو الهُون بن خُزَيْمة – بحَذْقها ومهارتها في الرماية، وفيها يقول القائل [من الرَّجَز][٢]:

قد أَنْصَف القارةَ مَنْ راماها

ومِمّا رواه ابن الكلبيّ أبياتٌ لعبد الله بن الزِّبَعْرى شاعر قريش، يمدح بها بني المُغيرة مِنْ بطن بني مخزوم مِنْ قريش، ويمدح أخوالهم بني سَعيد بن سَهم – وهم من قريش أيضاً ويتّصل نَسَبه بنَسَبهم – وذلك في وقعة كانت لبني كنانة على هوازن في يوم من أيام عُكاظ يدعى "يوم شَرِب"، وذكر ابن عبد ربّه في خبر ذلك اليوم أنّه **"كانت كِنانة قد جَمعتْ قريشها وعبد مَنافها والأحابيش ومَنْ لَحِقَ بهم مِنْ بني أَسَد بن خُزَيمَة، وجَمعتْ سُليم وهوازن جُموعها وأَحلافها غيرَ كِلاب وبني كعب،... فحَمِيتْ قريش وكِنانة وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر، فانهزمت هَوازن، وقُتِلَتْ قتلاً ذريعاً"**[٣]، *فقال*

---

(١) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢١٠/١.

شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، ص: ١٠٣. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٢٣: الشطر الثاني "مُثْلِجٍ كَفَّيه في قُتَرِهْ".
والاشتقاق، ابن دريد، ٣٨٨/٢: رواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ.
بنو ثُعَل: قبيلة من طَيّئ اشتهرت بجودة الرَّمْي (انظر: المفصّل، جواد عليّ، ٣٣٩/٤). مُثْلِج: مُدْخِل. قُتَر: جمع قُتْرَة، وهي بيت الصّائد الذي يَكمن فيه للوحش لئلّا تراه فتنفرَ منه (لسان العرب: وَلَجَ، قَتَر). وقد اعترض الأصمعيّ على معنى "مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ مِنْ سُتَرِهْ" فقال: "أَمَا عَلِمَ أنّ الصائد أشدّ خَتْلاً من أن يظهر شيئاً منه" (المُوشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء، المَرزُبانيّ، ص: ٢٨). خَتَلَ الصَّيْد: تَخَفَّى له. وخَتلَه خَتْلاً وخَتَلاناً: خَدعَه عن غَفْلة (لسان العرب: خَتَلَ).

(٢) جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٣٧/١.

" قد أَنْصَف القارةَ مَنْ راماها " هذا مثل ويضرب في "مساواة الرجل صاحبه في ما يدعوه إليه. وسُمُّوا قارةً لاجتماعهم والتفافهم. والقارَة: الأكَمَة، والجمع قُور، وكانوا رُماة الحَدَق. وأصل المثَل كان في حرب وقعت بين قريش وبكر بن عبد مَناة بن كِنانة، وكانت القارة مع قريش؛ فلما التقى الفريقان رماهم الآخرون؛ فقيل: قد أنصفوكم إذْ قاتلوكم بما تُقاتِلون به؛ وجُعِلَ المَثل شِعراً؛ فقيل:

قد أَنْصَفَ القارَةَ مَنْ راماها إنَّا إذا ما فئةٌ نَلقاها
نَرُدُّ أولاها على أُخراها"

(كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ، ٥٥/١، ٥٦).

(٣) كتاب العِقد الفريد، ٢٠٨/٤، ٢٠٩. عبد الله بن الزِّبَعْرى: "هو عبد الله بن الزِّبَعرى بن قيس بن عَديّ بن سعيد بن سَهم القُرشيّ السَّهْمِيّ،.. كان مِن أشعر قريش" (الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٧٦/٤) "شَرِب: موضع قرب مكّة له ذِكْر، وبشَرِب كانت وقعة الفِجار العظمى..، وحضرها النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ولم يقاتل فيها وكان قد بلغ سنّ القتال، وإنّما مَنَعه من القتال فيها أنّها كانت حرب فِجار". (معجم البلدان، ٣٣٢/٣)، وذكرها أُميّة ابن الأَسكر الكِنانيّ، وهو شارع فارس مخضرم:

ألا سـائل هَـوازن يـوم لاقَـوْا فـوارسَ مِـنْ كِنانـة مُعلمينـا
لـدى شَـرِبٍ وقـد جاشـوا وجِشـنا فأَوعَـب فـي النَّفيـر بنـو أبينـا

(خزانة الأدب، البغداديّ، ١٧/٦). الأَحابيش: هم بنو الحارث بن عبد مناة: كِنانة، وعَضَل، والقارَة، والدِّيش، مِن بني الهُون بن خُزَيمَة، والمُصْطَلِق مِن خُزاعة، سُمُّوا بذلك لحلفهم بني الحارث، والتحبُّش: التجمُّع. (الكامل في التاريخ، ابن الأَثير، ٤٩٠/١).

عبدالله بن الزِّبَعرى يمدح بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، ويمدح أُمّهم رَيْطة بنت سعد بن سَهْم، كونها وَلدتْ سادة بني المُغيرة: هشام بن المغيرة المَخزوميّ وأبا ربيعة بن المغيرة ذا الرُّمْحَين – ولُقِّب بهذا لأنّه قَاتَل برمحين – وأخاهما هاشم بن المُغيرة الذي يُكنّى أبا عبد مناف[١] وذلك [من الهَزَج][٢]:

ألا لِلّه قـــــــــومٌ وَ لَـدتْ أخـتُ بنـي سَـهْمِ
هِشـــامٌ وأبـــو عبـــدِ مَنَـافٍ مِـدْرَهُ الخَصْـمِ
وذو الـــرُّمحَين أشـــبالٌ علـــى القُـــوّة والحـــزمِ
فهـــــذان يـــــذودانِ وذا مِـــنْ كَثَـــبٍ يرمـــي
فـإن أَحلِـفْ وبيَـتِ اللـــ ـــهِ لا أَحلـفْ علـى إثْـمِ
مَـــا مِـــنْ إخـــوةٍ بـــينَ قصـــورِ الشـــامِ والـــرَّدْمِ
بـأَزكى مِـن بنـي رَيْطَـــ ـــةَ أو أوزنَ فـــي حِلْـــمِ

(١) انظر: جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١٠٧/١، ١٠٩. وأنساب الأشراف، البلاذريّ، ٤٣/١. والاشتقاق، ابن دُرَيد، ٩٨/١. والعِقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٢٠٩/٤. ذكر ابن الكلبيّ أنّ رَيْطَة هي بنت عمرو بن كعب بن سَعد بن تَيْم ابن مُرّة، بينما ذكر ابن دريد أنّها بنت سعد بن سهم. وقد أثبتُّ قول ابن دريد لموافقته ما ورد في البيت الأول. وذكر ابن عبد ربّه أنّ أبا عبد مناف هو قُصيّ بن كِلاب جَدّ بني المُغيرة.

(٢) **جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ١٠٩/١.**

البيت السادس: "ما مِنْ إخوةٍ..." مضطرب في الوزن، والصّواب: "فما مِن ..." كما جاء في المصادر الأخرى.

كتاب المُحبَّر، ابن حبيب، ص: ٤٥٧، ٤٥٨: الأبيات كلّها ما عدا البيت الخامس، مع اختلاف في رواية بعض الألفاظ: البيت الأول، الشطر الأول:

ألا لِلّه مـــــــــــــاذا و .....

البيت الثالث، الشطر الثاني: "مِن الأقوام ذو الحَزْمِ". البيت السادس، الشطر الأول: "فما مِن إخوة بين". وأنساب الأشراف، البلاذُريّ، ٤٣/١: الأبيات ١–٤ فقط مع اختلاف في رواية البيت الثالث:

"وذو الـــــرُّمحين ناهيـــــك مِـــــن القُـــــوَّةِ والحَـــــزمِ"

وزيادة بيت هو:

هُـــمُ يـــوم عُكـــاظ مَـــ نَعُـــوا النـــاسَ مـــن الهَـــزْمِ

والعقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٢٠٩/٤: الأبيات ١–٤ فقط بالرواية نفسها. المِدْرَه: زعيم القوم وخطيبهم المتكلّم عنهم. الكَثَب: القُرْب. الرَّدْم: السَّدّ الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج، والرَّدْم: موضع بِتِهامَة، والرَّدْم أيضاً: "قرية لبني عامر بن الحارث العَبْقَسيّين بالبحرين، وهي كبيرة" (لسان العرب: دَرَهَ، كَثَبَ، رَدَمَ. ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٤٠/٣).

*وروى ابن الكلبيّ أبياتاً لِحُجَيَّة بن المُضَرَّب السَّكونيّ الكِنديّ يمدح بها "يَعْفُر بن زُرعة" أحد ملوك اليمن، وهو "**أحد الأُملوك أُمْلُوك رَدْمان**"(١). ذكر الآمديّ أنّ حُجيّة بن المُضرَّب شاعر جاهليّ كريم فارس مُقدَّم مُقِلّ، ويكنّى "أبا حَوْط"، وهو مِن حُلفاء بني أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيبان(٢)، ولكنّ أبا الفرج وابن دريد والتِّبريزيّ ذكروا أنّه أدرك الإسلام، وكان نصرانيّاً، وعاش إلى زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلاّ أنّه لم يُسلم وظَلّ على نصرانيّته، وقد ضَربت به عائشة – رضي الله عنها – المثَل في الرحمة والوفاء وصلة الرحم(٣).*

وقد استعنتُ على ترجيح جاهليّة الأبيات التي قالها حجيّة بن المضرّب بالرّغم من إدراكه الإسلام بأنّ الممدوح وهو "يَعْفُر بن يزيد بن النّعمان الحِمْيَريّ" كان جدّاً جاهليّاً يمانيّاً من حِمْيَر، وكان مجتمع أصل قبائل ذي الكُلاع اليمنيّة(٤).

ذكر القالي: **"وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدني عميّ، عن أبيه، عن ابن الكلبيّ لحُجَيَّة بن المضرَّب يمدح يَعْفُر بن زُرعة أحد الأملوك أملوك رَدْمان [من الطويل]:**

إذا كنت سائلاً عن المجد والعُلا ... وأين العطاءُ الجَزْل والنّائل الغَمْرُ

فَنَقِّبْ عن الأُملوك واهتِفْ بِيَعْفُرٍ ... وعِشْ جارَ ظِلٍّ لا يُغالبُه الدَّهرُ

أولئك قومٌ شَيَّد الله فَخرهمْ ... فما فوقه فَخرٌ وإن عَظُمَ الفَخْرُ

أُناسٌ إذا ما الدهر أظلمَ وجهُهُ ... فأيديهمُ بيضٌ وأَوجُهُهُمْ زُهْرُ

يَصونون أحساباً ومجداً مؤثَّلاً ... بِبَذْلِ أَكُفٍّ دونها المُزْنُ والبحرُ

سَمَوْا في المعالي رتبة فوق رتبةٍ ... أَحَلَّتْهُمُ حيثُ النَّعائمُ والنَّسْرُ

أضاءتْ لهم أَحسابُهُمْ فتضاءلَتْ ... لنورهمُ الشمسُ المُنيرةُ والبدرُ

---

(١) الأُملوك: قبيلة أو بطن من بطون حِمْيَر (جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص: ٤٧٨. وسِمْط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البكريّ، ٢٠٥/١)، وقال الخطابيّ: "الأُملوك واحد، وهو دون الملك" (سِمط اللآلي، ٢٠٥/١). رَدْمَان: موضع باليمن (معجم البلدان، ٤٠/٣).

(٢) انظر: المؤتلف والمُختلف، ص: ١٦١، ٢٧٩. وقيل لأبيه المُضَرَّب "لأنّه ضُرِب بسيف عدّة ضربات فما أَحَاك فيه" (سِمط اللآلي، أبو عبيد البكريّ، ٢٠٤/١).

(٣) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٠٠/٢٠-٢٠٢. والاشتقاق، ابن دريد، ٣٧١/٢. وشرح ديوان الحماسة، الخطيب التِّبريزيّ، ١٤٩/١.

(٤) انظر: تاج العروس، الزَّبيديّ: عَفَرَ.

فلـو لامَـس الصَّـخرُ الأصـمُّ أكُفَّهُـمْ لفاضَـتْ ينـابيع النـدى ذلـك الصـخرُ

ولـو كـان فـي الأرض البسيطة منهُمُ لِمُختَـبِطٍ عـافٍ لمـا عُـرِفَ الفَقْـرُ

شَـــكَرْتُ لكـــم آلاءكـــمْ وبلاءكُـــمْ ومـا ضـاع معروفٌ يُكافئـه شُكْرُ"(١)

ومِمَّا رواه ابن الكلبيّ، أبياتٌ امرئ القيس بن حُجْر التي يمدح بها بني ثُعَل، وكان امرؤ القيس نزل على رجل منهم يُدعى جارية بن مُرّ الثُّعَليّ فأجاره وأكرمه، وذلك بعد أن نزل على رجل يدعى خالد بن سُدوس بن أَصْمَع النّبْهانيّ، فأغار عليه باعث بن حُوَيص الطائيّ في رجال معه وأخذوا إبله فلم يصنع له شيئاً(٢)، ولكنّ ياقوت الحمويّ ذكر الأبيات من دون مناسبتها، إذ يقول: "وقال ابن الكلبيّ: حائل وادٍ في جَبَلي طَيّئ، قال امرؤ القيس [من الطويل](٣):

أَبَـتْ أجَـأٌ أنْ تُسْـلِمَ العَـامَ جارهـا فَمـنْ شاءَ فليـنهضْ لهـا مِـن مُقاتِلِ

تَبيـــتُ لَبـــوني بالقُريَّـــة أُمَّنـــاً وأَســـرَحُهَا غِبّـــاً بأكنـــاف حائـــلِ

---

(١) كتاب الأمالي، أبو عليّ القالي، ٥٣/١، ٥٤.

سِمط اللآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد البكريّ، ٢٠٤/١، ٢٠٥: البيتان الأوّل والتاسع فقط. وكتاب الحماسة البصريّة، البَصريّ، ٤٥٢/٢، ٤٥٣: ١. "إذا كنت سأَّالاً" ٨. "ولَو لامَسَ الصَّخْرَ الأصَمَّ أكفُّهُمْ". ٩. "ولو كان في الأرض البسيطة مِثلُهُمْ".

يَعْفُر: اسم ملك من ملوك اليمن. مُؤثَّلاً: قديماً ومؤصَّلاً. المزْن: جمع مُزْنة وهي السَّحابة التي تحمل الماء. النَّعائم: منزلة مِن منازل القمر صورتها كالنَّعامة، وقيل هي ثمانية أنجم. النَّسْر: مجموعة من النّجوم معروفة بمشابهتها للنّسر، وهي في النصف الشماليّ مِن القُبّة السماويّة. المُخْتَبِط: الذي يسأل شخصاً معروفه من غير معرفة ولا وسيلة ولا قرابة. وفي حديث عامر: قيل له في مرضه الذي مات فيه: "قد كنت تَقري الضيَّف وتعطي المُخْتَبِط". العَافي: السائل الذي يطلب المعروف (لسان العرب: أَثَلَ، مَزَن، نَعَم، نَسَرَ، خَبَطَ، عَفَا. وكتاب الأمالي، ٥٣/١: الحاشية).

(٢) انظر: مجمع الأمثال، الميدانيّ، ٢٦٧/١، ٢٦٨. وشرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، ص: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحَمويّ، ٢١٠/٢.

شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، ص: ١٧٥: " فقال في ذلك امرؤ القيس يمدح جارية الثُّعَليّ وقومه، إذْ أجاروه وأكرموه،..". "نابِل" مكان "نائل".

أجَأ: أحد جبلي طيّئ، والمراد أهل أجأ. اللَّبُون: مِن الشَّاء والإبل ذات اللَّبن، والشاعر يريد بها نوقه التي يَحتلب لبنها. أسْرَحُها: سَرَّحْتُ الماشية أي أَخْرَجْتُها بالغَداة (النهار) إلى المرعى. غِبّاً: ساعةً بعد ساعة أو وقتاً بعد وقت. الأَكناف: جمع الكَنَفَة، وهي ناحية الشيء. بنو ثُعَل: قبيلة مِن طيّئ كان رجالها معروفين بالحَذْق في الرّماية. سعد ونابل: مِن رُماة بني نَبهان (لسان العرب، ابن منظور: لَبَن، سَرَح، غَبَّ، كَنَفَ. وشرح ديوان امرئ القيس، ص: ١٧٥: الحواشي ١، ٢، ٣). القُريَّة: تصغير قَرْيَة، مكان في جَبَلي طَيِّئ مشهور. حائل: وادٍ في جَبَلَي طَيِّئ (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٤٠/٤، ٢١٠/٢).=

بَنُــو ثُعَــلٍ جيرانُهــا وحُماتهــا وتُمنــعُ مِــن رُمــاة سَــعْدٍ ونائــلِ

وكان امرؤ القيس بن حُجْر قد مَدَح خالد بن سُدوس بن أَصْمَع النَّبْهانـيّ، مُشيداً بمنزلة قومه الّتي لا يُدانيهم فيها أحد، إذ يقول [من الوافر][١]:

إذا مــا كنــت مفتخــراً فَفــاخِرْ ببيــتٍ مثــلِ بيــت بنــي سُدوســا

ببيــتٍ توجــد الرُّؤَســاءُ فيــهِ قِيامــاً مــا تُــدافَعُ أو جُلوســا

ومدح امرؤ القيس طَريف بن زُمَّل بن عُميرة بن تَميم بن عَوف بن مالك بن ثعلبة، وكان امرؤ القيس نزل عنده فأكرمه وأحسن إليه، فقال يمدحه [من الطويل][٢]:

لَـنِعْمَ الفتـى تَغشـو إلـى ضَـوء نـاره طَريفُ بن زُمَلٍ ليلةَ الرّيحِ والخَصْرِ

= قال ياقوت الحمويّ: "ثم إني وقَفْتُ بعدما سَطَرْتُه آنفاً، على جامع شعر امرئ القيس، وقد نصَّ الأصمعيّ على ما قُلْتُه، وهو أنّ أَجأ موضع، وهو أحد جبلي طَيّئٍ، والآخر سَلمى. وإنّما أراد أهل أجأ... وأما سبب نزول طَيِّئ الجبلين، واختصاصهم بسكناهما دون غيرهم من العرب، فقد اختلف الرواة فيه. قال ابن الكلبيّ، وجماعة سواه: لما تفرّق بنو سَبأ أيام سَيل العَرِم سار جابر وحَرْمَلة ابنا أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُريب بن زيد بن كهلان. والحكاية عنه، وكان أبو عبيدة قال زَيد بن الهُمَيْسَع؛ فساروا نحو تِهامة وكانوا في ما بينها وبين اليمن، ثمّ وقع بين طَيّئ وعمومته مُلاحاة ففارقهم وسار نحو الحجاز بأهله وماله وتَتَبَّع مواقع القَطْر، فسمّي طَيِّئاً لطَيّه المنازل، وقيل إنّه سُمِّيَ طَيِّئاً لغير ذلك. وأَوغلَ طَيِّئ بأرض الحجاز، وكان له بعير يشرد في كلّ سنة عن إبله، ويغيب ثلاثة أشهر، ثم يعود إليه وقد عَبُلَ وسَمن وآثار الخُضْرة باديةٌ في شِدْقَيْه، فقال لابنه عمرو: تَفَقَّدْ يا بُنيَّ هذا البعير، فإذا شَرَد فاتَّبِع أثره حتّى تنظَر إلى أين ينتهي. فلمّا كانت أيّام الربيع وشَرَد البعير تبعه على ناقة له فلم يزل يقفو أثره حتى صار إلى جبل طيّئٍ، فأقام هنالك ونظر عمرو إلى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والرّيف، فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فسار طَيّئٌ بإبِله وولده حتّى نزل الجَبلَين فرآهما أرضاً لها شأن، ورأى فيها شيخاً عظيماً، جسيماً مديد القامة، على خَلْق العاديّين ومعه امرأة على خَلْقه يُقال لها سَلمى، وهي امرأته وقد اقتسما الجبلَين بينهما بنصفين، فأجأٌ في أحد الجبلين وسَلمى في الآخر، فسألهما طَيِّئ عن أمرهما؛ فقال الشيخ: نحن مِن بقايا صُحار غَنِينا بهذين الجبلين عَصْراً بعد عصر، أفنانا كَرُّ الليل والنّهار؛ فقال له طَيِّئٌ: هل لك في مشاركتي إيّاك في هذا المكان فأكون لك مُؤْنِساً وخِلّاً؟ فقال الشيخ: إنّ لي في ذلك رأياً فأقِمْ فإنّ المكان واسع، والشجر يافعٌ، والماء طاهرٌ، والكلأ غامِرٌ. فأقامَ معه طيّئٌ بإبِله وولده بالجبلين، فلم يَلْبَثْ الشيخ والعجوز إلَّا قليلاً حتى هَلَكا وخَلَص المكان لطَيِّئٍ فولَدُه به إلى هذه الغاية" (معجم البلدان، ٩٦/١، ٩٧). مُلاحاة: تَنازُع. الشِّدْقان: مثنّى الشِّدْق، وهو جانب الفَم، والشِّدْقان: طَقْطَقَه الفم من باطن الخَدَّيْن. يَقفو أثره: يَتَّبِعُه (لسان العرب: لَحا، شَدِقَ، قَفَا).

(١) **النَّسَب الكبير، ٢٥٣/١، ٢٥٤.**

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٣٤٤، ورواية البيت الثاني:

" ببيتٍ تُبصَرُ الرؤساء فيه قياماً لا تُنازع أو جلوسا ".

(٢) **النَّسَب الكبير، ١٩٣/١.**

"تَغشو": تصحيف، والصواب "تَعشُو" كما جاء في الديوان. "الخَصْرِ" ضبطت خطأً، والصواب "الخَصَرْ" كما جاء في الديوان. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١١٠: "وقال يمدح طَريف بن مالك"، تعشو: من الفعل (عَشا)، وعَشا إلى النار وعَشاها رآها ليلاً عن بعد فقصَدها مُسْتضيئاً بها. الخَصَر: شدّة البرد (لسان العرب، ابن منظور: عَشا، خَصِرَ).

وهذا الأعشى الكبير ميمون بن قيس يمدح بطناً من بطون بني كلب "بني العُنَبد" ورهط جبّار ابن قُرْط وحارثة بن زيد بالكرم، إذ يقول [من الوافر][١]:

بنو الشَّهرِ الحَرامِ فلَسْتَ مِنْهُمْ ولستَ من الكِرام بَني العُنَبْدِ

ولا مِن رَهْط جَبّارِ بنِ قُرْطٍ ولا مِنْ رَهْطِ حارثةَ بنِ زَيْدِ

ومَدَحَ الأعشى أيضاً بني فُطَيْمَةَ بنت حبيب بن ثعلبة – عمرو بن همّام وثعلبة وعائشة ومازن وعبد الله – بالشجاعة والثبات عند ملاقاة أعدائهم بقوله [من البسيط]:

(فبني فُطَيمةَ لا مَيْلٌ ولا عُزْلُ)[٢]

وقال حُذافة بن غانم العدويّ يمدح أبا عُتبة عبد العُزّى بن عبد المطّلب ذاكراً مكارمه ومكارم أجداده بقوله [من الطويل][٣]:

أبوكم قُصيٌّ كان يُدعى مُجمّعاً به جمَع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

---

(١) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣١٦/٢، ٣٦٣، ٣٦٥.**

ديوان الأعشى الكبير، ص: ٢١٥. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٧/٩: "بني عُبَيْدِ" مكان "بني العبيد".

(٢) **النَّسب الكبير، ٨/١.**

وقد اكتفى ابن الكلبيّ برواية العَجُز بما يخدم غرضه، والأعشى يمدح هنا بني فُطيمة بالشجاعة والثبات في قتال الأعداء. وديوان الأعشى، ص: ١١٣:

نحنُ الفوارس يوم العَيْن ضاحيةً جَنْبَيْ "فُطيمةَ" لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

مِيلٌ: جمع أَميل، وهو الذي يميلُ على السّرج ولا يثبت عليه، وقيل هو الجبان. عُزُل: جمع أعزل، وهو الذي لا سلاح معه (انظر: لسان العرب: مال، عَزَلَ).

ومن المحتمل أن تكون "فُطَيمة" هنا: "اسم موضع بالبحرين كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضُبَيْعَةَ وتغلب بن ربيعة أيضاً ظَفِرَ فيها بنو تغلب على بني شيبان، فقال الأعشى (البيت) برواية مختلفة عن رواية ابن الكلبيّ على هذا النحو: "نحنُ الفوارسُ يوم الحِنْو ضاحيةً"، إلاّ أنَّ محقّق ديوان الأعشى محمّد محمّد حسين أنكر هذه الرواية قائلاً: "ومن روى (نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية) فهو مخطئ، لأنّ يوم الحِنو هو يوم ذي قار، وأحسن الناس بلاءً فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مُسْهِر الذي يهجوه الأعشى بهذه القصيدة، فغير معقول أن يستعلي عليه الأعشى مُفاخِراً بهذا اليوم" (الديوان، ص: ١١٣: الحاشية ٦٥)، ولم أستطع أنْ أتبيّن "يوم العَين" في ما رَجَعْتُ إليه من مصادر.

(٣) **جمهرة النَّسب، ١٣/١.**

كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٧٥. ورواه مصعب الزُّبيريّ في كتاب نسب قريش، ص: ٣٧٥، مع بيتين آخرين: "أَبوهمْ" مكان "أبوكُمْ".

أبوكُمْ: يعني جدُّكُمْ. فِهر: هو جدّ أعلى لِقُصيّ بن كلاب، وفِهْر هو قريش (جمهرة النسب، ٨/١، ٩).

وقال الحارث بن ظالم المُرّيّ يمدح قبيلة قريش وقد انتسب إليها [من الوافر](١):

رَفَعْتُ الرُّمْحَ إذْ قالوا قريشٌ وشَبَّهْتُ الشمائلَ والقِبابا
فما قومي بثعلبةَ بن سَعْدٍ ولا بِفَزارَةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

وقال الهُذَيل التغلبيّ يمدح خالد بن مالك بن رِبعيّ من بني نهشل بن دارِم التميميّ [من الطويل](٢):

فما أَبتغي في مالكٍ بعد دارمٍ وما أبتغي في دارمٍ بعد نَهْشَلٍ
وما أَبتغي في نَهْشَلٍ بعد خالدٍ لطارق ضيفٍ أو لضيفٍ مُحَوَّلٍ

وقال الحارث بن قَنْيس من بني كِنانة التغلبيّ يمدح "رأس الطين" حارثة بن عديّ بن كعب بن عُلَيْم وقومه، مشيداً بحسن صنيعهم به وجميل معروفهم معه، إذ وقع أسيراً عندهم فأطلقوا سراحه، إذ يقول [من الوافر](٣):

ألا إنّي لَعَبْدُ بني عُلَيْمٍ ولَسْتَ لسائر الأقوام عَبْدا
ولو أنّي أُخَيَّرُ في مَعَدٍّ لأَخْلُدَ فيهمُ لاخترتُ زَيْدا

---

(١) **جمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ١١/١.**

المُفضَّليّات، المُفضَّل الضّبيّ، ص: ٣١٤، ٣١٥: "رِقابا" مكان "الرِّقابا" مع اختلاف في ترتيب البيتين؛ إذْ أورد البيت الثاني قبل البيت الأوّل بستّة أبيات، والقصيدة مكوّنة مِن ثلاثة وعشرين بيتاً ومطلعها:

نَأَتْ سلمى وأَمسَت في عَدوٍّ تَحثُّ إليهمُ القُلُصَ الصِّعابَا

وكتاب المُحبَّر، ابن حبيب، ص: ١٦٩: "رِقابا" مكان "الرِّقابا". وأنساب الأشراف، البلاذريّ ٤٢/١: رواية موافقة لرواية ابن الكلبيّ.

الشَّمائل: جمع الشِّمال، وهو الخُلُق والطَّبع. القِباب: القُبَّة من الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب، وهي واحدة القباب، وهي رمز العزّة والعلوّ والرِّفعة. الشُّعْر: جمع أَشْعَر، وهو كثير شعر القَفا، وأراد أنَّ كُلَّ واحد مِن فَزارة هذه صفته، وقال الجاحظ: هُجِيَتْ فَزارة بكثرة شعر القَفا (لسان العرب: شَمِلَ، قَبَّ، شَعَر. والبيان والتبيين، ٢٧٠/٣). ومعنى البيت الأول: "أظهرتُ له ما تُجِنُّ صدورنا ويشتمل عليه أحشاؤنا من الوُدّ المكنون. ومعنى "رَفَعْتُ الرمح" أريت الناس زَوال الخلاف بيننا، وأنَّ آلة الحرب موضوعة فينا مُستغنىً عنها" (المُفضَّليّات، المُفضَّل الضَبّيّ، ص: ٣١٥: الحاشية ١٥).

(٢) **جَمهرة النَّسب، ابن الكلبيّ، ٢٩٨/١.**

(٣) **النَّسب الكبير، ٣٢٩/٢.**

قوله "لاخترتُ زيدا" هم قوم رأس الطّين؛ لأنَّ بني زيد هم بنو جابر وقيس وعديّ بني كعب بن عُلَيم، وقد نُسِبُوا إلى أمّهم زيد بنت مالك بن عِمّيت مِن بني كلب (النسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٢٩/٢. والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنى والأنساب، ابن ماكولا، تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليمانيّ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدَّكَن، الهند، ١٩٦٣م، ١٣٦/٢). وذكره ابن الكلبيّ في موضع آخر فقال يذكر بني مَعْقِل الكَلبيّين: "ومنهم قُبَيْس بن الحُنَيف بن مسعود بن حارثة بن مَعْقِل بن كعب بن عُلَيم بن جَناب، كان فارساً في الجاهلية، وقيس ابن أبي سَخْطى – وهو زيد مناة – ابن مَعْقِل، وله يقول رأس الطين: ... (وأنشد بيتاً) (النسب الكبير، ٣٣٣/٢). وقد ورَدت "زَيد" "زَبْد" بالباء تصحيفاً (ديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ٢٨٣/١).

وقال الحارث بن هَمَّام بن مُرَّة الشيبانيّ يمدح الجُعَيْد بن صَبرَة من بني عبد القيس [من الوافر][١]:

غَنِينا في تِهامَةَ قاطنيها ليالي العِزِّ في آلِ الجُعَيْدِ

تَدينُ له القَبائلُ من مَعَدٍّ كما دَانَتْ قُضاعةُ لابنِ زيدِ

وقال عديّ بن زَيْد العِباديّ يمدح عبد هِنْد بن لُجَم بن مَنْعَةَ بن بُرْجان من بني إياد بن نزار بن مَعدّ بن عدنان، وكانوا بالحيرة، [من السَّريع][٢]:

أَبْلِغ خليلي عَبْدَ هِنْدٍ فَلاَ زِلْتَ قريباً مِن سَوادِ الخُصوصِ

وقال شاعر يمدح خالد بن مَعْشَر بن النّار بن الحارث من قبيلة مَذْحِج اليمنيّة، واصفاً كرمه في أوقات الضّيق والشدّة [من الرَّجَز][٣]:

تَمَّتْ حالُ خالد بن النّارْ المُطعِمُ الشَّحْمَ في الأَسفارْ

مانِحٌ جُودَ النُّوق في الأَضرارْ من عُصْبٍ ماجدةٍ أحرارْ

وقال شاعر يمدح عَميرة بن أوس بن ثعلبة، من بني الخزرج بن زيد اللات بن رُفَيْدَة بن ثور ابن كلب – ويقال له الملك – [من الوافر][٤]:

ولابنِ عَميرةَ المَلِكِ بن أوسٍ ولو طُفْتَ البَرِيَّةَ أَجمعينا

---

(١) **جمهرة النسب، ابن الكلبي، ٣٣٧/٢.**

ابن زيد: يريد حَنظلة بن نهد بن زَيد (جمهرة ابن الكلبيّ، ٣٣٧/٢).

(٢) **النَّسب الكبير، ٥٥/١.**

ديوان عدي بن زيد العِباديّ، ص: ٦٨: الخُصوصْ (الرَّوِيّ ساكن).

(٣) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٧٤/١.**

الشَّحْم: من جسم الحيوان الأبيض الدُّهْنيّ المُسَمِّن له، كسنام الناقة. الأضرار: جمع الضَّرَر، وهو الضّيق والشدّة. عُصْب: عَصب الإنسان والدابّة، والأعصاب: أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدّها. ماجدة: شريفة خَيِّرة (لسان العرب وتاج العروس: شَحِمَ، ضَرَرَ، عَصَبَ، مَجَدَ).

(٤) **النسّب الكبير، ٣٠٦/٣.**

وروى ابن الكلبيّ شعراً في الرثاء؛ ومن ذلك ما رواه لنائحةٍ ترثي بيتين من الشعرِ جَفنة بن قُتَيرَة ابن حارثة بن عبد شمس، وكانت رئاسة السَّكُون اليمانيّة قد اجتمعتْ عليه، ثم وَقَع أسيراً عند بني نَهْد، فطلَب منهم أن يشرب، فأتوه بغُلية فيها ماء، فأبى ذلك، ولم يكترثوا به، ووضعوا الغُلَيّة عنده أياماً، فلم يشرب منها حتى مات(١)، فقالت النائحة تبكيه [من البسيط](٢):

ألا سَــقَيْتُمْ بنـــي نَهْــدٍ أســيرَكُمُ وقد يُمَنُّ على الأَسرى وقد يَسَعُ

يــا فارســاً مــا قَتَلْــتُمْ غيــرَ جَفنتــهِ ولا هَيــوبٌ إذا مــا صَــدَقَ القَــزَعُ

ورَوى ابن الكلبيّ أبياتاً نَسبها لعمرو بن الأسود يرثي بها وَبْرَة بن رومانِس الكلبيّ، وذكر مناسبة الأبيات بعد أن أورد سلسلة نسب المرثيّ بقوله: "... **وَبْرَة بن رُومانِس بن مَعْقِل بن عمرو بن عبد وُدّ أخي النُّعمان بن المنذر لِأُمّه سَلمى بنت وائل بن عطيّة، وهو الذي أَسر يزيد بن الصَّعِق يوم القُــرْنَتَيْن، ومــات بــالبرَدَان مِــن طريــق الشــام، ودُفِــنَ بهــذا الموضــع..**" (٣)، *ولــه يقــول*

---

(١) انظر: النَّسب الكبير، ١/١٢٥.

(٢) **النَّسَب الكبير، ١/١٣٥.**

القَزَع: بفتح الزاي وليس بتسكينها كما ورَدتْ في البيت، والقَزَع من السَّهم: ما رَقَّ من ريشه (لسان العرب: قَزَع) وبهذا يستقيم المعنى.

(٣) النَّسَب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢/٣٧٨.

القُرْنتَان: تثنية القُرْنَة، موضع على أحد عشر ميلاً مِنْ فَيْد للقاصد من مكّة...، وقال نَصر: هي بين البصرة واليمامة في ديار تميم (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٤/٣٣١). يوم القُرنتين: يوم كانت فيه وقعة لغطَفان على بني عامر بن صَعصعة، ذكره لَبيد بن ربيعة في شعره:

"وغَداة قاع القُرنتَيْن أتَينَهُمْ رَهْواً يَلُوح خلالها التَّسويمُ" (معجم البلدان، ٤/٣٣١. وشرح ديوان لَبيد بن ربيعة العامريّ، تحقيق إحسان عبّاس، ص: ١٣٣). البَرَدان: "والبَردان أيضاً بالكوفة، وكان منزل وَبْرة بن رومانِس.. والبَرَدان أيضاً ماء بالسَّماوة دون الجَناب وبعد الحِنْي من جهة العراق" (معجم البلدان، ١/٣٧٦، ٣٧٥)، والقول الثاني هو الأصحّ، والله أعلم.

عمرو بن الأسود [من الوافر](١):

ألا يـــا عـــينُ جُـــودي بانـــدفاقِ علـــى مُـــرْدَى قُضـــاعَةَ بـــالعراقِ
لقـــد تركـــوا علـــى البَـــرَدان قبـــراً ونـــــادَوْا بارتحـــــالٍ وانطـــــلاقِ
فلَـــوْ أبقَتْـــكَ وانِيـــةٌ ومَجْـــدٌ وجَـــدٌّ صـــــاعِدٌ لَوَقـــــاكَ واقِ

ومِمّا رواه ابن الكلبيّ أبياتٌ لحاتم الطائيّ يرثي بها قريبه مِلحان بن حارثة بن سعد بن الحَشْرَج، مشيداً بكرمه، إذ يقول [من الطويل](٢):

لِيَبْـكِ علـى مِلحـانَ ضَـيْفٌ مُـدَفَّعٌ وأرملـــةٌ تُزجـــي مـــع الليـــل أرْمَـــلا
إذا ارتحـــلا لـــم يجـــدا بِيـــتَ ليلـــةٍ ولـــم يلبســـا إلاَّ بِجـــاداً وخَـــيْعَلا
وأوصَـيْتَني أَن أَرفَـعَ الظَّـنَّ صـاعداً وَصـاتَكَ واسـتودِعْتَ تُرْبـاً وجَنْـدلَا
فـلا انفَـكَّ رَمْسٌ بـين أَضْرُعَ فـاللِّوى يَصُـــبُّ عليـــه الله وَدْقـــاً مُجَلَّـــلَا

---

(١) النَّسب الكبير، ٣٧٨/٣. ومعجم البلدان، ٣٧٦/١.

عَمرو بن الأسْوَد: هو عمرو بن الأَسْوَد الأَجداريّ الكلبيّ شاعر جاهليّ (معجم الشعراء، المرزبانيّ، ص: ٦٤). مُرْدَى: هالك، من الفعل "أردى". قُضاعة: القبيلة التي ينتهي إليها نسب الشاعر والمرثيّ. وَانِية: مِنْ: وَنَى الشيء وعنه: تَركَه، فهو وانٍ، وهي وانِية. الجَدّ: الحَظّ (لسان العرب: رَدِيَ، وَنَى، جَدَّ).
في معجم البلدان، ٣٧٦/١:

ألا يـا عَـينُ جُـودِي بانـدفاقِ علـى مُـرْدى قُضـاعة بـالعراقِ
فمـــا الـــدنيا بباقيـــةٍ لحـــيّ ولا حَـــيٌّ علـــى الـــدُّنيا ببـــاقِ
لقـد تَركـوا علـى البَـرَدان قَبـراً وهَمُّـــوا للتفـــرُّق بـــانطلاقِ

ونَسبها ياقوت الحمويّ إلى مَكحول بن حارثة الكلبيّ، وهو شاعر جاهليّ (ديوان شعراء بني كلب، صنعة محمد شفيق البيطار، ٢٠٦/١)، وقد أثبتَ محمّد شفيق البيطار رواية البيت الثالث على هذا النحو: "فلو نَجَّتْكَ رَابيةٌ ومَجْدٌ" نقلاً عن: كتاب الوحشيّات، وهو الحماسة الصُغرى لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائيّ، ص: ١٣٣. وعَدَّ البيطار "وَانيةٌ وَمَجْدٌ" تحريفاً (ديوان شعراء بني كلب، ٧١/١: الحاشية). والرَّابية: كلّ ما رَبا وارتفع من الأرض (لسان العرب: رَبا)، وأراد بها الشَرف والرِّفعة (ديوان شعراء بني كلب، ٧١/١: الحاشية).

(٢) النَّسب الكبير، ٣٣٧/١ (البيت الأوّل فقط). **وديوان حاتم الطائيّ، شرح أبي صالح يحيى بن مدرك الطائيّ، ص: ١٣٠**: الأبيات جميعها.

ضيف مُدَفَّع: أي يتدافعه الحيّ، يُحيله كلٌّ إلى الآخَر. أرملة: امرأة محتاجة مُعْوِزة، وكذلك أرمل. تُزجي: تسوق، والتزجية دفع الشيء كما تُزجي البقرة ولدها، أي تسوقه، ويعني الشاعر بهذا أنّ تلك الأرملة تسوق زوجها بين يديها على ضعف منه وعجز عن المشي. البِيت: القُوت. البِجاد: كساء مخطَّط من أَكْسِيَة الأعراب. الخَيْعَل: القميص الذي لا كُميّ له. الجَنْدَل: الصّخر الضَخم، وجمعه الجنادل. الرَّمْس: القبر. الوَدْق: المطر كلّه شديده وهيّنه، وقد وَدَق يَدِق وَدْقاً أي قَطَر. المُجلَّل: السحاب الذي يُجلّل الأرض بالمطر أي يَعُمّ (لسان العرب، ابن منظور: دَفَع، رَمَل، زَجا، بَيَت، بَجَد، خَعَل، جَنْدَلَ، رَمَس، وَدَق، جَلَّلَ).
أَضْرُع (بضم الراء): موضع بين المدينة والعراق، وقال ثعلب: هي جبال أو قارات، وقيل قارات بِنَجْد، وقد ذُكِرَ هذا الموضع في شعر الراعي النُّميريّ. أمّا أَضْرَع (بفتح الراء)، وجمعها الأضارع: اسم بركة مِن حفر الأعراب في غَربيّ طريق الحاجّ (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢١٤/١. ومعجم ما استعجم، البكريّ، ١٣٩١/٤). اللِّوَى: هو في الأصل منقطع الرَّملة، وهو موضع مُعَيّن أكثر الشعراء من ذكره، وهو وادٍ من أودية بني سُلَيم، كانت فيه وقعة لبني ثعلبة على بني يربوع (معجم ما استعجم، البكريّ، ٢٣/٥).

وروى ابن الكلبيّ أيضاً بيتين لِهُزَلَة بن مُعَتِّب بن أحبّ بن الغوث بن عِتريف، إذ رثى بهما رجلاً من بني أَسَد يقال له نُصَيْحةَ، وقد قتله أخوه – واسمه سِرحان بن معتِّب، وكان رجلاً فاتكاً – إذ خرج يرعى إبِلِه في أرضٍ لسِرحان، وأقسم ألاّ يبرح أرضه، فمرَّ به سِرحان فقَتلَه(١)*، فقال هُزَلَة بن مُعَتِّب مُخاطباً امرأة الأسديّ* [من الكامل](٢):

أبْلِغ نُصَيْحَةَ أنّ راعِيَ أهلها سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتَقمِّرٍ لم يُثْنِهِ خَوْفٌ من الحَدَثانِ

وروى ابن الكلبيّ مطلع مرثيّة دريد بن الصِّمَّة الجُشميّ في أخيه عبد الله بن الصِّمَّة، إذ يقول ابن رشيق القيروانيّ: "**وقال ابن الكلبيّ – وكان عَلاّمةً – لا أعلم مرثيّةً أوّلها نَسيب إلاّ قصيدة دريد بن الصِّمَّة** [من الطويل](٣):

أرَثَّ جديدُ الحبلِ من أُمّ مَعْبَدِ بعاقبةٍ وأخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ"

---

(١) انظر: جمهرة النسب، ١٨٠/٢. ومَجمع الأمثال، الميدانيّ، ٣٢٨/١: "(سَقَط العشاء به على سِرحانٍ) قال ابن الأعرابيّ: أصل هذا أنّ رجلاً مِنْ غَنِيّ، يقال له سِرحان بن هُزَلَة، كان بطلاً فاتكاً يتّقيه الناس، فقال رجل يوماً: والله لأرعَينَّ إبلي هذا الوادي، فَوجدَ به سرحان وهجم عليه وقَتَله وأخذ إبِلَهُ، وقال (البيتين). يُضرب في طلب الحاجة يؤدّي صاحبها إلى التَّلفَ". وذكَر ابن منظور قول ابن برّي: "هذا مثل لمَنْ طَلب خيراً فوقع في شرّ، وقال: وأصله أن يكون الرجل في مَفازةٍ فيعوي لتجيبه بنباحها، فيعلم إذا نَبَحتْهُ الكلاب أنّه موضع الحيّ فيستضيفهم، فيسمع الأسد أو الذئب عُواءَه، فيقصد إليه فيأكله؛ قال: وقد قيل إنّ سِرحان ههنا اسم رجل كان مُغيراً، فخرج بعض العرب بإبله ليعشّيَها فهجَم عليه سِرحان فاستاقها (لسان العرب، ابن منظور: قَمَر).

(٢) **جمهرة النَّسَب، ابن الكلبيّ، ١٨٠/٢.**

مجمع الأمثال، الميدانيّ، ٣٢٨/١:

أبلِغ نَصيحةَ أنّ راعِيَ أهلها سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتقمِّرٍ طَلْق اليدينِ مُعاودٍ لطِعانِ

ولسان العرب، ابن منظور: قَمَر: البيتان لعبد الله بن عَنْمَة الضَّبّيّ:

أبلِغ عُثَيمةَ أنّ راعِيَ إبْلِهِ سَقَط العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَط العَشاءُ به على مُتقمِّرٍ حامي الذِّمارِ معاودِ الأقرانِ

أرضُ مُكلِئَة: ذات كَلأ. مُتَقَمِّر من الفعل (تقَمَّر الأسد): أي خرج يطلب الأسد في القَمراء، وأقمرت الإبل: وقعت في كلأ كثير. لم يَثْنِه: لم يَمْنَعْهُ. الحَدثَان: حَدَثان الدهر: نَوائبه وحوادثه (لسان العرب: كَلأ، قَمَر، ثَنَى، حَدَث). طَلْق اليدين: سَمْحٌ. الطِّعان: طَعْن كلّ مِن الرجلين الآخر. الذِّمار: ذِمار الرجل هو كلّ ما يَلزمه حِفْظه وحياطته وحمايته والدَّفْع عنه، وإن ضَيَّعه لزمه اللّوم. والذِّمار: الحَرم والأهل، وهو ما وراء الرجل ممّا يحقّ عليه أن يَحميه. الأقران: الأنداد والمماثلون في القوّة والشجاعة، واحدها القِرْن: المِثْل والمساوي في القوّة والشَّجاعة. (لسان العرب: طَلَقَ، طَعنَ، ذَمَر، قَرَن).

(٣) **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ، ١٥١/٢.**

ديوان دريد بن الصمّة الجُشَميّ، ص: ٤٥.

ورَوى بيتاً لهند بنت مَعْبَد بن نَضْلَة ترثي عمرو بن مسعود وخالد بن المُضَلَّل اللَّذَيْن قتَلَهما النُّعمان بن المنذر بن ماء السَّماء – وكانا نديمَيْن له – وذلك[من الطويل](١):

ألا بَكـرَ النـاعي بِخَيـرَيْ بنـي أَسَـدْ بِعَمْـرِو بـنِ مسعودٍ وبالسيّدِ الصَّمَدْ

وروى ابن الكلبيّ أيضاً بيتين لعبد يَغوث بن وَقّاص الحارثيّ اللَّذَيْن قالهما بعد أن أدرك قرب موته يوم الكُلاب الثاني – وهو أحد أيّام العرب في الجاهلية – وكان هذا اليوم بين بني سَعد والرِّباب وبين بني الحارث بن كعب – قبيلته – وقبائل اليمن. وكان عبد يَغوث بن وقّاص – وهو قائد مَذْحِج يومئذٍ – قد وقع أسيراً عند بني تميم بعد أن هُزِم قومه، وكان يزيد بن شَدّاد بن قِنان الحارثيّ رَمى النّعمان بن مالك بن جَسَّاس بسهم فقتله، فأُسِر عبد يغوث وقُتِل بالنَّعمان؛ لأنّ بني تميم عَدُّوه فارساً مثله، فقتلوا فارساً بفارس وإنْ لم يكن هو الذي قتله، وكانوا – قبل قتله – قد شدّوا لسانه بقطعة مِن الجلد حتى لا يهجوهم، فأشار عبد يغوث إليهم أن يحلّوا لسانه ولا يهجوهم، ففعلوا(٢)*، فقال مِن قصيدة – عدد أبياتها عشرون بيتاً – هذين البيتين فقط* [من الطويل](٣)*:*

فيـا راكبـاً أَمَـا عَرَضْـتَ فبلِّغـا نَـدَامايَ مِـنْ نَجْـرانَ أَلاّ تَلاقِيـا
أبـا كَـرِبٍ والأَيهمَـيْنِ كلاهمـا وقَيسـاً بـأعلى حَضْـرَمَوْتَ اليَمانِيـا

---

(١) **جمهرة النَّسَب، لابن الكلبيّ، ٢٥٩/١**. وقيل إن هذا البيت لامرأة من بني أسد (جمهرة النّسب، ابن الكلبيّ، ٢٥٩/١: الحاشية). **وكتاب الأغاني، الأصفهانيّ، ٦٦/٢٢:** "خير" مكان "خَيرَي".

معجم ما استعجم، البكريّ، ٩٩٦/٣.

الصَّمَد: "السيّد المُطَاع الذي لا يُقضى دونه أمر، وقيل الذي يُصْمَد إليه في الحوائج، أي يُقْصَد (لسان العرب: صَمَدَ).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٥١٣/١.

(٣) **النَّسَب الكبير، ٣٧٨/١.**

المُفضَّليّات، المُفضَّل الضَبّيّ، ص: ١٥٦، ١٥٧. والبيتان من قصيدة مطلعها:

ألا لا تَلوماني كَفى اللومَ ما بِيَا وما لَكُما في اللَّوْم خيرٌ ولا لِيَا (المفضّليّات، ص: ١٥٥). ورواية ابن الكلبي في الأصل: (يا راكباً، ... نَدَمايَ)، ولا يستقيم الوزن بها، فصحَّحْتُها وفق ما ورد في المفضّليّات. ورواية المفضّل الضَّبّي للبيتين على هذا النحو:

فيـا راكبـاً إمَّـا عَرَضْـتَ فَـبَلِّغَنْ نـدامايَ مِـنْ نَجـرانَ ألاَّ تلاقِيَـا
أبـا كُـرَبٍ والأيْهَمـيْنِ كلاهمـا وقيساً بأعلى حَضْرَموتَ اليمانِيَا

قال أبو عُبيدة: أراد "فياراكِباه" للنُّدبة فحذَف الهاء. عَرَضْتَ: أَتَيْتَ العَروض، بفتح العَين (المفضَّليّات، ص: ١٥٦: الحاشية). والعَروض هي" المدينة ومكّة واليمن، وقِيل مكّة واليمن، وقال ابن دُرَيد: مكّة والطَّائف وما حولهما" (معجم البلدان، ١١٢/٤).

وروى ابن الكلبيّ أبياتاً لابن أدهم الكلبيّ يهجو بها النابغة الذُّبياني ويعيّره بأمّه لِما كان مِن وَقْعَةٍ بين قومه وبين قوم النابغة، ويفخر بقومه بني النَّعامة الكلبيّين بقوله [من الكامل][1]:

يـا لَهْـفَ أُمِّـكَ لا تَلَهُّـفَ غيرِهـا ... تلـكَ التـي هَلكـتْ بِـبَطْنِ حِمـارِ

ولقـد رأيـتَ مكـانَهُمْ فكـرِهْتَهُمُ ... كَكراهـةِ الخِنزيـرِ للإيغـارِ

ولقـد رأَيْـتُ فَوارِسـاً مِـنْ قومنـا ... "عَنظُـوكَ عَـنْظَ" جَـرادةِ العَيَّـارِ

ويبدو أنّ ابن أَدْهَم رَدَّ على النابغة بقوله[2]*:*

يـا لَهْـفَ نَفسـي بعـد شَـربةِ جَعْـوَلٍ ... ألاَّ ألاقِيَهـا ورَهْـطَ عَـرارِ

---

(١) **النَّسَب الكبير، ٣٦٦/٢**:

العُنظُوان والعُنْظُيان: الشرّير المتسمّع، البذيء الفحّاش اللّسان (٣٦٦/٢: الحاشية).

فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حَقّقه وقدّم له إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ص: ٤٤٣. ولسان العرب (غَنَظَ): "غَنَظوك غَنْظَ" مكان "عَنظُوكَ عَنْظَ". ورواية الشطر الأوّل من البيت الثالث: "ولقد لَقِيتُ فَوارساً مِنْ عامر"، "لو أنّهم تَقِفُوكَ يومَ مُحجَّرٍ" (فصل المقال، البكريّ، ص: ٤٤٤). "ولقد لَقِيتَ فوارساً مِنْ رهطنا" (لسان العرب: غَنَظ، وقد وَهِم ابن منظور فنَسب البيتين الثاني والثالث إلى جرير مع اختلاف في الترتيب عن رواية ابن الكلبيّ).

اللَّهْف: الأسى والحزن والغيظ (لسان العرب: لَهَف). حِمار: وادٍ باليمن (معجم البلدان ٢٩٨/٢). الإيغار: أن تسخّن الحجارة وتُحرقها ثمّ تلقيها في الماء لتسخّنه. وقد أَوغَرَ الماء إيغاراً إذا أحرقه حتّى غلى؛ ومنه المثَل: كَرِهت الخنازير الحميم الموغَر، وذلك لأنَّ قوماً من النّصارى كانوا يَسمطون الخنزير حيّاً ثمّ يشوونه" (لسان العرب: وَغَر). وسَمَط الخنزير: غَمَسه في الماء الحار ليزيل ما على جلده من شعر قبل شَيّه.

الغَنْظ: الجهد والكَرب الشديد والمشقّة،.. والغَنْظ أن يُشرف المرء على الهَلَكَة ثم يُفلت (لسان العرب: سَمَطَ، غَنَظ). جَرادة العَيّار: اختُلف في تفسيرها؛ قيل إنّ العيّار رجل و"جَرادة" فرسه (انظر: لسان العرب، تاج العروس: غَنَظ) ورَوى أبو عبيد البكريّ أنَّ "العَيّار كان رجلاً من بني عُلَيم وكان أفرق الثَّنيّة، فأَكل جراداً فنَشَبت جرادة في فَرق ثنيّته، فلم يشعر بها حتى تكلّم في نادي قومه، فَنُبِّه عليها". وقال الخليل إنّ العيّار صاد جرَاداً فدَسَّهُنَّ في رماد وجعل يُخرج واحدة بعد واحدة ويأكل من شدّة الجوع، فأخذ جرادة منهنّ فطارت، فقال لها: والله إن كنتِ لأَنضجُهنّ، فضُرب ذلك مثلاً لكلّ مَنْ أَفْلَتَ مِن كَرب" (فصل المقال، البكريّ، ص: ٤٤٤). وقال ابن الكلبيّ "إن العَيّار مِنْ بني عامر المُذَمَّم بن عوف بن عامر الأكبر مِن كَلب، وهو قُرْط بن حارثة بن عامر المُذَمَّم، سُمّي العيّار، لأنّه حينما نزل تزوّج، وهو أبو جَبّار بن قُرط الشاعر (النَّسب الكبير، ٣٦٣/٢). ونَبَّه الصَّغانيّ نقلاً عن الزَّبيديّ على أنّ الصواب هو أنّه "اسم رجل أثرم أَخذ جرادة ليأكلها فخرجت من موضع الثَّرَم بعد مُكابدة العناء فصار مثلاً" (تاج العروس: جَرَد). ثَقِفَه: أدركه وظَفِر به وأخذه (لسان العرب: ثَقِفَ). مُحَجَّر: اسم لعدّة مواضع منها جبل في ديار طَيِّئ وجبل في ديار يربوع وغير ذلك (معجم البلدان، ٦٠/٥. وديوان شعراء بني كلب، ٢٥٤/١، ٢٥٥: الحواشي).

(٢) **النَّسَب الكبير، ابن الكلبيّ، ٣٢٤/٢**.

وجَعْوَل وعِرار هما من فرسان بني كلب(١)، وهذا البيت ليس في ديوان النّابغة، وإنّما استُدرك فيه استدراكاً(٢).

ومن الشعر الذي رواه ابن الكلبيّ أبياتٌ للنابغة الذبيانيّ يهجو بها يزيد بن سنان بن أبي حارثة المرّيّ، وكان يزيد بن سنان قد حالف أقواماً شتّى مِنْ بني سَهم وخُصَيْلَة بن مُرّة على بني يربوع بن مُرَّة بن غَطفان رَهْط النابغة الذبيانيّ فسُمّوا المِحَاش(٣)، فقال النَّابغة يردّ عليه [من الكامل](٤):

جمِّــع مِحاشَــكَ يــا يزيــدُ فــإنّني أعــدَدْتُ يَربوعــاً لَكُــمْ وتميمــا

ولحِقْــتُ بالنَّسَــبِ الّــذي عَيَّرتَنــي ووَجــدتُ نَصْــرَكَ يــا يزيــدُ ذميمــا

حَــدِبَتْ علــيَّ بطــونُ ضِــنَّةَ كُلُّهــا إنْ ظالمــاً فــيهم وإنْ مظلومــاً

ومن شعر الهجاء الذي رواه ابن الكلبيّ بيتا امرئ القيس، وذكر المفضّل الضَّبيّ أنّهما لعَميرة ابن جُعَل التغلبيّ(٥)، إذ قال ابن الكلبيّ: **"وكان أُنَيْسُ بن جَندل من رجال بني عَدِيّ، ولـه يقول امرؤ**

---

(١) انظر: النسب الكبير، ٣٢٤/٢، ٣٣٠.

(٢) انظر: ديوان النابغة الذبيانيّ بشرح الأعلم الشَّنتمريّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص: ٢٣٠: يا لَهفَ أُمّي بعد أَسرة جَعْوَلٍ ألاّ أُلاقِيَهم ورَهطَ عِرَارِ

(٣) انظر: معجم الشعراء، المرزبانيّ، ص: ٤٨٣: "وهو ذو الرُّقَيْبَة المرّيّ، وهو المُقْشَعِرّ وهو الأشعَر، وهو أبو ضَمْرة يزيد بن سِنان بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نُشَبَة... بن ذُبيان.. بن غَطَفان، وهو جاهليّ".

(٤) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٤٣/٣.**

ديوان النّابغة الذبيانيّ، جمعه وشرحه وكَمَّله وعلَّق عليه محمَّد الطاهر بن عاشور، طبعة مراجعة ومنقّحة ومكمّلة، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٦م، ص: ٢٢٤، ٢٢٥. برواية موافقة لرواية ابن الكلبي ما عدا: "وتركتَ أصلك" مكان "ووجدتُ نَصَرك" ومعجم الشعراء، المرزبانيّ، ص: ٤٨٣، البيتان الأول والثاني فقط. "وتركتَ" مكان "ووجدتُ". والنَّابغة الذّبيانيّ يهجو يزيد بن سنان المُرّي بأنّه قد جمَّع قومه من قبائل شَتَّى وحالَفهم عند النار على رَهطه بني يربوع بن غَيظ بن مُرّة حتى أَمحشوا أي احترقوا. وقال ابن الأعرابيّ في هذا المعنى أيضاً إنّ النَّابغة "سبَّ قبائل فصيَّرهم كالشيء الذي أحرقته النّار" (تاج العروس، الزَّبيديّ: مَحَشَ). وكان يزيد بن سنان قد عَيَّر النابغة وعرّض به بقوله [من الرَّجَز]:

إنّي امرؤ من صُلب قَيْسٍ ماجدٍ لا مُــدَّعٍ نَسَــباً ولا مســتنكرِ

(ديوان النّابغة الذُّبيانيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٠٢)

(٥) انظر: المُفضَّليّات، ص: ٣٥٩.

القيس بن حُجْر الكنديّ [من الطويل]:

مَـنْ مُبْلِـغٌ عنّـي أُنَـيْسَ بـن جَنْـدَلٍ أخـا طـارقٍ والقـولُ ذو نَفَيـانِ

فـلا تُوعِـدَنّي بالقتـالِ فـإنّني جَمَعْـتُ سِـلاحي رَهْبَـةَ الحَـدَثانِ"(١)

ومن شعر الهجاء الذي رواه ابن الكلبيّ أبياتُ أبي هَنِيّ مَسروق بن معد يكرب الزُّبيديّ التي قالها يستنكر بها زواج قيس بن معد يكرب من هند بنت شُرَحْبيل بن الحارث بن عمرو آكل المُرّار الكنديّ، ويتوّعده لإرغامها على الزّواج به. وكان شُرَحْبيل بن الحارث قد قُتِل في يوم الكلاب الأوّل بعد أن ملّكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو آكل المُرّار الكنديّ، إذ "**غزا بهم وانتزع عامّة ما في أيدي ملوك الحيرة اللَّخْمِيّين وملوك الشام الغَسّانيّين، ورَدَّهم إلى أقاصي أعمالهم، ثمّ قُتِل (الحارث) ودُفِنَ بِبَطن عاقل، ثم اختلف ابناه شُرَحبيل وسَلَمة وتواعدا الكُلاب، فأقبل شُرَحبيل ومعه ضَبَّة والرِّباب كلّها وبنو يَربوع وبكر بن وائل، وأقبل سَلَمة في تغلب والنَّمِر وبَهراء ومَنْ تَبِعَه مِن بني مالك بن حنظلة... والتقوا على الكُلاب، واستَحَرَّ القتل في بني يربوع، وشدّ أبو حَنش على شُرَحْبيل فقتله**"(٢)، *فقال أبو هَنِيّ في ذلك*

---

(١) **النَّسَب الكبير، ٣٢٥/٣.**

المفضّليّات، ص:٣٥٩. وقد أوردهما المفضَّل في قصيدة من اثني عشر بيتاً، ومطلعها:

ألا يـا ديـارَ الحـيّ بـالبَرْدَانِ خَلَـتْ حِجَـجٌ بعدي لَهُـنَّ ثَمـانِ

وفي روايتيهما اختلاف عن رواية ابن الكلبيّ: "فمن مُبْلِغٌ عنّي إياساً وجندلاً". "فلا توعداني بالسِّلاحِ فإنّما".

ذو نَفَيان: يتفرّق هنا وهنا. الحَدَثان: موضع الحوادث (لسان العرب: نَفَى، حَدَثَ).

وهذان البيتان ليسا في ديوان امرئ القيس، وابن الكلبيّ الذي أنشدهما كان من المهتمّين بشعر امرئ القيس، إذ ألّف كتاباً حول (تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء وأنسابهم وأسماء الأَرضين والجبال والمياه)، وعَميرة بن جُعَل التغلبيّ شاعر جاهليّ (انظر: الفهرست، ابن النّديم، ص: ١٤٨. وديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ١١٧/١: الحاشية).

وقد ذكر محقّقاً المفضليّات جو القصيدة، إذ قالا: "أراد أن يهجو فيها رجلين أسماهما في البيت السابع وأن يتوعّدهما بالسلاح. فبدأ بالحديث عن أطلال الحيّ، كيف قَضَتْ عليها السّنون فعَفَتْ آثارها، ولم تُبْقِ غير النُّؤي والأَواريّ الدارسات ومواضع الحطب. وكيف أنّها أمست قفراً منزلاً للسباع يتعاركنَ ويتهارَشْنَ. ثمّ دفع إلى غرضه من الهجاء والتوعّد، ونعت سلاحه، ووصف السنان وصفاً عبقريّاً. ثمّ عيّرهما بأنّ قومهما كانا عبيد قومه في شدّة الزمان، وأنّ جَدَّيهما عبدان وأُمَّيهما أَمتَان (المفضليّات، ص: ٢٥٨: الحاشية).

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤٥٧/١. وكتاب العِقد الفريد، ١٨٠/٤، ١٨١. بَطن عاقل: موضع على طريق حاجّ البَصرة بين رامَتَيْن وإمَّرَة. الكُلاب: وادٍ يُسْلك بين ظهرَي ثَهلان، وثَهلان جبل في ديار بني نُمَيْر لاسم موضعين أحدهما اسم ماءٍ بين الكوفة والبَصرة، وقيل ماء بين جَبَلة وشَمَام على سبع ليالٍ من اليمامة، وفيه كان الكُلاب الأوّل والكُلاب الثاني من أيّامهم المشهورة (معجم البُلدان، ياقوت الحمويّ، ٦٩/٤، ٤٧٢). استحرَّ القَتْل: اشتدّ (لسان العرب: حَرَّ).

[من الوافر][١]:

بباب الحارث الملكِ بن عَمْروٍ وتَخيَّرها وتَنِكحُ في ذُراها
لها الوَيلاتُ إنْ أَكرَهْتُموها ألا تُطْعَنُ مُذْيَتَها حَشاها
فتهلكَ حُرَّةً والموتُ حَقٌّ ويُفلحُ بعد ذلك مَنْ نَعاها

ثمّ أجاب أبا هَنِيّ وردّ عليه قَساس بن أبي شَمِر بن معد يكرب بقوله [من الوافر][٢]:

لقد طالَبْتَ هذا قبل قَيْسٍ لتنكِحَها فلم تَكُ مِنْ هَواها
فطافَتْ بالمناهلِ تَبتغيهِ فلاقت مَشْرَباً عَذْباً سَقَاها
أدبُّ الساعِدَيْن أخا حُروبٍ إذا يُدعَى لمُعضِلةٍ كفَاهَا

وقال زهير بن جَناب بن الكلبيّ أبياتاً يلوم فيها رِزاح بن ربيعة بن حَرام العُذريّ، إذْ أخرج بطوناً من قبيلة قُضَاعة – وهم نَهْد بن زيد وجَرْم بن زَبَّان وحَوْتَكَة بن سُود – وشَتَّتَهُم في بطون مختلفة يمنيّة وعدنانيّة[٣]*، إذ يقول* [من الوافر][٤]:

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنّي رِزاحاً فإنّي قد لَحَيْتُكَ في اثنتينِ
لَحَيْتُكَ في بني نَهْدٍ وجَرْمٍ كما فَرَّقْتَ بينهُمُ وبيني
أحَوْتكَةَ بن أَسلمَ إنّ قوماً عَنَوْكُمْ بالمساءة قد عَنَوْني

---

(١) **النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٩٥/١.**

ذُراها: أعلاها، وهي جمع ذُرْوَة (بضمّ الذّال وكسرها)، وهي من كلّ شيءٍ أعلاه، وجمعها ذُرَىً. المُذْيَة: الشَّفْرَة. الحَشَى: ظاهر البطن وهو الحِضْن، وهو أيضاً ما دون الحِجاب ممّا يلي البطن كلّه من الكَبِد والطِّحال والكَرش (لسان العرب، ابن منظور: ذَرَا، مَذَى، حَشَا).

(٢) **النَّسب الكبير، ٩٥/١.**

المَناهل: جمع المَنْهَل، وهو موضع الشُّرْب. أَدبُّ الساعدين: كثير شَعْر الساعدين. مُعْضِلَة: المُعضِلة في أصل معناها هي التي يَعسر عليها ولدها حتى تموت، ثمّ استعيرت للمسألة الصعبة أو الخطّة الضيّقة المخارج (لسان العرب: نَهِلَ، دَبَّ، عَضَلَ).

(٣) انظر: النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٧/٣، ١٨.

(٤) **النَّسب الكبير، ١٨/٣.**

لَحَيْتُكَ: لُمْتُكَ وعَذَلْتُكَ (لسان العرب، ابن منظور: لَحَىَ).

وقال الحارث بن حِلّزة اليَشكُريّ يلوم الأراقم – وهم حيّ من تغلب – لتجاوزهم الحدّ في عدواتهم لهم، وقوم الحارث والأراقم (بكر وتغلب) هما في الأصل إخوة لأنّهما ابنا وائل بن ربيعة، إذ يقول [من الخفيف][(١)]:

إنّ إخواننـــا الأَراقـــمَ يَغْلُـــو نَ عَلينـــا فـــي قَـــوْلِهم إخفـــاءُ

وقال شاعر من بني الهُون بن خزيمة – وهم القارة – يعيب على يَعْمُر بن الشُّدَّاخ الكِنانيّ، إذ أراد تفريقهم في بطون القبيلة [من الوافر][(٢)]:

دَعُونـــا قـــارةً لا تُنْفِرونـــا فَنَجْفِـــلَ مِثْـــلَ إجفـــالِ الظَّلـــيمِ

*ومن الشعر الذي رواه ابن الكلبيّ ويتناول تفكير الجاهليّين في بقائهم ومصيرهم في حياتهم واعتبارهم بالأمم الماضية أبياتُ عَدِيّ بن زيد العِباديّ الّتي يخاطب بها الملك النُّعمان بن المنذر الأكبر ربّ الخَوَرْنَق، وقد جلس يتأمّل ملكه الواسع بما فيه من بساتين ونخل وجِنان وأنهار، ثمّ تَخَلّى عن ملكه معتبراً بزوال الدُّنيا والنَّعيم[(٣)]، إذ ذكر الطبريّ: " **قال هشام: وكان النُّعمان هذا – يعني النُّعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ– قد غزا الشّأم مراراً، وأكثر المصائب في أهلها، وسَبى وغَنِم، ... وفي ذلك يقول عديّ بن زيد العِباديّ** *[من الخفيف]*:

وتَفكَّـــرْ ربَّ الخَورنـــق إذْ أشْـــ ـــرَفَ يومـــاً وللهُـــدى تَبْصِـــيرُ
سَـــرُّهُ حالـــه وكَثْـــرةُ مـــا يَمْـــ ـــلِـــكُ والبحـــر مُعْـــرِضٌ والسَّـــدِيرُ
فـــارعَوَى قلبُـــه فقـــال وَمَـــا غِبْـــ ـــطَـــةُ حَـــيّ إلـــى المَمـــاتِ يَصِـــيرُ
ثـــمَّ بعـــد الفَـــلَاح والمُلْـــكِ والـــ ـــإمَّـــةِ وارَتْهُـــمُ هُنـــاكَ القبـــورُ
ثُـــمَّ أضْـــحَوْا كـــأنَّهُمْ وَرَقٌ جَـــ م ـــفَّ فألْـوَتْ بـهِ الصَّبَا والدَّبُـورُ "[(٤)]

---

(١) **النَّسَب الكبير، ٣٤/١.**

ديوان الحارث بن حِلّزة، ص: ١٠: "في قِيلِهِم إحفاء". الأراقم: حَيٌّ من تغلب، سُمّوا بذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيّات. يَغْلُون: يتجاوزون الحدّ. الإحفاء في المسألة: الإلحاح (ورواية الديوان أصحّ من رواية ابن الكلبيّ). وأراد الشاعر أنّ إخواننا من الأراقم قد تجاوزوا الحدّ في عدواتهم لنا وأَلَحُّوا علينا في مقالتهم (انظر: لسان العرب: رَقَمَ، غَلاَ، حَفَا. وشرح المعلقات السبع، الزَّوزنيّ، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م، ص: ١٩٤: الحاشية).

(٢) **جمهرة النَّسب، ٢٣٧/١.**

الظَّليم: ذكر النَّعام (لسان العرب: ظَلَمَ).

(٣) انظر: تاريخ الطبريّ، ٦٧/٢.

(٤) **تاريخ الطَّبَريّ، ٦٧/٢، ٦٨.**

ديوان عَديّ بن زيد العِباديّ، ص: ٨٩، ٩٠: "وتأمَّلْ" مكان "وتَفكَّرْ"، "تفكيرُ" مكان "تَبصيرُ"، "مالُهُ" مكان "حالُهُ"، "مُعْرِضاً" مكان "مُعْرِضٌ". ولسان العرب، ابن منظور: (بَحر، خَرْنَق): "وتَذكَّرْ"، "وتَبيَّنْ" مكان "وتَفكَّرْ"، الأبيات الثلاثة الأولى فقط. الخَوَرْنَق: اسم قصر بالعراق فارسيّ معرّب، بَناه النُّعمان الأكبر الذي يقال له الأعور، وهو الذي لَبِسَ المُسوح فساح في الأرض. البَحر: أراد به الفُرات، لأنّ ربّ الخورنق كان يُشرف على الفرات. مُعْرِض: مُتَّسِع. السَّدير: فارسيّة، وقال الأصمعيّ: فارسيّة كأنّ أصله (سادل) أي قُبّة في ثلاث قباب متداخلة، ويقال قَصر فيه قِباب مُتداخلة (وهذا هو الرأي الأرجح)، والسَّدير: النهر ونهر بالحيرة، ومنبع الماء وسدير النّخل: سَواده ومُجْتَمعه، وله معانٍ أخرى. ارعَوَى: كَفَّ عن الشيء وانتهى وامتنع. الغِبطَة: حُسن الحال. الفَلاح: البقاء. الإمَّة: النَّعيم والمُلْك.

وذكر ابن الكلبيّ أنّ النُّعمان بن المنذر كان قد تَنَصَّر ثمّ خرج يَتَنَزَّه بظهر الحيرة ومعه الشاعر عديّ بن زيد، فمَرَّ على المقابر مِن ظهر الحيرة ونَهْرها (١)*؛ إذ يقول أبو الفرج: "* ***أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيم بن فهد قال حدّثنا خليفة بن خيّاط شباب العُصفريّ قال حدثنا هشام ابن محمّد... فقال عَديّ بن زيد يستنطق القُبور*** **[من مجزوء الرَّمَل]:**

أَيُّهـــا الرَّكْـــبُ المُخِبُّـــو ... نَ علـــى الأرض المُجِـــدُّونْ

كمـــــا أنـــــتمُ كُنَّـــــا ... وكمـــا نحـــنُ تكونـــونْ" (٢)

ثم انصرف النُّعمان بعد أن سمع أبياتَ عديّ بن زيد، ثم خرج مرّةً أخرى ومرّ على تلك المقابر (٣)*، ثمّ قال عديّ بن زيد* [من الرَّمَل] (٤):

مَـــنْ رآنـــا فليحـــدِّثْ نفســـه ... أَنَّـــه مُـــوفٍ علـــى قَـــرْنِ زَوالِ

وصُـــروف الـــدَّهرِ لا يَبقـــى لهـــا ... ولِمَـــا تـــأتي بـــه صُـــمُّ الجِبـــالِ

رُبَّ رَكْـــبٍ قـــد أنـــاخوا عنـــدنا ... يَشـــربون الخَمْـــرَ بالمـــاء الـــزُّلالِ

والأبـــــاريقُ عليهـــــا قُـــــدُمٌ ... وجِيـــادُ الخيـــل تَـــردي فـــي الجِـــلالِ

عَمِـــرُوا دَهـــراً بعـــيشٍ حَسَـــنٍ ... آمِنِـــي دَهْـــرِهُمُ غيـــر عِجـــالِ

أَلْوَتْ به: أهلكته. الصَّبا: ريح الشمال. الدَّبُور: ريح تقشع السحاب (لسان العرب: خَرْنَقَ، بَحَر، عَرَض، سَدَر، غَبَط، فَلَح، أَمَّ، لَوَى، صَبا، دَبَرَ).

(١) انظر: كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٦/٢.

(٢) **المصدر نفسه، ٨٦/٢.**

ديوان عَديّ بن زيد العِباديّ، ص: ١٨٠، مع اختلاف في حركة الرَّوِيّ: المُخِبّونَ – تكونونَ. المُخِبُّون: المُسرعون في أمر ما، من الخبَبَ، وهو ضرب من العَدْو وقيل: هو أن ينقل الفرس أَيامِنَهُ جميعاً وأياسِرَهُ جميعاً، وقيل: هو أن يُراوح بين يديه ورِجْليه، وكذلك البعير (لسان العرب: خَبَّ).

(٣) انظر: كتاب الأغاني، ٨٦/٢، ٨٧.

(٤) **المصدر نفسه، ٨٧/٢.**

ديوان عَديّ بن زيد، ص: ٨٢، ٨٣، مع اختلاف في حركة الرَّوِيّ (زَوالْ، الجبالْ، ...) واختلاف أيضاً في رواية بعض الكلمات: "وخُطوب" مكان "وصُروف"، "وعتاق" مكان "وجياد"، "أخنعَ" مكان "عَصَف".

مُوفٍ: مُشرف. قَرْن: طَرْف. صُروف الدهر: الواحد صَرْف، وهو حِدْثان الدَّهر، اسم لأنَّه يصرف الأشياء عن وجوهها. صُمّ الجبال: الجبال المُجْدِبَة التي لا تُنبت، ولعلَّه أراد هنا الجبال العظيمة الصَّلْدَة التي لا تُنبت لارتفاعها. الرَّكْب: أصحاب الإبل في السَّفَر دون الدّواب. أَناخوا: أي أناخوا إبلهم، أي أبركوها فبرَكت. الماء الزُّلال: الماء الصّافي. قُدُم: جمع فِدام، وهو مِصفاة الكوز والإبريق ونحوه، وهو شيء تشدُّه العَجَم على أفواهها = =عند السَّقْي. الجِلال: جُلّ الدابّة وجَلُّها: الذي تلبسه لِتُصانَ به. يُودي: يُهلك (لسان العرب، ابن منظور: وَفَى، قَرَن، صَرَف، صَمَّ، رَكِبَ، ناخَ، زَلَّ، فَدَم، جَلَّ، وَدَى).

ثُـمَّ أَضْـحَوْا عصـفَ الـدَّهْرُ بهـمْ وكـذاك الـدهرُ يُـودي بالرِّجـالِ

وكـذاك الـدَّهْرُ يرمـي بـالفتى فـي طِـلاب العـيشِ حـالاً بعـد حـالِ

وروى ابن الكلبي شعراً للأسود بن يَعْفُر النَّهْشَليّ تناول فيه ما آلت إليه منازل قبائل العرب وديارهم من زوال واندثار بعد طول عزٍّ ومُقام، واصفاً تلك المنازل، إذْ ذكر ياقوت الحمويّ: **"وقال ابن الكلبيّ: وكانت إياد تنزل سِنداد، وسِنداد: نهر فيما بين الحيرة إلى الأُبُلَّة وكان عليه قصر تحجّ العرب إليه، وهو القصر الذي ذكره الأسود بن يَعْفُر، ومرَّ عمر بن عبد العزيز بقصر لآل جَفْنَة، فتمثَّل مُزاحم مولاه بقول الأَسود بن يَعْفُر النَّهْشَليّ [من الكامل]:**

ومـن الحـوادث لا أبالَـكَ أنّنـي ضُـرِبَتْ علـيَّ الأرض بالأَسـدادِ

لا أهتـدي فيهـا لِمَـدفع تَلْعَـةٍ بـين العِـراق وبـين أرض مُـرادِ

مـاذا أُؤمِّـلُ بعـد آل مُحَـرِّقٍ تركـوا منـازلهمْ وبعـد إيـادِ

أهـلِ الخَورْنَـق والسَّـدير وبـارقٍ والقَصْـر ذي الشُّـرُفات مِـن سِـنادِ

حَلُّـوا بـأنقِرةٍ يَسـيلُ علـيهِمُ مـاءُ الفُـرات يجـيءُ مِـنْ أَطـوادِ

أَرضٌ تَخيَّرهـا لِطيـب مَقيلِهـا كَعـبُ بـن مامَـةَ وابـنُ أُمِّ دُؤَادِ

جَرَتْ الرّيـاحُ علـى عِراصِ ديارهمْ فكأَنَّمـا كـانوا علـى ميعـادِ

ولقـد غَنَـوْا فيهـا بأفضَـلِ عِيشَـةٍ فـي ظِـلِّ مُلْـكٍ ثابـتِ الأوتـادِ

فـإذا النَّعـيمُ وكـلُّ مـا يُلهَـى بـهِ يومـاً يصيـر إلـى بِلَـىً ونَفَـادِ "[1]

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٦٦/٣.

ديوان الأَسود بن يَعْفُر، صَنعة نوري حمّودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٦٨م، ص: ٢٥-٢٧: القصيدة كاملة وعدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً، ما عدا البيت الأخير، مع ترتيب مختلف عن رواية ياقوت: البيت الثاني: "مَوضع" بدل "مَدفع". البيت الخامس: "نَزلوا" بدل "حَلّوا". البيت السادس / الشطر الأول: "أرضاً تخيرَّها لدار أبيهمُ". البيت السابع: "مكان" بدل "عِراص". البيت الثامن: "أنْعَمِ" مكان "أَفْضَلِ".

التَّلْعَة: أرض مرتفعة غليظة يتردّد فيها السّيل ثمّ يدفع منها إلى تَلعة أسفل منها. آل محرّق: "كان عمرو بن هند يُلقَّب بالمحرّق؛ لأنّه حرَّق مئةً مِن بني تَميم: تسعة وتسعين مِن بني دارم، وواحداً من البراجم، وشأنه مشهور. ومُحرِّق أيضاً لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جَفنة، وإنّما سُمِّي بذلك لأنّه أوَّل مَن حَرَّق العرب في ديارهم، فهم يُدْعَوْنَ آل مُحرِّق. وقد عَنى الشاعر هنا امرأ القيس بن عمرو بن عَديّ اللَّخْميّ، لأنَّه أيضاً يُدعى مُحرِّقاً. قال ابن سِيدة: مُحَرِّق لَقب ملك، وهما محرِّقان: مُحَرِّق الأكبر وهو امرؤ القَيس اللخميّ، ومحرِّق الثاني هو عَمرو بن هند مُضَرِّط الحجارة، سُمِّي بذلك لتحريقه بني تميم يوم أُوَارة". الخَورنَق والسَّدير: سبق شرحهما. بارِق: "ماء بالعراق، وهو الحَدّ بين القادسيّة والبَصرة، وهو مِن أعمال الكوفة، وقد ذكره الشعراء فأكثروا". أَنْقِرَة: "موضع بنواحي الحيرة، في قول الأسود بن يَعْفُر النهشليّ، ... وقد ذكر بعض العلماء أَنَّ أَنقِرَة التي في شعر الأسود هي أَنقِرَة التي ببلاد الرّوم، نزلتها إيادٌ لمّا نفاهم كسرى عن بلاده، وهذا حسن بالغ ولا أرى الصّواب إلاّ هذا القول، والله أعلم" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣١٩/١، ٢٧٢/٣). أطواد: جمع طَوْد وهو الجبل العظيم العالي. مَقيلها: المَقيل موضع القيلولة وهي الاستراحة نصف النّهار إذا اشتدّ الحرّ وإنْ لم يكن مع ذلك نَوْم. عِراص: جمع عَرْصَة، وعَرْصَة الدار وَسَطُها، وقيل هو ما لا بِناء فيه، والعَرْصة كلّ بُقعة بين الدّور واسعة ليس فيها بناء. الأوتاد: جمع وَتِد، وهو ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب وثَبَتْ. البِلَى: الفَناء. النَّفاد: الفَناء والذَّهاب (لسان العرب، ابن منظور: تَلَعَ، حَرَقَ، طَوَدَ، قَيلَ، عَرَصَ، وَتَدَ، بَلِيَ، نَفَدَ).

ومن شعر الحكمة البيت الذي قاله حُجَيَّة بن المُضرَّب في نُصرة الأخ لأخيه عند الشدائد، [من الطويل][(١)]:

أخــوكَ الّــذي إن تَدْعُــهُ لِعَظيمــةٍ يُجِبْكَ وإن تغضبْ إلى السّيفِ يَغْضَبِ

واهتمّ ابن الكلبيّ بالشعر الدينـيّ للعرب قبل الإسلام، وظهر اهتمامه به من خلال تأليفه كتاب الأصنام، وروى في ذلك شعراً جاهليّاً تناول بعض عادات العرب ومعتقداتهم في عبادة الأصنام؛ ومن أشهر أصنامهم اللّات والعُزّى وإساف ونائلة ومَناف وهُبَل وغيرها.

ومِن ذلك أبياتُ زيد بن عمرو بن نُفَيل الّتي قالها يُعلن من خلالها تخلّيه عن عبادة أصنام قومه وبراءته منها [من الوافر][(٢)]:

تركــتُ الــلّاتَ والعُــزَّى جَميعــاً كــذلك يفعــلُ الجَلْــدُ الصَّــبُورُ

فــلا العُــزَّى أَديــنُ ولا ابنَتَيْهــا ولا صَــنَمي بنــي عَمْــرو أَزورُ

ولا هُــبَلاً أزور وكــان رَبّــاً لنــا فــي الــدَّهْرِ إذْ حِلْمــي صَــغيرُ

أراد الشاعر بكعب بن مامة وابن أمّ دُؤاد "كعب بن مَامة بن ثَعلبة بن سَلولة بن شَبابَةَ الإياديّ الذي ضُرِبَ المثل بجوده، وكان أبوه مَلِك إياد، وأبا دُؤاد الإياديّ الشّاعر المشهور، وهذا دليل على أنّ سِنداد كانت منازل إياد" (معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٢٦٦/٣).

(١) النَّسب الكبير، ابن الكلبيّ، ١٣٠/١.

(٢) **كتاب الأصنام، ابن الكلبي، ص: ٣٣. ومعجم البُلدان، ياقوت الحموي، ١١٦/٤:** " قال أبو المنذر: ... وكانت قريش تخصّها بالإعظام، فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نُفَيْل، وكان قد تألَّه في الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الأصنام: ... ".

اللَّاتُ: أصله اللَّاتُّ، بتشديد التاء، وسمّي بهذا لأنّ رجلاً كان يَلُتُّ السَّويق عند هذه الأصنام، أي يَخْلِطُه، فخُفِّفَ وجُعِلَ اسماً للصَّنم (لسان العرب: لَتَّ). والسَّويق: هو ما يُتّخذ من الحِنطة والشعير (لسان العرب: سَاقَ).

وهذا أبو طالب يستعطف قومه قريش، ويتمسّح بالبيت (الكعبة)، ويتقرّب إلى صَنَمي إساف ونائلة، وذلك حتى يكفّوا أذاهم عن ابن أخيه مُحمَّدٍ – صلّى الله عليه وسلّم – وذلك [من الطويل][(١)]:

أَحْضَرْتُ عند البيت رَهطي ومَعْشَري وأمْسَكْتُ مِن أثوابِهِ بالوَصائلِ
وحيثُ يُنيخُ الأشْعَرونَ رِكابَهُمْ بِمُفْضَى السُّيولِ مِن إِسافٍ ونائلِ

وهذا جَعْفَر بن أبي خَلاَّس الكلبيّ يذكر صَنماً مِن أصنام العرب يُقال له "سُعَيْر"، ويصف مشهد طواف الناس حوله وتقرّبهم إليه بالذَّبائح، وذلك [من الكامل][(٢)]:

نَفَرتْ قَلوصي مِن عَتائرَ صُرِّعَتْ حول السُّعَيْر تَزورُه ابنا يَقْدُمِ
وجموعُ يَذْكُرَ مُهْطِعينَ جَنابَهُ ما إنْ يُجِيرُ إليهمُ بتكلُّمِ

---

(١) **كتاب الأصنام، ص: ٢٩. ومعجم البلدان، ١/١٧٠:** " قال أبو المنذر هشام بن محمّد... فلهما يقول أبو طالب، وهو يحلف بهما حين تحالفت قريش على بني هاشم...".

السيرة النبويّة، ١/٢٩١: "إخوتي" مكان "مَعشري".
رَهْطُ الرجل: قومه وقبيلته، والرَّهْط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة قال تعالى: (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ) (سورة النّحل: الآية ٤٨). الوصائل: جمع جمع؛ وهي جمع الوصيل: بُرود اليمن، الواحدة وصيلة. الأَشْعَرون: أصلها الأشعريّون، فحذف يائي النسبة، وهم نسبة إلى أشْعَر وهي قبيلة يمانية. الرِّكاب: الإبل التي يُسار عليها، واحدتها راحلة، ولا واحد لها مِن لفظها، وجمعها رُكُب. مُفْضَى السيول: المكان المُتَّسع، ويقال أفضى: بَلغَ بهم مكاناً واسعاً، وأفضى بهم إليه حتى انقطع ذلك الطريق إلى شيء يعرفونه (لسان العرب، ابن منظور: رَهَط، وَصَل، شَعِرَ، رَكِبَ، فَضَا).
وقد أورد ابن هشام القصيدة كاملة (السّيرة النبويّة، ١/٢٩١–٢٩٩) وهي أربعة وتسعون بيتاً ومطلعها:

ولَمَّا رأيت القوم لاوُدَّ فيهمُ وقد قَطعوا كلّ العُرى والوسائلِ

وفيها يمدح النبيّ – صلى الله عليه وسلّم – بقوله:

وأبيضَ يُستسقَى الغَمامُ بوجهه ثِمالَ اليَتامى عِصْمَةً للأرامِلِ

ثِمال اليتامى: الذي يَثمُلُهم ويقوم بهم (السيرة النبوية، ١/١٩٥: الحاشية ١).
قال ابن هشام محقّق السيرة النبويّة وضابطها وشارحها: "هذا ما صَحَّ لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشّعر يُنكِرُ أكثرها" (السيرة النبويّة، ١/٢٩٩).

(٢) **كتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٤١. والنسب الكبير، ابن الكلبيّ، ٢/٣٥٦:** موافقة لرواية الأصنام، ما عدا: "ذُبِّحَتْ" مكان "صُرِّعَتْ". **ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣/٣٢٢:** "... قال أبو المنذر: وكان لِعنَزَة صَنَمٌ يُقال له سُعَيْر، فخرج جعفر بن خَلّاس الكلبيّ على ناقته، فمرَّتْ به وقد عُتِرَتْ عتيرةٌ عنده فنفرت ناقتُه منهُ، فأنشأ يقول: ...": "يَزوره" مكان "تَزورُه"، وهو الصّواب؛ لأنّه يشير إلى رجلين اثنين (ديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ١/٢٦٩). و"جَنابَةً" مكان "جَنابَهُ". و"يُجيزُ" مكان "يُجِيرُ". و"يُجيزُ" تصحيف، والصّواب "يُجيرُ"؛ لأن "أجارَ إليه كلامًا": رَدّ عليه. وجَناب الشيء وجَنابَتُه: ناحيته (لسان العرب: حارَ، جَنَب. وديوان شعراء بني كلب، محمّد شفيق البيطار، ١/٢٦٩: الحاشية).

القَلوص: الفَتِيَّة من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء. عَتائر: جمع عَتيرة، وهي أوّل ما ينتج من الشّاء، وكان العرب يذبحونها تقرُّباً لآلهتهم (لسان العرب: قَلَص، عَتَر). يَقْدُم ويَذْكُر: قال أبو المنذر ابن الكلبيّ: "يَقْدُم ويَذْكُر ابنا عَنَزَة، فرأى بني هؤلاء يطوفون حول السُّعَيْر، وكانت للعرب حجارة غُبُر منصوبة يطوفون بها ويَعتِرون عندها يسمّونها الأنصاب، ويسمّون الطَّواف بها الدَّوَار" (كتاب الأصنام، ص: ٤٢). المُهطِع: الذي ينظر في ذُلّ وخشوع، وهَطَعَ وأَهْطَعَ: أقبل مُسْرِعاً خائفاً ولا يكون إلّا مع خوف، وأقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه، وفي التنزيل العزيز (مُهْطِعين مُقنعي رؤوسِهم لا يرتدُّ إليهم طَرْفُهم). جَنابَه: حوله (لسان العرب: هَطَعَ، جَنَب. وسورة إبراهيم: الآية ٤٣).

وللعُزّى يقول درهم بن زيد الأوسيّ، مُقْسِماً بالله ربّ الصَّنَم العُزّى [من المنسرح][١]:

إنِّـــي وربِّ العُـــزَّى السَّـــعيدة والـــ لـــهِ الـــذي دونَ بيتـــه سَـــرَفُ

وروى ابن الكلبيّ شعراً لأبي جُنْدَب الهُذَليّ في امرأة كان يهواها، ويظهر من خلالها ألم البَيْن والفراق بهجر محبوبته له [من الطويل][٢]:

لقـد حَلَفـتْ جَهْـداً يمينـاً غَليظـةً بفَـرْع التـي أَحْمَـتْ فـروعَ سُـقَامِ
لَـئِن أنـتَ لـم تُرْسِـلْ ثيـابيَ فـانطلقْ أُباديـــكَ أُخـــرى عَيْشِـــنا بكـــلامِ
يَعِـــزُّ عليـــه صَـــرْمُ أمِّ حُـــويرِثٍ فأمســـى يَـــرومُ الأَمـــرَ كُـــلَّ مُـــرامِ

وقال امرؤ القيس بن حُجْر يذكر المرأة الكِنانيّة التي فارقت حيّه ولم يَعُدْ يراها، مع أَنّ حبّها راسخٌ في قلبه، وذلك [من الطويل][٣]:

كِنَانيّـــةٌ بَانَـــتْ وفـــي الصَّـــدْرِ وُدُّهـــا مُجـــاوِرَةً غَسَّـــانَ والحَـــيَّ يَعْمَـــرا

---

(١) **كتاب الأصنام، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ٤/١١٦:** "قال أبو المنذر: وقد بلغنا أنّ النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، ذكرها يوما...، وللعُزّى يقول درهم بن زيد الأوسيّ...". "سَرِفُ" مكان "سَرَفُ". قال أبو عُبيد: السَّرِف الجاهل (معجم البلدان، ٣/٢١٢). والسَّرَف: هو الخطأ والجهل (لسان العرب: سَرَفَ). فالشاعر يقسم بالله وربّ العُزّى. مشيراً إلى طهارة المكان وقداسته الذي دونه الخطأ والجهل والغَفلة وتجاوز الحدّ.

(٢) **كتاب الأصنام، ص: ١٩. ومعجم البلدان، ٣/٢٢٦ :** ".. وقال أبو المنذر: وكانت قريش قد حَمَت للعُزّى شِعباً من وادي حُراض يُقال له سُقام يضاهون به حرم الكعبة..، وأنشد لأبي جُندب الهُذليّ ثمّ القرديّ في امرأة كان يهواها، فذكر حِلْفها له بها: ...".

في معجم البلدان: " أُناديكَ" مكان "أُباديكَ". "صُرْم" مكان "صَرْم". ولم أجد هذه الأبيات لأبي جُندَب في ديوان الهذليّين أو في غيره من المصادر إلّا ما ذكره ابن الكلبيّ وياقوت الحمويّ.

سُقام: اسم وادٍ بالحجاز في شعر أبي خِراش الهذليّ، ولم يذكر أبا جندب، وأَنشد لأبي خِراش:

أمسى سُقامٌ خلاءً لا أنيسَ به إلّا السِّباعُ ومَـرُّ الـريح بـالغَرَفِ (معجم البلدان، ٣/٢٢٦. وديوان الهذليّين، ٢/١٥٦).

فَرْع كل شيء: أعلاه. أَحْمَى المكان: جعله حِمىً لا يُقرَب. أُباديكَ: أجاهرك بالعداوة. الصَّرْم: القطع البائن للحبل. يَروم: يطلب (لسان العرب: فَرَع، حَمَى، بَدَا، صَرَمَ، رامَ).

(٣) **النَّسب الكبير، ١/٥٣.**

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٥٦. كِنانيّة: من بني كِنَانة، وكِنَانة من مُضَر. بانت: فَارقَتْ. غسّان من اليمن، ويَعْمَر من بني كنانة، فهو يريد أن يقول إنّ حيّها ليس مِن حيّة؛ وذلك أشدّ وأبعد لاجتماعه بها، فمرّةً تُجاوِرُ في هذا الحيّ من اليمن، ومرّة أخرى تُجاور في هذا الحيّ من كنانة (ديوان امرئ القيس، ص: ٥٦: الحاشية).

وقال أيضاً يذكر رحيل الأحبّة وفراقه إيّاهم [من الطويل][1]:

كــأنّي غــداة البَــيْنِ يــوم تَحمَّلــوا لــدى سَــمُرات الحــيّ نــاقِفُ حَنْظَـلِ

(١) **الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة، ١٣٨/١، ١٣٩:** " قال ابن الكلبيّ: ... وهو القائل: البيت".

ديوان امرئ القيس، ص: ٩.

السَّمُر: شجر أُمِّ غَيْلَان، وهي شجر الصَّمْغ العربيّ، والناقِف: المستخرج حبّ الحنظل، والحَنظل له حرارة تدمع منها العين، فشبَّه ما جرى من دمعه لفقد أهل الدار بما يسيل من عين ناقف الحنظل، وإنّما خَصَّ ناقف الحنظل، لأنّه لا يملك سَيَلان دمعه كما لا يملكه مَنْ اشتدّ شوقه وحزنه (الديوان، ص: ٩: الحاشية ٤).

مُصْعَب الزُّبَيريّ

روى مصعب الزُّبيريّ شعراً لشعراء جاهليّين تَغنَّوْا بأمجاد قبيلة قريش وأصالتها وحِرص أبنائها على وَحدة القبيلة. *وكان أبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس قد رَهَن ابنه "أبان" في دم ابن أخته أبي نيب هشام بن شُعبة من بني عامر بن لؤيّ، ليحقّق بذلك على بني أسد بن عبد العُزّى دَمَ أبي نيب، فأنكر ذلك عليه عمّه أبو العاص بن أميّة الأكبر ابن عبد شمس*(١)*، إذ روى مُصعب الزُّبيريّ وابن أخيه الزّبير بن بكّار أبياتاً لأبي العاص بن أميّة يُذكّر بها قومه وبني أسد بن عبد العزّى بأمجادهم ومآثرهم القبليّة وأصلهم الواحد،* [من مجزوء الكامل](٢):

أَبلِـــغ لـــديكَ بنـــي أُمَيـــ ... ـــيَـــةَ آيـــةً نُصْـــحاً مُبينـــا

أَنَّـــا خُلِقْنـــا مُصْلِحيـــ ... ـــنَ ومـــا خُلِقْنـــا مُفسِـــدينا

أَنَّـــى أُعـــادي مَعشـــراً ... كـــانوا لنـــا حِصْـــناً حَصـــينا

خُلِقـــوا مـــع الجَـــوزاءِ إذ ... خُلِقـــوا ووالِـــدُهُمْ أبونـــا

---

(١) انظر: كتاب نسب قريش، مُصعب الزبيريّ، ص: ٩٩. وجمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤٢٩-٤٣١.

(٢) **كتاب نسب قريش، ص: ٩٩.**

جمهرة نسب قريش، الزبير بن بكّار، ص: ٤٣١: البيت الثالث: "أَنَّى" مكان "إنّي"، و"أَنَّى" استفهام، وهي الصَّواب؛ إذ قال محقّق الجمهرة محمود محمد شاكر: "ومَنْ ضَبَطها بكسر النون، فقد أساء وخالف المعنى (جمهرة نسب قريش، ص: ٤٣١: الحاشية ٣).

وقد خالف الزبير عمّه مُصعب في نسبة الأبيات إلى أبي العاصي بن أميّة؛ إذ اقتصر مُصعب على نسبة الشعر إلى أبي العاصي، بينما قال الزبير: "فقال أبو العاص بن أميّة بن عبد شمس، أو غيره"، وقدّم البيتين الأخيرين على الأوَّلَيْن، ويرى محمود شاكر أنّ ما فعله مصعب بترتيب الأبيات أفضل ممّا فعله الزُّبير (جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزّبير بن بكّار، ص: ٤٣١ والحاشية ٢). الآية: الرّسالة. "وهذا معنى أغفلته كتب اللغة" (جمهرة نسب قريش، الزبير بن بكّار، ص: ٤٣١: الحاشية ٥). الجَوزاء: نجم يقال إنّه يعترض في جوز السماء، وهو من بروج السّماء (لسان العرب، ابن منظور: جَاز).

ومن شعر الفخر الذي رواه مصعب الـزُّبيريّ أبياتُ مُسافِر بن أبـي عمرو بن أميّة التـي قالها يفخر بمكارم قومه بنـي عبد منـاف علـى قريش وسائر العرب، مُعدِّدًا مناقبهم من: السِّيادة، وإعانـة النّاس، والمجد الّذي ورثوه كابرًا عن كابر، وسقاية الحجيج وإطعامهم، إذ يقول [من مجزوء الوافر](١):

غَشِـيتَ الـدار مُوحِشـةً	ولـم تُـؤْنِس بهـا أحـداً
عَفَـــتْ آياتُهـــا إلاّ	أَوارِيَّـــا ومُقْتصِـــدَا
وأشـــعثَ مـــاثلاً خَلَقَـــا	وسَـــبْعَاً حولَـــهُ رُكُـــدا
عَلِمْـــتَ بأنّنـــا قِـــدْماً	خُلِقْنَـــا سَـــادَةً رُفُـــدا
وَرِثْنـــا المَجْـــدَ عـــن آبـــا	ئِنـــا فنَمَـــوْا بنـــا صُـــعُدا
فـــأيّ مناقـــب الخيـــرا	تِ لـم نَشـدُدْ بهـا عَضُـدَا
أَلَـمْ نَسْـقِ الحجـيجَ ونَثْـ	ـحَـــرِ الدَّلاَّفَـــةَ الرُّفُـــدَا
وزَمْـــزَمُ مـــن أَرومتنـــا	ونُـرغِمُ أَنْـفَ مَـن حَسَـدا
فـــإنْ نَهلِـــكْ فلـــم نُمْلَـــكْ	وهـــل مِـــنْ خالـــدٍ خَلَـــدا

(١) **كتاب نَسب قريش، المصعب الزُّبيَريّ، ص: ١٣٥، ١٣٦.**

السِّيرة النبويّة، ابن هشام، ١٥٨/١، ١٥٩: الأبيات: الخامس والسابع والثامن والتاسع، مع اختلاف في ترتيب البيتين الثامن والتاسع، واختلاف في بعض الألفاظ، وزيادة بيت آخر لم يرد عند المصعب الزُّبيريّ، وهو:

"ونُلْقَى عند تصريف الـ مَنايا شُدَّداً رُفُدا"

"فَنَمى" مكان "فنَموْا"، "ونَفقَأُ عَيْنَ" مكان "ونُرْغِمُ أنف".

"فلم نُمْلَكْ" هذه رواية ابن هشام وأبي الفرَج الأصفهانيّ، وهي الأقرب إلى الصواب، ولذلك أَثبتُّها في المتن. وكتاب الأغاني، ٤٢/٩: الأبيات السادس والسابع والثامن والتاسع، مع اختلاف في ترتيبها، وفي رواية بعض الألفاظ: البيت السادس:

"وإنّ مناقبَ الخيرا تِ لم نُسبَقْ بها عددا"

"المِذْلاقة" مكان "الدَّلاَّفة". "أُرومتنا" مكان "أَرومتنا". "نَفقأ عين" مكان "نُرغِمُ أنف".

غَشِيتَ المكان: أَتَيْتَه. عَفَتْ: زالت وامَّحتْ. آياتها: علاماتها. الأَواريّ: محابس الخيل ومرابطها، وواحدها آرِيّ. وفي هذا معنى للقوّة والشجاعة، وقد وردت في معلّقة النّابغة الذُّبيانيّ (إلاّ الأَواريَّ لَأْيًا ما أُبَيِّنُها...). المقتصِد: المتوسّط في الإنفاق مِنْ غير إسراف ولا تقتير. الأَشعث: المُتلبِّد المُغْبَرُّ شعر رأسه. الماثل: مَثُلَ الرجل بين يدي فلان مثولاً: قام بين يديه مُنْتَصِباً. الخَلَق: البالي من الثياب والجلد وغيرها. سَبْعًا: لعلّه أراد عياله السبعة الّذين يقوم على إطعامهم وخدمتهم، وقد يكون الشّاعر أراد بها حجارةً سَبْعًا ثابتة حول ذلك الأشعث الذي ذكره. رُكُدا: من الفعل (رَكَد رُكوداً) أي سكن وهدأ وثَبَت. وأراد الشّاعر هنا أنّهم غير ساعينَ في الأرض. رُفُدا: جمع رَفُود من الرِّفْد، وهو العَون. نَمَوْا بنا صُعُدا: ازدادوا طولاً ورفعة. شَدَّ بها عَضُدَه: قَوَّت عزيمته. الدَّلاَّفة: أراد بها الناقة البطيئة السير مِن السِّمَن وكثرة اللّبن. وقد جَعلها مُصحّحو دار الكتب المصريّة في (الأغاني، ٥٥/٩) "المِذلاقة" تَبعاً لرواية ابن منظور في اللسان (ذَلِقَ، رَفَدَ)، وعَدّوا ما في الأصول تحريفاً، ولم يوافق محقّق "كتاب نسب قريش" على ذلك مع ثبوته في أصل الكتاب وسيرة ابن هشام (حا ص: ١٣٦)، والمِذلاقة: النُّوق السَّريعة السير. الرُّفُد: جمع رَفود، وهي الناقة الحلوب التي تملأ الرِّفْد (المِحْلَب) في حَلْبَةٍ واحدة، والرِّفْد بفتح الراء وسكون الفاء: القَدَح الضَّخم الذي يُقْرَى فيه الضيف، ويجوز فيه كَسر الراء أيضاً. الأَرومة: الأصل (لسان العرب، ابن منظور: غَشِيَ، عَفَا، أيًا، أَرَى، قَصَد، مَثُلَ، خَلَق، رَكَدَ، رَفَد، صَعَدَ، عَضَدَ، دَلَفَ، ذَلِقَ، رَفَدَ، أَرَمَ).

ومن ذلك أيضاً ما قاله أبو زَمْعَة الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى يفتخر بشجاعته وشجاعة قومه بني أسد – وهم بطن من قريش – [من الوافر](١):

سيكفيني الوليدُ أبا لَبِيدٍ ... ويكفي بَكْرُه عَوْدَ بن دَهْرِ

وردّ عليه عوف بن دهر ونقض بيته بقوله(٢):

ألا يا أيُّها المُهدي إلينا ... رسالته سنُرجِعُها بصُغْرِ

فلا وأبيكَ لا تكفي سُهَيْلاً ... بجَمْعٍ إنْ جَمَعْتَ ولا بحَشْرِ

ويفتخر عبد الله بن جُدعان التَّيميّ – وهو من كبار قريش وساداتها في الجاهليّة – بنفسه وبقومه بني تَيم بن كعب، مُثبتاً لنفسه الكرم ولقومه كفّهم إياه عن شرب الخمر. وكان عبد الله بن جدعان مُولعاً بشرب الخمر، ثم انتهى عن ذلك وحَرَّمها على نفسه، ولمّا كبرت سِنّه صار يعطي مِن ماله مَنْ يطلبه، فكفَّه قومه عن ذلك ومنعوه أن يعطي من ماله شيئاً، فلم يُرضِه ذلك، حتى صار يطلب من الرجل أن يقترب منه، فإذا فعل لَطمه وطلب منه أن يطلب بلطمته مالاً، فيطالب الرجل بِلَطْمَتِه فيُرضيه بنو تَيْم من مال ابن جُدعان(٣)*، فقال ابن جُدعان يذكر وَلَعَه بالخمر وتَرْكَه له ولوم قومه إيّاه* [من الوافر]:(٤)

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ... أَلَسْتَ عن السَّفاهِ بمُستَفيقِ

وحَتَّى ما أُوسَّدُ في مَبيتٍ ... أَبيتُ به سوى التُّربِ السَّحيقِ

وحتى أَغلقَ الحانوتُ مالي ... وآنَسْتُ الهَوان من الصَّديقِ

---

(١) **كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٣٤، ٤٤٣.**

جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بكّار، ص: ٤٣٣: "أبا لُبَيْدٍ" مكان "أبا لَبِيدٍ"، "عَوْفَ بن دَهْر" مكان عَوْدَ بن دَهْر"، والصّواب ما جاء عند الزّبير بن بكّار وفي سائر المَراجع (جمهرة نسب قريش، ص: ٤٣٣: الحاشية). ومعجم الشعراء، المَرزُباني، ص: ٢٧٦: البيت الأول فقط، وفيه تصحيف: "بكفى" مكان "ويكفي".
أبو لُبَيد بن عَبدَة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهليّة (الاشتقاق، ابن دريد، ١١٤/١). وعوف ابن دَهْر من بني تَيْم بن غالب، ودَهْر بن تَيْم بن غالب كانوا يداً مع بني عامر بن لؤيّ. (جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبَير بن بكّار، ص: ٤٣٣: الحاشية).

(٢) **كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيري، ص: ٤٤٣.**

معجم الشعراء، المَرزُبانيّ، ص: ٢٧٦: "سَيُرْجِعها" مكان "سَنُرْجِعها".

(٣) انظر: كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٢٩٢. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٣٨/٨: "وذكر أبو سعيد السُّكّريّ عن رواته قول ابن أبي الزِّناد: ما مات أحد من كُبَراء قريش في الجاهليّة إلّا تَرك الخمر استحياءً فيها من الدَّنَس، وقد عابها ابن جُدعان قبل موته فقال: .... الأبيات".

(٤) **كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٢٩٢.**

كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٣٨/٨، ٢٣٩: البيت الثاني: "أنامُ بهِ" مكان "أَبيتُ بهِ". الثالث: "رَهْني" مكان "مالي".
السَّفاه: خفّة الحِلم والجهل. أغلق الرهن: استحقّه. الحانوت: دُكّان الخمّار (لسان العرب: سَفِهَ، غَلَق، حَنَت).

وروى مصعب الزُّبيريّ أبياتاً لامرئ القيس يمدح بها سَعد بن الضَّباب الإياديّ [من الكامل](١):

ولقد رَحَلْتُ العِيسَ ثُمَّ زَجَرْتُها ... وَهْناً وقلتُ عليكِ خَيْرَ مَعَدِّ
فعليكِ سَعْدَ بنَ الضَّبابِ فأَسرعي ... سَيْراً إلى سَعْدٍ عليكِ بِسَعْدِ
قومٌ تَفَرَّعَ من إيادٍ بَيتُها ... بينَ النَّبيتِ الأكرَمِينَ وبُرْدِ
سَعْدٌ يُجيُر الخائفينَ وكَفُّهُ ... تَندى نَوالاً مِنْ طَريفٍ وتُلْدِ

وقال حُذافَةُ بن غانم العَدويّ يمدح أبا عُتْبَةَ عبد العُزّى بن عبد المطّلب (أبا لَهَب)، ذاكراً مكارم أجداده بقوله [من الطويل](٢):

أبا عُتْبَةَ المُلْقي إليَّ حِباءَهُ ... أغرُّ هِجانُ اللَّونِ من نَفَرٍ زُهْرِ
أبوهُمْ قُصَيٌّ كان يُدعى مُجمِّعاً ... به جمَع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ
أخارجَ إمَّا إنْ هَلَكْتَ فَلا تَزَلْ ... لَهُمْ شاكراً حتّى تُغَيَّبَ في القَبْرِ

---

(١) **كتاب نسب قريش، ص: ٦.**

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٢٠٧: "وقال يمدح سعد ابن ضَباب الإياديّ": الأبيات كلّها بترتيب مختلف ورواية مختلفة في بعض ألفاظها: البيت الثالث مكان البيت الرابع. "بَعَثْتُ العَنْسَ" مكان "رَحَلْتُ العيسَ". "وعليكِ" مكان "فَعليكِ". "فَسَمِّحي" مكان "فاسرعي". "فَرْعٌ" مكان "قَوْمٌ".
والبيت الرّابع: سَعْدٌ يُجير الخائفينَ وتَنْدَى ... يَدُهُ عَطاءً من طَارفاتٍ وتُلْدِ (وفي وزنه اضطراب)
وشرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، ص: ٨١: ما عدا البيت الرابع، مع اختلاف في رواية البيت الثالث:
قَرْمٍ تفَرَّعَ من إيادٍ بَيتُهُ ... بينَ النَّبيتِ الأكرَمينَ وسَرْدِ
العِيس: الإبل البيض مع شُقْرَةٍ يسيرة، واحدها أعيس وعَيْساء. زَجَر الإبل: إذا حَثَّها وحَملها على السُّرعة. الوَهْن: نحوٌ من نصف الليل، وقيل هو بعد ساعة منه، وقيل هو حين يدبرُ الليل، وقيل الساعة من الليل أيَّ ساعةٍ كانت. قوله "بيتها" يعني بيت الحَسب. النَّبيت: حيّ من اليمن، وقيل "النَّبيت وبُرْد": قبيلتان من إياد. الطّريف: هو ما استحدَثْتَ من المال. التُّلْد: جمع تَليد، وهو ما وَرِثْتَه عن الآباء قديماً (انظر: لسان العرب: عَيَسَ، زَجَر، وَهَنَ، طَرُفَ، تَلَدَ. والصِّحاح، الجوهريّ: نَبَتَ. وديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ٢٠٧: الحاشية).

(٢) **كتاب نسب قريش، ص: ٣٧٥.**

جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١٣/١. وقد اكتفى ابن الكلبي برواية البيت الثاني: "أبوكم" مكان "أبوهم". الحِباء: ما يحبو به الرجل صاحبه (يعطيه إياه) ويكرمه به. الأَغَرّ: المشهور. الهِجان: الهِجان من الأشياء: أجودها وأكرمها أصلاً. النَّفَر: من ثلاثة إلى عشرة من الرجال. الأزهر: كلّ لَون أبيض صَافٍ مشرق مضيء (لسان العرب: حَبا، غَرّ، هَجُنَ، نَفَر، زَهَر) أبوهم: يعني جدّهم. فِهر: هو جدّ أعلى لِقُصيّ بن كلاب، وفِهْر هو قريش (جمهرة النسب، ٨/١، ٩) خارجَ: يعني خارجة، ولكنّه منادى مرخّم فحذَف التاء المربوطة على (لغة مَنْ ينتظر) كما تقول في: "أفاطمةُ": "أفاطمَ".

وقال نُبَيْه بن الحجَّاج السّهمي يذكر حلف الفضول الذي تشكّل في مكّة في دار عبد الله بن جُدْعان – وهو من سادة قريش في الجاهلية وذلك في سياق تغزله بمحبوبته – [من مجزوء الكامل](١):

لـــولا الفُضـــولُ وأنّـــه لا أمْـــنَ مـــن رَوْعائهـــا
لأَتَيْتُهـــا أمشـــي بـــلا هـــادٍ لـــدى ظَلمائهـــا
فشَـــرِبْتُ فَضـــلةَ ريقهـــا ولَبِثْـــتُ فـــي أَحشـــائها

وقال أبو سَمّال الأسديّ – واسمه سِمعان بن هُبيرة بن مُساحِق بن بُجير بن عمير بن أسامة بن نصر بن قُعَيْن – يمدح جُذام ولَخْم وعَامِلة [من البسيط](٢):

أَبْلِغْ جُذاماً ولَخْماً إن عَرَضْتَ بهمْ والقـــومُ يَـــنفعهُمْ عِلمـــاً إذا عَلِمُـــوا
والقـــومُ عاملـــةُ الأَثْـــرِيْنَ قُـــلْ لَهُـــمُ قَـــوْلاً ســـتَبلغُهُ الوَسَّـــاجةُ الرُّسُـــمُ
لأَنـــتُمُ فـــي صَـــميم الحـــقِّ إخْوَتُنـــا إذ يُخْلَـقُ المـاءُ فـي الأرحـام والنَّسَمُ
لـم أرَ مثـلَ الـذي يـأتونَ جـاء بـهِ قـــومٌ يُـــذَرُّ علـــى مَختـــومِهم خُمَـــمُ

---

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٢٩١.

كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٠٦/١٧: "عُدَوائها" مكان "رَوعائها". "ولَجِئْتُها" مكان "لأَتَيْتُها". "ولَبِثْتُ" مكان "ولبِثْتُ". ورواية أبي الفرج الأصفهانيّ "عُدَوائها" أقرب إلى الصَّواب؛ لأنَّ "عُدَوائها" تعني بُعْدها. وأمَّا الرَّوع والرَّوعاء فهو الفَزَع، وناقة رَوعاء: حَديدة الفؤاد، وفرس رَوعاء: التي كأنَّ بها فَزَعاً من ذكائها وخِفّة روحها. هادٍ: دليل (لسان العرب: عدا، راع، هدى).
وقد أورد أبو الفرج أربعة عشر بيتاً، وتَمامها:

فَســـــلي بمكّـــــةَ تُخْبـــــرَي أنّـــــا مِـــــن أهـــــل وفائهـــــا
قِـــــدْماً وأفضـــــلُ أهلهـــــا مِنّـــــا علـــــى أكفائهـــــا
نَمشـــــي بألويـــــة الـــــوَغى ونمـــــوتُ فـــــي أودائهـــــا

(٢) كتاب نسب قريش، ص: ٩.

الأَثْرِيْن: مِن: ثرا القوم يَثْرُون إذا كَثُروا ونَمَوْا. الوَسَّاجة: صيغة مبالغة من الفعل (وَسَجَ)، ووَسَج البعير ووَسَجَتْ النّاقة إذا أسرعا، والوَسْج: ضَرْبٌ من سَيْر الإبِل.
الرُّسُم: جمع الرَّسُوم، وناقة رَسُوم: هي التي تؤثّر في الأرض من شدّة وَطْئها، والرَّسيم من سَيْر الإبِل فوق الذَّميل.
النَّسَم: جمع النَّسَمَة، وهي نفس الرُّوح.
ذَرَّ الشيء: إذا بَدَّده وفَرَّقه. مختومهم: أي ما يصدر عنهم. خُمَم: من الخَمّ، ولها معانٍ كثيرة، وهي هنا بمعنى الثَّناء الطيّب، وخُمامَة المائدة: ما يُنثَر من الطعام فَيُؤكل ويُرجى عليه الثَّواب، وقلب مخموم: أي نَقِيّ من الغِلّ والحَسَد. والشّاعر هنا يمدحُ جُذامًا ولَخْمًا وعاملة، ويذكر حُسْن صنيعهم ومعروفهم عند النّاس بأنّهم يتفوّقون بأفعال يعجز عنها غيرهم؛ فهم أهل خير وعطاء وطِيب، ويكون جزاؤهم الثَّناء الطيّب والذِّكر الحَسَن (لسان العرب، ثَرَا، وَسَجَ، رَسَمَ، نَسَمَ، ذَرَّ، خَمَّ).

وهذا شاعر آخر يمدح زُهيرًا وهاشمًا ابني الحارث بن أَسَد بن عبد العُزَّى بأصالتهما لمجاورة الكعبة (البيت) ونَيلهما ذلك الشرف العظيم، وذلك في إشارة تاريخيّة إلى مكانتهما المرموقة واتّصافهما بمكارم الأخلاق، إذ يقول [من البسيط][(١)]:

لَهاشـــمٌ وزُهَيْـــرٌ فَـــرعُ مَكْرُمَـــةٍ بحيـثُ لاحَـت نجـوم الفَـرْغِ والأسَـدِ

مُجـاورُ البيـتِ ذي الأركـان بَيتُهُمـا ما دونـه مِن نـواحي البيت من أَحَدِ

ومِمّا رواه مصعب الزُّبيري ما قاله جرير بن عبد الله البَجليّ – على سبيل الاقتضاء والاستنجاز – حين نافَرَ الفَرافِصَة الكلبيّ إلى الأقرع بن حابس التميميّ [من الرَّجَز][(٢)]:

يـا أَقْـرَعَ بـن حـابسٍ يـا أقْـرَعُ إنْ يُصْـرَعِ اليـومَ أخـوكَ تُصْـرَعُ

وقال [من الرَّجَز]:

" يـا ابنَـيْ نِـزارٍ انصُـرا أخاكُمَـا إنّ أبـــي وَجَدْتُـــهُ أباكُمَـــا

لـــن يُخْـــذَلَ اليـــومَ أخٌ والاَكُمَـــا

فنفَّره الأقرعُ على الفَرافِصَة الكلبيّ " [(٣)].

واهتمّ مصعب الزُّبيري في مرويَّاته برثاء سادة قريش وكُبَرائها، وممّن رثاهم الشعراء مُسافر بن أبي عمرو بن أميّة، وعثمان بن الحُويرِث بن أسد بن عبد العُزّى. *وكان مُسافر بن أبي عمرو بن أميّة قد خرج من مكّة في تجارة، ثم هَلك بالحيرة عند النُّعمان بن المنذر* [(٤)]*، فقال أبو طالب يرثيه*

---

(١) **كتاب نسب قريش، مُصعب الزُّبيريّ، ص: ٢١٣.**

جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٤٤١: "لِهاشمٍ" مكان "لَهاشمٌ". "جِوار" مكان "نواحي". الفَرع: فرع كلّ شيء أعلاه، يعني مَكُرمة شامخة لا تُنال. لاحَتْ: بَدَتْ وظهرت. الفَرْغ: نجم من منازل القمر، وهما فَرغان، منزلان في برج الدلو: فَرغ الدلو المقدّم، وفرغ الدلو المؤخّر، وهما كوكبان نَيِّران. البيت: البيت الحَرام، وهو الكعبة (لسان العرب: لاحَ، فَرَع، فَرَغ، بَاتَ).

(٢) كتاب نسب قريش، ص: ٧.

(٣) كتاب نسب قريش، ص٧. والأنباه على قبائل الرُّواة، ابن عبد البَرّ، ص: ٩٢:

أَبنـي نـزارٍ..... .....

لا تَخْـــذُ لا اليـــومَ أخـــاً والاكمـــا

(٤) انظر: كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ١٣٦. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٣٩/٩. وذكر ياقوت الحمويّ أنّ الموضع الذي مات فيه مسافر يدعى "هُبالَة"، وهو مياه لبني نُمير، وذكر أنّه خرج إلى الحيرة ليتداوى فمات بهُبالة، فقال أبو طالب بن عبد المطّلب يرثيه (معجم البلدان، ٣٩٠/٥).

[من الخفيف][١]:

ليـتَ شِـعري مُسـافِرَ بـن أبـي عَمـ (م) ـرٍو ولَيْـتُ يقولهـا المحـزونُ
وهـل الرَّكْـبُ قـافلونَ إلينـا وخليلـي فـي مَـرْمَسٍ مـدفونُ
بُـورِكَ المَيّـتُ الغَريـبُ كمـا بُـو (م) ـرِكَ نُضْـحُ الرُّمَّـانِ والزيتـونُ
فتَعزَّيْـتُ بـالجَلادَةِ والصَّبـ (م) ـر وإنّـي بصـاحبي لضَـنينُ

وروى مصعب الزُّبيري أبياتاً لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى يرثي بها عثمان بن الحُوَيرث ابن أسد بن عبد العُزّى، وكان عثمان – *ويقال له البطريق – قد خرج إلى قيصر الروم ليُملّكه على قريش فيدخلوا في طاعة قيصر ويدينوا له بالولاء، فكتب له قيصر عهداً وخَتمه بالذهب، فهابت قريش قيصر وهمّوا أن يَدينوا له، فقام أبو زَمعة الأسود بن المطّلب بن أسَد بن عبد العُزّى وصاح في الناس وهم بالطَّواف أنّ قريشاً قوم لَقاح لا يَملِكون ولا يُملَكون، فمنَعوا عثمان ما جاء يطلبه، ثمّ سافر ومات عند عمرو بن جَفنة الغسّانيّ، فاتّهمت بنو أسد عمرو بن جَفنة بقتله*[٢]*، فقال ورقة بن نوفل بن أسد بن*

---

(١) **كتاب نسب قريش، ص: ١٣٦، ١٣٧.**

كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٣٩/٩، ٤٠: الأبيات الثلاثة الأولى فقط مع اختلاف في رواية صدر البيت الثاني: "رَجَع الرَّكْبُ سالمين جميعاً". والبيت الثالث: "نَضْر" مكان "نُضْحُ"، وزيادة بيتين هما:

بَيـتُ صِـدْقٍ علـى هُبالـةَ قـدحَا لَـتْ فيـافٍ مِـن دونـه وحُـزونُ
مِـدْرَهٌ يَـدفعُ الخُصـومَ بأيـدٍ وبِوَجْـهٍ يَزينـهُ العِـرنينُ

ومعجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ٣٩٠/٥: الأبيات الثلاثة الأولى، مع اختلاف يسير في ترتيب الأبيات ورواية بعض ألفاظها: صدر البيت الثاني: "رجعَ الوفدُ سالمينَ جميعاً". والبيت الثالث: "نَضْرُ" مكان "نُضْحُ"، وزيادة بيتين هما:

مَيْـتُ دَرْءٍ علـى هُبالـةَ قـدحا لَـتْ فَيـافٍ مـن دونـه وحـزونُ
مِـدْرَهٌ يَـدفَعُ الخُصـومَ بأيـدٍ وبِوَجْـهٍ يَزينـهُ العِـرنينُ

ليت شِعري: أي ليت عِلمي أو ليتني عَلِمْتُ. وهذا أسلوب استخدمه الشعراء الجاهليّون كثيراً. وتختصّ ليت بأسلوب التزم فيه العرب حَذْف خبرها وجوباً؛ فكأنّه قال: "ليت شعري عالِمٌ بما وقعَ لِمُسافر بن أبي عمرو" (انظر: لسان العرب، ابن منظور: شَعَر. والنحو الوافي، عبّاس حسن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٦م، ٦٣٥/١: الحاشية).

المَرْمَس: موضع القبر، من الرَّمْس، وهو تراب القبر.

النُّضْح: البَلل والرطوبة. تَعزَّيْتُ: تَصبَّرْتُ. الجَلادة: الصَّلابة والقُوّة والشدّة. ضَنين: بخيل (لسان العرب: رَمَس، نَضَحَ، عَزَا، جَلُدَ، ضَنَّ).

(٢) انظر: كتاب نسب قريش، ص: ٢١٠. وتاريخ دمشق، ابن عَساكر، م ٢٠، ٢٤٣/٤٠. ورقة بن نَوفل: هو ورَقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ القُرشيّ، وهو ابن عمّ خديجة زوجة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان قد اعتنق النصرانيّة في الجاهليّة. ويعدّ ورقة من الحُنفاء، إذ كَرِهَ عبادة الأصنام وطلب الدين في الآفاق، وكانت خديجة – رضي الله عنها – تسأله عن أمر النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فيجيبها بأنّه يراه نبيّ هذه الأمّة التي بشّر بها موسى وعيسى عليهما السلام (انظر: كتاب نسب قريش، ص: ٢٠٧. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٤٧٤/٦-٤٧٦).

عبدالعُزّى يرثي ابن عمّه عثمان بن الحُوَيرث [من الكامل][١]:

هَـلَ أتـى ابنتـي عُثمـان أنّ أباهمـا حانـتْ مَنيّتـه بجنـب المَرْصَـدِ
رَكِـبَ البَريـدَ مُخـاطراً عـن نفسـهِ مَيْـتَ المظَنَّـةِ للبريـد المُقْصَـدِ
فلأبكـيَنَّ عُثمـان حـقَّ بُكائـهِ ولأَنشُـدَنْ عُمَـرًا وإن لـم يُنْشَـدِ

وروى مصعب الـزُّبيري بيتين قالهما ورقة بن نوفل موصياً صاحبه (المخاطب) بأن يُعينَ ضعيفه ويأخذ بيده حتى يصير قويّاً، فيجازيه لإحسانه إليه [من الكامل][٢]:

ارفَـعْ ضـعيفكَ لا يَحُـرْ بـك ضَـعْفُه يومـاً فتُدْرِكَـهُ العواقـبُ قـد نَمَـا
يَجزيـكَ أو يُثنـي عليـك وإنّ مَـن أَثنـى عليـك بمـا فعلـتَ كَمـنْ جَـزى

وروى مصعب الزُّبيريّ شعرًا لورَقة بن نوفل في توحيد الله والحثّ على عبادته والنَّهي عن الشرك به، وترك عبادة الأصنام، وكنت قد ذكرتُ في ترجمته أنّه كان من الحنفاء الَّذين تركوا عبادة الأصنام وطلبوا الدّين في آفاق الأرض. *وقد روى مصعب الشعر في سياق خبر مضطرب، وهو أنّ ورقة قال الشعر في بلال بن رباح،* **"وكان بنو جُمَح بن عَمرو يعذّبونه برَمضاء مكّة، يُلصقون ظهره بها ليُشرك بالله؛ فيقول: أَحدٌ أحد، فيمرّ عليه ورَقة بن نوفل وهو على ذلك؛ فيقول ورقة: أحدٌ أحد والله يا بلال، والله لـئن قتلتمـوه لأتّخـذنَّ قبـره حنانـاً، كأنّـه يقـول: لأتَمسَّـحنَّ بـه"**[٣].

---

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٢١٠:

جمهرة نسب قريش، الزّبير بن بكّار، ص: ٤١٩: "الفَرْصَدِ" مكان "المَرْصَدِ". "ألا هَلَ" مكان "هَلَ". "المَضِنَّة" مكان "المَظنَّةِ". "عَمراً" مكان "عُمَراً". ومعجم ما استعجم، البكريّ، ١٠١٧/٣: البيت الأول فقط: "الفَرْصَدِ" مكان "المَرْصَدِ". وتاريخ دمشق، ابن عساكر، م ٢٠، ٢٤٤/٤٠: "الفَرْصَدِ" مكان "المَرْصَدِ". "عَمراً" مكان "عُمَراً".
"هَلَ اتى" بفتح اللام وتسهيل همزة "أتى" بنقل حركتها إلى اللّام الساكنة قبلها، وهذه لغة فصيحة معروفة، وعليها قراءة وَرش إحدى القراءات السبع المشهورة (انظر: كتاب نسب قريش، ص: ٢١٠: الحاشية).
المَرْصَد: لم أجد لها معنىً يتّفق مع السّياق. الفَرْصَد: موضع بالشام (معجم ما استعجم، البكريّ، ١٠١٧/٣). البَريد: المسافة التي بين السكّتين، وقيل: هما فَرسخان، وقيل: أربعة فراسخ، وما بين كلّ منزلتين بريد، وبَرد بريداً أرسله. المُقْصَد: الذي يمرض ثم يموت سريعاً. نَشَده: طَلَبه (لسان العرب: بَرَد، قَصَد). قال مُصعب الزُّبيريّ: "كأنّه قال: أنا الرجل البَريد المُقْصَدُ" (كتاب نسب قريش، ص: ٢١٠). عَمراً: أراد عَمرو بن جَفْنَة الغَسّانيّ (جمهرة نسب قريش، الزّبير بن بكّار، ص: ٤١٩).

(٢) كتاب نسب قريش، مصعب الزّبيريّ، ص: ٢٠٨.

جمهرة نسب قريش، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤١٠: " فارفَعْ" مكان "ارفَعْ". "لا يَحُلْ" مكان "لا يُحُرْ"، وذكر الزُّبير أنّهما لورقة بن نوفل أيضاً وأنّهما يُرويان للغَريض أو سَعْيَة ابن الغَريض اليهوديّ، إلاّ أنّه رواهما في قصيدة قِوامها عشرة أبيات.
الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة، ٣٨١/١: يُنسبان لزهير بن جَناب الكلبيّ، وفي نسبتهما خلاف كثير، أشار إليه أحمد محمد شاكر في موضعهما: "عَواقِبُ ما جَنَى" مكان "العَواقِبُ قد نَمَا".
لا يَحُر: أي لا يرجع إلى النقص. العواقب: جمع العاقبة، وعاقبة كل شيء: آخره (لسان العرب: حارَ، حَالَ، عَقَبَ).
(٣) كتاب نسب قريش، ص: ٢٠٨. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٣/٣. وتاريخ دمشق، ابن عساكر، م٣٣، ١٩/٦٦. الرَّمْضاء: حَرُّ الحجارة من شدّة حرّ الشمس (لسان العرب: رَمَض). والخبر لا يصحّ بهذه الصورة، إذ قال ابن عساكر: "لم يَسمع ابن عبّاس من ورقة، ولا أعرف أحداً قال: إنّه أسلم" (تاريخ دمشق، م٣٣، ٣/٦٦)، وذكر ابن حجر أنّ ورقة مات قبل بعثة النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأنّ بلالاً لم يُعذَّب إلّا بعد الإسلام (الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٧٥/٦، ٤٧٦) فكيف التقى ورقة بن نوفل ببلال بن رباح! ثم إنّ الأبيات لم تُشِرْ إلى بلال بن ربّاح، ومع ذلك فإنّني أرجّح صحة نسبة الأبيات إليه – إلّا بيتاً واحداً – لورودها في أكثر من مصدر كما سيأتي.

فقال ورقة في ذلك [من البسيط][1]:

لقد نَصَحْتُ لأقوامٍ وقلتُ لهمْ ... أنا النَّذيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أحدُ
لا تعبدونَ إلاهاً غيرَ خالقكمْ ... فإن أبَيْتُمْ فقولوا بيننا حَدَدُ
سُبحانَ ذي العَرشِ لا شيءٌ يعادِلُهُ ... رَبُّ البريّة فَرْدٌ واحدٌ صَمَدُ
سبحانَه ثم سبحاناً يعودُ له ... وقَبْلُ سَبَّحَهُ الجوديُّ والجُمُدُ
مُسَخَّرٌ كلُّ مَنْ تَحتَ السَّماءِ لَهُ ... لا ينبغي أن يُساويَ مُلْكَهُ أَحَدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خَزائِنُهُ ... والخُلْدَ قد حَاوَلَتْ عَادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانُ إذْ أدْنَى الشعوبَ له ... الجِنُّ والإنسُ تجري بيننا البُرُدُ
لا شَيْءَ مِمَّا تَرى تبقى بَشاشتهُ ... يَبْقى الإلَهُ ويُودي المالُ والولَدُ

---

(١) كتاب نسب قريش، ص: ٣٠٨.

قال عبد الحَفيظ السّطلي مُحقِّق ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت: "روى ابن سِيدَة البيت الرابع لأُميّة بن أبي الصَّلت الثَّقفيّ، ويُروى لورقة بن نوفل من أبيات له، ورواه أبو حيّان لزيد بن عمرو بن نُفيل،... والبيت من الشعر المُتَّهم" (ديوان أميّة بن أبي الصَّلْت، جمع وتحقيق ودراسة، صنعة عبد الحفيظ السَّطليّ، مكتبة أطلس، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص: ٣٧٦).

وجمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤١٣، ٤١٤ مع اختلاف يسير في ترتيب الأبيات ورواية بعض ألفاظها: البيت الثاني: "لا تعبدُنَّ" مكان "لا تعبدونَ". وهذا هو الصّواب كما جاء في هذا المصدر وغيره من المصادر. "فإنْ دَعَوْكُمْ" مكان "فإن أبيتم". البيت الثالث: "سُبحاناً يعادِلُهُ" مكان "لا شَيْءٌ يُعادِلُهُ". البيت السابع: "دانَ الشّعوبُ" مكان "أَدنى الشّعوبَ"، "الإنسُ والجنُّ" مكان "الجِنُّ والإنسُ". البيت الأخير: "إلّا بَشَاشتُه" مكان "تَبقى بَشاشتُه"، "ويَفْنَى" مكان "ويُودي".

وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٣/٣: سبعة أبيات فقط، إذ لم يورد عَجُز البيت الثالث وصدر البيت الرابع، مع اختلاف يسير في ألفاظ الأبيات وترتيبها: البيت الثاني: "لا تَعبدُنَّ" مكان "لا تعبدونَ"، "فإنْ دَعَوْكُمْ" مكان "فإنْ أَبَيْتُمْ". البيت الرابع:

سُبحانَ ذي العَرْشِ سبحاناً نَعوذُ ... وقبلُ قد سَبَّح الجوديُّ والجَمَدُ

البيت الخامس: "ما تَحْتَ" مكان "مَنْ تَحْتَ"، "يُناوي" مكان "يُساوي".

وتاريخ دمشق، ابن عَساكر، م٣٣، ١٩/٦٦: ما عدا البيت الرابع، مع اختلاف يَسير في ترتيب الأبيات ورواية بعض ألفاظها: البيت الثاني: "لا تَعبُدُنَّ" مكان "لا تعبدونَ"، "فإنْ دَعَوْكُمْ" مكان "فإنْ أَبَيْتُمْ". البيت الثالث: "سُبحاناً يُعادِلُهُ" مكان "لا شَيْءٌ يعادِلُهُ". البيت الخامس: "ما تَحتَ" مكان "مَن تَحْتَ". البيت السادس: "لم يُغْنِ" مكان "لم تُغْنِ". البيت السابع: "دانَ الشّعوبُ" مكان "أَدنى الشّعوبَ"، "والجِنُّ" مكان "الجِنُّ". البيت الأخير: "إلّا بشاشَتُه" مكان "تَبقى بَشاشتُه".

وخزانة الأدب، البغداديّ، ٣٨٩/٣: الأبيات مكتملة ومُوافقة لترتيب مُصعب الزّبيريّ، مع اختلاف في روايتها:

البيت الثاني: لا تعبدُنَّ إلاهاً غيرَ خالقكم ... فإنْ دُعِيتُمْ فقولوا دونه حَدَدُ
البيت الرابع: سبحانَهُ ثم سُبحاناً نعوذُ بهِ ... وقبلنَا سَبَّح الجوديُّ والجَمُدُ

البيت الخامس: "يُناوي" مكان "يُساوي". البيت السابع: "دانَ الشُّعوبُ" مكان "أدنى الشُّعوبَ".

حَدَدُ: حَدٌّ. وقد فكَّ التضعيف ليستقيم الوزن. الجوديّ: موضع، وقيل جبل، وقال الزجّاج: جبل بآمِد، وقيل: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، وفي التنزيل العزيز (واستوت على الجوديّ). الجُمُد: بضمّ الجيم والميم وفتحهما: جبل معروف. البُرُد: في الأصل "البُرْد"، وهي جمع بريد، وهو الرسول، فيُخفّف عن بُرُد كرُسُلٍ ورُسْل، وهي كلمة فارسيّة (لسان العرب، ابن منظور: حَدَّ، جَادَ، جُمُدَ، جَمَد، بَرَدَ. وسورة هود، الآية: ٤٤).

وروى مصعب الزُّبيريّ بيتين لأبي *قِلابَة الهُذَليّ*، " **وهو أقدم مَن قال الشّعر في هُذَيل**"(١)، *وهو الذي يقول* [من البسيط](٢):

إنّ الرشـادَ وإنّ الغَـيَّ فـي قَـرَنٍ بكـلّ ذلـك يأتيـكَ الجديـدانِ

لا تَـأمَنَنَّ وإنْ أصـبحتَ فـي حَـرَمٍ إنّ المنايـا بجنبَـيْ كـلّ إنسـانِ

وروى مُصعب الزُّبيريّ أبياتًا لصَفيّة بنت عبد المطّلب، وكانت عند العوّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى، ووَلَدتْ له الزُّبير، ثم صار يتيماً في حِجر عمّه نوفل بن خويلد، وكانت صَفيّة بنت عبد المطلب تضرب الزُّبير – وهو صغير – وتَغلظ عليه، فلامها في ذلك نوفل وقال لها إنّها تُبغضه(٣)، *فقالت صَفيّة* [مِن مَشطور الرَّجَز]:

"مَنْ قال إنّي أُبغِضُهْ! فقد كَذَبْ

وإنّمـا أضـربه لِكـي يَلِـبْ

ويهـزمَ الجـيش ويـأتي بالسَّـلَبْ

ولا يكـنْ لمالِـهِ خَـبْءٌ مُخَـبْ

يأكلُ مـا فـي الطَّلِّ مِن تَمْرٍ وحَبْ

فقال نَوْفَل: "يا بني هاشم! كُفُّوا عنَّا شاعرتكم هذه!"(٤).

---

(١) كتاب نَسب قريش، ص: ٢١. أبو قِلابة الهُذليّ: شاعر جاهليّ قديم حجازيّ (معجم الشعراء، المرزُبانيّ، ص: ٢٤٥).

(٢) **كتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٢١.**

لسان العرب، ابن منظور (مَنَى): غير منسوبين لأحد، وغير مرتَّبين، وفي روايتهما اختلاف:

" لا تَأمَنَنَّ وإنْ أَمْسَيْتَ في حَرَمٍ حتّى تُلاقيَ ما يَمني لكَ الماني

فالخيُر والشرُّ مقرونان في قَرَنٍ بكـلّ ذلـك يأتيـك الجديـدانِ

فاستحسن النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم هذين البيتين وقد أُنْشِدَهُما، وقال: لو أدرك هذا الإسلام".

وذكر ابن بَرّيّ أن البيتين لسُويد بن عامر المُصْطَلِقيّ (لسان العرب: مَنَى). الرَّشاد: ضدّ الضّلال والغَيّ. الغَيّ: الضّلال والخَيبة والفساد. القَرَن: الحبل الذي يُقرن به بعيران. الجديدان: الليل والنهار. المنايا: جمع المَنِيَّة، وهي الموت (لسان العرب: رَشَد، غَوَى، قَرَن، جَدَّ، مَنَى).

(٣) انظر: كتاب نسب قريش، ص: ٢٣٠.

(٤) **كتاب نسب قريش، ص: ٢٣٠.**

يَلبّ: يصيرا ذا لُبّ، أي عقل. السَّلَب: ما يُسلَبُ من سِلاح وغيره في القتال. خَبْء: مُدَّخَر. مُخَبٌّ: أرادتْ مُخبّأ، وقد سَهّلتْ الهمزة. الطَّلّ: قال ابن سِيدة: الطَّلُّ: أخفّ مِن المطر وأضعف، وقيل هو الندى (لسان العرب، ابن منظور: لَبَّ، سَلَب، خَبَأ، طَلَّ).

الزُّبير بن بكّار

روى الزُّبير بن بكّار *شعرًا يفتخر فيه أصحابه بمكانة قبائلهم بين العرب وتَحَمُّلها مسؤوليّاتها تجاه أبنائها؛ ومن ذلك ما رواه لزبَّان بن سَيّار بن عَمرو الفَزاريّ من أبيات يفتخر فيها بتأدية أبيه سيّار ابن عمرو دِيَةَ ابن النعمان بن المنذر الذي قتله الحارث بن ظالم المُرّيّ*(١)، *فقال زَبّان بن سيّار يفتخر بأبيه وقومه* [من الطويل] (٢):

أبـي حامـلُ الألـفَ الّتـي جَـرَّ حـارثٌ لمُـرَّةَ إذْ لـم يُـرْقِ عِرْقـاً رِحالُهـا

ونحـن وَدَيْنـا الجَـوْنَ مِـن جَـذْمِ كَفِّـهِ غَنـاءَ اليمـينِ زايلَتْهـا شِـمالُها

ونحـنُ حَملنـا عـن كِنانـةَ جُرْمَهـا وجُـرْمَ هِـلالٍ حـين ضـاقت نِعالُهـا

ونحـنُ إذا ضـاقت مَعَـدٌّ حُلومُهـا ونحـن إذا خَفَّـت مَعَـدّ جِبالُهـا

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٢، ١٣. زبّان بن سيّار: "كان سيّداً شاعراً ... ولم يدرك الإسلام" (كتاب جمل من أنساب الأشراف، البلاذُريّ، ١٧٨/١٣).

(٢) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٣، ١٤.**

كتاب الوحشيّات، أبو تمّام، ص: ٢٥٣: البيت الأوّل فقط:

أبـي حَمَـل الألـفَ الّـذي جرّ حـارثٌ علـى قومـه إذْ غـابَ عنـه رِحالهـا

وذكر بيتين آخرين لم يروهما الزّبير، وهما:

ولســنا كقــومٍ مُحــدِثينَ ســيادةً يُــرى مالهــا ولا يُحــسُّ فَعَالُهَــا

مســاعيهُمُ مقصــورةٌ فــي بيــوتِهِمْ ومســعاتُنا ذبيــانُ طُــرّاً عِيالُهــا

لم يُرْقِ عرقاً: من قولهم: "رَقأَ دم القاتل" أي ارتفع وسكن وانقطع، ولو لم تُؤخذ الدِّيَة لَهُريقَ دمه، ولم تُحْقَنْ الدماء في الثأر. و"أرقأ الدم" قَطَعه بالدِيَة، أو بالإصلاح بين الناس. رحالها: جمع رَحْل، وهو منزل الرجل ومسكنه، ولعلّ الشاعر أراد أنّ مال القبيلة لم يكفِ الدّية فكفاها أبوه. الجَوْن: يبدو أنّه رجل قطعت كَفّه فتحمّل قومه ديتها، ولا يُعرف من يكون. الجَذم: القطع من الأصل. غَناء اليمين: نفعها وكفايتها. زايَلَتْها: فارقتها. جُرْم كِنانة: غير معروف. جُرْم هلال: سيأتي تفسيره في الخبر التالي. ضاقَتْ نِعالها: أي أنّ القوم لبسوا نعالهم وشدّوها استعداداً للحرب، وذلك كناية عن استحكام الشرّ (انظر: لسان العرب، ابن منظور: رَقَأَ، رَحَل، جَذَمَ، غَنِيَ، زال. والجمهرة، ص: ١٣: الحواشي).

وكان زَبّان بن سيّار قد أدّى دِيَة رجلين في حرب وقعت بين بَطْنَيْن من بطون قبيلته بني فَزارة، وهما: بنو نَجْبَة وبنو عوف بن هلال بن شَمْخ بن فَزارة(١)*، فقال زبّان* [من الطّويل](٢):

سَـــائل هِـــلالاً إذ تفـــاقم أمرُهـــا ... وخـــانَتْهُمُ أحلامُهُـــمْ أيَّ مَوْئِـــلِ

وأَيَّ فَتـــىً إذْ أَحْجَـم النـاسُ عَـنْهُمُ ... وقـالوا هَلَكْنـا فاركـبِ الحُكْـمَ واعـدلِ

غـــداةَ هِـــلالٌ واقفـــونَ كـــأنَّهُمْ ... مِـن الشـرِّ والقتلَـى علـى وِرْدِ مَنْهَـلِ

قُبَيْلَـــــةٌ داءَتْ وأَثْعَـــلَ شَـــرُّها ... وأَعْيَتْ علـى الآسِـينَ فـي كـلّ مَزْحَـلِ

تَتَبَّعْتُهـا حتّـى أسَـوْتُ جروحهـا ... وجـادَتْ بمعـروفٍ مـن الحُكْـم فَيْصَـلِ

وَسِـعْنا وَسِـعْنا فـي أمـورٍ تمهَّلَـتْ ... علـى الطالـب الموتـورِ أيَّ تمهُّـلِ

نَمُـدُّ بأسـبابٍ إلـى كـلّ غايـةٍ ... طـوالٍ ذُراهـا صـعبةِ المُتنـزَّلِ

يُصَعْصِـعُ أقـوامٌ إليهـا رؤوسَـهُمْ ... ومَـن يَتَجشَّـمْها مـن القـوم يُعْمَـلِ

فلـيس الفَعَـالُ أن تَنحَّـلَ بـاطلاً ... ولكـن لـدى غُـرْمِ المِئـينَ المُعقَّـلِ

سَـعَينا لبشـرٍ يـوم ذاكَ ورهطِـهِ ... وعُـروةَ خيـرَ السَّـعْيِ لـو لـم يُبَـدَّلِ

وذي إبِـلٍ أضـحى يَعُـدُّ فُضـولَها ... بَطينـاً ولـولا سَـعْيُنا لـم يُؤَبَّـلِ

لقـد علمـوا مَسـعاتَنا فـي ابـن مالـكٍ ... وفي الجَوْن إنْ عَدُّوا وفي حرب مَعْقِلِ

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش، ص: ١٤.

(٢) **جمهرة نسب قريش، ص: ١٤، ١٥.**

مَوئل: ملجأ. مَنْهل: موضع الشُّرب. داءت: أصابها الدّاء. أثعل شرّها: تفاقم خطرها. أَعيا: أعجز. الآسون: الأطبّاء. المَزْحَل: الموضع الذي تَزحل فيه الأقدام، أي تزلّ. أَسَوْتُ: عَالَجْتُ وداويت. الموتور: الذي قُتل له قريب ولم يُدْرِكْ به ثأره. يُصَعْصِعُ: يتحرّك ويضطرب. يتجشّمها: يتكلّفها. يُعْمَل: يبلغ منه عناء العمل. تنحَّلَ باطلاً: ادّعاه لنفسه. غُرْم المِئين: يعني حَمل الديات، لأنّ دية الرجل مئة من الإبل، والمِئين جمع مئة. المُعقَّل: المشدود العِقال. بشر وعُروة: غير معروفَيْن، وكأنّهما من بني هلال بن شَمْخ بن فَزارة. بطيناً: أي ممتلئ البطن من الشّبع والغنى. والمُؤَبَّل: كثير الإبل. "ابن مالك" و"معقّل": غير معروفين. الجَوْن: سبق ذكره في الخبر السابق (لسان العرب: وَأَلَ، نَهَل، داءَ، ثَعِلَ، عَيِيَ، أسَا، زَحَل، وَتَرَ، صَعْصَع، جَشِمَ، عَمِلَ، نَحَلَ، عَقَلَ، بَطِنَ، أَبَلَ. والجمهرة، حواشي الصفحتين: ١٥، ١٦).

وهذا خارجة بن سنان بن أبي حارثة المُرّي يفخر بتأديته الألف ناقة في دماء عبس وذبيان بعد أن رهن قوسه(١)*، ويفخر أيضاً بشجاعته وبطولته وكرمه* [من البسيط] (٢):

إمّـا تَرينِـيَ لا أَهـدي إلـى سَـفَرٍ ... ولسـتُ مُهتَـدِياً إلّا معـي هـادي
فقـد صَـبَحْتُ سَـوامَ الحـيّ مُشـعَلَةً ... رَهْـواً تُطـالَعُ مِـن غَيْـبٍ وأَجمـادِ
وقـد يَسَـرْتُ إذا مـا الشَّـوْلُ رَوَّحَهـا ... بَـرْدُ العَشِـيّ بشَـفّانٍ وصُـرّادِ
وقـد حَمَلْـتُ ولـم أَجْـرُرْ علـى أحـدٍ ... شَـأْوَ العَشـيرةِ والأَكفـاءُ شُـهّادي
قـد يعلـم القـوم إذْ خَفَّـتْ حقـائبهُمْ ... وأرملـوا الـزادَ أنّـي مُنْفِـدٌ زادي
ولسـتُ غاشـيَ أخـلاق أُسَـبُّ بهـا ... حتّـى يـؤوبَ مـن القبـر ابـن مَيَّـادِ

وقال أبو زَمْعَةَ الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى يفتخر بشجاعته وشجاعة قومه بني أسد [من الوافر](٣):

سـيكفيني الوليـدُ أبـا لُبَيْـدٍ ... ويكفـي بَكْـرُه عـوفَ بـن دَهْـرِ
وأَكفـي غيـر مُكْتَـرِثٍ سُـهَيْلاً ... ويكفـي بـاطلي سَـهْلَ بـن عمـروِ
ألَـمْ تـرَ أنّنـا مِـن ذي قِـذافٍ ... نَسِـيلُ كأنّنـا دُفّـاعُ بَحْـرِ
ونَلْـبَسُ للعَـدُوّ جُلـودَ أُسْـدٍ ... إذا نَلقـاهُمُ وجُلـودَ نُمْـرِ

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش، ص: ٢٨.

(٢) **جمهرة نسب قريش، ص: ٢٩، ٣٠.**

صَبَحْتُهُ: أتيته صباحاً. السَّوام: الإبل الراعية، وكلّ إبِل تُرسَل تُرعى ولا تُعلف في الأصل. "غارة مُشْعَلة وكتيبة مُشْعَلة": مَبثوثة متفرّقة، صفة للخيل. رَهْواً: صفة للخيل أيضاً، يعني سِراعاً يتبع بعضها بعضاً. الغَيب: ما اطمأنّ من الأرض وهبط. الأجماد: جمع جُمُد (بضمّتين)، وهي أَكَمة مُسْتَديرة ليست بطويلة في السماء، تكون غليظة، تَغلظ مرّة وتَلين أخرى، تُنْبِت الشجر. يَسَر: إذا جاء بقدحه للقمار، وهو الميسر. الشَّوْل من النّوق: التي نقصت ألبانها، فلم يبق في ضروعها إلّا شَوْل من اللّبن، أي بقيّة. الشَّفّان: الريح الباردة مع المطر. الصُّرّاد: الريح الباردة مع ندى. الشَّأْو: في الأصل ما يُلقيه العَيْر والأتان من أرواثها، وهو هنا بمعنى الفساد. أرمل القوم: نَفِدُ زادهم، وأرملوه: أنفدوه. غَشَا: غَطَّى (من الغِشاء، وهو الغطاء). ابن مَيّاد: غير معروف، ولعلّه ممّن فُقِدَ فضُرِبَ به المثل في الانقطاع، كقولهم: "إذا القارظ العَنزيّ آبا" (انظر: لسان العرب، ابن منظور: صَبَح، سَوَمَ، شَعِلَ، رَهَا، غاب، جَمُدَ وجَمَدَ، يَسَر، شالَ، شَفَّ، صَرِدَ، شَآ، رَمَلَ، غَشَا. والجمهرة، حواشي الصفحتين: ٢٩، ٣٠).

(٣) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤٣٣، ٤٣٤.**

كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٣٤، ٤٤٣: البيت الأول فقط: "أبا لَبِيدٍ" مكان "أبا لُبَيْدٍ"، "عَوْدَ بن دَهْرِ" مكان "عَوْفَ بن دَهْرِ"، والصّواب ما جاء عند الزّبير بن بكّار وفي سائر المَراجع (جمهرة نسب قريش، ص: ٤٣٣: الحاشية). ومعجم الشعراء، المَرزُباني، ص: ٢٧٦: البيت الأول فقط، وفيه تصحيف: "بكفى" مكان "ويكفي".
أبو لُبَيد بن عَبدَة بن جابر كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهليّة (الاشتقاق، ابن دريد، ١١٤/١). وعوف بن دَهْر من بني تَيْم بن غالب، ودَهْر بن تَيْم بن غالب كانوا يداً مع بني عامر بن لؤيّ. أظنُّ أنّ الشاعر أراد بـ"بَكْرُه" خالد بن الوليد. وسُهَيل وسَهْل هما ابنا عمرو من بني عامر بن لؤيّ (كتاب نسب قريش، المصعب الزُّبيريّ، ص: ٤٤٣. وجَمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤٣٣: الحاشية). قِذاف: ما يطيق المرء حمله بيده مما يملأ كَفّه فيرمي به. الدُّفّاع: السَّيل المتدافع والموج المُتَلاطِم يركبُ بعضه بعضاً (لسان العرب، ابن منظور: قَذَف، دَفَع).

وروى الزُّبير بن بكّار قصيدة ورقة بن نوفل التي قالها يتحدّث فيها عن ذكرياته ومغامراته في أيّام شبابه مع محبوبته قُتَيلة، واصفاً رحيل محبوبته عنه وأثر ذلك في نفسه، وسعيه في سبيل وصوله إليها. ويختتم قصيدته بالحكمة والوصية بشكر الناس لحسن صنيعهم ومكافأتهم بالحمد والثناء، إذ يقول [من الكامل] (١):

رَحَلَتْ قُتيلةُ عِيرَها قبل الضُّحى ... وإخالُ أَنْ شَحَطتْ بجارتكَ النَّوى
أوَ كُلَّما رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ غُدْوَةً ... وغَدَتْ مفارِقَةً لأرضِهُمُ بَكَى
ولقد رَكِبْتُ على السَّفينِ مُلَجِّجاً ... أَذَرُ الصّديقَ وأَنتحي دارَ العِدَى
ولقد دَخَلْتُ البيتَ يُخشى أهلُه ... بعد الهُدوّ وبعدما سَقَط النَّدى
فوجَدْتُ فيه طَفْلَةً قد زُيِّنَتْ ... بالحَلْي تَحْسَبُهُ بها جَمْرَ الغَضا
فنَعِمْتُ بالاً إذْ أَتَيْتُ فِراشَها ... وسَقَطْتُ منها حينَ جِئْتُ على هوى
فَبِتِلْكَ لَذَّاتُ الشَّبابِ قَضَيْتُها ... عنّي فسائل بعضهمْ ماذا قَضى
قَدْحُ الذُّبابِ فليس يُوري قَدْحُهُ ... لا حاجةً قَضَّى ولا مالاً نَمَا
فارفعْ ضعيفكَ لا يَحُلْ بك ضَعْفُه ... يوماً فتُدْرِكَهُ العواقبُ قد نَمَا
يَجزيكَ أو يُثني عليك وإنّ مَن ... أَثنى عليك بما فعلتَ كَمَنْ جَزى

(١) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤٠٩، ٤١٠**: قال الزّبير "وقد رُوِيَ البيتان الأخيران لليهوديّ".

كتاب نسب قريش، مصعب الزّبيريّ، ص: ٢٠٨: البيتان الأخيران فقط: صدر البيت التاسع: "ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضعفه". وكتاب الوحشيّات، أبو تمّام، ص: ١١٠: البيتان الأخيران فقط مع عشرة أبيات أخرى: صدر البيت التاسع: "ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضَعْفُه"، ونسب أبو تمّام البيتين لرجل من أهل وادي القرى يهوديّ، وهو سَعْيَةُ بن غَريض اليهوديّ. وكتاب الأغاني، ٨١/٣: الأبيات بتمامها برواية مختلفة قليلاً في بعض ألفاظها عن رواية الزبير: البيت الرابع: "بعد الهدوء" مكان "بعد الهُدوّ". البيت الخامس: "حُرّةً" مكان "طَفْلَةً". البيت السابع: "فَلِتِلكَ" مكان "فبتلك". صدر البيت الثامن: "فرج الرّباب فَلَيْسَ يؤدّي فرجه". ورد على هذا النحو غير واضح في سائر نسخ الأغاني. البيت التاسع: "لا يَحُرْ" مكان "لا يَحُلْ". البيت الأخير "فَقَدْ" مكان "كَمَنْ". ونسب أبو الفرج البيتين الأخيرين لليهوديّ.
العِير: القافلة من الإبل. شَحَطَتْ: نأَت وبَعُدَت. النُّؤي: الفراق. الغُدْوَة: الصباح الباكر، وهو الوقت ما بين الفجر وطلوع الشّمس. مُلَجِّجاً: مِنْ لَجَّ القوم وألَجُّوا، إذا ركبوا اللُّجَّة، ولُجّة البحر: شدّة ظلمته وسواده. أنتحي دار العِدى: أَعتمدُ عليها وأميل إليها، قال ابن سِيدَة: الانتحاء: اعتماد الإبل في سيرها على الجانب الأيسر، ثم صار الانتحاء الميل والاعتماد في كلّ وجه. الهدوّ والهدوء واحد، أي بعد وَهْنٍ من الليل. سقوط الندى يكون في أقصى الليل. طَفْلَة: رَخصة ناعمة. الغَضا: شجر من نبات الرَّمل، وهو أحسن الحطب ناراً وأزهره. قَدْح الذُّباب: أصله مِن ضَرَب الزّناد ليوري النار، والذّباب يضرب بيديه، فكأنّه قادحُ نارٍ من زناد، وقَدْحُ الذُّباب لا يُخرِجُ ناراً، فهو باطلٌ وطَيْش، وكأنّ ورقة يقول: إنّ غيره لم يقضِ مِن أوطاره إلّا ما يقضي الذّباب بقَدْحِه، فلا يوري ناراً ولا يخرج شيئاً. يَحُلْ: من الفعل حال يحول إذا تحوّل من مكان إلى آخر. يَحُر: من: حار إلى الشيء، أي رجع إليه. نَما: ارتفع وعلا. العواقب: جمع العاقبة، وهي الخاتمة (لسان العرب: عَيَر، شحَطَ، نَأى، غَدا، لَجَّ، نَحا، هَدأ، طَفُلَ، غَضَا، قَدَح، حالَ، حارَ، نَما، عَقِبَ. والجمهرة، حواشي الصفحتين: ٤٠٩، ٤١٠).

وقال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى يفخر بنفسه [من الكامل](١):

لِمَــن الــدّيارُ غَشِــيتُهَا كــالمُهْرَقِ قَــدُمَتْ وعَهْــدُ جديــدها لــم يُخْلِــقِ

إنّـــي يَرانـــي المُوعِـــديُّ كـــأنّني في الحِصْنِ مِن نَجْرانَ أو في الأَبْلَقِ

فـــي يـــافعٍ دون السَّـــماءِ مُمَـــرَّدٍ صَـــعْبٍ تَـــزِلُّ بـــه بَنـــانُ المُرْتَقِـــي

ويصـــدُّهُمْ عنّـــي بـــأنّيَ ماجـــدٌ حَسَـــبي وأصـــدقُهُمْ إذا مـــا نَلتَقِـــي

وإذا عَفَـــوْتُ عَفَـــوْتُ عَفْـــواً بَيِّنـــاً وإذا انتَصَـرْتُ بَلَغْـتُ رَنْـقَ المُسْـتَقِي

---

(١) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزّبير بن بكّار، ص: ٤٣٠.**

غَشِيَ الدّيار: إذا جاءها. المُهْرَق: الصَّحيفة البيضاء يُكْتَبُ عليها، تُشَبَّهُ بها الصحراء المَلْساء التي لا أثر بها (فارسيّ مُعرَّب). يُخْلِق: مِن أَخْلَقَ الدهر الثوب إذا ابلاه، وخَلُقَ الثّوب خُلوقةً أي بَلِيَ. نَجْرَان: في عدّة مواضع، منها: نجران في مخاليف اليَمن من ناحية مكّة أهلها من النّصارى..، ونَجران موضع على يومين من الكوفة ومواضع أخرى. الأَبْلَق: هو حصن السَّموأل بن عادياد اليهودي، مشرف على تَيماء بين الحجاز والشّأم، ويقال له الأبلق الفَرْد. اليافِع: المشرف المرتفع من كلّ شيء. المُمَرَّد: البناء المُمَلَّس المرتفع المُطَوَّل. البَنان: الأصابع، وقيل: أطرافها، واحدتها بَنانة. المُرتقِي: الصّاعد. الماجد: الحَسَن الخُلُق السَّمْح الكريم المِعطاء. الرَّنْق: تُراب في الماء من القَذى ونحوه، ورَنِقَ بمعنى كَدِرَ. المُسْتَقِي: الذي يطلب الماء ليشربه (انظر: لسان العرب: غَشِيَ، هَرَقَ، خَلُقَ، يَفَعَ، مَرِدَ، بَنَنَ، رَقِيَ، مَجَدَ، رَنِقَ و رَنَقَ، سَقَى. ومعجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٦٦/٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٥٧/١).

وروى الـزُّبير بن بكّار قصيدة قُرَاد بن حَنَش الصارديّ يمدح بها سيّار بن عمرو بن جابر الفَزاريّ لتحمّله دِيَة ابن الملك النعمان بن المنذر الذي قتله الحارث بن ظالم المُرّي، إذ يقول [من الطويل](١):

إذا اتَّفقَ العَمْرانِ عمروُ بن جابرٍ ... وبدرُ بن عمروٍ كان ذُبيانُ تُبَّعا
وذلك أنّ الله فَضَّل مازناً ... وبدراً على ذُبيانَ بالفضل أَجْمَعا
وأَنَّهُمُ مأوى الحَمالاتِ منهمُ ... وأصبرُ إنْ عَضَّ الزّمانُ فأَوجَعَا
وأَنَّهُمُ مأوى الطَّريدِ إذا ضَوَى ... وقد راح مرعوبَ الفؤاد مُروَّعَا
هُمُ حاربوا النُّعمانَ في عَصر دَهْرِهِ ... فما اسطاعَ أن يَستَطلِعَ الحربَ مَطْلَعَا
يكلّفُهُمْ ما شَاءَ ثمّ وَفَوْا بها ... بأَلفٍ على ظَهْرِ الفَزاريّ أقرَعَا
بعَشْرِ مئينَ للملوكِ سعى بها ... ليُحمَدَ سَيَّارُ بنُ عمرو فأسرعا
أتاهُمْ بآلاف المِئينَ فأصبحتْ ... ثَناياهُ للسَّاعِينَ للمَجْدِ مَهْيَعا
إذا بادَروه المَجْدَ أربى عليهمُ ... بسَجْلَيْنِ حَتَّى استفرَغ المَجْدَ مُتْرَعا
وما رَفَدتْ سعدُ بن ذُبيانَ قومَها ... بِجَدْيٍ لها في ذلك الأمر أصْمَعَا
ولكنَّهمْ قومٌ كَفاهُمْ أخوهُمُ ... فَزارةُ شَعْبَ الأمر حين تَصدَّعا
هُمُ النازلونَ الثَّغْرَ قُدَّامَ قومِهِمْ ... يُعِدُّونَ للأعداء سَمّاً مُسَلَّعَا

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبَيْر بن بكَّار: ص: ١٨، ١٩.

كتاب المُثنّى، أبو الطَيّب اللغويّ، تحقيق وشرح عِزّ الدين التنوخيّ، دمشق، ١٩٦٠م، ص: ٥٤، ٥٥: ذكر بيتين: الأوّل وبيتاً آخر لم يَرْوِه الزّبير بن بكّار، ولم ينسبهما أبو الطيّب اللغويّ لأحد:

إذا اجتمع العَمرانِ عمروُ بن جابرٍ ... وبدرُ بن عمروٍ خِلْتَ ذُبيانَ تُبَّعا
وأَلْقَوْا مقاليد الأمور إليهمُ ... جميعاً قِمَاءً كارِهينَ وطُوَّعَا

ولسان العرب: عَمَر: ذكر البيتين السابقين لِقُراد بن حَبش الصارديّ: "إليهما" مكان "إليهم".

العَمران: ذكر أبو الطيّب اللغويّ أنّهما عمرو بن جابر وبدر ابنه (كتاب المثنّى، ص: ٥٤)، وفي لسان العرب: عَمَر: "عمرو بن جابر بن هِلال بن عَقيل بن سَمِيّ بن مازن بن فَزارة، وبدر بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عَديّ بن فَزارة"، وهو الصواب كما ذكر محمود محمّد شاكر محقّق جمهرة نسب قريش (ص: ١٨: الحاشية ١). مازن: بنو مازن بن فَزارة بن ذُبيان، وبدر: بدر بن عمرو ، أبو حذيفة بن بدر (جمهرة نسب قريش، ص: ١٩: الحاشية ١). ضَوَى إليه: طَرَقَه ولَجأ إليه (لسان العرب: ضَوَى). أراد بقوله "عَصْر دهره" زمان سلطانه وبأسه، جعل "الدهر" هو السلطان والملك، وهذا معنىً أغفلته كتب اللغة (جمهرة نسب قريش، ص: ١٩: الحاشية ٣). الأبيات ٦–٨ عند أبي الفرج الأصفهاني برواية مختلفة، قال: ويُقال لربيع بن قَعْنَب (الأغاني، ٧٨/١١). الحَمالات: جمع الحَمالَة، وهي الدِّيَة والغرامَة التي يحملها قوم عن قوم. الطَّريد: المطرود من الناس. ضَوَى: ضَوَى إلى القوم: مَال وأَوَى إليهم.

ألف أقرع: أي تامّ. مَهْيَع: طريق مَهْيَع: أي واضح واسع بَيّن وجمعه مهايع. بادروا: أسرعوا. أرْبَى: زاد. السَّجْل: الدَّلو الضَّخْمة المملوءة ماءً. مُتْرَعاً: ممتلئاً. الأَصْمَع: الصَّغير الأُذن مِن المَعْز التي أذنها كأذن الظَّبْي. تَصَدَّع: تشقَّق. مُسَلَّعا: مسموماً من السَّلَع، وهو نَبت يخرج في أول البقل لا يُذاق، إنّما هو سَمّ (لسان العرب: حَمَل، طَرَد، ضَوَى، قَرِعَ، هَيَع، بَدَر، رَبا، سَجَل، تَرِعَ، صَمَعَ، صَدَع. وتاج العروس: سَلَعَ).

وروى الزُّبير بن بكّار البيتين السادس والسابع من القصيدة السابقة رواية مختلفة، وبتقديم السابع على السادس لأرطاة بن سُهَيَّة المُرّيّ على النحو التّالي(١):

رَبَطنـا دِيـاتٍ للملـوك سَـعَى بهـا سِـنانٌ وسَـيَّار بـن عَمْـروٍ فأسْـرَعَا

ونحـن رَهَنّـا القـوس ثـم افتكَكْتُهـا بـألْفٍ علـى ظَهـرِ ابـنِ مُزْنَـةَ أقرَعَـا

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ١٣.

ورد البيتان لقُراد بن حَنَش الصارديّ – وهو شاعر جاهليّ من بني صَارِدة (خزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٥/٧) – بترتيب ولفظ مختلفين على النحو التالي:

ونحـن رَهَنَّـا القوس ثُمَّـتَ فودِيَـتْ بـألفٍ علـى ظهـر الفَـزاريّ أقرَعـا

بعشـر مئـينٍ للملـوك سـعى بهـا ليـوفِيَ سَـيَّارُ بـن عمـروٍ فأَسْـرَعا

(كتاب الأغاني، ٧٨/١١. وخِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧)، ووردا أيضاً بترتيب ولفظ مختلفين لِقُراد بن حَنَش الصارديّ في: جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزّبير بن بَكَّار، ص: ١٩:

يكلِّفُهُـمْ مـا شـاء ثـمّ وَفَـوْا بـألفٍ علـى ظهـر الفَـزاريّ أقرَعـا

بعشـر مئـينَ للملـوك سَـعى بهـا ليُحْمَـد سَـيَّارُ بـن عمـرو فأسْـرَعا

ابن مُزْنة: أراد "ابنا مُزنة"، وهمّا سَيَّار بن عمرو والحارث بن سفيان (جمهرة نسب قريش، ص: ١٣). أَقْرَعا: أراد "ألف أقرع" أي تامّ (لسان العرب، ابن منظور: قَرَع)، وقال البغداديّ: "ألف بعير، وهي دية الملوك، ورَهنه بها قوسه، فَوفى. وكان هذا قبل قوس حاجب بن زُرَارة (خِزانة الأدب، البغداديّ، ٣٧٤/٧).

وقال بشر بن أبي خازم الأسديّ يمدح بني زَبّان بن سيّار الفزَاريّين بقوله [من الطويل] (١):

مَدَحْتُ بني العَلاَّتِ من رَهْط حَلْبَسٍ ... وزَيدٍ بمثل البُرْدِ غالٍ ثوابُها

عَنَيْتُ بها الحُكّام والمجلس الذي ... له مِن مياه ابني سَمِيٍّ عِذابُها

وفي آل زَبّانِ بن سيّارَ فِتيةٌ ... يَروْنَ ثنايا المجد سَهْلاً صِعابُها

وجَدْتُ الَّذي قال الحطيئةُ فيهمُ ... تَوَارَثَهُ بعد الكهولِ شَبابُها

تَزينُ صَفاراءَ الملوكُ التي بها ... وبُنيانُ مَجْدٍ لم تُهدَّمْ قِبابُها

إذا ما ارتَقَوْا في سُلّم المجد أَصْعَدُوا ... بأَقدام عِزٍّ لا تزولُ كِعابُها

إذا مات منهمْ سَيّدٌ قام سَيّدٌ ... بِحُلَّة عَصْبٍ لم يَخُنْهُ اكتسابُها

---

(١) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٥، ٦، ١٦**. ولم ترد هذه الأبيات في ديوان بشر بن أبي خازم الأسديّ، وقال شارح الجمهرة ومحقّقها محمود محمد شاكر: "هذا الشعر الآتي لبشر بن أبي خازم الأسديّ في مدح بني زبّان بن سيّار، كما يستظهر مما سيأتي برقم :٢٢. وقد أخلّ بهذا الشعر ديوان بشر الذي طُبِعَ حديثاً، بتحقيق صديقنا الدكتور عزّة حسن، جزاه الله خيراً" (ص: ٥: الحاشية رقم ٢).

بنو العَلاّت: هم بنو الرجل الواحد من أمّهات شتّى، فإذا كانوا من أمّ واحدة وآباء شتّى فهم "بنو الأَخياف". العَلَل: الشَّرْبَة الثانية بعد شَرْبَةٍ أولى. "حَلْبَس وزيد" لم يعرف المحقّق من هما. البُرْد: ثوب فيه خطوط، وخصّ بعضهم به الوَشْي. الثَّواب: الأجر والجزاء (لسان العرب: عَلّ، بَرَد، ثاب). ابنا سَمِيّ بن خالد، وهو أبو الأهتم يعني المِنقَريّ (الاشتقاق، ابن دريد، ٢٥١/١)، ولعلّه أراد عمرو بن جابر بن هِلال بن عَقيل بن سَمِيّ بن مازن بن فَزارة (الجمهرة، ص: ٥: حا٤، ص: ١٨: حا٦) العِذَاب: جمع العَذب، وهو الماء المُستساغ والطيّب الذي لا مُلوحة فيه. الثَّنايا: جمع الثنيّة، وهي الطريق العالي في الجبل، وقيل هي العَقَبة، ومنه قولهم "طَلاّع الثنايا" إذا كان سامياً لمعالي الأمور. المَجْد: نيل الشرف، وقيل كَرم الآباء خاصّة. الكُهول: جمع الكَهْل، وهو الذي جاوز الثلاثين ووَخَطَه الشيب، وقد أراد الشاعر به الحليم العاقل (لسان العرب: عَذُبَ، ثَنى، مَجَد، كَهَل). صَفاراء: قال الزُّبير بن بكّار: هي ماء لبني سَيّار، ولم يجدها المحقّق في معاجم البلدان (الجمهرة، ص: ١٦ والحاشية ٣)، وكذلك بَحثْتُ عنها في معاجم البلدان ومعاجم اللغة فلم أجدها. القِباب: جمع القُبّة، وهي البناء من الأدَم خاصّة، والقُبَّة مِن الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. أَصْعَدَ: ارتقى مشرفاً. الكِعاب: جمع الكَعْب، وكعب الإنسان، وهو العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم (لسان العرب: قَبَّ، صَعَد، كَعَبَ)، وقوله: "لا تزول كعابها" يعني: ليس بها ضَعْف أو عيب، لا تستقرّ معه ولا تثبت، من "زال يزول زوالاً" إذا قلق فلم يستقرّ (الجمهرة، ص: ٦: الحاشية ١). الحُلّة: ثوبان إزاء ورداء، وقيل: رداء وقميص وتمامها العِمامة، والحُلّة كلّ ثوب جيّد جديد تلبسه غليظ أو دقيق، ولا يكون إلاّ ذا ثوبين، وهي مِن برود اليمن. العَصْب: برود يمانيّة مَوْشِيَّة، وقيل هي برود مُخطّطة، والعَصْب أيضاً: الفَتْل (لسان العرب: حَلَّ، عَصَبَ). ويدلّ قوله: "حُلّة عَصْب" أي أنّه مِن لباس السادة، وأهل الغنى والثراء. وقوله: "لم يَخُنْهُ اكتسابها" يعني أنّه نالها اقتداراً، فلم تَخُنْه هِمّته (الجمهرة، ص: ٦: الحاشية ٢).

و(... الَّذي قال الحطيئةُ فيهمُ) أربعة عشر بيتًا، ويمدح بها آلَ سَيّار بن عمرو الفَزاريّ [من الطويل](١):

لَهَــا أُسُّ دارٍ بالعُرَيْمَــةِ أَنْهَجَــتْ ... مَعَارِفُهـا بعـدي كمـا يُـنْهِجُ البُـرْدُ
خَلَـتْ بعـد مَغْنـى أهْلِهـا وتَأَبَّـدَتْ ... كـأنْ لـم يكـن للحاضـرينَ بهـا عَهْـدُ
كَـأنْ لـم تُـدَمِّنْهَا الحُلـولُ وفـيهمُ ... كُهــولٌ وشُــبَّانٌ غَطارِفَــةٌ مُــرْدُ
هُـمُ آلُ سَـيَّارُ بـن عَمْـرو بـن جـابرٍ ... رِجـالٌ وَفَـتْ أحلامُهُـمْ ولَهُـم جَـدُّ
إذا نَــازَعَ الأقــوامُ يومــاً قَنــاتَهُمْ ... أَبَـى لهـم المعـروفَ والحَسَـبُ العِـدُّ
فَمَـنْ كـان يرجـو أن يُسـاوِيَ سَـعْيُهُ ... لِمَسـعَاتِهِمْ قَـدَّ الأدِيـمَ كمـا قَـدُّوا
أَبُـوهُمْ وَدَى عَقْـلَ الملـوكِ فَسَـاقَها ... ومــا لَهُــمُ مِمَّــا تَكلَّفَــهُ بُــدُّ

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ١٦-١٨. الأبيات كاملة.

ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السِّكّيت، ص: ٣٢١، ٣٢٢: "وروى الزُّبير بن بكَّار في جمهرة نسب قريش وأخبارها هذه الأبيات الدّاليّة الأربعة عشر بتحقيق محمود محمّد شاكر، وقد روى ابن السِّكِّيت في رقم ٦ والسُّكّري ثلاثة أبيات هي (٨) ، (٩) ، (١٠)" (الديوان، ص: ٣٢١). ولم يرد في ديوان الحطيئة من هذه القصيدة برواية الزّبير غير أربعة أبيات هي: الخامس والحادي عشر إلى الثالث عشر، مع اختلاف في رواية الأبيات: الخامس والثاني عشر والثالث عشر كما يأتي: البيت الخامس:

أَتَــتْ آل شَــمَّاسِ بــن لَأْيٍ ... وإنَّما أتَاهمُ الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ

الثاني عشر: "وإن كانت النَّعماءُ فيهم" مكان "وإن تكن النُّعمى عليهم". الثالث عشر: "من الدهرِ" مكان "من الأمرِ".
يقول محمود شاكر شارح الجمهرة ومحقّقها: "وقصيدة الحُطيئة في ديوانه: ١٩-٢١ (ص: ١٤٠-١٤٦، الطبعة الحديثة)، وهي هناك سبعة عشر بيتًا، ليس فيها غير أربعة أبيات، من الأربعة عشر التي رواها الزُّبير، وهي البيت الخامس مع اختلاف روايته، ثمّ الحادي عشر إلى الثالث عشر. ورواية الزُّبير لم أجدها في شيء من الكتب التي بين يديّ " (جمهرة نسب قريش، ص: ١٦: الحاشية).

الأُسُّ: أصل البناء، وجمعه "الإساس". العُرَيْمَة: رملة لبني فَزارة. أنهجت: بَلِيَتْ ودَرَسَتْ. المعارف: المعالم. مَغنى أهلها: غَنِيَ القوم في ديارهم: طال مُقامُهم فيها. تأبَّدَتْ: تأبَّدَ المنزل: خلا من أهله فأَقْفَرَ وأَلِفَتْه الوحوش. دَمَّنَ القوم المكان: سَوَّدوه بما تركوا فيه من الدِّمَن، وهي آثار الناس وأبعار إبلِهم. الحلول: جمع الحالّ، وهم القوم ينزلون مكاناً يَحُلُّونه ويُقيمون فيه. غَطارِفَة: جمع غِطريف، وهو الشابّ السَّرِيّ السَّخِيّ الشريف ذو الخُيَلاء. وَفَتْ أحلامهم: تَمَّت عقولهم ورَجَحتْ. الجَدّ: الحَظّ، والمكانة والمنزلة عند الناس. قناتهم: القناة: الرُّمح، والقناة عند العرب: القامَة، ولعلّ هذا هو المعنى الذي أراده الشاعر. الحَسَب: الكرم والشرف الثابت في الآباء. العِدّ: الماء القديم الذي لا يَنْتَزِحُ ولا تنقطع مادّته، والعِدّ: الكثير، وإنّما شبَّه الحَسَب بالعِدّ وهي البئر. وقد جعل الشاعر العِدّ صفة لحسبهم القديم الذي لا ينقطع مجده. السَّعْي والمَسعاة: هي مآثر أهل الشَّرف والفضل، سمّوها "مسَاعي" لسعيهم فيها، كأنّها مكاسبهم التي عَنَوْا فيها أنفسهم. قَدَّ الأديمَ كما قَدُّوا: أي فَعَل مثل فعلهم في اكتساب الشّرف، وجَعَلَ قَدَّ الأديم – وهو الجِلْد – كناية عن ذلك. وَدَى: من الدِّيَة. و"العَقْل": الدِّيَة.=

تكلَّــفَ أثمــانَ الملــوكِ فَسَــاقَهَا ... ومـا غَـضَّ عنـه مـن سُـؤالٍ ولا زَنْـدُ

حَمَالَــةَ مــا جَــرَّتْ فَتاكَــةُ ظــالمٍ ... حَمَالَــةَ مَلْــكٍ لــم يَكُــنْ مِثْلُهــا بَعْـدُ

هُـمُ حَمَلُـوا الأَلْـفَ التــي جَـرَّ جـارِمٌ ... وَرَدُّوا جِيــادَ الخَيْـلِ ضَــاحِيةً تَعْـدُو

أولئـكَ قَـوْمٌ إنْ بَنَـوْا أَحْسَـنوا البُنَــى ... وإنْ عاهـدوا أَوفَـوْا وإن عَقَـدُوا شَـدُّوا

وإنْ تكُـنْ النُّعْمَـى علـيهم جَـزَوْا بهـا ... وإنْ أَنْعَمــوا لا كَــدَّروها ولا كَــدُّوا

وإنْ قــال مــولاهُمْ علــى جُـلِّ حــادِثٍ ... مـن الأمـر: رُدُّوا فَضْـلَ أحلامِكُـمْ رَدُّوا

أولئــكَ قَــوْمٌ لَــنْ يَسُــدَّ مكــانَهُمْ ... شَــرِيكٌ إذا عُــدَّ المَســاعي ولا وَرْدُ

=أثمان الملوك: يريد دِيَة الملوك في القَتْل، أو فديتهم في الأَسْر، يُغالون بها. وقوله: "وما غَضَّ عنه مِنْ سُؤالٍ ولا زَنْدُ"، يقول: لم يَصْرِفْه عن حمل أثقال أثمان الملوك كراهة السُّؤال في الغُرْم، ولا البُخْل. و"زَنَدَ الرَّجل" إذا بَخِل. و"زَنْدُ" معطوف على محلّ "مِن سُؤالٍ"؛ لأنّ "مِنْ" هنا زائدة، والأصل "وما غَضَّ عنه سُؤالٌ ولا زَنْدُ". الحَمالة: الدِّيَة والغَرامَة التي يحملها قوم عن قوم. والفَتاكَة مصدر كالفتك، ولم تذكره معاجم اللُّغة. و"ظالِم" لا يُدرى أيريد بني ظالم بن فَزارة بن ذُبيان، أم يريد ظالم بن جَذيمة بن يربوع بن غَيظ بن مُرّة، والد "الحارث بن ظالم المُرّيّ"؟ ضاحيةً: بارزة نهاراً جهاراً. البُنى والبِنَى وهما مَقصوران: جمع بُنْيَة وبِنْيَة. يُقال: بيت حَسَن البُنْيَة والبِنْيَة: إذا كان حَسَن البناء. يُقال: قد وَفَى بعهده وأَوْفَى. قوله "وإن عَقَدوا" أي إن عَقدوا عقد جِوار لجارٍ أحكموه. وقوله "وإنْ تَكُنْ النُّعمى عليهم جَزَوْا بها ...." أي إذا أُنْعِمَ عليهم جَزَوْا بها. يقول: إن كانت لقومهم عندهم أَيادٍ كافأوا بها، وإن كانت لهم لم يستثيبوها: لم يطلبوا ثوابها. لا كدّروها ولا كَدُّوا: أي لا يكدّرونها بالمَطْل عليه ولا بالكَدّ والإلحاح، وعبارة السُّكريّ، يقول: "إنْ أنعموا لم يَمُنُّوا ولم يكدِّروا نعمتهم بالمَنّ، ولم يَكُدُّوا المُنْعَمَ عليه بالثّواب أن يَستثيبوه. جُلّ حادث: أمر عظيم، و"على" هنا بمعنى "عِنْدَ"، يقول: وإن قال ابن عمّهم تفضَّلوا بأحلامكم عندما يحدث من جليل الأمر فَعلوا. شَرِيك ووَرْد: هما ابنا حُذَيفة بن بدر (لسان العرب: عَرِمَ، نَهِجَ، عَرَفَ، غَنِيَ، أَبِدَ، دَمِنَ، حَلَّ، غَطْرَفَ، وَفَى، جَدَّ، قَنَا، حَسُبَ، عَدَّ، سَعَى، قَدَّ، أَدَمَ، وَدَى، عَقَلَ، زَنَدَ، حَمَلَ، فَتَكَ، بَنَى، جَلَّ. وجمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٦-١٨: الحواشي، ٦. وديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السِّكِّيت، ص: ٣٢١، ٣٢٢، ٦٥، ٦٦).

وقال زهير بن أبي سلمى يمدح خارجة بن سنان بن أبي حارثة المُرّي وابن عمّه الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي، ذاكراً فضلهما في تدارك حلف عبس وذبيان لتأديتهما ديات القتلى في دماء عَبس وذُبيان(١)، وذلك [من الطويل](٢):

فَرِحْتُ بما خُبِّرْتُ عن سَيِّديكُمُ وكانوا قديماً كلُّ أمرهما يعلو

تداركتُما الأَحلافَ قد ثُلَّ عُرْشُها وذُبيانَ إذ زَلَّتْ بأقدامها النَّعْلُ

فأَصْبَحْتُما منها على خَير موطنٍ سَبيلكُما فيها إذا أَحزنوا سَهْلُ

سعَى بعدهُمْ قومٌ لكي يُدركوهمُ فلم يفعلوا ولم يُلامُوا ولَمْ يألُوا

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٢٨.

(٢) **جمهرة نسب قريش، الزُّبير بن بَكّار، ص: ٣٨.**

شرح ديوان زهير بن أبي سُلمَى، صَنعة الإمام أبي العبّاس ثعلب، ص: ١٠٩، ١١٠، ١١٤: البيت الأوّل، الشطر الثاني: "وكانا امرأَيْنِ كلُّ شأنهما يعلو". البيت الثاني: "قد" مكان "إذْ". البيت الثالث: "وإن أَحْزَنوا" مكان "إذا أَحْزَنوا". وشعر زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشَّنتمريّ، ص: ٤٠، ٤١، ٤٣: "وكانا امرأين كلُّ أمرهما يعلو". "قد" مكان "إذْ". "وإنْ أَحْزَنوا" مكان "إذا أَحْزَنوا". "ولم يُلِيموا" مكان "ولم يُلَامُوا". وبين النسختين اختلاف في خبر الأبيات؛ إذ فَسَّر ثعلب الأحلاف: عَبس وفَزارة (ص: ١٠٩)، بينما فسّرها الأعلم الشنتمريّ: أسَد وغَطَفان وطَيِّئ (ص: ٤١). وكذلك خالف ثعلب والأعلم الشَّنتمريّ الزّبير بن بكّار بأنّ الذي حَمَل الدِّيَة مع الحارث بن عوف هو هَرِم بن سِنان وليس خارجة بن سنان.

العَرْش: البيت والمنزل. ثُلَّ عرشها: هُدِم بناؤها. أَحْزَنوا: وقعوا في أمر صعب، والحَزْن: ما غَلُظَ من الأرض في ارتفاع. يألو: يُقصِّر (لسان العرب: عَرش، ثُلَّ، حَزنَ، أَلاَ). "يريد لمَّا سَعَيْتُما في الصُّلح وحَمَلْتُما الحَمالة أصبحتما من الحرب على خير موطن لما نِلتُما من الحمد وشرف المنزلة" (شرح ديوان زهير، ص١١٠: الحاشية ٣). ويقول: "تقدَّم هؤلاء في المجد والشَّرف، وسعى على آثارهم قوم آخرون لكي يدركوهم وينالوا منزلتهم، فلم ينالوا ذلك. وقوله (ولم يُليموا) أي لم يأتوا ما يُلامون عليه، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء، لأنّها أعلى من أن تُبْلَغ، فهم معذورون في التقصير عنها، والتوقّف دونها. وهم مع ذلك "لم يألوا" أي لم يقصِّروا في السَّعْي بجميل الفعل" (شعر زهير بن أبي سلمى، ص: ٤٤. وشرح ديوان زهير، ص: ١١٤).

وقال الحارث بن ظالم المُرّيّ يمدح بني حَرْمَلَة بن الأَشْعَر [من الكامل][١]:

أبْلِغْ جَذيمةَ إن عَرَضْتَ فإنّني عَمْداً تَركتهُمُ عَبيدَ سِنانِ

لو كُنْتُ مِن رَهْط الحَرامِلِ لم أَعُدْ وبَنَيْتُ مَكْرُمةً بكلِّ مكانِ

القاتلينَ مِن المناذر سبعةً في الكهف فوقَ وسائدِ الرَّيْحانِ

ومِمَّا رواه الزّبير بن بكّار، ويدخل في باب الاقتضاء والاستنجاز، أبياتُ لَبيد بن ربيعة التي قالها في المنافرة الشهيرة التي جرت بين عامر بن الطُّفيل وعلقمة بن عُلاثة، ويطلب بها من هَرِم بن قُطبة الفزاريّ – وقد تَولَّى الحكم في هذه المنافرة – أن ينحاز إلى عامر لأنّه أقرب نسباً لِقَيْس عَيْلان من عَلْقَمة، إذ يقول [من مشطور الرَّجَز][٢]:

يا هَرِمَ ابنَ الأكرمينَ مَنْصِبَا

إنّك قد وَليتَ أمراً مُعْجَبا

فاحكم وَصوِّب رأس من تَصوَّبا

وعامرٌ خيرُهُما مُرَكَّبا

وعامرٌ أَدنى لِقَيسٍ نَسَبا

إن كُنْتَ تَقتَافُ الأَحَبَّ الأَقربَا

---

(١) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٣٦**. ولم أجد لهذه الابيات مَرْجِعاً غير الجمهرة، ولذلك فقد اجتهدتُ في التعرّف إلى مناسبة الأبيات بأخبار الحارث بن ظالم المُرّيّ الواردة في كتب الأخبار. وقومه هم بنو مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض (جمهرة النسب، ابن الكلبيّ، ١١/١).

جَذيمة: رَهْط الحارث بن ظالم (جمهرة نَسَب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٢٦). عَرَضْتَ: ظَهَرْتَ وأَشْرَفْتَ (لسان العرب، ابن منظور: عَرَض).
سِنان: أظنّ – والله أعلم – أنّه سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ، وكان سنان أبو هرم "سيّد غَطَفان وماتت أمّه وهي حامل به. وقالت: إذا أنا مِتُّ فشُقّوا بطني، فإنّ سيّد غَطَفان فيه، فلمّا ماتت شَقّوا بطنها فاستخرجوا منه سِناناً" (أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين، الأعلم الشَّنتمريّ، ٢٧٠/١، ومجمع الأمثال، الميدانيّ، ٤٢٥/١). الحَرامل: بنو حَرْمَلة بن الأشعر. المَناذر: النُّعمان بن المنذر ورَهْطه (جمهرة نسب قريش، ص: ٢٦). الرَّيحان: هو كل بَقل طيّب الريح، واحدته رَيحانة (لسان العرب، ابن منظور: رَوَحَ).

(٢) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٥٠.**

شرح ديوان لَبيد بن ربيعة العامريّ، ص: ٣٣١ (الأراجيز) مع اختلاف في ترتيب الأبيات وزيادة: "إن الذي يعلو عليها تُرتُبا". تَقْتَافُ: تَتَّبِع، من "قاف الأثر يقوفه، واقتافه" أي تَتَّبَعَهُ. التُّرْتُب والتُّرْتَب: الأمر المُقيم الثابت. (لسان العرب: قَاف، رَتَبَ).

وروى الزُّبير بن بكَّار *لزبَّان بن سيّار يمدح بني بَدْر بن عمرو... ابن فَزارة، ويهجو بطون عديّ بن فَزارة الذين تجمّعوا عليهم* [من الوافر][١]:

فَما بي يا بن شَغْثَةَ مِن جُنونٍ فأَختارَ الكُراعَ على السَّنَامِ

بأَستاهٍ تَجمَّعُ مِن عَدِيٍّ على أربابها حَمْقَى لِئامِ

وروى الزُّبير عن عمّه مصعب الزُّبيريّ أبياتَ أبي زمعة الأسود بن المُطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى، يهجو بها بني عامر بن لؤي، ويلوم أبا أُحَيْحَة سعيد بن العاص، لأنّ سعيد بن العاص "**رَهَنَ – في خبر طويل – ابنه أبان ببني عامر بن لؤيّ ليحقّق بذلك على بني أسد دم ابن أخته أبي ذيب، وهو من بني عامر. وكان أبو ذيب مع أبي أُحَيْحَة سعيد بن العاص وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العُزّى في حبس عمرو بن جفنة الغَسّاني، فمات أبو ذيب في الحبس، فجعل سعيد يحرّض على بني عامر وبني أميّة في دم أبي ذيب**"[٢]، *وفي ذلك يقول أبو زمعة الأسود بن أسد بن عبد المطّلب* [من الوافر][٣]:

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنّي سعيداً رسولاً والرسولُ من التّلاقي

بماذا قُلْتَ تَرهنُهُمْ أباناً بلا حَقٍّ لديَّ ولا حِقاقِ

فنحنُ البِيضُ أَشْبَهْنا قُصَيّاً وأَنتُمْ شِبْهُ أستاهِ الزِّقاقِ

---

(١) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزبير بن بكّار، ص: ٣١**: "وكانت بطون عَدِيّ بن فَزارة قد تجمَّعتْ على بني بدر بن عمرو... ابن فَزارة، فحالفت بنو بدر بني مازن بن فَزارة، وكان الذي شدّ لهم الحِلف على بني مازن ثَعْلَبَةُ بن سَيَّار الفَزاريّ ".

الكُرَاع: مِن الدّواب ما دون الكعب، وهو مِن ذوات الحافر ما دون الرُّسْغ، وقد يستعمل للإبل. السَّنَام: سَنام البعير والنّاقة: أعلى ظهرها. أستاه: جمع است، وهو العَجُز وحَلْقه الدُّبُر (لسان العرب: كَرِعَ، سَنِمَ، سَتِهَ).

(٢) جمهرة نسب قريش، ص: ٤٣٠، ٤٣١.

حَقَّق الأمر: أَثْبَتَهُ وصَدَّقه وأحكمه. أبو ذيب: هو هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عَبْد وَدّ من بني عامر بن لؤيّ (انظر: الجمهرة، ص: ٤٢٨: الحاشية (١). ويتّصل هذا الخبر بالخبر الذي رواه مصعب والزّبير لأبي العاص بن أميّة، وكذلك بالخبر الذي رواه مصعب الزّبيريّ لورقة بن نوفل في رثاء عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى.

(٣) **جمهرة نسب قريش، ص:٤٣٢.**

الحِقاق: المُخاصَمة. أستاه: مضى تفسيرها. الزِّقاق: جمع الزِّق، وهو السِّقاء من الجلد، وأراد بـ "أستاه الزِّقاق" قعرها (انظر: لسان العرب: حقّ، سَتِهَ، زَقّ. والجمهرة، ص: ٤٣٢: الحاشيتين ٣، ٤).

وروى الزُّبير للأعشى الكبير يهجو علقمة بن عُلاثَة ويمدح عامر بن الطُّفيل في المنافرة الّتي جَرت بينهما، ذاكراً مكانتهما في قبيلتهما بني عامر بن صَعْصَعَة [من السّريع](١):

عَلْقَمَ ما أنت إلى عامرٍ الناقضِ الأوتارَ والواترِ

سُدْتَ بني الأحوص لم تَعْدُهمْ وعامرٌ سادَ بني عامرِ

وروى الزُّبير أبيات النّابغة الذُّبيانيّ التي قالها يُحذّر بها قومه من التربُّع – الرَّعي – في وادي "أُقُر" وهو من حِمى النُّعمان بن الحارث، فإن فعلوا ذلك فإنّ النّعمان سوف يغزوهم ويسبي نساءهم، وهنا يصف النابغة نساء قومه السّبايا اللواتي ينتظِرْنَ مقدم فارسين من فرسان القبيلة هما حصن وابن سَيَّار لفكّهنّ من الأسر، وذلك [من البسيط](٢):

لا أعرِفَنْ رَبْرَباً حُوراً مَدامِعُها كأَنَّهُنَّ نِعاجٌ حول دُوَّارِ

يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جَاء عن عُرُضٍ بأوجُهٍ مُنكراتِ الرّقّ أحرارِ

يُذْرينَ دَمْعَ عُيونٍ دَمْعُها دِرَرٌ يأمُلْنَ رِحلَةَ حِصْنٍ وابنِ سَيَّارِ

---

(١) **جمهرة نسب قريش، ص: ٥١.**

ديوان الأعشى، ص: ١٩١: "لا لَسْتَ" مكان "ما أنتَ". علقمَ: منادى مبني على الضمّ على التاء المحذوفة على لغة مَن ينتظر في محل نَصْب. الأوتار: جمع الوِتْر، وهو الجناية. نقَضَ وِتْرَه: أي أخذ ثأره. الواتِر: الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء. الأحْوَص: هو جدّ علقمة. عامر: هو عامر بن صعصعة، وهو الجدّ الأكبر الذي يلتقي عنده عامر بن الطُّفيل وعَلقمة بن عُلاثَة وبقيّة الفروع الأخرى (لسان العرب: وَتَرَ، نَقضَ. وديوان الأعشى، ص: ١٩١ : الحواشي).

(٢) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ١٠، ١١.**

ديوان النابغة، ص: ٧٥، ٧٦، مع اختلاف في رواية البيت الأوّل: "كأنَّ أبكارها نِعاجُ دَوّارِ" والبيت الثالث: يُذرين دَمْعاً على الأشفار مُنْحدِراً". الرَّبْرَب: القَطيع من بقر الوحش، وقيل مِن الظِّباء، ولا واحد له. الحُور: جمع حَوْراء، والحَوَر: شدّة سواد المقلة في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد. نِعاج: إناث البقر الوحشيّ. دُوّار: مُستدار رَمْل تدور حوله الوحش (لسان العرب: رَبَبَ، حَوَر، نَعَج، دارَ). وقال محمود شاكر محقّق الجمهرة في شرح البيت الأوّل: "لا أعرِفَن: أوقع النهي على نفسه والمراد به غيره، ومثله: (لا أراك ههنا) أي لا تكن بمكان أراك فيه. فمعنى البيت: لا تكونوا بمكانٍ تُسبَى فيه نساؤكم، ويقال في التهديد والوعيد. وقوله (رَبْرَباً حُوراً مَدامِعُها) يعني سِرباً من النساء بيض الوجوه حرائر، وشَبَّهَهُنّ بالنِّعاج، وهي إناث البقر الوحشيّ، وقوله في هذه الرواية: "حول دُوّارٍ"، إنّما يعني دُوّار الرَّمْل، وهو مستدار رمل تدور حوله الوحش، تستودع أولادها رَمْلَة سَهْلة في وسطه، ثم تدور حوله وترود لتحفظه. ومن زعم أنّ "الدُوّار" ههنا الصنم الذي كان أهل الجاهليّة ينصبونه، ويجعلون موضعاً حوله يدورون به فقد أبطل" (الجمهرة، ص: ١٠، ١١: الحاشية ٤). الشَّزْر: النَّظر بمؤخَّر العين، وقيل هو النَّظر عن يمين وشمال، وأكثر ما يكون في حالة الغَضب. عن عُرُض: عن جانب، أي أنّهن لا يلتفتنَ (لسان العرب: شَزَر، عَرَض)، وهو يقول: "ترى في وجوههنّ الحُريّة وإنكار الرِّقّ الذي وَقَعْنَ فيه" (الجمهرة، ص: ١١: الحاشية ١). يُذْرِينَ: يُسْقِطْنَ ويُنْزِلْنَ، أذْرَت العين الدمع تُذريه: صَبَّتْهُ. دِرَرٌ: جمع دِرَّة، وهي ما سَفحَ من الدَّمع (لسان العرب: ذَرَى، دَرَّ)، يقول: "دمعها مَسْفُوحٌ مُتَتَابَع. وحِصْن هو ابن حُذيفة الفَزاريّ، يقول: يترقَّبْنَ مجيء حِصْن وابن سَيَّار لِيَفُكَّا إسارهُنَّ (الجمهرة، ص: ١١: الحاشية ٢).

وروى الزُّبير بن بكّار *أبيات زهير بن أبي سُلمى التي رَثَى بها أحد سادة غَطَفان، وهو سنان بن أبي حارثة المُرّيّ. وكان سِنان قد كبرت سنّه فضلَّ طريقة ولم يجده قومه*[١]*، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سُلمى يرثي سنان بن أبي حارثة، وَقيلَ إنّما يرثي بها حِصن بن حُذيفة الفَزاريّ* [من الكامل][٢]:

إنّ الرزيَّـــةَ لا رَزِيَّـــةَ مِثْلُهـــا ... مـا تبتغـي غَطَفـانُ يـومَ أضـلَّتِ

يَبغونَ خيـرَ النـاس مَسّـاً واحـداً ... عَظُمَـتْ رَزِيَّتُـــهُ الغَـداةَ وجَلَّـــتِ

إنّ الرِّكـــابَ لَتبتغـــي ذا مِـــرَّةٍ ... بِجُنـوبِ نَخْـلٍ إذا الشُّـهورُ أُهِلَّـتِ

---

(١) انظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص:٣٠. وقد ذكر الجاحظ أنّ بعض الناس زعموا أنّ سنان بن أبي حارثة كبرت سنّه حتّى خَرِفَ، فذهب على وجهه هائماً (انظر: كتاب الحيوان، ٤٩٠/٣)، وذكر الأصفهانيّ أنّ ابن الكلبيّ ذكر أنّه هام بامرأةٍ حتّى فُقِدَ فلم يُعرف له خبر، فزعمت بنو مُرّة أنّ الجِنَّ خطفته، وذكر أبو عبيدة أنّه هَرِم حتى بلغ مئة وخمسين سنة؛ فهام على وجهه خَرِفاً فضلّ، وقال أبو عبيدة: "فزعم لي شيخ من علماء بني مُرّة أنّه خرج لحاجته بالليل فأبعد، فلمّا رجع ضلّ فَهَام طول ليلته حتّى سَقَط فمات، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً" (كتاب الأغاني، ٢٣٤/١٠).

(٢) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٣٠، ٣١.**

شعر زهير بن أبي سُلمى، صنعة الأعلم الشَّنتمريّ، ص: ١٦٣: "وقيل إنّما رثى بالأبيات حِصن بن حُذيفة الفزاريّ". البيتان الأول والثالث فقط: " أُحِلَّتِ" مكان "أُهِلَّتِ". وشرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: ٣٣٤ مع اختلاف في ترتيب الأبيات وفي رواية البيت الثاني والثالث، مع زيادة بيتين آخرين:

الثاني: يَنْعَيْنَ خيرَ الناس عند شديدةٍ ... عَظُمَتْ مُصيبته هناك وجَلَّتِ

الثالث: "أحَلَّتِ" مكان "أُهِلَّتِ".

وطبقات فحول الشعراء، ابن سلّام الجمحيّ، ص: ٥٦٩: الأبيات الثلاثة مع اختلاف في ترتيب الأبيات، وفي رواية البيتين الثاني والثالث مع زيادة بيت آخر:

الثاني: يَنْعَوْنَ خير الناس عند كريهةٍ ... عَظُمَتْ مصيبتهُمْ هناك وجَلَّتِ

الثالث: "أحَلَّتِ" مكان "أُهِلَّتِ". وقد نسب ابن سلّام الأبيات إلى قُراد بن حَنَش، وهو "مِن شعراء غَطَفَان، وكان جيّد الشعر قليله. وكانت شعراء غَطفان تُغير على شعره فتأخذه وتدّعيه، منهم زهير بن أبي سُلمى، ادّعى هذه الأبيات" (طبقات فحول الشعراء، ص: ٥٦٨). إذاً يُعدُّ هذا الشعر من الشعر المضطرب.

وكتاب الحيوان، الجاحظ، ٤٩٠/٣: البيت الأوّل فقط. وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٢٣٤/١٠، مع اختلاف في ترتيب الأبيات، وفي رواية البيتين الثاني والثالث، مع زيادة بيتين آخرين.

الثاني: يَنْعَيْنَ خيرَ الناس عند شديدةٍ ... عَظُمَتْ مُصيبته هناك وجَلَّتِ

عجز البيت الثالث: "بجنوب نَجْدٍ إذا الشُّهورُ أحَلَّتِ".

ومعجم الشعراء، المرزُبانيّ، ص: ٣٢٧: البيت الأول فقط، وروايته موافقة لرواية الزُّبير، ونَسَبَهُ المرزبانيّ لقُراد بن حَنَش الصَّارديّ مِن شعراء غطفان المشهورين قليلي الشعر، قال أبو عبيدة: "كانت غَطَفان تُغير على شعره فتأخذه وتدّعيه، منهم زهير بن أبي سُلمى، ادّعى الأبيات: (البيت الأوّل). وتاريخ دمشق، ابن عساكر، م٩، ٢٤٥/١٨: الأبيات بتمامها موافقة لترتيب الزّبير بن بكّار، مع اختلاف في رواية صدر البيت الثاني: "يَنْعَوْن خير الناس مَيْتاً واحداً".

الرَّزيَّة: المصيبة. ما: في معنى الذي. تبتغي: تَطلبُ، والمعنى أنَّ الرَّزِيَّة ما تَبتغي غَطَفانُ، ويُروى: "حِينَ أَضَلَّتِ". مَسّاً واحداً: تفسيره أي أثراً حَسَناً ليس له مثيل. الغَداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس، أي الصباح الباكر. جَلَّتْ: عَظُمَتْ.

الرِّكاب: الإبل التي يُسار عليها، واحدتها راحلة، ولا واحد لها من لفظها، وأراد الشاعر بها القوم الذين خرجوا على إبلهم يطلبون سنان لمّا ضلّ. المِرَّة: القُوّة وشدّة العقل. وفلانٌ ذو مِرّة: أي ذو بأس شديد وعقل حكيم، وإنّما أراد به سِناناً. و"نَخْل": موضع بعينه. الجُنوب: النّواحي. أُهِلَّت : ظهرت وشوهد هلالها. أَحَلَّتْ: صارت حَلالاً، أي إذا دخلت الأشهر الّتي يحلّ فيها الغَزو. (لسان العرب: رَزَأَ، غَدا، جَلَّ، رَكِبَ، مَرَّ، هَلَّ، حَلَّ. وشرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: ٣٣٤).

واهتمَّ الزُّبير بن بكّار برواية الشعر الّذي يتّصل بعبادة الأصنام في الجاهليّة، إذْ روى عن عمّه مُصعَب في خبر يتّصل بأسماء بنت أبي بكر الصدّيق – رضي الله عنهما – أبياتاً لزيد بن عمرو بن نُفَيْل قالها في تَركه عبادة الأوثان وفراق دين قومه وما كان لَقِيَ منهم في ذلك[١]؛ إذ قال الزُّبير: **"وَحَدَّثني عمّي مُصعَب بن عبد الله، عن الضَحَّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: قال هشام بن عروة، عن أَبيه، عن أسماء بنت أبي بكر الصّديق أنّها قالت: قال زيد بن عمرو** [من الوافر]:

عَزَلْتُ الجِنَّ والجِنَّانَ عَنّي ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أَدينُ ولا ابنَتيْها ... ولا أُطَمَيْ بني طَسْمٍ أُديرُ
ولا غَنْماً أدِينُ وكان رَبّاً ... لنا في الدَّهْرِ إذْ حِلْمي صَغيرُ
أَرَبّاً واحداً أم ألفَ رَبٍّ ... أَدينُ إذا تُقسِّمَتْ الأمورُ
أَلَمْ تعلمْ بأنّ الله أَفنى ... رِجالاً كان شأنُهُم الفُجورُ
وأبقى آخرين ببِرِّ قومٍ ... فيربو منهمُ الطّفلُ الصغيرُ
وبَيْنا المرءُ يَعْثُرُ ثابَ يوماً ... كما يتروَّحُ الغُصْنُ المَطِيرُ"[٢]

---

(١) انظر: السيرة النبويّة، ابن هشام، ٢٤١/١. وكتاب نسب قريش، مصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٦٤. كان زيد بن عمرو بن نُفَيل من الحُنَفاء كورقة بن نوفل. وهما من الذين رفضوا عبادة الأوثان. إذ ذكر أبو حبيب أنّه كان يتحنّف – أي يتعبّد – بغار حِراء، ولا يأكل ما ذُبِحَ للأصنام، وأنّه كان نديماً لورقة بن نَوفل بن أَسَد بن عبد العُزّى (انظر: كتاب المحبَّر، ابن حبيب، ١٧١/١. والمُنَمّق في أخبار قريش، ابن حبيب، ص: ٣٦٥، ٤٢٢).

(٢) **جمهرة نسب قريش وأخبارها، الزُّبير بن بكّار، ص: ٤١٦، ٤١٧.**

كتاب نسب قريش، مُصعب الزُّبيريّ، ص: ٣٦٤، ٣٦٥: روى خمسة أبيات فقط؛ البيت الثاني، ثمّ من الرابع إلى آخر الأبيات مع اختلاف في رواية البيت الثاني: "أَدينُ" مكان "أُدِيرُ"، البيت الرابع: "تَقَسَّمت" مكان "تُقُسِّمَتْ"، وصدر البيت السابع: "رأينا المرءَ يَعثُرُ ذات يومٍ". وكتاب الأصنام، ابن الكلبيّ، ص: ٢٢: روى الثلاثة أبيات الأولى فقط، ونقلها عنه ياقوت الحمويّ في معجم البلدان، ١١٦/٤: صدر البيت الأوّل: "تركتُ اللَّاتَ والعُزّى جميعاً، عَجُز البيت الثاني: "ولا صَنَميْ بني عمروٍ أَزورُ". صدر البيت الثالث: "ولا هُبَلاً أزورُ وكان رَبّاً". والسّيرة النبويّة، ابن هشام، ٢٤١/١، ٢٤٢: روى اثني عشر بيتاً، بزيادة خمسة أبيات بروايةٍ وترتيبٍ مختلفين عن رواية الزّبير: صدر البيت الأوّل "عَزَلْتُ اللَّاتَ والعُزَّى جميعاً". عجز البيت الثاني: "ولا صَنَميْ بني عمروٍ أزورُ". صدر البيت الثالث: "ولا هُبَلاً أَدينُ وكان رَبّاً"، و"يَسيرُ" مكان "صَغيرُ". البيت الخامس:

بأنّ الله قد أفنى رِجالاً ... كثيراً كان شأنهُمُ الفُجورُ

البيت السادس: "فَيَزْبِلُ" مكان "فيربو" وهي بالمعنى ذاته. البيت السابع: "يَفْتُرُ" مكان "يَعْثَرُ". وكتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، ٨٤/٣، ٨٥: الأبيات كاملة، برواية موافقةٍ لرواية الزّبير مع اختلاف في رواية عَجُز البيت الثاني: "ولا صَنَمَي بني غَنْمٍ أَزورُ". البيت الثالث: "ولا هُبَلاً" مكان "ولا غَنْماً". البيت السابع: "النَّضِيرُ" مكان "المَطِيرُ". عَزَلْتُ: نَحيَّتُ. عنّي: عن نفسي. الجِنّان: جمع جانّ (بتشديد النون). العُزَّى: من أصنام العرب المشهورة. ابنتيها: لعلّه أراد اللّات ومَناة. الأُطُم: كل بيت مُربَّع مُسَطَّح، كأنّه بمعنى الوَثَن. طَسْم: من القبائل البائدة. غَنْم: من أصنام العرب أيضاً. ربا يربو: نما وزاد. ثابَ: رَجَع ونهض من عثرته وما أصابه من البَلاء. تروَّح الغُصْن: إذا تَفَطَّرَ بالورق قبل الشتاء من غير مطر، وذلك حين يبرد الليل، فيخرج ورقه من غير مَطَر (انظر: لسان العرب، ابن منظور: عَزَلَ، جَنَّ، أَطَمَ، رَبَا، ثابَ، رَوَحَ، مَطَرَ. وتاج العروس، الزَّبيديّ: طَسَمَ، غَنَمَ. وجمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٤١٦، ٤١٧: الحواشي).

الخاتمة

اهتمّ علماء الأنساب برواية الشعر الجاهليّ، ولكنّهم لم يَحفلوا بها بقدر ما حَفِل بها العلماء الرُّواة للشعر الجاهليّ، ولذلك قلّ اهتمامهم برواية الشعر لصالح الأنساب والأخبار؛ وذلك لأنّ غايتهم كانت إقامة الحُجّة والدليل على ما يوردونه من أنساب وأخبار. ولعلّ الفائدة العظيمة التي يمكن أنْ يجنيَها القارئ لمرويّاتهم الشعريّة هي ما تثبته هذه المرويّات من الأنساب والأخبار وما اتّصل بها من الأحداث والوقائع التي كانت تجري في حياة العرب القبليّة.

وقد تعامل علماء الأنساب مع الشعر كوثيقة تاريخيّة وأدبيّة داعمة للأخبار والأنساب، والدليل على ذلك قلّة عدد الأبيات التي استشهدوا بها في سياق ذكرهم للأخبار والأنساب، فلم يَرْووا قصائد أو مقطوعات طويلة إلاّ قليلاً كما نجد عند أبي اليقظان النسّابة وابن الكلبيّ، وإنمّا كانوا يكتفون بالاستشهاد بثلاثة أبيات وببيتين وببيت واحد وبنصف بيت في سبيل أن يذكروا معلومة نسبيّة أو خبراً من الأخبار؛ ومن هؤلاء العلماء ابن الكلبيّ الذي روى نصف بيت للمثقَّب العَبديّ، مستدلّاً بذلك على سبب تلقيبه بهذا اللَّقَب. فالشعر المرويّ عن طريق علماء الأنساب قليل إذا ما قيس بالشعر المرويّ عن طريق العلماء الرواة، ومع ذلك انفردوا برواية أبيات لشعراء لم ترد في دواوينهم. وقد نصَّ علماء الأنساب على معرفتهم بأشعار كثيرة لمن رَوَوْا لهم من شعراء، ولكنّهم لم يُثبتوها، مكتفين بالقليل منها، ومن ذلك قول ابن الكلبيّ: "فقيل في شعرٍ طويلٍ مِنْهُ" (النَّسب الكبير، ٣٨٣/٢)، ثُمَّ ذكر بيتاً واحداً.

وإن كان قد وقع التصحيف والتحريف والخلل في الوزن الشعريّ في المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب، فإنّ هذا لا يقلّل من قيمتها التاريخيّة، إذْ هي شواهد على الأنساب والأخبار. ويمكن القول إنّ الشّعر الذي رواه علماء الأنساب يعدّ مصدرًا آخر من مصادر الشعر الجاهليّ؛ فبعض الشعر الجاهليّ المرويّ عن طريق علماء الأنساب أَخَلَّتَ به دواوين الشعر كما ذكر الأستاذ محمود شاكر عندما علّق على أبيات بشر بن أبي خازم الأسديّ التي رواها الزُّبير بن بكّار بقوله: "هذا الشّعر الآتي لبشر بن أبي خازم الأسديّ في مدح بني زَبَّان بن سَيَّار... وقد أخَلَّ بهذا الشّعر ديوان بشر الذي طُبِعَ حديثًا بتحقيق صديقنا الدكتور عَزَّة حسن، جزاه الله خيرًا" (جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص: ٥: الحاشية ٢).

وقد لاحَظْتُ تشابُهًا في المرويّات الشعريّة لعلماء الأنساب خاصّةً ما اتّصل بنسب قريش مع وجود بعض الاختلاف في رواية الأبيات، وقد بَيَّنْتُ ذلك في الحواشي.

النتائج

١- يُعَدُّ اهتمام علماء الأنساب بأنساب القبائل العرب دافعاً قويّاً لهم بروايتها وحِفْظها من الضّياع والتّشتُّت، فنسب العربيّ يُمثّل وجوده وكيانه في مجتمعه؛ ولذلك فقد أُلِّفَتْ الكتب في مرحلة متأخّرة بعد أن كانت المعلومات النسبيّة والأخبار تُتناقل بطريقة المشافهة.

٢- أثّرت التحوّلات القبلية وتغيّرات خطوط الأنساب بفعل هجرة بعض القبائل وعدم استقرارها في وضع أنساب العرب تأثيراً كبيراً. وقد بذل علماء الأنساب جهوداً كبيرةً في تتبع أنساب بعض القبائل العربيّة، إذ فتح هذا الأمر أمام بعض المستشرقين باباً واسعاً للشَّكّ في أنساب بعض القبائل العربيّة خاصةً القديمة منها.

٣- كان للظروف السياسيّة والاجتماعيّة في العصر الأمويّ أثر كبير في التّحوُّلات القبليّة التي شهدتها الجزيرة العربيّة وبلاد الشّام.

٤- كان للشّعر أثر كبير في علماء الأنساب ودافعٌ عندهم للاهتمام بأنساب قبائل العرب العدنانيّة والقحطانيّة أو النّزاريّة واليمنيّة دفعاً للطّعون الّتي نالت من العرب والشكّ في أنسابهم.

٥- اهتمّ علماء الأنساب – إلى جانب اهتمامهم بالأنساب والأخبار- برواية الشّعر الجاهليّ الّذي يوثّق تلك المعلومات النسبيّة والأخبار التي ذكروها، سواءً ما ورد منها في كتب الأدب والتاريخ وغيرها، وما ورد في مُصنّفاتهم؛ ولذلك لم يحفل علماء الأنساب برواية الأَشعار لغرض أدبيّ أو لغويّ أو نحويّ كما فعل العلماء الرواة للشّعر، وإنّما كان غرضهم هو الشاهد التاريخيّ فقط على الأنساب والأخبار التي ذكروها.

٦- يُعَدُّ ما رواه علماء الأنساب من أشعار جاهليّة مصدراً من مصادر الشعر الجاهليّ، يُضاف إلى ما ذُكِرَ في الدّواوين الشعريّة وغيرها من المصادر القديمة.

التّوصيات

أوصي الباحثين بما يلي:

١- استئناف البحث في الشّعر العربيّ الَّذي رواه علماء الأنساب، وأعني بهذا الشعر الّذي قاله شعراء صدر الإسلام والعصرين الأمويّ والعبّاسيّ، لأنّ كتب الأنساب التي رَجَعتُ إليها قد ضمّت الكثير من أشعار العرب في العصور اللّاحقة للعصر الجاهليّ.

٢- إبراز القيمة التاريخيّة لهذا الشعر المجموع عن طريق علماء الأنساب، وتسليط الضّوء على التغيّرات التي طرأت على هذا الشعر المرويّ من حيث مضامينه وقيمته الفنّية أيضاً.

٣- إبراز الجانب النّقديّ في دراسة الشعر المجموع والاطّلاع على آراء رواة الأشعار وعقد مقارنة بين مناهج روايتهم للأشعار ومناهج رواية علماء الأنساب. ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا آراء المُحدَثين من الدّراسين لهذا الشّعر.

٤- التّنَبُه إلى الأَخطاء الّتي وقع فيها علماء الأنساب مِن تصحيف وتحريف وأخطاء في الوزن العَروضيّ في أثناء روايتهم للشّعر -أو وقع فيها النُّسّاخ- ثم الإشارة إلى الصّحيح منها في الحواشي، وذلك من خلال مقابلة رواية علماء الأنساب برواية غيرهم من رواة الأشعار؛ فعلماء الأنساب -كما سبق أن بيّنت- لم تكن غايتهم إلّا الشّاهد التاريخيّ للمعلومات النسبيّة والأخبار الّتي يوردونها.

الفَهارس الفنّيّة

فِهرِس الآيات الكريمة

السورة ورقمها	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأنفال (٨)	٧٥	﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ...﴾	١٠
الحُجُرات (٤٩)	١٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ... ﴾	١٠، ٤٤
الشّعراء (٢٦)	٢١٤	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	١٠
التوبة (٩)	٩٧	﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾	٢٦، ٧٩
آل عمران (٣)	١٠٣	﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	٢٦، ٤٤
التَّكاثُر (١٠٢)	١، ٢	﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴾	٤٥
القلم (٦٨)	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	١٨٦
الشُّعراء (٢٦)	١٣٧	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾	١٨٦
إبراهيم (١٤)	٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾	٢١٦
قُريش (١٠٦)	١، ٢	﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢)...﴾	٢١٦
البقرة (٢)	٢١٣	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ...﴾	٢٣٣
الرُّوم (٣٠)	٣٠	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾	٢٣٣
الزُّمَر (٣٩)	٣	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾	٢٣٣
يونس (١٠)	١٨	﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾	٢٣٣
العنكبوت (٢٩)	٦١	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...﴾	٢٣٣
النّساء (٤)	١١٧	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا...﴾	٢٣٤

النَّجْم (٥٣)	١٩–٢٢	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)﴾	٢٣٤
آل عمران (٣)	٦٧	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا ...﴾	٢٣٩
الأنفال (٨)	٣٥	﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً...﴾	٢٥٧
الدُّخان (٤٤)	٢٥–٢٨	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)﴾	٢٤٤

فِهرِس الأحاديث الشَّريفة

الحديث	الصفحة
– " خِيارهم في الجاهليّة خِيارهم في الإسلام، إذا فَقُهُوا "	٦
– " لا حِلْفَ في الإسلام .... "	٩
– " لا حِلْفَ في الإسلام، وأَيُّما حِلْفٍ كان في الجاهليّة..."....	٩
– " تَعلَّمُوا أَنسابكم تَصلُوا أرحامكم"....	١٥
– " تَعلَّمُوا من أنسابكم ما تَصِلُون به أرحامكم، ..."...	١٥ ، ١٧
– " استَعِنْ بأبي بكر، فإنّه علاّمة قريش بأنساب العرب"....	١٦ ، ١٠٥
– " الأئمّة من قُريش..."....	١٨ ، ٧٧
– " خُذُوها، فإنّ أَسْلَمَ ليسوا بأعراب، ...."....	٢٦
– " ألا لا فَضْلَ لعربيٍّ على عَجميٍّ ، ولا لِعَجميٍّ على عربيٍّ ..."...	٤٤
– " دَعُوها فإنّها مُنْتِنَة"....	٤٥
– " فلا تَرجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بَعضُكُم رقاب بعض"....	٤٥
– " قَدِّمُوا قُرَيْشًا ولا تَقَدَّموها"....	٧٦
– " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بَقِيَ منهم اثنان".....	٧٦
– " أُهْجُهُم وروح القُدُس معك، واستَعِنْ بأبي بكر...".....	١٠٥
– " إنّ روح القُدُس لا يزال يؤيّدك ما نَافَحْتَ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم"...	١٠٥
– " أنت القائل: أصبح نَهبي ونهبُ العُبَيْدِ بين الأَقرع وعُيَيْنَةَ..."....	١٠٨
– " مَنْ كَذَبَ عليَّ – قال هَمَّام أحسبه قال – متعمّدًا – فليتبوَّأْ مقعده من النّار".....	١١٠
– " حَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج"....	١١٠

فِهرِس الشِّعر

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الهمزة المكسورة				
رَوْعائها	مجزوء الكامل	نُبَيْه بن الحجاج السَّهْميّ	٣ ٦	٢١٣ ٣٥٤
نَجْلاءِ	الخفيف	عديّ بن الرَّعلاء	١	٢٣٠، ٣٢٦
الهمزة المضمومة				
إخفاءُ	الخفيف	الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُريّ	١	٢٦٢، ٣٤٣
الحياء	الوافر	أميّة بن أبي الصَّلت الثقفيّ	١	١٩٠، ٢٩٩
الباء المكسورة				
العَرَبِ	مجزوء الرَّجَز	بشّار بن بُرْد	٩	٧٨ ، ٧٩
النَّسَبِ	البسيط	أبو نُواس	١	٨٥
يَغْضَبِ	الطويل	حُجيّة بن المُضَرَّب	١	١٧٥، ٣٤٦
مُحاربِ	الكامل	ثعلبة بن عامر الكلبيّ	٣	٢٢٦، ٣٠٨
بِسِلابِ	الكامل	حُصَين بن القعقاع التميميّ	٤	٢٩٤
الباء المضمومة				
جانِبُ	الطويل	الأَخنس بن شهاب التغلبيّ	١١	٣٦-٣٨
طبيبُ	الطويل	كعب بن سعد الغَنَويّ	١ ٢١	١١٩، ١٧١ ٢٨٨-٢٩٢

المُجْدِبُ	الكامل	ابن أحمر الكِنانيّ أو ضَمْرَة بن ضَمْرَة أو هَمَّام بن مُرّة أو زُرافة الباهليّ أو بعض مَذْحِج أو هُنَيّ بن أحمر أو عمرو بن الغُول	٢	١٦٥، ٢٩٦
ثَوابُها	الطويل	بشر بن أبي خازم الأَسديّ	٧	١٨٢، ١٨٣، ٣٦٧
تُغْلَبُ	الكامل	مجهول	١	٢٣٢، ٣٢٦
أَبُ	الطّويل	أوس بن حجر	١	٢٨٦
يَكْذِبُ	الكامل	ضَمْرَة بن ضَمْرَة أو هَمَّام بن مُرّة أو زُرافة الباهليّ أو بعض مَذْحِج أو هُنَيّ بن أحمر أو عمرو بن الغُول	٤	٢٩٦
مُلْهِبُ	الطّويل	حارثة بن أوس الكلبيّ	٤	٣٢١
الباء المفتوحة				
القِبابا	الوافر	الحارث بن ظالم المُرّيّ	٢	١٦٣، ٢١٧، ٣٣٣
الصِّعابا	الوافر	الحارث بن ظالم المُرّيّ	٢	٣٣٣
مَنْصِبا	مشطور الرَّجَز	لَبيد بن ربيعة العامريّ	٦	١٧٦، ٣٧١
الباء الساكنة				
كَذَبْ	مشطور الرَّجَز	صَفِيّة بنت عبد المطّلب	٥	١٥٠، ٣٥٩
التاء المكسورة				
الشَّقِراتِ	الطّويل	شَقِرَة بن الحارث بن تميم أو الحارث بن مازن	١	١٦٧، ٢٣٢، ٣٢٦

أَضَلَّتِ	الكامل	زهير بن أبي سُلمى أو قُراد بن حَنَش الصَّارديّ	٣	١٦٨، ٣٧٤
فَخَرَّتِ	الطّويل	حاتم الطائيّ	١	١٨٧، ٣٠٦
فَزَلَّتِ	الطّويل	طُفيل الغَنويّ	٢	٢٨٣
التاء المضمومة				
دُعِيتُ	الوافر	الزُّبير بن عبد المطّلب	٣	١٩٧، ٣٠٣
التاء المفتوحة				
ماتَا	مجزوء الكامل	مجهول	٢	٢٥٦، ٣٠٣
الحاء المضمومة				
السِّلاحُ	الوافر	حارثة بن أوس الكلبيّ	٢	٣٢٢
الخاء المكسورة				
بَذَّاخِ	البسيط	طَرَفة بن العبد (منسوب)	٣	١٤٦، ١٧٢
الدّال المكسورة				
مَوطودِ	البسيط	الشَّمّاخ بن ضرار الذُّبيانيّ	١	٧
فاصعدي	الكامل	بَكريّ مجهول أُمويّ	١	٦٣
أَسَدِ	البسيط	أبو نُواس	٢	٧٩
أَسَدِ	البسيط	القعقاع الطائيّ	٣	١١٦
السَّوَادِ	الوافر	دعِبل الخُزاعيّ	٤	٨٥
البِلادِ	السّريع	عَوْف بن أوس	١	١٣٥
هادي	البسيط	خارِجة بن سِنان بن ابي حارثة	١	١٥٩، ٣٦٢

سِندادِ	الكامل	الأسود بن يَعْفُر النَّهشليّ	١	١٦٤، ٢٦٧
الأَسَدِ	البسيط	ضِرار بن الخَطّاب الفِهريّ	٢	١٦٨
العُبَيْدِ	الوافر	الأعشى	٢	١٨٨، ٣٣٢
النِّجادِ	الوافر	أُمَيّة بن أبي الصَّلت الثَّقفيّ	٣	١٩٠، ١٩١، ٣٠٠
الجُعَيْدِ	الوافر	الحارث بن هَمّام الشَّيبانيّ	٢	٢٢١
الأسْدادِ	الكامل	الأسود بن يَعْفُر النَّهْشَليّ	٩	٢٤٤، ٣٤٥
إيادِ	الكامل	الأسود بن يَعْفُر النَّهْشَليّ	١	٢٤٨، ٣١٠
مَوْعِدِ	الطَّويل	دُريد بن الصِّمَّة	١	٢٦٩، ٣٣٧
مَعَدِّ	الوافر	الحَكم بن عَبْدِل	١	٦١
مَعَدِّ	الكامل	امرؤ القيس بن حُجْر	٤	٢٧٣، ٣٥٣
الأَسَدِ	البسيط	مجهول	٢	١٦٨، ٢٧٣، ٣٥٥
الفَرْصَدِ المَرْصَدِ	الكامل	ورقة بن نوفل	١ ٣	٢٧٦ ٣٥٨
الدّال المضمومة				
تَليدُ	الكامل	معاوية بن مالك بن جَعفر بن كِلاب	٣	١٢

تُبْعِدُ	الكامل	الطِّرِمَّاح بن حَكيم	١	٨١
الوَغْدُ	الطّويل	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٦	١٠٥، ١٠٦
الجُمُدُ	البسيط	أميّة بن أبي الصّلت الثَّقفيّ / أو زيد بن عمر بن نُفيل	١	١٦٧
مُجَدَّدُ	الطّويل	مُسافر بن ابي عمرو بن أميّة	٣	١٧٩، ٢٥٨، ٣٠١
جودُها	الطّويل	حاتم الطائيّ	٢	١٨٧
العِدُّ	الطّويل	الحُطَيئة	٢	١٧٧
أَحَدُ	البسيط	ورقة بن نوفل	٨	٣٥٨
البُرْدُ	الطّويل	الحُطيئة	١٤	٣٦٨، ٣٦٩
الدّال المفتوحة				
أَحَدا	مجزوء الوافر	مُسافر بن ابي عمرو بن أُميّة	٩	١٩٤، ١٩٥، ٣٥١
عَبْدَا	الوافر	الحارث بن قيس	٢	٢٠٦، ٣٣٣
الدّال الساكنة				
أَحَدْ	الرَّجَز	مجهول	١	١١٧
أَبَدْ	الرَّمَل	طَرَفَة بن العَبْد	١	١٤٧، ١٦١
الصَّمَدْ	الطّويل	هند بنت مَعْبَد بن نَضْلَة	١	١٦٧، ١٨٤،

				٣٣٨
الرّاء المكسورة				
عارِ	البسيط	سالم بن مُسافِع الجُشَميّ	١	١١
صَرْصَرِ	الكامل	مجهول إسلاميّ	٢	٤٨
الأنصارِ	الكامل	النُّعمان بن بشير الأنصاريّ	٣	٦١
تَنَزَّرِ	الرَّجَز	مجهول أُمَويّ	٢	٦٣
الفُجَّارِ	البسيط	أبو نُواس	٢	٧٩
الدَّارِ	الكامل	مجهول إسلاميّ	٢	١٠١
فِهْرِ	الطّويل	حُذافة بن غانم العدويّ	١ ٣	١٣٤، ٣٣٢ ١٧٧، ٣٥٣
النَّحْرِ	الطّويل	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	١	١٦٧، ٢٢٧، ٣٢٥
زُهْرِ	الطّويل	حُذافة بن غانم العَدَويّ	٣	١٧٧، ٣٥٣
الواترِ	السّريع	الأَعشى	٢	١٨٤، ٣٧٣
الخَصْرِ	الطّويل	امرؤ القيس بن حُجْر	١	١٩٢، ٣٣١
دَهْرِ	الوافر	أبو زَمْعَة الأسود بن المطَّلِب ابن أَسَد بن عبد العُزّى	٤ ١	١٩٨، ٣٦٢ ٣٥٢
صُغْرِ	الوافر	عَوْف بن دَهْر	٢	١٩٩،

				٣٥٢
دُوَّارِ	البسيط	النّابغة الذُّبيانيّ	٣	٢٠٤، ٣٧٣
سُتَرِهْ	المَديد	امرؤ القيس بن حُجْر	١	٢٣١، ٢٤٨، ٣٢٧
وِتْرِ	الطويل	دُريد بن الصِّمَّة	٢	٢٢٤
المُشَهَّرِ	الطّويل	عامر بن الطُّفيل	٤	٣٢٣
حِمارِ	الكامل	ابن أدهم الكلبيّ	٣	٣٣٩
عَرارِ	الكامل	النَّابغة الذُّبيانيّ	١	٣٣٩
مُسْتَنكرِ	الرَّجَز	يزيد بن سنان بن أبي حارثة المُرّيّ	١	٣٤٠
الرّاء المضمومة				
النَّصْرُ	الطّويل	أبو طالب بن عبد المطَّلب	٣	١٧٩، ٣٠١
الصَّبورُ	الوافر	زيد بن عمرو بن نُفَيل	٧ ٣	٢٤٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٧٥ ٣٤٦
تَبْصيرُ	الخفيف	عديّ بن زيد العِباديّ	٥	٢٤١، ٣٤٣
مَرائِرُهْ	الطّويل	الزُّبير بن عبد المطَّلِب	١	٢٥٨، ٣٠٤
نَكيرُ	الوافر	امرؤ القيس "قاتل الجُوع"	١	١٩٢، ٢٦٣، ٣٠٦

ذَكَرُ	البسيط	وهب بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب	٣	٣٠٢
الصُّقورُ	الوافر	مُعَوِّد الحكماء = معاوية بن بن مالك بن جعفر بن كِلاب	٣	٣٠٧
الغَمْرُ	الطويل	حُجيَّة بن المُضَرِّب	١٠	٣٢٩، ٣٣٠
الرّاء المفتوحة				
صُبَارَه	مجزوء الكامل	عمور بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائيّ	٥	٢٢٨، ٣١٧
دارا	المُتقَارَب	أبو دُؤَاد الإياديّ	١	٢٦٧، ٣١٩
يَعْمَرا	الطّويل	امرؤ القيس بن حُجْر	١	٢٦٨، ٣٤٨
الرّاء الساكنة				
الأسفارْ	الرَّجَز	مجهول جاهليّ	٢	١٩٢، ٣٣٤
بصائرْ	مجزوء الكامل	قُسّ بن ساعدة الإياديّ	٥	٢٨٣
السين المفتوحة				
سُدوسَا	الوافر	امرؤ القيس بن حُجْر	٢	١٨٠، ١٨٢، ٣٣١
الصَّاد المكسورة				
الخُصوصِ	السَّريع	عَديّ بن زيد العِباديّ	١	٢٦٧، ٣٣٤
العين المكسورة				
الأَقْرَعِ	المُتَقارَب	العبّاس بن مِرداس السُّلَمي	١	١٠٨
الأرباعِ	الكامل	الأَجدع بن مالك الهَمْدانيّ (منسوب)	١	١٦٧، ٢٢٥،

				٢٦٤، ٣٠٩
أَسماعي	السّريع	أبو قيس بن الأَسْلَت	٦	٢٢٧، ٢٣٢، ٣٢٤
تَهجاعِ	السّريع	أبو قيس بن الأَسْلَت	١	٢٣٢
المُزَعْزَعِ	الطّويل	أوس بن حَجَر	٢	٣٢٤
العين المضمومة				
جَزَعُ	المُنْسَرِح	مالك بن حَريم المُراديّ	٢	٢٣٠، ٣٢٦
تُصْرَعُ	الرَّجَز	الأقرع بن حابس التَّميميّ	١	٢٧٤، ٣٥٥
يَسَعُ	البسيط	امرأة مجهولة	٢	٣٣٥
العين المفتوحة				
مُضَيَّعَا	الطَّويل	التُّرجمان بن عمرو بن ثعلبة أو الكَلْحَبة اليَربوعيّ	١	١٦٦
أَسْرَعا	الطَّويل	أَرطاة بن سُهَيّة المُرّي أو قُراد بن حَنش الصّارديّ	٢	١٦٨، ٢٠٨، ٢٩٥، ٣٦٦
تُبَّعَا	الطَّويل	قُراد بن حَنش الصَّارديّ	١٢	٢٠٩، ٢١٠، ٣٦٥
اجتمعَا	البسيط	لَقيط بن يَعْمُر الإياديّ	٦	٢٢٣، ٢٢٤
مَعَا	البسيط	لَقيط بن يَعْمُر الإياديّ	١	٢٦٤
البَراعَة	السَّريع	صخر الغَيّ الهُذَليّ	٢	٢٩٣

جائعَا	الطّويل	أمّ حاتم الطائيّ = عِنَبَة بن عفيف بن عمرو بن عبد القيس	٤	٣٠٥
الوَجَعَا	البسيط	لقيط بن يَعْمُر الإياديّ	٥٢	٣١١-٣١٤
مُضَيَّعَا	الطّويل	كَلْحَبة اليَربوعيّ	٧	٣١٦
وُضِعَا	البسيط	لقيط بن يَعْمُر الإياديّ	٣	٣١٨
الفاء المكسورة				
مُنَافِ	الكامل	مجهول إسلاميّ	٥	١٠٢
الغَرَفِ	البسيط	أبو خِراش الهُذليّ	١	٢٣٦، ٣٤٨
العَوافي	الوافر	بَلعاء بن قيس الكِنانيّ "الشُّدَّاخ"	٣	٢٣٨، ٣١٠
الفاء المضمومة				
الشَّرَفُ	البسيط	الأَعشى	١	٤٦
عِجافُ	الكامل	مُسافر بن أبي عمرو بن أُمَيَّة	١	١٩٤، ٢٩٨
سَرَفُ	المُنْسَرِح	درهم بن زيد الأوسيّ	١	٢٣٥، ٣٤٨
القاف المكسورة				
تَلاقِ	الكامل	سلامة بن جندل السَّعديّ	٤	١٢
مُرْتَقي	الطَّويل	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٨	٤٧
العَوارقِ	الطَّويل	عمرو بن المُرادة البَلَويّ	٢	٥٦
أُمَزَّقِ	الطَّويل	الممزَّق العبديّ "شَأْس بن نَهار"	١	١٣٤، ٢٢١، ٢٦٣
صديقي	الطَّويل	أبو نُواس	٢	١٤٢
العِراقِ	الوافر	عمرو بن الأسود الكلبيّ أو مكحول	٤	١٦٦،

		ابن حارثة الكلبيّ		١٦٧، ٣٣٦
يُخْلَقِ	الكامل	وَرَقة بن نَوفل	١	٢٧٦، ٣٦٤
بالمَنْطِقِ	الكامل	مجهول	١	١٠٤
بِمُسْتَفِيقِ	الوافر	عبد الله بن جُدعان التَّيميّ	٣	٣٥٢
التَّلاقِي	الوافر	أبو زمعة الأسود بن أسد بن عبد العُزّى	٣	٣٧٢
الكاف المكسورة				
مالكِ	الطَّويل	حسّان بن ثابت	٢	٣٢
مالكِ	الطَّويل	طَرَفة بن العبد	١	١٤٧
اللام المكسورة				
يَتَبَهْدَلِ	الطَّويل	الفرزدق	٢	١٣
القَرمَلِ	الكامل	جرير	٢	٥٧
الأَسْفَلِ	الكامل	جرير	٣	٥٨
الكَلالِ	الوافر	مسكين الدّارميّ	٢	٧٣
نَوْفَلِ	المُتقارَب	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٢	١٠٦
المُعَيَّلِ	الطّويل	امرؤ القيس أو تأبَّطَ شرًّا	١	١٤٤، ١٧١
مَوْئِلِ	الطّويل	زَبّان بن سيّار الفَزاريّ	١ ١٢	١٥٩ ٣٦١
نَهْشَلِ	الطّويل	الهُذَيل التغلبيّ	٢	١٩٠، ٣٣٣
مُقاتِلِ	الطّويل	امرؤ القيس	٣	٢٠٧، ٣٣٠،

				٣٣١
الوصائِلِ	الطّويل	أبو طالب بن عبد المطَّلب	٤ ٢	١٦٣، ٢٣٧ ٣٤٧
الأراملِ	الطّويل	أبو طالب بن عبد المطَّلب	١	١٦٤
زَوَالِ	الرَّمَل	عَدِيّ بن زيد العِباديّ	٧	٢٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥
القَبائلِ	الطّويل	أبو طالب بن عبد المطَّلب	١	٢٥٧، ٣٠١
حَنْظَلِ	الطّويل	امرؤ القيس	١	٢٦٩، ٣٤٩
فانزلِ	الطّويل	مجهول	٢	٢٩٨
العُقّالِ	الخفيف	حمزة بن عبد المطَّلب	١	٣٢٠
الوَسائلِ	الطّويل	أبو طالب بن عبد المطَّلب	٢	٣٤٧
اللام المضمومة				
الفَضْلُ	الطّويل	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٤	٤٨
المُخَوَّلُ	الكامل	الفَرَزدَق	٢	٥٧
أَطولُ	الكامل	الفَرَزدَق	٣	٥٨
دَغْفَلُ	الكامل	الفَرَزدَق	٢	٧٣
تَحمِلُهْ	الرَّجَز	دَغفل النَسَّابة	٢	١٠٣
رِحالُها	الطّويل	زَبّان بن سَيَّار الفَزاريّ	١ ٤	١٥٩ ٣٦٠
يَعلو	الطّويل	زهير بن أبي سُلمى	٤	٢١٤، ٣٧٠

أَمْيَلُ	الطّويل	الشَّنْفَرى	١	٢٥٢
عُزْلُ	البسيط	الأعشى	١	٢٦٥، ٣٣٢
اللام المفتوحة				
أَرْمَلاَ	الطّويل	حاتم الطائيّ	٤	١٨٩، ٢٦٤، ٣٣٦
الميم المكسورة				
الأُرومِ	الوافر	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٢	١٠٦
حامِ	الوافر	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	٤	١٠٧
الفُراضِمِ	الطّويل	فارس مُيسان الكِنديّ	٣	١٤٥، ٢٦٦، ٢٧١، ٣١٩
حُمامِ	الكامل	امرؤ القيس	١	١٤٦، ١٦٠، ٢٦٩، ٢٧٠
خِذامِ	الكامل	امرؤ القيس	١	١٤٧، ٢٦٩، ٢٧٠
سَهْمِ	الهَزَج	عبد الله بن الزِّبَعرى	٢ ١٠ ٧	١٦٢ ٢٩٨، ٢٩٩ ٣٢٨
المُتَظَلِّمِ	الطّويل	النابغة الجَعديّ	١	٢٣٢، ٣٢٦

يَقْدُمِ	الكامل	جعفر بن أبي خَلاّس الكلبيّ	٢	٢٣٩، ٣٤٧
الظَّليمِ	الوافر	شاعر من بني الهُون بن خُزَيْمَة	١	١٧٨، ٣٤٣
سُقَامِ	الطّويل	أبو جُنْدَب الهُذَليّ	٣	٢٣٦، ٣٤٨
يَنْدَمِ	الطّويل	الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى	٤	٣٠٢
السَّنَامِ	الوافر	زَبَّان بن سِيَّار الفَزاريّ	٢	٣٧٢
الميم المضمومة				
عَلِموا	البسيط	أبو السِّمَال الأَسَديّ	٤	١٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٥٤
نَائِمُ	الطّويل	عمرو بن بَرّاقة الهَمْدانيّ	٣	٢٣٠، ٣٢٥
الميم المفتوحة				
مُتَقَسَّما	الطّويل	الحُصين بن الحُمام	١	٢٨
جُرْهُما	الكامل	حسّان بن ثابت الأنصاريّ	١	٣٢
مظلوما	الطّويل	النّابغة الذُّبيانيّ	١	١٧٥
تَميما	الكامل	النّابغة الذُّبيانيّ	٢ ٣	٢١٥ ٣٤٠
وَالاكُما	الرَّجَز	الأقرع بن حابس التميميّ	١	٢٧٤، ٣٥٥
مِيثَمَا	الطّويل	مَرْثَد الخير	١	٢٨٧
الميم السّاكنة				
الأَشَمْ	الرَّمَل	المُثقَّب العبديّ	١	٣١

رائِمْ	مجزوء الكامل	خُزَز بن لَوْذان السّدوسيّ "المُرَقِّم الذُّهليّ"	٨	١٦٦، ٢٩٦، ٢٩٧
الكَرَمْ	الطّويل	عِكْرِمَة بن هاشم بن عبد مُناف	٥	٢٠٥، ٣٠٣
كَرَمْ	الرَّمَل	مُسافر بن أبي عمرو بن أميّة	٤	٣٠٠
النون المكسورة				
للعيونِ	الوافر	المُثَقِّب العَبديّ	١	١٣٤، ٢٦٣
الجَديدانِ	البسيط	أبو قِلابَة الهُذَليّ	٢	١٤٩، ٣٥٩
سِرْحانِ	الكامل	هُزَلَة بن مُعَتِّب الأَزْديّ أو عبد الله بن عَثَمة الضَّبِّي	٢	١٦٧، ٢٠١، ٢٧١، ٣٣٧
نَفَيانِ	الطّويل	عَميرة بن جُعَل التَّغلبيّ	٢	١٧٢، ٣٤١
اثنتينِ	الوافر	زُهير بن جَناب الكلبيّ	٣	١٧٨، ٣٤٢
سِنانِ	الكامل	الحارث بن ظالم المُرّيّ	٣	٢٠٠، ٣٧١
حُسَّانِ	الطَّويل	امرؤ القيس	١	١٤٤، ١٧٢، ١٧٣
فَتَخْزُونِي	البسيط	ذو الإصبع العُدوانيّ	١	٢٨٦
أَمينِ	الكامل	وَهْب بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب	٣	٣٠١، ٣٠٢

القَطينِ	الوافر	ابن دَرْماء الكلبيّ	٣	٣١٨
ثُمانِ	الطّويل	امرؤ القيس بن حُجْر	١	٣٤١
النون المفتوحة				
يَبينا	الوافر	عمرو بن كُلثوم التَّغلبيّ	٣	١١
صَفْوَانا	البسيط	أوس بن مَغراء	١	١٣٦، ٢١٩، ٢٩٦
نِسيانا	البسيط	الزُّبَير بن بكَّار	٢	١٥١
مُبينَا	مجزوء الكامل	أبو العاصي بن أُميّة بن عبد شمس أو غيره	٤	١٦٩، ٣٥٠
أَجمعينا	الوافر	مجهول	١	٢٦٣، ٣٣٤
فارقينا	الوافر	عمرو بن مالك التَّزيديّ	١	٢٦٧، ٣٢٠
وَجَدْتمونا	الوافر	عمرو بن كُلثوم التغلبيّ	١	٢٦٨، ٣٠٩
راهِنا	الطّويل	شيخ يمنيّ مجهول	١٢	٢٨٤، ٢٨٥
مُعْلِمينَا	الوافر	أُميّة بن الأسكر الكِنانيّ	٢	٣٢٧
النون الساكنة				
المُجِدُّونْ	مجزوء الرَّمَل	عَدِيّ بن زيد العَبّاديّ	٢	٢٤٢، ٣٤٤
المَحْزونْ	الخفيف	أبو طالب بن عبد المطّلب	٤	٣٥٦
حُزونْ	الخفيف	أبو طالب بن عبد المطّلب	٢	٣٥٦
الهاء المفتوحة				
ذُراها	الوافر	أبو هُنَيّ مسروق بن معد يكرب	٣	٢٠٣، ٣٤٢

هَواها	الوافر	قَساس بن أبي شِمَر بن معد يكرب	٣	٢٠٣، ٣٤٢
أُخراها	الرَّجَز	مجهول	١	٢٣١، ٣٢٧
الياء المفتوحة				
الأتاوِيَا	الطّويل	النابغة الجَعديّ	١	٢٨
تلاقِيا	الطّويل	عبد يغوث بن وقّاص الحارثيّ	٢	٣٣٨
الألف اللّيّنة				
نَمَى	الكامل	ورَقة بن نوفل أو زهير بن جناب الكلبيّ	٢	١٦٧، ٣٥٧
النَّوى	الكامل	ورَقة بن نوفل أو زهير بن جناب الكلبيّ	١٠	٣٦٣

فِهرِس الأعلام

أ	
١- أَبان بن سعيد ين العاص	٣٥٠، ٣٧٢
٢- إبراهيم عليه السلام	١٣٨
٣- إبراهيم بن سعد	١٤٨
٤- إبراهيم بن السِّنديّ	١٣٩
٥- أبرهة الأشرم	١٣٥
٦- الأَثْرَم = أبو الحسن عليّ بن المُغيرة	١٢٨
٧- ابن الأَثير	١٢٨
٨- الأَجدَع الهَمْدانيّ	٣٠٩
٩- أحمد بن أبي خيثمة	١٤٩
١٠- أبو الأشعث أحمد بن المِقدام	١٢٦
١١- الأحوص بن جعفر بن كِلاب	١٧٧، ١٨٤، ٣٧٣
١٢- الأُحَيْمِر بن خلف	١٣
١٣- الأَخطل	٥٧، ٦٣، ١٤٩
١٤- أرطاة بن سُهيَّة المُرّيّ	١٦٨
١٥- الأَسَديّ أبو سَمَّال = سَمعان بن هُبَيْرَة	١٧٣، ٢٧٤
١٦- أَسماء بنت أَبي بكر	٣٧٥
١٧- أسماء بن دَهْر	١٣٢
١٨- إساف بن يَعْلَى (من جُرْهُم)	٢٣٦
١٩- إسماعيل عليه السَّلام	٢٧٣
٢٠- إسماعيل بن يَسار	٥٩

٢١- أبو زمعة الأسود بن المطَّلِب بن أسد بن عبد العُزّى	١٩٨، ١٩٩، ٢١٧
٢٢- الأَسود بن المُنذر	١٩٩
٢٣- الأَشهب بن عبيد الله بن كليب (من بني عامر بن صَعْصَعَة)	١٢٠
٢٤- الأَصفهانيّ	٣٩
٢٥- الأَصمعيّ	١٩، ٨٠، ٩٢، ١٢١، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٢
٢٦- أبو عبدالله بن الأعرابيّ	٢٥٠، ٢٥١
٢٧- الأعشى = مَيمون بن قيس	١٣٢
٢٨- الأقرع بن حابس التميميّ	٤١، ٢٧٤
٢٩- امرؤ القيس بن حُجر الكنديّ	١٦١، ١٧١، ٣١٧
٣٠- امرؤ القيس بن حُمام الكلبيّ	١٦٠-١٦٢، ٢٦٢، ٢٦٩
٣١- امرؤ القيس (من بني كعب بن عمرو مُزَيقياء = قاتل الجوع)	١٩٢، ٢٦٣
٣٢- امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ اللَّخْمِيّ	٣٤٥
٣٣- أميّة بن أبي الصَّلت الثقفيّ	١٥١، ١٩٠
٣٤- أميّة بن عبد شمس	٣٠٢
٣٥- أبو أميّة بن المُغيرة بن مخزوم	١٩١
٣٦- أَنس بن مالك	١٨
٣٧- أنس بن مُدركَة	٣٢٢
٣٨- أُنَيس بن جَندَل (من رجال بني عَديّ بن كعب)	٣٤٠
٣٩- الأَنصاريّ أبو زيد	٢٥٠
٤٠- أُنَيف بن مسعود بن قيس بن عتّاب بن أبي حارثة	٣١٧
٤١- أَوس بن حَجر	٣٢٣
٤٢- أوس بن خالد بن عُبيد بن أُميَّة	٢٢٧، ٣٢٥

٤٣- الأوزاعيّ	٩٢
٤٤- الإياديّ أبو دُؤاد	٣٤٦،٣٤٥
٤٥- الإياديّ كعب بن مَامة	٣٤٦،٣٤٥
٤٦- إياس بن قَبيصة الطائيّ	٣٢١،٣٢٠
ب	
١- باعث بن حُوَيص الجَديليّ الطائيّ	٣٣٠، ٢٠٦
٢- بَدر بن عمرو بن جُؤَيَّة الفَزاريّ	٣٦٧ ،٣٦٥
٣- البَرْاض الكِنانيّ	٢٩٩
٤- بسطام بن قيس	٢٩٣
٥- بشر = خوافي النّسر (من آل الحَوفزان الشّيبانيّين)	٢٩٣
٦- البغداديّ = محمّد بن أبي السَّرِيّ	١٢٦
٧- البغَوِيّ = أبو الحسن علي بن عبد العزيز	١٢٨ ،٥٥
٨- البغَوِيّ = أبو القاسم عبد الله بن محمّد	١٤٨
٩- أبو بكر بن أبي خَيثمة	١٢٥
١٠- أبو بكر بن أبي الدُّنيا	١٥١
١١- أبو بكر الصدّيق	١٠، ١٥، ١٦، ١٨، ٤١، ٤٤، ٥٦، ١٠٠- ١٠٨ ،٢٨٣، ٢٨٤
١٢- البَلاذُريّ = أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر	٦٩، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٩٥-٩٨، ١١٤
١٣- بلال بن أبي بُرْدَة	٨١، ٨٢، ١٧٠، ٢٥١
١٤- بِلال بن رَباح	٣٥٧
ت	
١- تأبّط شَرًّا	١٤٤، ١٧٢، ٢٥٢، ٢٧١
٢- أبو تمَّام	١٥٩

ث	
ثَعْلَبَة بن سَيَّار الفَزاريّ	٣٧٢
ج	
١- جابر بن أُدَد ... ابن كَهلان	٣٣١
٢- جارية بن مُرّ الثُّعَليّ	٢٠٧، ٢٠٨، ٣٣٠
٣- جَبّار بن قُرْط	١٨٨، ٣٣٢
٤- جُبير بن مُطْعِم بن عَديّ بن نوفل	٩، ١٥-١٧، ٤٢، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ١٠٠
٥- ذو جَدَن = عَلَس	٢٨٦
٦- ابن جُرَيج	٩٢
٧- جرير بن عبد الله البَجَليّ	٤١، ٢٤٢
٨- جرير بن عطيّة (الخَطفَى)	١٤، ٥٧، ٦٣، ٨٣، ١١١، ١٢، ١٤٩
٩- جَسّاس بن مُرَّة	٣٦، ١٠٣
١٠- جِعال بن جَليلة بن كعب	١٣٥
١١- جعفر البرمكيّ	٩٢
١٢- جعفر بن أبي طالب	٤٥
١٣- جعفر بن عُلْبَة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يَغوث	١٣٣
١٤- جَعْوَل (من فرسان بني كلب)	٣٤٠
١٥- الجُعَيْد بن صَبْرَة (من بني عبد القيس)	٢٢١، ٢٢٢، ٣٣٤
١٦- جَفْنَة الغَسَّانيّ	٤٧
١٧- جَنّاد بن واصل الكوفيّ	٨٠
١٨- أبو الجهم بن حُذيفة العَدَويّ	١، ١٥، ٤٢، ٤٣، ٥٤
١٩- جُوَيرية بن أسماء	١١٤، ١٥١

ح	
١- حاتم الطائيّ	١٤٣، ١٨٩، ٢٤٧، ٢٦٢
٢- حاجب بن زُرارة	١١١، ٢٠٨
٣- الحارث بن أسد بن عبد العُزّى	٢٧٣
٤- الحارث بن ثعلبة بن ناشرة (ابن حَبابة الشّاعر)	٢٦٢
٥- الحارث بن سفيان الصّارديّ	٢٠٨، ٢٩٥ ، ٣٦٦
٦- الحارث بن صَعْصَعَة بن كعب.. ابن هُذَيل = أبو قِلابة الشّاعر	٢٧٤
٧- الحارث بن ظالم المُرّيّ	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٩٥، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٧١
٨- الحارث بن عامر (من بني نوفل)	١٩٣
٩- الحارث بن عبد المَدان	١٣٣
١٠- الحارث بن عَلْقَمة بن كَلَدة (من بني عبد الدّار بن قُصيّ)	٢٥٧
١١- الحارث بن عمرو = مُحَرِّق الأَكبر	١٣، ٤٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٤٤، ٣٤١
١٢- الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المُرّيّ	٢١٣، ٢١٤، ٢٦٤، ٣٧٠
١٣- الحارث بن قيس (من بني سَهْم)	١٩٣
١٤- الحارث بن قيس (من بني كِنَانة)	٢٠٦
١٥- الحارث بن كَلَدة الثَّقَفيّ (طبيب العرب في الجاهلية)	١٣٤
١٦- حارثة بن زيد	١٨٨
١٧- حارثة بن عَديّ بن كعب بن عُلَيم (رأس الطِّين)	٢٠٦، ٣٣٣
١٨- حارثة الغِطريف	٤٧

١٩- حُبيش بن دُلَف بن الهَوْن بن ذَكوان (من بني ضَبّة بن أُدّ)	١٣٣
٢٠- الحجّاج بن يوسف الثَّقفيّ	١١٣
٢١- حُجر بن عديّ	٨٧
٢٢- حُذَالة بنت وَعْلان... ابن جُرْهُم	٢٧٣
٢٣- حُذيفة بن اليَمان	٢٢
٢٤- حرب بن أُميَّة	٤١، ١٩٣
٢٥- حَرمَلَه بن أُدَد ... ابن كَهلان	٣٣١
٢٦- الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء	١٦٢
٢٧- حُرَيث بن جَبَلة العُذريّ	١٦١
٢٨- ابن الحُرَيْز	٢٣٨
٢٩- حَريم بن نُعمان المُراديّ	٢٣٠، ٣٢٥
٣٠- حَزيمة بن طارق التغلبيّ	٣١٥
٣١- حسّان بن ثابت الأنصاريّ	١٥، ١٦، ٣٢، ٤١، ٤٨، ١٠٢، ١٠٥-١٠٧، ١٤٩، ١٥١، ١٦٢، ٢٤٧، ٢٥٠-٢٥٢، ٢٥٤
٣٢- حسّان بن عمرو (القَيْل)	١٣٨
٣٣- الحَسَن بن عليّ	٨٧
٣٤- حِصْن بن حُذَيفَة الفَزاريّ	٣٧٤
٣٥- الحُطَيْئة	٢٤٧
٣٦- حَفص بن حُذافة بن غانم	٢٧٢
٣٧- الحَكَم بن أبي العاص	١٣١
٣٨- حَكيم بن حِزام بن خويلد	١٠٠
٣٩- الحُلَيس بن عُتَيبة	٢٩٤

٤٠- حِمار بن طُوَيْلِع	١٤٤، ٢٦٦
٤١- حَمَّاد الرّاوية	٤٠، ٦٨، ٨٠-٨٢، ٨٦، ١٧٠، ٢٤٩
٤٢- حَمَّاد بن سَلمَة	٩٢
٤٣- الحُمام بن عُبَيدة	١٦٠
٤٤- أبو حَنَش	٢٠٣، ٣٤١
٤٥- أبو حنيفة	٩٢
٤٦- حَوْتكَة بن سُود	١٧٨
٤٧- حَوْشَب بن يزيد بن الحارث	١٣١
٤٨- الحَوْفزان = الحارث بن شَريك الشَيبانيّ	٢٩٣
٤٩- حُوَيطِب بن عبد العُزّى	١، ٤٢، ٤٣
خ	
١- خارجة بن سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ	٢١٣، ٢١٤، ٣٧٠
٢- خالد بن أرطأة الكلبيّ	٤١
٣- خالد بن جعفر بن كِلاب	١٦٣، ١٩٩، ٢١٧
٤- خالد بن سُدوس بن الأَصمَع النَّبهَانيّ	١٨٠، ١٨٢، ٢٠٦، ٣٣٠، ٣٣١
٥- خالد بن سَلَمة المخزوميّ	٧٥، ٨٤
٦- خالد بن عبد الله القَسريّ	٦٢، ٦٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٣
٧- خالد بن عَنَمة (الشّاعر)	٢٦٢
٨- خالد بن مالك بن رِبعيّ (من بني نَهْشَل بن دارم التَّميميّ)	١٩٠، ٣٣٣
٩- خالد بن المُضَلَّل	١٨٤، ٣٣٨
١٠- خالد بن مَعْشَر بن النّار بن الحارث من قبيلة مَذحِج اليمَنيَّة	١٩٢، ٣٣٤
١١- خالد بن الوليد (مِن بني مَخزوم)	١٠١، ٩٣، ١٩٨

١٢- خَبيَّة بنت عَكّ بن عدنان	٢٧٣
١٣- خديجة بنت خُوَيْلِد	٤٢، ٣٥٦
١٤- خِراش بن إسماعيل العِجليّ	١٢٣، ٢٦٠
١٥- خُزَز بن لَوذان	١٢٠
١٦- الخَشناء بنت وَبْرَة أخت كلب	١٣٥
١٧- خلف الأحمر أبو مُحْرِز	١٧٠، ٢٥٠-٢٥٢، ٢٥٤
١٨- خليفة بن خَيَّاط	٢١، ٩٣، ٩٥، ١١٤، ١١٥، ١٢٦، ٢٥٠
١٩- الخليل بن أحمد الفَراهيديّ	٩٦، ١٢٠، ٢٥٨
د	
١- ابن دَأْب	٨٦، ١٠١
٢- دَارَة (من بني أَسَد)	١١
٣- داوود بن هَبالة السَّليحي القُضاعيّ (اللَّثِق)	٢٢٦
٤- دريد بن الصِّمَّة	١٤١
٥- دِعبل الخُزاعيّ	١٤١
٦- دَعِيّ بن جعفر	٣٢٢
٧- دَغْفَل النَّسّابة	٤٢، ٤٤، ٥٣، ٥٥، ٧٣، ١٠٢، ١٠٤، ٢٦٩
٨- ابن الدُّمَيْنَة	١٥١
٩- أبو دَهْبَل الجُمَحيّ	١٥٢، ١٥٣
١٠- أبو دُوَاد	٣١٩
١١- الدِّينَورِيّ أبو حَنيفة	١٤٤، ١٧٢، ٢٧١
ذ	

١- ذُؤاب بن رُبَيعَة.. ابن نَصر	٣٩٣
٢- ذو الحُصَيرَيْن = عبد الملك بن عبد الإله بن حارثة (ابن سِنبِس)	٢٦٢
ر	
١- رؤبة بن العجَّاج	٢٥٣
٢- رِزاح بن ربيعة بن حَرام العُذريّ	١٧٨، ٣٤٢
٣- ذو الرُّمّة	٨٢
٤- رَبيع بن قَعْنَب	٢٠٩، ٢٧٦
٥- رَبيع بن هُبَيْرَة بن مُساحق	١٣٣
٦- رَبيعة بن كعب (خادم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)	٥٢
٧- رَوْح بن زِنباع الجُذاميّ	١١٧
٨- رَيْطة بنت سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم	١٦٣، ٢٩٨، ٣٢٨
ز	
١- الزِّبرِقان بن بدر	١٣، ٤٧
٢- الزُّبير بن بكّار	٨٩، ٩٧، ١٤٧-١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٧-١٦٩، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٥، ٢٧٧
٣- الزُّبَيريّ مُصْعَب	٦٧، ٧٧، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ١٠٩، ١٢١، ١٤٧-١٥٥، ١٦٢، ٢٥٦، ٢٧٢-٢٧٨، ٣٧٥
٤- زُرَارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظليّ التميميّ	٥٨، ٢٢٨، ٣١٧
٥- زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى	٢٧٣، ٣٥٣
٦- زهير بن أبي سُلمى	١٦٩، ١٨٩، ٣٢٣

٧- زُهَير بن عَتّاب	٢٦٥
٨- زياد بن أبي سفيان	٥٥، ٥٩، ٧٧، ٨٤، ٨٧، ١١٢، ١١٨
٩- زيد القَنا بن سِنان ... ابن كِنانة	٢٦٤
١٠- زيد بن مالك بن جُشَم	١٣٦
١١- زيد بنت مالك بن عِمّيت (من بني كَلْب)	٣٣٣
١٢- زيد بن الهَميسع	٣٣١
١٣- زينب بنت عَرْعَرَة ... ابن قُعَيْن	١٤٠
س	
١- السَّائب بن بشر الكلبيّ	١٠٩
٢- سابور بن سابور (سابور الثالث)	٢٢٢، ٢٢٣
٣- سابور بن هُرْمُز (ذو الأكتاف)	٢٢١، ٢٢٢
٤- سالم بن مُسافع بن يَربوع	١١٥
٥- سُبَيْع بن الحارث	٢٨٦
٦- سِرْحان بن مُعَتِّب ... بن عِتريف	٢٠٠، ٢٠١، ٣٣٧
٧- سَعْيَة بن غَريض اليهوديّ	٣٦٣
٨- سعد بن الضَّباب الإياديّ	٢٦٢، ٣٥٣
٩- أبو أُحَيحَة سعيد بن العاص بن أميّة	٢٥٦، ٣٥٠، ٣٧٦
١٠- سعيد بن أَبي عَروبة	٩٢
١١- سعيد بن المُسَيَّب	١٩، ٤٣، ٥٥
١٢- سفيان الثّوريّ	٩٢
١٣- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب	١٠٥، ١٠٧
١٤- أبو سفيان بن حرب	١٣٧
١٥- أبو سفيان بن العلاء	٢٥٠

١٦- سفيان بن عُيَيْنَة	١٤٨، ١٥١
١٧- السُّكّريّ أبو سعيد	١٢٦، ١٢٩، ٣٥٢
١٨- السُّكّريّ أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن	١٢٨
١٩- السَّكَن بن سَعيد	٣٠٥
٢٠- سُكينة بن الحسين	٧١
٢١- سَلمى بنت أسلم بن الحاف بن قُضاعة	١٣٥، ٢٦٤
٢٢- سَلمى الهَمْدانيّة	٢٣٠، ٣٢٥
٢٣- سَلمى بنت وائل بن عطيّة	٣٣٥
٢٤- سَلَمة بن الحارث بن عمرو	٢٠٣، ٢٦٥، ٣٤١
٢٥- سلَمة بن صُبْح بن عمرو ... ابن شُكامة	١٣٩، ٢٦٢
٢٦- سليمان بن عليّ	١٠٩، ١٠٩
٢٧- سليمان بن عبد الملك	٥٢
٢٨- سِماك بن حرب	١٢٥
٢٩- سِماك بن حَريم المراديّ	٢٣٠، ٣٢٦
٣٠- سِماك بن عَتيك بن امرئ القيس (من بني عمرو بن مالك بن الأوس)	١٣٣
٣١- سَمِيّ بن مازن بن فَزارة	١٨٢، ١٨٣
٣٢- سَمْراء أم الحارث بن عبد المطّلب	١٠٦
٣٣- سِنان بن أَبي حارثة المُرّيّ	١٥٩، ١٦٩، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٩٥، ٣٧١، ٣٧٤
٣٤- سِنان بن مالك	١٣٦
٣٥- سهل بن عمرو (من بني عامر بن لَؤَيّ)	١٩٩، ٣٦٢
٣٦- سُهَيل بن عمرو	١٩٩، ٣٦٢
٣٧- سُوَيْد (من بني عبد الله بن دارم)	٢٢٨

٣٨- سَيّار بن عمرو بن جابر الفَزاريّ	٢٠٨، ٢٠٩، ٢٩٥ ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦
ش	
١- شَأْس بن قيس بن عُبادة	١٣٠
٢- ابن الشَّاذَكُونيّ	١٤١
٣- شُرَحْبيل بن الحارث بن عمرو	١٣٥، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣٤١
٤- شُرَحْبيل بن حَسنَة	١٣٥
٥- شُرَحْبيل ابن المَلك المُنذِر بن الأَسود	٢٩٥
٦- الشَّرقيّ بن القَطاميّ = الوليد بن الحُصَين	٣٥، ٨٧، ٩٣
٧- شَريك بن حُذَيفَة بن بدر	٣٦٩
٨- شُعبة بن الحَجَّاج	١٢٠
٩- الشعبيّ	٦٤، ٧٥، ٨٧، ١٠٥
١٠- شقيقة بنت النَّخَّام بن الخَزْرَج	١٣٨
١١- أبو شَمِر بن أبرهة بن الصَبَّاح (من بني حِمْيَر)	١٣٥
١٢- الشَّنْفَرى	٢٥٢
١٣- أبو عمرو الشَّيبانيّ	١٥٢، ٢٤٩، ٢٥٢
ص	
١- أبو صالح "باذام" مولى أُمّ هانئ بنت أبي طالب	١٢٤، ٣٠٥، ٣٠٦
٢- صُبَيْرَة بن سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم	٢٥٦، ٣٠٣
٣- صُحار العبَديّ	٥٣، ٥٥
٤- صَعْصَعَة بن صُوحان	٧٥
٥- صَفيّة بنت عبد المطّلب	١٥٠
٦- صَقْعَب الحَدّاد	١٠٦

٧- ابن الصَّمّاء = يزيد بن عمرو بن قيس	١٣٠
٨- صُوفة بن مُرّ	١٣٥
ض	
١- الضحّاك بن عُثمان	١٤٨، ٣٥٧
٢- ضِرار بن عُطارد	١١١
ط	
١- أبو طالب بن عبد المطّلب	١٧٩، ٢٣٧
٢- طاهر بن الحسين	٩٢
٣- الطَّبَرِيّ أبو جعفر محمد بن جرير	٦٩، ٧٢، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١١٤، ١٢٦، ١٤٢
٤- الطِّرِمّاح بن حكيم	٦٨، ٨١
٥- طَريف بن زُمَّل (من بني مالك بن ثَعلَبة)	١٩٢، ١٩٣، ٣٣١
٦- الطُّفَيل بن مالك	٣٢٣
٧- طلحة النّدى = طَلْحَة بن عبد الله بن عوف	١٨٨
٨- الطُّوسيّ أحمد بن سليمان بن داوود	١٦٢
ظ	
١- ظالم بن جَذيمة بن يَربوع بن غَيْظ بن مُرَّة	٣٦٩
٢- ظالم بن فَزارَة بن ذُبيان	٣٦٩
ع	
١- أبو العاص بن أُميّة بن عبد شمس	١٦٩، ٣٥٠
٢- عاصم بن عمر بن قَتادة	٦٧
٣- عامر بن رَبيعة العَنزيّ	٢٢
٤- عامر بن صَعْصَعَة	٣٧٣

٥- عامر بن الطُّفَيل	١٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٤، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٧٠، ٣٧٣
٦- عامر بن مالك (مُلاعب الأسِنَّة)	١٧٦، ١٧٧، ٢٦٣، ٣٢٢
٧- عَبَّاد بن الحُصَين بن يزيد ... الحَبِط	١٣٣
٨- العَبَّاس بن عبد المطّلب	٥١، ١٠٦، ١٣٧، ١٩٣، ١٩٤
٩- العبّاس بن هشام الكلبيّ	١٢٦، ٣٠٥
١٠- عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص	١٣٧
١١- عبد الرحمن بن أبي الزِّنَّاد	٢٧٧، ٣٧٥
١٢- عبد الرحمن بن محمّد بن الأَشعث بن قيس الكِنديّ	١٠٩، ١١٣
١٣- عبد الرحمن بن مُسافع بن يَربوع	١١٥
١٤- عبد العزيز الدّاوَرديّ	١٤٨
١٥- عبد المطَّلب بن هاشم (شَيبة الحَمْد)	١٠٣
١٦- عبد الملك بن مروان	١١٣، ٢٥٦
١٧- عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم	٦٧
١٨- عبد الله بن جُدْعان التَّيميّ (حاسي الذَّهَب)	١٦٣، ١٨١، ١٩٠، ١٩١، ٢١٢، ٢١٧، ٢٩٩، ٣٥٤
١٩- عبد الله بن الزِّبَعْرى	١٦٣
٢٠- عبد الله بن الزُّبَير	٦٢، ٧٥
٢١- عبد الله بن سَوّار	٦٥
٢٢- عبدالله بن الصِّمَّة	٣٣٧
٢٣- عبد الله بن طاهر بن الحسين	٩٢

٢٤- عبد الله بن عَبَّاس	٤٣، ٤٥، ٧٥، ٩٤، ١٠٢، ١١٠، ١٢٥، ١٣٨، ٢٢٠، ٢٣٦
٢٥- عبد الله بن عبد الرحمن ... ابن الجُماهر بن الأَشعر	١٣٠، ١٣١
٢٦- عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ	٨٧
٢٧- عبد الله بن مسعود	٢٨٤
٢٨- عبد الله بن المُقَفَّع	٧٧، ٧٨
٢٩- عبد هِنْد بن لُجَم بن مَنْعَةَ (من بني إياد بن نزار)	٢٦٧، ٣٣٤
٣٠- أبو العَتاهِية	٢٥٢
٣١- أبو عُتْبَة بن عبد المطّلب (عبد العُزَّى)	١٧٧، ٣٥٣
٣٢- عُتَيْبَة بن الحارث التميميّ	٢٩٣
٣٣- عُثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى = البِطريق	١٩٨، ٢١٦، ٢١٧، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٥٥-٣٥٧، ٣٧٢
٣٤- عثمان بن طلحة (من بني عبد الدار)	١٩٣
٣٥- عثمان بن أبي العاص	١٣١
٣٦- عثمان بن عَفّان	١٥، ٤٦، ٥٥، ٩٧، ٢٥٦
٣٧- عثمان بن لبيد العُذريّ	١٤٧، ١٦١، ١٦٢
٣٨- عُدُس بن زيد	٥٨، ١٣٣
٣٩- عُدَس	١٣٣
٤٠- عَدِيّ بن حاتم الطائيّ	٢٤٧
٤١- عَدِيّ بن رِثاث الإياديّ	١١١، ١٢٣، ١٢٥، ٢٦٠
٤٢- عديّ بن الرِّقاع العامِليّ	٢٦١

٤٣- عديّ بن زهير بن جَناب	١٣١
٤٤- عَديّ بن زيد العِبَاديّ	١٤٣، ١٤٤، ١٦٤، ٢٤١، ٢٤٢
٤٥- عَديّ بن فَزارَة	٣٧٢
٤٦- عَروبَة الرَّحّال	٢٩٩
٤٧- عَرين بن زهير بن جَناب	١٣١
٤٨- عِرار (من فُرسان بني كلب)	٣٤٠
٤٩- عُشّ بن لَبيد العُذريّ	١٤٧، ١٦١
٥٠- عَقيل بن أبي طالب	١، ١٦، ١٧، ٢٣، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٥٤، ٩٤، ١٠١، ١٠٢، ١٢٣، ١٢٤، ٢٦٠
٥١- عِكرمة بن أبي جهل	١٠٢
٥٢- أبو العلاء المَعرّيّ	٧٩، ١٦٣، ١٦٦
٥٣- علاَّن الوَرّاق الشُّعوبيّ	٨٥
٥٤- عَلْقَمة بن عُلاثَة	١٣، ١٧٦، ١٨٤، ٣٧٠، ٣٧٣
٥٥- عليّ بن أَبي طالب	١٥، ٥٦، ٨٨، ٩٥، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٥، ٢٥٠، ٢٥٩
٥٦- عليّ بن عبد العزيز	١٢٨
٥٧- عُلَيم بن جَنَاب	١٣١
٥٨- عُمارة بن الوليد بن المغيرة	٢٧٢
٥٩- عمر بن الخطّاب	١٥-١٧، ٢٠، ٤٠، ٤٩، ٥٠-٥٢، ٥٤،

	٥٥، ٥٧، ١٠١، ١٣١، ١٧٧، ١٩٣، ٢١٧، ٣٢٩
٦٠- عمر بن عبد العزيز	٢٤٤، ٢٦٧
٦١- عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيّات	٣١٧
٦٢- عمرو بن الأَسْوَد الأَجداريّ الكلبيّ	٣٣٦
٦٣- عمرو بن أُميّة بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى	٢٧٣
٦٤- عمرو بن بَرّاقَة الهَمْدانيّ	٣٢٥
٦٥- عمرو بن ثَعْلَبة بن الحارث القُضاعيّ	١٣٢، ٢٢٩
٦٦- عمرو بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائيّ (الشّاعر)	١٤٦
٦٧- عمرو بن جابر بن هلال الفَزاريّ	١٨٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٣٦٥، ٣٦٧
٦٨- عمرو بن جَفْنَة الغَسّانيّ	١٩٨، ٣٥٦، ٣٥٧
٦٩- عمرو بن الحارث الشَّيبانيّ	٢٠٤
٧٠- عمرو بن العاص	٦١، ٢٧٢
٧١- عمرو بن عبد المسيح الطائيّ	٢٣١، ٢٣٢، ٣٢٦
٧٢- أبو عمرو بن العلاء	٣٩، ٤٠، ٦٨، ٨٠، ٩١، ١٢٠، ١٥٠، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥
٧٣- عمرو بن كِرْكِرَة الأعرابيّ (أبو مالك)	١٢١
٧٤- عمرو بن لُحَيّ الخُزاعيّ	١٣٦، ٢٣٥، ٢٣٩
٧٥- أبو عمرو المَدنيّ	١١٤
٧٦- عمرو بن المُرادة البلَويّ	١٢٤
٧٧- عمرو بن مسعود	١٨٤، ٣٣٨

٧٨- عمرو بن مُسْلِم	٦٣
٧٩- عمرو بن هَمْدان	٣٣، ٣٤
٨٠- عمرو بن هِند (المُحَرِّق الأَصغر) = عمرو بن المنذر بن ماء السّماء	١٣، ٤٧، ١٤٦، ١٧٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٤، ٢٩٤، ٣١٧ ، ٣٤٥
٨١- عَميرة بن أوس بن ثعلبة (المَلِك) / من بني الخَزرج بن زيد اللَّات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب	٢٦٣، ٣٣٤
٨٢- عِنَبَة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس	٣٠٥
٨٣- العَوّام بن خُوَيلد بن أَسد بن عبد العُزَّى	٣٥٩
٨٤- عَوانة بن الحكم الكلبيّ	٧٠، ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٢٣، ١٢٦
٨٥- عَوْف بن مُحَلِّم	١٠٣
٨٦- عَوف بن دَهر (من بني تَيم بن غالب)	٣٦٢
٨٧- العَيَّار (رجل من بني عامر الكَلْبيّين)	٣٣٩
غ	
١- غالب بن صَعْصَعة	١١١
٢- غُرَيْقَة بن مُسافع العبسيّ	١١٩
٣- أبو الغول الطُّهَوِيّ	١٢٠
ف	
١- الفاكه بن المُغيرة المخزوميّ	١٣٧
٢- أبو فراس الأسلَميّ	٥٢
٣- الفَرَزْدَق	١٤، ٥٧، ٧٢، ٨٣، ١١١، ١١٢، ١٤٢، ١٤٩

٤- الفَزاريّ بدر بن عمرو	٢٠٩، ٢١٠
٥- الفَضْل بن يحيى البَرمكيّ	٩٢
٦- فُطَيْمة بنت حَبيب بن ثَعْلَبة	٢٦٥
ق	
١- أبو عُبيد القاسم بن سَلاَّم	٩٢
٢- قُبَيس بن الحُنَيف ... ابن كعب بن عُلَيم بن جناب	٣٣٣
٣- قَتادة بن دِعامة السَّدوسيّ	٦٥، ٧٥
٤- ابن قُتَيبة	٣٩، ٨٤، ٩٣، ٩٥، ١١٤، ١٢١، ١٧٢، ١٩٩
٥- قُتَيبة بن مسلم الباهليّ	٥٢
٦- قُتَيلَة	٣٦٣
٧- قُراد بن حَنش الصَّارِديّ	١٦٩، ٣٦٦، ٣٧٤
٨- قُرّة بن عبد الرحمن	٦٧
٩- قَساس بن أبي شَمِر بن معد يكرب	١، ٢٠٤
١٠- قُصَيّ بن كِلاب (المُجَمِّع)	٢٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٤، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٦، ٢٧٢، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٥٣
١١- أبو قِلابة الهذليّ	١٤٩، ٢٧٤
١٢- قُنْفُذ بن عُمَير بن جُدعان بن عمرو	٢٥٧، ٣٠١
١٣- أبو قيس بن الأسلَت الوائِليّ	٣٢٤
١٤- قيس بن زُهير بن جَناب	١٣١
١٥- قيس بن أبي سَخطَى بن مَعقِل	٣٣٣

١٦- قيس بن مَخْرَمة بن المطّلب بن عبد مَناف	٢٥٧
١٧- قيس بن معد يكَرِب	٢٠٢، ٢٠٣، ٣٤١
١٨- قَيْصَر	٣٥٦
ك	
١- كُثَيِّر عَزَّة	١٥١
٢- كَرِب بن صَفوان بن جَناب ... بن سعد بن زيد مَناة	١٣٦
٣- أم كُرَيز = زَرْنَب	١٤٠، ١٤٢
٤- كِسرى	٣٥، ١٤٣، ٢٥٩، ٣١٨، ٣٢٠
٥- كِسرى أَبرَويز	٣٢٠
٦- كِسرى أَنو شِروان	٣٢٠
٧- كعب بن زُهَير بن أبي سُلمى	٢٠٢
٨- كعب بن مالك الأنصاريّ	١٤٩
٩- أَبو سُحَيم الكِلابي	٣٠٥
١٠- الكلبيّ أبو النَّضْر محمّد بن السَّائب	٣٥، ٥٥، ٧٢، ٧٤، ٨٦، ٨٩، ٩٤، ١٢٣، ١٣٨، ٢٨٦
١١- الكلبيّ أبو المُنذر هشام بن محمّد بن السّائب	٨، ٢٢، ٤٣، ٩٠، ٩١، ٩٤، ١١٨، ١٢٢، ١٤٦، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٧٤
١٢- الكُمَيت بن زيد الأَسَديّ	٦٣
١٣- أَبو الكِناس الكِنديّ	١١١، ١٢٣، ١٢٥، ٢٦٠

١٤- الكَوَّاء = عمرو بن النُّعمان بن ظالم بن مالك	١٣٤
ل	
١- لَبيد بن رَبيعة العامريّ	١٧٦، ٢٤٧، ٣٢٢
٢- أبو لُبَيْد بن عَبْدَة بن جابر	٣٥٢، ٣٦٢
٣- ابن لسان الحُمَّرة = وَرقاء الأَشْعَر	٥٦، ٧٤
٤- ابن لَهيعة	٩٢
٥- اللَّيث بن سَعْد	٩٢
م	
١- المأمون	٨٥
٢- مؤرِّج بن عمرو السّدوسيّ	٢٢، ٥١، ٦٣، ٨٩، ٩٣، ٩٦، ١٢٠-١٢٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ٢٥٥-٢٥٨
٣- ابن ماجَه	١٤٨، ١٥١
٤- مازن بن قَنان ... ابن كِنانة	٢٦٤
٥- مالك بن أَنَس	٩٢
٦- مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة	١٧٦
٧- مالك بن حَريم	٢٣٠
٨- مالك بن زيد بن مَناة	١٣
٩- ابن المُبارَك	٩٢
١٠- المُثقَّب العبديّ – عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة	٢٢١، ٢٦٣
١١- مُجَالد بن سعيد الهَمْدانيّ	٨٦، ١٢٣
١٢- مُجَاهد بن جبر المَكّيّ	١٢٣
١٣- المجنون = قَيس بن المُلَوَّح	١٥١

١٤- المجنون = قَيس بن ذَريح	١٥١
١٥- محمّد بن إسحق	٦٧
١٦- محمّد بن حَبيب البغداديّ	٩٥
١٧- محمّد بن سَعْد (كاتب الواقِديّ)	١٢٦
١٨- محمّد بن سعيد بن المُسَيَّب	١٩
١٩- محمّد بن شِهاب الزُّهريّ	١٩، ٧٥، ٦٦، ٦٧، ٩٦، ٩٨، ٢٥٥
٢٠- مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطّلب عليه الصلاة والسَّلام	٨٣، ٨٨، ٩٣، ١١٤، ٢٣٧، ٢٨٤، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٥٩
٢١- المختار بن أبي عُبَيد الثَّقفيّ	٧١، ٢٤٧
٢٢- مَخْرَمة بن نَوفل	١، ١٧، ٥٠، ١٥٧
٢٣- أبو مِخْنَف = لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخنف الأَزْديّ	٦٩، ٧١، ٧٢، ٨٧، ٨٩-٩١، ٩٨، ١٢٣، ١٢٥، ٢٦٠
٢٤- المدائنيّ أبو الحسن عليّ بن محمّد	٣٩، ٦٩، ٧١، ٨٢، ٨٧-٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١١٢، ٧٨، ١٥١، ٢٢٠
٢٥- مَرْثَد الخير بن يَنْكَف	٢٨٦
٢٦- مروان بن الحكم	١٣٧
٢٧- مروان بن مُحَمَّد	١١٦
٢٨- مُزَيقِياء = عمرو بن عامر	٤٧، ٢٦٣
٢٩- مُسافر بن أبي عمر بن أميّة	١٧٩، ١٩١ ، ٣٥٥
٣٠- أبو هَنِيّ مسروق بن مَعد يكَرِب	٢٠٢

٣١- مُسْهِر بن يَزيد الحارثيّ	٣٢٢
٣٢- المُسَيَّب بن عَلَس (شاعر جاهليّ)	١٣٩
٣٣- مُصعب بن الزُّبير	١٠٩
٣٤- مُطْعِم بن عَديّ بن عبد مَناف	٣٢
٣٥- المُطَّلِب بن المطَّلِب بن أبي وَداعة	١٠١
٣٦- معاذ بن جبل	٢١
٣٧- مُعاوية بن أبي سفيان	٤٣، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠-٦٢، ٦٤، ٦٥، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٨٨، ٩٤، ٩٧، ١٠٢، ١٠٩، ١١٧، ١٣١، ١٣٧، ١٤٢
٣٨- أبو عُبيدة معمر بن المُثَنَّى	١٣، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٨٣، ٩١، ٩٤، ٢٤٩
٣٩- المُغيرة بن شُعبة	٧٤
٤٠- المُفَضَّل الضّبّي	٢٥٠
٤١- مَكحول بن حارثة الكلبيّ	٣٣٦
٤٢- مِلحان بن حارثة بن سَعْد	٢٦٤، ٣٣٦
٤٣- المُمَزَّق العَبديّ = شَأْس بن نهار بن أَسْوَد	١٣٤، ٢٢١، ٢٦٣
٤٤- مُنَبِّه بن الحجَّاج السَّهميّ	١٣٣
٤٥- أبو النُّعمان المُنذر بن المُنذر	١٩٩
٤٦- المَهديّ (خليفة عبّاسيّ)	٨٦، ٩٢، ١٣٧، ١٤٢، ٢٥٠، ٢٥١
٤٧- المُهَلَّب بن ابي صُفْرَة	٦٢

٤٨- المُهَلْهِل بن ربيعة	٣٦
٤٩- موسى بن هارون	١٤٨
٥٠- إبراهيم المَوصليّ	٢٥٢
٥١- أبو يَعْلَى المَوْصليّ	١٤٨
٥٢- المُوَفَّق بالله بن المتوكِّل العَبَّاسيّ	١٥١
٥٣- ابن ميّادة	١٥١
٥٤- مِيثَم بن مَثوب بن ذي رُعَيْن	٢٨٦
٥٥- ميسون بنت بَحْدَل الكَلبيّ	٦٢
ن	
١- نائلة بنت زيد (من جُرْهُم)	٢٣٥، ٢٣٦
٢- النَّابغة الذُّبيانيّ	٣٣٩
٣- ناتِل بن قيس الجُذاميّ	١١٧
٤- نُبَيه بن الحجّاج السَّهميّ	١٣٣، ٢٧٢
٥- النَّجار بن أوس العدوانيّ	٢٦٠
٦- النَّخار بن أوس العُذريّ	١١١، ١٢٣، ١٢٤
٧- نَصْر بن سَيَّار	٦٢
٨- أبو الفَضْل نَصْر بن مُزاحم المِنقرَيّ	٨٧
٩- نُصَيحَة (رجل من بني أَسَد)	٣٣٧
١٠- النَّضْر بن شُمَيل الحِميريّ	٧٥، ٨٤
١١- النُّعمان بن بشير الأنصاريّ	٦١
١٢- النُّعمان بن الحارث	٢٠٤، ٣٧٣
١٣- النُّعمان بن مالك بن الحارث ... ابن نُشْبَة	١٣٣، ١٣٤، ٣٣٨
١٤- النُّعمان بن المنذر الأكبر (أبو قابوس)	٤٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٣٠٠، ٣٢٠، ٣٣٥،

	٣٤٣، ٣٤٤
١٥- النُّعمان بن المنذر الأصغر	٢٤٢، ٣٥٥، ٣٦٠
١٦- نُفَيع بن المُعَلَّى	٢٥٩
١٧- نُفَيل بن عبد العُزَّى	٤٠، ٤١
١٨- أبو نُواس	١١١، ١٢٠، ١٤٢
١٩- نوح عليه السّلام	٣٥٨
٢٠- نَوْفَل بن الحارث	١٠٥
٢١- نَوْفَل بن خُوَيلِد بن أَسَد بن عبدالعُزَّى	١٥٠،٣٦٠
هـ	
١- هارون الرَّشيد	٨٥، ٩٢
٢- هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى	٢٧٣، ٣٥٥
٣- هاشم بن عبد مَناف	١٩٤، ٢٩٨
٤- هاشم بن المُغيرة = أبو عبد مَناف	٣٢٨
٥- هانئ بن ابي شَمِر بن جَبلَة	١٣٠
٦- هُبَيْرَة بن أبي وَهْب	١٩
٧- هُدَيْد بن ظالم	٢٦٦
٨- الهُذَيل المازنيّ	١١٦
٩- هَرِم بن سِنان	١٨٩، ٢١٤، ٢٠٠، ٣٧٠
١٠- هَرِم بن قُطْبَة الفَزاريّ	١٧٦، ١٧٧، ٣٧٠
١١- ابن هَرِمَة	١٥١
١٢- هُزَلَة بن مُعَتِّب ... ابن عِتريف	١٦٧
١٣- أبو ذيب هشام بن شعبة ... ابن عبدوَدّ (من بني عامر بن لُؤيّ)	١٩٨، ٣٥٠، ٣٧٢

١٤- هشام بن عبد الله المخزوميّ	١٤٨
١٥- هشام بن عبد الملك	٧٥
١٦- هشام بن عروة	٢٥٣، ٢٧٧، ٣٧٥
١٧- هُشَيم	٩٢
١٨- هند بنت الحارث الملك المَقْصور بن حُجْر آكل المُرّار الكِنديّ	٢٢٩
١٩- هند بنت شُرَحْبيل بن الحارث بن عمرو الكِنديّ (هند الكُبرى)	٢٠٢، ٢٠٣، ٣٤١
٢٠- هند بنت عُتْبَة بن ربيعة	١٣٧
٢١- هُنَيّ بن أحمر (من بني الحارث بن مُرَّة)	١٢٠
٢٢- هود عليه السّلام	٢٥٩
٢٣- الهيثم بن عَديّ	٧١، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩١، ١٠٥، ١٢٥، ١٣٩
و	
١- الواقِديّ أبو عبد الله محمّد بن عمر	٨٧، ٨٩، ٩٨، ١٢٦، ١٤٨
٢- الوَرّاق إسماعيل بن العَبَّاس	١٥١
٣- وَرد بن حُذَيفَة بن بدر	٣٦٩
٤- وَرَقَة بن نَوْفَل	٣٥٦،٣٥٧، ٣٧٢، ٣٧٥
٥- وَعْلَة بن عبد الله بن الحارث بن حِصْن	١٣٣
٦- الوليد بن عبد الملك	٢٥٠، ٢٦٨
٧- الوليد بن المُغيرة	١٠٦
٨- الوليد بن هشام بن المغيرة	٥١
٩- ابن وهب	٩٢
١٠- وَهْب بن مُنْبِه	٣٤

ي	
١- يحيى بن طَلْحَة	١٩، ٤٣
٢- يحيى بن مَعين	٢٥٢
٣- يزيد بن زمعة بن الأسود (من بني أَسَد)	١٩٣
٤- يزيد بن أبي سُفيان	١٠١
٥- أبو ضَمرَة يزيد بن سِنان بن أَبي حارثة الكلبيّ	٣٤٠
٦- يزيد بن شدَّاد بن قَنان الحارثيّ	٣٣٨
٧- يزيد بن الصَّعِق	٣٣٥
٨- يزيد بن عبد المَلِك	٦٢
٩- يزيد بن معاوية	٤٤، ٦٢، ٧٠، ٧١، ٩٧، ١١٧
١٠- اليَزيديّ أبو جعفر أحمد بن محمّد	١٢٠، ١٢١
١١- اليَزيديّ محمّد بن العبَّاس	١٢١
١٢- يَعْفُر بن زُرعَة = يَعْفُر بن يزيد بن النُعمان الحِمْيَريّ	٣٢٩
١٣- يَعْمَر (من ولد مالك بن بُهْثَة ... ابن ربيعة بن نزار)	٢٦٨
١٤- يَعْمُر بن الشُّدَّاخ الكِنانيّ	١٧٨، ٣٤٣
١٥- أبو اليَقْظان = سُحَيم بن حَفْص	٩٣، ٩٥، ٩٦، ١١٢-١٢٠، ١٢٢، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ٢١٩، ٢٥٥، ٢٧٩، ٢٨٨
١٦- أبو يوسف	٩٢
١٧- يوسف بن عُمر الثقفيّ	٦٢

فِهرِس الأقوام والقبائل وطبقاتها

آ	
١- بنو آكل المُرَّار	١٣، ١٨١، ٢٠٢، ٢٢٩
٢- الأَحابيش = بنو الحارث بن عبد مَناة	٣٢٧
٣- الأَراقم (جُشم ومالك وعمر وثعلبة ومعاوية والحارث)	٢٦٢،٣٤٣
٤- أَزْد عُمان	٢٢٠
٥- الأَزْد بن الغَوْث / الأُسْد	٢٩، ٣٢، ٣٧، ٤٦، ٤٨، ٦١، ٦٢، ٧٢، ١٢٩، ١٣٠
٦- أَسَد / بنو أَسَد بن خُزَيْمَة	٧٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٢٣ ، ٣٢٧، ٣٧٠
٧- أَسَد بن عبد العُزَّى	١٩٣، ٢١٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٢
٨- أَسَد (جُذام ولَخْم وعاملة)	٢٧٤
٩- الأُسروع	١٣٦
١٠- أَسْلَم	٢٦
١١- بنو أشرس بن كِنْدَة	١٣٩، ٢٦٢
١٢- الأَشعَريّون	٢٣٧، ٣٤٧
١٣- بنو الأَصْفَر	٤٨
١٤- أَفصى بن عبد القيس	٣٦
١٥- بنو الأَفقَم	١٤٥
١٦- بنو أُميَّة بن حُذاقة بن زُهْر بن إياد	٢٦٧
١٧- بنو أميّة بن عبد شمس	١٣٩، ١٦٩، ١٩٣، ١٩٨، ٣٧٢

١٨- الأَنصار	٩، ١٨، ٣٢، ٤٦، ٤٨، ٦١، ٦٢، ٧٦، ١٠١، ٢٥٩، ٢٨٣
١٩- أنمار بن نزار (خَثْعَم وبَجيلة)	٢٩، ٣١، ٤١، ١٣٠، ٢٢٢، ٢٧٣، ٢٧٤
٢٠- الأوس	٢٥، ٢٩، ٦١، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٥، ١٥١، ١٦٧، ٢٢١، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٢٤
٢١- بنو أوس اللاَّت بن رُفَيدَة	١٣٠
٢٢- إياد بن نزار	١٣٠، ٢٢٠-٢٢٣، ٢٤٣-٢٤٥، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٦-٢٦٨، ٢٧٣، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠
ب	
١- باهِلَة	٦٣، ٨٣، ٢٢٠
٢- بنو بَجْلَة	٧
٣- بَجيلة	٤١، ١٣٠، ١٣٥، ٢٧٤
٤- بنو بُحْتُر (من طَيِّىء)	٣١٧
٥- بنو بدر بن عمرو ... ابن فَزارَة	٣٧٢
٦- البَرامكة	٨٥، ٩٢
٧- بنو بَكر بن عبد مَناة	٣٢٧
٨- بَكر بن وائل	٣٧، ١٣٠، ١٣٥، ٢٠٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، ٣١٠، ٣٤١
٩- بَكيل	١٣٦
١٠- بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة	٣٦، ١٢٤
١١- بَهْدَلَة بن عُوف	١٣
١٢- بَهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة	٣٧، ٣٤١
١٣- بَهيل	١٣٦

١٤- بنو بَوْلان بن عمرو	٢٦٢
ت	
١- التَّبابِعَة = تُبَّع (من بني حِمْيَر بن سَبَأ)	١٣٨، ١٤٣
٢- التُّرْك	٦٢
٣- تَزيد (قَبييل عظيم في تَنُوخ)	١٣٥، ٢٦٤، ٢٦٧
٤- تَغْلِب بن وائل	٣٦-٣٨، ٦٣، ٧٣، ٨٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٧٣، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٦٢، ٢٦٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٣٢ ، ٣٤١
٥- تَميم / بنو تَميم	٢، ١٣، ٢١، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٤٦، ٥٧، ٦١، ٦٨، ٩٥، ١١١-١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٣١، ١٣٣، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨-٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٩٣، ٣٢٣، ٣٣٨، ٣٤٥
٦- تَنُوخ	٩، ٢٩، ٢١٢
٧- تَيْم الرِّباب	٨٣
٨- تَيْم قُريش = تَيْم بن مُرّة / بنو تَيْم بن مُرَّة	٣، ١٠٠، ١٠٣، ١٢٢، ١٢٩، ١٨١، ١٩٣، ٢١٢، ٣٥٢
٩- تَيْم الله بن ثَعْلبَة	٧٢، ١٣٠
ث	
١- بنو ثُعَل	٢٠٧، ٢٠٨، ٢٦٤، ٣٢٧، ٣٣٠
٢- بنو ثَوْر	١١٥
ج	
١- بنو جُبير	١١٥

٢- قبائل جَديلَة / بنو جَديلَة	١٣٠، ٢٠٧
٣- آل الجَدَّيْن الشَّيبانيُّون	١٣١
٤- جُذام = عامر / عمرو بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة	١٤، ١١٦، ١١٧، ١٣٠، ١٧٣، ١٧٧، ٢٧٤، ٢٧٥
٥- جَذيمَة	٣٧١
٦- جَرْم بن زَبّان (من بطون قُضاعة)	٣٤٢
٧- جُرْهُم	٢٣٥
٨- جُشَم	١١، ٢١، ١٣٦، ٢٦٢
٩- بنو جعفر بن كِلاب	١٢، ١٦٣، ١٧٦، ١٩٩، ٢١٧
١٠- بنو جُعْفِيّ بن سَعْد العشيرة	١٣٢، ٣٢٢
١١- بنو جَعْوَنة	٥١
١٢- آل جَفْنَة الغَسَّانيّون	٣٤١
١٣- الجَماهير (جَماهير القبائل)	٢٩، ٩٣، ٩٦، ١٢١
١٤- بنو جُمَح بن عمرو (بطن من قريش)	١٠، ١٩٣، ٣٥٧
١٥- جَمَرات العرب	٢١١
١٦- بنو جُهَيْنَة	١٣٠، ١٣٥
ح	
١- بنو الحارث بن حِصْن	١٣٢
٢- بنو الحارث بن كعب	٢١١، ٣٢٢، ٣٣٨
٣- بنو أبي حارثة (من بني مُرَّة)	٢٩٤
٤- بنو حُذاقَة بن زُهر بن إياد	٣١٩
٥- حَرْب بن حُمَيس	١٣٥

٦- بنو حَرْمَلَة بن الأَشْعَر	١٩٩، ٢٠٠، ٣٧٠، ٣٧١
٧- بنو الحُصَين (من ولد كعب بن الحارث) = فَوارس الأرباع	٢٢٥، ٢٦٤، ٣٠٩
٨- حِمْيَر بن سَبَأ	١٣٥، ١٣٨، ٣٢٩
٩- حُمَيْس بن أُدّ	١٣٥
١٠- بنو حَنْظَلة (من تميم)	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٩٤
١١- بنو حَنيفة بن لُجَيم	٣٧
١٢- حوتَكَةَ بن سُود (من بطون قُضاعة)	٣٤٢
١٣- حُيَيّ (بطن من قيس بن ثَعْلَبة)	١٣١، ١٤٧
خ	
١- خَثْعَم	١٣٠، ١٣٥، ٢١٣، ٣٢٢
٢- خُزاعَة	١٤١، ٢٩٨
٣- الخَزَر	٦٢
٤- الخَزْرَج	٢٥، ٢٩، ٦١، ١٠٧، ١٤٥، ١٥١، ١٦٧، ٢٢١، ٢٢٧، ٣٢٤
٥- بنو الخَزْرَج بن زيد اللاَّت	١٣٠، ٢٦٣، ٣٣٤
٦- بنو خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة ... ابن عدنان	١١٧
٧- بنو خُصَيلة بن مُرَّة	٢١٥، ٣٤٠
٨- بنو خُناعَة	٢٩٣
٩- خِنْدِف	٢١٩
١٠- خَولان	١٣٠
١١- خَيْوان (بطن من بطون العرب في اليمن)	١٣٦
د	
١- بنو دَهْر بن تَيْم بن غالب (من قريش)	١٩٨

٢- الذِّيش	٣٢٧
٣- بنو دينار (من بني رَبيع)	١١٧
ذ	
١- بنو ذُبْيان	٣٠، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٣٦٢، ٣٧٠
٢- بنو ذُهْل بن ثَعْلَبَة	١٣٠، ٢٩٧
٣- بنو ذُهْل بن مُرّان	١٣٥
ر	
١- الرِّباب	٣٠، ٣٣٨
٢- بنو أبي ربيعَة بن ذُهْل بن شَيبان	٣٢٩
٣- بنو رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة	١٧٦
٤- رَبيعة بن نزار	١٢٩-١٣١
٥- الرُّوم = بنو الأصفر	٤٨
٦- رَيْمان	١٣٦
ز	
١- بنو زَبَّان بن سَيَّار الفَزاريّين	١٨٢، ١٨٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٦٧، ٣٦٨
٢- زَبيد	٣٢٢
٣- زُنْجُع	١٣٦
٤- بنو زُهْرَة بن كلاب	١٠٥، ٢١٢
٥- بنو زَيد بن كَعب بن عُلَيم (من اليمن)	٢٠٦، ٣٣٣
٦- زيْد بن كَهْلان	٣٧، ٢٠٧، ٢٧٤
س	
١- الساسانيُّون	٩٠، ٢١٦، ٢٢٢
٢- سَبَأ	١٤، ٣٧، ١٣٥، ١٣٨، ٢٠٧،

	٢٦٥، ٣٣١
٣- بنو سُبَيْلَة بن الهَوْن بن أَعجب	١٣٣
٤- سَدوس	١٣٣
٥- سُدوس بن أصمع (من طَيِّئ)	١٣٣
٦- بنو سَعد بن هُذَيْل	٢٩٣، ٣٣٨
٧- بنو سَعْد بن زيد مَناة بن تَميم	١١٧
٨- سَعْد العَشيرة	١٣١، ١٤٢
٩- بنو سعيد بن سَهم (من قُرَيش)	٣٢٧
١٠- بنو سَعد بن هُذَيل	٢٩٢
١١- سَليح	٦٣
١٢- سُلَيم	٣٢٧
١٣- سَمَيْفَع بن ناكور	١٣٤
١٤- بنو سَهْم بن عمرو (بَطن من قُرَيش)	١٠،١٣٣، ١٩٣، ٢٩٣، ٣٢٧، ٣٤٠
ش	
١- بنو شَيْبان بن ثعلبة	١٢٠، ١٣٠، ٢٦٥، ٢٩٣، ٣٣٢
ص	
١- بنو صارِدَة	٣٦٦
٢- بنو الصَّحْم بن قُرَّة	١٣٠
٣- بنو صَعْب	١١٧
٤- آل صفوان (من تميم)	٢١٩، ٢٩٥
ض	
١- ضَبَّة	٣٠، ٤٩، ٥٧، ٧٣، ١٣٣، ٢٠٣، ٢١١، ٢٢٠، ٣٤١

٢- بنو ضُبَيْعَة ... ابن ربيعة بن نِزار	٢٦٥، ٢٦٨، ٣٣٢
٣- ضِنَّة	١٧٥
ط	
١- ولد طابِخَة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ	٣٧، ١١٧، ١٢٩
٢- طَسْم (من قبائِل العرب البائدة)	٢٧٨، ٣٧٥
٣- بنو الطَّمَّاح بن نُمارَة بن إياد (من أحياء العرب الفانية)	٢٦٨، ٣٠٩
٤- بنو طُهَيَّة = عبد شمس بن أبي سُود	١٢٠
٥- طَيِّئ	١٤٦، ٢٦٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٧١
ع	
١- بنو أبي العاص بن أُميَّة	٢٥٦
٢- بنو عامر بن صَعْصَعة	١٢٠، ١٣٣، ١٧٦، ١٨٤، ١٩٨، ٢٦٣، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٧٤
٣- بنو عامر بن لؤيّ	١٩٨، ٣٥٢، ٣٧٢
٤- عامِلَة	١٣٠، ١٧٣، ٢٧٤
٥- بنو عبد الدّار بن قُصَيّ	١٢٢
٦- بنو عبد شمس بن أبي سود	١٢٠
٧- بنو عبد شَمس بن عبد مَناف	١٢٢، ٣٠٠
٨- بنو عبد العُزّى بن قُصَيّ	١٢٢، ٣٠٢
٩- بنو عبد بن قُصَيّ	١١٥، ١٢٢
١٠- عبد القَيس	٢، ٣١، ٣٦، ٥٥، ٦٥، ١٣٤، ٢١٦، ٢١٨-٢٢٢، ٢٦٣

١١- بنو عبد الله بن دارِم	٥٨، ٢٢٨
١٢- بنو عبد الله بن غَطَفان	١١٥
١٣- آل عَبد المَدان الحارثيّون	١٣١، ١٣٣
١٤- عَبد مَناة	٣٠
١٥- بنو عبد مَناف	٣٠٠،٣٢٧
١٦- عَبْس	٢٢، ٣٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٣٢٣، ٣٦٢، ٣٧٠
١٧- بنو العُبَيد (من بطون كَلْب)	١٠٨، ١٨٨
١٨- عدنان	١٧، ٣٠-٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤١، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٤، ١١١، ١١٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٣١، ١٤٩، ١٧٥، ١٧٩، ٢٢٢، ٢٦٠
١٩- بنو عَدِيّ بن كعب	١٠، ١٩٣
٢٠- بنو عُذْرَة بن سَعْد هُذَيم بن قُضاعة	١٦٢
٢١- عُرْنَة	١٣٦
٢٢- عَضَل	٣٢٧
٢٣- بنو عَقيل	١٣٣
٢٤- عُكْل = عَوْف بن وائل	٣٠، ١١٧
٢٥- بنو عُلَيم بن جَناب	١٣١
٢٦- بنو عَمرو بن قيس عَيلان	١٣٦
٢٧- العَنابس (من بني أُميَّة)	١٣٦
٢٨- عَنَّة	١٣٦
٢٩- عَنْز بن وائل	١٣٥

٣٠- عَنَزَة	٢٣٨، ٢٣٩
٣١- آل عَنْكَثَة	١٩
٣٢- بنو عَوْف بن سَدوس بن شَيبان	٢٩٧
٣٣- بنو عَوْف بن سعد بن تغلب	٧٣
٣٤- بنو عَوْف (من بني هِلال بن شَمْخ بن فَزارة)	٢٧٦، ٣٦١
غ	
١- غَسَّان	١٤، ٢٩، ٣٦، ٦١، ٦٢، ٢٢٦
٢- الغَسانِيُّون	٣٤١
٣- غَطَفان	١٣٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٩٥، ٣٣٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤
٤- غَنِيّ	١١٩، ٢٠١
٥- الغَوْث بن زيد بن مالك بن زيد بن كَهْلان	٣٢
٦- بنو الغَوْث بن مُرّ	١٣٥
ف	
١- الفُرْس / فارس	٣٤، ٤٨، ٥٨-٦٠، ٧٧-٧٩، ٨٣، ٨٥، ٩٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠-٢٢٤، ٢٢٩
٢- بنو فَزَارَة	١٠٢، ١٦٣، ٢١٠، ٢١٧، ٣٧٠
٣- بنو فُطَيمَة بنت حبيب بن ثَعلَبَة	٣٣٢
٤- بنو فَقْعَس (من قبائل أسَد)	١١٦، ٣٢٣
٥- فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانَة	١٨، ١٧٧

ق	
١- القارَة (بنوالهُون بن خُزَيمة)	١٧٨، ٢٣١، ٣٢٧، ٣٤٣
٢- القِبْط	٥٩
٣- قَحْطان	١٧، ٢٠، ٣٠-٣٢، ٣٤، ٣٧، ٥٠، ٦١، ١٣٠
٤- بنو قِرْد	٢٩٣
٥- القُرَطاء (من قبيلة كِلاب)	٣٠٧
٦- قريش	١، ٢، ٩، ١٤-٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٩٩، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٥٦
٧- قريش الأباطح	٢٥
٨- قريش الظّواهر	٢٥
٩- قُضاعَة	٣٠٨،٣٢٠، ٣٣٦
١٠- قُضاعة بن سَعْد	١٣٠، ٣٠٨، ٣٢٠
١١- القُفاعة	١٣٦
١٢- بنو قُمَيْر	٢٣٠، ٢٣١، ٣٢٦
١٣- قَنَص بن مَعَدّ	٥٥
١٤- قَيس / قَيْس عَيْلان بن مُضَر (جَمْهَرة)	٥٧، ٦١-٦٣، ٩٠، ١٣١، ١٣٦، ١٧٦، ١٩٠، ٢٥٧، ٢٩٩، ٣٧٠
١٥- بنو قيس بن ثعلبة	١٣١
ك	
١- كَعب (من ولد عُلَيم بن جَناب)	١٣١، ٢٠٦، ٣٢٧
٤- ذو الكُلاع	١٣٦، ٣٢٩
٢- كِلاب	٣٢٧

٣- كلب بن وَبْرَة	١٠٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٦٢، ٣٢٠
٤- الكلبيّون	٣٥
٥- بنو كُلَيْب بن يربوع	١١٧
٦- كِنانَة	١٢٩، ١٣٤، ١٧٨، ١٩٠، ٢٥٥، ٢٩٩، ٣٢٧، ٣٦٠
٧- كِنْدَة	١٢٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٨١، ٢٦٠
٨- كَهْلاَن (قبائل)	١٤، ٣٢، ٣٤، ١٣٠
ل	
١- لؤيّ بن غالب	٢٠٦
٢- بنو لُجَيْم بن صَعْب	١٣٠
٣- لَخْم	١٤، ٣٦، ٣٧، ١٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥
٤- اللَّخميّون	١٢٣، ١٤٢، ٢٠٢، ٢١١، ٣٤١
٥- بنو لَعْوَة	٣٣
٦- لُكَيْز	٣٦
م	
١- بنو مُؤَمَّل (حيّ مِن بني عديّ بن كعب)	٢٩٣
٢- مازن بن الأَزْد بن الغَوْث	٣٧
٣- بنو مازن بن فَزارة بن ذُبيان	٢٠٩، ٣٦٥، ٣٧٢
٤- بنو مالك بن جَعْفَر بن ثَعلَبة بن يربوع	١١٧
٥- مالك بن حِمْيَر	٣٤، ٣٥
٦- بنو مالك بن حَنظَلَة	٣٤١

٧- مالك بن زُهَير بن عمرو بن فَهْم	١٣٤
٨- مالك بن سعد بن مالك (من قيس بن ثعلبة) [رَهْط طَرَفَة بن العَبْد]	١٤٧
٩- مُحارِب	٧٢
١٠- بنو مَخزوم	١٠، ١٩٣، ٣٢٧
١١- مُدْرِكَة بن إلياس	١٢٩
١٢- مَذْحِج	١٤٢، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٣٨
١٣- مُراد	٢٣٠، ٢٤٤، ٣٢٢، ٣٢٥
١٤- المُرانيُّون	٣٣
١٥- بنو مُرَّة بن ذُهْل بن شَيبان	١٣١
١٦- بنو مُرَّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض	٢٠٠، ٢١٥، ٣٧١
١٧- مُرَّة بن غَطَفان	٢١٥
١٨- مُرَّة بن كعب	١٠٠، ١٠٤
١٩- بنو مَرْوان	٦٥، ١٧٣، ٢٤٨
٢٠- مُزَيقياء = عمرو بن عامر	٤٧، ٦١، ٢٦٣
٢١- مُزَيْنَة	٤٩
٢٢- بنو المُصطَلِق (بَطن من خُزاعَة)	٣٢٧
٢٣- مُضَر بن نِزار	١٣، ١٤، ١٧، ٢٠، ٣١، ٣٤، ٤١، ٥٠، ٥٧، ٦٠-٦٣، ٦٥، ٦٧، ١٢٩، ٢٢٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٣١٠
٢٤- بنو المُطَّلِب بن عبد مَناف	١٢٢
٢٥- بنو معاوية بن كُلَيب ... ابن مُرَّة بن غَطَفان	١١٧
٢٦- مَعَدّ بن عدنان	١٦، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٦١، ٦٣، ٧٤، ١١١، ١٢٣،

	١٣١، ١٣٨، ١٤٩، ٢٠٦، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٣
٢٧- بنو مَعْقِل الكَلبيّين	٣٣٣
٢٨- بنو المُغيرة بن عبد الله بن عمر مَخزوم	١٦٢، ١٦٣، ٢١٨، ٢٩٨، ٣٢٨
٢٩- ذو مَناخ	١٣٦
٣٠- المناذِرَة / المَناذِر= النُّعمان بن المنذر ورَهطُه	٣٥، ٤٧، ٢٠٠، ٢١١، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢١، ٢٤٥، ٣٧١
٣١- بنو مُنَبِّه بن بكر بن هَوازن	١٣١
ن	
١- بنو النَّار	١١٤
٢- بنو ناشِرَة (من بني مازن بن عمرو بن تميم)	١١٧
٣- النَّبَط	١٥، ٥٩
٤- بنو نَجْبَة	٢٧٦، ٣٦١
٥- نَجْلان	١٣٦
٦- النَّخَع (قبيلة من الأَزْد)	٥٢، ١٣٠، ٢٢٢، ٣١٣
٧- نِزار بن مَعَدّ بن عدنان	٦٢، ١٣٠، ١٣١، ٢٢٢
٨- بنو نُشْبَة بن رُبَيْع	١٣٣
٩- آل نَصْر بن رَبيعة	٣٥، ٢٥٩
١٠- بنو نَصْر بن قُعَيْن	١٣٣، ٢٧٤
١١- بنو النَّضْر بن كِنانة	١٠٠، ١٤٩، ١٧٨
١٢- بنو النَّعامَة الكلبيُّون	٣٣٩
١٣- النَّمِر	٢٠٣، ٣٤١
١٤- النَّمِر بن قاسِط	٨٥، ٣٢٠
١٥- نُمَيْر	٧٢، ٣٢٢

١٦- نَهْد بن زَيد (من بطون قُضاعَة)	١٧٨، ٢٢١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٢
١٧- بنو نَوْفَل بن عبد مَناف	١٠٦، ١٢٢، ١٧٩، ١٩٣، ٢٥٦، ٣٠١
هـ	
١- بنو هاشم بن عبد مَناف	١٢٢، ١٩٣، ٣٥٩
٢- هُذَيل	٢٩٢، ٣٥٩
٣- بنو هِلال بن شَمْخ بن فَزارة	٣٦٠، ٣٦١
٤- هَمْدان	٣٣، ٣٤، ١٣٦، ٢٢٥، ٣٠٩
٥- الهَمَيْسَع بن حِمْيَر	٣٤
٦- هَوازن	١٩٩، ٢٢٠، ٣٢٧
٧- بنو الهُون بن خُزَيْمَة	٢٣١، ٣٢٧
و	
١- وائِل بن ربيعَة	٣٤٣
٢- وَبْرَة بن رومانس الكلبيّ	٣٣٥،١٣٦،٣٧
ي	
١- يَمَن	٦١، ٦٢، ٣٣٨
٢- بنو يَربوع (من تميم)	١١، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٨، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٤١
٣- بنو يَربوع بن مُرَّة بن غَطَفان (ومن أشهر رجال هذا البطن النَّابغة الذُّبيانيّ)	٢١٥، ٣٤٠
٤- يُكالِم	١٣٦

فِهرِس البلدان والأماكن

١- الأُبُلَّة	١٣٦، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٦٧، ٣٤٥
٢- الأَبلَق (حِصن السَّمَوْأل بن عادِياء اليهوديّ)	٣٦٤
٣- أَجَأ (جبل)	٢٠٧، ٢٠٨، ٢٦٥ ، ٣١٨ ، ٣٣١
٤- أَضرُع	٣٣٦
٥- أعشاش	٢٩٤
٦- إِمَّرَة	٣٤١
٧- أَنْقِرَة	٣٤٥
٨- الأَهواز	٢١٦، ٢٢١
٩- إيران	٩٠
١٠- بادية الشّام	٢١٥، ٢١٨
١١- بارِق (ماء بالعراق)	٢٤٤، ٢٤٥، ٣٤٥
١٢- البحرين	٩، ٢٩، ٣٦، ١٣١، ١٤٦، ٢١٢، ٢١٨، ٢١٩-٢٢٢، ٢٢٨، ٢٦٥، ٣٢٨
١٣- البَرَدان	٣٣٥
١٤- البَصْرَة	٥٢، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٨٠-٨٢، ٨٦، ٧٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١٢١، ١١٣، ١١٥، ١٣١، ١٣٦، ١٧٠، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٣٤١
١٥- بَطْن عاقِل	٢٠٣، ٣٤١
١٦- بغداد	٨٨، ٩٢، ٩٥-٩٧، ١٢١، ١٢٢، ١٤٨
١٧- بَلْخ	٦٣
١٨- تِهامَة	١٣٥، ٢٠٧، ٢٢٠-٢٢٢، ٣٣١
١٩- تُوج	٢٢١
٢٠- ثَهْلان (جبل في ديار بني نُمَير)	٣٤١

٢١- جَبَلَة	٣٤١
٢٢- جُرثُم (ماء من مياه بني أسد)	٣٢٣
٢٣- الجُرْف	١٠٢
٢٤- الجزيرة العربيّة	٨، ١٤، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤٠، ٧٢، ١٧٥، ١٨٠، ٢١٨
٢٥- الجزيرة الفُراتيّة	٨٥،٢٢٢،٢٤٨،٣١٠،٣١١
٢٦- الجُمُد	٣٥٨
٢٧- الجوديّ	٣٥٨
٢٨- جوف العَيْر	١٤١، ١٤٤، ٢٦٦، ٢٧١، ٣١٩
٢٩- حائِل	٣٣٠
٣٠- حارِب	٣٠٨
٣١- الحِجاز	٣١، ٧٥، ٨٧، ١٥٠، ١٥٣، ١٨١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٦٦، ٣٣١، ٣٦٤
٣٢- حِمار (وادٍ باليمن)	٣٣٩
٣٣- حَوران	٣٠٨
٣٤- الحيرة	٣٥، ٣٦، ٤٧، ٥٥، ٩٠، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٢. ٢٠٠٠، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٦-٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤١-٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٩، ٢٦٧، ٣٠٠، ٣٢٠، ٣٤١، ٣٤٤ ، ٣٤٥، ٣٥٥
٣٥- خُراسان	٥٢، ٨٧، ٩٢، ١٢١
٣٦- الخَوَرْنَق	٤٧، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٤٣
٣٧- خَيوان (قرية كانت باليمن)	١٣٦
٣٨- دَرب العَنْزيّين	١٣٥
٣٩- دِمشق	٣٠٨
٤٠- دُومة الجَنْدَل	٢١٩
٤١- ديار تميم	٣٣٥

٤٢- ديار طَيِّئ	٣٣٩
٤٣- ديار يَربوع	٣٣٩
٤٤- دَيْر الأَعْوَر	٢٦٧، ٣١٩
٤٥- دَيْر الجَماجم	١٠٩
٤٦- ذات الشَّعْبَين	١٣٨
٤٧- ذي قار	٤٦، ١٦٦، ٢٢٤، ٢٦٥
٤٨- رامَتَيْن	٣٤١
٤٩- الرَّدْم	٣٢٨
٥٠- رَدمان	٣٢٩
٥١- زَرود	٣١٦
٥٢- السُّؤبان	٣٢٢
٥٣- السَّدير	١٦٤، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٤٣
٥٤- سُقَام (شِعْب)	٢٣٦، ٣٤٨
٥٥- السَّقيفة (سقيفة بني ساعِدة)	١٠١
٥٦- سَلمَى (جبل)	١٧٦، ٢٠٧، ٢٦٥، ٣١٨، ٣٣١
٥٧- السَّلَوْطَح	٣١١
٥٨- السَّماوة	٣٥، ٣٣٥
٥٩- السِّنْد	٦٥
٦٠- سِنداد	٢٢٢، ٢٤٣-٢٤٥، ٢٦٧، ٣٤٥
٦١- سَواد الخُصوص	٢٦٧
٦٢- سَيل العَرِم	٢٠٧، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٣١
٦٣- الشَّام	٥١، ٢٦٦، ٢٧٣، ٣١٥، ٣٣٥، ٣٦٤
٦٤- شَرِب	٣٢٧
٦٥- شَمَام	٣٤١

٦٦- الشُّمَيط (جَبَل)	٣٢٣
٦٧- صارة (مياه)	٣٢٣
٦٨- صَفاراء (مياه/ماء لبني سيّار)	١٨٣، ٣٧٦
٦٩- الطّائِف	٣٣
٧٠- عَذْبَة	٣١١
٧١- العِراق	١٤، ٢٩، ٣٧، ٤٦، ٥١، ٦٠، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٨٧، ٨٩، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٣، ١٦٦، ١٧٣، ١٨١، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٨، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٠٠، ٣٣٥
٧٢- سَواد العِراق	٢٢٢، ٣١١
٧٣- العَروض	٣٣٨
٧٤- العُرَيمَة (رَمْلَة لبني فَزارَة)	٣٦٨
٧٥- عُكاظ	٢٨، ٢٩، ١٩٠، ٢١٧، ٢٩٩
٧٦- عُمان	١١٧، ٢١٩-٢٢١
٧٧- الغَرِيَّان	١٨٤
٧٨- وادي الغِمار	٣١٨
٧٩- الفُرات	٢٢٣، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥
٨٠- الفَرْصَد	٣٥٧
٨١- فُطَيمَة	٣٣٢
٨٢- فَيْف الرّيح	٣٢٢
٨٣- القادسيّة	٢٤٤
٨٤- القُرنَتَيْن	٣٠٨
٨٥- القُرَيَّة	٣٣٠
٨٦- كِرمان	٢١٦

٨٧- الكُلاب	٣٤١
٨٨- الكوفة	٥٢، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٤، ٨٠، ٨١، ٨٧، ٩٢، ٩٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١٢٥، ١٣١، ١٣٥، ١٦٤، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٦٧، ٣٣٥، ٣٤١
٨٩- اللِّوى	٣٣٦
٩٠- مَأْرِب	٢٩٧
٩١- مُحَجَّر	٣٣٩
٩٢- المدائن	٨٨
٩٣- المدينة	١٩، ٢١، ٢٥، ٥١، ٥٢، ٦١، ٦٢، ٦٥-٦٧، ٧١، ٧٢، ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٦-٩٨، ١٠٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٢، ١٨٩، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٣٧، ٣٣٨
٩٤- مَرج الصُّفْر	٣٠٨
٩٥- مَرْو	٩٢
٩٦- المَشارف (اليمن)	٢٢٩
٩٧- المُشَقَّر	٢١٨-٢٢٠
٩٨- مِصْر	٥١، ٩٢، ١٣٥
٩٩- مَكَّة	٢١، ٢٥، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٥١، ٦١، ٩٢، ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١١٤، ١٣٣، ١٣٥، ١٨١، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٣٨
١٠٠- نَجْد	٣١٨،٣٣٦
١٠١- نَجران	٢٢٢، ٣٦٤
١٠٢- النَّجف	٢٤١
١٠٣- نَيسابور	٨، ١٢١
١٠٤- وادي حائل	٢٠٧، ٢٠٨

١٠٥- وادي حُراض	٢٣٦، ٣٤٨
١٠٦- وادي ذي أُقُر	٢٠٤، ٣٧٣
١٠٧- اليَمامَة	٣٣٥
١٠٨- اليَمن	٢٨٤، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٨

فِهرِس الأَيَّام والوقائع

١- يوم الأَحْرَمَيْن	١٦٧، ٢٢٥،٣٠٩
٢- يوم أَعشاش = يوم إِياد ويوم العَظالَى	٢٩٤
٣- يوم أُوارة	١٤٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٤، ٣١٧، ٣٤٥
٤- يوم بَدْر	١٣٣، ١٤٩، ٢٥٩
٥- يوم بُصْرى	٢٣٠ ، ٣٢٦
٦- يوم بُعاث	١٤٥، ٢٢٧، ٣٢٤
٧- وقعة الجَمَل	١٠٩، ١١٣، ١٤٩
٨- وقعة الحَرَّة	١٤٩
٩- يوم الحِنْو = يوم ذِي قار	٢٦٥،٣٣٢
١٠- يوم الدَّرَك	٢٢٧، ٢٦٥، ٣٢٥
١١- وقعة دَيْر الجماجم	١٠٩
١٢- يوم الرَّدْم / يوم الرَّزْم	٣٠٩
١٣- يوم ذي قار	٤٥، ٢٢٤، ٢٦٥،٣١٦،٣٢٠
١٤- يوم الرَّدْم	١٦٧
١٥- يوم الرَّزْم	٢٢٥
١٦- يوم الرَّوْع	٢٢٧
١٧- يوم زَرود	٣١٦
١٨- يوم السُّلاَّن	٢٦٣
١٩- يوم سُيَيف	٣٢٠
٢٠- يوم شَرِب	٣٢٧
٢١- وقعة صِفِّين	٧١، ٨٧، ٨٨، ١٠٩، ١٣٥، ١٤٩
٢٢- يوم عُذْر/ عُذْرَة	٣٢٢
٢٣- يوم عُكاظ	٣٢٧

٢٤- يوم العَيْن	٣٣٢،٢٦٥
٢٥- يوم عَيْن أُباغ	٢٦٥
٢٦- يوم الفِجار	١٣٦، ١٨١، ١٩٠، ٣٢٧
٢٧- يوم الفِصْح	٢١٨
٢٨- يوم فَيْف الرّيح	٢٦٥، ٣٢٢
٢٩- يوم الفِيل	١٠٠
٣٠- يوم قِضَة	٢٦٥
٣١- يوم القادسيّة	١٣٣
٣٢- يوم القُرنَتَيْن	١٣٣، ١٣٦، ٣٣٥
٣٣- وقعة كَرْبَلاء	٧٠
٣٤- يوم الكُلاب الأوّل	١، ١٣٥، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٦٥
٣٥- يوم الكُلاب الثاني	١٣٤، ٢٠٣، ٣٣٨
٣٦- وقعة مرج راهِط	٦٢
٣٧- يوم النَّفراوات	١٩٩
٣٨- يوم نُهادة	٢٦٥
٣٩- يوم هَراميت	١٧٦
٤٠- يوم اليرموك	٣٢٥

فِهرِس الخيل

البُرَيْت (فَرس إياس بن قَبيصة الطّائيّ)	٣٢٠،٣٢١
جَرادة (فَرس العَيّار ، وهو رجل من بني عُلَيم)	٣٣٩
حَوْمَل (فرس حارثة بن أوس الكلبيّ)	٣٢٢
العَرادة (من خيل ضَبّة ، وهو فرس الكَلْحَبة اليربوعيّ)	٣١٥، ٣١٦
العُريان (فرس لبني سَلول)	٣٢١
قُرزُل (من خيل هَوازن / من ولد داحس)	٣٢٤
مِجْلَز (فرس عمرو بن لَأْي ، من بني تيم اللّات بن ثَعلبة، من أشراف بكر بن وائل)	٢٩٧
المَزنوق (فرس عامر بن الطُّفَيل)	٣٢٢ ، ٣٢٣
وَرْد (فرس من خيل بني هاشم / من بنات ذي العُقّال ولد أَعْوَجْ ، وهو فرس حمزة بن عبدالمطّلب رضي الله عنه)	٣٢٠

فِهرِس الأُصنام

إساف	١٦٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٣٤٧.
السُّعَيْر	٢٣٩، ٣٤٧.
سُقام	٣٤٨.
العُزّى	٢٤٠، ٢٥٩، ٢٧٨، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٧٥.
غَنْم	٢٧٨، ٣٧٥.
اللّات	٢٣٥، ٢٤٠، ٢٥٩، ٣٤٦، ٣٧٥.
مَدان	٢٥٩.
مَناة	٢٣٤، ٢٣٥.
مَناف	٢٣٧، ٢٣٨، ٣١٠.
نائلة	١٦٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٣٤٧.
هُبَل	٢٣٤، ٢٧٨، ٣٤٦، ٣٧٥.
يَغوث	٢٢٥، ٣٠٩.

مصادر الدراسة ومراجعها

١- الآلوسيّ، محمود شكري (د.ت)، **بلوغ الأرَب في معرفة أحوال العرب**، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثريّ، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢- الآمديّ، أبو القاسم الحسن بن بشر (١٩٦١م)، **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

٣- إبراهيم، محمّد حمزة (٢٠١٧م)، **شعراء مكّة قبل الإسلام**، جمع وتحقيق ودراسة، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٤- ابن الأثير، أبو الحسن عزّ الدّين علي بن محمّد الجَزْريّ (٢٠٠٢م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

٥- الأَزْديّ، أبو مِخْنَف لوط بن يحيى بن سعيد (١٩٩٩م)، **نصوص من تاريخ أبي مخنف**، استخراج وتحقيق كامل سلمان الجبوريّ، دار المحجّة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان الطبعة الأولى.

٦- الأسد، ناصر الدين محمّد (١٩٨٨م)، **مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة**، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة السابعة.

٧- الأَسَديّ، أبو عبد الله الزُّبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب (١٣٨١هـ)، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، شرحه وحقّقه محمود محمّد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٨- الأسود الغُنْدُجانيّ، أبو محمّد الحسن بن أحمد الأعرابيّ (١٩٨١م)، **كتاب أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها**، حقّقه وقدّم له محمّد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩- ذو الإصبع العدوانيّ، حَرثان بن الحارث بن مُحرِث (١٩٧٣م)، **الديوان**، جمعه وحقّقه عبد الوهّاب محمّد علي العدوانيّ، ومحمّد نائف الدُّليمي، مطبعة الجمهور، الموصل.

١٠- الأصبهانيّ، أبو بكر محمّد بن داود (١٩٨٥م)، **الزُّهرة**، تحقيق إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردنّ، الطبعة الثانية.

١١- الأصفهانيّ، أبو الفرج عليّ بن الحسين (٢٠٠٢م)، **كتاب الأغاني**، تحقيق إحسان عبّاس وإبراهيم السَّعَافين، دار صادر، بيروت.

١٢- الأصمعيّ، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب:

- (١٩٧٩م)، **الأصمعيّات**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الخامسة.

- (١٩٧١م)، **كتاب فحولة الشعراء**، تحقيق ش. تورّي، قدَّم لها صلاح الدين المُنْجِد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جَنْدَل (١٩٧٤م)، **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق محمّد محمد حسين، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت.

١٤- أمين، أحمد:

- (٢٠٠٥م)، **ضُحَى الإسلام**، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

- (١٩٧٥م)، **فجر الإسلام**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة.

١٥- الأنباريّ، أبو محمّد القاسم بن محمّد بن بشّار (١٩٢٠م)، **شرح ديوان المفضليّات للمنضّل الضّبيّ**، عناية المستشرق كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعييّن، بيروت.

١٦- الأندلسيّ، ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمّد (١٩٩٦م)، **كتاب العقد الفريد**، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياريّ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٧- الأندلسيّ، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم (١٩٦٢م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبد السلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة.

١٨- الأندلسيّ، أبو الحسن عليّ بن سعيد المغربيّ (١٩٨٢م)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمّان، الطبعة الأولى.

١٩- الأنصاريّ، أبو عبد الله جمال الدين بن حُدَيدة (د.ت)، **المصباح المضيء في كُتّاب النبيّ الأمّيّ إلى ملوك الأرض من عربيّ وعجميّ**، تعليق أحمد فريد المزيديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٢٠- الأنصاريّ، حسّان بن ثابت (١٩٢٩م)، **شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ**، وضعه وضبطه وصحَّحه عبد الرحمن البرقوقيّ، المكتبة التّجاريّة الكبرى بمصر، القاهرة.

٢١- الأنصاريّ، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (٢٠٠٩م)، **كتاب الخراج**، دراسة وتحقيق محمد المناصير، تقديم عبد العزيز الدوريّ، دار كنوز المعرفة العلميّة، عمّان، الطبعة الأولى.

٢٢- أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٢م)، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث العربيّ، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٣- الإياديّ، لَقيط بن يَعْمُر (١٩٨٨م)، **ديوان لَقيط بن يَعْمُر الإياديّ على رواية ابن الكلبيّ**، شرح وتحقيق محمد التُّونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٤- البُحْتُرِيّ، أبو عُبادة الوليد بن عُبَيد (١٩٦٧م)، **الحماسة**، اعتنى بضبطه وتدوين فهارسه وملحوظاته الأب لويس شيخو اليسوعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٥- البُخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل:

- (٢٠٠١م)، **كتاب التاريخ الكبير**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٩٣م)، **صحيح البخاريّ**، ضبطه وشرح ألفاظه وجمله وخرّج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه مصطفى أديب البُغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة.

٢٦- بروكلمان، كارل (١٩٣٣م)، **تاريخ الأدب العربيّ**، نقل الكتاب إلى العربيّة عبد الحليم النجّار، وأشرف على الترجمة إلى العربيّة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة.

٢٧- البُستيّ، أبو حاتم محمّد بن حِبّان بن أحمد:

- (١٩٨٣م)، **كتاب الثِّقات**، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد الدَّكْن، الهند.
- (٢٠٠٠م)، **كتاب المجروحين من المحدّثين**، تحقيق حمدي عبد المجيد السَّلَفيّ، دار الصُّمَيعيّ للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

٢٨- البَصْريّ، صدر الدين عليّ بن أبي الفرج بن الحسن (١٩٩٩م)، **كتاب الحماسة البَصْريّة**، تحقيق وشرح ودراسة عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٢٩- البغداديّ، عبد القادر بن عمر (١٩٨١م)، **خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب**، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة.

٣٠- البغداديّ، محمّد بن حبيب:

- (١٩٥١م)، **أسماء المغتالين من الأشراف**، تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ.
- (١٩٤٢م)، **كتاب المُحَبَّر**، رواية أبي سعيد السُّكّريّ، اعتنى بتصحيحه إيلزه ليحتن شتيتر، جمعيّة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدَّكْن.
- (١٩٨٥م)، **كتاب المنمَّق في أخبار قريش**، صحّحه وعلّق عليه خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى.

٣١- البكريّ، طَرَفَة بن العبد (٢٠٠٠م)، **الديوان**، شرح الأعلم الشنتمريّ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة، تحقيق دُرِيّة الخطيب ولطفي الصَّقّال، إدارة الثقافة والفنون، البحرين، المؤسّسة العربيّة، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٢- البكريّ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز:

- (١٩٣٦م)، **سِمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- (١٩٨٣م)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، حقّقه وقدّم له إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٣- البَلاذُريّ، أحمد بن يحيى بن جابر:

- (١٩٨٧م)، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- (١٩٨٧م)، **فُتوح البُلدان**، مراجعة وتعليق رضوان محمّد رضوان، دار الكتب العلميّة.
- (١٩٩٦م)، **كتاب جُمَل من أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٤- البَيْهَقِيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (١٩٩١م)، **معرفة السُّنن والآثار**، تدقيق ومراجعة عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى.

٣٥- التِّبريزيّ، أبو زكريّا يحيى بن عليّ "الخطيب التبريزيّ" (د.ت)، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام**، حقّقه وضبط غريبه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمَّد مُحْيي الدّين عبد الحميد، المكتبة التجاريّة الكبرى، مصر.

٣٦- التِّرمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى (١٩٩٨م)، **الجامع الكبير**، حقّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٧- ابن تَغري بَرْدي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (١٩٩٢م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٨- التميميّ، أوس بن حَجر بن مالك المازنيّ (١٩٧٩م)، **الديوان**، تحقيق وشرح محمّد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٩- التهانويّ، محمّد علي (١٩٦٣م)، **كشف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ترجم النصوص الفارسية عبد النعيم محمّد حسنين، راجعه أمين الخولي، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤٠- التَّميميّ، أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى:

- (١٩٧٦م)، **أيام العرب قبل الإسلام**، تحقيق عادل جاسم البيَّاتي، دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد،.
- (١٩٩١م)، **كتاب الدّيباج**، تحقيق عبد الله بن سليمان الجربوع، عبد الرحمن سليمان العُثَيْمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.
- (١٩٠٨م)، **كتاب النقائض**، نقائض جرير والفرزدق، باعتناء المستشرق الإنكليزي بيڤان، طبع مدينة ليدن بمطبعة بريل، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنّى، بغداد.

٤١- الثعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (١٩٦٥م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

٤٢- ثعلب، أحمد بن يحيى: (١٩٦٠م)، **مجالس ثعلب**، شرح وتحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية.

٤٣- الثَّقفيّ، أبو الحكَم أميّة بن أبي الصَّلْت (١٩٦٧م)، **الديوان**، جمع وتحقيق ودراسة، صنعة عبد الحفيظ السَّطليّ، مكتبة أطلس، دمشق، الطبعة الثانية.

٤٤- الجابريّ، محمّد عابد (٢٠٠٦م)، **العقل الأخلاقيّ العربيّ**، دراسة تحليليّة لنظم القيم في الثقافية العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطبعة الثانية.

٤٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

- (١٩٤٨م)، **البيان والتبيين**، شرح وتحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت.
- (١٩٦٩م)، **كتاب الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة،.
- (١٩٩١م)، **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٤٦- جاد المولى، محمّد أحمد وآخرون (د.ت)، **أيّام العرب في الجاهليّة**، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

٤٧- الجبوريّ، جاسم (٢٠٠٥م)، **النسَّابون وأثرهم في تدوين التاريخ العربيّ الإسلاميّ**/مجلّة العرب، أسّسها حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة.

- (١٩٨٩م)، **قبيلة كلب في التاريخ العربيّ حتّى نهاية العهد الأمويّ في الشّام**، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصريّة، بغداد.

٤٨- الجبوريّ، يحيى (١٩٨٦م)، **الشعر الجاهليّ**، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة.

٤٩- الجُرجانيّ، عليّ بن محمّد بن عليّ (١٩٧٨م)، **كتاب التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت.

٥٠- ابن الجَزَريّ، أبو الخير شمس الدّين محمّد بن محمّد بن يوسف (١٩٣٣م)، **غاية النّهاية في طبقات القُرّاء**، عُنِيَ بنشره ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر.

٥١- الجُشَمِيّ، دُرَيد بن الصِّمَّة (١٩٨١م)، **الدّيوان**، قدّم له شاكر الفحّام، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعيّ، دار قتيبة.

٥٢- الجَعديّ، النَّابغة أبو ليلى عبد الله بن قيس (١٩٩٨م)، **الديوان**، جمعه وحقّقه وشرحه واضح الصَّمَد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٣- الجُمَحيّ، أبو عبد الله محمّد بن سلاّم البَصْريّ (١٩٥٢م)، **طبقات فحول الشُّعراء**، شرحه محمود شاكر، دار المعارف للطباعة والنّشر، القاهرة.

٥٤- ابن جَنْدَل، أبو مالك سلامة بن جَنْدَل بن عبد عمرو (١٩٦٨م)، **الديوان**، تحقيق فخر الدين قَباوة، المكتبة العربيّة، حلب، الطبعة الأولى.

٥٥- الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حَمّاد (١٩٩٩م)، **الصِّحاح**، تحقيق إميل بديع يعقوب، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٦- جيت، هشام عبد الرحمن (٢٠٠٣م)، **الحسّ القوميّ في الأدب الجاهليّ**، رسالة ماجستير، إشراف جاسر خليل أبو صفيّة، الجامعة الأردنيّة.

٥٧- الحاكم النَّيسابوريّ، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله (٢٠٠٧م)، **المُسْتَدْرَك على الصَّحيحين**، اعتنى به صالح اللَّحام، الدار العثمانيّة للنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان – الأردنّ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

٥٨- حسن، عبّاس (١٩٩٦م)، **النحو الوافي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة.

٥٩- حسين، طه (١٩٦٤م)، **في الأدب الجاهليّ**، دار المعارف بمصر، القاهرة.

٦٠- حسين، عبد الكريم محمّد (د.ت)، **نقد أعلام الرُّواة**، دار النّوادر، دمشق، بيروت، الكويت.

٦١- حسين، محمّد محمّد (١٩٨٤م)، **الهجاء والهَجَّاؤون**، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندريّة.

٦٢- الحُسَينيّ، برهان الدين إبراهيم بن محمّد بن محمّد بن حمزة (١٩٨١م)، **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، راجعه سيف الدّين الكاتب، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٦٣- الحُصْريّ، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ (١٩٥٣م)، **زَهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق عليّ محمّد البجاويّ، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٦٤- الحُطَيْئَة، أبو مُلَيْكَة جَرْوَل بن أوس بن مالك العبسيّ (١٩٨٧م)، **ديوان الحُطيئة برواية وشرح ابن السِّكّيت**، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.

٦٥- الحلبيّ، أبو الفرج عليّ بن إبراهيم (٢٠٠٢م)، **السيرة الحلبيّة**، ضَبطه وصحّحه عبد الله محمّد الخليليّ، دار الكتب العلميّة، بيورت، الطبعة الأولى.

٦٦- ابن حَمْدون، محمّد بن الحسن بن محمّد بن عليّ (١٩٩٦م)، **التَّذكِرَة الحَمْدونيّة**، تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

٦٧- الحَمويّ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله:

- (١٩٩٣م)، **معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٥٧م)، **معجم البُلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

٦٨- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد (١٩٩٧م)، **المُسْنَد**، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه شُعَيْب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٦٩- الخُزاعي، دِعْبِل محمّد بن عليّ بن رَزين (١٩٨٣م)، **شعر دِعبل بن عليّ الخُزاعيّ**، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، مجمع اللغة العربيّة بدمشق، دمشق، الطبعة الثانية.

٧٠- الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (١٩٨١م)، **تاريخ بغداد أو مدينة السّلام**، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٧١- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون الحَضْرَمِيّ:

- (١٩٩٢م)، **كتاب العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- (-١٩٨م)، **المقدّمة**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٧٢- ابن خَلِّكان، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكان (١٩٧١م)، **وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت.

٧٣- خليف، يوسف عبد القادر (١٩٥٩م)، **الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ**، دار المعارف، بمصر، القاهرة.

٧٤- خليفة، حاجي (١٩٩٤م)، **كشف الظّنون عن كتب الأسامي والفنون**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٧٥- خليفة، محمّد محمّد (١٣٩٦هـ)، **حسّان بن ثابت**، مجلّة البحوث الإسلامية، رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، رئيس التحرير الشيخ عثمان الصالح، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة.

٧٦- الخَوَارِزْمِيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن يوسف (١٩٦٨م)، **كتاب مفاتيح العلوم**، بريل، ليدن.

٧٧- خورشيد، إبراهيم زكي وآخرون (١٩٦٩م)، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، أصدرها بالإنكليزية والفرنسيّة والألمانيّة أئمّة المستشرقين في العالم، النسخة العربيّة، دار الشّعب، القاهرة، الطبعة الثانية.

٧٨- ابن دُرَيد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد (١٩٥٨م)، **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مؤسّسة الخانجي، مصر.

٧٩- دَغفوس، راضي (٢٠٠٩م)، **هشام بن محمد الكلبيّ ودوره في نقل الأنساب اليمنيّة**، بحوث ودراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور صالح درادكة بمناسبة بلوغه سنّ السبعين، عمادة البحث العلميّ، الجامعة الأردنية، عمّان.

٨٠- الدُّوريّ، عبد العزيز:

- (١٩٦١م)، **الجذور التاريخيّة للشعوبيّة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- (٢٠٠٠م) **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتحدّة.

٨١- الدِّينَورِيّ، أبو حنيفة أحمد بن داود (١٩٦٠م)، **الأخبار الطِّوال**، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشَّيَّال، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٨٢- الدِّينوريّ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة:

- (١٩٦٦م)، **الشّعر والشعراء**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، دار المعارف بمصر.

- (١٩٦٣م)، **عيون الأخبار**، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنّشر، القاهرة.
- (٢٠١٠م)، **فضل العرب والتنبيه على علومها**، تحقيق وليد محمود خالص، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربيّة المتّحدة، الطبعة الأولى.
- (١٩٨١م)، **المعارف**، حقّقه وقدّم له ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- (١٩٨٤م)، **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني**، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٣- الذُّبيانيّ، الشَّمَّاخ بن ضِرار (١٩٦٨م)، **الديوان**، حقّقه وشرحه صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، القاهرة.

٨٤- الذهبيّ، أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أحمد:

- (١٩٥٥م)، **كتاب تذكرة الحُفّاظ، صُحِّحَ عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكّي تحت إعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهنديّة**، ١٣٧٤هـ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٣٧٥هـ.
- (٢٠١١م)، **سِيَر أعلام النُّبلاء**، تحقيق شُعَيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.
- (١٩٨٤م)، **معرفة القُرّاء الكبار على الطبقات والأمصار**، تحقيق بشّار عوّاد معروف وآخرين، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٥- الرَّافعيّ، مصطفى صادق (٢٠٠٠م)، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٨٦- الرَّسولي، الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول (١٩٤٩م)، **طُرْفَة الأصحاب في معرفة الأنساب**، حقّقه ك. م. سترستين عضو المجمع العلمي العربي، مطبعة التَّرقّي بدمشق.

٨٧- روزنثال، فرانز (١٩٨٣م)، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

٨٨- روميّة، وهب أحمد:

- (١٩٨٢م)، **الرِّحلة في القصيدة الجاهليّة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة.

- (١٩٩٦م)، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، آذار.

٨٩- الزَّبيديّ، السيّد محمد مرتضى الحسينيّ(١٩٦٨م)، **تاج العروس**، تحقيق عبد العليم الطَّحاويّ، مراجعة محمّد بهجة الأثريّ وعبد الستّار أحمد فرّاج، بإشراف لجنة فنيّة من وزارة الإرشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت.

٩٠- الزُّبيريّ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (١٩٥٣م)، **كتاب نسب قريش**، عُنِيَ بنشره لأوّل مرّة وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة.

٩١- الزِّرِكليّ، خير الدين بن محمود (٢٠٠٥م)، **الأعلام قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة عشرة.

٩٢- زكّار، سهيل (١٩٧٧م)، **تاريخ العرب والإسلام منذ ما قبل المبعث وحتّى سقوط بغداد**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

٩٣- الزَّمَخْشَرِيّ، أبو القاسم محمود بن عمر:

- (٢٠٠٩م)، **أساس البلاغة**، ضبطه وشرحه محمد نبيل الطَّريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٧٤م)، **تفسير الكشّاف**، دار الكتاب العربيّ، بيروت.
- (١٩٩٦م)، **الفائق في غريب الحديث**، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٧٧م)، **المُسْتَقْصَى في أمثال العرب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

٩٤- الزُّهريّ، أبو عبد الله محمّد بن سعد بن مَنيع البَصْريّ:

- (١٩٩٦م)، **الطبقات الكبرى**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.
- (٢٠٠١م)، **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق عليّ محمّد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى.

٩٥- الزَّوزنيّ، أبو عبد الله الحسين (١٩٨٥م) **شرح المعلّقات السَّبع**، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة.

٩٦- زيدان، جرجي (١٩٠٥م)، **تاريخ التمدُّن الإسلاميّ**، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، مصر.

٩٧- سالم، السيّد عبد العزيز (١٩٨١م)، **التاريخ والمؤرّخون العرب**، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت.

٩٨- السِّجِستانيّ، أبو حاتم سهل بن محمّد (١٩٩٧م)، **كتاب المُعَمَّرين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسّسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

٩٩- السَّخاويّ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن (١٩٦٣م)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ التاريخ**، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد عليّ، مطبعة العاني، بغداد.

١٠٠- السَّدوسيّ، أبو فَيْد مُؤَرِّج بن عمرو (١٩٧٦م)، **كتاب حذف من نسب قريش**، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

١٠١- سُزكين، فؤاد (١٩٩١م)، **تاريخ التراث العربيّ**: نقله إلى العربيّة محمود فهمي حجازيّ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمّد بن سعود، الرياض.

١٠٢- سعد، هاني حسين أحمد (١٩٨٥م)، **العطاء في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، إشراف عبد العزيز الدوريّ، الجامعة الأردنيّة، كليّة الآداب، قسم التاريخ.

١٠٣- السُّكّريّ، أبو سعيد الحسن بن الحسين (١٩٦٥م)، **كتاب شرح أشعار الهذليين**، حقّقه عبد الستّار أحد فرّاج، راجعه محمود محمّد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

١٠٤- السَّمعانيّ، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور (١٩٩٩م)، **الأنساب**، قدّم له محمّد أحمد حلاّق، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٥- السُّهيليّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (د.ت)، **الرَّوْض الأُنُف في تفسير السيرة النبويّة لابن هشام**، قدّم له وعلّق عليه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر.

١٠٦- السيّد، مجدي فتحي (١٩٩٦م)، **سيرة حياة الصِّدِيق**، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتحقيق والتوزيع، الطبعة الأولى.

١٠٧- ابن سيّد الناس، أبو الفتح فتح الدين محمّد بن محمّد اليَعْمُريّ الإشبيليّ (١٩٩٣م)، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر**، ضبطه وشرحه وعلّق عليه الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

١٠٨- السُّيوطي، أبو الفضل جمال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين:

- (١٩٧٧م)، **بُغية الوُعاة في طبقات اللغويّين والنُّحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية.
- (٢٠٠٨م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة،.
- (١٤٢٥هـ)، **تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّواوي**، حقَّقه أبو قتيبة نَظَر محمّد الفاريابيّ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة السابعة.
- (د.ت)، **المُزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الجيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٠٩- الشّايب، أحمد (١٩٦٦م)، **تاريخ النقائض في الشعر العربيّ**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، الطبعة الثالثة.

١١٠- ابن الشَّجَرِيّ، أبو السّعادات هبة الله بن عليّ بن حمزة العلويّ (١٩٧٠م)، **الحماسة الشَّجَرِيّة**، تحقيق عبد المعين الملّوحي وأسماء الحمصيّ، وزارة الثقافة، دمشق.

١١١- شمس الدين، إبراهيم (٢٠٠٢م)، **مجموع أيّام العرب في الجاهليّة والإسلام**، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

١١٢- الشَّنْتَمَرِيّ، "الأعلم" يوسف بن سليمان بن عيسى (١٩٨٣م)، **أشعار الشعراء الستّة الجاهليّين**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربيّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١١٣- أبو شَهبة، محمّد (١٩٩١م)، **دفاع عن السنة وردّ شُبَه المستشرقين والكُتَّاب المعاصرين**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

١١٤- الصَّاحبيّ التّاجي، محمّد بن عليّ بن كامل (١٩٨٥م)، **الحَلْبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهليّة والإسلام**، تحقيق ودراسة حاتم صالح الضّامن، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

١١٥- الصَّغَانيّ، أبو الفضل الحسن بن محمّد بن الحسن (١٩٧٩م)، **العُباب الزّاخر واللُّباب الفاخر**، تحقيق محمّد حسن آل ياسين، دار الرَّشيد، بغداد.

١١٦- الصَّفَديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٢٠٠٠م)، **نَكْتُ الهِميان في نُكَت العُميان**، تحقيق أحمد زكي بك، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، الطبعة الأولى.

١١٧- الصُّوليّ، أبو بكر محمّد بن يحيى (١٣٤١هـ)، **أدب الكُتّاب**، نَسخَه وعُنِيَ بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الأَثَريّ، ونظر فيه علاّمة العراق محمود شكري الآلوسيّ، بغداد.

١١٨- الضَّبِّيّ، المُفضَّل بن محمّد بن يَعلى الكوفيّ (١٩٨١م)، **المُفضَّليّات**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وعبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة.

١١٩- ضيف، شوقي (١٩٦٦م)، **العصر العبّاسي الأوّل**، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، مُحَقَّقَة.

١٢٠- الطائيّ، أبو عديّ حاتم بن عبد الله بن سعد (١٩٩٤م)، **الديوان**، شرح أبي صالح يحيى بن مُدْرِك الطائيّ، تحقيق حنّا نصر الحَتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢١- الطائيّ، أبو تمّام حبيب بن أوس (١٩٦٣م)، **كتاب الوحشيّات "الحماسة الصُّغرى"**، علَّق عليه وحقّقه عبد العزيز المَيْمَنِيّ الرّاجكوتيّ وزاده في حواشيه محمود محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

١٢٢- الطَّبَرَانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (١٩٨٣م)، **المعجم الكبير**، حَقَّقه وخرَّج أحاديثه حمدي السَّلَفيّ، الدار العربيّة للطباعة والنشر، بغداد، الطبعة الثانية.

١٢٣- الطَّبَرِيّ، "مُحِبّ الدّين الطَّبَريّ"، أبو العبّاس أحمد بن عبد الله (١٩٥٣م)، **الرِّياض النَّضِرة في مناقب العشرة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٢٤- الطَّبَرِيّ، أبو جعفر محمّد بن جرير (١٩٦٣م)، **تاريخ الرُّسُل والملوك (تاريخ الطَّبريّ)**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

١٢٥- الطِّرِمَّاح بن حكيم (١٩٦٨م)، **الديوان**، حقّقه عزّة حسن، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القوميّ، دمشق.

١٢٦- ابن الطُّفَيْل عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر (٢٠٠٩م)، **الديوان**، تحقيق شارلز لايل، تقديم وإعداد للنشر وترجمة التعليقات إلى العربيّة محمد عوني عبد الرؤوف، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة.

١٢٧- العامريّ، أبو عَقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك (١٩٦٢م)، **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ**، تحقيق وتقديم إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد، الكويت.

١٢٨- العِباديّ، عديّ بن زَيْد (١٩٦٥م)، **الديوان**، تحقيق محمد جبّار المعيبد، شركة دار الجمهوريّة للنشر والطبع، بغداد.

١٢٩- عبد الجبّار، عبد الله (١٩٨٠م)، **قصّة الأدب في الحجاز في العصر الجاهليّ**، مكتبة الكُلّيّات الأزهريّة، القاهرة.

١٣٠- عبد الخالق، غَسّان إسماعيل (١٩٩٩م)، **الأخلاق في النَّقد العربيّ من القرن الثالث حتّى القرن السادس الهجريّ**، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣١- عبد النّور، جبّور (١٩٧٩م)، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣٢- عبد الهادي، مهدي محمّد (١٩٨٩م)، **هشام بن محمّد بن السَّائب الكلبيّ ودوره في التدوين التاريخيّ**، رسالة ماجستير، إشراف محمّد جاسم المشهدانيّ، الجامعة المستنصريّة.

١٣٣- العَبْدِيّ، المُثَقِّب عائذ بن مِحْصَن بن ثَعلبة (١٩٧١م)، **الديوان**، عُنِيَ بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصَّيرفيّ، جامعة الدول العربيّة، معهد المخطوطات العربيّة، مصر الجديدة.

١٣٤- ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (٢٠٠١م)، **تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق وتعليق أبي عبد الله عليّ عاشور الجنوبيّ، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣٥- العَسْقَلانيّ، ابن حَجَر أبو الفضل شهاب الدّين أحمد بن عليّ الكِنانيّ:

- (١٩٩٥م)، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

- (٢٠١١م)، **تقريب التهذيب**، تحقيق بشّار عَوَّاد معروف، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٩٤م)، **تهذيب التهذيب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى.
- (٢٠٠٠م)، **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة.
- (٢٠٠٢م)، **لسان الميزان**، عناية الشيخ عبد الفتّاح غُدَّة، دار البشائر الإسلاميّة، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٩١م)، **كتاب نزهة الألباب في الألقاب**، تقديم وتحقيق وتعليق محمّد زينهم محمد عزب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣٦- العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:

- (١٩٦٤م)، **كتاب جمهرة الأمثال**، حقّقه وعلَّق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية.
- (١٣٥٢هـ)، **ديوان المعاني**، تمّت مقابلته بنسخة المتحفة البريطانيّة بوساطة المستشرق كرنكو الذي تفضّل بتصحيحه، مكتبة القدسي، القاهرة.

١٣٧- العُصْفُريّ، أبو عمرو خليفة بن خيّاط (١٩٨٢م)، **كتاب الطبقات**، تحقيق: أكرم ضياء العمريّ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية.

١٣٨- عطوان، حسين (١٩٨٤م)، **الزَّندقة والشعوبيّة في العصر العباسيّ الأوّل**، دار الجيل، بيروت.

١٣٩- العظم، رفيق (١٩٠٩م)، **كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة**، مطبعة هنديّة بالموسكي بمصر، الطبعة الثالثة.

١٤٠- العُقَيليّ، أبو معاذ بشّار بن برد (١٩٧٦م)، **الديوان**، جمعه وشرحه وعلّق عليه محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسيّة للتوزيع، تونس.

١٤١- العَلَويّ، الشَّريف المُرْتَضى علي بن الحسين الموسويّ (١٩٥٤م)، **أمالي المُرْتَضَى غُرَر الفوائد ودُرَر القلائد**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٤٢- عليّ، جواد (١٩٧٢م)، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى.

١٤٣- العليّ، صالح أحمد (١٩٨٣م)، **دراسات في تطوّر الحركة الفكريّة في صدر الإسلام**، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٤٤- العَمَّاريّ، فضل بن عمّار (١٩٩٦م)، **الشعر المنحول قضايا ونصوص**، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى.

١٤٥- العُمَريّ، أكرم ضياء (١٩٧٥م)، **بحوث في تاريخ السنّة المشرّفة**، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٤٦- الغزاليّ، محمّد (٢٠٠٠م)، **فقه السّيرة**، خَرَّج أحاديث الكتاب محدِّث الدّيار الشاميّة محمّد ناصر الدين الألبانيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٤٧- غَطاشة، داود إبراهيم علي (١٩٧٦م)، **حركة الشعر في قبيلة غَنيّ حتى نهاية العصر الأمويّ**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، الأردنّ.

١٤٨- الغَنويّ، طُفَيْل بن عوف بن كعب:

- (١٩٩٧م)، **الديوان**، شرح الأصمعيّ، تحقيق حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٦٨م)، **الديوان**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى.

١٤٩- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (١٩٩١م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت.

١٥٠- الفرزدق، أبو فراس هَمَّام بن غالب بن صَعْصَعَة، التميميّ (١٩٨٣م)، **شرح ديوان الفرزدق**، ضَبَطَ معانيه وشروحه وأكملها: إيليّا الحاوي، منشورات دار الكتاب اللُّبنانيّ، الطبعة الأولى.

١٥١- الفيروزباديّ، أبو طاهر مجد الدّين محمّد بن يعقوب (٢٠٠٤م)، **القاموس المحيط**، عناية وترتيب حسّان عبد المَنَّان، بيت الأفكار الدوليّة، لبنان.

١٥٢- القاضي عِياض، أبو الفضل عِياض بن موسى السَّبتيّ اليَحْصُبيّ (١٩٩٨م)، **شرح صحيح مُسْلِم المسمّى إكمال المُعْلِم بفوائد مُسْلِم**، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى.

١٥٣- القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم (١٩٥٤م)، **كتاب ذيل الأمالي والنّوادر**، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، مصطفى إسماعيل، الطبعة الثالثة.

١٥٤- القُرَشيّ، أبو زيد محمد بن الخطّاب (١٩٨٦م)، **جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام**، حقّقه وعلّق وزاد في شرحه محمد علي الهاشميّ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الثانية، مزيدة ومُنَقَّحة.

١٥٥- القُرطبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر (٢٠٠٦م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق عبد الله ابن عبد المُحْسِن التركيّ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥٦- القُرطبيّ، ابن عبد البّر أبو عمر يوسف بن عبد الله:

- (١٩٩٥م)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق الشيخين علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٨٥م)، **الأنباه على قبائل الرُّواة**، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.
- (١٩٣١م)، **القَصْد والأَمَم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

١٥٧- القِفطيّ، أبو الحسن جمال الدّين عليّ بن يوسف (١٩٥٢م)، **إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.

١٥٨- القَلْقَشَنديّ، أبو العبَّاس أحمد بن عليّ (١٩٩١م)، **نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المِصريّ، القاهرة، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٥٩- القَيروانيّ، أبو عليّ الحسن بن رشيق (١٩٧٢م)، **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، حقَّقه وفصَّله وعلَّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٦٠- القيسيّ، نوري حمّودي (١٩٦٤م)، **الفروسيّة في الشعر الجاهليّ**، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى.

١٦١- كاتبيّ، غيداء خزنة (٢٠١٠م)، **هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ ورواياته عن فترة الرسالة**، المجلّة الأردنيّة للتاريخ والآثار، وزارة التعليم العالي، الجامعة الأردنيّة، عمّان.

١٦٢- ابن كثير، أبو الفِداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ (١٩٨٧م)، **البداية والنهاية**، دقّق أصوله وحقّقه أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٦٣- الكَرْميّ، حسن سعيد (١٩٩٢م)، **الهادي إلى لغة العرب**، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦٤- ابن الكلبيّ، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السَّائب:

- (١٩٢٤م)، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية.
- (١٩٤٦م)، **أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام وأخبارها**، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.
- (١٩٨٦م)، **جمهرة النسب**، رواية محمّد بن حبيب عنه، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق.
- (١٩٨٨م)، **نسب معدّ واليمن الكبير**، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق.

- (٢٠١١م)، **المثالب**، تحقيق محمّد خريسات وعصام مصطفى عقلة، مطبعة الجامعة الأردنيّة، عمّان.

١٦٥- الكِنديّ، امرؤ القيس بن حُجْر:

- (١٩٦٢م)، **الديوان**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

- (١٩٥٩م)، **شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقِسة وأشعارهم في الجاهليّة وصدر الإسلام**، تأليف حسن السَّندوبيّ، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة.

١٦٦- الكوفيّ، أحمد بن أعثم (١٩٩٢م)، **الفتوح**، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت.

١٦٧- لوبون، غوستاف (١٩٥٦م)، **حضارة العرب**، نقله إلى العربيّة عادل زعيتر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة،.

١٦٨- اللُّغويّ، أبو الطيّب عبد الواحد بن عليّ الحلبيّ:

- (١٩٦٠م)، **كتاب المثنّى**، تحقيق وشرح عزّ الدين التَّنُوْخِيّ، دمشق.

- (١٩٥٥م)، **مراتب النحويّين**، حقّقه وعلَّق عليه محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة.

١٦٩- ابن ماكولا، أبو نصر عليّ بن هبة الله بن جعفر (١٩٦٣م)، **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنى والأنساب**، تصحيح وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّميّ اليمانيّ، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد الدَّكَن، الهند.

١٧٠- الماورديّ، أبو الحسن عليّ بن محمّد (٢٠٠١م)، **الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة**، دراسة وتحقيق محمّد جاسم الحديثيّ، منشورات المجمع العلميّ، بغداد.

١٧١- مؤيّد الدولة، أبو المظفَّر عزّ الدّين أسامة بن منقذ (١٩٩١م)، **لُباب الآداب**، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧٢- المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (د.ت)، **الكامل في اللغة والأدب**، عارضه بأصوله وعلَّق عليه محمّد أبو الفضل إبراهيم وسيّد شحاته، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

١٧٣- المَرْزُبانيّ، أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى:

- (١٩٣٥م)، **معجم الشعراء**، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، مكتبة القدسيّ، القاهرة، الطبعة الأولى.
- (١٣٤٣هـ)، **المُوَشَّح في مآخذ العلماء على الشعراء**، المطبعة السلفيّة، القاهرة.
- (١٩٦٤م)، **كتاب نور القَبس المُختصر من المُقْتَبس في أخبار النُّحاة والأدباء والشّعراء والعلماء**، اختصار أبي الحسن اليَغموريّ، تحقيق رودلف زِلهايم، فيسبادن.

١٧٤- المَزروعيّ، فاطمة حمد ناصر (٢٠٠١م)، **المنافرات في الأدب الجاهليّ**، رسالة ماجستير، إشراف حمدي منصور، الجامعة الأردنيّة.

١٧٥- المِزّيّ، الحافظ أبو الحجّاج جمال الدين (١٩٩٢م)، **تهذيب الكمال في أسماء الرّجال**، تحقيق بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧٦- المُزَنيّ، زهير بن أبي سُلمى:

- (١٩٤٤م)، **شرح ديوان زُهير بن أبي سلمى**، صنعة الإمام أبي العبّاس ثعلب، دار الكتب المصريّة، القاهرة.
- (١٩٨٠م)، **شعر زهير بن أبي سُلمى**، صنعة الأعلم الشَّنتمريّ، تحقيق فخر الدين قَباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٧٧- المُزَنيّ، كعب بن زهير بن أبي سلمى (١٩٦٥م)، **شرح ديوان كعب بن زهير**، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السُّكّريّ (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، ١٩٥٠م)، الدار القوميّة للطباعة والنشر، القاهرة.

١٧٨- المُسْتَعصِميّ، محمّد بن سيف الدين أيدمر بن عبد الله (١٩٨٨م)، **كتاب الدُّرّ الفريد وبيت القَصيد**، أصدره فؤاد سزكين، إيكهارد نويباور، معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، ألمانيا.

١٧٩- المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين:

- (١٩٨١م)، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- (١٩٨٧م)، **مروج الذَّهب في معرفة قبائل العرب**، تحقيق محمَّد مُحيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت.

- (١٩٦٥م)، **مروج الذَّهب ومعادن الجوهر**، دقَّقه وضبطه يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٨٠- مصطفى، شاكر (١٩٧٩م)، **التاريخ العربيّ والمؤرّخون**، دراسة في تطوّر علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨١- المعرّيّ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان القُضاعيّ التّنوخيّ:

- (١٩٨٤م)، **رسالة الصَّاهِل والشَّاحِج**، عن نسختين أصيلتين بالخزانة الملكيّة بالرباط، نصّ محقّق مع مدخل تاريخيّ وموضوعيّ، تحقيق عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

- (د.ت)، **رسالة الغفران**، تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ"، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة.

١٨٢- معلوف، لويس (١٩٨٤م)، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، دار المشرق، بيروت، الطبعة السابعة عشرة.

١٨٣- المقدسيّ، أبو محمّد موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن قُدامة (١٩٧٢م)، **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، حقّقه وقدَّم له علي نويهض، دار الفكر، بيروت.

١٨٤- ابن مُنْبِه، وهب بن مُنْبِه بن كامل (٢٠٠٨م)، **كتاب التّيجان في ملوك حِمْيَر وفي ذيله أخبار عبيد بن شريّة الجُرْهُميّ**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثالثة.

١٨٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مُكَرَّم الإفريقيّ (١٩٩٧م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة.

١٨٦- المِنْقَريّ، نصر بن مزاحم (١٩٤٥م)، **وقعة صِفّين**، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٦٥هـ.

١٨٧- المَوصِليّ، أبو الفتح عثمان بن جِنّيّ (١٩٥٤م)، **سِرّ صِناعة الإعراب**، تحقيق مصطفى السَّقّا وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأولى.

١٨٨- المَيدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمّد (١٩٥٥م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمَّد مُحيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمديّة.

١٨٩- النَّابِغَة الذُّبيانيّ، زياد بن معاوية بن ضِباب:

- (١٩٧٧م)، **الديوان**، شرح الأعلم الشَّنتمريّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،.

- (١٩٧٦م)، **الديوان**، جمعه وشرحه وكمَّله وعلَّقَ عليه محمّد الطاهر بن عاشور، طبعة مراجعة ومُنَقَّحة ومكمَّلة، الشركة التونسيّة للتوزيع.

١٩٠- ابن النَّديم، أبو الفرج محمّد بن إسحاق (١٩٢٩م)، **الفِهْرِست**، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة.

١٩١- النَّسائيّ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٩٩١م)، **كتاب السُّنن الكبرى**، تحقيق عبد الغفّار سليمان البنداريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٩٢- النَّشَّار، عليّ سامي (١٩٤٩م)، **نشأة الدّين**، النظريّات التطوّريّة والمُؤَلَّهة، دار نشر الثقافة بالإسكندريّة.

١٩٣- نصّار، حسين (١٩٨٠م)، **نشأة التدوين التاريخيّ عند العرب**، منشورات اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية.

١٩٤- النُّصّ، إحسان (١٩٧٣م)، **العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ**، دار الفكر، الطبعة الثانية.

١٩٥- النَّهشليّ، أبو نَهْشَل الأسود بن يَعْفُر الدارميّ التميميّ (١٩٦٨م)، **الديوان**، صنعة نوري حمّودي القيسيّ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

١٩٦- أبو نواس، الحسن بن هانئ (١٩٨٧م)، **شرح ديوان أبي نواس**، ضبط معانيه وشروحه وأكمله إيليّا الحاوي، منشورات الشركة العالميّة للكتاب، بيروت.

١٩٧- النُّويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب (١٩٥٥م)، **نهاية الأَرَب في فنون الأَدَب**، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.

١٩٨- النَّيسابوريّ، مسلم بن الحجّاج بن مسلم (٢٠٠٣م)، **صحيح مسلم بشرح النَّوويّ**، راجعه وقابله مجموعة من طلبة العلم، بإشراف حسن عبّاس قطب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

١٩٩- الهُذَلِيّون (١٩٨٩م)، **ديوان الهذليين**، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٠٠- الهَرويّ، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (١٩٨٩م)، **كتاب النسَّب**، تحقيق ودراسة مريم محمد الدّرع، تقديم سهيل زكّار، دار الفكر للطِّباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٢٠١- ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحِمْيَريّ (د.ت)، **السّيرة النبويّة**، تحقيق مصطفى السَّقّا وآخرين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٢٠٢- الهَمْدانيّ، أبو محمّد الحسن بن أحمد:

- (٢٠٠٨م)، **كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْيَر**، نَسَخَه وحَقَّقَه وعلّق عليه محمّد بن الأكوع الحَواليّ، مكتبة الإرشاد، صنعاء.
- (د.ت)، **شرح قصيدة الدّامغة**، تحقيق محمّد بن عليّ الأكوع.
- (١٩٧٤م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحواليّ، أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنَّشر، الرياض، الملكة العربيّة السعوديّة.

٢٠٣- وهبة، مجدي (١٩٨٤م)، **معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٠٤- اليافعيّ، أبو محمّد عبد الله بن أسعد اليافعيّ اليمنيّ المكّيّ (١٩٩٧م)، **مرآة الجنان وعِبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان**، تعليق خليل المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٠٥- يحيى، لطفي عبد الوهّاب (١٩٧٩م)، **العرب في العصور القديمة**، مدخل حضاريّ في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، الطبعة الثانية.

٢٠٦- اليَشْكُرِيّ، الحارث بن حِلِّزة (١٩٦٩م)، **الديوان**، أعاد تحقيقه هاشم الطَّعّان، مطبعة الإرشاد، بغداد.

٢٠٧- ابن يعيش (النَّحويّ)، أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش (٢٠٠١م)، **شرح المُفصَّل للزمخشريّ**، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى.

مصادر الشِّعر الَّذي رواه علماء الأنساب

١- الآمديّ، أبو القاسم الحسن بن بشر (١٩٦١م)، **المؤتلف والمختلف**، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة.

٢- الأَسَديّ، أبو عبد الله الزُّبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب (١٣٨١هـ)، **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، شرحه وحقّقه محمود محمّد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٣- الأصفهانيّ، أبو الفرج عليّ بن الحسين (٢٠٠٢م)، **كتاب الأغاني**، تحقيق إحسان عبّاس وإبراهيم السَّعَافين، دار صادر، بيروت.

٤- الإياديّ، لَقيط بن يَعْمُر (١٩٨٨م)، **ديوان لَقيط بن يَعْمُر الإياديّ على رواية ابن الكلبيّ**، شرح وتحقيق محمد التُّونجي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٥- الإياديّ، لَقيط بن يَعْمُر (١٩٧١م)، **الدّيوان**، حقّقه وقدَّمه عبد المعين خان، دار الأمانة، مؤسسة الرّسالة، بيروت.

٦- الإياديّ، لَقيط بن يَعْمُر (١٩٧٠م)، **الدّيوان**، تحقيق وتعليق وتقديم خليل العطيّة، مديرية الثقافة العامّة، وزارة الإعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد.

٧- البغداديّ، عبد القادر بن عمر (١٩٨١م)، **خزانة الأدب ولُبّ لُباب لسان العرب**، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة.

٨- البَلاذُريّ، أحمد بن يحيى بن جابر:

- (١٩٨٧م)، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- (١٩٩٦م)، **كتاب جُمَل من أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

٩- الحَمويّ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (١٩٥٧م)، **معجم البُلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

١٠- الزُّبيريّ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (١٩٥٣م)، **كتاب نسب قريش**، عُنِيَ بنشره لأوّل مرّة وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة.

١١- السَّدوسيّ، أبو فَيْد مُؤَرِّج بن عمرو (١٩٧٦م)، **كتاب حذف من نسب قريش**، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

١٢- الطائيّ، أبو عديّ حاتم بن عبد الله بن سعد (١٩٩٤م)، **الديوان**، شرح أبي صالح يحيى بن مُدْرِك الطائيّ، تحقيق حنّا نصر الحَتّي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣- الطَّبَرِيّ، أبو جعفر محمّد بن جرير (١٩٦٣م)، **تاريخ الرُّسُل والملوك (تاريخ الطَّبريّ)**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

١٤- ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله (٢٠٠١م)، **تاريخ دمشق الكبير**، تحقيق وتعليق أبي عبد الله عليّ عاشور الجنوبيّ، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥- القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم:

- (١٩٢٦م)، **كتاب الأَمَالي**، مُصَوَّر عن طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة الطبعة الثانية.
- (١٩٥٤م)، **كتاب ذيل الأمالي والنّوادر**، المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر، مصطفى إسماعيل، الطبعة الثالثة،.

١٦- القُرطبيّ، ابن عبد البّر أبو عمر يوسف بن عبد الله (١٩٨٥م)، **الأنباه على قبائل الرُّواة**، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧- القَيروانيّ، أبو عليّ الحسن بن رشيق (١٩٧٢م)، **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، القاهرة، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٨- ابن الكلبيّ، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السَّائب:

- (١٩٢٤م)، **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة، الطبعة الثانية.
- (١٩٤٦م)، **أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام وأخبارها**، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.

- (١٩٨٦م)، **جمهرة النسب**، رواية محمّد بن حبيب عنه، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق.
- (١٩٨٨م)، **نسب معدّ واليمن الكبير**، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق.
- (١٩٨٨م)، **نسب معدّ واليمن الكبير**، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٩- المَيدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمّد (١٩٥٥م)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمَّد مُحيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السُّنَّة المحمديّة.

٢٠- النُّويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب (١٩٥٥م)، **نهاية الأَرَب في فنون الأَدَب**، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.

Abstract

This research studies the effect of the genealogists in narrating the Jahili Poetry. The genealogy was considered to be one of the most types of knowledge that Arabs were interested in because genealogy was one of the main pillars of their lives and source of their strength and it was one of the Literary Arts that they used to take interest in.

Arabs took interest in genealogy because of the nature of the tribal construction and the circumstances of the Arabian environment which was a main factor for that interest. Islam encouraged Muslims to learn genealogy for the social and religious necessities that organized the relationships between people.

Genealogy started in the Jahili Era as narrations and news about people and it was affected by the social and geographic factors, especially the tribal instinct, flattering and control love. This trend continued even after the emerge of Islam; an example of that was the conflict between The Muhajereen and Al Ansar about the rightness of leadership after the death of Prophet Mohammad, Peace be upon him.

Al Atta' Diwan, which was established by Caliph Omar Bin Al Khattab, was the first comprehensive register for the origins of Arabs and many late genealogical books depended on it. The interest in genealogy increased for political reasons caused by tribal conflicts and joining of the weak tribes to strong ones in order to gain support and strength.

In the Umayyad Era the genealogy was considered to be one of the pillars of the Contradictions Poetry which included pride and satire.

In the Abbasside Era, the different origin people segregation affected too much in the development of genealogy because of their enmity to Arabs and their attempt to distort the Arabs' origins.

Arab Genealogists in the Jahili Era depended on the verbal narration which was based on memorization and it continued up to emerge of Islam and The

Umayyad Era, but the Abbasside era was the real era for registering genealogy.

The relationship between the Jahili Poetry and genealogy was very obvious because the books of genealogy included historical and literary narrations and poetry in order to document them, nevertheless, the genealogy was attributed to their knowledge of the Jahili Poetry and its narration.

The Syrian Arab Republic
University of Damascus
Human Sciences and Arts College
The Arabic Language and Literature Division

The Genealogists and Their Effect in Narrating Pre-Islamic Poetry in the Middle of the Hijra Third Century

A Thesis Presented to Gain the Doctorate Degree in the Arab Literature

Prepared by the Student
Abd Al-Salam Abd Al-Majeed Al-Muhtasib

The Supervisor
Full Profeessor Wahb Romeah

٢٠٢٢ CE / ١٤٤٣ H